

شرح أحوال التربية الروحية لتشخيص العلل والرذائل النفسية

حقيقة التصوف النقشبندي

إيران

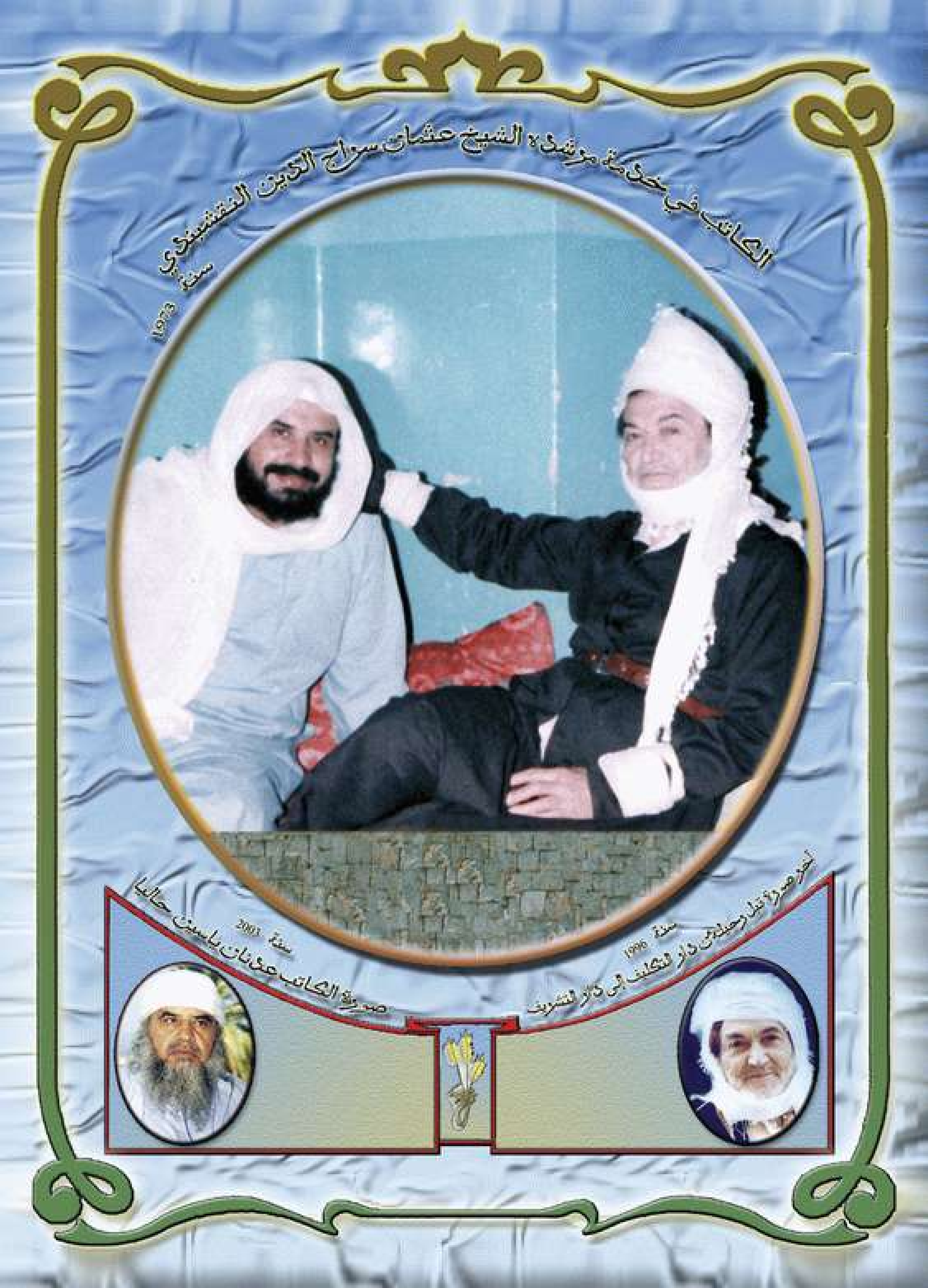
بخارى

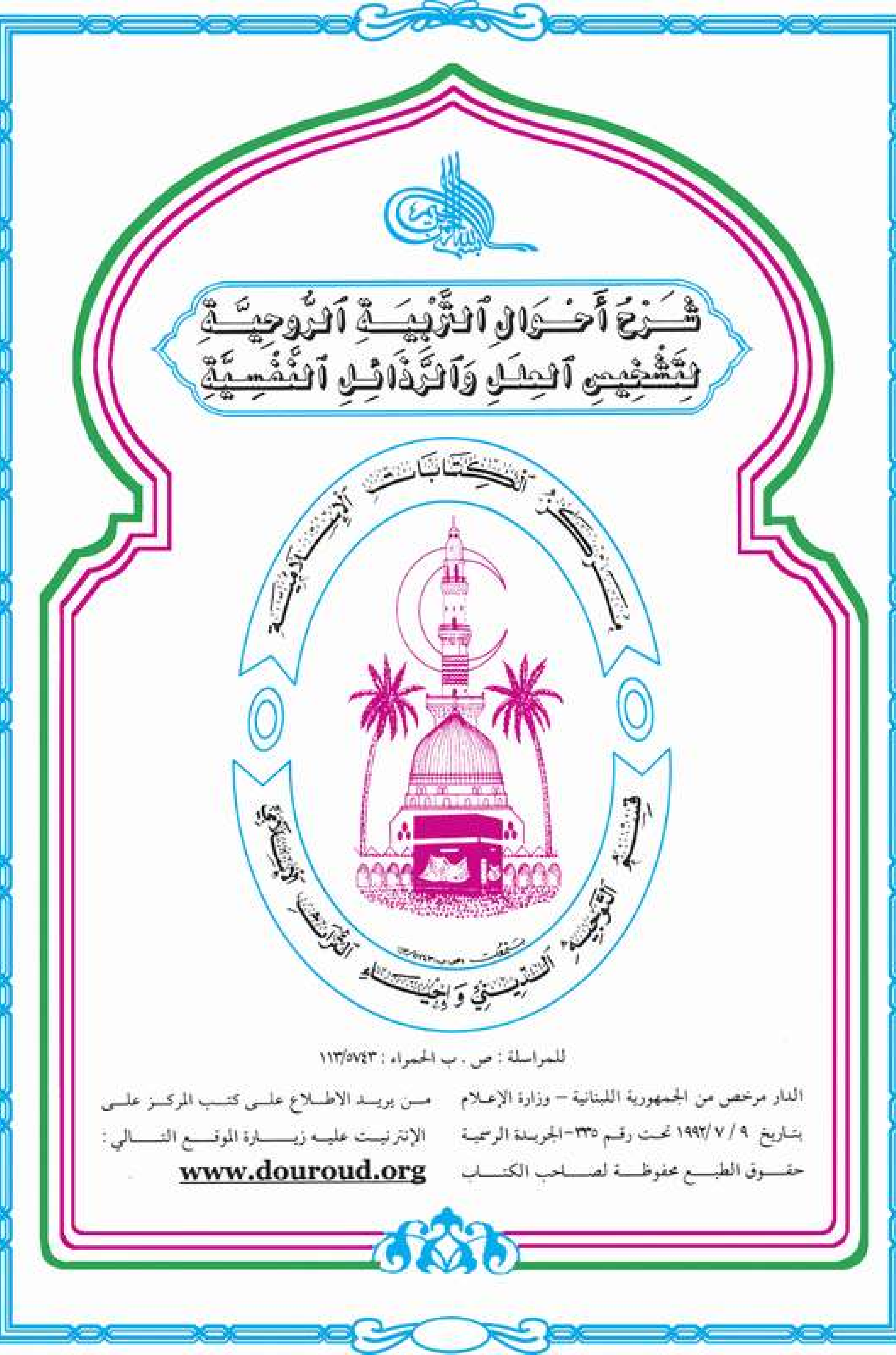
لبنان

باكستان

أهل النوبة قديماً، بعلبك

لتمييز بين الحقيقة و الخيال ولكشف المرشد من الدجال


الكاتب في خدمة مرشده الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي
سنة
آخر صورة قبل رحيله من دار التكليف إلى دار التشريف
سنة 1996
صورة الكاتب عدنان ياسين حاليا
سنة 2003



شرح أحوال التربية الروحية
لتشخيص العلل والرذائل النفسية
الكتابات الإسلامية
للمراسلة : ص . ب الحمراء : ١١٣/٥٧٤٣
الدار مرخص من الجمهورية اللبنانية – وزارة الإعلام
بتاريخ ٩ / ٧ /١٩٩٢ تحت رقم ٣٣٥-الجريدة الرسمية
حقوق الطبع محفوظة لصاحب الكتاب
من يريد الاطلاع على كتب المركز على
الإنترنيت عليه زيارة الموقع التالي :
www.douroud.org



الكاتب : عدنان توفيق ياسين

التدقيق العام : د. س . ع

مراجعة الكتاب : الشيخ عبد القادر الزعبي
لبنان ـ عكار

اللغة العربية : الأستاذ منير العجوز
مراقبة تشكيل الآيات : دلال العجوز
ترتيب المواضيع : الشيخ محمد وندى العجوز

رسومات : دار مركز الكتابات
تصميم الغلاف والصفحات : العباس ياسين

خطوط : رياض س . ، سوسن ر .
مراقبة الأجهزة : محمد أ .

التوزيع : أسامة عبد الغني جلول
إتمام هـ . سعاد ف

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء للسادة العظماء

إلى كل محب يبحث ساعيا لمعرفة حقيقة تربية التصوف الروحاني
أقدم له اختصارا لوصف درر النبي ﷺ صاحب الطب الرباني
الذي ملأ الأرض بصفحات نورانية من لمعات الياقوت العرفاني
واستمر من بركات معارفه النورانية الطامحون للكمال والجمال الإنساني
قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ[1] مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (الحديد ٢٨)
وإلى من كان جامعة مميزة للزهد وملجأ لكل من يعاني
مركز دائرة العجائب السيد المسيح عليه السلام صاحب ساحات التوحيد والمعاني
قال ﷻ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة ١١٠)
وكما أهدي بوارق معاني كتابي إلى السيد البدوي والرفاعي والجيلاني رضي الله عنهم
وإلى سائر أولياء الله، وإلى مرشدي المربي عثمان سراج الدين الثاني رضي الله عنه
وإلى من سعى وساعد وساهم معنا في إظهار الصادق من الجاني
كما وأرجو أن يستيقظ بذلك النائم والغافل بهذا الكون الفاني
وتنتشر المحبة والتآلف والتعايش ليغيب التعصب البغيض في ثواني

(١) كِفْلَيْنِ: أجرين على الإيمان بعيسى عليه السلام، والإيمان بمحمد ﷺ (تفسير الفخر الرازي ٢٩ / ٢٤٨).

حَقِيقَةُ الصُّوفِيَّةِ البَهِيَّةِ

اَلصُّوفِيَّةُ مَدِينَةُ عِلْمٍ جَامِعَةٌ لامِعَةْ

خُشُوعٌ وَآدَابٌ وَعُيُونٌ دَامِعَةْ

وَصَبْرٌ مَرِيرٌ وَآذَانٌ لِلْحَقِّ سَامِعَةْ

وَجَوَارِحُ بِاللهِ مَشْغُولَةٌ خَاشِعَةْ

وَنَفْسٌ ذَلِيلَةٌ بِالْقَضَاءِ قَانِعَةْ

وَإِحْسَانٌ لِلْخَصْمِ وَمَعْرُوفٌ لَهُ صَانِعَةْ

وَأَمْعَاءٌ مِنَ الْحَرَامِ خَاوِيَةٌ وَهِيَ جَائِعَةْ

وَلِلشَّهَوَاتِ وَلِلدُّنْيَا الْغُرُورِ بَائِعَةْ

لَهُمْ أَنْظَارُ قُلُوبٍ بِأَمْدَادِ اللهِ نَافِعَةْ

تُغَذِّي أَرْوَاحَ السَّالِكِينَ وَلِعُبُورِ الْمَقَامَاتِ دَافِعَةْ

وَأَجْنِحَةٌ بِلا رِيشٍ بَلَغَتِ الْمَدَارِجَ السَّابِعَةْ

وَحُظُوظُ فَيْضٍ عَلَى سُرُرٍ مُتَرَبِّعَةْ

وَنَفْسٌ مُزَكَّاةٌ مِنْ ثَدْيِ التَّجَلِّي رَاضِعَةْ

فَاسْأَلُوا الرِّفَاعِيَّ وَالْجِيلانِيَّ وَالْبَدَوِيَّ وَرَابِعَةْ

قُلُوبُهُمْ مَشْغُولَةٌ بِرَبِّهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ مُتَضَرِّعَةْ

وَأَرْوَاحُهُمْ عَابِرَةُ الْفَضَاءِ كَالْبَرْقِ مُسْرِعَةْ

فَلْيَطْمَئِنَّ أَهْلُ السِّيَاسَةِ بِقُلُوبِهِمُ الْمُتَزَعْزِعَةْ

فَالصُّوفِيَّةُ لَيْسَتْ نُفُوسُهُمْ لِلْحُكْمِ طَامِعَةْ





قال تعالى ﷻ : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ (الأحزاب ٥٨)

لا أدري من أين أبدأ بالتعريف المدمع للقلوب المؤثر في النفوس المؤمنة، ولا أجد أفضل من أن أبدأ بقوله تعالى : ﴿ **ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ** ﴾ (يوسف ٩) . فهواجس الحسد جعلت درويشا وفرقته خونة العهود والوفاء يظنون أنه بإمكانهم أن يغتصبوا وكالة الطريقة عن طريق استعمال عصا الظلم والتسلط على أرواح الأبرياء. فلم يتركوا وسيلة إلا واتبعوها لتأسيس مملكتهم الشيطانية المتسترة بالتصوف النقي ففتحوا شهية الحاقدين واستمالوا الغافلين بأسلوب الخداع والطعن والتجريح والافتراء بعد أن مهدوا طريقهم بالرسائل المزورة التي أطلقت ثعابين الألسنة لتنهش وتشوه نزاهة ونشاط وصورة الكاتب الروحية الباطنية والظاهرية رجما بالغيب طاعة لساداتهم وزعمائهم، وإرضاء لخواطرهم السيئة الخبيثة. وقد سعوا بلا ملل ولا كلل لتكسير جوانح الدعوة الصوفية لمنعها من التحليق في أجواء الانتشار والاشتهار.

وتذكرني أفعالهم بقوله ﷻ : ﴿ **وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠** ﴾ (الأحزاب ٦٧). وكان شغلهم الشاغل نفخ الرماد بالعيون لحجب الناس عن معرفة الحقيقة بأساليبهم المكارة. قال ﷻ ﴿ **وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** ﴾ (البروج ٧) ولكن انقلب السحر على الساحر وظهر المؤمن من الفاجر ولله الحمد.

لَقَدْ رَافَقَ ٱلْبَلَاءُ ٱلْكَاتِبَ فِي سَائِرِ رِحْلَاتِهِ فِي أَقْطَارِ ٱلْعَالَمِ حَيْثُ كَانَتْ تِلْكَ ٱلْفِرْقَةُ ٱلْمُنْقَلِبَةُ عَلَى عَقِبَيْهَا تَتَبَّعُ آثَارَ خُطُوَاتِهِ ٱلْفَعَّالَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ قَدْ عَاهَدَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى ٱلْتِزَامِ طَرِيقِ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ وَٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلأَذَى وَٱلْبَلَاءِ طَمَعًا فِي ٱلنَّجَاةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. وَتَابَعَ تَوَجُّهَاتِهِ ٱلرُّوحِيَّةَ لِكَسْبِ مَحَبَّةِ مَوْلَاهُ ﷻ مُتَمَسِّكًا بِهِمَّةِ رَابِطَةِ مُرْشِدِهِ وَذِكْرِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يُفَارِقُ خَنْدَقَ خَلْوَتِهِ إِلَّا نَادِراً مُقْتَحِماً ٱلْمَوَانِعَ وَٱلسُّدُودَ ٱلرُّوحِيَّةَ بِفَضْلِ رَبِّهِ ﷻ وَطَمَعًا فِي مَرْضَاتِهِ مُسْتَمِدّاً وَمُسْتَغِيثًا بِأَمْدَادِ رَبِّهِ ٱلْمُبَارَكَةِ وَمُسَاعَدَةِ كِبَارِ ٱلأَوْلِيَاءِ وَرِجَالِ ٱلْكَمَالِ ؒ بِحَسَبِ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنْ رَسَائِلَ صُورِيَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ وَخَطِّيَّةٍ مِنْ مُرْشِدِهِ ؒ حِينَمَا كَانَ يُرَبِّيهِ أَثْنَاءَ سُلُوكِهِ فِي ٱلتَّصَوُّفِ. وَكَانَ يُقَاوِمُ شُرُورَ ٱلْخَوَاطِرِ وَمَفَاسِدَ ٱلإِرْسَالَاتِ ٱلصُّورِيَّةِ ٱلْمُفْزِعَةِ بِلَا تَأَفُّفٍ وَلَا ضَجَرٍ دَافِعًا بِإِعَانَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﷻ هَوَاجِسَ ٱلتَّعْطِيلِ وَٱلتَّشْخِيصِ وَٱلتَّشْبِيهِ بِهِمَّةِ مُرْشِدِهِ ؒ وَتَعَالِيمِهِ وَتَدْرِيبِهِ وَتَرْبِيَتِهِ ٱلرَّاقِيَةِ ٱلْمُمَيَّزَةِ. وَكَانَ عِنْدَمَا يَخْرُجُ مِنْ سُلُوكِ خَلْوَتِهِ ٱلْخَالِيَةِ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ ٱلرَّفَاهِيَةِ وَٱلرَّاحَةِ يَجِدُ شُحْنَاتِ ٱلْبَلَاءِ ٱلْقَارِحِ وَٱلصَّبْرِ ٱلْجَارِحِ تَنْتَظِرُهُ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْمُجَابَهَاتِ ٱلْقَاسِيَةِ ٱلْعَنِيدَةِ طَامِعَةً فِي ٱلنَّيْلِ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى ٱلتَّحَمُّلِ وَٱلصَّبْرِ، بِفَضْلِ مَوْلَاهُ صَارَ بَلَاءُ ٱلسِّجْنِ وَمُوَاجَهَةُ ٱلسَّجَّانِ مُلَاحِقًا لَهُ فِي كُلِّ آنٍ، وَحِرْفَةً صُوفِيَّةً تَعَوَّدَ عَلَيْهَا بِطَرِيقَةٍ يُوسُفِيَّةٍ يَقْضِي فِيهِ عُطْلَتَهُ ٱلرُّوحِيَّةَ لِلتَّرْفِيهِ وَتَبْرِيدِ أَحْقَادِ نُفُوسِ ٱلْحَاسِدِينَ أَصْحَابِ بَرَامِجِ ٱلإِرْهَابِ، خَوَنَةِ ٱلْعُهُودِ وَٱلْوَفَاءِ ٱلْمُتَخَصِّصِينَ فِي تَصْفِيَةِ ٱلْحِسَابَاتِ ٱلْعَقَائِدِيَّةِ ٱلْمُسْتَوْرَدَةِ، ٱلْبَارِعِينَ فِي صِنَاعَةِ ٱلطَّبْخَاتِ ٱلْعَدَائِيَّةِ وَٱلْحَرَكَاتِ ٱلتَّصْحِيحِيَّةِ (بِزَعْمِهِمْ)، ٱلْمُتَسَتِّرِينَ بِلِحْيَةٍ وَسُبْحَةٍ وَلَفَّةٍ مُجَرَّحَةٍ، ٱلسَّاعِينَ إِلَى نَصْبِ ٱلْكَمَائِنِ لِقَتْلِ ٱلأَبْرِيَاءِ، ٱلْمُؤْتَمِرِينَ بِأَوَامِرِ ٱلْبَابِ ٱلْعَالِي ٱلْخَارِجِيِّ ٱلَّذِي يَخْشَوْنَهُ مِنْ دُونِ ٱللهِ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْمُلَاحَقَاتُ ٱلرُّوحِيَّةُ وَٱلْمُضَايَقَاتُ ٱلْجَسَدِيَّةُ وَشَنُّ ٱلْمَعَارِكِ وَٱلْحُرُوبِ ٱلتَّشْهِيرِيَّةِ ٱلَّتِي شَنُّوهَا عَلَى ٱلْكَاتِبِ مِنْ

بَابِ : ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ (المنافقون ٧) (يَنفَضُّوا : أيَ يَتفَرَّقُوا عنهُ) . وَكَانَتْ لَهُ فِي نَفسِ ٱلوَقتِ سَبَباً عَظِيماً فِي تَهيئَتِهِ وَتَحضِيرِهِ ٱلرُّوحِيِّ وَتَدرِيبِهِ لِتَحَمُّلِ ٱلأَثقَالِ ٱلغَلِيظَةِ وَٱستِقبَالِ حَمَلَاتِ ٱلبَلَاءِ بِٱطْمِئنَانٍ وَقَبُولٍ طَمعًا فِي مَرْضَاةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ أَنْ أَقسَمَ بِرَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنْ لَا يَترُكَ مَا جَاءَتْ لِأَجلِهِ ٱلرُّسُلُ ٱلكِرَامُ ﷺ وَهُوَ ٱلإِيمَانُ بِٱللهِ وَٱلتَّوحِيدُ مَهمَا ٱزَّيَّنَتْ لَهُ ٱلدُّنيَا ٱلفَانِيَةُ ، مِمَّا دَرَّ عَلَيهِ مَنَافِعَ رُوحِيَّةً وَتَقَدُّمًا سَرِيعًا فِي قَطفِ ثِمَارِ ٱلسُّلُوكِ وُصُولاً لِلهَدَفِ ٱلأَسمَىٰ . وَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَ . فَأَسقَطَتْ مُتَابَعَتُهُ ٱلجَسُورَةُ أَقنِعَةَ رَسَائِلِ ٱلعَزلِ ٱلمُدَبَّرَةِ ٱلمَكُورَةِ فَمُنِيَ ٱلأَعدَاءُ بِفَشَلٍ ذَرِيعٍ ، قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج ٣٨) .

وَكَانَ مَا وَصَلَ إِلَيهِ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا دَعَوهُ إِلَيهِ مِنْ أُمُورٍ يَعلَمُهَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ فِيهَا خُبثٌ وَخِيَانَاتٌ إِسلَامِيَّةٌ وَإِنسَانِيَّةٌ،وَسَوفَ يُكشَفُ ٱلنِّقَابُ يَومَ ٱلقِيَامَةِ عَنْ خِدَاعِهِمْ وَمَكرِهِمْ وَسَيَعلَمُونَ بَعدَهَا مَنْ هُوَ ٱلكَذَّابُ ٱلأَشِرُ .

لَقَدْ وَجَدْتُ فِي ٱلكَاتِبِ بَعدَ مُرَافَقَتِي لَهُ أَثنَاءَ سُلُوكِهِ فِي ٱلأَرَاضِي ٱلعِرَاقِيَّةِ مَا يُقَارِبُ خَمسَ سَنَوَاتٍ جُرْأَةً صُلبَةً وَمُقَاوَمَةً قَوِيَّةً لِشُرُورِ ٱلخَصمِ وَقَلباً مَملُوءًا بِٱلإِيمَانِ وَصَدراً مُتَّسِعًا يَستَقبِلُ ٱلبَلَاءَ بِصَبرٍ مَمزُوجٍ بِعَطَاءٍ إِلَهِيٍّ يُسَاعِدُهُ عَلَى ٱلتَّحَمُّلِ . لَمْ يَمَلَّ مِنَ ٱلتَّحَدِّي يَومًا،وَلَمْ يَنحَنِ أَمَامَ بَشَاعَةِ أَكَاذِيبِ وَٱفتِرَاءَاتِ ٱلخَصمِ ٱلمَمزُوجَةِ بِحُجَجٍ عَقَائِدِيَّةٍ تَدفَعُهَا رَغبَةٌ بَاطِنِيَّةٌ بِتَصفِيَةِ حِسَابَاتٍ شَخصِيَّةٍ عَنْ طَرِيقِ تَزوِيرِ رَسَائِلَ مُفَخَّخَةٍ تَسُوقُ بِغُيُومِهَا ٱلفَاعِلِينَ لِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَومَ يَخِيبُ مَنْ حَمَلَ لِبَنِي ٱلبَشَرِ ظُلمًا . مَعَ ٱلأَسَفِ لَقَدِ ٱشتَرَوا بِحَمَلَاتِهِمُ ٱلإِعلَانِيَّةِ ٱلمُرَقَّعَةِ ٱلضَّلَالَةَ بِٱلهُدَىٰ . قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ ٱلعَزِيزِ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهتَدِينَ ﴾ (البقرة ١٦) . وَكَانَ مُرشِدُ ٱلكَاتِبِ ﷺ دَومًا يُبَادِرُ خَونَةَ

ٱلعُهُودِ هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ (القمر ٢٦).

وَكَانَ يَقُولُ أَيْضًا : " لَمْ يَنْجُ ٱلْأَنْبِيَاءُ ﷺ مِنْ لِسَانِ أَعْدَائِهِمْ " . وَيُذَكِّرُنَا كَلَامُهُ ﷺ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام ١١٢) . وَأَتْبَاعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ﷺ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ هَذِهِ ٱلْعَدَاوَةِ بِحَسَبِ مَقَامِ كُلٍّ مِنْهُمْ .

لَقَدْ عَاشَ ٱلْكَاتِبُ فِي سُلُوكِهِ ٱلطَّوِيلِ ٱلْمَرِيرِ ٱلْقَاسِي مُتَأَرْجِحاً بَيْنَ هَزَّاتٍ قَلْبِيَّةٍ وَصَدَمَاتٍ نَفْسِيَّةٍ وَمُفَاجَآتٍ مُرْعِبَةٍ تَرْجُفُ مِنْ هَوْلِهَا ٱلْأَفْئِدَةُ لِمَا فِي جَوَانِحِ بَلَائِهَا مِنْ خَضَّاتٍ وَعَوَارِضَ تُوقِفُ نَبَضَاتِ قُلُوبِ ٱلرِّجَالِ . وَمَا أَقُولُ إِلَّا كَمَا قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء ٢٢٧) . فَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ ٱلظَّلَمَةُ بِأَنَّ تَعْكِيرَ صَفَاءِ ٱلْقُرْبِ وَٱلسُّلُوكِ ، وَمَنْعَ ٱلْأَمْدَادِ ٱلْمُغَذِّيَةِ لِمَجَارِي لَطَائِفِ ٱلسَّالِكِ ، وَمَنْعَ قَبُولِ تَوْبَتِهِ ، وَٱلْأَمْرَ بِطَرْدِهِ أَوْ عَزْلِهِ لَيْسَ بِيَدِ ٱلْعِبَادِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْقِيفَ حَرَكَةِ عُبُورِ ٱلسَّالِكِ مَهْمَا مَزَّقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ سُمْعَتَهُ فَلَا يَزِيدُهُ فِعْلُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا .

يُذَكِّرُنَا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران ١٧٣)

لَقَدْ نَجَّى ٱللهُ ٱلْكَاتِبَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً وَنَصَرَهُ فِي جَمِيعِ مَعَارِكِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ وَنَجَّاهُ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ . لَقَدْ نَسِيَ أُولَئِكَ ٱلْمُعْتَدُونَ ٱلْآثِمُونَ أَنَّ لِلظَّالِمِ يَوْمًا لَا تَنْفَعُهُ فِيهِ ٱلنَّدَامَةُ بَعْدَمَا يَرَى ٱلْعِقَابَ ٱلْأَلِيمَ . وَلَقَدْ كَانَ ٱلْكَاتِبُ يَجِدُ ٱلْعَوْنَ مِنَ ٱللهِ وَهُطُولَ ٱلْأَمْدَادِ فِي أَخْطَرِ ٱلْمَآزِقِ . فَلْيَسْأَلُوا سِجْنَ "أُوِفِين" بِإِيرَانَ زَمَنَ ٱلشَّاهِ ٱلْمَيِّتِ وَلْيَتَحَدَّثُوا مَعَ سِجْنِ "أَبُو غُرَيْب" فِي ٱلْعِرَاقِ عَنْ عَدَدِ زِيَارَاتِ ٱلْكَاتِبِ لَهُمَا ظُلْمًا

وَٱفْتِرَاءً وَعُدْوَانًا . وَلْيَسْأَلُوا أَمِين أَبُو (ع) عَنْ سَجْنِ ٱلْكَاتِبِ بِطَرِيقَةِ ٱلْمَكْرِ وَٱلْحِيلَةِ ٱلْمُدَبَّرَةِ ، وَلْيَسْأَلُوا دَرْوِيش ك . عَنْ سِجْنِ ٱلْكُوَيْتِ وَكَيْفَ نَهَشَ لَحْمَ ٱلْكَاتِبِ . لَقَدْ عَايَنْتُ كَثِيرًا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَقَعُ لِلْكَاتِبِ فِي مَطَارِ بَغْدَادَ وَغَيْرِهِ ، مِنْ مُضَايَقَاتٍ وَسَجْنٍ وَإِرْهَابٍ وَكَانَ قَلْبِي يَكَادُ يَتَفَطَّرُ حُزْنًا وَكَمَدًا لِمَا أَرَى وَدُمُوعِي تَتَسَاقَطُ دُونَ وَعْيٍ حُزْنًا عَلَى مَا أُشَاهِدُ مِنْ بَشَاعَةٍ وَظُلْمٍ وَٱفْتِرَاءٍ يَتَشَقَّقُ لَهُ ٱلصَّخْرُ وَيَئِنُّ مِنْهُ حُزْنًا .

كُلُّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ لِلْكَاتِبِ عَدْنَان يَاسِين دِيَاب ٱلآغَا ٱلْهَاشِمِيّ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَقْطِفُ مِنْ ثِمَارِ بُسْتَانِ عِرْفَانِ ٱلتَّدْرِيبِ ٱلرُّوحِيِّ عِنْدَ مُرْشِدِهِ ٱلْعَظِيمِ ﷺ وَيَنَالُ مِنْهُ ٱلْتِفَاتَاتٍ كَرِيمَةً رَاقِيَةً مُمَيَّزَةً مُحَمَّلَةً بِدُرُوعٍ وَاقِيَةٍ . وَبِفَضْلِ ٱحْتِضَانِ رَابِطَةِ مُرْشِدِهِ لَهُ طِيلَةَ سِنِينَ طَوِيلَةٍ مَا زَالَ بِفَضْلِ رَبِّهِ ﷻ رَغْمَ جَرْعِهِ لِكُؤُوسِ ٱلْبَلَايَا يَمْشِي عَلَى ضَوْءِ مَا أَعْطَى ٱللَّهُ لِمُرْشِدِهِ ﷺ مِنْ نُورٍ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلرَّابِطَةُ لِلْكَاتِبِ ٱسْتِعَارَةً رُوحِيَّةً مُؤَقَّتَةً لِإِتْمَامِ تَخَرُّجِهِ ٱلرُّوحِيِّ مِنْ تِلْكَ ٱلْجَامِعَةِ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلنَّادِرَةِ ٱلَّتِي تُوَزِّعُ إِشَارَاتِهَا ٱلنُّورَانِيَّةَ ٱلصَّافِيَةَ ٱلصَّادِقَةَ ٱلصَّائِبَةَ عَلَى لَطَائِفِ ٱلرِّجَالِ ٱلصَّادِقِينَ ٱلَّذِينَ قَضَى بَعْضُهُمْ نَحْبَهُمْ فِي سَبِيلِ تَحْصِيلِهَا وَمَا بَدَّلُوا وَمَا وَهَنُوا. قَالَ ﷻ ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب ٢٣) . وَلَا بُدَّ لِمَنْ يُفْتَحُ عَلَيْهِ بَابُ ٱلسُّلُوكِ وَٱلْقُرْبِ مِنْ مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ أَنْ يَجْرَعَ مِنْ كَأْسِ مَرَارَةِ ٱلصَّبْرِ ، فَمَا مَرَّ بِهِ ٱلْكَاتِبُ مِنْ أَهْوَالٍ مُرْعِبَةٍ يُذَكِّرُنِي بِآيَةٍ كَرِيمَةٍ فِيهَا أَثْقَالٌ مُدَمِّرَةٌ طَاحِنَةٌ لِلْعِظَامِ،قَالَ ﷻ فِي كِتَابِهِ ٱلْكَرِيمِ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ١٥٥ – ١٥٧) هَذِهِ ٱلآيَةُ ٱلْكَرِيمَةُ

تَصَوُّرَ بِدَايَةِ سُلُوكِ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْمُتَصَوِّفِ ٱلْمُقْبِلِ بِإِخْلَاصٍ عَلَى مَوْلَاهُ ﷻ .

وَبَعْدَ أَنْ قَضَى ٱلْكَاتِبُ ثَلَاثِينَ عَاماً فِي ظِلَالِ تَرْبِيَةِ مُرْشِدِهِ ؓ يَسْعَى لِكَسْبِ مَا فِيهِ ٱلْمَصْلَحَةُ ٱلشَّرْعِيَّةُ وَٱلْقَلْبِيَّةُ وَلِيَفُوزَ بِعِلَاجَاتِ ٱلتَّزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِيَّةِ تَمَّ لَهُ بِإِذْنِ ٱللهِ مَا يُفْرِحُ ٱلْقَلْبَ بَعْدَ أَنْ مَشَى عَلَى جَمْرِ ٱلْإِخْتِبَارَاتِ وَخَاضَ أَعَاصِيرَ ٱلْإِمْتِحَانَاتِ ، قَالَ ﷻ :

(إبراهيم ٢٧)

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾.

فَنَرْجُو مِنَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْفَظَهُ فِي مَا تَبَقَّى وَيُعِينَهُ لِلْوُصُولِ لِمَا هُوَ أَرْقَى ؛ فَٱلْعِبْرَةُ فِي ٱلْخَوَاتِيمِ . لَقَدْ قَالَ لَنَا بَعْدَ ٱسْتِشْعَارٍ عَمِيقٍ وَهُوَ عَلَى بَابِ خِدْمَةِ سَيِّدِ ٱلْكَائِنَاتِ ﷺ : "لَا يَكْشِفُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ رُؤْيَةِ ثِمَارِ وَجْهِ ذَاكَ ٱلْقَمَرِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفْنِيَ ٱلصُّوفِيُّ ٱلْعُمُرَ" . وَقَدْ حَدَّثَنَا عَنْ مُسَاعَدَاتٍ رُوحِيَّةٍ خَارِجِيَّةٍ وَدَفَعَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ كَانَتْ تَأْتِيهِ مِنْ خَارِجِ خَطِّهِ ٱلنَّقْشَبَنْدِيِّ وَهِيَ مُسَانَدَاتٌ رُوحِيَّةٌ مِنْ أَرْوَاحِ ٱلْأَوْلِيَاءِ ؓ وَٱلْمَشَايِخِ ٱلْمُوَظَّفِينَ نُورَانِيّاً مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِشَهَادَةِ مُرْشِدِهِ وَدُعَائِهِ ٱلْمُتَوَاصِلِ لَهُ بِإِصْلَاحِ بَاطِنِهِ لِيُسَاعِدَهُ فِي مَسَالِكِ مَدَارِجِ مُجَاهَدَتِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ فِي أَرْضٍ فَقَدَتِ ٱلرَّحْمَةَ وَٱلشَّفَقَةَ مِنْ قُلُوبِ ٱلنَّاسِ وَصَارَتْ أَفْئِدَتُهُمْ كَٱلْحِجَارَةِ بَلْ أَشَدَّ قَسْوَةٍ. يَا لَهَا مِنْ مَأْسَاةٍ مُرَوِّعَةٍ مَرَّ بِهَا ٱلْكَاتِبُ لَا تُغَادِرُ صُوَرُهَا ٱلْمُرْعِبَةُ مُخَيِّلَتِي،وَكُلَّمَا دَاعَبَتْ ذِكْرَاهَا فِكْرِي يَهْطُلُ ٱلدَّمْعُ وَيَرْتَجِفُ ٱلْقَلْبُ لِهَوْلِهَا .

نَ . مُتَقَاعِد سَامِي حَكْوِيك

وَفِيمَا يَلِي نَعْرِضُ لَكُم تَوْضِيحَ خَطِّ رَسَائِلِ لِحَضْرَةِ ٱلشَّيْخِ عُثْمَانَ ؓ عَنِ ٱلْحَالَةِ ٱلصُّوفِيَّةِ وَكَيْفِيَّةِ عِلَاجِ تَعْقِيدَاتِهَا ٱلرُّوحِيَّةِ حِينَ تَدْرِيبِ وَلَدِهِ ٱلْمَعْنَوِيِّ عَدْنَان يَاسِين أَثْنَاءَ تَرْبِيَتِهِ وَنَقْلِهِ مِنْ حَالَةٍ لِأُخْرَى وَإِعْلَامِهِ عَنْ مُسَاعَدَتِهِ بِوَسِيلَةِ ٱلْأَمْدَادِ وَهِمَّةِ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَوْلِيَاءِ ؓ .

عيـوني وفرحـة خـاطري وولـدي المعنوي العزيز عدنان ياسين حفظه الله من هم وغم ، وأهنئكم بالعيد السعيد متمنيا لكم دوام العز والهناء والسـرور وفتح بـاب قلبكم لكـل هداية بالمراتب والمعنويات للطريقة . نور الله قلـبكم بنـور معرفـة أسـرار الطريقة ومـا ذلـك علـى الله بعزيـز آمين ، ودمتم بخير وسلام وسرور .

حبيبي العزيز وقرة عيـني عـدنان بعد السلام أتمنى لكم كل خـير وأرجو من الله تبارك وتعالى مزيد عزكم وحصول آمـالكم الخيريـة وفتـوح أبـواب الـواردات والبركات على قلبكم ولطائفكم وبسـطا في قلـبكم آمـين مـع الصحة والهناء ولم ننسـاكم مـن دعـاء الخير هـذا ودمـتم سـالمين وصـلى الله علـى سيدنا محمـد رسول الله .

عيني وعزيزي عدنان حفظه الله آمين من كل مكروه وألم وشدة ، صباح الخير ، قرأنا كتابكم ، عيني إن هذه الأحوال تظهر للصوفية ، ولكن يزول ويتبدل ، فاعلم بعد علم أنني أحبكم ولم ننساكم في كل المعاونة معنى وظاهرا ولا تخف إنك من الأمنين بحول الله تعالى ، وأنت في حصن حصين ، ولا تبالي بالخيل ، فلما جاء عليك أية حال وجه عليه الرابطة أو كما قلنا لكم في النفي والإثبات[1] ، في وقت الإثبات تمنى زوال هذا الحال في الإثبات والأوضاع ، وحضر المملكة[2] ، لا تخف ولا تبالي أنت ما تعرف أن أرواح القدسية المشايخ يعاونكم معاونة تامة ، ولو ما كان هذه المعاونة لا سمح الله أنت كنت في أشد وأشقى الحال ، والله يعينكم وأرواح المشايخ يمدوكم بمدد الوقاية[3] ، وإنني لم ننساكم ، وإنني أيضا ظهر لي نوع ما استعجالي للرجوع ، وعلى الله الكريم ، وصلى الله على روح سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . [1] النفي والإثبات : قول (لا إله إلا الله) بالقلب ، تلك حالة سلوكية طيبة . [2] المملكة : أرقى أنواع الترابط الروحي ، هي التحكم بالرابطة لدفع الأذى .

[3] مدد الوقاية : المساعدة الشرعية .

وَبَعْدَ أَنْ أَعَادَ ٱلْكَاتِبُ قِرَاءَةَ تِلْكَ ٱلرَّسَائِلِ أَخَذَتْهُ قُشَعْرِيرَةٌ وَغَرْغَرَةٌ مِنْ ذَرْفِ ٱلدُّمُوعِ وَتَذَكَّرَ مَا فَعَلَ بِهِ أُولَئِكَ ٱلْحَاقِدُونَ ٱلْحَاسِدُونَ . وَقَالَ سَجعاً عَبَّرَ فِيهِ عَنْ جُرْحِهِ ٱلْعَمِيقِ :

فَٱسْأَلُوا دَرْوِيشَ مَاذَا فِينَا قَدْ صَنَعْ
سَيَنَالُ عَلَى أَذَاهُ أَشَدَّ ٱلأَلَمِ وَٱلْوَجَعْ

قَدْ بَاعَ ٱلْوَفَاءَ بِدِينَارٍ وَلِلْحَقِّ بَلَغْ
فَمَا يَفْعَلُ يَوْمَ تُفْتَحُ سِجِلَّاتُ ٱلْفَزَعْ؟

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالُهُ وَمَا قَدْ جَمَعْ
وَلَا يُنَجِّيهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَسَدٌ وَلَا سَبُعْ

قَدْ جَعَلَ ٱلتَّصَوُّفَ عَلَى نَعْشٍ ٱرْتَفَعْ
سَيَأْتِيهِ حِسَابٌ يَرَى فِيهِ ظُلْمَهُ وَٱلْبِدَعْ

انْتَقِمْ إِلَهِي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَسُوعَ عليه السلام

وَقَالَ ٱلْكَاتِبُ :

أَبْدَلُوا شَمْسَ ٱلتَّصَوُّفِ بِوَمْضَاتِ ٱلشُّمُوعْ
وَفَرَّ مِنْ مَجَالِسِهِمُ ٱلصَّفَاءُ وَٱلْخُشُوعْ

أَرَادُوا ٱلْوِلَايَةَ بِلَا طَاعَةٍ وَجِهَادٍ وَرُكُوعْ
وَتَسَلَّطُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ بِبَاطِلٍ مَرْقُوعْ

فَسَادَ وُجُوهِهِمُ ٱلْمُقَبَّحَةِ بِٱلشَّرِّ مَزْرُوعْ
صَفْرَاءُ عَلِيلَةٌ ٱلنُّورُ مِنْهَا مَنْزُوعْ

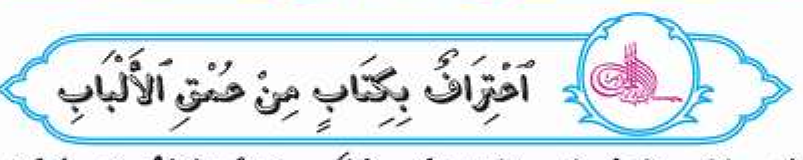
تَسَتَّرُوا بِلِحًى وَتَسْبِيحٍ وَمَثَّلُوا بِٱلدُّمُوعْ
أَصْبَحَ ٱلتَّلْبِيسُ فِيهِمْ مُتَزَعِّمٌ مَتْبُوعْ

يُرَوِّجُونَ قَلَاقِلَ ٱلْفِتَنِ بِحَسَدٍ مَدْفُوعْ
وَبَدَتِ ٱلطَّرِيقَةُ كَمَزَادِ شِرَاءٍ وَبُيُوعْ

انْتَقِمْ إِلَهِي بِجَاهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَسُوعْ عليه السلام
سَيَعْلُو ٱلْحَقُّ بِٱللهِ وَيَكْسِرُ ٱلضُّلُوعْ

لَطَّخُوا بِعَارِهِمُ ٱلشَّنِيعِ ٱلأُصُولَ وَٱلْفُرُوعْ
وَٱحْتَمَوْا خَلْفَ مَتَارِيسِ ٱلتَّسَلُّطِ وَٱلدُّرُوعْ

سَيَزُولُ ٱلْبَاطِلُ وَيَبْقَى ٱلْحَقُّ مَرْفُوعْ
وَيَغِيبُ شَيْخُ ٱلظُّلْمِ وَيُضْنِيهِ ٱلْجُوعْ



بعد اطلاعي على هذا الكتاب القيّم المهمّ الذي يدخل العقول بلا استئذان، ويجعل القارئ يتذوّق الاستشعار بإحساسات القلوب، أحببت أن أضيف شيئاً من شرح حديث: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد" لفضيلة الشيخ السيّد حسن الشقرا الذي يقرّبنا كلامه إلى كثير من مواضيع هذا الكتاب، قال فضيلته: "ينزع العلم شيئاً فشيئاً بموت أوعية العلم الصحيح ذوي القلوب الحيّة المشرقة بنور الله الذي أودعه في صدورهم". وقال: "لذلك أجمع العلماء على أنّ العلم نور يضعه الله في قلب من شاء من عباده الموفّقين، فيقع بذلك الفهم في كتاب الله ﷻ وفي سنّة رسوله ﷺ وتنبعث أشعة هذا النور من الفؤاد على آي الذكر الحكيم وكلام سيّد المرسلين ﷺ، فتدرك السرّ وتحظى بالمراد على ضوء هذا النور".

وقال فضيلته: "الأوّلون كانوا يحملون بين جنوبهم أفئدة مشرقة بنور الله يفهمون بها آياته ويستنبطون منها أحكامه، ولا نجد إلّا قليلاً وقليلاً جدّاً ممّن وهبهم الله هذا النور بعصرنا الحالي".

وقال فضيلته: "إذا لم يبق ولا عالم نورانيّ واحد جاء الضلال وفشا رغم الكتب المسطورة، ولله الأمر من قبل ومن بعد ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ (يونس ٣٢)

اللهمّ إنّ أمر الدين في هذا البلد قد هان حتّى على أربابه ورخص حتّى على طلّابه، ولئن لم يتيقّظ العلماء لواجبهم ويفدون هذا الدين بمهجهم وأرواحهم فليغمرنّهم هذا الضلال الذي ينذرنا به وعندئذ لا ينفع الاعتذار بين يدي من يحول بين المرء وقلبه".

من كتاب الإسلام، لفضيلة مولانا الشيخ السيد حسن الشقرا (ص ١١ – ١٢)

ندى منير العجوز

تحضير رسالة ماجستير

سَبَبُ طَبْعِ ٱلْكِتَابِ

الحمد لله رب العالمين ... جاعل الإسلام تحفة للمتقين

الحمد لله واهب النعم ... الذي علم الإنسان ما لم يعلم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ... سيدنا محمد ﷺ خاتم المرسلين

أرسله الله تعالى رحمة للناس ... وأمره بالاستعاذة من الخناس

وجعله في خير قبيلة من معد ... فنحمد الله ونقول: أما بعد

فخدمة الدين وتوعية الأحباب ... كان الدافع لطبع هذا الكتاب

فقد أتاح الله لي السياحة في البلدان ... وعرفني على أحوال أوليائه الشجعان

ووفقني المولى إلى السلوك القلبي ... فدونت بعض ما شاهدته بدربي

وعرضت ما دونت فيه من أحوال ... على قاموس مرجعية همة الرجال

فوجدته مطابقا بكثير من الأمور ... مما زاد فرحي، وتراكم عندي السرور

وتشرفت بخدمة السادة النقشبندية ... في بلاد بيارة وطويلة العلية

وهي منطقة على الحدود بين العراق وإيران ... يقال لها منطقة التصوف بكردستان

وقد قطعت بالتصوف بعض الأشواط ... لما كان بيني وبين مرشدي من ارتباط

وتوصلت إلى معرفة بعض الأحوال ... بتعمق روحاني بفضل ربي المتعال

ركبت سفينة مرشدي بالاستعارة ... واستعملت الرابطة كشبكة وسنارة

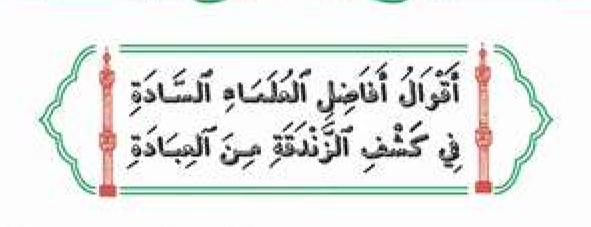
فأعانني المولى على مواجهة الأمواج ... ومعرفة الحادث المستقيم من الاعوجاج

وجمعت من ذلك البحر العميق ... بعد معاناة أهوال ومخاطر الطريق

كل ما فيه منفعة لمستقبل الحياة ... يعينني على الاستعداد ليوم الممات

فكان الصيد موفقا وثمين ... بهمة دعم المرشد سراج الدين

وَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ شَاهَدْتُ فِي قَاعِهْ تَمَزَّقَ إِرْبًا وَتَكَسَّرَتْ أَضْلَاعُهْ
اِسْتَهْوَاهُ مَرْجَانُ ٱلْبَحْرِ وَٱلْيَاقُوتْ فَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتْ
وَبَعْضُهُمُ ٱسْتَهْوَاهُ نَقْضُ ٱلْعَهْدِ وَٱلْخِيَانَهْ فَٱنْقَطَعَ نَفَسُهُ وَتَحَطَّمَتْ جُمْجُمَتُهُ وَعِظَامُهْ
وَبَعْضُهُمْ مَالَ إِلَى سُوءِ ٱلنِّيَّةِ وَٱلْحَسَدْ فَمَزَّقَتْهُ ٱلْحِيتَانُ وَأَبْلَتْ عَقْلَهُ وَٱلْجَسَدْ
وَبَعْضُهُمُ ٱتَّخَذَ ٱلْحَالَ لِصَيْدِ ٱلشَّهَوَاتِ فَأَصْبَحَ غَنِيمَةً لِلْوُحُوشِ وَٱلْآفَاتِ
وَكَانَ هَمُّ ٱلْبَعْضِ تَقْلِيدَ ٱلْجَذْبِ وَٱلْأَحْوَالْ فَغَرِقَ بِقَاعِ ٱلْبَحْرِ وَغَطَّتْهُ ٱلْأَوْحَالْ
وَبَعْضُهُمْ ضَحِكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِكَشْفِ ٱلْجُمَلْ فَٱصْطَدَمَ بِصُخُورِ ٱلصِّدْقِ وَضَيَّعَ ٱلْأَمَلْ
هَـذَا مَا شَاهَدْتُ أَثْنَاءَ ٱلْغَوْصِ كَمْ قَتِيلٍ رُمِيَ بِنِبَالِ ٱلْقَوْسِ
عِنْدَمَا رَجَعْتُ إِلَى شَطِّ ٱلْأَلَمْ فَاضَ ٱلْقَلْبُ بِمِدَادِهِ وَٱلْقَلَمْ
فَدَوَّنْتُ مَا رَزَقَنِي ٱلْمَوْلَى فِي ٱلْأَوْرَاقِ وَشَرَحْتُ عَنِ ٱلْمَوَاجِيدِ وَٱلْحَالِ وَٱلْأَذْوَاقِ
بَعْدَمَا شَاهَدْتُ ٱلْمُدَّعِينَ وَآفَاتِهِمْ فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَحْذِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ خُرَافَاتِهِمْ
وَبَيَّنْتُ مَعْنَى ٱلتَّصَوُّفِ لِلْبَصِيرِ لِخَلْطِ ٱلنَّاسِ بَيْنَ عَمَلِ ٱلْمُرْشِدِ وَٱلتَّبْصِيرِ
لَوْ نَظَرَ ٱلْقَارِئُ إِلَى مَا فِي ٱلْجَرَائِدِ لَوَجَدَ مُخَالَفَاتٍ شَرْعِيَّةً لِلسُّنَّةِ وَٱلْفَرَائِضِ
ٱلسَّحَرَةُ وَٱلْمَشْعُوذُونَ يَدَّعُونَ حَالَ ٱلْعِرْفَانِ وَاحِدٌ ضَارِبُ رَمْلٍ وَأُخْرَى بَصَّارَةٌ بِٱلْفِنْجَانِ
يَدَّعُونَ فَكَّ ٱلْمَرْبُوطِ وَفَتْحَ بَابِ ٱلْأَرْزَاقِ وَتَخْلِيصَ ٱلْمَحْكُومِينَ مِنَ ٱلْحَبْلِ بِٱلْأَعْنَاقِ
وَإِحْضَارَ تَمِيمَةِ ٱلسِّحْرِ مِنْ أَعْمَاقِ ٱلْبِحَارِ وَحِفْظَ ٱلزَّبَائِنِ مِنْ خَطَرِ ٱلْأَشْرَارِ
لِفَضْحِ أُولَئِكَ ٱلسَّحَرَةِ ٱلْعَامِلِينَ بِٱلظَّلَامِ ٱخْتَصَرْنَا ٱلنَّصَائِحَ بِكِتَابِنَا لِذَوِي ٱلْأَفْهَامِ
نَنْصَحُ ٱلْحَسُودَ أَلَّا يَقْرَأَ ٱلْكِتَابْ لِأَنَّهُ مُخَصَّصٌ لِذَوِي ٱلْأَلْبَابْ
فَٱلْحَمْدُ لِلهِ أَوَّلًا وَآخِرًا وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْزُقَنِي قَلْبًا شَاكِرًا
وَيَجْعَلَ كِتَابِي هَـذَا لِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ لِأَنَّ مَا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ ٱلْعَمِيمِ
فَهُوَ وَحْدَهُ ٱلْكَرِيمُ ٱلْمَنَّانْ يَحْفَظُ عَبْدَهُ ٱلْفَقِيرَ عَدْنَانْ



الإمام الجنيد

قال الإمام الجنيد ﵁ ليقطع الطريق على الدخلاء والشاذين عن آداب الصوفية: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ".

وقال ﵁: "اجتنب صحبة ثلاثة: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين".

الإمام مالك

قال الإمام مالك ﵁: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق". (كتاب: عين العلم وزين الحلم للإمام علي القاري)

الإمام السبكي

قال التاج السبكي (رحمه الله) في "معيد النعم": "إذا علمت أن خاصة الخلق هم الصوفية، فاعلم أنه قد تشبه بهم أناس، فأورث ذلك سوء الظن".

ابن خلدون

"إن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة ﵃، والتابعين ﵃، ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخارف الدنيا... وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف". (مقدمة ابن خلدون)

إبراهيم بن أدهم

قال سلطان العارفين إبراهيم بن أدهم ﵁:

من منع نفسه من هواها استراح من الدنيا وبلاها

مِنْ كِتَابِ كَشْفِ أَدْعِيَاءِ ٱلطَّرِيقِ ٱلصُّوفِيِّ

قَالَ مُؤَلِّفُ كِتَابِ "كَشْفِ أَدْعِيَاءِ ٱلطَّرِيقِ ٱلصُّوفِيِّ":
" لَقَدْ كَانَ ٱلدَّرْوِيشُ (ٱلصُّوفِيُّ) مُتَحَصِّنًا بِٱلإِيمَانِ، وَبِحِمَايَةِ ٱلنُّفُوسِ، وَبِضَبْطِ ٱلأَخْلَاقِ، وَمُسْتَعِدًّا عِنْدَ ٱلحَاجَةِ. وَكَانَ مِنَ ٱلصَّعْبِ أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ ٱلفَارِسِ وَبَيْنَ ٱلدَّرْوِيشِ فِي بِدَايَاتِ ٱلفُتُوحَاتِ ٱلعُثْمَانِيَّةِ ". وَقَالَ عَنْ صُوفِيَّةِ ٱليَوْمِ: " إِنَّ نَمُوذَجَ ٱلدَّرَاوِيشِ وَٱلمُتَسَوِّلِينَ ٱلكُسَالَى ٱلَّذِينَ يَتَمَسَّحُونَ بِأَعْتَابِ ٱلأَغْنِيَاءِ إِنَّمَا هُوَ نَمُوذَجٌ ٱنْبَثَقَ مِنَ ٱلفَسَادِ وَٱلتَّفَسُّخِ ٱللَّذَيْنِ عَمَّا فِيمَا بَعْدُ ..."، وَقَالَ: "وَٱلجَمَاعَاتُ مِنْ أَدْعِيَاءِ ٱلطَّرِيقِ ٱلصُّوفِيِّ ٱلَّذِينَ شَوَّهُوا جَمَالَ ٱلتَّصَوُّفِ وَبَرِيقَهُ، فَقَدْ ظَهَرَ هَؤُلَاءِ ٱلمُنْحَرِفُونَ خِلَالَ ٱلعُصُورِ ٱلمُتَوَالِيَةِ، وَتَكَاثَرَ عَدَدُهُمْ مَعَ مُرُورِ ٱلزَّمَنِ مُتَشَبِّهِينَ بِٱلقَوْمِ فِي ٱلزِّيِّ وَٱلهَيْئَةِ، وَهُمْ شَيْنٌ عَلَيْهِمْ ". وَقَالَ: " لَمْ تَزَلْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ ٱلنَّاسِ فِيهِمُ ٱلصَّالِحُونَ وَفِيهِمُ ٱلفَاسِدُونَ".

أَقْوَالُ أَفَاضِلِ ٱلسَّادَةِ

يَعِيبُ ٱلإِمَامُ ٱلغَزَالِيُّ ﵀، وَٱلإِمَامُ ٱلشَّعْرَانِيُّ ﵀، وَٱلحَافِظُ ٱبْنُ رَجَبٍ ٱلحَنْبَلِيُّ عَلَى ٱلَّذِينَ لَبِسُوا ٱلصُّوفَ عَلَى أَجْسَادِهِمْ وَلَمْ يُصَوِّفُوا قُلُوبَهُمْ، وَٱغْتَرُّوا بِٱلزِّيِّ وَٱلنُّطْقِ وَٱلهَيْئَةِ، فَتَشَبَّهُوا بِٱلصَّادِقِينَ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ فِي ٱلظَّاهِرِ. وَعَدَّهُمُ ٱلسَّهْرَوَرْدِيُّ فِي كِتَابِ "عَوَارِفِ ٱلمَعَارِفِ" بِأَنَّهُمْ مِنَ ٱلمَفْتُونِينَ، وَبِأَنَّهُمْ فِي غُرُورٍ وَغَلَطٍ، إِلَى أَنْ قَالَ: " فَكُلُّ حَقِيقَةٍ رَدَّتْهَا ٱلشَّرِيعَةُ فَهِيَ زَنْدَقَةٌ ".

عَبْدُ ٱلقَادِرِ ٱلجَزَائِرِيُّ ﵀

ٱلأَمِيرُ ٱلبَطَلُ عَبْدُ ٱلقَادِرِ ٱلجَزَائِرِيُّ هُوَ شَيْخُ ٱلمُجَاهِدِينَ فِي ٱلعَصْرِ ٱلحَدِيثِ، وَمِنْ كِبَارِ صُوفِيَّةِ عَصْرِهِ، نَقَشَ عَلَى خَاتَمِهِ:
"وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ ٱللهِ نُصْرَتُهُ   إِنْ تَلْقَهُ ٱلأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ"
وَلَهُ مُؤَلَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ بِٱلفِقْهِ وَٱلتَّصَوُّفِ، أَشْهَرُهَا كِتَابُ "ٱلمَوَاقِفِ فِي ٱلوَعْظِ

وَٱلتَّصَوُّفِ وَٱلإِرْشَادِ " . سُئِلَ عَنِ ٱلتَّصَوُّفِ فَقَالَ : " هَذِهِ نَفَثَاتٌ رُوحِيَّةٌ ، وَإِلْقَاءَاتٌ سُبُّوحِيَّةٌ لِعُلُومٍ وَهْبِيَّةٍ خَارِجَةٍ عَنْ أَنْوَاعِ ٱلِٱكْتِسَابِ ، وَٱلنَّظَرِ فِي كِتَابٍ ". وَقَالَ : "إِنْ لَمْ يُصَدِّقِ ٱلْجُمْهُورُ فَعِنْدَ ٱللهِ تَجْتَمِعُ ٱلْخُصُومُ " . وَهُوَ ٱلْقَائِلُ :

جَمَّلْتَنَا بِعُلُومٍ أَنْتَ تَجْهَلُهَا ... بِهَا حَبَانَا ٱلَّذِي أَهْدَى وَجَمَّلَنَا

ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ

قَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ ﷺ : " أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ بَدْرِيًّا وَصَلَّيْتُ خَلْفَهُمْ ، مَا كَانَ لِبَاسُهُمْ إِلَّا ٱلصُّوفُ ". مَا كُلُّ ٱلنَّاسِ تَصْلُحُ لِلُبْسِ ٱلصُّوفِ (ٱلْبَعْضُ يَلْبَسُهَا حَسَبَ ٱلظُّرُوفِ) .

وَذَكَرَ ٱلْعَالِمُ ٱبْنُ كَثِيرٍ أَنَّ ٱلْحِكْمَةَ وَٱلْعُلُومَ ٱلَّتِي أُوتِيَهَا ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ ﷺ مِنْ بَرَكَةِ ٱلرَّضَاعِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ ٱلرَّسُولِ ﷺ وَقَالَ يُونُسُ : كَانَ ٱلرَّجُلُ إِذَا نَظَرَ إِلَى ٱلْحَسَنِ ٱنْتَفَعَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَرَ عَمَلَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ كَلَامَهُ .

اِبْنُ نُبَاتَةَ

قَالَ ٱلإِمَامُ ٱلْخَطِيبُ ٱبْنُ نُبَاتَةَ (رحمه الله) :

عِنْدَمَا غَرَّتِ ٱلدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا بِلَادَ ٱلأَنْدَلُسِ أُصِيبَتْ بِٱلضَّعْفِ وَٱلْوَهَنِ ، وَٱنْقَسَمَتِ ٱلدَّوْلَةُ ٱلْوَاحِدَةُ إِلَى مَجْمُوعَةِ دُوَلٍ وَإِمَارَاتٍ سُمِّيَتْ بِدُوَلِ ٱلطَّوَائِفِ ، وَحَصَلَ بَيْنَهَا مَا حَصَلَ مِنَ ٱلتَّقَاتُلِ وَٱلنِّزَاعِ . وَحَذَّرَ ٱلإِمَامُ ٱلْخَطِيبُ ٱبْنُ نُبَاتَةَ ٱلأَنْدَلُسِيُّ مِنَ ٱلْفِتْنَةِ فَقَالَ : " قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْنَا ٱلْفِتْنَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَأَطْمَعَتْنَا ٱلدُّنْيَا أَطْمَاعَ ٱلسَّرَابِ ، نَتَهَارَشُ عَلَى مَطَامِعِهَا تَهَارُشَ ٱلْكِلَابِ ، وَنَلْبَسُ فِيهَا جُلُودَ ٱلضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ ٱلذِّئَابِ ، . . . وَقَدْ أَظَلَّنَا مِنَ ٱلْعَدُوِّ سَحَابٌ ، مُمْتَدُّ ٱلأَطْنَابِ ، وَدَبَّتْ فِي دِيَارِنَا مِنْهُ عَقَارِبُ ٱلْخَرَابِ . . . " وَيُقَدِّمُ ٱبْنُ نُبَاتَةَ لِحَلِّ تِلْكَ ٱلْمُصِيبَةِ بِتَقْدِيمِ مُجَاهَدَةِ ٱلنَّفْسِ عَلَى مُجَاهَدَةِ ٱلسَّيْفِ فَقَالَ : " وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ ٱلْجِهَادُ بِغَيْرِ ٱجْتِهَادٍ ، كَمَا لَا يَصْلُحُ ٱلسَّفَرُ بِغَيْرِ زَادٍ ، فَقَدِّمُوا مُجَاهَدَةَ ٱلْقُلُوبِ ، قَبْلَ مُشَاهَدَةِ

ٱلْحُرُوبِ ، وَمُغَالَبَةُ ٱلْأَهْوَاءِ قَبْلَ مُحَارَبَةِ ٱلْأَعْدَاءِ ، وَبَادِرُوا بِإِصْلَاحِ ٱلسَّرَائِرِ ، فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ ٱلْعُدَدِ وَٱلذَّخَائِرِ ". (دِيوَانُ ٱلْخَطِيبِ ٱبْنِ نُبَاتَةَ)

وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ "شَذَرَاتِ ٱلذَّهَبِ" : أَنَّ ٱبْنَ نُبَاتَةَ رَأَى ٱلنَّبِيَّ ﷺ فِي ٱلْمَنَامِ وَتَفَلَ فِي فَمِهِ فَلَمْ تَزَلْ رَائِحَةُ ٱلْمِسْكِ تُوجَدُ فِيهِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

أَحْمَدُ تَوْفِيقُ مَدَنِي

صَوَّرَ فِي كِتَابِهِ (تَارِيخُ ٱلْجَزَائِرِ) دَوْرَ ٱلطُّرُقِ ٱلصُّوفِيَّةِ بِقَوْلِهِ : " إِنَّهَا ٱسْتَطَاعَتْ أَنْ تَحْفَظَ ٱلْإِسْلَامَ فِي هَذِهِ ٱلْبِلَادِ فِي عُصُورِ ٱلْجَهْلِ وَٱلظُّلُمَاتِ ، وَلَوْلَا تِلْكَ ٱلْجُهُودُ ٱلَّتِي بَذَلُوهَا لَمَا وَجَدْنَا ٱلسَّاعَةَ أَثَرًا فِي بِلَادِنَا لِلْعَرَبِيَّةِ وَلَا لِعُلُومِ ٱلدِّينِ " .

عُمَرُ ٱلتِّيجَانِيُّ

تَعَرَّضَ ٱلشَّيْخُ عُمَرُ ٱلْغَوْثِيُّ ٱلتِّيجَانِيُّ (رحمه الله) ، وَهُوَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْمُجَاهِدِينَ فِي غَرْبِ أَفْرِيقِيَّةَ فِي كِتَابِهِ "ٱلرِّمَاحِ" لِذِكْرِ ٱلْفَاسِدِينَ مِنَ ٱلْمُتَصَوِّفَةِ وَدَافَعَ عَنِ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلصَّادِقِينَ فَقَالَ : " لَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ إِلَّا جَاهِلٌ غَبِيٌّ ، أَوْ مُعَانِدٌ شَقِيٌّ ؛ لِأَنَّ فَسَادَ ٱلْفَاسِدِ إِلَيْهِ يَعُودُ ، وَلَا يَقْدَحُ فِي صَلَاحِ ٱلصَّالِحِ شَيْءٌ . وَٱلْفَرْعُ يُعْتَبَرُ بِأَصْلِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، وَلَا يُتْرَكُ ٱلْمَذْهَبُ ٱلْحَقُّ ٱلثَّابِتُ لِٱنْحِرَافِ بَعْضِ ٱلْمُنْتَسِبِينَ لَهُ وَظُهُورِهِمْ فِيهِ . (رِمَاحُ حِزْبِ ٱلرَّحِيمِ فِي عُنُقِ حِزْبِ ٱلرَّجِيمِ)

ٱلسَّنُوسِيُّ

قَالَ ٱلْمُحَدِّثُ وَٱلْعَالِمُ ٱلْجَلِيلُ أَحْمَدُ ٱلشَّرِيفُ ٱلسَّنُوسِيُّ (رحمه الله) :

إِعْلَمْ بِأَنَّ عُمْدَةَ ٱلطَّرِيقِ ... ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ
تَوْبَةٌ وَزُهْدٌ وَدَوَامُ ٱلْعَمَلِ ... بِٱلصِّدْقِ وَٱلْخَوْفِ وَقَطْعِ ٱلْأَمَلِ

ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ رضي الله عنه عَنِ ٱلصُّوفِيَّةِ :

" هَؤُلَاءِ عِنْدَهُمْ رَأْسُ ٱلْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَهُوَ تَقْوَى ٱللهِ وَمَحَبَّتُهُ " .

ابن تيمية

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ

" أَمَّا الْمُسْتَقِيمُونَ مِنَ السَّالِكِينَ كَجُمْهُورِ مَشَايِخِ السَّلَفِ مِثْلِ : الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ ، وَمَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ ، وَالسَّرِيِّ السَّقَطِيِّ ، وَالْجُنَيْدِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَمِثْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ ، وَالشَّيْخِ حَمَّادٍ ، وَالشَّيْخِ أَبِي الْبَيَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَهُمْ لَا يُسَوِّغُونَ لِلسَّالِكِ وَلَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيَّيْنِ ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ الْمَأْمُورَ وَيَدَعَ الْمَحْظُورَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ . وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ ". (الفتاوى)

الإمام النووي ﷺ

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ ﷺ فِي رِسَالَةِ الْمَقَاصِدِ :

" أُصُولُ طَرِيقِ التَّصَوُّفِ خَمْسَةٌ : أَوَّلًا : تَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ، ثَانِيًا : اتِّبَاعُ السُّنَّةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، ثَالِثًا : الْإِعْرَاضُ عَنِ الْخَلْقِ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ ، رَابِعًا : الرِّضَى عَنِ اللهِ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، خَامِسًا : الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ".

الإمام أحمد

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ﷺ عَنِ الصُّوفِيَّةِ :

" إِنَّهُمْ زَادُوا عَلَيْنَا بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَالْمُرَاقَبَةِ ، وَالْخَشْيَةِ ، وَالزُّهْدِ ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ".

محمد عبده

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ (رحمه الله) :

" لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَنْ يُضَاهِي الصُّوفِيَّةَ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ ، وَأَنَّهُ بِضَعْفِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ فَقَدْنَا الدِّينَ ". (مِنْ كِتَابِ : الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ)

محمد إقبال

قَالَ الدُّكْتُورُ الْمُمَيَّزُ مُحَمَّدُ إِقْبَالٍ (رحمه الله) : " كَانَ الصُّوفِيُّونَ عَبْرَ التَّارِيخِ نَمَاذِجَ لِلْجَلَالِ وَالْجَمَالِ الْخُلُقِيِّ وَالرُّوحِيِّ ،

وَنَمَاذِجُ لِلْكَمَالِ ٱلتَّعَبُّدِيِّ وَٱلْإِيمَانِيِّ ، وَنَمَاذِجُ عَالِيَةٌ سَاطِعَةٌ فِي أُفُقِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ ".

ٱلْعِزُّ بْنُ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ

قَالَ سُلْطَانُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْعِزُّ بْنُ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ ﵀ :

" قَعَدَ ٱلْقَوْمُ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ عَلَى قَوَاعِدِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلَّتِي لَا تَنْهَدِمُ دُنْيَا وَأُخْرَى ، وَقَعَدَ غَيْرُهُمْ عَلَى ٱلرُّسُومِ ".

عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ

زَارَ ٱلْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ ٱلشَّاذِلِيُّ ٱلْحَسَنِيُّ ٱلْمَشْرِقَ فَأَنْكَرَ بِشِدَّةٍ عَلَى ٱلْمُتَشَبِّهِينَ بِٱلصُّوفِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ ٱلْمُتَشَبِّهِينَ بِٱلْفُقَهَاءِ ، وَعَدَّهُمْ سَبَبَ ضَعْفِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ .

مُحِبُّو ٱلتَّصَوُّفِ

أَقْوَالُ مُحِبِّي ٱلتَّصَوُّفِ وَٱلصُّوفِيَّةِ : • كَانَ ٱلْمُتَصَوِّفَةُ يُبَدِّدُونَ غُيُومَ ٱلْبَاطِلِ وَيُنِيرُونَ لِلْقُلُوبِ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمُظْلِمَ ، وَكَانَتِ ٱلصُّوفِيَّةُ وَرَقًا أَبْيَضَ لَا شَوْكَ فِيهِ ، أَمَّا ٱلْيَوْمَ فَأَصْبَحُوا شَوْكًا بِلَا وَرَقٍ .

• كَيْفَ تَعْرِفُ صِدْقَ مَنِ ٱدَّعَى ٱلصُّوفِيَّةَ ؟ إِنَّ لِحَدِيثِهِ ضَوْءًا كَضَوْءِ ٱلنَّهَارِ ، تَعْرِفُهُ مِنْ أَشِعَّةِ شَمْسِ إِشْرَاقَاتِهِ . وَإِنَّ لِلصُّوفِيِّ ٱلْكَاذِبِ ظُلْمَةً كَظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ ، تُنْكِرُهُ مِنَ ٱنْحِدَارِهِ وَعَدَمِ ٱسْتِقْرَارِهِ • ٱلصَّادِقُونَ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ قُلُوبُهُمْ أَوْعِيَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِٱلْعُلُومِ ، رَزَقَهُمُ ٱللهُ مِنْ صَفَاءِ ٱلْفُهُومِ .

مُقْتَطَفَاتٌ جَمَعَهَا مُدَقِّقُ ٱللُّغَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ فِي مَرْكَزِ ٱلْكِتَابَاتِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ مُنِيرُ ٱلْعَجُوزُ



وَا أَسَفَا مِمَّا لِلتَّصَوُّفِ قَدْ حَصَلْ ... نَرَى وُجُوهًا يُرَادُ لَهَا مَصْلْ

مَا يَفْعَلُهُ ٱلْمُدَّعُونَ لَيْسَ لَهُ أَصْلْ ... قَدْ فَاحَ مِنِ ٱدِّعَائِهِمْ رَائِحَةُ ٱلْبَصَلْ

قَدْ قَطَعُوا لِلتَّصَوُّفِ ذُرِّيَّتَهُ وَٱلنَّسْلْ ... وَيَجْهَلُونَ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ ٱلدِّبْسِ وَٱلْعَسَلْ

دَعْ قَلْبَكَ يَتَّعِظْ مِنَ ٱلْعِبْرَةِ وَٱلْمَثَلْ ... ٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ مَنْ وَصَلَ وَمَنِ ٱنْفَصَلْ

مَا هُوَ ٱلتَّصَوُّفُ ؟

ٱلْحَمْـدُ لِلهِ ٱلَّـذِي أَنْـزَلَ ٱلْكِتَـابْ ... وَجَعَلَـهُ قُـرَّةَ عُيُـونِ ٱلآلِ وَٱلأَصْـحَابْ

وَأَحْيَا بِشَرِيعَتِهِ وَطَرِيقِ نَبِيِّهِ ﷺ ذَوِي ٱلأَلْبَابِ ... وَٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ وَآلِهِ وَٱلأَصْحَابِ ﷺ

سُبْحَانَ مَنْ شَرَحَ بِدِينِهِ مَنَافِذَ ٱلْقُلُوبِ ... وَتَجَلَّـى عَلَـى كُـلِّ قَلْـبٍ مَوْهُـوبِ

لِإِحْيَـاءِ وَنَشْـرِ عُلُـومِ هَـذَا ٱلـدِّينْ ... لِيَنْتَفِعَ ٱلعَامَّةُ بِبَرَكَـةِ ٱلعُلَمَـاءِ ٱلعَـامِلِينْ

وَأَنَارَ بِنُورِهِ طَرِيـقَ ٱلمُرِيـدِينَ ٱلسَّـالِكِينَ ... وَقَـرَّبَ إِلَيْـهِ ٱلمَشَـايِخَ ٱلعَـارِفِينَ

فَٱلبَعْضُ يُدَرِّسُ ٱلتَّصَوُّفَ مِنَ ٱلحُرُوفِ ... وَقَدْ يَظُنُّ شُرُوقَ ٱلشَّـمْسِ كَٱلكُسُـوفِ

أَسْرَارُ ٱلتَّصَوُّفِ فَضْـلٌ مِنَ ٱللهِ وَمِنْحَـةْ ... تَبْرُقُ أَنْوَارُهَا بِٱلقُلُوبِ ٱلكَامِلَةِ كَلَمْحَـةْ

مَـنْ كَـانَ قَلْبُـهُ بِـٱلتَّجَلِّي مَوْصُـولْ ... يَفْهَـمُ وَيَعْلَـمُ مَعْنَـى مَـا نَقُـولْ

لَوْ كَانَ عِلْمُ ٱلتَّصَوُّفِ يُؤْخَـذُ بِٱلتَّـدْرِيسْ ... لَكَـانَ أَوَّلَ أُسْـتَاذٍ بِٱلتَّصَـوُّفِ إِبْلِـيسْ

لَـوْ كَـانَ ٱلتَّصَـوُّفُ بِلُـبْسِ ٱلصُّـوفْ ... لَكَـانَ أَوَّلَ مَـنْ طَـارَ ٱلخَـرُوفْ

ٱلأَسْـرَارُ وَٱلمَعْرِفَـةُ مِـنْ رَبِّ ٱلعَـالَمِينَ ... يَقْـذِفُهَا بِقُلُـوبِ ٱلمُرْسَـلِينَ وَٱلنَّبِيِّـينَ ﷺ

فَٱلتَّصَوُّفُ يُرَادُ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِٱلحَلَالِ وَٱلحَرَامِ ... وَمُرَاعَـاةُ مَـا فِيهَـا مِـنْ دَقِيـقِ ٱلأَحْكَـامِ

وَٱلتَّعَمُّـقُ بِسَـائِرِ ٱلفُـرُوعِ وَٱلمَسَـائِلِ ... وَمُلَاحَظَةُ عُمْقِ ٱلبَحْرِ مَعَ مُرَاقَبَةِ ٱلسَّاحِلِ

وَعَـدَمُ ٱلتَّفْرِيـقِ بَيْنَ ٱلظَّـاهِرِ وَٱلبَـاطِنِ ... وَمَـزْجِ مَعَانِيهِمَـا فِي كُـلِّ ٱلمَـوَاطِنِ

فَٱلتَّصَـوُّفُ بَحْـرٌ هَـائِجٌ مُحِـيطُ ... يَقْتُلُ صَاحِبَ ٱلبِدْعَةِ ، وَلِلْمُدَّعِي يُمِيتُ

وَهُـوَ لَا يُؤْخَـذُ عَـنْ: قِيـلَ، وَقَـالَ ... بَلْ فَضْـلٌ مِـنَ ٱللهِ يَقْـذِفُ ذَلِـكَ ٱلحَالَ

رُبَّمَا تَشْتَبِهُ ٱلإِشَارَاتُ فِي مَعْنَى ٱلتَّصَوُّفْ ... فَأَحْيَانًا يُقَالُ عَنْهُ فَقْرٌ أَوْ زُهْدٌ فِيهِ تَعَفُّفْ

سُئِلَ ٱلصُّوفِيَّةُ عَنِ ٱلفَقْرِ فَمَا مِنْ وَاحِدٍ إِلَّا وَأَجَابَ بِغَيْرِ جَوابِ ٱلآخرِ وَٱلكُلُّ عَلَى حَقٍّ.فكُلُّ واحِدٍ يَتَكَلَّمُ بِلِسانِ حالِهِ ، وَمَا هُوَ غَالِبٌ عَلَى قَلْبِهِ ، وَمَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ.

فَٱلتَّصَوُّفُ وَاحِدٌ فِي مَعْرِفَتِهِ ، مُتَنَوِّعٌ فِي عِرْفَانِهِ .

مَعْنَى كَلِمَةِ صُوفِيٍّ

يَقُولُ ٱلكَاتِبُ سَأَلَنِي بَعْضُ صُيُوفِي — مَاذَا تَعْنِي عِنْدَكُمْ كَلِمَةُ "صُوفِي" ؟

فَعَبَّرْتُ لَهُ عَنْ مَعْنَى كَلِمَةِ صُوفِي — بِمَا يُرِيحُ ظَنَّ ٱلعَرَبِيِّ وَٱلكُوفِي

أَمَّا "ص" فَهُوَ مَرْكَزُ دَائِرَةِ ٱلصَّفَاءِ — وَ "و" بِدَايَةُ ٱلتَّصَوُّفِ فَلَا بُدَّ مِنْ وَفَاءِ

وَ"ف" هُوَ إِشَارَةُ ٱلوُصُولِ لِلْفَنَاءِ — وَ"ي" يَنْبُوعُ مَعْرِفَةٍ وَأَمْدَادٍ وَعَطَاءِ

فَٱلصُّوفِيُّ مَنْ لِنَفْسِهِ قَدْ كَوَى — وَهَجَرَ ٱلغَفَلَاتِ وَطُرُقَ ٱلهَوَى

وَإِذَا ٱبْتُلِيَ عَلَى صَبْرِهِ ٱسْتَوَى — وَشَرِبَ مِنْ شَرْعِ رَبِّهِ وَٱرْتَوَى

وَتَقَرَّبَ بِقَلْبِهِ مِنْ رَبِّهِ وَٱهْتَدَى — وَمَا ضَلَّ بِزِينَةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا غَوَى

فَٱلصُّوفِيُّ كَٱلأَرْضِ ٱلَّتِي تَضْرِبُ بِهَا ٱلرِّيحُ — تُفْلَحُ بِٱلشِّتَاءِ وَبِٱلصَّيْفِ لَا تَسْتَرِيحُ

وَهُوَ مَشْغُولُ ٱلقَلْبِ مَعَ ٱلِاضْطِرَابِ — مُجَاهِدٌ لِلنَّفْسِ لِنَجَاتِهَا مِنَ ٱلخَرَابِ

مَجْذُوبٌ إِلَى ٱلقُرْبِ مِنْ مَوْلَاهُ — فَلَا يَشْكُو مَهْمَا ٱللهُ ٱبْتَلَاهُ

فَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِٱلقَنَاعَةِ وَدَوَامِ ٱلِافْتِقَارِ — فَلَا يَغُرُّهُ ذَهَبُ ٱلدُّنْيَا وَهُوَ مِنْهُ دَائِمُ ٱلفِرَارِ

مَتَاعُهُ عَصًا وَإِبْرِيقٌ وَسَجَّادَةٌ وَحِمَارْ — وَلُبْسُ ٱلصُّوفِ عِنْدَهُمْ لِبَاسُ ٱلأَبْرَارْ

طَعَامُهُمْ مِنْ ثِمَارِ ٱلأَشْجَارِ وَأَوْرَاقِهَا — مَنَازِلُهُمُ ٱلمَغَارَاتُ وَٱلكُهُوفُ وَأَشْبَاهُهَا

شَرَابُهُمْ مِنْ حَرَارَةِ يَنَابِيعِ ٱلأَسْرَارْ — ٱنْقَلَبَتْ مَوَازِينُهُمْ فَنَهَارُهُمْ لَيْلٌ وَلَيْلُهُمْ نَهَارْ

العاشق النبوي العلامة الكامل الشيخ إبراهيم المجذوب ، بيروت (و1282هجري - ت 1937م)

علامة بيروت ومأوى علمائها الرئيس الفقهي ، سماحة الشيخ عباس الأزهري ، ط الشاذلية اليشرطية بيروت (و 1270هجري - ت 1345هجري)

تَعْرِيفٌ بِٱلصُّوفِيَّةِ

ٱلصُّوفِيَّةُ مَجْمُوعَةٌ فِيهَا سَائِرُ ٱلْمَعَانِي — وَلَا تَأْتِي هَذِهِ ٱلْأَحْوَالُ بِدَقَائِقَ وَثَوَانِي

فَهِيَ مَدْرَسَةٌ رُوحِيَّةٌ نَقَّالَةْ — تَجْعَلُ ٱلرُّوحَ وَٱللَّطَائِفَ بِٱلذِّكْرِ شَغَّالَةْ

مَبْنِيَّةٌ عَلَى ٱلْعَقِيدَةِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلتَّأَمُّلِ — وَٱلْمُجَاهَدَةِ وَٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلْأَذَى وَٱلتَّحَمُّلِ

تُغَذِّي ٱلنَّفْسَ وَٱلْقَلْبَ وَتَحْمِيهِمَا مِنَ ٱلْأَغْيَارِ — وَتَجْعَلُ ٱلْقُلُوبَ ٱلْقَاسِيَةَ قَابِلَةً لِلِٱنْصِهَارِ

وَتُوصِلُ ٱلْقُلُوبَ لِأَرْقَى مَعَالِمِ ٱلْإِيمَانِ — وَتُزَكِّي ٱلنُّفُوسَ لِأَعْلَى مَدَارِجِ ٱلْعِرْفَانِ

وَمِنْهَا ٱلْبَحْثُ ٱلْحَقِيقِيُّ عَنِ ٱلْأَسْرَارِ — وَٱلسَّعْيُ وَرَاءَ ٱلِٱزْدِيَادِ مِنَ ٱلْأَنْوَارِ

وَقَهْرُ ٱلنَّفْسِ لِلْحُصُولِ عَلَى ٱلْمَعْرِفَةِ — وَٱلْقِيَامُ بِأَشَدِّ ٱلرِّيَاضَاتِ ٱلشَّاقَّةِ ٱلْمُشَرِّفَةِ

لِلْوُصُولِ وَٱلتَّحَلِّي بِأَرْقَى ٱلْأَخْلَاقِ ٱلْحَمِيدَةِ — وَفَطْمِ ٱلنَّفْسِ عَنِ ٱلرَّذَائِلِ ٱلشَّدِيدَةِ

وَتَهْذِيبِهَا عَنْ تَنَاوُلِ ٱلْمَلَذَّاتِ — وَتَقْوِيَةِ ٱلْقَلْبِ لِٱسْتِقْبَالِ أَرْقَى ٱلتَّجَلِّيَاتِ

وَقَدْ سُمِّيَ أَتْبَاعُهَا "صُوفِيَّةً" وَكَذَا قَالُوا عَنْهُمْ — لِأَنَّ ٱلصِّدْقَ وَٱلطَّاعَاتِ بِٱلْمَرْتَبَةِ ٱلْأُولَى عِنْدَهُمْ

وَقِيلَ سُمُّوا كَذَلِكَ لِأَنَّ أَكْثَرَ لِبَاسِهِمُ ٱلصُّوفْ — وَهَذَا أَمْرٌ شَائِعٌ عَنْهُمْ فِي ٱلْكُتُبِ وَمَعْرُوفْ

قِيلَ : إِنَّ عِيسَى (عليه السلام) كَانَ يَلْبَسُ ٱلصُّوفَ وَٱلشَّعْرَ وَيَأْكُلُ مِنَ ٱلشَّجَرِ وَيَبِيتُ حَيْثُ أَمْسَى.

أَصْلُ ٱلصُّوفِيَّةِ

ٱلصُّوفِيَّةُ هُمْ نِسْبَةٌ إِلَى أَهْلِ ٱلصُّفَّةِ ٱلْكِرَامْ — فُقَرَاءُ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِزَمَنِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامْ

ٱلَّذِينَ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (البقرة ٢٧٣)

كَانُوا قُرَابَةَ ٱلْأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ بِٱلْمَدِينَةْ لَيْسَ لَهُمْ مَسَاكِنُ وَلَا عَشَائِرُ وَلَا زِينَةْ
كَانُوا يَحْتَطِبُونَ وَيَرْضَخُونَ ٱلنَّوَى[1] بِٱلنَّهَارِ وَبِٱللَّيْلِ يَشْتَغِلُونَ بِٱلعِبَادَةِ وَذِكْرِ ٱلْغَفَّارِ ﷻ
وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ يُوَاسِيهِمْ وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ وَيَحُثُّ ٱلنَّاسَ عَلَى ذَلِكَ وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ

فَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُ ٱللهِ ﷻ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الأنعام ٥٢)

قَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ ﷺ : " لَقَدْ أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ بَدْرِيًّا لِبَاسُهُمُ ٱلصُّوفُ " .

وَوَصَفَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ وَفُضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَا : " كَانُوا يَخِرُّونَ مِنَ ٱلْجُوعِ حَتَّى يَحْسَبَهُمُ ٱلْأَعْرَابُ مَجَانِينَ " . وَقَالَ أَيْضًا ﷺ : " لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلصُّفَّةِ يُصَلُّونَ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ فَإِذَا رَكَعَ أَحَدُهُمْ قَبَضَ بِيَدَيْهِ مَخَافَةَ أَنْ تَبْدُوَ عَوْرَتُهُ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ قَدْ أَحْرَقَ بُطُونَنَا ٱلتَّمْرُ " .

وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِمْ طَائِفَةٌ بِخُرَاسَانَ يَأْوُونَ إِلَى ٱلكُهُوفِ وَٱلْمَغَارَاتِ وَبِٱلْقُرَى لَا يَسْكُنُونَ
زَهِدُوا فِي شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا وَمَحَبَّتِهَا وَٱغْتَنَمُوا ٱلعُزْلَةَ وَٱلوَحْدَةَ فِي مَرْتَبَتِهَا
هَؤُلَاءِ هُمْ قَادَةُ وَسَادَةُ ٱلتَّصَوُّفِ أَشْغَلَهُمْ إِصْلَاحُ قُلُوبِهِمْ عَنِ ٱلتَّشَوُّفِ
فَهُمْ فِي قَطْعِ ٱلْمَقَامَاتِ وَٱلسُّلُوكِ وَٱلسَّيْرِ كَٱلْمُحَلِّقِ فِي ٱلسَّمَاءِ مِنْ أَقْوِيَاءِ ٱلطَّيْرِ
فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْمُبْتَدِئِ تَقْلِيدُ أَحْوَالِهِمْ وَٱلقِيَامُ بِأَفْعَالِهِمْ وَٱلِٱقْتِدَاءُ بِأَقْوَالِهِمْ
لَعَلَّ ٱللهَ ﷻ يَخْتَصُّهُ بِإِشَارَةْ مِمَّا أَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ تِلْكَ ٱلمَنَارَةْ

ٱلصُّوفِيَّةُ بَيْنَ ٱلْأَمْسِ وَٱلْيَوْمْ

أَخَذَ ٱلْخَلَفُ ٱلتَّصَوُّفَ عَنِ ٱلسَّلَفِ وَأَزَالُوا مِنْ طَرِيقِهِمْ كُلَّ دَنَفِ
وَصَارَ رَسْمًا مُنَوَّرًا مُسْتَمِرًّا وَفِي آفَاقِ ٱلْأَرْضِ بِكُلِّ عَصْرٍ مُسْتَقِرًّا

(١) النوى : بذر التمر .

لَكِنْ بِعَصْرِنَا ذَهَبَ أَهْلُ هَذَا الطَّرِيقِ ... وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ عَلَى التَّحْقِيقِ

فَتَوَارَى النُّورُ مِنَ الْأَرْجَاءِ ... لِاخْتِلَافِ الْأَفْكَارِ وَتَنَوُّعِ الْآرَاءِ

لِأَنَّ النَّاسَ اشْتَغَلُوا بِالْقَالِ وَالْقِيلِ ... وَمَالُوا إِلَى أَكْلِ الْحَرَامِ وَالدَّجَلِ وَالْأَبَاطِيلِ

وَانْفَرَدَ كُلُّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ الْمُهْلِكِ ... فَتَزَعْزَعَتْ أَبْنِيَةُ الْمُتَّقِينَ وَكُلِّ سَالِكِ

وَغَلَبَتِ الْجَهَالَاتُ وَكَثُفَ حِجَابُهَا ... وَكَثُرَتِ الْعَادَاتُ السَّيِّئَةُ وَتَمَلَّكَتْ أَرْبَابَهَا

وَتَزَيَّنَتِ الدُّنْيَا وَتَزَخْرَفَتْ وَكَثُرَ خُطَّابُهَا ... وَفُقِدَتِ الْمُتَصَوِّفَةُ وَالسَّالِكُونَ وَأَصْحَابُهَا

مَالَتِ الصُّوفِيَّةُ بِعَصْرِنَا إِلَى الِانْقِرَاضِ ... بِقَبْضِ عُلَمَائِهِمُ الَّذِينَ ذَهَبُوا فِي كُلِّ وَادِ

بِعَصْرِنَا يُقَلِّدُونَ لِبَاسَ وَزُهْدَ أَهْلِ الصُّفَّةْ ... وَيَدَّعُونَ ادِّعَاءَاتٍ بَاطِلَةً كُلُّهَا خِفَّةْ

خَالِيَةً مِنَ الزُّهْدِ وَالشَّرَفِ وَالْعِفَّةِ ... وَلَا عَجَبَ فَمَعَ دَرْوِيشٍ نِفَاقُ الدَّفَّةِ

لَقَدْ تَعِبْنَا مِنْ كَثْرَةِ النُّصْحِ وَالْكَلَامْ ... وَجَفَّتِ الْمَحَابِرُ وَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامْ

التَّصَوُّفُ ثَقِيلُ الْحِمْلِ

(المزمل ٥)

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلًا جَمِيلًا ... ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾

السُّلُوكُ وَالْأَذْكَارُ هِيَ مِنَ الْكِتَابْ ... فَيَفْتَحُ اللهُ لِمَنْ هَيَّأَ لَهُ الْأَسْبَابْ

التَّصَوُّفُ أَشْكَالٌ وَأَنْوَاعٌ مُتَنَوِّعَةٌ ... فِيهِ مُجَاهَدَاتٌ ثَقِيلَةٌ رَاقِيَةٌ رَائِعَةٌ

كَثِيرٌ مِمَّنِ ابْتَلَاهُ رَبُّنَا فِي حَيَاتِهِ ... يُعَرِّفُهُ اللهُ عَلَى الْمُرْشِدِينَ قَبْلَ مَمَاتِهِ

فَيَكُونُ فُتُوحُهُ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ ... لِأَنَّ الْبَلَاءَ يُسَاعِدُهُ فِي سُلُوكِهِ وَسَيْرِهِ

فَانْظُرْ لِأَحْوَالِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) ... وَمَا حَمَّلَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ

دَخَلَ يُوسُفُ (عليه السلام) لِلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ... وَسَلَّطَ الْكُفَّارَ عَلَى أَحْبَابِهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (عليهم السلام)

فَقُطِعَ رَأْسُ يَحْيَى (عليه السلام) وَنُشِرَ زَكَرِيَّا (عليه السلام) ... وَضُرِبَ نُوحٌ (عليه السلام) صَبَاحًا وَعَشِيًّا

وَرَمَى ٱلْأَعْدَاءُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي نَارٍ مَحْسُوسَةْ
وَلَا نَنْسَى مَا لَاقَاهُ هَارُونُ عليه السلام وَمُوسَى عليه السلام

إِنَّهُ طَرِيقٌ مَحْفُوفٌ بِعَذَابٍ وَهُمُومْ
كَمْ دَسَّ أَعْدَاءُ ٱلْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام لَهُمُ ٱلسُّمُومْ

حِقْدًا وَحَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ
مِمَّا رُزِقُوا مِنْ عَطَاءٍ وَنُورِ رَبِّهِمْ

قَدْ يَصِلُ ٱلسَّالِكُ ٱلْكَامِلُ إِلَى حَرَارَةِ ٱلْمَوْتْ
وَيَصْمُتُ قَلْبُهُ إِجْلَالًا وَيَخْتَفِي ٱلصَّوْتْ

تُلْقَى عَلَيْهِ أَثْقَالٌ كَوَزْنِ ٱلْجِبَالْ
وَهَذَا لَيْسَ ٱنْتِقَامًا بَلْ عَطَاءٌ وَدَلَالْ

وَيَصِيرُ تَحَمُّلُ أَذَى ٱلنَّاسِ لَهُ عَادَةْ
يَنْزِعُ مِنْهُ ٱلْاِعْتِرَاضُ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ أَوْ مَادَّةْ

وَيَنْقَلِبُ أَحْبَابُهُ إِلَى أَعْدَاءْ
وَيَكُونُ ذَلِكَ ٱمْتِحَانًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ ﷻ جَاءْ

لَا يُهِمُّهُ رِضَاهُمْ أَوْ غَضَبُهُمْ فَهُمَا عِنْدَهُ سَوَاءْ
لَا يُحِسُّ بِٱلْخَلْقِ إِلَّا إِذَا رَبُّهُ ﷻ شَاءْ

فَهُوَ مَشْغُولٌ عَنْ مَكَائِدِهِمْ بِطَاعَةِ مَوْلَاهْ
وَهُمْ جَادُّونَ بِهَا يَظُنُّونَ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ مِنَ ٱللهْ

نَسُوا أَنَّ لِلْمُسْلِمِ حُرْمَةً عَظِيمَةً كَبِيرَةْ
وَأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَعَاصِيَ خَطِيرَةْ

عَلَى قَدْرِ ٱلطَّاعَةِ وَٱلصَّبْرِ وَٱلْجُهُودِ
نَنَالُ بَرَكَاتِ وَأَسْرَارَ رَبِّنَا ٱلْمَعْبُودِ ﷻ

ٱلتَّصَوُّفُ عَمَلٌ وَمُجَاهَدَةٌ

ٱلْعَمَلُ بِٱلتَّصَوُّفِ يُرَادُ لَهُ فَارِسْ
يَتَحَمَّلُ أَثْقَالَ ٱلْعَوَارِضِ وَٱلْكَوَارِثْ

لِأَنَّهُ يَتَحَمَّلُ ٱلْبَلَاءَ مَعَ تِلْكَ ٱلْعَوَارِضِ
هَكَذَا وَصَلَ لِلْمَعْرِفَةِ ٱبْنُ ٱلْفَارِضِ

لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْمُدَلَّلُ سُلُوكَ طَرِيقِهِ
كَمْ مِنْ سَالِكٍ ذَابَ مِنْ حَرِيقِهِ

وَكَمْ مِنْ مُحِبٍّ تَفَتَّتَ مِنَ ٱلْأَشْوَاقِ
وَكَمْ مِنْ عَارِفٍ غَاصَ بِٱلْأَعْمَاقِ

مِنْهُمْ مَنْ يَهْجُرُ ٱلنَّوْمَ وَيُلَازِمُ ٱلصِّيَامْ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُلَازِمُ ٱلذِّكْرَ وَيَنْقَطِعُ عَنِ ٱلْكَلَامْ

حَتَّى يُفَرِّغَ فِكْرَهُ مِنْ حَوَادِثِ ٱلْمَاضِي
وَيَصِيرَ قَلْبُهُ مِنْ رُسُومِ ٱلدُّنْيَا نَقِيَّ ٱلْبَيَاضِ

هَذَا جِهَادٌ صَعْبٌ وَخَطِيرْ
لَا يَتَحَمَّلُهُ صَاحِبُ ٱلْقَلْبِ ٱلصَّغِيرْ

لَا يَتَحَمَّلُهُ إِلَّا مَنْ يَتَّخِذُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ... وَيَهْجُرُ الشَّهَوَاتِ الْمُرْتَبِطَةَ بِالنَّفْسِ ارْتِبَاطًا

وَيَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَيْشِ وَيَتْرُكُ الدَّنَانِيرْ ... وَيَنْزَوِي مُرَابِطًا مُتَفَكِّرًا بِرَحْمَةِ الْخَبِيرْ

وَيُلَازِمُ الْكُهُوفَ وَرُؤُوسَ الْجِبَالِ الْوَعِرَةِ ... بَيْنَ الْوُحُوشِ الْمُفْتَرِسَةِ الْمُنْتَشِرَةِ

وَقَدْ يَدْخُلُ السِّجْنَ فِي كُلِّ حِينْ ... كَمَا دَخَلَ يُوسُفُ عليه السلام وَأَصْبَحَ السَّجِينْ

وَيُمْكِنُ أَنْ يَشْوِيَهُ النَّاسُ عَلَى نَارِ الْحَطَبِ ... فَيُنَجِّيهِ اللهُ كَمَا نَجَّى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام مِنَ الْعَطَبِ

وَلَا عَجَبَ فَأَكْثَرُ السَّالِكِينَ يُتَّهَمُونَ بِالضَّلَالْ ... فِي زَمَنٍ ظَهَرَ فِيهِ الْفَسَادُ وَالْانْحِلَالْ

فَيُلَاحِقُهُ الْأَعْدَاءُ بِتُهَمٍ مُتَنَوِّعَةٍ ... وَيُهَدَّدُ بِأَسَالِيبَ مُرْعِبَةٍ وَمُفْزِعَةٍ

لَا يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ وَيْلَاتٍ ... إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ اللهُ هِمَّةً عَالِيَةً وَقُدُرَاتٍ

بَعْضُ مُدَّعِي التَّصَوُّفِ بِهَذَا الْعَصْرِ ... قَدْ نَسُوا: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر ٢]

يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّ التَّصَوُّفَ سَهْلُ الْمَنَالِ ... يَنَالُونَ مُرَادَهُمْ مِنْهُ إِنْ صَحِبُوا بَعْضَ الرِّجَالِ

فَالتَّصَوُّفُ فِيهِ مُجَاهَدَاتٌ عَظِيمَةٌ ... تُدْمِي الْقَلْبَ وَتُصْبِحُ النَّفْسُ فِيهِ حَزِينَةْ

التَّصَوُّفُ إِيمَانٌ وَعِلْمٌ وَعَمَلٌ

قِيلَ طَرِيقُ التَّصَوُّفِ أَوَّلُهُ إِيمَانْ ... ثُمَّ عِلْمٌ ثُمَّ ذَوْقٌ ثُمَّ عِرْفَانْ

فَإِنْ ثَبَتَ مَعَ ثُلَّةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ... فَذَلِكَ دَلِيلُ وِلَايَةٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ﷻ

وَمَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاعِدَيْهِ لِيَتَشَبَّهَ بِالْأَوْلِيَاءِ رضي الله عنهم ... اسْتَيْقَظَ مِنَ التَّقْصِيرِ وَتَنَبَّهَ مِنَ الْإِغْفَاءِ

مَنْ خَصَّهُ اللهُ بِمَزِيدِ عِنَايَتِهِ ... يُصْبِحُ صَاحِبَ قَدَمٍ وَنَظَرٍ وَيَنَالُ غَايَتَهْ

مِنْ مُرَاقَبَةٍ وَمُشَاهَدَةٍ وَمُجَاهَدَةٍ ... وَهُوَ تَنْوِيعٌ يَنَالُهُ أَهْلُ الْمُحَاسَبَةِ

وَهَذَا حَالُ أَهْلِ النَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ... تَجْمَعُهُمْ دَائِرَةُ الْاصْطِفَاءِ لِلْكَسْبِ وَالْأَرْبَاحِ

وَأَمَّا مَنْ يَدَّعِي إِعْفَاءَهُ مِنَ التَّكْلِيفِ ... فَقَدْ مَزَجَ بَاطِنَهُ بِالزَّيْغِ وَالتَّحْرِيفِ

مَهْمَا بَلَغَ ٱلْمُرِيدُ مَبْلَغَ ٱلرِّجَالِ ... فَلَا تَسْقُطُ عَنْهُ فَرَائِضُ الأَعْمَالِ

وَٱلتَّصَوُّفُ بَرِيءٌ مِنْ عِلَّةِ ٱلِاتِّحَادِ وَٱلْحُلُولِ ... فَتِلْكَ خَبَائِثُ أَصْحَابِ ٱبْنِ سَلُولِ

فَٱلصُّوفِيُّ يَعْرِفُهُ ٱللهُ بِٱلتَّوْحِيدِ ... وَيُرِيهِ ٱلْكُفْرَ حَتَّى عَنْهُ يَحِيدْ

فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلسَّوَادِ وَٱلْبَيَاضْ ... وَمَنْ يُجَرِّبْ يَزُولُ عَنْهُ ٱلِاعْتِرَاضْ

يَدَّعِي بَعْضُ ٱلْمُفْسِدِينَ مُكَالَمَةَ رَبِّهِمْ ... وَهَذَا مِنَ ٱلْوَسَاوِسِ ٱلَّتِي حَلَّتْ بِأَفْكَارِهِمْ

يَحْمِلُهُ هَوَاهُ عَلَى ٱلدَّعْوَى بِذَلِكْ ... فَيُوقِعُ نَفْسَهُ فِي أَشَدِّ ٱلْمَهَالِكْ

لِيُوهِمَ ٱلنَّاسَ أَنَّهُ ظَهَرَ بِشَيْءْ ... وَٱللهُ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءْ

فَهَذَا جَاهِلٌ بِنَفْسِهِ جَاهِلٌ بِرَبِّهِ ... وَهُوَ يُوهِمُ ٱلنَّاسَ أَنَّهُ ظَفَرَ بِدَرْبِهِ

إِذَا أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يُلْهِمَ عَبْدًا مِنَ ٱلْعَبِيدْ ... يَجْعَلُ فِي بَاطِنِهِ عِلْمًا يُعَرِّفُهُ مَا يُرِيدْ

عَلَى ٱلْمُسْلِمِ أَنْ يَطْلُبَ شَيْخًا مُرْشِدًا ... يَكُونُ لَهُ دَلِيلًا يُبْعِدُهُ عَنِ ٱلضَّلَالِ بُعْدًا

هُوِيَّةُ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلْإِيمَانِيَّةِ

مِنْ رُمُوزِ ٱلْمُرِيدِيَّةِ ٱلتَّحَرُّرُ مِنَ ٱلْعَلَائِقِ ... وَٱلْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي ٱلْخَلَائِقِ

وَتَرْكُ ٱلْوَهْمِ وَٱلْأَخْذُ بِٱلْحَقَائِقِ ... وَكُلُّ مَا فِي كُتُبِ ٱلشَّرِيعَةِ مُفِيدٌ لِلطَّرَائِقِ

ٱلْمَشْغُولُ بِوَظَائِفِ عُبُودِيَّتِهِ تَامُّ ٱلثِّقَةِ ... بِرَبِّهِ فَهُوَ يَعْمَلُ بِأَمْرِ ٱلْحَقِيقَةِ

فَآدَابُ ٱلظَّاهِرِ تَدُلُّ عَلَى حُسْنِ ٱلْبَاطِنِ ... كَمَا ٱلْهُوِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى ٱلْمُوَاطِنِ

قَالَ وَقَدْ رَأَى رَجُلًا مُصَلِّيًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ: **"أَمَّا هَذَا لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ"**[1]

فَٱلتَّصَوُّفُ ٱلدُّخُولُ بِكُلِّ خُلُقٍ سَنِيّ ... وَٱلْخُرُوجُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيّ

وَلَا يَكُونُ تَبْدِيلُ ٱلْأَخْلَاقِ سَهْلْ ... وَلَا يَأْتِي بِسُرْعَةٍ وَلَا عَلَى مَهْلْ

بَلْ مَنِ ٱزْدَادَتْ طَاعَاتُهُ وَعِبَادَاتُهُ ... تَأْتِيهِ رَحَمَاتٌ تَتَبَدَّلُ بِهَا حَالَاتُهُ

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٦٨ – ١٦٩

فَالرَّحَمَاتُ هِيَ الَّتِي تُبَدِّلُ الغَفْلَةَ بِخُشُوعٍ وَهِمَّةٍ يَبْدَأُ بِهَا الرِّحْلَةَ
كُلُّ شَيْءٍ تَتْرُكُهُ للهِ لَكَ فِيهِ عِوَضْ يَشْفِي قَلْبَكَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا وَكُلِّ مَرَضْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء ٨٠)

فَتَنَالُ بِفَضْلِ رَبِّكَ مِنَ الأَحْوَالِ المَوْعُودَةِ تَسْتَعِيضُ بِهَا عَمَّا ذَمَّ مِنَ الشَّهَوَاتِ المَوْجُودَةِ
وَالمُرِيدُ الصَّادِقُ لَا يُتْعِبُهُ طَلَبٌ وَلَا يَهْتَمُّ لِغَمٍّ وَلَا يُزْعِجُهُ سَلْبٌ
مَنْ يَسْتَكْثِرْ وَيَسْتَعْظِمِ الأَخْذَ وَالسَّلْبْ فَهَذَا صَغِيرُ الوِعَاءِ ضَيِّقُ القَلْبْ
لِأَنَّ تَارِكَ الدُّنْيَا خَارِجٌ عَنْهَا لِرَبِّهِ لَا يُهِمُّهُ غَضَبُ أَحَدٍ إِلَّا مَحْبُوبَ قَلْبِهِ
لَقَدْ صَفَّى نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ الأَكْدَارِ وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِأَرْقَى الأَفْكَارِ
وَانْقَطَعَ إِلَى اللهِ عَنْ كُلِّ البَشَرْ وَاسْتَوَى عِنْدَهُ القَدْحُ وَالمَدْحُ وَالذَّهَبُ وَالمَدَرْ
صَارَ مِمَّنْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ للهِ وَمِمَّنْ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ

قَالَ بَعْضُهُمْ:

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللهِ قَدْ عَلِقَتْ فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدِ
فَمَطْلَبُ القَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ

فَائِدَةُ التَّصَوُّفِ

إِنَّ التَّصَوُّفَ يُفِيدُ إِصْلَاحَ القُلُوبِ وَيُطَهِّرُ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ مِنَ الذُّنُوبِ
وَيُصْلِحُ كُلَّ مَا فِي الإِنْسَانِ مِنْ حَوَاسّ وَيُهَذِّبُ أَخْلَاقَهُ فَيَحْلُو لِسَانُهُ مَعَ النَّاسِ
وَيُعَلِّمُ الصَّبْرَ وَالصِّدْقَ وَتَحَمُّلَ الأَذَى وَيُبْعِدُ عَنِ الحَرَامِ وَطَرِيقِ الرَّدَى
وَيُعَوِّدُ القَلْبَ عَلَى الانْشِغَالِ بِالأَذْكَارِ وَيَهْدِي الجَوَارِحَ لِعِبَادَةِ الغَفَّارِ
وَيُغَذِّي العَقْلَ فِي الثَّبَاتِ عَلَى التَّوْحِيدْ وَيُعَوِّدُ المَعِدَةَ رَفْضَ الحَرَامِ فَعَنْهُ تَحِيدْ

وَيُحَبِّبُ إِلَى ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْتِزَامَ طَرِيقِ ٱلسُّنَّةْ
وَيُهَيِّئُ ٱلْإِنْسَانَ لِأَحْوَالٍ تُدْخِلُهُ ٱلْجَنَّةْ

قَدْ يَدَّعِي ٱلْبَعْضُ ٱلْمَغْرُورُ بِأَنَّهُ مُرِيدٌ
وَقَلْبُهُ عَلِيلٌ مُصَابٌ بِٱلْغَفْلَةِ وَمَرِيضٌ

فَعَلَيْهِ ٱلْإِنْتِبَاهُ وَٱلْعَمَلُ بِمَا يُوَافِقُ ٱلسُّلُوكْ
وَإِلَّا فَلْيَعْرِفْ أَنَّهُ مَا هُوَ إِلَّا صُعْلُوكْ

وَمِنْ فَوَائِدِ ٱلتَّصَوُّفِ أَنَّهُ يَرْفَعُ ٱلْمَعْنَوِيَّاتِ
وَيُرَقِّقُ ٱلْقَلْبَ حِينَ سَمَاعِ ٱلْآيَاتِ

وَيَجْعَلُ ٱلْفِكْرَ فِي جُهُوزِيَّةٍ تَامَّةٍ
وَيُحَرِّكُ ٱللَّطَائِفَ وَيُهَيِّئُهَا لِبَرَامِجَ هَامَّةٍ

وَيَحْفَظُ أَخْلَاقَ ٱلْمُسْلِمِ مِنَ ٱلرَّذِيلَةِ
حِينَ ٱصْطِدَامِهَا بِأَيَّةِ أَعْمَالٍ دَخِيلَةِ

وَيُهَذِّبُ ٱلْأَخْلَاقَ وَيُنَمِّي فِي ٱلْقَلْبِ ٱلْمَحَبَّةْ
وَيُخَفِّفُ عَنْهُ مَا عَلَيْهِ مِنْ هُمُومٍ مُنْكَبَّةْ

وَيُصَفِّي ٱلنَّفْسَ وَٱلْبَصِيرَةَ ٱلْعَلِيلَةْ
بِأَنْوَارِ ٱلرَّحَمَاتِ ٱلْمُبَارَكَةِ وَٱلْأَسْرَارِ ٱلْجَلِيلَةْ

وَيُنَشِّطُ إِحْسَاسَ ٱلْعَابِدِ بِٱلْوَعِيدِ
بَعْدَ خُمُودِ ٱللَّطَائِفِ تَنْشَطُ مِنْ جَدِيدِ

وَيَرْفَعُ ٱلْهِمَّةَ بَعْدَ هُبُوطِهَا
وَيَأْخُذُ بِٱلْأَيْدِي بَعْدَ سُقُوطِهَا

وَيُهَذِّبُ ٱلشَّهَوَاتِ وَيُعَلِّمُ ٱلنَّفْسَ ٱلْمُحَاسَبَةَ
وَيَزِيدُ ٱلتَّعَلُّقَ بِحُبِّ ٱللهِ وَٱلْمُرَاقَبَةَ

وَيُعَرِّفُ ٱلسَّالِكَ عَلَى رَذَائِلِهِ ٱلْفَتَّاكَةِ
فَيَلْجَأُ إِلَى عِلَاجِهَا بِٱلْأَذْكَارِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ ٱلْمُبَارَكَةِ

وَيُشَجِّعُ لِكَسْبِ مَقَامِهِ بِقَدَمٍ ثَابِتٍ
وَيُصَحِّي ٱلْقَلْبَ وَٱلْعَقْلَ لِتَشْغِيلِ ٱلرَّوَابِطِ

وَيُسَهِّلُ ٱلتَّعَرُّفَ عَلَى أَبْوَابِ ٱلْفُتُوحِ
وَيُعَالِجُ ٱلْغَفْلَةَ مِنَ ٱلْقَلْبِ ٱلْمَجْرُوحِ

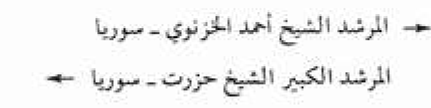
وَيُقَوِّي ٱلْعَقِيدَةَ وَيُرْشِدُ لِلتَّوْحِيدِ
بِإِلْهَامَاتٍ خَارِقَةٍ قَابِلَةٍ لِلتَّجْدِيدِ

اَلتَّصَوُّفُ مَجْمُوعَةُ فَوَائِدَ مُتَنَوِّعَةْ
وَٱلسَّالِكُ فِيهِ يَنَالُ أَحْوَالًا رَائِعَةْ

فَإِنْ أَنْكَرَهُ ٱلْمُنْكِرُ فَلِأَنَّهُ جَاهِلْ
لَمْ يَرْزُقْهُ ٱللهُ مَعْرِفَةَ تِلْكَ ٱلْمَسَائِلْ

لَا يَنَالُهَا إِلَّا مُصَدِّقٌ مُؤْمِنٌ مُعْتَقِدُ
وَيُحْرَمُ مِنْهَا مَنْ لِلْأَوْلِيَاءِ يَنْتَقِدُ





← المرشد الشيخ أحمد الخزنوي ـ سوريا

المرشد الكبير الشيخ حزرت ـ سوريا →





ٱلْمُبْتَدِئُ ٱلْمَفْتُونُ

قَدْ يَخْتَلِفُ ٱلْمُرِيدُ ٱلْمُبْتَدِئُ وَيُصْبِحُ كَٱلْمَفْتُونِ   لِأَنَّهُ يَبْنِي أَحْكَامَهُ عَلَى ٱلْخَيَالِ وَٱلظُّنُونِ

فَتَمِيلُ نَفْسُهُ لِشُرُورٍ تَخَاطُرِيَّةٍ هَائِلَةْ   وَتَصِيرُ لِلْمُخَالَفَاتِ ٱلشَّرْعِيَّةِ وَٱلْأَذَى مَائِلَةْ

وَيَرْفُضُ ٱلنَّصَائِحَ ٱلدِّينِيَّةَ مِمَّنْ حَوْلَهُ   وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا بِخَوَاطِرِهِ وَلَا يُنَفِّذُ إِلَّا قَوْلَهُ

فَتَتَمَلَّكُهُ ٱلْوَسَاوِسُ وَيَرْمِي بِٱلظُّنُونِ   وَيُصَابُ بَاطِنُهُ بِٱلْعِلَلِ وَيَقَعُ بِٱلْجُنُونِ

وَأَسْبَابُ ٱلْإِصَابَةِ ٱلْحَسَدُ وَأُمُورٌ مَعْنَوِيَّةْ   وَمُلَاطَفَةُ ٱلْمُرْشِدِ لَهُ بِكَلِمَاتٍ تَرْفِيهِيَّةْ

وَتَسْخِيرُهُ لِلْخِدْمَةِ فَيَسْتَعْلِي عَلَى زُمَلَائِهِ   فَتُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ بِٱمْتِلَاءِ قَلْبِهِ وَوِعَائِهِ

فَيَظُنُّ نَفْسَهُ أَصْبَحَ بِمَقَامِ ٱلْقُطْبِيَّةِ   فَيَقُومُ بِتَمْثِيلِ أَدْوَارٍ وَحَرَكَاتٍ شَيْطَانِيَّةِ

فَيَرْقِي ٱلزُّوَّارَ وَيُعْطِي ٱلْأَحْجِبَةَ لِلْكِبَارِ وَٱلصِّغَارِ   وَيَدَّعِي أَنَّهُ وَاصِلٌ وَهُوَ أُلْعُوبَةٌ بِيَدِ ٱلْمَكَّارِ

وَيُعْطِي إِجَازَاتٍ لِلْإِرْشَادِ وَٱلْقِرَاءَةِ   وَيُقَلِّدُ ٱلْمُرْشِدَ بِحَمْلِ ٱلْعَصَا وَلُبْسِ ٱلْعَبَاءَةِ

فَيَتَعَدَّى عَلَى مِهْنَةِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلرُّوحِيَّةِ   فِي مُجْتَمَعٍ يَحْتَاجُ لِلْعِلَاجَاتِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ

وَهُوَ خَالٍ مِنْ سَائِرِ خِبْرَاتِ ٱلْعِلَاجِ   فَيُصِيبُ عَقْلَ مَنْ يَتْبَعُهُ بِٱرْتِجَاجٍ

فَلَا يُطِيعُ بَعْدَهَا ٱلْمُرْشِدَ ٱلْخَبِيرْ   بَلْ يُسَلِّمُ قِيَادَهُ لِلْمَفْتُونِ إِبْلِيسَ ٱلْحَقِيرْ

فَيَجْنِي ثِمَارَ أَخْطَائِهِ وَحُظُوظِهِ ٱلنَّفْسِيَّةِ   وَيُصْبِحُ بَعِيدًا عَنِ ٱلْحَيَاةِ ٱلصُّوفِيَّةِ

وَيَكْثُرُ تَلَاعُبُهُ بِأَعْصَابِ ٱلْمُرِيدِينَ   وَيَتَظَاهَرُ بِٱلْمَقَامَاتِ وَٱلِٱسْتِقَامَةِ بَيْنَ ٱلزَّائِرِينَ

حَتَّى يُصْبِحَ مَسْخَرَةً بَيْنَ ٱلنَّاسِ   فَيَمْلَأُ قُلُوبَ مَنْ يَتْبَعُهُ بِٱلْوَسْوَاسِ

كَمْ مِنْ كَاتِبٍ وَخَادِمٍ أَصْبَحَ كَٱلْجَاسُوسِ   يَعْلَمُ بَاطِنَهُ ٱلْمُرْشِدُ ٱلْخَبِيرُ بِٱلنُّفُوسِ

فَيُسَلِّمُ أَمْرَهُ لِرَبِّهِ ﷻ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي   أَوْ تُصِيبُهُ رَحْمَةٌ فَيَتُوبُ وَلَا يَعْتَدِي

فَيُسَمَّى هَذَا عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ: ٱلْمُرِيدَ ٱلْمَفْتُونْ   لِتَمْيِيزِهِ عَنْ غَيْرِهِ وَيَصِيرُ عِبْرَةً لِمَنْ يَخُونْ

فَإِبْلِيسُ مُتَعَهِّدٌ لِتَدْرِيبِ وَتَعْلِيمِ ٱلنُّفُوسِ   عَلَى ٱلْفَسَادِ بِوَاسِطَةِ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْفُلُوسِ

فَرَحُ ٱلسَّالِكِ

إِذَا ٱلسَّالِكُ لِلْمَقَامَاتِ ٱلرَّاقِيَةِ وَصَلْ ... وَٱمْتَلَأَ حَالُهُ بِٱلْعَوَارِضِ وَٱلثِّقَلْ

وَجَاءَهُ فَرَحٌ دُنْيَوِيٌّ لَايَشْعُرُ بِهِ ... لِأَنَّ إِحْسَاسَهُ بِٱلْبَلَاءِ غَالِبٌ عَلَيْهِ

فَإِنَّ مَذَاقَ ٱلْفَرَحِ عِنْدَهُ كَمَذَاقِ ٱلْأَلَمْ ... لِأَنَّ شُعُورَهُ مُتَعَلِّقٌ بِحُبِّ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُكَرَّمِ ﷺ

فَفَرَحٌ دُنْيَوِيٌّ وَأُخْرَوِيٌّ لَا يَجْتَمِعَانِ بِٱلسَّالِكْ ... وَإِلَّا أُصِيبَتْ أَجْهِزَتُهُ ٱلرُّوحِيَّةُ بِعَوَارِضَ وَمَهَالِكْ

وَذَلِكَ كَيْ لَا يَكُونَ ٱلْفَرَحُ لَهُ مَلْهَاةْ ... فَتَمِيلَ إِلَيْهِ ٱلنَّفْسُ بِدُنْيَا ٱلْحَيَاةْ

لَا يَسْعَدُ إِلَّا بِٱلْفَرَحِ ٱلرُّوحِيِّ الراقي ... يَأْتِيهِ مِنْ أَمْدَادِ ٱلْحَيِّ ٱلْبَاقِي ﷻ

فَٱلْفَرَحُ بِشَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا لَا يُدْهِشُهُ ... وَمَهْمَا تَرَاكَمَتْ عَلَيْهِ ٱلْمَلَذَّاتُ لَا تُنْعِشُهُ

فَحَالُ ٱلسَّالِكِ ٱلشُّعُورِيِّ ٱلدُّنْيَوِيِّ مَفْقُودْ ... إِذَا ٱنْتَهَى سُلُوكُهُ وَتَخَرَّجَ شُعُورُهُ يَعُودْ

هَكَذَا بَعْضُ أَحْوَالِ ٱلسَّالِكِينَ ... قَالَ ٱللهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ (القصص ٧٦)

إِذَا رَأَيْنَا مِنْهُ ضِحْكَةَ فَرَحْ ... فَلَا بُدَّ أَنَّهُ بِمُشَاهَدَةِ ٱلْعِرْفَانِ سَرَحْ

لِطَائِفُهُ ٱلْبَاطِنِيَّةُ دَائِمًا خَائِفَةٌ مُسْتَغْفِرَةْ ... يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْوُجُوهِ ٱلْمُسْتَبْشِرَةْ

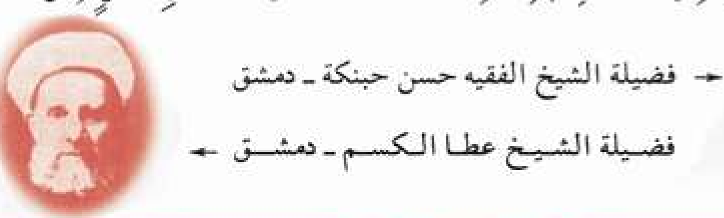
فَيُبْكِيهِ مَوْلَاهُ ﷻ تَارَةً وَيُضْحِكُهُ أُخْرَى ... مِمَّا يَعْرِضُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ ٱلْآخِرَةْ

هَكَذَا كَانَ صُوفِيٌّ نَادِرٌ(١) فِي "دُورُودْ" ... يَبْكِي سَاعَةً وَسَاعَةً بِٱلضَّحِكِ يَجُودْ

فَٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي يُضْحِكُ وَيُبْكِي ... وَٱلشِّفَاءُ مِنْهُ مَهْمَا كَانَ ٱلشَّيْخُ يَرْقِي

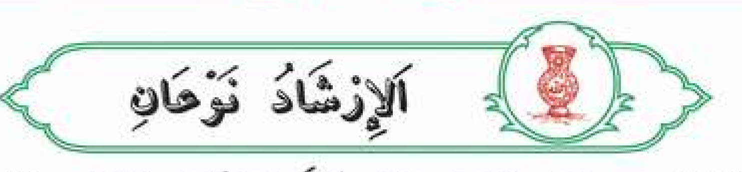
قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ (النجم ٤٣)

(١) لَازَمَ حَضْرَةَ ٱلشَّيْخِ عُثْمَانَ طِيلَةَ حَيَاتِهِ ... وَكَانَ يَضْحَكُ وَيَبْكِي بِسَائِرِ سَاعَاتِهِ
وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمَجَاذِيبِ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْإِسْتِشْعَارِ ... كَانَ ٱلْكَشْفُ يَهُزُّ قَلْبَهُ بِفَضْلٍ مِنَ ٱلْغَفَّارِ



← فضيلة الشيخ الفقيه حسن حبنكة ـ دمشق

فضيلة الشيخ عطا الكسم ـ دمشق ←



الإِرْشَادُ نَوْعَانِ

الإِرْشَادُ نَوْعَانِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنْ ... الظَّاهِرُ لِلتَّعْلِيمِ وَجَعْلِهِ بِالْفِكْرِ سَاكِنْ

وَالْبَاطِنُ لِلْأَوْلِيَاءِ فِيهِ عِلَاجَاتٌ وَتَسْلِيكْ ... وَتَدْرِيبُ الْقُلُوبِ عَلَى الْمَقَامَاتِ وَالتَّحْلِيقْ

لِلْأَوَّلِ عَالِمُ شَرِيعَةٍ مُدَرِّسٌ وَتَدْرِيس ... وَلِلثَّانِي عَالِمٌ وَلِيٌّ يُعَالِجُ الْوَاقِعَ وَيُوَاجِهُ إِبْلِيس

تِلْمِيذُ الْأَوَّلِ الصَّادِقُ يَجِدُ النَّجَاحْ ... وَتِلْمِيذُ الثَّانِي الْمُخْلِصُ لَهُ الْفَلَاحْ

فَإِنْ لَمْ تُرْزَقْ بِعَصْرِكَ بِمُرْشِدٍ وَلِيِّ ... عَلَيْكَ بِآخِرِ الزَّمَنِ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

فَهِيَ تَقُومُ مَقَامَ الْإِرْشَادْ ... مَنْ مِثْلُ أَنْبِيَاءِ اللهِ يُفِيدُ الْعِبَادْ ؟



بَعْضُ أَحْوَالِ الْوَاصِلِ إِلَى مَقَامِ الْإِرْشَادِ

قُبَيْلَ وُصُولِ السَّالِكِ إِلَى سُدَّةِ الْإِرْشَادِ ... يُطْلِعُهُ اللهُ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ

فَقِيَاسُ الْحَقِيقَةِ يَرَاهَا وَاضِحَةً مُعْتَبَرَةْ ... كَمَا يَرَى نَفْسَهُ بِمِرْآةٍ غَيْرِ مُغْبَرَّةْ

وَالْأَمْدَادُ تَهْبِطُ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ السَّمَاءِ ... وَتُصْبِحُ زَادَهُ كَالطَّعَامِ وَشَرَابِ الْمَاءِ

وَبَوَارِقُ الْأَنْوَارِ تَنْكَشِفُ لَهُ وَتَصْفُو ... وَالْمَعَارِفُ تَهْبِطُ وَتَزْدَادُ وَتَحْلُو

لَا يَسْتَطِيعُ مُفَارَقَةَ الْأَذْكَارِ وَالْخَلَوَاتِ ... حَيْثُ لَطَائِفُهُ مَشْغُولَةٌ بِكَسْبِ التَّجَلِّيَاتِ

مَنْ رَآهُ يُصْعَقُ وَيُكَبِّرُ بِدَهْشَةِ ... وَمَنْ جَالَسَهُ يَنَلْ جَذَبَاتٍ كَالرَّجْفَةِ

مَا فِيهِ مِنْ حَالٍ يُعْكَسُ عَلَى الْقَلْبِ ... وَهَذَا لِلسَّالِكِ هُوَ عِزُّ الطَّلَبِ

تَرَى فِيهِ الْمَشَارِبَ وَالْمَسَالِكَ النَّبَوِيَّةْ ... وَأَنْوَارًا بِالْوَجْهِ ظَاهِرَةً وَأَسْرَارًا خَفِيَّةْ

وَعُيُونًا بَرَّاقَةً وَنَظَرَاتٍ خَارِقَةً وَحَارِقَةْ ... فَإِذَا نَظَرَ لِلْقَلْبِ يَفْتَحُ فِيهِ طَاقَةْ

هَٰذِهِ هِيَ أَحْوَالُ ٱلسَّادَةِ ٱلرِّجَالِ ... هُمْ مَدَارِسُ نَبَوِيَّةٌ لِمَرَاتِبِ ٱلْكَمَالِ

فِيهِمُ ٱلذَّوْقُ وَٱلإِحْسَاسُ وَٱلشَّرَفْ ... وَٱلأَدَبُ وَٱلصِّدْقُ وَٱلْوَفَا . مَنْ ذَاقَ عَرَفْ

تَظْهَرُ عَلَيْهِمُ ٱلْكَرَامَاتُ مِنْ سَائِرِ ٱلأَنْوَاعِ ... فَلْيَحْذَرْ مَنْ أَصَابَهُ كَرَامَةٌ مِنَ ٱلأَتْبَاعِ

مَسَاكِنُهُمْ قَدْرُ قُبُورِهِمْ وَبَعْضُهَا أَضْيَقْ ... إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا تَظُنُّ ٱلنُّورَ أَشْرَقْ

لَا تَظُنَّ أَنَّ ٱلْوُصُولَ هَيِّنٌ إِلَى ٱلْفُتُوحِ ... فِيهِ مِنَ ٱلْمُكَابَدَاتِ وَٱلْمُجَاهَدَاتِ كَنَزْعِ ٱلرُّوحِ

فَهَٰؤُلَاءِ يَنْتَظِرُونَ ٱلإِشَارَةَ ٱلنُّورَانِيَّةْ ... لِيُسَلِّكُوا قُلُوبَ ٱلطَّالِبِينَ بِأَسْرَارٍ خَفِيَّةْ

لَا يَعْمَلُونَ بِدُونِ إِشَارَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ صَادِقَةْ ... حَيْثُ ٱلتَّسْلِيكُ يَجْهَلُ ٱلْكَثِيرُ فُنُونَ دَقَائِقِهْ

فَٱلتَّجَلِّي وَٱلْمُشَاهَدَاتُ ٱلنَّبَوِيَّةُ ٱلرَّاقِيَةْ ... هِيَ دَلَالَةُ إِرْشَادِهِمْ وَتَكُونُ عَلَيْهِمْ بَادِيَةْ

وَذَٰلِكَ لَا يَأْتِي بِٱلأَحْلَامِ وَٱلتَّمَنِّي ٱلرَّخِيصْ ... فَهُوَ فَضْلُ ٱللهِ وَبِذَٰلِكَ نَحْكُمُ وَنَقِيسْ

ٱلْكَثِيرُ يَظُنُّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ مُسَلِّكٌ صَائِبْ ... لِأَنَّهُ أَعْطَى وِرْدًا أَوْ ضَرَبَ بِٱلشِّيشِ طَالِبْ

أَوْ شَاهَدُوهُ بِحُلْمٍ أَثْنَاءَ ٱلنَّوْمِ وَٱلْغَفْلَةْ ... ٱلإِنْسَانُ يُشَاهِدُ ٱلتَّقِيَّ وَٱلْعَاصِيَ وَٱلسَّفَلَةْ

ٱلْحُلُمُ لِلْغَافِلِ لَيْسَ بِعَلَامَةٍ وَلَا بِقِيَاسِ ... فَرُؤْيَةُ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ تَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ

فَٱلصَّادِقُونَ قَضَوْا أَوْقَاتَهُمْ بِٱلطَّاعَةِ وَٱلْمَشَقَّاتِ ... سِنِينَ طَوِيلَةً صَائِمِينَ سَاهِرِينَ بِٱلْخَلَوَاتِ

يَتَقَلَّبُونَ عَلَى جَمْرِ ٱلصَّبْرِ وَٱلاِنْتِظَارِ ... وَيَقْطَعُونَ مُشَاهَدَاتٍ مَمْلُوءَةً بِمَقَامَاتٍ وَأَخْطَارِ

اِنْتِظَارُ ٱلْمَقَامِ يَقْطَعُ لَهُمْ أَوْتَارَهُمْ ... لَا يَعْلَمُ إِلَّا ٱللهُ فُتُوحَهُمْ وَأَسْرَارَ أَخْبَارِهِمْ

يَتَلَقَّفُونَ ٱلْحَالَ وَٱلْمَقَامَ بِهِمَّةٍ بِٱلْخَفَاءِ ... يُقْذَفُ فِي قُلُوبِهِمْ وَهُمْ بِحَالِ ٱلصَّفَاءِ

قال ﷻ (البقرة١١١)

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ... عَلَيْنَا ٱلْحَذَرُ مِنْ مُقَلِّدِ ٱلسَّالِكِينَ

بَعْدَمَا يَنَالُ ٱلْوَاصِلُ إِجَازَةً وَتَرْخِيصًا ... يُسَلِّكُ ٱلطَّالِبِينَ لِأَنَّ فِيهِ سِرًّا نَفِيسًا

بِٱلْاِجْتِمَاعِ خَفِيٍّ عَنِ ٱلنَّاسِ ... يَحْضُرُهُ ٱلْكُمَّلُ بِيَقَظَةٍ خَالِيَةٍ مِنَ ٱلنُّعَاسِ

فَيَظْهَرُ فِي ٱلدِّيوَانِ سَيِّدُ ٱلْكَامِلِينَ ﷺ ... وَيُقَدِّمُ كِتَابًا فِيهِ أَسْرَارُ ٱلْمُرْشِدِينَ

فَيُطْبَعُ عَلَى ٱلْقَلْبِ بِحُرُوفٍ خَفِيَّةِ ... وَتَقْرَأُهُ ٱلأَفْكَارُ بِسُطُورِهِ ٱلْوَاضِحَةِ ٱلنَّقِيَّةِ

وَيَمْشِي عَلَى ذَلِكَ ٱلدُّسْتُورِ بِأَمْرِ ٱلْحَبِيبْ ﷺ ... فَيُصْبِحُ مُرْشِدًا مُسَلِّكًا مُعَالِجًا وَطَبِيبْ

حَيْثُ تَدُورُ حُرُوفُهُ فِي ٱلصُّدُورِ ... وَتُعَرِّفُهُ عَلَى كَيْفِيَّةِ ٱلْعَمَلِ بِمَا فِي ٱلسُّطُورِ

فَتَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ ٱلسَّادَةُ ٱلْعُلَمَاءْ ... وَتَأْتِيهِ ٱلإِشَارَاتُ مِنْ جِهَةِ ٱلسَّمَاءْ

وَيُطْبَعُ عَلَى جَبِينِهِ رُمُوزٌ خَفِيَّةْ ... مَنْ كَاشَفَهُ يَعْلَمُ مَا هِيَ ٱلْقَضِيَّةْ

فَهَذِهِ إِشَارَتُهُ وَبِٱللَّهِ وَحْدَهُ يَأْنَسُ ... وَٱلْهَوَى وَٱلنَّفْسُ وَٱلشَّيْطَانُ مِنْهُ يَخْنَسُ

يُلَازِمُهُ ٱلْحُزْنُ وَيَمُرُّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابْ ... وَيَتَمَنَّى لِسَائِرِ ٱلْخَلْقِ ٱلْهِدَايَةَ بِذَا ٱلْبَابْ

تَمْتَلِئُ لَطَائِفُهُ بِٱلذِّكْرِ وَٱلطَّاعَاتْ ... وَتَهْجُرُهُ ٱلْغَفْلَةُ وَٱلدُّنْيَا وَلَا تَفْتِنُهُ ٱلصِّنَاعَاتْ

فَعِنْدَ ٱنْتِهَائِهِ مِنْ مَشَقَّةِ ٱلسُّلُوكْ ... تَأْوِي إِلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ وَٱلْفُقَرَاءُ وَٱلْمُلُوكْ

وَإِلَى ٱلْخَلْقِ يُلْهِمُهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِمُ ٱلرُّجُوعْ ... بَعْدَمَا ٱسْتَوْحَشَ مِنْهُمْ بِذَا ٱلْمَوْضُوعْ

فَيَعُودُ إِلَيْهِمْ لِلْخِدْمَةِ وَٱلنَّصَائِحِ وَٱلإِرْشَادِ ... وَمُعَالَجَةِ قُلُوبِ وَلَطَائِفِ ٱلْعِبَادِ

وَلَا يَبْقَى بِقَلْبِهِ حَسَدٌ أَوْ أَحْقَادْ ... وَلَا ضَغَائِنُ وَلَا حُبٌّ لِلْحَرَامِ وَٱلْفَسَادْ

صَبُورٌ عَلَى ٱلْبَلَاءِ غَيُورٌ عَلَى دِينِهْ ... بِكُلِّ نَازِلَةٍ إِنْ شَاءَ رَبُّنَا ﷻ يُعِينُهْ

مُتَوَاضِعُ ٱلنَّفْسِ ذَلِيلٌ لِلَّهِ قَنُوعْ ... مُطِيعٌ يُسَبِّحُ بِٱلتَّجَلِّي وَٱلْخُشُوعْ

يُسْمَعُ لَهُ بِصَدْرِهِ خَرِيرٌ وَأَصْوَاتْ ... وَفِي سَائِرِ جَسَدِهِ ضَرَبَاتٌ وَدَقَّاتْ

تِلْكَ هِيَ ٱللَّطَائِفُ ٱلْمُتَزَكِّيَةُ ٱلصِّفَاتِ ... فَهِيَ لِعِلَاجِ ٱلْغَفَلَاتِ وَإِزَالَةِ ٱلآفَاتِ

قَدْ مَرَّ بِأَعْظَمِ حَوَادِثٍ بِسُلُوكِهِ ٱلْمَاضِي ... وَعَرَّفَهُ ٱللَّهُ كَيْفِيَّةَ عِلَاجِ ٱلْقَلْبِ ٱلصَّادِي

فَرُؤْيَةُ ٱلْحَبِيبِ ﷺ هِيَ لَهُ إِشَارَةُ مُرُورِهِ ... وَتَجَلِّي ٱلإِلَٰهِ هُوَ رَمْزُ عُبُورِهِ

لَا تُهِمُّهُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْجَنَّةُ فَرْحَتُهُ وَسُرُورُهُ ... وَمُصَاحَبَةُ ٱلْحَبِيبِ ﷺ نَعِيمُهُ وَحُضُورُهُ

مَمْلُوءٌ بِٱلإِحْسَاسِ وَٱلشُّعُورِ ٱلرَّقِيقْ ... فَمَنْ يُجَالِسُهُ فَلْيَكُنْ بِأَفْكَارِهِ دَقِيقْ

لِأَنَّهُ يَصِيرُ عَارِفًا بِالْخَوَاطِرِ كَشَّافْ يُطْلِعُهُ رَبُّنَا عَلَى بَوَاطِنِ الْأَجْلَافْ

حَيْثُ جِهَادُهُ مِنْ خُبْزِ الْبَلَاءِ تَنَاوَلَهُ وَصَبْرُهُ مِنْ مَاءٍ مَرِيرٍ قَدْ شَرِبَهُ

فِرَاشُهُ خُشُونَةُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءُ لِحَافُهْ يَصْعُبُ مَعْرِفَةُ قَلْبِهِ وَمَقَامِهِ وَوَصْفِهْ

هَنَاؤُهُ بِالْوَصْلِ الرُّوحَانِيِّ الْمُتَوَاصِلْ لَيْسَ لِمُجَاهَدَاتِهِ حَدٌّ وَلَا فَاصِلْ

دَارُهُ خُصِّصَتْ لِلْعِلَاجِ فَتَظُنُّهَا عِيَادَةْ تَأْتِيهِ الْخَلَائِقُ مِنَ الدُّنْيَا أَفْرَادًا أَفْرَادَا

يُرَبِّي عَلَى يَدَيْهِ الْأَوْلِيَاءَ وَالْمَجَاذِيبْ وَالْعَارِفِينَ وَالْأَبْدَالَ وَمَنْ لَهُ نَصِيبْ

وَلَا يُؤْخَذُ حَالُهُ بِمَالٍ أَوْ وِرَاثَةْ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ وَلَيْسَ شَهَادَةً لِبَحَّاثَةْ

فَإِنْ جَالَسْتَهُ يَتَغَيَّرُ نَظَرُكَ إِلَى الْمَسَافَاتِ وَتُكَاشِفُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمٰوَاتِ

وَتَذُوقُ بِصُحْبَتِهِ أَحْوَالًا وَمَعَارِفَ بَرَّاقَةْ وَتَسْتَشْعِرُ بِحَرَارَةِ أَنْوَارٍ وَفُيُوضَاتٍ حَرَّاقَةْ

فَهَذَا هُوَ الْمُرْشِدُ الْمَطْلُوبُ اللَّبِيبْ الْمُرَبَّى تَحْتَ أَنْظَارِ السَّيِّدِ الْحَبِيبْ ﷺ

وَالْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ الْمُرَبِّي الْمُجَازِ الْمُجْتَمِعِ رُوحِيًّا بِسَاكِنِ الْحِجَازِ ﷺ

وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْمُقَلِّدِ لِلْإِرْشَادِ وَالْمُدَّعِي الْمُلَقِّنِ لِلْأَوْرَادِ وَضَرْبِ الشِّيشِ بِلَا وَعِي

صِفَاتُ الْمُؤَهَّلِ لِلْإِرْشَادِ

الْمُرْشِدُ الْمَطْلُوبُ جَامِعٌ لِشَتَّى الْعُلُومِ وَمُبَرِّزٌ فِي الْمَنْقُولِ مِنْهَا وَالْمَفْهُومِ

لَيْسَ لَهُ إِلَّا خِدْمَةُ الْإِسْلَامِ غَايَةْ وَإِيصَالُ الْعَاشِقِينَ إِلَى مَقَامَاتِ النِّهَايَةْ

يُصَحِّي قَلْبَ مَنْ عَنِ الطَّرِيقِ سَهَا وَيَقْطَعُ يَدَ كُلِّ مَنْ بِالشَّرِّ الشَّرِيعَةَ مَسَّهَا

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَسَدًا ضِرْغَامًا وَشَمْسًا مُنِيرَةً وَبَدْرًا تَمَامًا

فَإِنَّهُ بِحَالِهِ وَمَقَامِهِ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ مُتَلَأْلِئُ الْقَلْبِ كَالدُّرِّ النَّظِيمِ

لَا يُشْتَرَى بِٱلذَّهَبِ وَٱلْكُنُوزِ ضَمِيرُهُ — فَٱلصِّدْقُ وَٱلإِخْلَاصُ وَٱلطَّاعَةُ لِلهِ سَمِيرُهُ

فَهُوَ أَمِينٌ عَلَى ٱلدِّينِ وَثِيقُ ٱلعُرَى — يَتَّهِمُهُ ٱلْمُغْرِضُ بِكُلِّ مَا فِيهِ ٱفْتِرَا

لِسَانُهُ نَظِيفٌ مِنْ تَجْرِيحِ ٱلْخَلَائِقِ — يَتَحَمَّلُ أَذَى ٱلْمُصِرِّينَ بِسَائِرِ ٱلدَّقَائِقِ

وَهُوَ تَارِكٌ ٱلدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ — مُقْبِلٌ عَلَى ٱلآخِرَةِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ

وَهُوَ إِمَامُ عَصْرِهِ وَقُطْبُ زَمَانِهِ — وَسُلْطَانُ ٱلعَارِفِينَ وَفَارِسُ مَيْدَانِهِ

تَنْفَلِقُ ٱلصُّخُورُ ٱلصُّمُّ عِنْدَ ٱسْتِمَاعِ تَحْذِيرِهِ — وَتَرْعَدُ فَرَائِصُ ٱلْحَاضِرِينَ بِمَجَالِسِ تَذْكِيرِهِ

فَهُوَ بَحْرٌ عَمِيقُ ٱلقَاعِ مُغْرِقْ — وَمَنْ تَعَدَّى وَحَارَبَهُ بِنَارِهِ حُرِقْ

فَهُوَ لِأَرْفَعِ ٱلْمَنَاصِبِ وَٱلْمَقَامَاتِ أَهْلَا — ذُو هِمَّةٍ كَٱلْجِبَالِ بَلْ أَعْلَى

تُضْرَبُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلعِلْمِ ٱلأَمْثَالُ — وَإِلَيْهِ لِكَسْبِ ٱلْمَعْرِفَةِ تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ

لِأَنَّهُ صَاحِبُ حَالٍ وَقُطْبُ ٱلوُجُودِ — وَبِقَلْبِهِ بَرَكَاتٌ مِنَ ٱللهِ لِكُلِّ مَوْجُودِ

لَهُ تَوَجُّهَاتٌ يُضِيءُ بِهَا ٱلظَّلْمَاءْ — وَمَنْزِلَتُهُ أَعْلَى مِنْ نُجُومِ ٱلسَّمَاءْ

وَهُوَ ٱلَّذِي فَتَحَ ٱللهُ ﷻ قَلْبَهُ — وَعَرَّفَهُ عَلَى أَنْوَارِهِ وَكَشَفَ دَرْبَهُ

فَهُوَ أَشَدُّ ٱلنَّاسِ حِفْظًا لِلشَّرِيعَةْ — لِأَنَّ جَمِيعَ لَطَائِفِهِ لِلهِ مُطِيعَةْ

وَبِٱلقُرْبِ ٱلإِلَهِيِّ ٱلْمَعْنَوِيِّ مَوْصُولْ — وَمَفْتُوحٌ عَلَيْهِ فِي مُشَاهَدَةِ أَنْوَارِ ٱلرَّسُولْ ﷺ

تَمَكَّنَ قَلْبُهُ وَثَبَتَ حَالُهُ وَفَازْ — بِٱلْمَقَامَاتِ ٱلْمَرْضِيَّةِ وَقَطَعَهَا بِٱمْتِيَازْ

وَٱلْمُرْشِدُ يُعْطِي بِٱللهِ وَبِٱللهِ يَمْنَعُ — فَيَكُونُ مَعَ ٱلأَشْيَاءِ بِمُرَادِ ٱللهِ يَجْمَعُ

لَا بِمُرَادِ نَفْسِهِ يَجْمَعُ ٱلْقُلُوبَ لِمَحَبَّتِهِ — وَيَجْمَعُ ٱلأَمْوَالَ تَحْتَ سُلْطَتِهِ



← الصوفي النقشبندي أحمد صقزي ـ إيران

المرشد الشيخ محمد با علوي المالكي ـ مكة المكرمة ←

مخالفة المريد السالك للشيخ

المرشد المربي إذا أوصل مريده للإرشاد   فليس معنى ذلك أنه تفوق عليه بالأمداد

ولو سلمنا أنه عليه قد تفوق   فيبقى حال قلبه مربوطا مطوق

بيد أسرار مرشده المربي بقيود معنوية   لئلا يحصل له تبديل بالخواطر النفسية

لا ترضي ميزان مرشده في تلك الآونة   فيرمي خواطره التي تداعب باطنه

ويزجرها بسهام الهمة وعقاب التسكير   وإغلاق الفتح عليه مهما كان كبير

وقد يحصل من المرشد السالك ذلك   بدون تعد بل يبغي سرعة الوصول للمسالك

النورانية في طرق السموات فيختار   أمرا يريحه بما عنده من الأسرار

فيكون ذلك الحال مضرا لقلبه   وهو يعلم خطورة ألم العقاب وسلبه

فإذا سلبه غضب مرشده أضناه   حتى يربيه كتمرين لزيادة غناه

في المعرفة والمقامات والأحوال الراقية   فيبقى شهورا في متاعب روحية مضنية

إلى أن يأتيه العفو بعد قطعه   لأشواط طويلة وقد يتحسن وضعه

فيخجل من نفسه بعد ما يعلم   أن المنع لم يكن انتقاما ويفهم

أن المرشد يمثل الرحمة النبوية   ويقلب له الأخطاء للتربية كهدية

لأنه جاء لإصلاح العباد والمساعدة   والكثير لا يعلم عظمة هذه القاعدة

أما المعاند من غير المرشدين   فإذا خالف قواعد الشرع المبين

ووعظه المربي بالزجر الروحاني   وأبى الرجوع عن خطه الشيطاني

فينهش خواطر قلبه الوسواس   فيبقى عليلا مثل فلان من الناس

إلى أن يتوب ويأتيه إخلاء السبيل   رحمة من مولاه ربنا الجليل

ومن يعاند ويرفض التوبة النصوح   يقع في مهالك ويصاب قلبه بجروح

يتقلب بمزالق ومهالك لا توصف لشدتها   والخاتمة قد تكون خطيرة مريرة في حدتها

فلا يقدم على مثل تلك الأخطار   إلا معاند جاهل بعظمة القهار

إِذَا ٱنْتَهَى تَسْلِيكُ ٱلْمُرِيدِ ٱلْمُرْشِدْ   لِلْكَمَالِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ شَيْءٌ مُفْسِدْ

لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ وَصَلَ إِلَى مَقَامَاتِ ٱلتَّزْكِيَةْ   فَلَا يَصْدُرُ عَنْ أَمْثَالِهِ ٱلْعِلَلُ ٱلْمُرْدِيَةْ

لَكِنْ بِحَالِ سُلُوكِهِ يَتَعَرَّضُ لِمُفَاجَآتٍ   غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ تَأْتِي مِنْ كُلِّ ٱلِاتِّجَاهَاتِ

وَتَكُونُ لَهُ مُفِيدَةً فِيمَا بَعْدُ تِلْكَ ٱلتَّمَارِينْ   تُقَوِّيهِ فِي دِينِهِ لِيَقُومَ بِتَرْبِيَةِ ٱلْآخَرِينْ

قَالَ ﷻ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك ١-٢)

ٱلْمُرِيدُ ٱلسَّالِكُ بَعْدَ رَحِيلِ ٱلْمُرْشِدِ

ٱلْمُرِيدُونَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى عِدَّةِ أَقْسَامْ   كَمَا سَنَشْرَحُ فِيمَا بَعْدُ عَنْ رَابِطَةِ ٱلْأَنَامْ

أَرْقَاهُمُ ٱلْمُرِيدُ ٱلسَّالِكُ ٱلْمَوْصُولْ   يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهِ وَقَلْبِهِ إِشَارَاتُ ٱلْوُصُولْ

وَهُوَ صَاحِبُ ٱلرَّابِطَةِ ٱلْأَسَاسِيَّةْ   وَعِنْدَهُ ٱلْوَسِيلَةُ لِتَشْغِيلِ ٱلْأَجْهِزَةِ ٱلْبَاطِنِيَّةْ

ٱلْمُحَرِّكَةِ لِعَجَلَةِ ٱلسُّلُوكِ بِحَسَبِ وَظِيفَتِهِ   وَهَٰذَا حَالٌ مُمَيَّزٌ وَنَادِرٌ فِي صِفَتِهِ

لِأَنَّ ٱلْمُرْشِدَ قَبْلَ رَحِيلِهِ يَضَعُ أُمُورًا   فِي ٱلْمُرِيدِ ٱلسَّالِكِ يَشُقُّ بِوَاسِطَتِهَا بُحُورًا

وَيُخْفِي حَالَهُ عَلَى كِبَارِ أَهْلِ ٱلْقُلُوبِ ٱلرَّاقِيَةِ   فَيَنَالُ كُلٌّ بِحَسَبِ هِمَّتِهِ وَقُدُرَاتِهِ ٱلْبَاقِيَةِ

تِلْكَ هِيَ إِشَارَاتٌ وَرُمُوزُ ٱلْخَلِيفَةْ   وَلَوْ لَمْ يَنَلْ بِٱلدُّنْيَا إِجَازَةً ظَرِيفَةْ

وَأَهْلُ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْعَارِفُونَ يَكْشِفُونَ حَالَهْ   يَقْرَؤُونَ صَحِيفَةَ صَدْرِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَقَالَةْ

وَرُبَّمَا يُصْبِحُ مِنْ أَهْلِ ٱلسِّلْسِلَةْ   فَتَظْهَرُ عَلَيْهِ بَوَارِقُ نُورَانِيَّةٌ مُجَلْجِلَةْ

أَوْ يَنَالُ مَرْتَبَةَ مُرْشِدٍ مُسْتَقِلّْ   فَكَرَامَاتُهُ وَخَوَارِقُهُ عَلَيْهِ تَرْمُزُ وَتَدُلّْ

أَمَّا مَنْ بَقِيَ فِي صَدْرِهِ بَعْضُ ٱلْمُكَاشَفَاتِ   وَكَانَ دُونَ ٱلْأَوَّلِ فَلَا تُفِيدُهُ فِي ٱلْمُهِمَّاتِ

بَلْ تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِهِ آثَارُ جَذَبَاتٍ مَاضِيَةْ   مِنْ آثَارِ صُحْبَتِهِ لِصَاحِبِ ٱلنَّفْسِ ٱلرَّاضِيَةْ

مُرْشِدِهِ ٱلْكَامِلِ ٱلْمُرَبِّي ٱلَّذِي رَحَلْ   عَنْ هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا وَبِرِضَى رَبِّهِ ٱنْشَغَلْ

وَمَا شَرَحْنَا مِنْ ذَرَّاتِ ٱلْمَعْرِفَةِ ٱلْقَلِيلَةِ   تُفِيدُ ، بِإِذْنِ ٱللهِ ، أَصْحَابَ ٱلنُّفُوسِ ٱلْجَلِيلَةِ

مَلْمَةُ الاسْتِعَارَاتِ الرُّوحِيَّةِ قَبْلَ الرَّحِيلِ

قَالَ أَهْلُ الْخِبْرَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ النَّفْسِيَّةْ   عَالَمُ الْبَاطِنِ كُلُّهُ مُفَاجَآتٌ نُورَانِيَّةْ

لَا يَصِحُّ التَّعَامُلُ مَعَ الْأَمْوَاتِ   بَلْ يَصِحُّ التَّعَامُلُ مَعَ رُوحَانِيَّاتِهِمْ لَا مَعَ الذَّوَاتِ

فَبِحَسَبِ التَّجَارُبِ قَدْ لَمَسْنَا بِالشُّهُودِ   قَبْلَ انْتِقَالِ الْمُرْشِدِ إِلَى بَرْزَخِ الْمَعْبُودِ

مِنْ بَيْنِ مُرِيدِيهِ مِنْ أَرْضِ التَّكْلِيفِ   إِلَى بَرْزَخِ الْآخِرَةِ بِسَمَاءِ التَّشْرِيفِ

فَيُلْهِمُهُ رَبُّهُ أَنْ يَلُمَّ مِنْ صُدُورِ فِرْقَتِهْ   الْاسْتِعَارَاتِ الْقَلْبِيَّةَ وَيَجْمَعَ مِنْهُمْ عُدَّتَهْ

الْعِرْفَانِيَّةَ مِنْ مَخَابِئِ قُلُوبِهِمُ الذَّاكِرَةِ   الْمَسْمُوحُ لَهُ مِنَ اللهِ بِمَعْرِفَتِهَا الْمُتَطَوِّرَةِ

مِثْلُ إِعَارَتِهِ لِلرَّابِطَةِ وَالْقُدُرَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ   وَبَعْضِ الْكُشُوفَاتِ وَالْاسْتِعَارَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ

فَهُنَا يَعْلَمُ كُلُّ مُرِيدٍ أَثْنَاءَهَا   أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ فِي اكْتِسَابِهَا

فَآلَاتُ الْبَاطِنِ الَّتِي بِالْاسْتِعَارَةِ أَعَانَتْهُمْ   وَهِيَ أَدْخَلَتْهُمْ هَيْكَلَ السُّلُوكِ وَقَدَّمَتْهُمْ

وَمَا هِيَ إِلَّا وَاسِطَةٌ شَرْعِيَّةٌ نُورَانِيَّةْ   مُسْتَعَارَةٌ مِنَ الْمُرْشِدِ بِطَرِيقَةٍ خَفِيَّةْ

فَإِذَا سُحِبَتْ يَقِفُ مُحَرِّكُ السُّلُوكِ وَالسَّيْرِ   وَتَنْغَلِقُ أَبْوَابُ الْمُشَاهَدَاتِ وَالْخَيْرِ

فَيَتَوَتَّرُ الْبَاطِنُ وَيَقَعُ الْفِكْرُ بِالْإِصَابَةْ   وَتَتَشَوَّشُ أَهْدَافُ الْقَلْبِ حَيْثُ لَا رَقَابَةْ

وَتَهِيجُ النَّفْسُ وَيَضِيقُ الصَّدْرْ   وَتَتَبَدَّلُ الْهِمَّةُ وَيَتَمَنَّى النُّزُولَ إِلَى الْقَبْرْ

وَتَشْمَلُ الْحَيْرَةُ أَهْلَ الْخَلَوَاتِ وَالصَّالِحِينَ   مِنْ مَرَارَةِ فُقْدَانِ عُثْمَانَ وَالْمُرْشِدِينَ

وَيَشْعُرُونَ بِمَرَارَةٍ آتِيَةٍ مَعَ الْغُيُومِ   وَتَرْجُفُ الْقُلُوبُ مِنْ قَضَاءِ الْقَيُّومِ

فَتَقَعُ الْفِتَنُ وَالتَّشَاحُنُ وَالْقَلَاقِلْ   وَالْكُلُّ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ وَهُوَ غَيْرُ سَائِلْ

فَتَدُورُ وَتَحُورُ الْمَشَاكِلُ الْمُتْعِبَةُ وَالتَّفْرِقَةْ   حَتَّى يُظْهِرَ اللهُ مُرْشِدًا بِأَنْوَارِهِ الْمُشْرِقَةْ

عَلَامَةُ وُصُولِ ٱلسَّالِكِ لِلْإِرْشَادِ

ٱلسَّالِكُ ٱلْكَبِيرُ تَمُرُّ عَلَيْهِ إِشَارَاتْ ... وَيُشَاهِدُ رُمُوزًا مُتَنَوِّعَةً وَبِشَارَاتْ

مِنَ ٱلرَّحَمَاتِ وَأَنْوَارًا كَٱلشَّمْسِ ٱللَّامِعَةْ ... وَمَعَارِفَ وَكُشُوفَاتٍ وَمَقَامَاتٍ جَامِعَةْ

وَمَعَ ذَلِكَ ٱلْعَطَاءِ فَإِنَّهُ يَجْهَلُ بِوُصُولِهِ ... حِكْمَةً مِنَ ٱللهِ لِمُتَابَعَةِ حَقَائِقِ دُسْتُورِهِ

فَإِذَا وَصَلَ لِلْإِرْشَادِ وَهُوَ يَعْمَلُ بِرَابِطَةِ ... شَيْخِهِ وَحَصَلَ عَلَى حَظِّهِ مِنَ ٱلْأَنْوَارِ ٱلْهَابِطَةِ

تَظْهَرُ صُورَةُ مُرْشِدِهِ كَامِلَةً عِرْفَانَا ... ثُمَّ تَظْهَرُ صُورَةُ شَخْصِهِ مُجَلَّلَةً عِيَانَا

كَمَا تَظْهَرُ صُورَتُهُ بِٱلْمِرْآةِ إِذَا إِلَيْهَا نَظَرْ ... فَيُشَاهِدُ صُورَتَهُ مَمْلُوءَةً مَعَارِفَ وَعِبَرْ

يَنْبَهِرُ بِهَا ٱلسَّالِكُ لِمُشَاهَدَةِ شَخْصِهِ ... فَيُلْهِمُهُ ٱللهُ بِذَلِكَ عَنْ وُصُولِ نَفْسِهِ

لِمَقَامَاتِ ٱلْإِرْشَادِ وَتِلْكَ هِيَ إِشَارَةْ ... وَإِذَا تَكَرَّرَتْ مُشَاهَدَتُهُ لِصُورَتِهِ فَهِيَ بِشَارَةْ

ٱلتَّعَمُّقِ فِي مَقَامَاتِ ٱلْإِرْشَادِ ٱلْكَامِلْ ... فَيَنَالُ إِجَازَةً صُورِيَّةً بِأَنَّهُ مُرْشِدٌ عَامِلْ

هَذَا إِذَا كَانَ مُرْشِدُهُ قَدْ غَابَ عَنْهُ ... وَلَهُ مُتَابَعَةُ سُلُوكٍ مَعْنَوِيَّةٌ مِنْهُ

أَمَّا إِذَا كَانَ مُرْشِدُهُ حَاضِرًا بِٱلْحَيَاةِ ... فَإِجَازَتُهُ تَكُونُ خَطِّيَّةً وَاضِحَةَ ٱلْإِشَارَاتِ

يُدَوِّنُ فِيهَا مَا يَظْهَرُ لِلْمُرْشِدِ بِصَحِيفَةِ سُلُوكِهْ ... مِمَّا شَاءَ لَهُ ٱلْمَوْلَى تَعَالَى أَنْ يَذُوقَهْ

فَيَقُولُ ٱلْمُرْشِدُ قَدْ ظَهَرَ لَنَا بِطَرِيقِ ٱلْعِرْفَانِ ... كَشْفًا يَقِينًا بِٱلْعَيْنِ ٱلثَّالِثَةِ وَٱلْجَنَانِ

أَنَّ فُلَانًا قَدْ وَصَلَ لِمَقَامَاتِ ٱلتَّحَيُّرِ ٱلرَّاقِي ... وَٱنْصَبَّ عَلَى قَلْبِهِ أَرْقَى ٱلْأَذْوَاقِ

وَيَشْرَحُ مُطَوَّلًا مِنْ حَالِهِ مَا تَبَقَّى ... وَيُخْبِرُ أَنَّهُ بَيْنَ أَقْرَانِهِ هُوَ ٱلْأَرْقَى



→ الشيخ الصوفي نعمة الله ـ تركيا

الصوفي الشيخ أبو أحمد المغربي ـ المغرب ←

اَلْمُرْشِدُونَ لَا يُخَالِفُونَ ٱلشَّرِيعَةَ

زَعَمُوا أَنَّ ٱلشَّيْخَ عُثْمَانَ ﵁ سِرَاجَ ٱلدِّينِ ... قَالَ: أُصِيبَ أَيُّوبُ ﵇ بِٱبْتِلَاءٍ مُهِينِ

وَخَرَجَ ٱلدُّودُ مِنْ لَحْمِهِ بِكَثْرَةٍ عَجِيبَةٍ ... فَأَخَذَ أَيُّوبُ ﵇ يَرُدُّهُ عَنْهُ بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ

هَـذَا كَـذِبٌ وَٱفْـتِرَاءٌ عَلَـى ٱلْأَوْلِيَـاءِ ﵃ ... تِلْكَ عَادَةُ ٱلشَّيَاطِينِ ٱلْمَكَّارَةِ وَٱلْأَشْقِيَاءِ

زَعَـمَ هَـذَا مَحْمُـو..(س) مِـنَ ٱلْعَـرَبِ ... وَأَشَاعَهُ ٱلشَّيْءَ.. إِدْرِيسُ ٱلْمُصَابُ بِٱلْجَرَبِ

ٱلْجَرَبِ ٱلنَّفْسِـيِّ وَٱلْحَسَـدِ وَٱلْبُهْتَانِ ... فَيَا حَسْرَةً عَلَى دُعَاةِ آخِرِ ٱلزَّمَانِ

فَكُلُّ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ يُخَالِفُ ٱلشَّرِيعَةْ ... يَتَّهِمُونَ بِهِ ٱلْأَوْلِيَاءَ ﵃ وَيُرَوِّجُونَهُ كَذَرِيعَةْ

فَٱلْأَوْلِيَاءُ ﵃ أَبْرِيَاءُ مِنْ سَائِرِ ٱلْمُخَالَفَاتِ ... ٱلشَّرْعِيَّةِ وَمُخَالَفَةِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْآيَاتِ

وَٱلنَّاقِلُ عَنْهُمْ خِلَافَ ذَلِكَ هُوَ فَتَّانْ ... وَأَخُ ٱلشَّيْطَانِ بِٱلْأَذَى وَصَدِيقُ ٱلْجَانّ

أَعْمَالُ ٱلْمُرْشِدِ

اَلتَّصَوُّفُ ٱلْحَقِيقِيُّ مَفْقُودَةٌ رِجَالُهُ بِٱلْبِلَادِ ... وَأَكْثَرُ ٱلْغَافِلِينَ يَدَّعُونَ إِرْشَادَ ٱلْعِبَادِ

اَلْمُرْشِـدُ صُـوفِيٌّ وَاصِـلٌ كَامِـلُ ... وَهُـوَ بِٱلشَّـرْعِ وَٱلتَّوْحِيـدِ عَامِـلُ

تَتَوَافَـدُ عَلَيْـهِ ٱلْعُلَمَـاءُ وَٱلْعُبَّـادْ ... وَيُـذَاعُ صِيتُهُ فِي ٱلْأَمْصَـارِ وَٱلْـبِلَادْ

فَيُعْطِيـهِ رَبُّـهُ ﷻ أَسْـرَارًا لِيُعَـالِجَ ... سَـائِرَ ٱلْأَمْـرَاضِ ٱلْمُسْتَعْصِيَةِ وَٱلْفَالِجَ

فَيُحِسُّ ٱلطَّالِبُ بِتَغَيُّرَاتٍ وَتَبَدُّلَاتٍ فِي حَالِـهِ ... وَتَسْكُنُ ٱلطُّمَأْنِينَةُ فِي قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ وَبَالِهِ

يَعْمَلُ بِمِنْظَارٍ نُورَانِيٍّ لِتَخْفِيفِ ٱلظُّلُمَاتِ ... مِـنْ قُلُـوبِ ٱلْعُصَـاةِ بِسِـرِّ ٱلْآيَـاتِ

وَيَصَعُ بِفَضْلِ اللهِ الْهِمَّةَ وَالْقَبُولْ ... لِأَنَّهُ يَحْمِلُ مِنْ أَسْرَارِ الرَّسُولْ ﷺ

وَيُقَوِّي الْقُدُرَاتِ وَاللَّطَائِفَ بِالْأَسْرَارِ ... وَيُغَذِّيهَا بِالشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأَذْكَارِ

وَيُعَالِجُ الْقُلُوبَ وَالنُّفُوسَ الْعَلِيلَةَ ... بِرَحَمَاتٍ نُورَانِيَّةٍ تُبَدِّلُ أَحْوَالَهَا الْكَلِيلَةَ

وَيُغَيِّرُ حَالَهُ السُّلُوكِيَّ لِلطَّالِبِ الْقَابِلِ ... وَمَعْ كُلِّ ذَلِكَ يَرْمِيهِ الْحَاسِدُ بِالْقَنَابِلِ

وَيُعَالِجُ الْبَوَاطِنَ مِنَ الرَّذَالَةِ ... حَيْثُ تَتَجَمَّعُ الْمَعَاصِي كَالزُّبَالَةِ

وَيُسَاعِدُ الْمُرَاقِبَ لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْإِيمَانِ ... وَمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْقُرْبِ، وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَنْ

وَيُرَبِّي الْمُرِيدِينَ بِالْأَنْظَارِ مَعَ الْحَذَرْ ... لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَتَلَقَّنُ الطَّرِيقَةَ ثُمَّ يَعْتَذِرْ

فَإِنَّ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ عَمَلٌ ثَقِيلْ ... لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلْ

فَالصُّوفِيَّةُ هُمْ كَأَمْثَالِ الْجِيلِيِّ ﵁ وَالْأَوْزَاعِيِّ ﵁ ... وَالْبَدَوِيِّ ﵁ وَالشَّاذِلِيِّ ﵁ وَالدَّسُوقِيِّ ﵁ وَالرِّفَاعِيِّ ﵁

فَلْيَسْتَحِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِثْلُ هَذِهِ الْفِئَةِ ... وَلْيَخْجَلْ مِنِ ادِّعَائِهِ أَنَّهُ صُوفِيٌّ مِئَةٌ بِالْمِئَةِ

إِنْعِكَاسُ حَالِ الْمُرْشِدِ عَلَى الْمُرِيدِ

لِمَعْرِفَةِ الْمُرْشِدِ إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ مُهِمَّةْ ... مِنْهَا انْصِبَاغُ الْمُرِيدِ فِي أَحْوَالِ مُرْشِدِ الْأُمَّةْ

إِنْ كَانَ الْمُرْشِدُ صَادِقًا وَوَاصِلًا ... كَانَ انْعِكَاسُ حَالِهِ عَلَى الْمُرِيدِ حَاصِلًا

فَيَنَالُ مِنْ أَحْوَالِ الْمُرْشِدِ بِصُحْبَتِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ ... كُلَّمَا تَكَرَّرَتِ الصُّحْبَةُ نَمَتْ بِطَرِيقَةٍ رَائِعَةِ

إِنْ كَانَ الْمُرْشِدُ عَارِفًا حَقًّا انْتَقَلْ ... شَيْءٌ مِنْ عِرْفَانِهِ لِقَلْبِ الْمُصَاحِبِ الْمُتَّصِلْ

أَوْ مُكَاشِفًا انْتَقَلَ الْكَشْفُ كَالْمِرْآةِ ... إِلَى صَدْرِ الْمُرِيدِ وَلِقَلْبِهِ بِالذَّاتِ

فَسَائِرُ الْمَعَارِفِ الْمُتَنَوِّعَةِ لِلْمُرْشِدِ الْكَامِلْ ... يَأْخُذُ مِنْهَا الْمُرِيدُ وَيَصِيرُ لَهُ مِنْهَا حَاصِلْ

فَإِذَا صَاحَبَ الْمُرِيدُ مُدَّعِيًا لِلْإِرْشَادِ ... وَلَمْ تَنْعَكِسْ عَلَيْهِ الْمَعَارِفُ بِذَلِكَ الْجِهَادِ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْهَرْوَلَةُ وَٱلْهُرُوبُ وَهِجْرَانُهُ   وَطَرْدُ صُورَتِهِ مِنْ قَلْبِهِ وَنُكْرَانُهُ

لِأَنَّهُ إِنْ ثَبَتَتْ صُورَتُهُ بِٱلْقَلْبِ أَضَرَّتْهُ   وَإِذَا طَارَتْ حَوْلَ ٱلْفِكْرِ أَفْسَدَتْهُ

فَتَرْمِيهِ بِٱلْوَسْوَاسِ وَٱلثِّقَلِ ٱلْمَعْنَوِيِّ   فَٱطَّلِعْ عَلَى تَصَوُّفِ ٱلْعَارِفِ ٱلْمَثْنَوِيِّ

وَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلصَّاحِبَ سَاحِبْ   فَلَا تَكُنْ بِٱلْقِيَامَةِ ذَا وَجْهٍ شَاحِبْ

لَا يَعْلَمُ تِلْكَ ٱلسُّمُومَ ٱلضَّارَّةَ إِلَّا قِلَّةْ   مِنَ ٱلْمُخْلِصِينَ أَصْحَابِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْبَاسِلَةْ

ٱلشَّيْخُ وَٱلْمُرِيدُ ٱلصَّادِقُ

ٱلشَّيْخُ هُوَ ٱلَّذِي يُحَبِّبُ ٱلنَّاسَ بِرَبِّهِمْ   يُرْشِدُ قُلُوبَهُمْ وَيَدُلُّهُمْ عَلَى دَرْبِهِمْ

وَرُتْبَةُ ٱلْمَشْيَخَةِ أَعْلَى رُتَبِ ٱلصُّوفِيَّةِ   لِأَنَّهُ يَسْلُكُ بِٱلْمُرِيدِ طَرِيقَ ٱلتَّزْكِيَةِ ٱلنُّورَانِيَّةِ

إِذَا تَزَكَّتِ ٱلنَّفْسُ ٱنْجَلَتْ مِرْآةُ ٱلْقَلْبِ   وَٱنْعَكَسَتْ فِيهِ أَنْوَارُ عَظَمَةِ ٱلرَّبِّ

وَلَاحَ فِيهِ جَمَالُ نُورِ ٱلتَّوْحِيدِ   وَظَهَرَتْ مَعَانِي ٱلظَّفَرِ بِرِضَى ٱلْمَجِيدِ

ٱلْمُرْشِدُ مَرْتَبَتُهُ نُورَانِيَّةٌ يُرْشِدُ بِهَا ٱلْمُرِيدِينَ   وَيَهْدِي بِنُورِهَا أَكْثَرَ ٱلطَّالِبِينَ

وَيَشْرَحُ نُفُوسَ ٱلسَّالِكِينَ بِمَعْرِفَةٍ رَبَّانِيَّةٍ   وَيُرَبِّي قُلُوبَ ٱلْمُرِيدِينَ بِتَوَجُّهَاتٍ قُدْسِيَّةٍ

حَتَّى يُصْبِحَ ٱلْمُرِيدُ جُزْءًا مِنْ قَلْبِ ٱلشَّيْخِ   بَعْدَ أَنْ يَنْزِعَ مِنْهُ كُلَّ جَهْلٍ وَزَيْغِ

وَقَدْ يُسَمَّى ٱلْمُرْشِدُ أَبَا ٱلرُّوحْ   حَيْثُ يَهْبِطُ عَلَيْهَا مِنْ رَبِّهَا ٱلْفُتُوحْ

وَتَتَوَلَّدُ ٱلرُّوحَانِيَّةُ ٱلنُّورَانِيَّةُ مِنْ بَرَكَتِهَا   فَتَثْبُتُ فِي صَدْرِ ٱلْمُرِيدِ ٱلرَّابِطَةُ وَدَرَجَاتُهَا

يُصْبِحُ بَعْدَهَا مُوَفَّقًا لِدُخُولِ ٱلْخَلْوَةِ   وَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ مِنْ شَيْخِهِ أَسْرَارٌ بِٱلْجَلْوَةِ

مَعَارِفُ وَمَعْلُومَاتٌ وَرُمُوزٌ دِينِيَّةْ   وَيَسْتَنِيرُ بِأَنْوَارِ ٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلْعَلِيَّةْ

وَيَرْتَوِي مِنْ عِرْفَانِ بِحَارِ ٱلْحَالْ   فَتَفِيضُ مِنْ بَاطِنِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ ٱلْأَحْوَالْ

يَلِينُ جِلْدُهُ وَيَقْشَعِرُّ وَيَصْفُو قَلْبُهُ ... وَيُصْبِحُ ٱلْمُرِيدُ عِنْدَ ٱلشَّيْخِ مِنْ سِرْبِهْ

قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ٱلْعَزِيزِ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر ٢٣).

هَـٰذَا لِمَنْ عَبَدَ ٱللهَ وَأَطَاعَهُ حَقًّا ... وَآمَنَ بِهِ وَعَمِلَ بِدِينِهِ صِدْقًا

يُصْبِحُ خَفِيفَ ٱلظِّلِّ ظَرِيفًا لَطِيفًا ... وَيَسْقُطُ عَنْهُ كُلُّ حِجَابٍ وَإِنْ كَانَ كَثِيفًا

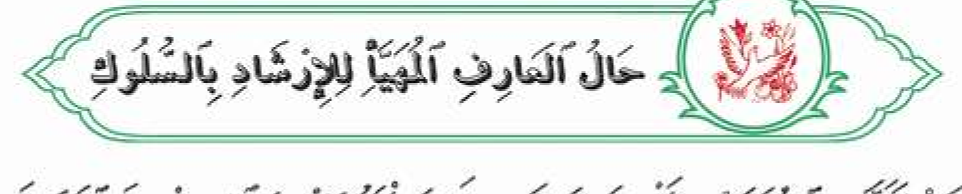
فَإِذَا صَارَ نَظَرُهُ ثَاقِبًا وَفِيهِ دَوَاءٌ ... وَكَلَامُهُ مُؤَثِّرًا يَجْذِبُ وَفِيهِ شِفَاءٌ

فَهَـٰذِهِ إِشَارَةُ عُبُورِهِ خَطَّ ٱلْإِرْشَادِ ... فَتَتَهَيَّأُ لَهُ قُلُوبُ ٱلْعِبَادِ بِٱلْبِلَادِ

وَهُوَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ يَكُونُ ٱلْخَلِيفَةْ ... أَوِ ٱلْمُرْشِدَ ٱلْمُسْتَقِلَّ بِأَنْوَارِهِ ٱلظَّرِيفَةْ

تَدْخُلُ إِلَى بَاطِنِهِ رُوحَانِيَّةُ مُرْشِدِهْ ... يُشَاهِدُ ذَلِكَ ٱلْعَارِفُونَ وَٱلْعُلَمَاءُ تُؤَيِّدُهْ

وَيَنْفَعُ ٱلطَّالِبِينَ بِحَالِهِ ٱلنُّورَانِيِّ ٱلْجَدِيدِ ... فَتَتَبَدَّلُ ٱلْقُلُوبُ لِحَالٍ رُوحَانِيٍّ سَعِيدِ



حَالُ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُهَيَّأِ لِلْإِرْشَادِ بِٱلسُّلُوكِ

لَوْ تَجَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ أَلْفَ مَرَّةِ ... لَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ بِتِلْكَ ٱلْمَسَرَّةِ

لَوْ خَرَجَ مِنَ ٱلتَّجَلِّي بَعْدَ ثَوَانِ ... كَانَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْقَ شَيْئًا بِذَلِكَ ٱلْأَوَانِ

وَلَكِنَّهَا تُصْبِحُ مِنْ سِجِلَّاتِهِ وَٱلْمَعَارِفْ ... لِقَصْدِهِ رَبَّهُ وَهُوَ لِلرَّحَمَاتِ غَارِفْ

فَعِرْفَانُهُ يُمَيِّزُ لَهُ نَوْعِيَّةَ ٱلْمُتَابَعَةْ ... وَتَدُلُّهُ ٱلْإِشَارَاتُ ٱلنُّورَانِيَّةُ ٱلْمُبْدِعَةْ

فَلَا يَسْتَعْمِلُ فَهْمَهُ وَخَوَاطِرَهُ وَلَا آرَاءَهْ ... وَلَا يَتْبَعُ نَفْسَهُ مِنْ شِدَّةِ صَفَائِهْ

حَيْثُ لَا تَتَنَاسَبُ مَعَ رِحْلَتِهِ ٱلرُّوحِيَّةْ   تِلْكَ ٱلْخَوَاطِرُ وَٱلْعَرْقَلَاتُ ٱلنَّفْسِيَّةْ

بَلْ يَعْمَلُ حَسْبَ إِشَارَاتٍ تَأْتِيهِ شَرِيفَةْ   فَتُفَسَّرُ قَلْبِيًّا حَسْبَ ٱلْآيَاتِ وَٱلْأَحَادِيثِ ٱلْمُنِيفَةْ

وَتَكُونُ رَابِطَتُهُ مُتَحَرِّكَةً دَائِمًا شَغَّالَةً   وَسَائِرُ لَطَائِفِهِ مُتَحَرِّكَةُ ٱلنَّبَضَاتِ فَعَّالَةً

فَرُوحَانِيَّتُهُ ٱلْمُتَحَرِّكَةُ تَذْهَبُ لِلْمَكَانْ   ٱلَّذِي تَجِدُ فِيهِ عِرْفَانَهَا وَغِذَاءَهَا وَٱلْأَمَانْ

لِأَنَّ تَعَلُّقَهَا ٱلْقَلْبِيَّ ٱنْدَمَجَ وَٱخْتَلَطَ   فِي ٱلْاِنْصِبَاغِ ٱلْمَعْنَوِيِّ وَبِٱلْقِمَّةِ ٱرْتَبَطَ

حِينَ رَحِيلِ مُرْشِدِهِ يُحِسُّ بِأَلَمِ   لَا يَتَعَلَّقُ بِنَوْعِيَّةِ ٱلْفُقْدَانِ ٱلْمُعْتِمِ

لِأَنَّ صُورَةَ ٱلْوُصُولِ مَطْبُوعَةٌ فِي أَفْكَارِهِ   وَٱلْمُشَاهَدَاتِ بِصُحْبَةِ أَوْرَادِهِ وَأَذْكَارِهِ

فَيَعِيشُ دَوْمًا بِصُوَرِ رَابِطَةٍ مُخْتَلِفَةْ   وَمَعَارِفَ ذَوْقِيَّةٍ تُسَلِّي قَلْبَهُ وَتُسْعِفُهْ

فَلَا يَلْتَفِتُ لِمَقَامِ ٱلْإِرْشَادِ ٱلْمُحْتَمَلِ   فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ وَارِدُ ٱلْحَيَاءِ وَٱلْخَجَلِ

لَا يَقْبَلُ بِإِشَارَاتِ ٱلْأَحْلَامِ وَمَا فِيهَا مِنْ أَوَامِرْ   لِأَنَّهُ تَعَوَّدَ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ فَلَا يُغَامِرْ

فَيَأْخُذُ عَنْ لَوْحٍ خَفِيٍّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ   فِيهِ ٱلْمَعَارِفُ تُضِيءُ لَهُ وَتَهْبِطُ إِلَيْهِ

هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ ٱلنُّفُوسِ ٱلزَّكِيَّةِ   ٱلرَّافِضُونَ لِلْخَوَاطِرِ وَٱلْهَوَاجِسِ ٱلْبَشَرِيَّةِ

فَمَوْجَاتُ ٱلْبَرْزَخِ وَتَرَدُّدَاتُ ٱلْقُلُوبِ   يَجْهَلُ رَمْزَهَا مَنْ لَيْسَ بِمَوْصُولٍ وَمَحْبُوبِ



اِدِّعَاءُ ٱتِّخَاذِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ كَشَيْخٍ مُرْشِدٍ

بَعْضُهُمْ قَدْ يَبْحَثُ عَنْ مُرْشِدِينَ   فِي أَقْطَارِ وَأَمْصَارِ ٱلْعَالَمِينَ

وَبَعْدَمَا يَعْجِزُ عَنْ حُصُولِهِ عَلَى مُرْشِدٍ   يَتَفَنَّنُ بِكَلَامٍ مُضِرٍّ وَمُفْسِدٍ

فَقَدْ يَتَبَجَّحُ بِجَهْلِهِ وَيَقُولُ   مُرْشِدِي وَشَيْخِي هُوَ ٱلرَّسُولُ ﷺ

أَنْزَلَ مَقَامَ ٱلنُّبُوَّةِ لِمُسْتَوَى ٱلْمَشْيَخَةْ   فَأَقْوَالُهُ لِلْفَسَادِ وَٱلْعِلَلِ مُرَشَّحَةْ

فَلْيَنْتَبِهْ كُلُّ مَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ ٱلسُّلُوكِ   وَٱلْبَاحِثُ عَنْ طَرِيقِ مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ

كَيْ لَا يُسَلِّمَ قَلْبَهُ وَنَفْسَهُ بِسُهُولَةْ   حَيْثُ هُنَالِكَ أَضْرَارٌ مَهُولَةْ

لَيْسَ مِنَ ٱلسَّهْلِ ٱلْحُصُولُ عَلَى ٱلْمُرْشِدِ لِلْفَتَى   لَا بُدَّ مِنَ ٱلْفَنَاءِ بِٱللهِ وَٱلْمُصْطَفَى ﷺ

بِدَايَةُ ٱلسَّالِكِ

لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنْ مُرْشِدٍ مُدَرِّبٍ قَبْلَ ٱلْوُصُولِ   لِيَرْبِطَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْوَارِ ٱلرَّسُولِ ﷺ

وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى سَهَرِ لَيَالٍ بِٱلْعِبَادَاتِ   وَٱلتَّنَقُّلِ بَيْنَ لَطَائِفِ ٱلْوَارِدَاتِ

فَهُنَاكَ مُقَدِّمَاتٌ وَمُجَاهَدَاتٌ شَاقَّةٌ   وَمُكَابَدَاتٌ وَمَخَاطِرُ وَأَهْوَالٌ حَارِقَةٌ

فِي ٱلتَّفَكُّرِ بِمَحْبُوبِهِ يُمْضِي ٱلْوَقْتَ ٱلطَّوِيلْ   لِتَظْهَرَ لَهُ مَعَارِفُ وَإِشَارَاتٌ مِنَ ٱلْجَلِيلْ ﷻ

حَتَّى يَبْنِيَ صُوَرًا نُورَانِيَّةً مُتَنَوِّعَةْ   كَحَجْمِ ٱلْعَدَسَةِ تَظْهَرُ بِأَنْوَارٍ مُرَوِّعَةْ

فَهِيَ ٱلَّتِي تَخْرِقُ لَهُ حُجُبَ ٱلْقُلُوبِ   فَيَفْتَحُ لَهُ مَوْلَاهُ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ

فَتِلْكَ هِيَ أَوَّلُ ٱلْبِدَايَاتِ   بَعْدَ ٱلتَّعَبِ ٱلشَّاقِّ بِٱلطَّاعَةِ وَٱلْمُجَاهَدَاتِ

فَيَنْتَقِلُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى نُورٍ أَرْقَى   مَعْ كُلِّ مَقَامٍ لِيَصِلَ بَعْدَهَا لِلْمَقَامِ ٱلْأَبْقَى

فَتَمُرُّ عَلَى عَيْنِ قَلْبِهِ عَجَائِبُ مُهِمَّةْ   مِنْ رُوحَانِيَّاتٍ مَشْهُورَةٍ عِنْدَ ٱلْأَئِمَّةْ

حَتَّى يَرْتَفِعَ بِٱلتَّدَرُّجِ كُلَّ يَوْمٍ   وَهُوَ بِخَلْوَتِهِ بَعِيدًا عَنِ ٱلْقَوْمِ

إِلَى أَنْ يَنَالَ هِمَّةً عَظِيمَةً رَفِيعَةْ   يَتَحَمَّلُ بِهَا أَثْقَالًا ضَخْمَةً مُرِيعَةْ



→ الشيخ الفاضل محمود الرافعي ـ طرابلس

الشيخ الحسيب علي الرفاعي ـ طرابلس ←

إِشَارَاتُ ٱلتَّرْبِيَةِ ٱلأُوَيْسِيَةِ

ٱلتَّرْبِيَةُ ٱلرُّوحِيَّةُ عَنِ ٱلسَّالِكِ لَا تَنْقَطِعْ   لَا فِي حَيَاةٍ وَلَا بِمَمَاتِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْمُتَّبَعْ

تَقُومُ بِٱلْمَوْتِ بِأَدْوَارِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْمَلَائِكَةْ   إِلَى أَنْ يَعْبُرَ بِٱلْبَرْزَخِ لِأَعْظَمِ مَمْلَكَةْ

بَعْدَ مَا يُكْرِمُهُ مَوْلَاهُ بِٱلْمَرَاتِبِ ٱلْعَلِيَّةْ   يُعْطِيهِ ٱلتَّصَرُّفَ فَضْلًا وَٱلْمُعَالَجَاتِ ٱلرُّوحِيَّةْ

فَتُسَلِّمُهُ ٱلْمَلَائِكَةُ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ   لِأَنَّ ٱلسَّالِكَ ٱلْكَامِلَ رَبُّنَا لَا يُهْمِلُهُ

فَيَعُودُ لِلْمُرِيدِ حَالُ ٱللِّقَاءِ وَٱلِٱسْتِمْدَادِ   وَيَصِيرُ ٱلسَّالِكُ بِحَظٍّ أُوَيْسِيٍّ مَعَ ٱلْأَسْيَادِ

وَتَعُودُ ٱلْمَوَدَّةُ بَعْدَ طُولِ ٱلْجَفَا   ٱلَّذِي كَانَ ٱمْتِحَانًا وَمَكْرًا بِٱلْخَفَا

فَيَعُومُ بِبَحْرِ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْأَنْوَارِ سِرًّا، يَتَلَقَّى   وَيَجْنِي دُرَرَ ٱلْأَحْوَالِ وَبِٱلْمَقَامَاتِ يَتَرَقَّى

يَعِيشُ بِعَالَمٍ رُوحَانِيٍّ بِلَا جَسَدِ   لَا غِلَّ فِيهِ وَلَا يَقْرَبُهُ مَرَضُ ٱلْحَسَدِ

إِلَى نِهَايَةِ مَدَارِجِ وُصُولِهِ ٱلرُّوحَانِيِّ   عِنْدَهَا يَجْتَمِعُ بِأَرْقَى مَخْلُوقٍ نُورَانِيِّ

فَيَلْتَمِسُ مِنْ جَنَابِهِ ٱلْكَرِيمِ حَالَهْ   فَيَتَدَرَّجُ مَعَ ٱلْأَقْطَابِ ٱلْمُرْشِدِينَ ٱلرَّحَّالَةْ

فَيَنْدَمِجُ بِرَابِطَةِ مُرْشِدِهِ بِرُوحَانِيَّةٍ مُصَوَّرَةْ   وَهَٰذِهِ إِشَارَاتٌ لِلْخَوَاصِّ نَادِرَةْ

يُمْكِرُ قَبْلَ مَوْتِ ٱلْمُرْشِدِ وَحِينَ ٱلْغِيَابِ   بِٱلسَّالِكِ مِنْ عَزْلٍ وَإِفْقَارٍ وَتَسْمِيكِ حِجَابِ

وَيُوَسْوِسُ إِلَى صَدْرِهِ بِٱلْإِرْشَادِ وَٱلرَّابِطَةْ   فَيَدْفَعُهُمَا وَلَا يَقْبَلُ ٱلْأَحْوَالَ ٱلْمُخْتَلِطَةْ

حَيْثُ مَقْصُودُهُ رَبُّهُ وَمَوْلَاهُ   فَلَا يَقَعُ بِٱلْمَكْرِ إِلَّا مَنْ رَبُّهُ ٱبْتَلَاهُ

فَيَظْهَرُ لَهُ مُرْشِدُهُ مِنَ ٱلْعَالَمِ ٱلْخَفِيِّ   فَيُهْدِي رَسَائِلَ ٱلْمُهِمَّاتِ إِلَى ٱلسَّالِكِ ٱلْوَفِيِّ

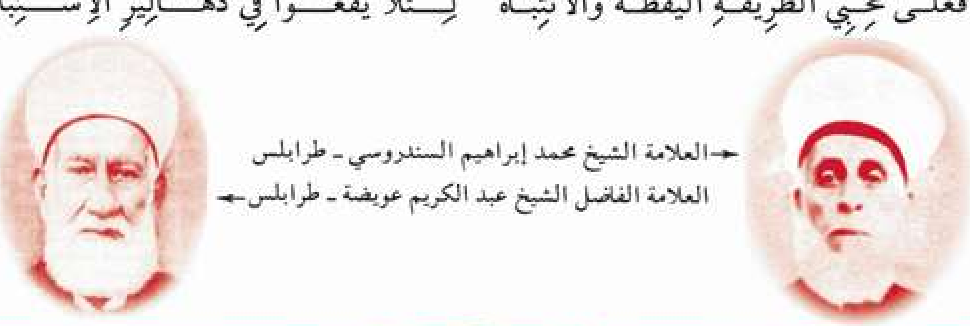
وَتُوضَعُ فِيهِ إِشَارَةُ أَسْرَارِ ٱلْفُتُوحْ   وَيَصِيرُ بَابُ ٱلْإِرْشَادِ عَلَيْهِ مَفْتُوحْ

فَيُعْطَى مِنْ خَزَائِنِ رَبِّهِ ٱلْفَتَّاحِ   وَتِلْكَ دَلَائِلُ بِدَايَةِ ٱلْإِرْشَادِ وَٱلِٱفْتِتَاحِ

وَهٰذِهِ ٱلتَّرْبِيَةُ يُقَالُ لَهَا : تَرْبِيَةٌ أُوَيْسِيَّةْ
وَهِيَ لِلطَّائِعِينَ وَٱلْحُسْنِيِّينَ أَفْضَلُ هَدِيَّةْ
ٱللهُ ٱللهُ مَا أَعْظَمَكَ فِي ٱلْعَطَاءْ
لَا يَمْنَعُ فَضْلَكَ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ بِمَا جَاءْ

تَعَدُّدُ ٱلْمُرْشِدِينَ

يُقَالُ فِي بَعْضِ ٱلْكُتُبِ ٱلصُّوفِيَّةِ :
لَا يَحِقُّ ٱلتَّمَسُّكُ بِشَيْخَيْنِ بِٱلطَّرَائِقِ ٱلْعَلِيَّةِ
وَهٰذَا لِمَنْ لَمْ يَصِلْ فِي سُلُوكِهِ إِلَى ٱلنِّهَايَةِ
وَكَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا فِي ٱلْبِدَايَةِ
فَيَضِيعُ بَيْنَ ٱلرُّوحَانِيَّاتِ ٱلْمُتَكَرِّرَةِ
وَيَعْجِزُ عَنْ إِتْمَامِ ٱلْوَظَائِفِ ٱلْمُقَرَّرَةِ
لِأَنَّهُ لَمْ يَخْتِمْ مَمْلَكَةَ ٱلرَّابِطَةْ
فَتَمَسُّكُهُ بِغَيْرِ مُرْشِدِهِ إِشَارَاتٌ هَابِطَةْ
إِلَّا إِذَا كَانَ ذَا قَلْبٍ كَبِيرٍ إِرْشَادِيّْ
مُهَيَّأً لِلْوُصُولِ فِي سُلُوكِهِ إِلَى رَبِّ ٱلْعِبَادِ ﷻ
وَذَا عَقْلٍ مُمَيِّزٍ رَفِيعِ ٱلْمُسْتَوَى
يُفْرِزُ ٱلْحَقَائِقَ ٱلرُّوحِيَّةَ مِنَ ٱلْهَوَى
وَقَادِرًا عَلَى تَقَلُّبَاتِ ٱلسُّلُوكِ بِٱلْمُشَاهَدَةْ
يَتَحَمَّلُ ٱلْحَوَادِثَ ٱلرُّوحِيَّةَ ٱلثَّقِيلَةَ ٱلْمُتَرَدِّدَةْ
فَهٰذَا نَادِرٌ بِٱلْوُجُودِ بِهِمَّتِهِ
فَلَهُ سُلُوكٌ مُزْدَوِجٌ بِحَسَبِ قُوَّتِهِ
أَمَّا مَنْ تُوُفِّيَ مُرْشِدُهُ بِزَمَانِهْ
وَلَمْ يَصِلْ لِلّٰهِ ﷻ وَلَمْ يُحَقِّقْ أَحْلَامَهْ
فَلَهُ أَنْ يَسْلُكَ عِنْدَ مُرْشِدٍ آخَرْ
لِيُتَابِعَ وُصُولَهُ فَهُوَ بِسُلُوكِهِ تَأَخَّرْ
مَهْمَا بَلَغَ ٱلْمُرْشِدُ مِنَ ٱلْكَشْفِ وَٱلْعِرْفَانِ
فَأَحْوَالُ ٱلسُّلُوكِ بِحَاجَةٍ إِلَى ٱلدَّيَّانِ ﷻ
فَعَلَى مُحِبِّي ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْيَقَظَةُ وَٱلْاِنْتِبَاهْ
لِئَلَّا يَقَعُوا فِي دَهَالِيزِ ٱلْاِشْتِبَاهْ



← العلامة الشيخ محمد إبراهيم السندروسي - طرابلس
العلامة الفاضل الشيخ عبد الكريم عويضة - طرابلس →

أَوْلِيَاءُ ٱللَّهِ ٱلْكِرَامُ

ٱلْأَوْلِيَاءُ نُفُوسُهُمْ بِمَنَازِلِ ٱلْخِدْمَةِ سَيَّارَةٌ   وَأَرْوَاحُهُمْ فِي فَضَاءِ ٱلْقُرْبِ طَيَّارَةٌ

مَقَامَاتُهُمْ فِي سِجِلِّ ٱلْعَارِفِينَ مَنْشُورَةٌ   وَكَرَامَاتُهُمْ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ مَشْهُورَةٌ

قُلُوبُهُمْ حَوْلَ عَظَمَةِ ٱلْعَرْشِ طَوَّافْ   وَظَّفَهُمْ رَبُّهُمْ لِقُلُوبِ خَلْقِهِ كَإِسْعَافْ

تَتَلَأْلَأُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضَارَةُ ٱلْعِرْفَانِ   نَصَحُوا بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ كُلَّ إِنْسَانِ

مَا زَالَتْ بِقُلُوبِ ٱلْمُحِبِّينَ آثَارُهُمْ   وَمَا بَرِحَتْ مُعَلَّقَةً فِي ٱلْآفَاقِ أَنْوَارُهُمْ

مَنْ أَحَبَّهُمْ وَٱعْتَقَدَ بِهِمُ ٱهْتَدَى   وَمَنْ عَادَاهُمْ وَأَنْكَرَهُمْ ضَلَّ وَٱعْتَدَى

قَالَ ﷻ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس ٦٢).

وَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : **"إِنَّ ٱللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِٱلْحَرْبِ"**[1].

خَصَّهُمُ ٱللَّهُ بِٱلْمَوَاهِبِ وَٱلْمِنَحِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ   وَتَفَجَّرَتْ فِيهِمْ يَنَابِيعُ ٱلْمَعَارِفِ ٱلْقُدْسِيَّةِ

سَمِعُوا قَوْلَ ٱللَّهِ فَأَطَاعُوهُ   وَتَجَمَّعُوا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِيُرْضُوهُ

تَخْضَعُ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ دَائِمًا وَتَخْشَعُ   وَتَنْتَفِخُ أَمْعَاؤُهُمْ مِنْ تَمْرَةٍ وَتَشْبَعُ

تَتَغَذَّى أَرْوَاحُهُمْ بِٱلْقُرْآنِ وَٱلْحَدِيثِ ٱلْمُفِيدِ   وَأَلْسِنَتُهُمْ تَلْهَجُ بِذِكْرِ ٱللَّهِ ٱلْمُبْدِئِ ٱلْمُعِيدِ

جَمَعُوا أَفْكَارَهُمْ وَلَطَائِفَهُمْ فِي ذِكْرِهِ   وَجَمَعُوا أَنْفُسَهُمُ ٱلزَّكِيَّةَ عَلَى شُكْرِهِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى ١٣).

فَٱلتَّفَرُّقُ يُضْعِفُ قُوَّةَ ٱلدِّينِ وَهَيْبَتَهُ   وَيُشَوِّهُ نَضَارَةَ ٱلدِّينِ وَيُضْعِفُ سُلْطَتَهُ

فَمَشَايِخُ ٱلْمُرِيدِينَ شَمَّرُوا عَنْ سَاقِ   ٱلْجِدِّ بِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ ٱلْمُفْتَرَضِ بِٱشْتِيَاقِ

حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَقَامُوا ٱلْأَمْرَ وَٱلنَّهْيَ   وَخَرَجُوا مِنْ عُهْدَةِ ذَٰلِكَ بِحُسْنِ ٱلتَّوْفِيقِ ٱلْإِلَٰهِيِّ

أَفْضَلُ ٱلْعِبَادَةِ ٱلْفِقْهُ فِي ٱلدِّينِ   يُضِيءُ بِنُورِهِ قُلُوبَ ٱلْمُرِيدِينَ وَٱلْمُحِبِّينَ

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٣٤٠ – ٣٤١ ، الحديث (٦٥٠٢)

ٱلفَقيهُ ٱلوَاحِدُ أَشَدُّ مِنْ أَلْفِ عَابِدِ — لِأَنَّ ٱلفِقْهَ عِمَادُ دِينِ ٱلرَّبِّ ٱلوَاحِدِ

فَلَمَّا ٱسْتَقَامُوا بِذَلِكَ مُتَابِعِينَ — لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدِ ٱلأَوَّلِينَ وَٱلآخِرِينَ

فَتَحَ ٱللهُ عَلَيهِمْ أَبْوَابَ ٱلعُلُومِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ — وَأَيَّدَهُمْ بِٱلمُشَاهَدَاتِ ٱلصَّادِقَةِ ٱلنُّورَانِيَّةِ

فَلَمَّا طَلَبُوا ٱلإِسْتِقَامَةَ نَالُوا ٱلكَرَامَةْ — وَوَصَلُوا بِطَاعَاتِهِمْ إِلَى جَادَّةِ ٱلسَّلَامَةْ

وَٱلعَمَلُ بِهَا يُزَكِّي ٱلنُّفُوسَ لِلتَّقْوَى — فَتَنْجَلِي مَرَايَا قُلُوبِهِمْ بِفَضْلِ رَبِّهِمُ ٱلأَعْلَى

وَتَبْدُو فِيهَا صُوَرُ ٱلأَشْيَاءِ ٱلمُهِمَّةِ — عَلَى هَيْئَتِهَا وَمَاهِيَّتِهَا وَيَصِلُ كَشْفُهُمْ إِلَى ٱلقِمَّةِ

تَظْهَرُ لَهُمُ ٱلدُّنْيَا بِقُبْحِهَا فَيَرْفُضُونَهَا — وَتَظْهَرُ لَهُمْ إِشَارَاتُ ٱلآخِرَةِ بِحُسْنِهَا فَيَطْلُبُونَهَا

وَتَبْتَعِدُ قُلُوبُهُمْ عَنِ ٱلأَغْرَاضِ وَٱلأَمْرَاضِ — وَيَتَحَمَّلُونَ ٱلبَلَايَا وَٱلمَصَائِبَ بِلَا ٱعْتِرَاضِ

لِلأَوْلِيَاءِ عُيُونٌ وَأَجْنِحَةٌ بِلَا رِيشٍ

لِلأَوْلِيَاءِ ﷺ عُيُونٌ تَرَى مَا لَا تَرَاهُ عُيُونُ ٱلنَّاظِرِينَا — وَقُلُوبٌ مُعَلَّقَةٌ حَوْلَ عَرْشِ رَبِّ ٱلعَالَمِينَا ﷺ

وَأَجْنِحَةٌ بِلَا رِيشٍ تُحَلِّقُ مَعَ ٱلنَّبِيِّينَا ﷺ — وَفِرَاسَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ بِخَفَايَا ٱلخَوَاطِرِ عَارِفِينَا

وَأَنْوَارُ ٱللهِ تَنْصُرُهُمْ مِنْ خَزَائِنِ عِلِّيِّينَا — مَهْمَا حُورِبُوا يَنْصُرُهُمُ ٱللهُ نَصْرًا مُبِينَا

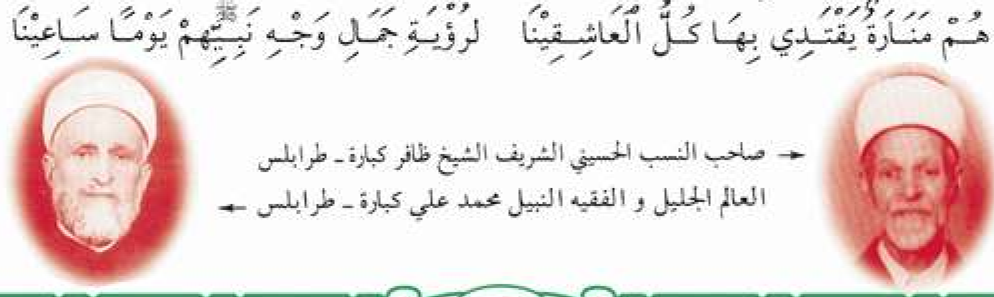
لَنْ يَرْجِعَ ٱلحَاسِدُونَ مِنْ حَسَدِهِمْ إِلَّا خَاسِرِينَا — تَكَفَّلَ ٱللهُ أَنْ يَكُونَ لِأَوْلِيَائِهِ ﷺ حَافِظًا وَمُعِينَا

قُلُوبُهُمْ مَشْغُولَةٌ بِذِكْرِ رَبِّ ٱلعَالَمِينَا — هَجَرُوا دُنْيَاهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ فَٱعْتَبَرُوهُمْ مَجَانِينَا

إِذَا حَلَّ ٱلبَلَاءُ بِهِمْ تَرَاهُمْ صَابِرِينَا — قُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِبَابِ ٱلشَّفِيعِ ﷺ هَادِينَا

هُمْ أَطِبَّاءُ ٱلقُلُوبِ وَسَكِينَةُ ٱلحَائِرِينَا — بِأَمْدَادِ رَبِّهِمْ يُذَكِّرُونَنَا بِٱللهِ إِنْ نَسِينَا

هُمْ مَنَارَةٌ يَقْتَدِي بِهَا كُلُّ ٱلعَاشِقِينَا — لِرُؤْيَةِ جَمَالِ وَجْهِ نَبِيِّهِمْ ﷺ يَوْمًا سَاعِينَا


← صاحب النسب الحسيني الشريف الشيخ ظافر كبارة ـ طرابلس
العالم الجليل و الفقيه النبيل محمد علي كبارة ـ طرابلس ←

زِيَارَةُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلسَّالِكِينَ لِلْأُمَرَاءِ

يَزُورُ ٱلْعَالِمُ ٱلسُّلْطَانَ أَوِ ٱلْأُمَرَاءْ ... لِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ لَيْسَ فِيهِ رِيَاءْ

فَزِيَارَتُهُ لَهُمْ زِيَارَةُ وَعْظٍ وَإِلْزَامْ ... وَلَيْسَ لِكَسْبٍ سِيَاسِيٍّ وَتَعْظِيمٍ وَإِكْرَامْ

وَبِهَذَا لَا تَضْطَرِبُ وِلَايَةُ ٱلْعَالِمِ ٱلْجَلِيلِ ... لِأَنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ لِدَفْعِ ظُلْمٍ عَنْ خَلِيلِ

وَإِنْ دَخَلَ حَاكِمٌ ظَالِمٌ جَائِرٌ إِلَى خَلْوَةْ ... ٱلْعَالِمِ ٱلسَّالِكِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُظْهِرَ وَكَأَنَّهُ سَرْوَةْ

ٱلْأَوْلَى أَلَّا يَقُومَ لَهُ عِزًّا لِلدِّينْ ... لِعَمَلِهِ فِي ظُلْمٍ وَتَحْقِيرِ ٱلْمُسْلِمِينْ

قَالَ ٱلْغَزَالِيُّ : ٱلْأَسْلَمُ أَنْ تَعْتَزِلْ ... عَنْهُمْ فَلَا تَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَكَ بِمَنْزِلْ

وَٱلدُّخُولُ عَلَيْهِمْ مَذْمُومٌ فِي ٱلشَّرْعِ ... وَفِيهِ تَغْلِيظٌ عَلَى فَاعِلِهِ فَٱلْزَمْ حَدَّ ٱلْوَرَعِ

فَمَنْ نَابَذَهُمْ نَجَا وَمَنِ ٱعْتَزَلَهُمْ ... سَلِمَ وَمَنْ وَقَعَ بِدُنْيَاهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ

ٱلدَّاخِلُ عَلَى ٱلسُّلْطَانِ مُتَعَرِّضٌ أَنْ يَعْصِيْ ... ٱللهَ إِمَّا بِفِعْلِهِ أَوْ بِسُكُوتِهِ ٱلْمُبْكِي

أَوْ بِٱعْتِقَادِهِ أَوْ بِقَوْلِهِ ٱلْوَاضِحِ ٱلْمَشْهُورِ ... فَلَا يَنْفَكُّ عَنْ أَحَدِ هَذِهِ ٱلْأُمُورِ

فَعَلَى ٱلسَّالِكِ عَدَمُ ٱلِٱنْحِنَاءِ لِلْحَاكِمِ ... وَعَدَمُ ٱلتَّوَاضُعِ لَهُ أَوْ تَقْبِيلُ يَدِ ٱلظَّالِمِ

وَعَدَمُ ٱلدُّخُولِ تَحْتَ سَقْفِهِمْ وَٱلِٱسْتِظْلَالِ بِهْ ... أَوِ ٱلْجُلُوسِ عَلَى فِرَاشِهِمْ لِئَلَّا يُصِيبُهُ نَتْنُهْ

وَعَلَى ٱلصُّوفِيِّ ٱلسَّالِكِ أَنْ يَعِظَهُمْ ... إِنْ وَجَدَ ٱلْحَرِيرَ بِلِبَاسِهِمْ وَفُرُشِهِمْ

أَوْ وَجَدَ أَوَانِيَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ يَسْتَعْمِلُونَهَا ... أَمَرَهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ حَتْمًا عَنِ ٱسْتِخْدَامِهَا

وَعَلَى ٱلسَّالِكِ عَدَمُ ٱلدُّعَاءِ لِلظَّالِمْ ... بِٱلْحِفْظِ وَطُولِ ٱلْبَقَاءِ وَهُوَ فَاجِرٌ حَاكِمْ

بَلْ يَقُولُ طَوَّلَ ٱللهُ عُمْرَكَ فِي طَاعَتِهِ ... وَأَصْلَحَكَ ٱللهُ وَوَفَّقَكَ لِلْخَيْرَاتِ فِي أَرْضِهِ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **" مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِٱلْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى ٱللهُ فِي أرضه ".**(١)

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **" إِنَّ ٱللهَ لَيَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ ٱلْفَاسِقُ "**(٢) .

(١) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٤٤

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٨٧

اَلإِعَانَةُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةٌ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ فَهِيَ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ وَلِلظَّهْرِ قَاصِمَةْ

لَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ سُلْطَانِ ٱلْعَارِفِينْ ﵁ مَا فِيهِ عِزٌّ وَفَخْرٌ وَرِفْعَةٌ لِهَذَا ٱلدِّينْ

كَانَتِ ٱلْمُلُوكُ وَأَهْلُ ٱلسُّلْطَةِ ٱلْحَاكِمَةِ يَأْتُونَ لِزِيَارَتِهِ بِٱلطَّائِرَاتِ ٱلْحَائِمَةِ

فَلَا يَخْرُجُ لِاسْتِقْبَالِهِمْ بَلْ يَبْقَى فِي مَكَانِهِ فِي غُرْفَةِ ٱلِاسْتِقْبَالِ فَعَظَّمَ ٱللهُ مِنْ شَانِهِ

فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ حَيَارَى مِنْ هَيْبَتِهِ وَبِهَذَا أَبْقَى دِينَهُ فِي عِزَّتِهِ وَمَنَعَتِهِ

رَحِمَ ٱللهُ ٱلشَّيْخَ عُثْمَانَ ﵁ سِرَاجَ ٱلدِّينْ كَانَ قُدْوَةً لِعُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَٱلسَّالِكِينْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (هود ١١٣)

فَلْيَنْتَبِهْ كُلُّ خَائِفٍ مِنْ تِلْكَ ٱلأَخْطَارِ قِيلَ : لَا تَرْضَوْا بِأَعْمَالِهِمْ إِرْضَاءً لِلْغَفَّارِ ﷻ

اَلْمُعَامَلَةُ مَعَهُمْ حَرَامٌ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَالِهِمْ جُمِعَ مِنْ حَرَامٍ وَهَذَا مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ

يُجَرِّبُونَ بِهِ ٱلْعُلَمَاءَ أَهْلَ ٱلسُّلُوكِ فَإِنْ أَخَذُوهُ تَرْتَاحُ نُفُوسُ ٱلْمُلُوكِ

فَتَقُولُ نُفُوسُهُمْ لَوْ حَرَامًا كَانَ مَالُنَا مَا أَخَذَهُ ٱلْعُلَمَاءُ ٱلسَّالِكُونَ مِنْ يَدِنَا

أَكْثَرُ أَمْوَالِهِمْ مِنَ ٱلْغَصْبِ ٱلصَّرِيحِ فَهُوَ مُضِرٌّ لِقَلْبِ ٱلسَّالِكِ وَغَيْرُ مُرِيحِ

وَمِنَ ٱلرِّبَا وَٱلْبَيْعِ ٱلْمُحَرَّمِ ٱلْمُضِرِّ فَعَلَى ٱلسَّالِكِ ٱلْعَالِمِ أَنْ يَفِرَّ

فَهُمْ مِنْ إِشَارَاتِ ٱلسَّاعَةِ ٱلْمُرْعِبَةْ خُدَّامُهُمْ وَعُمَّالُهُمْ وَأَزْلَامُهُمْ مُتْعِبَةْ

قَالَ ﷺ " **يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ ٱلأُمَّةِ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ ٱلْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي سَخَطِ ٱللهِ وَيَرُوحُونَ فِي غَضَبِهِ** ". (رواه الإمام أحمد ﵁ في مسنده)

فَأَزْلَامُهُمْ مِنَ ٱلشُّرْطَةِ تَحْمِلُ أَذْنَابَ ٱلْعِجْلِ لِتَحْمِيَ بِهِ ٱلإِمَارَةَ وَٱلأَبْوَابَ

قَالَ بَعْضُهُمْ قَوْلًا فِيهِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةْ مَنْ عَمِلَ بِهَا فَازَ بِغَنِيمَةْ

يَا مَعْشَرَ ٱلْقُرَّاءِ يَا مِلْحَ ٱلْبَلَدْ مَا يُصْلِحُ ٱلْمِلْحَ إِذَا ٱلْمِلْحُ فَسَدْ

اِمْتِيَازُ أَصْحَابِ ٱلسِّلْسِلَةِ

يُغَالِي بَعْضُ مُدَّعِي ٱلتَّصَوُّفِ بِٱلْقَلْقَلَةِ — وَيَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ إِرْشَادِ ٱلسِّلْسِلَةِ

وَيُدْرِجُ ٱسْمَهُ مَعَ أَسْمَاءِ أَهْلِهَا — وَهُوَ لَا يَعْلَمُ جَبَلَهَا مِنْ سَهْلِهَا

وَجَهَلَةُ ٱلْقَوْمِ مِنْ غَفْلَتِهِمْ يَتْبَعُوهُ — مُسْتَنِدِينَ إِلَى مَنَامٍ أَوْ خَاطِرِ نَفْسٍ تَلَقَّوْهُ

لَا بُدَّ لِمَنْ يَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلسِّلْسِلَةِ ٱلذَّهَبِيَّةِ — أَنْ يَعْكِسَ مِنْ أَحْوَالِهِ عَلَى مُرِيدِي ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةِ

مَنْ يَعْجِزُ عَنْ إِفَادَةِ غَيْرِهِ مِنْ أَحْوَالِهِ — فَلَا يَصْلُحُ لِلصُّحْبَةِ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْ أَقْوَالِهِ

وَيَنْبَغِي لِمُدَّعِي حَمْلِ لِوَاءِ ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةِ — أَنْ يَكُونَ مُتَفَوِّقًا بِٱلتَّجَلِّيَاتِ وَٱلنَّفَحَاتِ ٱلْقُدْسِيَّةِ

وَحَائِزًا بِٱمْتِيَازٍ عَلَى ٱلشَّرِيعَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ — وَمُهَيَّئًا لِٱسْتِقْبَالِ أَحْمَالِ ٱلسِّلْسِلَةِ ٱلْعَلِيَّةِ

وَصَاحِبَ حُظُوظٍ وَمَعْنَوِيَّاتٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ — فَتَنْعَكِسُ ٱلْأَحْوَالُ ٱلْبَاطِنِيَّةُ بِسِرِّهَا إِلَيْهِ

تُخَوِّلُهُ مُشَاهَدَةَ ٱلْوَجْهِ ٱلْأَنْوَرِ ٱلْبَاسِمِ ﷺ — فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِمَعَارِفَ وَنُورٍ مُتَرَاكِمِ

بَعْدَ مُجَاهَدَاتٍ وَمُكَابَدَاتٍ وَطَاعَاتٍ مَرِيرَةْ — فَتَصِيرُ كُنُوزُ ٱلدُّنْيَا وَشَهَوَاتُهَا بِقَلْبِهِ حَقِيرَةْ

وَيَقْطَعُ مَرَاتِبَ وَمَقَامَاتِ ٱلتَّزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِيَّةِ — وَيَحْظَى بِٱللَّطَائِفِ وَٱلْقُدُرَاتِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ ٱلنُّورَانِيَّةِ

وَتَظْهَرُ عَلَيْهِ رُوحَانِيَّةُ هِمَمِ أَهْلِ ٱلسِّلْسِلَةْ — وَتَغْمُرُهُ وَمَضَاتٌ نُورَانِيَّةٌ بِٱلرَّحْمَةِ مُجَلَّلَةْ

وَيَجْتَمِعُ رُوحِيًّا بِعَجَائِبِ ٱلْعَالَمِ ٱلنُّورَانِيِّ — وَيَنَالُ فَرَمَانَ إِرْشَادِ ٱلْبَاطِنِ ٱلْإِنْسَانِيِّ

كُلُّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ ٱلْكَرَامَةِ بِطَرِيقَةِ ٱلْإِلْهَامِ — مَعَ ٱلتَّقَيُّدِ بِٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ وَٱلْإِسْلَامِ

وَتَشْهَدُ لَهُ ٱلْأَوْلِيَاءُ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ وَٱلْوُصُولْ — فَيَعُودُ مِنْ رِحْلَتِهِ بِنُورِ ٱلشَّرِيعَةِ مَوْصُولْ

وَتُنْشَرُ بِعَالَمِ ٱلْمُشَاهَدَاتِ صُوَرُ أَعْمَالِهِ — فَيَعْرِفُ ٱلْجَمِيعُ قُدُرَاتِهِ وَشَيْئًا عَنْ أَحْوَالِهِ

أَرْقَى ٱلْمَقَامَاتِ يَحْمِلُهَا صَاحِبُ ٱلسِّلْسِلَةِ — لَهُ قَلْبٌ ذَاكِرٌ لَيْلًا نَهَارًا بِتِلْكَ ٱلْمَرْحَلَةِ

وَتَدُورُ رُوحُهُ بِفَلَكِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْمُرَاقَبَةْ — وَيَحْمِلُ بِأَمْدَادِ رَبِّهِ ﷻ ٱلْأُمُورَ ٱلصَّعْبَةْ

يُنْتَخَبُ مِنْ بَيْنِ أَرْقَى أَوْلِيَاءِ زَمَانِهِ
لِيَخْدِمَ وَيُسْعِفَ قُلُوبَ ٱلسَّالِكِينَ بِأَيَّامِهِ

يَحْمِلُ أَلْقَابًا تَفُوقُ أَلْقَابَ أَقْرَانِهِ
كَمَا يُلَقَّبُ بِشَيْخِ ٱلْإِسْلَامِ وَعَالِمِ زَمَانِهِ

تَظْهَرُ بِكَثْرَةٍ خَوَارِقُهُ وَكَرَامَاتُهُ بِٱلْبِلَادِ
كَمَا يُعْرَفُ ٱلْعَالِمُ ٱلْمُمَيَّزُ بِفَتَاوَاهُ وَٱلِٱجْتِهَادِ

يُلْغِي أَوْ يَزِيدُ فِي بَرَامِجِ ٱلطَّرِيقَةِ
بِمَا يَأْتِيهِ مِنْ إِلْهَامِ نُورِ ٱلْحَقِيقَةِ

بِلَادُنَا غَيْرُ مُوَفَّقَةٍ لِتِلْكَ ٱلْمَوَاجِيدِ
فَلَمْ يَسْلُكُوا مَعَ خَوَاصٍّ وَصَفْوَةِ ٱلْعَبِيدِ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ لِتِلْكَ ٱلْعَلَامَاتِ أَثَرْ
يَنْبَغِي أَنْ يُجَاهِدَ بِسُنَّةِ خَيْرِ ٱلْبَشَرْ ﷺ

هَذَا أَقَلُّ تَعْرِيفٍ بِمَنْ يَكُونُ فِي ٱلسِّلْسِلَةِ
مِمَّنْ تَفَضَّلَ ٱللهُ بِإِعْطَائِهِ تِلْكَ ٱلْمَنْزِلَةِ

أَعْمَالُ ٱلرُّوحِ لَيْسَتْ خُرَافَةً وَتَعَدِّي
يَصِلُ إِلَيْهَا مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ وَقَبِلَ ٱلتَّحَدِّي

خَصَّهُ ٱللهُ تَعَالَى بِسِرِّ ٱسْمِهِ ٱلْأَعْظَمِ
مَوْصُولٌ بِرُوحَانِيَّةِ صَاحِبِ ٱلدُّرِّ ٱلْمُنَظَّمِ ﷺ

يَدْفَعُ بِهِمَّةٍ نُورَانِيَّةٍ شُرُورَ ٱلْجَانِّ
حِينَمَا يَهْجُمُ بِهَبَّاتِهِ ٱلنَّارِيَّةِ كَٱلثُّعْبَانِ

سَيَّارٌ طَيَّارٌ بِقَلْبِهِ قُدُرَاتْ
ٱلْمُنْكِرُ عَلَيْهِ يَزْدَادُ هُمُومًا وَحَسَرَاتْ

هَذَا مِمَّا يَمْنَحُهُ ٱللهُ تَعَالَى مَعَ ٱلْعِرْفَانِ
فَتَنْقُشُ ٱلْأَسْرَارُ بِقَلْبِهِ وَيَتَنَوَّرُ صَدْرُ ٱلْإِنْسَانِ

إِنْ قُرِئَ ٱسْمُهُ بِٱلسِّلْسِلَةِ تَظْهَرُ مَلَامِحُهُ
مُتَلَوِّنَةً بِنُورِ رَبِّهِ ﷺ تَضُمُّهَا جَوَانِحُهُ

هَذِهِ مِنَحٌ ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت ٣٥)
وَصَلَ إِلَى أَعْمَاقِ ٱلتَّوْحِيدِ بِٱلذِّكْرِ ٱلْكَرِيمِ

ٱدَّعَى بَعْضُهُمُ ٱلْوُصُولَ لِحَلِّ ٱلْأُمُورِ ٱلْمُعَرْقَلَةِ
وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ ٱمْتِيَازِ رِجَالِ ٱلسِّلْسِلَةِ

وَلَقَّبُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَلْقَابٍ ٱبْتَدَعُوهَا
وَمَقَامَاتٍ وَرُتَبٍ وَخِلَافَةٍ لَهُمْ نَسَبُوهَا

وَٱحْتَالُوا لِيُبْعِدُوا عَنِ ٱلطَّرِيقِ أَهْلَ ٱلتَّمْكِينِ
وَمَا هُمْ إِلَّا عُمَلَاءُ وَأَتْبَاعُ مَرَدَةِ ٱلشَّيَاطِينِ

فَأَمْثَالُ هَؤُلَاءِ شَوَّهُوا وَجْهَ ٱلتَّصَوُّفِ ٱلرُّوحَانِيِّ
بِعَمَالَتِهِمْ لِلْأَجْهِزَةِ وَٱتِّبَاعِهِمُ ٱلْخَاطِرَ ٱلشَّيْطَانِيَّ

وَلِإِزَالَةِ ٱلِٱلْتِبَاسِ عَنْ وَجْهِ ٱلْحَقِيقَةِ
قُمْنَا بِكَشْفِ ٱلدَّجَّالِ مِنْ أَهْلِ ٱلطَّرِيقَةِ

بحر العلوم الشرعية والمحب للصوفية سماحة الشيخ محمد الداعوق
بيروت (و 1910م)

العلامة الفاضل خادم العلم الشريف الشيخ محمد علي الأنسي
بيروت(و 1869م - ت 1956م)

رَفْضُ ٱلْبَعْضِ ٱلتَّعامُلَ قَلْبِيًّا مَعَ ٱلْأَوْلِيَاءِ

إِنَّ مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ مَا لَا يَعْرِفُهَا صَاحِبُهَا ... وَإِذَا نَصَحْتَهُ لِلْخَلَاصِ مِنْهَا يَرْفُضُهَا
مُدَّعِيًا أَنَّهُ يَتَعَامَلُ بِقَلْبِهِ مَعَ ٱلْمُرْشِدِينَ ﷺ ... فَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَسَلَّمَ لِقَوْلِ ٱلْمُتَّقِينَ
فَلَا مَانِعَ لِأَيِّ مُرِيدٍ أَنْ يَتَعَامَلَ بِقَلْبِهِ ... مَعَ أَيِّ وَلِيٍّ وَمُرْشِدٍ وَجَدَهُ فِي دَرْبِهِ
فَإِنَّ كُلَّ ٱلْأَنْوَارِ مِنْ رَبِّنَا ٱلرَّحْمَٰنْ ﷺ ... وَسَائِرُ ٱلْأَوْلِيَاءِ يَحْمِلُونَ بِقُلُوبِهِمُ ٱلْأَمَانْ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبُوصِيرِيُّ فِي ٱلْبُرْدَةِ ٱلشَّرِيفَةِ :

" وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفًا مِنَ ٱلْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ ٱلدِّيَمِ "
مَنْ يَرْفُضِ ٱلتَّعَامُلَ وَٱلتَّلَقِّيَ ٱلْقَلْبِيّ ... فَهُوَ مَرِيضٌ وَعَلِيلٌ وَذَوْقُهُ سَلْبِيّ
يَجِبُ عَلَى كُلِّ ٱلْمُرِيدِينَ ٱلتَّعَامُلُ بِإِخْلَاصٍ ... وَفَهْمٍ سَلِيمٍ عَادِلٍ خَالٍ مِنَ ٱلِانْتِقَاصِ

قَالَ ﷻ: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة ٢٨٥).

فَافْهَمْ يَا لَبِيبُ مِنْ تِلْكَ ٱلْإِشَارَةْ ... مَنْ أَطَاعَ ٱللَّهَ بِصِدْقٍ يَنَلْ خَيْرَ بِشَارَةْ

قال ﷻ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة ٢١)

إِنَّ ٱلْقُلُوبَ كُلَّهَا مَرِيضَةٌ إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ ... مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَيْضِهِ وَنُورِ وِلَايَتِهِ سَقَاهُ
فَلَا تَجْعَلْ مَرَضَكَ مُزْمِنًا وَعُضَالْ ... وَٱسْأَلْ مَوْلَاكَ بِصِدْقٍ يُسَخِّرْ لَكَ هِمَمَ ٱلرِّجَالْ
وَلَا تُنْكِرْ طِبَّ ٱلْقُلُوبِ وَعِلَاجَ ٱلنُّفُوسْ ... فَهَذِهِ عَلَامَةُ مَنْ كَانَ مَقَامُهُ مَنْكُوسْ
مِنْهُمْ مَنْ يَهْرُبُ مِنْ مَرَارَةِ ٱلْمُجَاهَدَةِ ... وَيَدَّعِي أَنَّهُ مُتَمَسِّكٌ بِأَهْلِ ٱلْعِبَادَةِ
لَوْ تَفَقَّدَ ٱلْعَبْدُ صِفَاتِهِ وَأَخْلَاقَهْ ... وَعَدَّدَ عِلَلَ قَلْبِهِ وَكَثْرَةَ غَفَلَاتِهْ
لَوَجَدَ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا وَخَالِيًا مِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ ... ٱلْقِيَاسُ أَنْ تُشَاهِدَ أَكْوَانًا بِأَنْوَارِهَا ٱلْمُشْرِقَةِ
وَتُصْبِحَ ذَا بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ كَشَّافَةٍ ... وَتَفْضَحَ بَاطِنَ ٱلْعَرَّافِ وَشُرُورَ ٱلْعَرَّافَةِ

الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ

مُرْشِدُ الشَّرِيعَةِ يُعَلِّمُ كُلَّ مُصَلٍّ … وَمُرْشِدُ الطَّرِيقَةِ يُصْلِحُ كُلَّ مُنْحَلٍّ

وَيُنَبِّهُهُ مِنْ غَفَلَاتِهِ وَمَعَاصِيهِ الْمُسْتَمِرَّةِ … وَيُصْلِحُ بَاطِنَهُ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْمُدَمِّرَةِ

إِذَا وَصَلَ الْفَقِيهُ لِكَمَالِ الْإِخْلَاصِ … وَوَصَلَ الْمُرَبِّي لِمَقَامَاتِ الِاخْتِصَاصِ

فَالِاثْنَانِ تَحْتَ لِوَاءِ سَيِّدِ الْحِجَازْ ﷺ … يَصِيرَانِ مَنَارَةَ هُدًى لِكُلِّ مُعْتَازْ

فَإِذَا وَفَّقَ اللهُ وَحَصَلَ الِانْدِمَاجُ … بَيْنَ الْفَقِيهِ وَالْمُرْشِدِ اسْتَقَامَ الِاعْوِجَاجُ

وَكَانَتِ الْفَائِدَةُ لِلْمُرِيدِ أَسْرَعَ وَأَكْبَرَ … وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا شَرَعَ الْمُخْتَارُ ﷺ أَخْبَرَ

مَنْ تَفَقَّهَ وَتَصَوَّفَ عَرَفَ الْحُدُودْ … وَبِهَذَا يَكُونُ التَّقَرُّبُ إِلَى الْوَدُودْ

فَلَا طَرِيقَةَ بِلَا شَرِيعَةٍ عَلَى التَّحْقِيقِ … فَالتَّصَوُّفُ بِهَذَا مِصْبَاحٌ لِطُلَّابِ الطَّرِيقِ

مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَشَرَّعْ بِمَذْهَبِنَا … فَهُوَ مَعْلُولُ الِادِّعَاءِ فِي مَشْرَبِنَا

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ وُفِّقَا … وَمَنْ عَانَدَ قَوْلَنَا عَنَّا افْتَرَقَا

الصِّدْقُ فِي الطَّلَبِ هِيَ ثَمَرَةُ النَّوَايَا … وَالتَّوْفِيقُ لِلطَّاعَةِ سِرُّ الْعِنَايَةْ

لِلنَّجَاحِ وَالْفَوْزِ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةْ … فَلْنَنْظُرْ مَا فَعَلَتْهُ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةْ ؓ

آلُ الْبَيْتِ ؓ عَنِ الطَّاعَةِ لَا يَفْتُرُونَ … خَمْسَمِائَةِ رَكْعَةٍ بِالْيَوْمِ يُصَلُّونَ

وُفِّقُوا إِلَى التَّزْكِيَةِ مِنَ الْأَرْجَاسِ … وَفَازُوا بِشَرِيعَةِ جَدِّهِمْ ﷺ خَيْرِ النَّاسِ

جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرْعِ وَالطَّاعَاتِ فَفَازُوا … وَعَلَى أَعْلَى مَقَامَاتِ الْجَنَّاتِ حَازُوا

قَدْ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى مَنْ أَصَابَهُ بَلَاءْ … وَيُعْطِيهِ عَلَى إِيمَانِهِ وَصَبْرِهِ مَقَامَاتِ ارْتِقَاءْ

وَهُوَ لَا يَعْرِفُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَحْكَامِ … فَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ تَقَعُ لِلنَّادِرِ مِنَ الْأَنَامِ

لَا نَسْتَطِيعُ تَقْلِيدَهُ فِي حَالِهِ الْعَامّ … لِأَنَّ ذَلِكَ مُخَالِفٌ لِشَرِيعَةِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ

بَعْدَمَا يَشْفِيهِ مَوْلَاهُ مِنْ بَلَائِهِ الْمَرِيرِ … يَهْدِيهِ بِفَضْلِهِ لِمُرْشِدِ شَرِيعَةٍ خَبِيرِ

مِقْيَاسُ السُّلُوكِ التَّوْحِيدُ وَالْإِيمَانُ … وَلَا يَعْلَمُ مَنْ يَثْبُتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﷻ

مَحَبَّةُ ٱلْمُرْشِدِ لِلسَّالِكِ

حُبُّ ٱلْمُرْشِدِ لِلسَّالِكِ لَهُ مَعَانِي ... تَأْتِي إِلَى قَلْبِ ٱلسَّالِكِ قَدْرَ ثَوَانِي

يَفْتَحُ ٱللهُ قَلْبَ ٱلسَّالِكِ بِٱلْإِحْسَاسِ ... فَيَذُوقُ حُبًّا لَا يُقَاسُ بِمِقْيَاسِ

يَشْعُرُ بِحَرَارَةٍ رُوحِيَّةٍ كَجَمْرَةٍ مُتَّقِدَةْ ... فِيهَا أَذْوَاقٌ وَمُشَاهَدَاتٌ مُتَعَدِّدَةْ

أَوْ يَسْتَشْعِرُ بِبُرُودَةٍ بِعُرُوقِهِ تَسْرِي ... كَقِطَعِ ٱلثَّلْجِ بِأَطْرَافِهِ تُعَالِجُ وَتَسْرِي

تَرْوِي لَهُ بَعْضَ لَطَائِفِ ذَاتِهِ ... وَتُسَاعِدُهُ فِي سَائِرِ سُلُوكِهِ وَمُجَاهَدَاتِهِ

ثُمَّ يَخْتَفِي شُعُورُهُ بِٱلْحُبِّ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ... وَيَغِيبُ ذَلِكَ عَنِ ٱلْقَلْبِ وَٱلنَّظَرِ

خَوْفًا مِنَ ٱنْشِغَالِهِ بِٱلْحُبِّ عَنِ ٱلْعِبَادَةِ ... فَيَنْدَمُ وَقَدْ يَفْقِدُ كَثِيرًا مِنَ ٱلْإِرَادَةِ

حِينَ يَتَلَهَّى بِلَذَّةِ مُشَاهَدَةِ جَمَالِ ٱلْمُرَبِّي ... فَيَبْتَعِدُ عَنِ ٱلسُّلُوكِ وَعَنْ ذَلِكَ ٱلْمَشْرَبِ

فَيَظْهَرُ لَهُ بَعْدَهَا ٱلْمُرَبِّي بِنَظَرَاتِ ... فِيهَا أَحْوَالٌ مَمْزُوجَةٌ بِمَعَانٍ وَخَطَرَاتِ

تُشْغِلُهُ عَمَّا شَاهَدَ مِنْ نَعِيمٍ أَتَاهُ ... فَيَظُنُّ أَنَّ مُرْشِدَهُ غَاضِبٌ بِكُلِّ قِوَاهُ

فَيَنْصَرِفُ لِلطَّاعَةِ وَلِكُلِّ مَا يَشْفِيهِ ... حَتَّى يَنَالَ ٱسْتِقْرَارًا قَلْبِيًّا بِمَا يَكْفِيهِ

وَيَبْقَى يَتَلَوَّنُ بِتِلْكَ ٱلْمُعَامَلَةِ كَإِشَارَةْ ... حَتَّى يَصِلَ إِلَى ٱلْكَمَالَاتِ وَيَسْمَعَ ٱلْبِشَارَةْ

يَكْشِفُ بَعْدَهَا ٱلْمُرَبِّي مَا أَخْفَاهُ ... وَيُظْهِرُ لَهُ فَائِدَةَ صَبْرِهِ ٱلْمَرِيرِ عَلَى جَفَاهُ

فَتَتَبَدَّلُ ٱلْمَحَبَّةُ مِنْ خَوْفٍ وَتَعْكِيرْ ... إِلَى تَنَوُّعَاتٍ فِي ٱلْمُعَامَلَةِ فِيهَا تَغْيِيرْ

فَيَحْفَظُ ٱلسَّالِكُ لِمُرْشِدِهِ بِقَلْبِهِ ٱلتَّبْجِيلَ وَٱلْوَقَارْ ... مَهْمَا بَلَغَ مِنْ مَقَامَاتٍ وَعِلْمٍ وَأَسْرَارْ

فَلَوْلَا إِخْفَاءُ مَحَبَّةِ ٱلْمُرْشِدِ لِلْمُرِيدْ ... لَبَقِيَ عَنْ مَعْنَى ٱلْمَحَبَّةِ غَافِلًا وَبَعِيدْ

هَؤُلَاءِ هُمُ ٱلْأَوْلِيَاءُ ﷺ أَطِبَّاءُ ٱلْقُلُوبِ ... لَهُمْ مَعْرِفَةٌ فِي مُعَالَجَةِ ٱلْعِلَلِ وَٱلْعُيُوبِ

← الزاهد الورع العلامة الكبير الشيخ عبد الرحمن الحوت العلوي نسبة إلى النسب الطاهر للإمام علي عليه السلام (ت 1916م)

الحسيب النسيب سماحة الشيخ عبد القادر القباني يرتقي نسبه الشريف إلى مولانا الإمام زين العابدين (ولد في بيروت 1264هـ - ت 1935م) ←

ٱلطَّرْدُ ٱلحَقِيقِيُّ لِلمُرِيدِ

هُنَالِكَ عِدَّةُ أَسَالِيبَ ظَاهِرَةٌ لِطَرْدِ ٱلمُرِيدْ   عَـزْلٌ وَإِبْعَـادٌ وَهِجْـرَانٌ وَطَـرْدٌ أَكِيـدْ

عِنْدَمَا يَقَعُ ٱلمُرِيدُ بِٱلضَّلَالِ وَهُوَ مُخْتَارْ   يُطْرَدُ طَرْدًا حَقِيقِيًّا بِأَمْرِ ٱلوَاحِدِ ٱلقَهَّارْ ﷻ

فَيَشْـعُرُ حِـينَ طَـرْدِهِ بِضِـيقٍ خَـانِقْ   وَقَبْضٍ قَلْـبِيٍّ وَوَسَاوِسَ لِفِكْـرِهِ تُعَانِقْ

فَيَضِـيعُ مِـيزَانُ أَفْكَـارِهِ وَتَـزْدَادُ هُمُومُـهُ   وَيُسْلَبُ مَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْرٍ وَتَبْقَى سُمُومُـهُ

بَعْضُهُمْ يُصَابُ بِٱلعَمَى وَبَعْضُهُمْ بِٱلشَّلَلِ   وَعَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ يَرْفُضُ إِصْلَاحَ ٱلخَلَلِ

فَيُشَـاهِدُ بِٱلمَنَـامِ مَـنْ لِأَحْوَالِـهِ يَنْـزِعُ   فَيَرْتَعِـدُ رُعْبًـا وَيَتَكَـدَّرُ وَيَفْـزَعُ

فَيُصْـبِحُ خَـالِيَ ٱليَـدَيْنِ مِـنَ ٱلمَنَـافِعْ   وَيَأْبَى ٱلتَّوْبَةَ وَيَظَلُّ عَـنْ ضَلَالِهِ يُدَافِعْ

يَأْتِيـهِ بَعْـدَهَا إِنْـذَارٌ وَرَاءَ إِنْـذَارْ   فَلَا يَهْتَمُّ لِذَلِكَ فَتُحِيطُ بِهِ ٱلأَخْطَارْ

فَيَهْجُـرُ صَـلَاتَهُ وَصِـيَامَهُ وَٱلـذِّكْرْ   وَيَعْـتَرِضُ عَلَـى ٱللهِ بِٱلقَلْـبِ وَٱلفِكْـرْ

فَيُصْـبِحُ بِأَسْـوَإِ ٱلأَحْـوَالِ ٱلنَّفْسِـيَّةْ   وَيُصَـابُ بِصَـدَمَاتٍ وَنَوْبَـاتٍ قَلْبِيَّـةْ

بَعْضُهُمْ يَتَخَلَّى عَنْ مَظَاهِرِ ٱلسُّنَّةِ بِمَظْهَرِهِ   فَيَعُـودُ إِلَى سَـابِقِ عَهْـدِهِ فِي بَطَـرِهِ

فَيَنْفِـرُ مِنْـهُ ٱلنَّـاسُ وَيَهْجُـرُهُ أَصْـحَابُهُ   فَيَضِـيعُ عَقْلُـهُ مِنْـهُ وَيَفْقِـدُ صَـوَابَهُ

وَيَرْفُضُ مِـنَ ٱلكُـلِّ سَمَاعَ أَيَّةِ نَصِيحَةْ   وَتَصِـيرُ سَـائِرُ لَطَائِفِـهِ عَلِيلَـةً جَرِيحَـةْ

فَتَظْهَـرُ عَلَـى وَجْهِـهِ عَلَامَـاتْ   تَـدُلُّ عَلَـى أَنَّ عِرْفَانَـهُ مَـاتْ

هَـذَا هُـوَ ٱلطَّـرْدُ ٱلحَقِيقِـيُّ بِـلَا رَجْعَـةِ   وَفِيـهِ تَكْمُـنُ أَعْظَـمُ وَأَرْهَـبُ فَـاجِعَـةِ

فَـٱلطَّرْدُ لَـهُ إِشَـارَةٌ وَاضِـحَةٌ وَدَلِيـلْ   لِأَنَّـهُ غَضَـبٌ وَمَقْتٌ مِـنْ رَبِّنَـا ٱلجَلِيـلْ ﷻ

فَإِنْ عَاقَبَ ٱللهُ تَعَالَى مِثْلَ هَذَا ٱلعَـاصِـي   فَلَنْ يَعْلَمَ سِوَاهُ مَا سَيُصِيبُهُ مِـنَ ٱلمَآسِـي

إِذَا ٱسْتَمَرَّ مَـنْ عُـزِلَ بِصَـلَاتِهِ وَعِبَادَتِـهِ   فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى لُطْفِ ٱللهِ وَعَظِيمِ حِكْمَتِهِ

لِأَنَّ ٱلوَاقِـعَ عَلَيْـهِ ٱلطَّـرْدُ وَٱلغَضَـبْ   لَا يَقُومُ بِوَاجِبِهِ ٱلدِّينِيِّ مِنْ شِدَّةِ ٱلعَطَبْ

فَـٱلمَطْرُودُ كَـإِبْلِيسَ يَشُـنُّ ٱلحُـرُوبْ   مَـنْ كَـانَ كَـذَلِكَ فَعَلَيْنَـا مِنْـهُ ٱلهُـرُوبْ

فَنَسْأَلُ ٱللَّهَ ٱللُّطْفَ بِٱلقَضَا ... وَٱلعَفْوَ عَمَّا كَانَ مِنَّا وَمَضَى

عَزْلُ ٱلمُرْشِدِ لِلْمُرِيدِ

ٱلفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلمَعْزُولِ وَٱلمَطْرُودِ ... ٱلعَابِدُ لَا يُخَالِفُ أَوَامِرَ رَبِّهِ ٱلمَعْبُودِ

وَٱلطَّرْدُ ٱلصُّورِيُّ يَكُونُ لِحِفْظِ ٱلسَّالِكِ ... مِنْ أَحْقَادِ ٱلحَاسِدِينَ وَمَا يُدَبِّرُونَ مِنْ مَهَالِكِ

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى ٱلتَّبْدِيلِ وَٱلتَّغْيِيرِ ... لِنَقْلِهِ إِلَى حَالَةٍ خَفِيَّةٍ عَنْ كُلِّ ضَمِيرِ

وَيَمْتَحِنُ ٱللَّهُ بِهِ رُفَقَاءَ ٱلسَّالِكِ ... لِيُظْهِرَ حَالَهُمْ فَيَتَمَيَّزُ ٱلنَّاجِي مِنَ ٱلهَالِكِ

فَيَفْضَحُ ٱلضَّمَائِرَ وَخَفَايَا ٱلصُّدُورِ ... إِنْ كَانَ بِهَا حَسَدٌ وَبُغْضٌ يَغْلِي بِٱلقُدُورِ

فَيُعْطِي ٱلمُرْشِدُ إِشَارَةَ ٱلعَزْلِ لِمَنْ يُحِبُّ ... فَيَفُورُ بِٱلقَلْقَلَةِ ٱلحَاسِدُ فَيَشْتُمُ وَيَسُبُّ

وَيُجَاهِدُ بِتَخْرِيبِ سُمْعَةِ وَصُورَةِ ٱلسَّالِكِ ... فَيَقَعُ وَمَنْ مَعَهُ بِمَكْرِ ٱللَّهِ بِتِلْكَ ٱلمَسَالِكِ

فَيَتَقَلَّبُونَ عَلَى أَمْوَاجِ ٱلغَضَبِ وَٱلوَبَالِ ... لِأَنَّهُمْ تَجَرَّأُوا عَلَى ٱلأَبَاطِيلِ بِكُلِّ مَجَالِ

مَا يَجْرِي عَلَى ٱلعِبَادِ مِنْ حِكَمِ ٱللَّهِ ٱلعَظِيمَةِ ... لَا يَفْهَمُهَا أَهْلُ ٱلقُلُوبِ ٱلسَّقِيمَةِ

فَيُخْفِي ٱللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَعْدَائِهِ ... حِكَمًا بَالِغَةً وَيَتَلَطَّفُ بِهَا عَلَى أَوْلِيَائِهِ

لَوْ عُزِلَ أَوْ أُصِيبَ صَاحِبٌ لَنَا أَوْ رَفِيقْ ... عَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ وَمِنْ غَفْلَتِنَا أَنْ نُفِيقْ

وَنَدْعُو لَهُ لَعَلَّ ذَلِكَ مِنْ عِتَابِ ٱلأَحْبَابِ ... فَلَا نُشَهِّرُهُ وَنَطْعَنُ بِهِ بِهَذَا ٱلبَابِ

إِذْ رُبَّمَا وَقَعْنَا فِي نَفْسِ ٱلمُصِيبَةْ ... فَهَذِهِ أُمُورٌ مُحْزِنَةٌ وَوَقَائِعُ غَرِيبَةْ

نَالَ آدَمُ مِنْ بَلَاءِ ٱلعَزْلِ بِٱلجَنَّةِ ... فَأَصْبَحَ ذَلِكَ سُنَّةً لِلزَّاهِدِينَ فِي هَذِهِ ٱلأُمَّةِ

وَعُزِلَ خَالِدُ بْنُ ٱلوَلِيدِ ٱلمِقْدَامْ ... وَهَذَا مِنَ ٱلحَوَادِثِ ٱلَّتِي جَرَتْ فِي ٱلإِسْلَامْ

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَهَمِّيَّةِ ٱلصَّبْرِ وَٱلتَّحَمُّلِ ... فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱلحِكْمَةِ إِلَّا أَهْلُ ٱلتَّأَمُّلِ

لَا نَقُولُ عَنْ عَزْلِ خَالِدٍ بِزَمَانِهِ ... أَنَّهُ لِنَقْصٍ فِي تَقْوَاهُ وَإِيمَانِهِ

فَهَذَا عَزْلٌ فِيهِ حِكَمٌ رَبَّانِيَّةٌ بِٱخْتِصَاصْ ... لَا يَنَالُهُ إِلَّا أَهْلُ ٱلهِمَّةِ وَٱلخَوَاصّ

إِذْ لَا يَحِقُّ لِأَيِّ إِنْسَانٍ طَرْدُ ٱلمُؤْمِنِينَ ... فَهَذَا مِنْ خَصَائِصِ مَوْلَانَا رَبِّ ٱلعَالَمِينَ

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام ٥٢).

فَالعَزْلُ لِلسَّالِكِينَ فِيهِ مَقَامٌ وَإِشَارَةٌ — وَدَلِيلُ وُصُولٍ وَتَهْيِئَةٍ لِلرُّجُوعِ وَبِشَارَةٌ
مِثْلُ هَذِهِ الأُمُورِ مِنَ المَقَامَاتِ المُحَيِّرَةْ — لَا يَفْقَهُهَا أَهْلُ القُلُوبِ الَّتِي لِغَيْرِ اللهِ مُجَيَّرَةْ
فَالعَزْلُ أَحْيَانًا فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِلسَّالِكِ — لِإِنْقَاذِهِ مِنْ أَنْظَارٍ تُؤَدِّي إِلَى المَهَالِكِ
وَبِخَاصَّةٍ لِإِبْعَادِهِ عَنْ خَطَرِ الحَاقِدِينَ — الَّذِينَ يُضْمِرُونَ لَهُ الشَّرَّ مَعَ الحَاسِدِينَ
بِالعَزْلِ ظَاهِرًا يَكُونُ لَهُ السَّلَامَةْ — فَافْهَمْ وَانْتَبِهْ لِتِلْكَ الإِشَارَةِ وَالعَلَامَةْ
بِالعَزْلِ يَتَفَرَّغُ لِفُتُوحِ التَّلَقِّي الرَّاقِي — فَتَهْبِطُ عَلَيْهِ الأَنْوَارُ كَالسَّوَاقِي
لِأَنَّهُ لَوْ نَالَ الفُتُوحَ وَهُوَ فِيهِمْ — لَحَرَّكَهُمُ الحِقْدُ لِلتَّخْرِيبِ كَمَا فِي مَاضِيهِمْ

إِحْيَاءُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر ٧)

فَاتَّبِعْ أَعْمَالَهُ ﷺ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ عَلَى الدَّوَامِ — وَتَعَبَّدْ وَتَهَجَّدْ بِالنَّوَافِلِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ
وَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِهِ ﷺ مِنْ حَيَاءٍ وَحِلْمٍ وَرِقَّةٍ — وَصَفْحٍ وَعَفْوٍ وَرَأْفَةٍ وَمُدَارَاةٍ وَشَفَقَةٍ
وَنَصِيحَةٍ وَتَوَاضُعٍ وَسَكِينَةٍ وَخَشْيَةٍ مَهِيبَةٍ — وَرِضًا وَصَبْرٍ وَزُهْدٍ وَتَوَكُّلٍ عِنْدَ المُصِيبَةِ
مَنْ رُزِقَ قِسْطًا مِنْ أَحْوَالِهِ — وَأَحْيَى سُنَّتَهُ كَانَ رَاقِيًا فِي نَوَالِهِ

قَالَ ﷺ: "**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**"[1].

مَنْ تَابَعَ النَّبِيَّ ﷺ بِالشَّرْعِ وَالطَّرِيقِ — مَعَ الِالْتِجَاءِ إِلَى اللهِ يَصِلُ إِلَى التَّحْقِيقِ

رُوِيَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**...أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ... فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**" (رواه البخاري، فتح الباري ج ٩ ص ١٠٤)

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ**"[2] (رواه أبو هريرة)

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٣٣
(٢) مصابيح السنة ج١ ص ١٦٣

مَعْنَى ٱلْخِلَافَةِ عِنْدَ ٱلْمُرْشِدِينَ

ٱلْخِلَافَةُ كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ عِنْدَ ٱلْمُرْشِدِينَ   بِبِلَادِ ٱلْأَكْرَادِ عَلَى عِدَّةِ أَنْوَاعٍ بَيْنَ ٱلْمُرِيدِينَ

مِنْهَا خِلَافَةٌ لِلتَّبْلِيغِ وَخِلَافَةٌ لِلْخِدْمَةِ   وَخِلَافَةٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّدْرِيسِ بِتِلْكَ ٱلْمُهِمَّةِ

وَخِلَافَةُ تَلْقِينِ ذِكْرٍ وَإِعْطَاءِ طَرِيقٍ   وَخِلَافَةُ قِرَاءَةِ أَخْتَامٍ لِلْغَرِيبِ وَٱلشَّقِيقِ

وَأَرْقَاهَا خِلَافَةُ ٱلتَّوَجُّهَاتِ ٱلْقَلْبِيَّةِ   وَخِلَافَةُ ٱلتَّسْلِيكِ لِلْوُصُولِ لِلْمَدَارِجِ ٱلْقُدْسِيَّةِ

وَٱلدَّرَجَةُ ٱلْأُولَى مِنَ ٱلْخِلَافَةِ ٱلرَّاقِيَةِ   خِلَافَةُ ٱلْمُرْشِدِ لِمَنْ يُرَبِّيهِ بِٱلتَّوَجُّهَاتِ ٱلنَّقِيَّةِ

وَإِيصَالِهِ بِٱلدُّعَاءِ وَٱلْهِمَّةِ لِأَرْقَى ٱلتَّجَلِّيَاتِ   وَمُشَاهَدَةِ أَنْوَارِ ٱلْحَبِيبِ بِسَائِرِ ٱلْأَوْقَاتِ

وَتَحْدُثُ أُمُورٌ حِينَ وُصُولِهِ لِلْمَقَامِ ٱلْعَالِي   كَمُشَاهَدَةِ أَرْقَى أَنْوَارِ ٱلسُّلُوكِ ٱلْغَالِي

وَوُقُوعِهِ بِغَيْبَةٍ رُوحِيَّةٍ وَٱنْقِلَابِ ٱلْعَقْلْ   لِجِهَةٍ مُخَصَّصَةٍ لِيُشَاهِدَ ٱلْعَجَائِبَ وَيَطْبَعَ مَا نَقَلْ

مِنْ عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ وَنَفَحَاتٍ وَمُشَاهَدَاتٍ رَاقِيَةٍ   وَمُصَافَحَةٍ أَوْ تَقْبِيلِ أَعْظَمِ شَخْصِيَّةٍ غَالِيَةٍ

فَيَبْقَى أَرِيجُهَا مَطْبُوعًا عَلَى ٱلْجَبِينْ   إِشَارَةً عَظِيمَةً يَنَالُهَا أَرْقَى ٱلْمُتَّقِينْ

وَلَهُ ٱخْتِرَاقَاتٌ نُورَانِيَّةٌ وَشَيْءٌ مُدْهِشُ   وَلَمَعَانُ ٱلْأَنْوَارِ وَبَرْقُ رَحَمَاتٍ مُرْعِشُ

هَذَا ، وَيَنْقُلُ ٱلْمُرْشِدُ حَالَ قَلْبِهْ   إِلَى قَلْبِ خَلِيفَتِهِ وَيُفَرِّغُهْ وَيَصُبُّهْ

فَيُصْبِحُ بِيَدَيْهِ ٱلْحَلُّ وَٱلرَّبْطُ وَٱلرَّابِطَةُ   فَتُشَاهِدُ بِبَاطِنِهِ كُتْلَةٌ نُورَانِيَّةٌ هَابِطَةُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِثْلُ ذَلِكَ قَدْ حَصَلْ   فَهُوَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمَقْصُودُ بِذَلِكَ ٱلْأَصْلْ

فَتِلْكَ ٱلْخِلَافَةُ حَامِلَةٌ لِجُعْبَةِ ٱلْوِرَاثَةِ   لَا يَفْهَمُ مَا نَقُولُ إِلَّا أَهْلُ ٱلْفِرَاسَةِ

وَيُصْبِحُ بِدَوْلَةِ عَالَمِ ٱلتَّأَمُّلِ كَٱلْعَلَمِ   وَتَظْهَرُ صُورَتُهُ مُرَفْرِفَةً لِلطَّالِبِينَ بِٱلْعَالَمِ

هَنِيئًا لِمَنْ يَسْلُكُ عَلَى يَدَيْهِ بِزَمَانِهْ   بِٱلِاعْتِقَادِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلْعَمَلِ يُحَقِّقُ أَحْلَامَهْ



كَلِمَةُ: خَلِيفَةٍ

قَدْ يُفْتَنُ الكَثِيرُ بِمَعْنَى كَلِمَةِ خَلِيفَةْ … وَيَظُنُّونَ أَنَّ صَاحِبَهَا أُمُورُهُ شَرِيفَةْ

فَقَدْ تُسْتَعْمَلُ تِلْكَ الكَلِمَةُ بِكَثْرَةْ … عِنْدَ الأَكْرَادِ حَيْثُ فِئَاتُهُمْ مُنْتَشِرَةْ

يَسْتَعْمِلُونَهَا عِنْدَهُمْ كَأَلْقَابٍ وَإِشَارَةْ … لِأَهْلِ الأَعْمَالِ وَالمَصَالِحِ وَالخَدَمِ فِي بِيَارَةْ

كَخَادِمِ الشَّيْخِ المَسْؤُولِ عَنِ الخُيُولِ … وَالخَادِمُ المَسْؤُولُ عَنِ الطَّبْخِ وَالبُقُولِ

وَكَالَّذِي يَقْرَأُ أَوْ تَقْرَأُ الخَتْمَ وَالتَّهْلِيلْ … يُقَالُ لَهَا خَلِيفَةٌ بِهَذَا القَبِيلْ

أَمَّا الخَلِيفَةُ الَّذِي لِقَلْبِ الشَّيْخِ يُمَثِّلُ … فَغَيْرُ الطَّبَّاخِ الَّذِي لِاسْمِ الخِلَافَةِ يَحْمِلُ

هَذَا مُهَيَّأٌ لِلإِرْشَادِ وَصَاحِبُ وِلَايَةِ … وَسَالِكٌ كَبِيرٌ مَحْفُوفٌ بِأَرْقَى عِنَايَةِ

وَبَعْضُ الَّذِي يُؤْذَنُ لَهُ بِالأَخْتَامِ المُشَرَّفَةِ … قَدْ يَقَعُ فِي عِلَلٍ كَثِيرَةٍ مُزَيَّفَةِ

فَوْرَ تَسَلُّمِهِ إِجَازَةَ القِرَاءَةِ يُنَادُونَهُ خَلِيفَةْ … فَيَظُنُّ نَفْسَهُ أَصْبَحَ ذَا أَحْوَالٍ شَرِيفَةْ

فَتَكْثُرُ مَطَالِبُهُ وَتَكْلِيفُهُ لِلنَّاسِ لِخِدْمَتِهِ … لِتَزْوِيدِهِ بِالمُسَاعَدَاتِ وَالدَّعْمِ طِيلَةَ مُدَّتِهِ

فَيَقَعُ الكَثِيرُ بِهَؤُلَاءِ مِنْ ضُعَفَاءِ القُلُوبِ وَالنُّفُوسِ … وَكَانَ عَلَيْهِمُ الإِطِّلَاعُ عَلَى التَّصَوُّفِ بِالقَامُوسِ

لَقَدْ وَجَدْنَا مُرِيدِينَ يَخْدُمُونَ الخَلِيفَةْ … وَهُمْ أَرْقَى مِنْهُ بِالمَقَامَاتِ وَالأَحْوَالِ المُنِيفَةْ

لِكَثْرَةِ صِدْقِهِمْ وَطَاعَاتِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ … رَفَعَ اللهُ مَقَامَاتِهِمْ لِنَظَافَةِ نَوَايَاهُمْ

كَثِيرٌ مِنْ شَبَابِ العَرَبِ لَمْ يُوَفَّقْ إِلَى المَعَارِفْ … وَالمَقَامَاتِ الَّتِي مِنْهَا الوَلِيُّ غَارِفْ

لِأَنَّهُمُ انْشَغَلُوا عَنِ اللهِ فِي أَذَى عِبَادِهِ … وَأَفْسَدُوا وَضَرُّوا المُؤْمِنِينَ فِي بِلَادِهِ

وَعَمِلُوا بِالقَالِ وَالقِيلِ وَمِهْنَةِ الحَسَدْ … وَأَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ وَنُفُوسُهُمْ فِي كَبَدْ(١)

وَتَلَهَّوْا بِالكَثْرَةِ وَالقُوَّةِ وَضَخَامَةِ العَدَدْ … ظَنُّوا ذَلِكَ هُوَ العِرْفَانُ وَالمَدَدْ



(١) كبد : أي مشقة .



يُضَحِّي ٱلْبَعْضُ لِحُصُولِهِ عَلَىٰ ٱلْخِلَافَةِ بِمَالِهِ   لِيَتَخَفَّىٰ خَلْفَهَا لِإِخْفَاءِ قُبْحِ حَالِهِ

شَرَحْنَا سَابِقًا عَنِ ٱلْخَلِيفَةِ بِٱلتَّفْصِيلِ   وَعَرَفْنَا صِفَاتِهِ وَإِشَارَاتِهِ مَعَ ٱلدَّلِيلِ

ٱلْمُتَهَافِتُ عَلَىٰ ٱلْخِلَافَةِ بِلَا عَمَلٍ هَالِكْ   لَا قَلْبَ لَهُ ، سَيِّئُ ٱلنَّوَايَا وَٱلْمَسَالِكْ

فَهَذَا خَلِيفَةُ مَنْفَعَةٍ وَجَاهٍ وَلِسَانِ   قَلْبُهُ خَالٍ مِنَ ٱلْمَعَارِفِ وَٱلْإِحْسَانِ

خِلَافَتُهُ مَطْعُونَةٌ كَحِبْرٍ عَلَىٰ وَرَقْ   كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُتَسَلِّطِينَ عَلَىٰ ٱلْخِلَافَةِ ٱحْتَرَقْ

كَٱلْخَادِمِ وَٱلْكَاتِبِ ٱلَّذِي يَتَعَامَلْ   مَعَ ٱلْأَجْهِزَةِ لِيَضْغَطَ عَلَىٰ ٱلْمُرْشِدِ وَيَتَحَامَلْ

لِكَسْبِ سُمْعَةٍ وَسُلْطَةٍ وَجَاهٍ وَنُفُوذْ   وَيَخُوضُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا يَجُوزْ

فَيُعْطِيهِ ٱلْمُرْشِدُ خِلَافَةً بَاطِلَةً كَفَتِيلَةْ   لِيُشْغِلَهُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ مِنْ فِتَنٍ وَرَذِيلَةْ

وَيُلْهِيهِ بِكُشُوفَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ بَاطِنِيَّةْ   لَا مَعَانِيَ وَلَا تَرَقِّيَ فِيهَا وَلَيْسَتْ هَنِيَّةْ

يَطَّلِعُ بِهَا بَاطِنِيًّا عَلَىٰ قُوَّةِ ٱلْمُرِيدْ   لِيَتَحَسَّرَ وَيَتَأَلَّمَ كَعِقَابٍ وَهُنَاكَ مَزِيدْ

يَعِيشُ بِٱلْخِلَافَةِ خَالِيًا مِنَ ٱلْمَعْنَوِيَّاتِ   وَبِذَلِكَ يَحْتَمِي مِنْهُ ٱلْمُرِيدُونَ مِنَ ٱلْوَيْلَاتِ

كَمْ مِنْ حَامِلٍ لِذَلِكَ ٱلْاِسْمِ ٱفْتَرَىٰ   وَأَدْخَلَ ٱلْمُرِيدِينَ ٱلسُّجُونَ كَمَا نَرَىٰ

وَدَمَّرَ سُمْعَةَ ٱلطَّرِيقَةِ لِكَسْبِ ٱلْجَاهْ   كَقَاضٍ وَقُنْصُلٍ وَدَجَّالٍ بِفَتْوَاهْ

أَفْكَارُهُ شِرِّيرَةٌ ذُو نَفْسٍ مَغْرُورَةِ   يَحْمِلُ خِلَافَةً كَمَا وَضَّحْنَا كَصُورَةِ

وَتَلْقِينُهُ لِلْمُبَايَعَةِ وَٱلرَّابِطَةِ فِيهِمَا مَضَرَّةْ   يُصَابُ ٱلْمُرِيدُ بِبَلَاءٍ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةْ

أَقَلُّهُ يُوَسْوِسُ ٱلشَّيْطَانُ بِٱلْقُلُوبِ ٱلْعَلِيلَةِ   وَتَتَوَهَّمُ ٱلنَّفْسُ بِٱلْخِلَافَةِ ٱلْجَلِيلَةِ

وَيُصَابُ ٱلْفِكْرُ بِٱسْتِدْرَاجَاتٍ مُتَنَوِّعَةِ   هُمُومٌ وَغُمُومٌ وَأَكْدَارٌ وَآلَامٌ مُرَوِّعَةِ

مِثْلُ هَذِهِ ٱلْخِلَافَةِ لَا خَيْرَ فِيهَا   وَمُدَّعِيهَا عَاجِزٌ عَنْ تَفْسِيرِ مَا فِيهَا

ٱلْمُتَعَدِّي عَلَىٰ ٱلْبَاطِنِ لَهُ حِسَابْ … وَكُلُّ شَيْءٍ يَفْعَلُهُ يُسَجَّلُ فِي كِتَابْ

كَمَا يُحَاسَبُ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ لِلْأَحْكَامِ … وَيُعَاقَبُ عَلَىٰ أَكَاذِيبِهِ بَيْنَ ٱلْأَنَامِ

كَانَ أَهْلُ ٱلْخِلَافَةِ يَرْجُفُونَ لِلْحَقِيقَةِ … وَيُصْعَقُونَ لِمَعَانِيهَا لِشَفَافِيَةِ قُلُوبِهِمُ ٱلرَّقِيقَةِ

لِمَا فِيهَا مِنْ رَهْبَةٍ وَجَلَالٍ وَعُلُومِ … وَتَجَلِّي بَرَكَاتِ رَبِّنَا ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﷻ

لَا تُمْنَحُ إِجَازَةُ ٱلْخِلَافَةِ بِمُجَرَّدِ مَنَامِ … لِأَنَّ لِكُلِّ رُؤْيَةٍ تَأْوِيلًا فِي ٱلْإِسْلَامِ

وَٱلْخِلَافَةُ قَدْ تَكُونُ لِلْخِدْمَةِ وَهِيَ تُسْتَعْمَلُ … لِخِدْمَةِ ٱلْمُرِيدِينَ كَمَا ٱلْخَادِمُ يَعْمَلُ

وَقَدْ تَكُونُ خِلَافَةٌ تَنْفِيذِيَّةٌ مُمَيَّزَةٌ رَاقِيَةْ … لِمَنْ كَانَتْ أَحْوَالُهُ ثَابِتَةً وَبَاقِيَةْ

تَحْتَوِي بِنُورَانِيَّتِهَا أَهْلَ ٱلْكَمَالِ … تَعِيشُ وَتَسْبَحُ بِفَيْضِ رَبِّنَا ٱلْمُتَعَالِ ﷻ

وَيَكُونُ صَاحِبُهَا لِصِفَاتِ ٱلْمُرْشِدِ مُطَابِقًا … وَبِسُلُوكِهِ وَهِمَّتِهِ لِلسَّالِكِينَ سَابِقًا

مَا فِي بَاطِنِ ٱلْمُرْشِدِ مِنْ مَعْنَوِيَّاتٍ رَاقِيَةْ … تَكُونُ بِبَاطِنِ ٱلْخَلِيفَةِ مَطْبُوعَةً بَاقِيَةْ

وَقَدْ تَكُونُ خِلَافَةٌ وِرَاثِيَّةٌ وَهِيَ نَادِرَةْ … تَمُرُّ عَلَىٰ عَائِلَةٍ كَامِلَةٍ كَٱلْعَابِرَةْ

تَكُونُ ٱلْعَائِلَةُ مُهَيَّئَةً مِنَ ٱلطُّفُولَةْ … بِٱلرَّحَمَاتِ ٱلْإِلَٰهِيَّةِ وَبِٱلْأَنْوَارِ مَجْبُولَةْ

تِلْكَ هِيَ خِلَافَةٌ أُوَيْسِيَّةٌ وَٱخْتِصَاصْ … يَمُدُّ بِهَا ٱلْمَوْلَىٰ مَنْ شَاءَ مِنَ ٱلْخَوَاصّ

قَدْ مَرَّتْ عَلَىٰ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشَرَةِ رِجَالِ … وَصَلُوا بِنُورَانِيَّتِهَا لِإِرْشَادِ ٱلْكَمَالِ

بِٱلْعِلْمِ وَٱلطَّاعَةِ وَٱلذِّكْرِ وَٱلْعِبَادَةِ … وَنَشْرِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰ وَصَلُوا لِلْقِيَادَةِ

أَمْثَالِ آلِ سِرَاجِ ٱلدِّينِ ﵃ بِكُرْدِسْتَانَ … وَٱنْتَهَتِ ٱلْخِلَافَةُ بِٱلْمُرْشِدِ ٱلشَّيْخِ عُثْمَانَ

وَيُوجَدُ خِلَافَةٌ سُلُوكِيَّةٌ فِيهَا يُتَابِعْ … ٱلْمُرِيدُ بَعْدَ رَحِيلِ مُرْشِدِهِ لِكَسْبِ ٱلْمَنَافِعْ

وَهَٰذَا ٱلْخَلِيفَةُ تَكُونُ رُوحُهُ بِمُشَاهَدَاتِهَا سَيَّارَةْ … تَمُرُّ بِفَضَاءِ ٱلْعِرْفَانِ أَسْرَعَ مِنَ ٱلطَّيَّارَةْ

يَتَجَوَّلُ بِرُوحِهِ فِي عِرْفَانِ عَالَمِ ٱلْبَاطِنِ … مُتَّصِلٌ وَمَوْصُولٌ بِفُيُوضَاتِهِ كَمُوَاطِنِ

يَكُونُ دَائِمًا مَشْغُولَ ٱلْقَلْبِ وَٱللَّطَائِفِ … لَهُ هِمَّةٌ يُشْغِلُ كُلَّ قَلْبٍ وَاقِفِ

مَنِ ٱسْتَطَاعَ عَكْسَ تِلْكَ ٱلْمَوَاجِيدِ … عَلَىٰ أَتْبَاعِهِ فَهُوَ خَلِيفَةٌ عَلَى ٱلتَّأْكِيدِ

حِينَ رَحِيلِ ٱلْمُرْشِدِ تَنْعَدِمُ ٱلْأَذْكَارْ   وَهٰذَا مَعْلُومٌ عِنْدَ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْكُمَّلِ ٱلْكِبَارْ

وَتُغْلَقُ ٱلْمَوَاجِيدُ وَٱلْقُلُوبُ تَتَأَلَّمْ   وَتَهِيجُ ٱلْأَرْوَاحُ إِنِ ٱلْمُرْشِدُ رُوحَهُ سَلَّمْ

يَتَأَثَّرُ ٱلْخَلِيفَةُ بَاطِنِيًّا بِمَا أَصَابَهُ   كَأَنَّ رُوحَهُ تُنَازِعُ وَيَتَمَزَّقُ فُؤَادُهُ

لَا يَصْطَلِحُ حَالُ بَاطِنِ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْوَارِثِ   إِلَّا بَعْدَ مُرُورِهِ عَلَىٰ عَجَائِبَ مِنَ ٱلْكَوَارِثِ

قَدْ يَنْتَظِرُ مُرَابِطًا بِفِكْرِهِ سِنِينَ طَوِيلَةْ   رَابِطَةً خَفِيَّةً لِيَقْضِيَ ٱللهُ بِتَحْوِيلِهْ

هِيَ رَابِطَةُ تَوْصِيلِ ٱللَّطَائِفِ بِبَعْضِهَا   وَلَيْسَتْ كَرَابِطَةِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمُتَغَيِّرِ وَضْعُهَا

حَيْثُ تَتَبَدَّلُ ٱلرَّابِطَةُ بِٱلْبَرْزَخِ لِلْمُرَبِّي   يَجْهَلُهَا ٱلْمُرِيدُ وَٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمُدَّعِي ٱلْغَبِيّ

فَيَصْبِرُ ٱلْخَلِيفَةُ وَخُرُوجُهُ لِلْعَمَلِ يَتَأَجَّلُ   وَيَبْقَىٰ بِسُلُوكِهِ مِنْ مَقَامٍ لِمَقَامٍ يَتَنَقَّلُ

بَعْدَمَا يَجْلِسُ مُرْشِدُهُ بِمَوْقِعِهِ ٱلرُّوحَانِيّ   يَتَلَقَّىٰ ٱلْخَلِيفَةُ صُوَرَ ٱلْمُتَابَعَةِ بِثَوَانِي

يَسْتَقْبِلُهَا بِثِقْلٍ مَعْنَوِيٍّ كَبِيرٍ وَضِيقِ   مَحْفُوفٍ بِٱلتَّجَلِّي وَٱلْمَعَارِفِ عَلَىٰ ٱلتَّحْقِيقِ

حَتَّىٰ تَأْتِيَ ٱلْإِشَارَةُ لِصَاحِبِ ٱلْخِلَافَةِ   ٱلتَّنْفِيذِيَّةِ وَٱلسُّلُوكِيَّةِ وَيُطْلَبُ حُضُورُهُ لِلضِّيَافَةِ

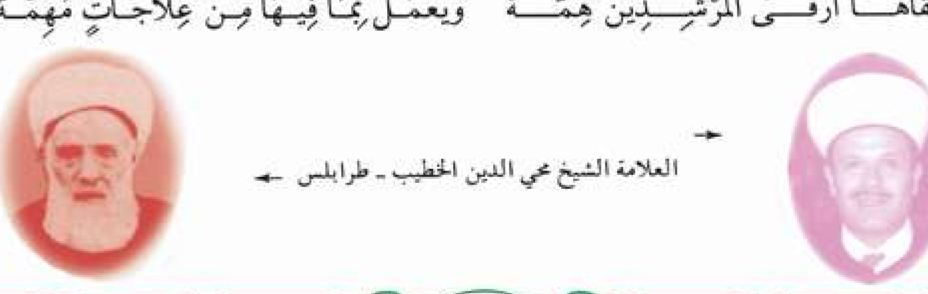
يُلْقَىٰ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ نَفَحَاتْ   فِيهَا مَفَاتِيحُ ٱلْعَمَلِ حَسَبَ حُكْمِ ٱلْآيَاتْ

ٱلْمُرَشَّحُ لِلْخِلَافَةِ ٱلْمُطْلَقَةِ

هُوَ ٱلَّذِي يَتَرَبَّىٰ بِطَرِيقَةِ ٱلتَّكْلِيفِ   بِأَمْرٍ رُوحَانِيٍّ مَعْ فَرَمَانٍ شَرِيفٍ

تُصَوَّرُ ٱلْأَوَامِرُ عَلَىٰ لَوْحَةٍ خَفِيَّةٍ   يُشَاهِدُهَا أَوْلِيَاءُ ٱلْعُصُورِ ٱلْعَلِيَّةِ

فَيَتَلَقَّاهَا أَرْقَىٰ ٱلْمُرْشِدِينَ هِمَّةً   وَيَعْمَلُ بِمَا فِيهَا مِنْ عِلَاجَاتٍ مُهِمَّةٍ



العلامة الشيخ محي الدين الخطيب ـ طرابلس

وَيُعَالِجُ قَلْبَ وَنَفْسَ وَفِكْرَ وَبَصَرْ
ذَلِكَ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْوَاصِلِ لِلْكَمَالِ ٱلْمُنْتَظَرْ

وَيُمَرِّرُهُ عَلَىٰ مُشَاهَدَاتٍ نُورَانِيَّةٍ جَبَّارَةٍ
وَيُدَرِّبُهُ عَلَىٰ ٱسْتِعْمَالِ كُلِّ إِشَارَةٍ

يُجَمِّعُهُ بِرُوحَانِيَّةِ صَاحِبِ ٱلْمُهِمَّاتِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ
وَيُغَذِّيهِ بِإِجَازَاتٍ وَمَقَامَاتٍ عَلِيَّةٍ

فَيَزْدَادُ تَزْكِيَةً وَعُلُومًا وَسَعَةَ عَقْلٍ
وَقُدُرَاتٍ وَهِمَمًا بِمُجَاهَدَاتٍ ذَاتِ ثِقَلٍ

وَكُلُّ مَا سُطِّرَ بِصَفْحَتِهِ يَنْقُلُ مَا فِيهَا
لِأَعْمَاقِ صَدْرِهِ وَيُخَزِّنُهَا لَهُ وَيَطْوِيهَا

حَتَّىٰ يَقْطَعَ أَشْوَاطًا مُتَنَوِّعَةَ ٱلْعِرْفَانِ
وَيَفُوزُ بِرُتْبَةِ مُشَاهَدَةِ تَجَلِّي ٱلرَّحْمَٰنِ ﷻ

بِإِحْسَاسٍ مَعْنَوِيٍّ مُحَيِّرٍ لِلْعُقُولِ وَمُدْهِشْ
وَيَنْصَبُّ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَلَطَائِفِهِ كُلُّ مَا يُنْعِشْ

فَيَزْدَادُ قُوَّةً وَهِمَّةً لِلْمُتَابَعَةِ
بِٱلْأُولَىٰ وَٱلثَّانِيَةِ وَٱلثَّالِثَةِ وَٱلرَّابِعَةِ

وَيَنْطَلِقُ بِعَالَمِ ٱلرُّوحَانِيَّاتِ يُرَافِقُهْ
مُرْشِدُ زَمَانِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ عَلَىٰ مُوَافَقَةْ

مِنْ حُرَّاسٍ شِدَادٍ غِلَاظٍ أَقْوِيَاءِ
وَلَا يُدْرِكُ مَا نَقُولُ إِلَّا أَهْلُ ٱلصَّفَاءِ

فَيَتَدَرَّجُ بَعْدَ مُكَابَدَاتٍ طَوِيلَةٍ
بِمَا سَلَكَهُ ٱلسَّادَةُ بِٱلسُّبُلِ ٱلْجَلِيلَةِ

وَيَنَالُ رُتَبًا وَرُمُوزًا وَمَعْنَوِيَّاتٍ
يَصْعُبُ شَرْحُهَا وَوَضْعُهَا فِي كَلِمَاتٍ

يَبْقَىٰ يَغُوصُ فِي أَجْوَاءِ ٱلْمَعَارِفْ
حَتَّى يُصْبِحَ كَوْكَبًا بَاطِنِيًّا لِلْمَعْرِفَةِ غَارِفْ

هَذَا شَيْءٌ مُكَلِّفٌ وَسُلُوكُهُ خَطِيرْ
لَيْسَ بِٱلسَّهْلِ نَوَالُهُ وَلَيْسَ ٱلْأَعْمَىٰ كَٱلْبَصِيرْ

إِلَىٰ أَنْ يُنْهِيَ مَالَهُ بِٱلْفَرَمَانِ مِنْ سُلُوكِ
بِرَحْمَةِ رَبِّنَا ٱلْعَزِيزِ ﷻ مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ

يَنْزِلُ ٱسْمُهُ بَعْدَهَا بِٱلسِّلْسِلَةِ ٱلْعَلِيَّةْ
وَيُطْلِقُ مُرْشِدُهُ حَالَهُ وَيُنْهِي ٱلْقَضِيَّةْ

وَيَنْتَهِي مَا كُلِّفَ بِهِ مُرْشِدُهُ مِنْ تَدْرِيبِ
بَعْدَ أَنْ قَطَعَ أَشْوَاطَ كُلِّ هَوْلٍ عَجِيبِ

ظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَسَبَ ٱلْأَوَامِرِ ٱلصَّادِرَةْ
وَيَغْسِلُهُ ٱلْغَسْلَةَ ٱلرُّوحِيَّةَ ٱلْأَخِيرَةَ ٱلنَّادِرَةْ

وَيُجَمِّعُهُ بِٱلْكَامِلِ ٱلْأَنْوَرِ ﷺ بِحَلْقَةٍ رُوحِيَّةٍ
يَنَالُ فِيهَا كِتَابًا عَظِيمًا بِطَرِيقَةٍ نُورَانِيَّةٍ

وَيَكْشِفُ لَهُ عَنِ ٱلْوَجْهِ ٱلْأَنْوَرِ ﷺ ٱلْجَمِيلِ
فَيَطْبَعُ عَلَىٰ وَجْهِهِ قُبْلَةً بِقَلْبِهِ مَعَ ٱلدَّلِيلِ

وَيَأْخُذُ ٱلْمُرْشِدُ ٱلْمُرَبِّي نَصِيبَهُ تَرْقِيَةْ ... وَهٰذَا مَا شَاهَدْنَاهُ بِطُرُقِ ٱلتَّصْفِيَةْ

فَيَخْرُجُ إِلَى ٱلْعَمَلِ مَعَ قُوَّةِ ٱلتَّمْكِينْ ... وَيُعِيدُ لِلْقُلُوبِ ٱلنَّشَاطَ وَٱلْأَمَلَ وَٱلْيَقِينْ

وَيُصْبِحُ عِنْدَهَا خَلِيفَةً رَابِطَةً لِلطَّالِبِينَ ... مُطْلَقًا يَنْشُرُ ٱلْحَقِيقَةَ وَيُبَلِّغُ ٱلدِّينَ

بَعْدَمَا تَظْهَرُ عَلَيْهِ ٱلْبِشَارَاتُ ٱلْمُتَنَوِّعَةْ ... كَدَلِيلٍ لِدُخُولِهِ بِٱلسِّلْسِلَةِ ٱللَّامِعَةْ

تَأْتِي لَهُ إِشَارَاتٌ كَنُورِ ٱلشَّمْسِ ... يَلْتَقِطُهَا ٱلْأَوْلِيَاءُ بِٱلْقَلْبِ وَٱللَّمْسِ

وَصِيَّةُ ٱلْمُرْشِدِ بَعْدَ رَحِيلِهِ

قَدْ يَحْجُبُ ٱلْمُرْشِدُ وَصِيَّتَهُ عَنْ مَحْبُوبِهِ ... لِحِكَمٍ عِرْفَانِيَّةٍ لَا بِحَسَبِ مَطْلُوبِهِ

مِنْهَا أَنَّهُ مَا زَالَ لِلْفُتُوحِ قَابِلًا ... وَلِصُعُودِ ٱلْمَقَامَاتِ وَٱلْمَدَارِجِ مُتَوَاصِلًا

لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيزَهُ وَهُوَ لَمْ يَنْتَهِ ... مِنْ تِلْكَ ٱلْمَقَامَاتِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ وَلَهُ قَلْبٌ يَشْتَهِي

لِأَنَّهُ لَوْ أَعْطَاهُ إِجَازَةً وَذَكَرَ لَهُ ٱلْمَقَامْ ... لَتَنَافَى ذٰلِكَ مَعَ وَاقِعِ مُرِيدِهِ ٱلْمِقْدَامْ

ٱلَّذِي يَصِيرُ بَعْدَ نِهَايَةِ سُلُوكِهِ أَرْقَى ... مِمَّا ذَكَرَهُ بِوَصِيَّتِهِ مُرْشِدُهُ ٱلْأَتْقَى

ٱلْحِكْمَةُ ٱلثَّانِيَةُ أَنَّهُ يُخْفِيهِ عَنِ ٱلذِّئَابِ ... خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْهُمْ بَعْدَ ٱلْغِيَابِ

إِلَى أَنْ يَتَمَكَّنَ وَيَسْتَلِمَ حِصَّتَهُ ... فَهٰذَا شَيْءٌ يُحَيِّرُ عُقُولَ ٱلسَّالِكِينَ قِصَّتُهُ

وَٱلْحِكْمَةُ ٱلثَّالِثَةُ أَنَّهُ يُرِيدُ ٱمْتِحَانَهُ ... وَٱمْتِحَانَ ٱلْمُرِيدِينَ وَسَائِرِ أَقْرَانِهْ

لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ قُوَّةَ إِخْلَاصِهِ وَصَبْرِهْ ... فَيَرْمِي عَلَيْهِ ٱلْبَلَاءَ وَكَأَنَّهُ يَحْفِرُ قَبْرَهْ

إِلَى أَنْ يَدُورَ فِيهِ بِفَلَكِ ٱلتَّسْلِيمِ ... فَيُنَجِّيهِ ٱللهُ مِنْ كُلِّ لَئِيمِ

وَيُؤَيِّدُهُ بِرَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهْ ... وَيُظْهِرُهُ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ بَيْنَ أَعْيَانِهْ

الوَصِيَّةُ المُزَوَّرَةُ

الوَصِيَّةُ الَّتِي تَظْهَرُ بَعْدَ الغِيَابِ — قَدْ تُكْتَبُ بِأَيْدٍ مُزَوِّرَةٍ لِمَآرِبِ الأَصْحَابِ
وَهِيَ تُنَاقِضُ الإِرْشَادَ وَالطَّرِيقَةْ — وَتُعَيِّنُ الجَاهِلَ وَتَعْزِلُ أَهْلَ الحَقِيقَةْ
وَتُكْتَبُ بِخَطٍّ مُزَوَّرٍ مَلْمُوسِ — وَيَظْهَرُ لِلْعِيَانِ كَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ غَيْرُ مَدْسُوسِ
وَحُرُوفُهَا تَدُلُّ عَلَى مَضْمُونِهَا المُسْتَوْرَدْ — الخَالِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَأَجْرَدْ
فَالوَصِيَّةُ لَا تُكْتَبُ إِلَّا بِحُضُورِ عُلَمَاءَ — وَسَالِكِينَ وَعَارِفِينَ وَخُلَفَاءَ أَجِلَّاءَ
وَإِلَّا وَقَعَ فِيهَا التَّلَاعُبُ وَالخِيَانَةْ — وَيَقَعُ الخَرَابُ مِنْ قِلَّةِ الصِّيَانَةْ
فَيُمْلِي لَهُمْ كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدْ — وَيَكْتُبُونَ لِصَالِحِهِمْ كُلَّ مَنْفَعَةٍ تُفِيدْ
وَهَذَا شَرْحُهُ يَطُولُ لِكَثْرَةِ الأَبَاطِيلْ — فَتَخْرَبُ القُلُوبُ وَلِلرَّذَائِلِ تَمِيلْ
وَتَكُونُ الوَصِيَّةُ مُرَكَّبَةً وَغَيْرَ مُهَذَّبَةِ — فَهِيَ مِنْ تَعْلِيمِ أَصْحَابِ النُّفُوسِ المُعَلَّبَةِ
وَيَكُونُ مَضْمُونُهَا عَلَى قِيَاسِ الزَّمَنْ — فَيَزْدَادُ التَّخْرِيبُ وَتَخْتَفِي الحَقِيقَةُ وَالأَمْنْ
وَيُغَذِّي المُزَوِّرُ القُلُوبَ بِالنَّعَرَاتِ — وَيَمُدُّهُمْ بِالذَّهَبِ وَالدُّنْيَا وَالدُّولَارَاتِ
فَيَخْرُجُونَ مِنَ الطَّرِيقَةِ وَأَيَادِيهِمْ خَالِيَةٌ — وَقُلُوبُهُمْ عَلِيلَةٌ وَنُفُوسُهُمْ نَتِنَةٌ بَالِيَةٌ

المُعَامَلَةُ الرُّوحِيَّةُ

إِنَّ المُعَامَلَةَ الرُّوحِيَّةَ عَلَى عِدَّةِ أَقْسَامِ — مُعَامَلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ العَلَّامِ ﷻ
وَمُعَامَلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الخَلْقِ — هَذَا يُقَالُ لَهُ سُلُوكُ طَرِيقِ الحَقِّ
وَالمُجَاهَدَةُ لِتَصْفِيَةِ القَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ المَذْمُومَةِ — وَتَحْلِيَةُ القَلْبِ بِكُلِّ الصِّفَاتِ المَحْمُودَةِ
الكَثِيرُ عَنْ ذَلِكَ قَدْ قَصَّرُوا — وَالقَلِيلُ مِنْهُمْ بِالعِرْفَانِ أَبْصَرُوا



المُرِيدُ وَالأَدَبُ

الأَدَبُ تَرْجُمَانُ بَاطِنِ الرِّجَالِ — أَعْمَالُهُ الظَّاهِرَةُ تَدُلُّ عَلَى الأَحْوَالِ

قَطْرَةٌ مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ فِي الإِسْلَامِ — تُكَدِّرُ بَحْرًا وَتُعَكِّرُ صَفْوَ الكَلَامِ

فَحَسَبُ اسْتِعْدَادِ وَصَلَاحِ بَاطِنِ القُلُوبِ — وَنَظَافَتِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ وَالعُيُوبِ

تَتَوَالَى نَفَحَاتُ وَبَرَكَاتُ الفَوَائِدِ — فَيَتَذَوَّقُ مِنْ مَعَارِفِ فَيْضِ المَوَائِدِ

الأَدَبُ بَابُ الدُّخُولِ لِلْمَنَافِعْ — فَلَا فَائِدَةَ مِمَّنْ كَانَ لِلْأَدَبِ رَافِعْ

مَعَ مُرْشِدِهِ وَأُسْتَاذِهِ فِي التَّعْلِيمْ — وَاجِهَةُ الأَدَبِ مَعَ المُؤَدِّبِ هُوَ التَّعْظِيمْ

وَالأَدَبُ لِلْمُرِيدِ عَلَى أَنْوَاعٍ وَأَشْكَالِ — بِالمُعَامَلَةِ وَالسَّمْعِ وَالنَّظَرِ وَالأَحْوَالِ

فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ يَكُونُ الأَدَبْ — مَنْ كَمُلَ عِنْدَهُ ذَلِكَ أَصْبَحَ المُهَذَّبْ

يَمُوتُ الأَدَبُ مِنْ كَثْرَةِ الارْتِشَاءْ — فَخُذْ مِنَ الأَدَبِ مَا تُزِيلُ بِهِ الغِشَاءْ

كُلَّمَا ازْدَادَ فِي المُرِيدِ زَادَ حَيَاءْ — وَمَنْفَعَةً وَقُرْبًا لِرَبِّهِ ﷻ وَكَثْرَةَ صَفَاءْ

فَالعَمَلُ بِالأَدَبِ لِعِلَاجِ بَاطِنِ الحَالِ — وَبِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ يَصْطَلِحُ حَالُ الرِّجَالِ

الأَدَبُ هُوَ اسْتِخْرَاجُ مَا بِالقُوَّةِ لِلْفِعْلِ — يَظْهَرُ الأَدَبُ مَعَ ظَوَاهِرِ العَمَلِ

هَذَا لِمَنْ رُكِّبَتْ فِيهِ السَّجِيَّةُ الصَّالِحَةُ — فَهِيَ مِنَحٌ إِلَهِيَّةٌ لِلنَّفْسِ مُكَافِحَةُ

بِحُسْنِ المُمَارَسَةِ وَالرِّيَاضَةِ الأَدَبُ يُسْتَخْرَجْ — وَمَنْ رُزِقَ الأَدَبَ كَانَ لَهُ خَيْرُ مَخْرَجْ

مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ رِيَاضَةِ الأَدَبُ يَأْتِيهِ — فَيَكُونُ غَرِيزَةً عِنْدَهُ حَتَّى اللهُ يُرْضِيهِ

رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **" أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي "**[1] .

وَيَحْتَاجُ البَعْضُ لِطُولِ مُمَارَسَةٍ لِلْفَوْزِ بِالأَدَبِ — لِذَلِكَ احْتَاجَ المُرِيدُ لِلْمُرْشِدِ فِي الكَسْبِ

فَتَكُونُ الصُّحْبَةُ عَوْنًا عَلَى الفَائِدَةْ — لِلْعَمَلِ بِالأَدَبِ كَمَا هِيَ العَادَةْ

(١) الجامع الصغير ج١ ص ٢٥

مِنهُمْ مَنْ يَتَظاهَرُ بِالأدَبِ بِظاهِرِ أعْمالِهِ ... وَباطِنُهُ خَرابٌ يُخْفيهِ في أحْوالِهِ

لا يَظْهَرُ إلّا في التَّعامُلِ المُتَواصِلِ ... فَيَنْفَضِحُ تَزْويرُهُ بِلا فاصِلِ

أرْقَى الآدابِ آدابُ الشَّريعَةْ ... فَهِيَ حِلْيَةٌ لِلإنْسانِ رائِعَةٌ وَبَديعَةْ

مَنْ لا أدَبَ لَهُ فَلْيَحْذَرْ مِنهُ الرُّفَقاءْ ... إنَّهُ يُعَكِّرُ الظّاهِرَ وَيُشَوِّشُ حالَ الصَّفاءْ

النَّفْسُ العَليلَةُ تَميلُ إلى سُوءِ الأدَبْ ... مَنْ أهْمَلَها، مِنْ مَفاسِدِها قَدِ اقْتَرَبْ

النَّفْسُ بِطَبْعِها تَسيرُ نَحْوَ المُخالَفَةِ ... وَالعَبْدُ بِجُهْدِهِ يَرُدُّها عَنِ الحافَةِ

العُبودِيَّةُ الخالِصَةُ إشارَةُ المُؤَدَّبينَ ... وَسُوءُ الأدَبِ بِالشَّريعَةِ إشارَةُ المُخالِفينَ

فَما أساءَ أحَدٌ الأدَبَ إلّا عُوقِبَ عَلى فِعْلِهِ ... وَمَنْ تَحَلّى بِالأدَبِ فَقَدْ أحْسَنَ في شُغْلِهِ

مَنْ تَهاوَنَ في آدابِ القُرْآنِ ... حُرِمَ لَذَّةَ وَحَلاوَةَ نُورِ العِرْفانِ

مَنْ خَفَّتْ عِنْدَهُ لَطيفَةُ الآدابِ ... رَدَّ حالَهُ إلى سِياسَةِ الدَّوابِّ

عَلى المُريدِ أنْ يَكُونَ مُؤَدَّبْ ... مَعْ مُرْشِدِهِ وَلِلسُّوءِ لا يَقْرَبْ

وَمَنْ تَعَدّى عَلى حُرْمَةِ الأدَبِ ... فَقَدْ مالَ حالُهُ إلى العَطَبِ

عَلَيْنا التَّأدُّبُ بِالخِطابِ وَالعَمَلْ ... وَبِغَيْرِ هذا حالُ القَلْبِ لا يَكْتَمِلْ

أُنْظُرْ أدَبَ الخِطابِ مَعْ أيُّوبَ (عليه السلام) ... كَيْفَ كانَ بِالأدَبِ يُخاطِبُ المَحْبُوبَ

قالَ تَعالَى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء ٨٣)

فَلَمْ يَقُلْ أيُّوبُ (عليه السلام) لِرَبِّهِ ﷻ اشْفِني يا رَبّاهُ ... فَكانَ بِخالِصِ الأدَبِ مَعْ مَوْلاهُ ﷻ

قيلَ: آدابُهُمْ دَليلُ طَهارَةِ القَلْبِ ... لِأنَّ رَبَّهُمْ ﷻ أحْسَنَ تَأديبَهُمْ بِذا الدَّرْبِ

فَأصْبَحُوا مُؤَدَّبينَ بِالخِطابِ وَالعُهُودِ ... وَلَيْسَ عِنْدَهُمُ الْتِفاتٌ لِلْخاطِرِ المَوْجُودِ

فَالاعْتِراضُ عِنْدَهُمْ وَالاحْتِجاجُ غَيْرُ مَوْجُودْ ... وَقَفُوا بِمَقاماتِ القُرْبِ يَعْلَمُونَ الحُدُودْ

آدابُهُمْ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ وَالخَطَراتِ القُدْسِيَّةِ ... لا يَغْفَلُونَ عَنِ الاسْتِغْفارِ وَلا الأذْكارِ الإلهِيَّةِ

وَقِيلَ حُكْمُ ٱلأَدَبِ لِلْمُرْشِدِ ٱلعَارِفِ فِي مَنْزِلَـةِ ٱلتَّوْبَـةِ إِلَى ٱلمُسْتَأْنِفِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ لِلْوَقْتِ فَوَقْتُهُ عِلَلٌ وَمُعَرِّضٌ حَالَهُ لِلْمَقْتِ
مَنْ خَرَجَ عَنْ حُدُودِ كَمَالِ ٱلآدَابِ رَجَعَ إِلَى حَالِهِ ٱلسَّيِّئِ بِوَاسِطَةِ هَذِهِ ٱلأَسْبَابِ

صُحْبَةُ ٱلمُرِيدِ لِلْمُرْشِدِ

صُحْبَةُ ٱلمُرِيدِ لِلْمُرْشِدِ يَتَخَلَّلُهَا صَفَاءُ كُلَّمَا ٱزْدَادَتِ ٱلمَحَبَّةُ تَوَلَّدَ مِنْهَا ٱلوَفَاءُ
قَدْ يَقَعُ مِنَ ٱلمُرِيدِ خِلَافُ ٱلصُّحْبَةِ أَمَّا ٱلمُرْشِدُ فَعَنْ ذَلِكَ مَحْفُوظٌ كَٱلتُّحْفَةِ
لِأَنَّ قَلْبَهُ مُهَيَّأٌ لِإِصْلَاحِ ٱلنُّفُوسِ وَتَعْدِيلِ ٱلأَفْكَارِ وَٱلخَوَاطِرِ فِي ٱلرُّؤُوسِ
مَنْزُوعٌ مِنْهُ ٱلحِقْدُ وَٱلغِلُّ وَٱلحَسَدْ فَلَا يُعَامِلُ بِٱلمِثْلِ مَنْ فَسَدْ
يَخْتَلِفُ ٱلمُرْشِدُ بِأَحْوَالِهِ عَنِ ٱلنَّاسِ بِقَلْبِهِ وَفِكْرِهِ وَنَفْسِهِ وَفِي ٱلإِحْسَاسِ
وَهُوَ مُعَرَّضٌ دَائِمًا لِمُجَابَهَةِ ٱلنُّفُوسْ ٱلَّتِي تَرْفُضُ بِقَسَاوَةِ ٱلوِرْدَ ٱلمَخْصُوصْ
فَتَأْبَى فِي أَوَّلِ ٱلطَّرِيقِ وَتُقَرْقِعْ تَزِيدُ فِيهَا ٱلهَوَاجِسُ وَٱلخَوَاطِرُ حَتَّى تُفَرْقِعْ
وَتَرْمِي كَلَامًا نَحْوَ صُحْبَةِ ٱلكِرَامِ وَتَرْفُضُ ٱلنَّصِيحَةَ وَٱلخَيْرَ وَكُلَّ ٱلتِزَامِ
إِلَى أَنْ يُرَوِّضَهَا ٱلمُرْشِدُ عَلَى ٱلخَطِّ ٱلمُسْتَقِيمْ وَيَتَحَمَّلُ ٱلأَذَى وَٱلبَلَاءَ ٱلعَظِيمْ
مَعَ كُلِّ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ مَحَبَّةَ مُرِيدِهْ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ أَنْ يُرَقِّيَهُ وَيُفِيدَهْ
وَلَا يَرْغَبُ بِٱلمُفَارَقَةِ أَثْنَاءَهَا مَهْمَا حَصَلْ لِأَنَّ ٱلمُرِيدَ فَرْعٌ وَٱلمُرْشِدُ هُوَ ٱلأَصْلْ
ٱلمُرِيدُ قَدْ يُغَيِّرُهُ رُجُوعُهُ عَنْ رَبِّهِ ﷻ بِسَبَبِ حَوَادِثَ وَقَعَتْ لَهُ بِسَابِقِ ذَنْبِهِ
فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُبْغِضَ أُسْتَاذَهُ ٱلمُرَبِّي حَتَّى لَا يَكُونَ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ ٱلأَجْنَبِيّ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف ٢٨)

آدابُ صُحْبَةِ ٱلْمُرِيدِ لِلْمُرْشِدِ

أَخْلَاقُ أَهْلِ ٱلتَّرْبِيَةِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلرَّجَاءْ رَفِيعَةُ ٱلْمُسْتَوَى مُهَذَّبَةٌ بِحُسْنِ ٱلِاقْتِدَاءْ

بَيْنَ ٱلْمُرْشِدِ وَٱلْمُرِيدِ لِلهِ حُقُوقٌ فَإِنِ ٱخْتَلَّتْ حَدَثَ بَيْنَهُمَا شُقُوقٌ

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ ٱلصَّامِتِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ: " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**[1] ".

إِحْتِرَامُ ٱلْعَالِمِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْمُرَبِّي يَكُونُ عَلَى نَوْعَيْنِ ظَاهِرِيٍّ وَقَلْبِيّ

وَهُوَ تَوْفِيقٌ مِنَ ٱلْإِلَٰهِ وَهِدَايَةٌ وَمِنْحَةُ فَضْلِهِ وَلُطْفٌ مِنْهُ وَعِنَايَةٌ

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْقُرْبَ مِنْ حُبِّ ٱلْمُصْطَفَى ﷺ فَلْيَتَأَدَّبْ مَعَ مُرْشِدِهِ لِيَنَالَ ٱلصَّفَا

فَإِنَّ ٱلْمُرْشِدِينَ ٱلْأَوْلِيَاءَ يَحْمِلُونَ بِقُلُوبِهِمْ كَثِيرًا مِنْ نَفَحَاتِ وَعَطَايَا مَحْبُوبِهِمْ ﷺ

فَأَدَبُ ٱلْمُرِيدِ مَعَ ٱلْمُرْشِدِينَ وَٱلسَّادَاتِ مِنَ ٱلْمُرَبِّينَ يَبْلُغُ بِهِ أَعْلَى ٱلدَّرَجَاتِ

وَهَذِهِ ٱلْمُجَالَسَةُ ٱلْمَقْصُودَةُ هِيَ ٱلرَّابِطَةُ ٱلْقَلْبِيَّةْ ٱلْمَعْهُودَةُ عِنْدَ ٱلْمُرَبِّينَ أَهْلِ ٱلنُّفُوسِ ٱلزَّكِيَّةْ

أَمَّا إِنْ كَانَ ٱلْمُرِيدُ عَلَى غَيْرِ أَدَبْ وَعَمِلَ بِٱلزُّهْدِ صُورِيًّا وَلَمْ يَتَهَذَّبْ

ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي سُلُوكِهِ ٱلْأَخِيرِ يُشَوِّشُ قَلْبَهُ وَيَقِفُ عَنِ ٱلتَّدْبِيرِ

فَٱلصُّحْبَةُ غَيْرُ ٱلْخِدْمَةِ ٱلْمَالِيَّةِ وَٱلْجَسَدِيَّةْ فَكُلٌّ لَهَا آدَابٌ وَمَسَالِكُ مَعْنَوِيَّةْ

وَمَنْ لَمْ يُعَظِّمْ حُرْمَةَ ٱلْمُرَبِّي لَا يَنْتَفِعُ بِسُلُوكِهِ وَيُحْرَمُ بَرَكَةَ ٱلْمَشْرَبِ

وَأَدَبُ ٱلْمُرِيدِ مَعَ ٱلشَّيْخِ ٱلْمُرَبِّي هُوَ مِنْ مَطَالِبِ ٱلْإِسْلَامِ وَمَطْلَبِي

فَرَفْعُ ٱلصَّوْتِ فَوْقَ حُدُودِ ٱلْعَادَةْ بِحَضْرَةِ ٱلْمُرْشِدِ قِلَّةُ أَدَبٍ وَزِيَادَةْ

وَإِذَا تَكَلَّمَ ٱلْعَالِمُ ٱلْمُرْشِدُ ٱلْوَلِيّ فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلسُّكُوتُ وَلَا يَكُنْ كَٱلْغَبِيّ

فَلَا يُقَاطِعُهُمْ فِي ٱلْحَدِيثِ بِٱلْمَجَالِسْ لِأَنَّ مَلَكَ ٱلْفَتْحِ يَكُونُ فَوْقَهُمْ جَالِسْ

(١) الجامع الصغير ج٢ ص ٤٧١

فَمُخَاطَبَةُ ٱلْمُرْشِدِ تَكُونُ بِحَسَبِ ٱلْحُرْمَةِ وَلَا نَمْتَدُّ مَعَهُ فِي ٱلْخِطَابِ كَعُرُوقِ ٱلْكَرْمَةِ
وَلَا نُغَلِّظُ عَلَيْهِ بِٱلْخِطَابِ وَلَا نُنَادِيهِ بِٱسْمِهْ كَمَا يُنَادِي بَعْضُنَا بَعْضًا بِلَا حِشْمَةْ
عَلَى هَذَا ٱلْقَبِيلِ يَكُونُ ٱلْمُرِيدُ خِطَابُهْ بِهُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ كَمَا يَقْرَأُ فِي كِتَابِهْ
يَجِبُ أَنْ يُسْكِنَ بِقَلْبِهِ ٱلْحِشْمَةَ وَٱلْوَقَارَ وَيُعَلِّمَ لِسَانَهُ كَيْفَ يُخَاطِبُ ٱلْأَبْرَارَ
هَذِهِ ٱلْأَعْمَالُ ٱلْمُهِمَّةُ وَٱلتَّعَالِيمُ بَيَّنَهَا دِينُ ٱلْإِسْلَامِ ٱلْعَظِيمُ
عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلِاقْتِدَاءُ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهْ وَإِلَّا فَقَدَ أَجْرَهُ وَضَيَّعَ شَبَابَهْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات ١-٢) .

فَٱلصَّحَابَةُ ﷺ لَا يَتَكَلَّمُونَ بَيْنَ وَأَثْنَاءَ كَلَامِهِ أَدَبًا لِجَنَابِهِ وَٱحْتِرَامًا وَتَوْقِيرًا لِشَأْنِهِ
وَلَا سَبَقَ ٱلصَّحَابَةُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بِفِعْلْ وَلَا رَفَضُوا لَهُ أَمْرًا وَلَا قَوْلْ
هَكَذَا عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْأَدَبُ مَعَ مُرْشِدِهِ لَا يَتَصَرَّفُ فِي أَعْمَالِهِ إِلَّا بِمُرَاجَعَتِهِ
يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَلْزَمَ ٱلسُّكُوتَ بِجَلْسَتِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِفْقَتِهِ
فَٱلشَّيْخُ لِلْمُرِيدِ أَمِينٌ عَلَى ٱلْإِلْهَامِ لَا يَعْمَلُ إِلَّا فِي شَرِيعَةِ خَيْرِ ٱلْأَنَامِ ﷺ
ٱلنَّبِيُّ ﷺ كَانَ لَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى وَٱلْمُرْشِدُ لِلْمُرِيدِ لَهُ خَيْرُ عِلَاجٍ وَدَوَا
فَٱلْمُرْشِدُ مُقْتَدٍ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهَوَى ٱلنَّفْسِ فَلَا تَكُنْ حَائِرًا
وَٱلشَّيْخُ يَغُوصُ بِٱلْبَحْرِ لِطَلَبِ ٱلدُّرّ وَٱلْمُعْتَرِضُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ مُضِرّ
فَأَحْسَنُ ٱلْأَدَبِ مَعَ ٱلْمُرْشِدِ ٱلسُّكُوتُ وَٱلْجُمُودْ وَٱلْخَجَلُ وَكَأَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِسَلَاسِلَ وَقُيُودْ
حَتَّى يُبَادِئَهُ ٱلْمُرْشِدُ بِمَا فِيهِ صَلَاحْ حَالِهِ وَمَا يُفِيدُهُ وَيَدُرُّ عَلَى بَاطِنِهِ ٱلْأَرْبَاحْ

وَلَا يَتَمَنَّى مَنْزِلَةً فَوقَ مَنْزِلَةِ مُرْشِدِهْ فَتِلْكَ حالَةٌ مُضِرَّةٌ قَدْ تُبَدِّدُهْ
فَمَنْ يَلْزَمِ ٱلْأَدَبَ يَبْلُغْ مَبْلَغَ ٱلرِّجَالِ وَمَنْ حُرِمَ ٱلأدَبَ يَبْتَعِدْ عَنْ هَذِهِ ٱلْأَحْوالِ
وَيُطْرَدُ مِنْ حَيْثُ أَرادَ ٱلقَبُولْ فَمِنْ تَأْدِيبِ ٱللهِ لِأَصْحَابِ ٱلرَّسُولْ ﷺ

قَوْلُهُ ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ (الحجرات ٢)

فِيهِ تَأْدِيبٌ لَنَا وَلِغَيْرِنَا لِنَفُوزَ فِي سُلُوكِ وَسَيْرِ دَرْبِنَا

كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ وَكَانَ جَهْوَرِيَّ ٱلصَّوْتِ ، فَكَانَ إِذَا كَلَّمَ إِنْسَانًا جَهَرَ بِصَوْتِهِ ، وَرُبَّمَا كَانَ يُكَلِّمُ ٱلنَّبِيَّ ﷺ فَيَتَأَذَّى بِصَوْتِهِ فَأَنْزَلَ ٱللهُ تَعالَى ٱلآيَةَ تَأْدِيبًا لَهُ وَلِغَيْرِهِ .

عَلَى ٱلْمُرِيدِ عَدَمُ ٱلضَّحِكِ وَكَثْرَةُ ٱلكَلَامِ إِلَّا إِذَا بَسَطَهُ ٱلْمُرْشِدُ بِضِحْكَةٍ وَٱسْتِفْهَامِ
يَبْتَسِمُ بِلَا قَهْقَهَةٍ وَلَا ضَجِيجِ وَلَا يُحَاكِي ضَحِكَ ٱلغَافِلِينَ فِي ٱلْعَجِيجِ[1]
فَرَفْعُ ٱلصَّوْتِ يُذْهِبُ جِلْبَابَ ٱلوَقَارِ وَيُوقِعُ بَاطِنَ ٱلْمُرِيدِ بِشَرٍّ وَأَخْطَارِ
وَعَلَيْهِ مُرَاقَبَةُ ٱلشَّيْخِ بِسَائِرِ حَرَكَاتِهِ لِيَكْسِبَ ٱنْطِبَاعَ صُورَةِ حِلْمِهِ وَمُدَارَاتِهِ
وَلْيَجْعَلْ فِي نَظَرَاتِهِ أَدَبًا وَفَوَاصِلْ لِيَسْتَفِيدَ مِنْ بَاطِنِ عِرْفَانِ ٱلْمُرَبِّي ٱلوَاصِلْ
وَيَجِبُ أَلَّا يُكَاشِفَ ٱلشَّيْخَ بِأَنْظَارِهِ ٱلعَالِيَةِ لِأَنَّهُ سَيَخِرُّ مِنْ شَاهِقِ ٱلْجِبَالِ فِي أَوْدِيَةِ
فَيَضُرُّ نَفْسَهُ وَيُؤْذِي فُؤَادَهْ وَيَجْرَحُ أَنْظَارَهُ وَيُعَكِّرُ سُرُورَ شَبَابِهْ
وَٱلأَوْلِيَاءُ ٱلْعُلَمَاءُ خَصَّهُمْ رَبُّهُمْ بِأَسْرَارٍ وَرَحَمَاتٍ لَمْ يَنَلْهَا غَيْرُهُمْ
وَأَعْطَاهُمْ صَفَاءً يَنْعَكِسُ عَلَى ٱلطَّالِبِينَ وَهَـٰذَا فَضْلٌ مِنَ ٱللهِ رَبِّ ٱلعَالَمِينَ
هَـٰذِهِ هِيَ ٱلوَسِيلَةُ ٱلشَّرْعِيَّةْ لِمِثْلِ تِلْكَ ٱلأَمْدَادِ ٱلنُّورَانِيَّةْ
مَنْ جَالَسَهُمْ وَكَانَ مُعَمَّرًا بِٱلطَّاعَاتِ يَعْكِسُ ٱللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ ٱلرَّحَمَاتِ
وَتَنْعَكِسُ أَنْوَارُ ٱلْمَعَانِي عَلَى قُلُوبِهِمْ كَٱلْمِرْآةِ وَهَذَا فِي فَوَائِدِهِ يُشْبِهُ عُلُومَ ٱلسَّمْعِيَّاتِ
ٱلكُلُّ يَنَالُ مِنْهَا بِحَسَبِ حَالِهِ ٱلصَّافِي فَٱلْعَطَاءُ لَا يَنْقَطِعُ وَكَأَنَّهُ بَحْرٌ وَافِي

(١)العجيج : رفع الصوت .

أَمَّا مَنْ يَأْتِي وَيَسْتَعْمِلُ قَلْبَهُ ... لِمُكَاشَفَةِ الْوَلِيِّ وَيَشْغَلُ فِكْرَهُ

فَهَذَا سَيُصَابُ وَيُبْتَلَى بِالْأَضْرَارِ ... وَيَبْقَى فِي حَيْرَةٍ بِلَا قَرَارِ

لِأَنَّ هَمَّهُ مُكَاشَفَتُهُ عَلَى الدَّوَامِ ... لِيُشَاهِدَ مَا رَزَقَهُ الْمَوْلَى مِنْ إِلْهَامِ

فَمِثْلُ هَذَا مُعَرَّضٌ لِلْوَسْوَاسِ وَلَا يَسْتَفِيدْ ... وَيَبْقَى قَلْبُهُ فِي نُفُورٍ وَبَارِدٌ كَالْحَدِيدْ

إِنَّ مُجَالَسَةَ الْأَوْلِيَاءِ الْمُرْشِدِينَ لَهَا آدَابْ ... فَلَا فَرْقَ فِيهَا بَيْنَ الْعَجَائِزِ وَالشَّبَابْ

فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى الزَّائِرُ بِالْأَخْلَاقِ ... مُجَاهِدًا نَفْسَهُ بِالطَّاعَةِ وَالذِّكْرِ وَالْاِشْتِيَاقِ

مُحَافِظًا عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْخَوَاطِرِ ... لَا يَرْفُضُ طَعَامَهُمْ وَيَأْكُلُ مِنَ الْحَوَاضِرِ

وَلَا يَشُكُّ بِذَبَائِحِهِمْ وَيُسِيءُ الظَّنَّ ... فَإِنَّ الْمَوْلَى يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ

وَلَا يَتَبَاهَى بِحَالَةٍ رُوحِيَّةٍ قَدْ نَالَهَا ... وَلَا يَسْتَهْزِئُ بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ وَرِجَالِهَا

وَيُطِيعُ أَوَامِرَهُمْ بِحَسَبِ مَا جَاءَ بِالشَّرِيعَةِ ... وَيَنْتَبِهُ مِنَ امْتِحَانَاتِهِمُ الْمُرِيعَةِ

وَيَبْتَعِدُ عَنِ التَّعَامُلِ مَعْ أَقَارِبِهِمْ ... وَيَحْتَرِمُهُمْ وَلَكِنْ لَا يَتَدَخَّلُ بِأَعْمَالِهِمْ

وَلَا يَأْخُذُ مِنْهُمْ أَوَامِرَ لِسُلُوكِ الطَّرِيقْ ... لِأَنَّهُ يُضَيِّعُ قَلْبَهُ وَيُحَمِّلُهُ مَا لَا يُطِيقْ

وَلَا يَتَّخِذُ أَوْرَادًا لِنَفْسِهِ بِلَا إِجَازَةٍ ... بِحُجَّةِ أَنَّهُ مُضْطَرٌّ وَبِأَشَدِّ الْحَاجَةِ

مِمَّا يُسَبِّبُ لَهُ الْقَبْضَ وَالضِّيقْ ... وَتَشَرْذُمَ الْأَفْكَارِ أَثْنَاءَ سُلُوكِ الطَّرِيقْ

وَلَا يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ تَشْغِيلَ اللَّطَائِفِ ... فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْهُ وَلَهُمْ خِبْرَةٌ بِالْوَظَائِفِ

وَلَا يُطِيلُ الْجُلُوسَ وَيَحْرِمُ غَيْرَهْ ... بِقَصْدِ تَقْوِيَةِ سُلُوكِهِ وَسَيْرِهْ

وَلَا يَرْفَعُ الْكُلْفَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْخِهِ ... وَلْيُبْقِ عَيْنَيْهِ مُنْخَفِضَةً عَنْ عَيْنِهِ

وَلَا يَأْكُلُ بِحُضُورِهِ وَيَنْسَى قَلْبَهُ ... فَإِنَّهُ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ يُظْهِرُ عَيْبَهُ

مِنْ آدَابِ صُحْبَةِ الْمُرِيدِ لِلْمُرْشِدْ ... أَنْ يَمُوتَ عَلَى مَحَبَّتِهِ فَلَا يُفْسِدْ

هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الْمَتِينَةَ بِالْخِيَانَةِ الْقَلْبِيَّةِ ... وَالْعِلَلِ الْقَاطِعَةِ لِلْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ الْخَفِيَّةِ

كُلَّمَا تَيَقَّنَ الْمُرِيدُ مِنْ مُرْشِدِهِ وَعِرْفَانِهْ ... كُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ وَاشْتَدَّ إِلَيْهِ حَنَانُهْ

فَالْمَحَبَّةُ وَالتَّآلُفُ هِيَ الْوَاسِطَةُ الْقَلْبِيَّةْ ... بَيْنَ الْمُرِيدِ وَالْمُرْشِدِ بِآدَابِ النَّقْشَبَنْدِيَّةْ

وَعَلَى قَدْرِ قُوَّةِ أَدَبِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِخْلَاصْ ... يَكُونُ الْقُرْبُ وَالْعَطَاءُ وَالصَّفَاءُ وَالْاِخْتِصَاصْ

فَهِيَ تَجْلِبُ لِلْمُرِيدِ الصُّوَرَ الْفِكْرِيَّةْ ... وَتُقَوِّي لَهُ صَفَاءَ الْكُشُوفَاتِ الْقَلْبِيَّةْ

وَالْمُرَبِّي الْمُرْشِدُ يَعْلَمُ مَا يُصْلِحُ كُلَّ وَاحِدْ ... بِحَسَبِ مَا يُلْهِمُ الْمَعْبُودُ الْعَابِدْ

فَلَا يَطْلُبُ الْمُرِيدُ مِنَ الشَّيْخِ لِقَلْبِهِ اسْتِجْلَابْ ... الْمَعْرِفَةِ وَالْكَشْفِ وَهُوَ مَا زَالَ فِي الْعِتَابْ

أَيْ بِغَفْلَةٍ وَمَعْصِيَةٍ وَتَسْوِيفٍ ذَرِيعْ ... فَهَذِهِ قِلَّةُ أَدَبٍ وَجَهْلٌ مُرِيعْ

وَمَنْ قَالَ لِمُرْشِدِهِ إِذَا أَمَرَهُ: لَا. ... لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ بِالْأَرْضِ وَالْعُلَا

فَإِطَاعَةُ أَمْرِهِ مِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ الْمُحْتَرَمِ ... وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُعَظَّمِ

قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء ٥٩)

فَلَا يَسْتَخِفَّ بِآدَابِ الْأَوَامِرِ وَيَعْتَرِضْ ... وَإِلَّا فَهُوَ عِلَّةٌ وَدَاءٌ وَمَرَضْ

وَمِنَ الْأَدَبِ أَنْ لَا يَنْسَى فَضْلَ الْمُرْشِدِ عَلَيْهِ ... حَيْثُ أَعَانَهُ وَأَشَارَ بِالْفَتْحِ عَلَيْهِ

مِنَ الْأَدَبِ عَدَمُ كِتْمَانِ شَيْءٍ عَنِ الْمُرْشِدِ

مِنَ الْأَدَبِ أَنْ لَا يَكْتُمَ شَيْئًا عَنْ مُرْشِدِهْ ... فِي أَحْوَالِهِ وَمَوَاهِبِ بَرَكَاتِ الْحَقِّ عِنْدَهْ

وَمَا يَظْهَرُ لَهُ فِي خَوَاطِرِهِ الْبَاطِنِيَّةِ ... فَرُبَّمَا لَا يُطْلِعُهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ

مِنْهَا مَا يَكْشِفُهُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَحْجُبُهُ ... لِحِكْمَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَرْغَبُهُ

حَتَّى يَعُودَ الْمُرْشِدُ بِعِرْفَانِهِ إِلَى خَالِقِهِ ... وَيَعْرِضَ حَوَادِثَ الْمُرِيدِينَ وَكُلَّ طَوَارِقِهِ

فَهَذِهِ عُقَدٌ بَاطِنِيَّةٌ فِي الطَّرِيقِ ... تَنْحَلُّ وَتَزُولُ مَعَ كُلِّ فَرِيقِ

حَيْثُ يَتَوَسَّلُ الْمُرْشِدُ لِرَبِّهِ بِالْوَفَاءْ ... فَتَزُولُ عِلَّتُهُ وَيَرْزُقُهُ رَبُّهُ الشِّفَاءْ

مَنْ كَانَ مُرَاقِبًا عِنْدَ مُرْشِدٍ جَلِيلِ ... وَعِنْدَهُ تَطَلُّعٌ لِأَمْرِهِ بِذَلِكَ الْقَبِيلِ

فَلْـيُعْلِمِ ٱلْمُرْشِـدَ بِمَـا يَجُولُ فِي أَفْكَـارِهِ ... وَإِلَّا إِذَا كُوشِـفَ حُـرِمَ مِـنْ أَسْـرَارِهِ

مَتَى ٱنْطَوَى ضَمِيرُ ٱلْمُرِيـدِ عَلَى فِكْرَةٍ ... تَتَوَقَّـفُ مُرَاقَبَتُـهُ بِطَرِيقَـةٍ مُحْتَقَـرَةٍ

تَتَصَادَمُ صُوَرُ ٱلْمُرَاقَبَةِ وَتَقَعُ خَيَالَاتٍ ... وَتَخْتَلِطُ ٱلْأُمُورُ وَتَتَوَقَّفُ رُمُوزُ ٱلْإِشَارَاتِ

فَتَتَعَكَّـرُ أَحْوَالُـهُ وَلَا تَصْـفُو صُـحْبَتُهْ ... وَتَتَكَدَّرُ مُرَاقَبَتُهُ وَيَخْتَلُّ صَفَاءُ مُشَاهَدَتِهْ

وَمَتَى دَخَلَ بِبَرْنَامَجِ سُلُوكِهِ تَشْوِيشْ ... يَهْبِطُ مِنْ فَوْقٍ إِلَى صُحْبَةِ ٱلدَّرَاوِيشْ

لِأَنَّ بَاطِنَهُ غَيْرُ مُهَيَّإٍ لِلِاسْتِقْلَالِ ٱلْمَطْلُوبِ ... فَلَا تَنْفُذُ فِيهِ هِمَّةُ عِلَاجِ ٱلْعُيُوبِ

كَأَنَّمَا نَقَضَ ٱلْعَهْدَ بِنَوَايَاهُ ٱلْخَفِيَّةِ ... وَهَذَا أَخْطَرُ ٱلْمَخَاطِرِ بِٱلطَّرَائِقِ ٱلْعَلِيَّةِ

وَهَذَا مِنْ بَابِ ٱلْآدَابِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ لِلسَّالِكِ ... وَهُوَ مَمْلُوءٌ بِٱلْأَفْكَارِ ٱلْخَطِرَةِ وَكَثْرَةِ ٱلْمَهَالِكِ

هَذَا لِمَنْ لَمْ يَنْتَهِ سُلُوكُهُ ٱلرُّوحَانِيّ ... وَكَانَ سَالِكًا عِنْدَ مُرْشِدٍ رَبَّانِيّ

فَلَا يَسْتَقِلُّ ٱلْمُرِيدُ بِوَقَائِعِهِ وَكَشْفِهِ ... حَتَّى لَا يَصْدُرَ أَمْرٌ وَإِشَارَةٌ بِنَفْسِهِ

إِلَّا إِذَا نَالَ ٱسْتِقْلَالِيَّةً بِٱلْفَتْحِ ٱلْمُسْتَقِلّ ... فَيُمْضِيهَا لَهُ مُرْشِدُهُ وَيُعَظِّمُ وَيُجِلّ

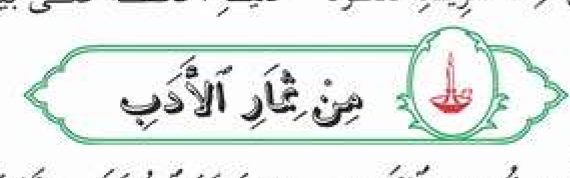
لِأَنَّ مَنْ قَطَعَ أَشْوَاطَهُ وَٱنْتَهَى ... مُخْتَارٌ وَيَنْتَقِي مِنْهَا مَا ٱشْتَهَى

لِأَنَّهُ صَارَ مُتَخَرِّجًا وَاصِلًا مُجَازْ ... وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِبَاطِنِ سَيِّدِ ٱلْحِجَازْ ﷺ

فَيَكْتَسِبُ ٱلْمُرِيدُ عِلْمًا بِصِحَّةِ ٱلْكُشُوفِ ... فَٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلثَّبَاتِ وَٱلْخُسُوفِ

وَمَا كَانَ فِيهِ تَشَابُكٌ وَعَرْقَلَةٌ لَهُ ... يَسْتَأْصِلُهُ ٱلْمُرْشِدُ وَيُنَجِّيهِ مِنْهَا رَبُّهُ

فَهُنَاكَ أَسْرَارٌ وَعِلْمُهَا عِنْدَ ٱلْمُرِيدِ مَفْقُودْ ... عَلَيْهِ ٱلْمُحَافَظَةُ عَلَى بَيْعَتِهِ وَٱلْعُهُودْ



مِنْ ثِمَارِ ٱلْأَدَبِ

إِنْ كَانَتْ صُحْبَةُ ٱلْمُرِيدِ لِمُرْشِدِهِ ٱلْكَامِلِ ... لِلهِ فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْهِ أَبْوَابَ ٱلْمَسَائِلِ

وَإِنْ كَانَ أَدَبُهُ سَلِيمًا صَافِيًا ... يَنْبُتُ زَرْعُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَرْضُهُ صَخْرًا قَاسِيًا



وَمَنْ كَانَ أَدَبُهُ مَشْبُوهًا مَعْلُولَا لَا يَنْبُتُ زَرْعُهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَقْبُولَا

فَيَضِيعُ حُبُّهُ بِفَسَادِ ٱلأَرْضِ وَلَا يَصْلُحُ إِذَا تَابَعَ بِذَلِكَ ٱلْمَرَضِ

فَٱلصَّادِقُ يَمْشِي بِٱلأَدَبِ وَٱلإِشَارَةِ وَتَبْرُقُ لَهُ ٱلرُّمُوزُ بِوَاسِطَةِ ٱلْبِشَارَةِ

فَيَفْهَمُ بِتَعْرِيفِ ٱللهِ لِبَاطِنِهِ ٱلْعَمِيقِ وَتُصَبُّ عَلَيْهِ ٱلْمَعَارِفُ بِسِرٍّ دَقِيقِ

ٱلْمَعْرِفَةُ كَٱلْحَبَّةِ ٱلَّتِي تُزْرَعُ بِٱلأَرْضْ فَتُنْبِتُ رِزْقًا سَلِيمًا أَوْ فِيهِ مَرَضْ

آدَابُ ٱلشَّيْخِ مَعَ ٱلْمُرِيدِ

مِنَ ٱلآدَابِ ٱلتَّنَزُّهُ عَنْ مَالِ ٱلطَّالِبْ فَٱلْمُرْشِدُ دَائِمًا بِٱللهِ لِعِلَّتِهِ غَالِبْ

وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ وَإِرْشَادَهُ لِلهْ وَأَجْرُهُ مِمَّا أَحْسَنَ عَلَيْهِ رَبُّهُ وَمَوْلَاهْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان ٩)

فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُرَبِّي أَنْ يَطْلُبَ صَدَقَةْ مِنَ ٱلْمُرِيدِ عَلَى ٱلتَّرْبِيَةِ ٱلْقَلْبِيَّةِ ٱلْمُشْرِقَةْ

لَمْ يَفْعَلْ أَهْلُ ٱلتَّرْبِيَةِ هَذِهِ ٱلنَّوَاقِصْ ٱلَّتِي صَدَرَتْ مِنَ ٱلْمُدَّعِينَ خِرِّيجِي ٱلْمَرَاقِصْ

ٱلْعَامِلِينَ بِكَذِبِهِمْ لِمَنْفَعَةٍ وَمَصْلَحَةِ فَهُمْ لَيْسُوا أَهْلَ تَرْبِيَةٍ بَلْ أَهْلَ جَائِحَةِ[1]

وَمِنَ ٱلأَدَبِ إِذَا وَجَدَ ٱعْوِجَاجًا مِنَ ٱلْمُرِيدْ أَلَّا يُصَرِّحَ بِٱسْمِهِ وَيَتَكَلَّمَ وَيُكَرِّرَ وَيُعِيدْ

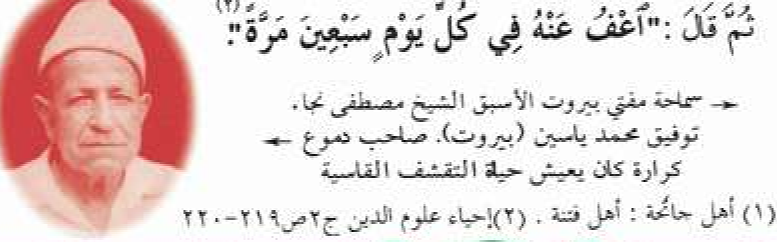
وَيَكْشِفَ عَنْ وَجْهِ ٱلْمَذَمَّةِ وَيُشِيرْ بَلْ يَرْمُزَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ ٱلْبَشِيرْ

فَهَذَا أَقْرَبُ لِلْمُدَارَاةِ وَأَقْرَبُ لِلتَّآلُفِ وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ ٱلْمُرَبُّونَ مِنَ ٱلتَّعَارُفِ

وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ عَمَّا فِيهِ فَائِدَةٌ لِلدِّينْ وَقَبْلَ تَوْبِيخِ ٱلْعَاصِي يَنْصَحُ وَلَا يُشِينْ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ ٱلْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ عَنْهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ

ثُمَّ قَالَ : "ٱعْفُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً".[2]



← سماحة مفتي بيروت الأسبق الشيخ مصطفى نجا.
توفيق محمد ياسين (بيروت). صاحب دموع ←
كرارة كان يعيش حياة التقشف القاسية

(١) أهل جائحة : أهل فتنة . (٢) إحياء علوم الدين ج٢ ص٢١٩-٢٢٠

الْخَادِعُونَ الْمُقَلِّدُونَ لِلْمُرْشِدِينَ

فِي عَصْرِنَا هَذَا الْمَمْلُوءِ بِالْغَفَلَاتِ   خَدَعَ الْمُقَلِّدُونَ النَّاسَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ خَلَوَاتِ

لَبِسُوا لِبَاسَ الْمُرْشِدِينَ وَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِهِمْ   وَزَوَّرُوا إِجَازَاتِهِمْ بِمَا يُفِيدُ مَكَاسِبَهُمْ

فَالْغَافِلُونَ الْجَاهِلُونَ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْحَقِيقَةِ   ظَنُّوا أَنَّهُمْ فِعْلًا مُرْشِدُو الطَّرِيقَةِ

فَلَازَمُوهُمْ مُقَلِّدِينَ لَهُمْ بِالْأَذْكَارِ وَالتَّهْلِيلِ   وَاكْتَفَوْا بِهَزَّةٍ بَسِيطَةٍ وَبُكَاءٍ كَدَلِيلِ

وَلَمْ يَنَالُوا مِمَّا عَرَضْنَا بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ   مِنَ الْمَقَامَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالْبَرَكَاتِ الْقُدْسِيَّةِ

فَقَضَوْا أَيَّامَهُمْ بِتَسْوِيفٍ وَوُعُودٍ نَفْسِيَّةٍ   وَعَاشُوا عَلَى أَوْهَامِ رُمُوزٍ ابْتِدَائِيَّةٍ

فَنَنْصَحُ مَنْ يُحِبُّ إِصْلَاحَ ذَاتِهِ الْبَاطِنِيَّةْ   أَنْ لَا يَنْخَدِعَ بِأَمْثَالِ مُقَلِّدِي الصُّوفِيَّةْ

فَمَنْ تَعَامَلَ مَعَهُمْ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ إِفَادَةْ   فَلْيَعْلَمْ أَنَّ أُسْتَاذَهُ مَمْكُورُ الْإِرَادَةْ

فَلْيَتْرُكْهُ وَلَا يُبَالِي بِتَهْدِيدِهِ الْمُتَكَرِّرْ   لِيُصْبِحَ عَنْ مَفَاسِدِهِ وَأَضْرَارِهِ مُتَحَرِّرْ

فَإِنْ وَجَدَ مُرْشِدًا لِسُلُوكِهِ أَتَمَّا   تَابَعَ عِنْدَهُ مَا بَدَأَهُ فِي الطَّرِيقِ حَتْمَا

وَسَتَظْهَرُ لَهُ الْحَقِيقَةُ مِنْ دَجَلِ الْخَيَالِ   وَيَعْلَمُ سَائِقَ السُّلَحْفَاةِ مِنَ الْخَيَّالِ

الْمُرْشِدُ الْمُزَوَّرُ الْمُسَبِّبُ لِلْخَرَابِ

أَكْثَرُ الْمُدَّعِينَ يَعْمَلُونَ بِالْأَوْهَامِ وَالْأَحْلَامِ   وَيَأْخُذُونَ مَقَايِيسَهُمْ مِنْ غَفَلَاتِ الْمَنَامِ

يَرْفُضُونَ كُلَّ مَوْعِظَةٍ وَنَصِيحَةٍ   وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْأَلْسُنِ الْفَصِيحَةِ

نُفُوسٌ لَمْ تُدْرِكْهَا التَّرْبِيَةُ الصَّحِيحَةُ   بَلْ تَغَذَّتْ عَلَى وُعُودٍ وَأَوْهَامٍ جَرِيحَةٍ

قَدْ يَصْعُبُ عَلَىٰ بَعْضِهِمُ ٱلتَّسْلِيمْ
وَتَرْكُ هَوَى ٱلنُّفُوسِ وَٱلتَّمَسُّكُ بِٱلْمُرْشِدِ ٱلسَّلِيمْ

يَظُنُّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ أَعْمَالَهُ مُشْرِقَةْ
يَبْتَعِدُونَ بِهَا عَنِ ٱلنَّارِ ٱلْمُحْرِقَةْ

وَهُمْ فَارِغُونَ مِنَ ٱلْوُصُولِ وَٱلْمَعَارِفِ
وَبِحَاجَةٍ لِمُرْشِدٍ كَامِلٍ وَٱتِّبَاعِ عَارِفِ

لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ ٱلنَّاسْ
يَكُونُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَبِٱلْوِلَايَةِ يُقَاسْ

فَعُلُومُ ٱلْوِلَايَةِ جَامِعَةٌ لِلْأَسْرَارِ وَحَقَائِقِهَا
كَٱللَّوْحِ تَظْهَرُ لِلْعَارِفِ وَبِٱلْقَلْبِ يُشَاهِدُهَا

هَكَذَا كَانَ أَهْلُ طَرِيقِ ٱلْآخِرَةْ
لَيْسَ كَحَالِنَا ٱلْيَوْمَ ؛ وَهْمٌ وَمَسْخَرَةْ

أَهْلُ ٱلْبَيْتِ ﵈ سَلَكُوا فَتَقَطَّعَتْ أَطْرَافُهُمْ
وَٱلْحُسَيْنُ ﵇ بِسُلُوكِهِ تَقَطَّعَ كَصِفَاتِهِمْ

هَكَذَا سَلَكَ سَادَةُ ٱلشَّاذِلِيَّةِ ﵃
وَٱلرِّفَاعِيَّةِ ﵃ وَٱلْبَدَوِيَّةِ ﵃ وَٱلدُّسُوقِيَّةِ ﵃ وَٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةِ

وَٱلْقَادِرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ ٱلطُّرُقِ ٱلنُّورَانِيَّةِ
وَأَظْهَرُوا ٱلْعُلُومَ فِي ٱلزَّوَايَا كَٱلْجَشْتِيَّةِ

فَلْنَحْذَرْ مِمَّنْ يَدَّعِي ٱلْإِرْشَادَ فِي ٱلطَّرِيقَةِ
وَأَنَّهُ وَارِثٌ نَبَوِيٌّ وَمُسَلِّكٌ لِطُرُقِ ٱلْحَقِيقَةِ

ثُمَّ تَظْهَرُ لَنَا مُخَالَفَاتُهُ ٱلسَّيِّئَةُ ٱلْمُتَعَدِّدَةُ
فَيَقُولُ بِوَحْدَةِ ٱلْوُجُودِ وَرُوحُهُ بِهَا مُتَّحِدَةُ

فَهَذَا مَمْكُورٌ وَسَيْطَرَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهْ
بِشَرْعِنَا ٱلْحَنِيفِ لَا بُدَّ مِنْ قَطْعِ لِسَانِهْ

أَوْقَعَ بِفَسَادِهِ ٱلْفِتَنَ بَيْنَ ٱلْأُمَّةِ
فَلْيَحْذَرْ عَذَابَ ٱلْقَبْرِ وَمَا فِيهِ مِنْ ضَمَّةِ

فَٱلذِّكْرُ بِلَا فِقْهٍ بِمَذْهَبِنَا لَا يَكْفِي
وَلَوْ كَانَتْ سَائِرُ ٱللَّطَائِفِ تَعْمَلُ بِٱلذِّكْرِ ٱلْخَفِيِّ

فَلْيُظْهِرْ مُدَّعِي ٱلْإِرْشَادِ لَنَا ٱلدَّلِيلْ
وَمَا هِيَ ٱلْفَرَائِضُ وَٱلسُّنَنُ بِلَا تَطْوِيلْ

فَأَهْلُ ٱللهِ هُمْ سَادَةٌ فُحُولْ
تَمَسَّكُوا بِٱلشَّرْعِ وَٱسْتَعْمَلُوا ٱلْقُلُوبَ وَٱلْعُقُولْ

هَذَا هُوَ عِلْمُنَا ٱلْحَاضِرُ وَٱلْقَدِيمْ
تَنَزَّهَ رَبُّنَا ﷻ عَنِ ٱلتَّشْبِيهِ وَٱلتَّجْسِيمْ

فَلْيَفْهَمْ مَقْصُودَنَا كُلُّ جَاهِلٍ وَعَاقِلْ
فَإِنَّنِي مُقَصِّرٌ بِٱلتَّعْبِيرِ وَمَا أَنَا إِلَّا نَاقِلْ

مَهْمَا نَغُصْ بِبَحْرِ ٱللهِ بِجُهُودِنَا
فَلَنْ نَنَالَ إِلَّا مَا ٱللهُ بِفَضْلِهِ أَكْرَمَنَا

فَلَا تَقُلْ فُلَانٌ بِٱللهِ عَارِفْ
وَلَكِنْ فُلَانٌ قَدْ غَرَفَ مِنَ ٱلْمَعَارِفْ

فَاللهُ لَيْسَ لَهُ حُدُودٌ لِنَدَّعِي مَعْرِفَتَهْ ... فَسُبْحَانَهُ تَعَالَى فِي كَمَالِهِ وَقُدْرَتِهْ

فَالعَارِفُونَ أَلْسِنَتُهُمْ نَقِيَّةٌ مُهَذَّبَةْ ... وَقُلُوبُهُمْ زَكِيَّةٌ وَأَوْعِيَتُهُمْ يَقِظَةٌ مُسْتَوْعِبَةْ

يَخْتِمُونَ رَسَائِلَهُمْ بِالفَقِيرِ الذَّلِيلِ ... المُحْتَاجِ لِلهِ الغَنِيِّ المَلِكِ الجَلِيلِ

المُعَانِدُ لِنَصِيحَتِنَا قَدْ ضَيَّعَ أَوْقَاتَهْ ... فَيَكُونُ خَالِيَ القَلْبِ بِسَائِرِ حَيَاتِهْ

مُدَّعِي الإِرْشَادِ مُسْتَدْرَجٌ مُصَابٌ بِعِلَلْ ... حَالُهُ مَمْكُورٌ وَمَهْزُوزٌ وَمُخَلْخَلْ

وَيَكُونُ مِمَّنْ عَقَدَ عَقْدًا مَعَ إِبْلِيسْ ... وَظَنَّ أَنَّ عَمَلَهُ مُفِيدٌ وَشَيْءٌ نَفِيسْ

التَّخْبِيصُ اليَوْمَ دَارِجٌ بَيْنَ العِبَادْ ... أَفْسَدُوا عُقُولَ النَّاسِ وَلَوَّثُوا البِلَادْ

بَعْضُهُمْ تَسَتَّرَ بِالفِقْهِ وَعِلْمِ التَّوْحِيدِ ... وَعَمِلُوا بِالسِّحْرِ وَتَسَلَّطُوا عَلَى العَبِيدِ

وَنَكَحُوا النِّسَاءَ بِحُجَّةِ قَضَاءِ الحَاجَةِ ... وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ لَهَا وَهِيَ لَهُ مُحْتَاجَةْ

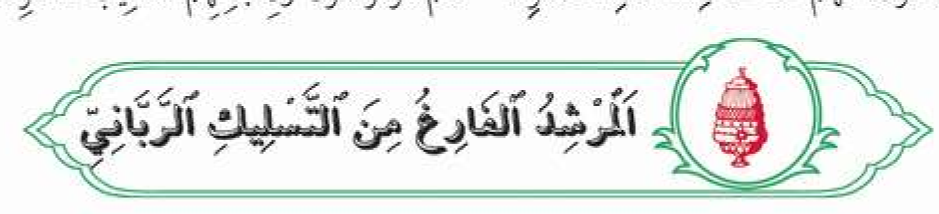
بِدُونِ عَقْدٍ شَرْعِيٍّ وَلَا شُهُودْ ... وَنَسُوا عَذَابَ اللهِ المُؤْلِمَ وَالوُعُودْ

وَعَمِلُوا بِالخُزَعْبَلَاتِ وَالحُلُولِ وَالاتِّحَادِ ... وَخَدَمُوا الكُفَّارَ وَأَيَّدُوا أَهْلَ الإِلْحَادِ

وَجَمَعُوا بِاسْمِ الدِّينِ وَالتَّصَوُّفِ الأَزْلَامْ ... لِيَنَالُوا سُلْطَةً وَيَظْهَرُوا بِالإِعْلَامْ

وَتَجَسَّسُوا عَلَى المُسْلِمِينَ وَلَفَّقُوا الأَكَاذِيبَ ... وَرَمَوْا بِالفِتَنِ الذَّاكِرِينَ وَالمَجَاذِيبَ

وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ خُلَفَاءُ لِلسَّادَةِ المُتَصَوِّفَةْ ... هُمْ مَرْفُوضُونَ وَلِأَتْبَاعِهِمْ أَسَالِيبُ مُنْحَرِفَةْ



الكَثِيرُ قَدْ يَبْحَثُ عَنْ مُرْشِدٍ وَاصِلْ ... عَلَى العُلُومِ وَالعِرْفَانِ النُّورَانِيِّ حَاصِلْ

قَدْ تَخَرَّجَ بِالفِقْهِ حَدِيثًا مِنَ الكُلِّيَّةْ ... يَظُنُّونَ أَنَّهُ الوَلِيُّ المُرْشِدُ لِلطَّرِيقَةِ العَلِيَّةْ

الكَثِيرُ يَجْهَلُ سَلَامَةَ ذَلِكَ الاخْتِيَارِ ... فَيَقَعُ فِي فُخُوخٍ وَمَهَالِكَ وَأَخْطَارِ

فَيَسْلُكُونَ عِنْدَ رَجُلٍ ظَاهِرُهُ ٱلْعُلُومْ ... يُدَرَّبُ بِعِلْمِهِ بِلَفْظٍ مَفْهُومْ

فَيَظُنُّ قَلِيلُ ٱلْمَعْرِفَةِ أَنَّهُ ٱلْمَطْلُوبْ ... وَوَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبْ ﷻ

وَٱلْمُصِيبَةُ ٱلْكُبْرَى لَوْ أَوْهَمَهُ أَنَّهُ سَالِكْ ... فَيُعْطِيهِ أَوْرَادًا تُؤَدِّي بِهِ إِلَى ٱلْمَهَالِكْ

لَقَدْ شَاهَدْنَا ٱلْكَثِيرَ مِنْ هَٰذِهِ ٱلْأَنْوَاعِ ... يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ وَاصِلُونَ وَمِنَ ٱلْأَتْبَاعِ

يَتَسَتَّرُونَ بِلِبَاسِ جُبَّةٍ يَدَّعُونَ أَنَّهَا ٱلْخِرْقَةْ ... جَعَلُوا ٱلْقُلُوبَ بِغُصَّةٍ وَحُرْقَةْ

أَمْثَالُهُ لِطَرِيقَةِ تَسْلِيكِ ٱلْأَوْلِيَاءِ ﷺ مُخَالِفْ ... وَمَعْ فُنُونِ ٱللَّطَائِفِ وَٱلْأَمْدَادِ غَيْرُ مُتَآلِفْ

تَرَى تَعَصُّبَ أَتْبَاعِهِ إِلَى حَدِّ ٱلْعَمَى ... يَفْدُونَ شَيْخَهُمْ بِٱلرُّوحِ وَٱلدِّمَا

لِجَهْلِهِمْ أَضَاعُوا أَوْقَاتَهُمْ بِٱلْأَوْهَامِ ... وَحُرِمُوا مِنَ ٱلْكُشُوفَاتِ وَٱلْإِلْهَامِ

مَكْشُوفٌ حَالُهُمْ لِلْعَارِفِينَ عَيَانَا ... وَمَفْضُوحٌ لِلنَّاسِ تَسَتُّرُهُمْ بِٱلدِّيَانَةْ

هَٰذِهِ فِي ٱلْبِلَادِ مُوضَةٌ دَارِجَةْ ... جَعَلَتْ عِنْدَ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأُمَّهَاتِ ظُرُوفًا حَرِجَةْ

إِسْتُعْمِلَتْ لِمَنَافِعَ شَخْصِيَّةٍ وَمَآرِبَ مُضِرَّةْ ... فَأَصْبَحَتْ بِٱلْمُجْتَمَعَاتِ تِجَارَةً حُرَّةْ

فَٱنْتَبِهْ أَيُّهَا ٱلطَّالِبُ وَٱلْبَاحِثُ عَنِ ٱلْحَقِيقَةْ ... مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَلِيٌّ وَمُرْشِدُ طَرِيقَةْ

كَمَا حَصَلَ فِي بَعْضِ مَنَاطِقِ عَكَّارْ ... لِرَجُلٍ أَلْمَانِيٍّ ٱدَّعَى تَصَوُّفَ ٱلْأَبْرَارْ

وَتَجَمَّعَتْ حَوْلَهُ فِرَقٌ مُتَنَوِّعَةُ ... وَكَانَ ٱلْجُهَّالُ بِحَرَكَاتِهِ ٱلْمُخَالِفَةِ مُقْتَنِعَةُ

فَفَضَحَتْ أَخْبَارَهُ ٱلْجَرَائِدُ وَٱلْمَجَلَّاتْ ... أَنَّهُ عَمِيلٌ أَلْمَانِيٌّ خَطِيرُ ٱلْغَايَاتْ

أَمْثَالُهُ كَثِيرٌ أَوْقَعُوا ٱلنَّاسَ بِٱلسُّجُونِ ... وَذَاقُوا ٱلضَّرْبَ وَٱلتَّعْذِيبَ وَحَرْقَ عُيُونِ

نُكَرِّرُ وَنَقُولُ لِلْبَاحِثِ عَنِ ٱلْمَعْرِفَةِ ... أَنْ يُرَاقِبَ نَفْسَهُ فِي ٱلْمَقَامَاتِ ٱلْمُشَرَّفَةِ

فَإِنْ ظَهَرَ عَلَىٰ بَاطِنِهِ أَنْوَارٌ خَارِقَةُ ... فَتِلْكَ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ وَعَلَامَةٌ فَارِقَةُ

فَهَٰذَا كَانَ أَوَّلَ خَيْطِ ٱلنُّورِ ... وَبِٱلْمُتَابَعَةِ تَظْهَرُ ٱلتَّعَاسَةُ مِنَ ٱلسُّرُورِ

فَيَتَأَثَّرُ ٱلْقَلْبُ وَٱلْبَصِيرَةُ بِٱلْعَطَاءِ ٱلْجَدِيدْ ... وَبِٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعَارِفِ يَصِيرُ بَصَرُهُ حَدِيدْ

وَيَسْتَشْعِرُ ٱلسَّالِكُ بِـٱلْفَتْحِ وَٱلأَمْـدَادِ وَٱلتَّقَلُّبِ بِٱلْمَقَامَاتِ بِمُسَاعَدَةِ ٱلأَسْيَادِ
هَذِهِ عَلَامَـةُ ٱلْمُتَابَعَـةِ ٱلسَّلِيمَةِ ٱلْمَطْلُوبَـةْ لِلشَّيْخِ ٱلَّذِي يُعَالِجُ لِلإِنْسَانِ فَسَادَ عُيُوبِـهْ

لَيْسَ كُلُّ شَيْخٍ يَسْتَطِيعُ ٱلتَّسْلِيكَ

يَظُنُّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ بِصُحْبَةِ أَيِّ شَيْخٍ فَائِدَةْ رُوحِيَّـةً وَكَسْبَ رَحَمَاتٍ حَارَّةٍ وَبَارِدَةْ
فَيَتَهَافَتُ عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ طَلَبًـا لِلْمَعْنَوِيَّاتِ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ مُدَرِّسٌ دِينِيٌّ وَحَافِظٌ لِلآيَاتِ
هَـٰذَا لِلتَّدْرِيسِ ٱلشَّرْعِيِّ ظَاهِرُهُ مُفِيدْ أَمَّا لِعِلَاجِ ٱلْبَاطِنِ فَلَا يُسَلِّكُ ٱلْمُرِيدْ
ٱلإِرْشَادُ ٱخْتِصَاصٌ مِنَ ٱللهِ وَفَضْـلْ لَا يَأْتِي بِكَثْرَةِ ٱلدِّرَاسَـةِ وَقُوَّةِ ٱلْعَضَـلْ
إِلَّا مَنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَوَارِفُ ٱلْمَعَارِفْ وَكَانَ لِلإِرْشَادِ وَاصِلًا وَلِلْعِرْفَانِ جَارِفْ
أَهْلُ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْمُسَلِّكُونَ لِمَدَارِجِ ٱلأَحْوَالِ نَـادِرٌ وُجُـودُهُمْ بِبِلَادِنَـا بَيْنَ ٱلرِّجَالِ
كَـثِيرٌ مِـنَ ٱلشَّبَابِ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَـدْ يَـدَّعُونَ أَنَّ شَـيْخَهُمْ مُرْشِـدٌ مُعْتَمَـدْ
فَٱلتِّلْمِيذُ صَفْحَةُ أُسْتَاذِهِ فِيهَا يَسْتَدِلّ إِنْ كَـانَ تَابِعًـا لِمُرْشِـدٍ وَاصِـلٍ مُسْتَقِلّ
فَـإِنْ لَمْ يَجِدْ تَلَامِيذُهُ مِنْـهُ نُـورًا وَعِرْفَـانْ وَلَمْ يَظْهَرْ بِقُلُوبِهِمْ سَكِينَةُ ٱلْمَعْرِفَـةِ وَٱلأَمَـانْ
وَهَـٰذِهِ أَقَـلُّ رُمُـوزِ ٱلْمُسْتَفِيدِينَ وَإِشَارَةْ عَلَىٰ صِحَّةِ تَسْلِيكِ ٱلْمُرْشِدِينَ بِتِلْكَ ٱلْبِشَارَةْ
فَـإِنْ لَمْ يَجِـدُوا فِـيهِمْ رَحْمَـةً وَرِضْـوَانْ فَعَلَيْهِمْ هَجْرُهُمْ خَوْفًـا مِـنَ ٱلْحِرْمَـانْ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ (التوبة ٢١)

شَـرَحْنَا سَـابِقًا فِي هَـٰذَا ٱلْكِتَـابْ عَنْ أَحْوَالِ ٱلْمُرْشِدِ لِنَرْفَعَ عَنْ أَنْفُسِنَا ٱلْعِتَابْ
ٱلْجَاهِـلُ يَغُـرُّهُ مَـا ظَهَـرَ عَلَـىٰ ٱلنَّـاسِ فَيَأْخُذُ بِظَاهِرِ ٱلشَّكْلِ وَٱلْكَلِمَةِ وَٱللِّبَاسِ
يَقِيسُ عَلَـىٰ ٱللَّفَّةِ ٱلْفَخْمَـةِ وَٱلْمِسْبَحَةْ وَيَظُنُّ ٱلسُّلُوكَ مَعَهُ تِجَارَةً رُوحِيَّـةً مُرْبِحَةْ

فَيَقْضِي حَيَاتَهُ مَعَهُ عَلَى أَوْهَامِ … وَخَيَالَاتٍ وَوُعُودٍ وَتَسْوِيفٍ وَأَحْلَامِ

لَا يَسْتَطِيعُ نَاقِصٌ وَغَافِلٌ إِيقَاظَ الْقُلُوبِ … هَذَا اخْتِصَاصٌ لِلْمُرْشِدِ مِنْ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ﷻ

الَّذِي لَمَسْنَا مِنْهُ عِلَاجَاتٍ رُوحِيَّةً بَاهِرَةْ … غَيَّرَتْ أَبْصَارَنَا وَقُلُوبَنَا بِطَرِيقَةٍ مُتَسَتِّرَةْ

وَغَيْرُ ذَلِكَ حُجَّتُهُ هِيَ تَضْيِيعُ وَقْتْ … تُتْعِبُ الْحَامِلَ بِحَمْلِهَا وَلَا تَلِدُ إِلَّا سَقْطْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿... وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف ١٧)

لِمَعْرِفَةِ الْمُرْشِدِ الْمُسْتَقِلِّ مِنَ الْكَاذِبِ

لِمَعْرِفَةِ الْمُرْشِدِ الْمُسْتَقِلِّ إِشَارَاتٌ حَسَّاسَةْ … إِنْ تَمَسَّكَ بِهِ يَشْعُرُ بِحَرَارَةِ قَلْبِهِ وَرَأْسِهْ

وَتَغَيُّرَاتٍ تَحْصُلُ بَاطِنِيَّةْ … وَتَطَوُّرَاتٍ وَتَرَقِّيَاتٍ وَمُشَاهَدَاتٍ مَعْنَوِيَّةْ

حَتَّى يَذُوبَ وَيَنْكَشِفَ كُلُّ حَاجِبْ … بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُرَبِّي وَيَبْقَى احْتِرَامُهُ وَاجِبْ

حَتَّى يُصْبِحَ الْحَالُ بَيْنَهُمَا وَاحِدًا مُشْتَرَكَا … فَتَأْتِي إِشَارَةُ خِلَافَتِهِ إِذَا مُرْشِدُهُ تَرَكَا

فَتَنْتَقِلُ الْأَسْرَارُ مِنْ قَلْبٍ لِقَلْبْ … فَالْمَحْجُوبُ يَظُنُّ أَنَّهُ طُرِدَ وَسُلِبْ

فَتَظْهَرُ عَلَى الْكَامِلِ بَوَادِرُ رُوحِيَّةْ … مِنْ نَفَحَاتٍ وَبَرَكَاتٍ وَأَنْوَارٍ نُورَانِيَّةْ

فَيُمْطِرُ اللهُ عَلَيْهِ حَسَبَ حَالِ الْبِلَادِ … مَا تَحْتَاجُهُ الْقُلُوبُ وَالنُّفُوسُ لِعِلَاجِ الْعِبَادِ

فَأَهْلُ الْقُلُوبِ وَأَصْحَابُ كَشْفِ النَّظَرْ … يَعْلَمُونَ بِكَشْفِهِمُ الرَّاقِي أَنَّهُ مُرْشِدٌ مُنْتَظَرْ

هَنِيئًا لِمَنْ مَعَهُ سَلَكَ وَعَمِلَ بِالْإِخْلَاصْ … فَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ وَمِنْهُ الْاخْتِصَاصْ

فَيَسْعَى الْحَاسِدُونَ لِبَثِّ التَّشْوِيشِ عَلَيْهِ … خَوْفًا مِنْ أَنْ تَمِيلَ النَّاسُ إِلَيْهِ

فَيَتَّهِمُوهُ بِالْفَسَادِ وَالضَّلَالِ وَالطَّرْدِ الْمُزَوَّرْ … يَقُولُونَ كَانَ طَيِّبًا وَبِالْخِيَانَةِ تَدَهْوَرْ

تِلْكَ أَلَاعِيبُ إِبْلِيسَ وَشِبَاكُ خِدَاعِهِ … جَعَلَ الْحَاسِدِينَ فِي الْأَرْضِ مِنْ خُدَّامِهِ وَصُنَّاعِهِ

الاِدِّعَاءُ بِالإِرْشَادِ الوَهْمِيّ

لَيْسَ لِأَحَدٍ المَقْدِرَةُ عَلَى فَتْحِ القُلُوبِ   إِلَّا بِإِشَارَةٍ سَلِيمَةٍ مِنْ عَلَّامِ الغُيُوبِ ﷻ

يَدْعُو فِيهَا المُرْشِدُ اللهَ أَيَّامًا طَوِيلَةْ   يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ القَبُولَ لِأَعْمَالِهِ الجَلِيلَةْ

السُّلُوكُ لَيْسَ فَوْضَى وَحُلُمًا وَخَيَالْ   تَفْنَى بِهِ وَتُطْحَنُ عِظَامُ الرِّجَالْ

لَهُمْ وُصُولٌ وَاتِّصَالٌ مَعَ حَبِيبِهِمْ ﷺ   أَنْقَى مِنَ الحُلُمِ فَذَلِكَ نَصِيبُهُمْ

حَيْثُ المُتَوَهِّمُونَ يَبْنُونَ عَلَى الأَحْلَامْ   وَيَدَّعُونَ الإِجَازَاتِ وَهُمْ نِيَامْ

وَيَقُولُونَ أَمَرَنَا بِكَذَا سَيِّدُ الأَنَامِ ﷺ   وَقَدْ سَمِعْنَا كَثِيرًا مِنْ هَذَا الكَلَامِ

أَوْ شَاهَدْنَا بِالحُلُمِ أُسْتَاذًا كَانَ يُدَرِّسُنَا   فَهُوَ مُرْشِدٌ وَوَلِيٌّ وَقُطْبُ عَصْرِنَا

فَيَقَعُ أَكْثَرُهُمْ بِالوَهْمِ وَالوَسْوَاسِ   حَيْثُ رَهَنُوا قُلُوبَهُمْ بِهَذَا القِيَاسِ

وَيَقُولُونَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِحُلُمِهِ   يَأْخُذُ الشَّرِيعَةَ وَلَوْ بِنَوْمِهِ

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ قَلْبَهُ لَا يُقَاسُ بِمِقْيَاسِ   فِيهِ عَجَائِبُ تُذْهِلُ عُقُولَ النَّاسِ

مِنَ التَّجَلِّي وَالرَّحَمَاتِ وَالبَرَكَاتِ وَالخَيْرَاتِ   وَالمَلَائِكَةُ عليهم السلام صُفُوفٌ تَحُفُّهُ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ

بِقَلْبِهِ يَحْمِلُ الآيَاتِ وَنُورَ الحَدِيثْ   مَنْ ذَا الَّذِي نَوْمُهُ بِنَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ يَقِيسْ

ثُمَّ رَفَعَهُ رَبُّهُ لِسِدْرَةِ المُنْتَهَى   وَعَنْ كُلِّ مُعْجِزَاتِهِ هَذَا المُدَّعِي سَهَا

فَقُلُوبُنَا صُوَرُ العِلَلِ بِهَا مَا زَالَتْ   وَالمَعَاصِي وَالذُّنُوبُ عَلَيْهَا انْهَالَتْ

وَكَذَا صُوَرُ العَكْسِيَّاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ المُوحِشَةْ   وَالمَسَامِعُ تَلَقَّتْ مَفَاسِدَ وَدَرْدَشَةْ

وَاللِّسَانُ عَقَصَ وَنَقَصَ وَشَتَمْ   وَالقَلْبُ غَافِلٌ وَالفَمُ قَدْ نَمّ

هَذِهِ أَسْمَكُ أَنْوَاعِ الحُجُبِ   اِقْرَأْ مَا قَالَهُ الأَنْبِيَاءُ عليهم السلام عَنْهَا بِالكُتُبِ

فَلْنَسْتَحِ مِنَ اللهِ ﷻ وَرَسُولِهِ ﷺ ... وَنَتْرُكِ الْادِّعَاءَ بِالْإِرْشَادِ وَأُصُولِهِ

وَإِلَّا ضَاعَ الْمُرِيدُونَ وَأُصِيبَ أَكْثَرُهُمْ ... بِالْجُنُونِ وَالْوَسْوَاسِ مِمَّا الْمُدَّعِي أَمَرَهُمْ

مِنْ أَهْوَائِهِ نَقْلًا عَنِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ ... وَظَنَّ نَفْسَهُ وَلِيًّا وَصَاحِبَ هِمَّةٍ عَظِيمَةِ

قَبْلَ الْعُبُورِ خُطْوَةً وَاحِدَةً بِتِلْكَ الْفُنُونِ ... لَا بُدَّ مِنْ تَصْفِيَةِ الْفِكْرِ مِنَ الظُّنُونِ

وَتَرْوِيضِ الْخَوَاطِرِ الْهَابِطَةِ عَلَى الصُّدُورِ ... وَمُعَالَجَةِ اللَّطَائِفِ السَّبْعَةِ لِتَسْهِيلِ الْمُرُورِ

فَحِينَ نَجَاحِهِ بِالْامْتِحَانِ بَعْدَ الْعِلَاجِ ... يَتَهَيَّأُ لِلسُّلُوكِ الْخَالِي مِنَ الْاعْوِجَاجِ

فَيُمْنَحُ لِقَلْبِهِ نَبَضَاتٌ سَرِيعَةٌ مُرْتَفِعَةْ ... فَيُصْبِحُ الْقَلْبُ مُهَيَّئًا لِلْمَنْفَعَةْ

فَيَخْلَعُ ثَوْبَ الْغَفَلَاتِ الدُّنْيَوِيَّ الْقَدِيمْ ... وَيَلْبَسُ ثَوْبًا كَثَوْبِ أَهْلِ الرَّقِيمْ

فَيَغُوصُ بِعَجَائِبِ اللهِ وَعِرْفَانِ رَحْمَتِهْ ... إِلَى أَنْ تَزْدَادَ هِمَّتُهُ وَقُوَّتُهْ

وَيَتَخَرَّجُ عَلَى نُورٍ وَبَصِيرَةٍ وَشُهُودْ ... مَعْ حُضُورٍ نُورَانِيَّاتٍ تَحْمِلُ مَوَاثِيقَ وَعُهُودْ

ثُمَّ تَنْقُلُهُ سَفِينَةٌ لَيْسَ فِيهَا حَدِيدٌ وَلَا خَشَبْ ... فَتُوصِلُهُ إِلَى مَكَانٍ قَلْبُهُ لَهُ انْتَسَبْ

الْمُشَوِّشُ عَلَى أَهْلِ الطَّرِيقَةِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَلْتَقِي بِمُخَادِعِ ... يَنْصُبُ عَلَيْهِ وَيَحْتَالُ بِلَا رَادِعِ

أَوْ يَتَعَدَّى عَلَى أَهْلِهِ أَوْ مَالِهِ ... وَيُسَيْطِرُ عَلَى عَائِلَتِهِ وَأَطْفَالِهِ

فَتُصْبِحُ الْعَائِلَةُ بِيَدِهِ كَالْخَاتَمِ ... يَتَصَرَّفُ بِالْيَقْظَانِ مِنْهُمْ وَالنَّائِمِ

فَيَتْبَعُونَ كَلَامَهُ وَلَا يُبَالُونَ بِالنَّصِيحَةْ ... وَيَرْفُضُونَ كُلَّ مَوْعِظَةٍ مِنَ الْأَلْسُنِ الْفَصِيحَةْ

حَتَّى يَضِجَّ الْبَلَدُ مِنْ حَرَكَاتِهِمْ ... وَتَنْفَضِحُ أَعْمَالُهُمْ وَتَظْهَرُ صِفَاتُهُمْ

فَيَشْكُو النَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنَ الْمَتْبُوعِ ... فَيَنْتَبِهُونَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْكُوعَ مِنَ الْبُوعِ

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ صَاحِبَهُمْ شَيْطَانٌ مَتْبُوعُ — أَعْمَالُهُ غَيْرُ ثَابِتَةٍ وَهُوَ عَنِ ٱلْحَقِّ مَخْلُوعُ

فَيَلْطِمُونَ وُجُوهَهُمْ نَدَمًا وَأَسَفَا — وَلَا يَجِدُونَ بَعْدَهَا أَخًا مُسْعِفَا

فَيَفِرُّ ذَلِكَ ٱلْخَبِيثُ بَعْدَ فَضِيحَتِهْ — بَعْدَ أَنْ رَفَضَ ٱلنَّاسُ نَصِيحَتَهْ

وَٱنْكَشَفَ لِلْعَيَانِ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَهْتِرَا — اِتَّخَذَ ٱلطَّرِيقَةَ وَأَهْلَهَا لَهُ سَاتِرَا

اِحْتَالَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ ٱلثَّمِينَ وَٱلْحَطَبْ — وَأَوْصَلَ ٱلتَّابِعِينَ لَهُ إِلَى ٱلْعَطَبْ

فَمِثْلُ هَذَا ٱللِّصِّ ٱلْمُخَادِعِ ٱلْمَاهِرْ — عَلَيْنَا مُحَارَبَتُهُ بِٱلْبَاطِنِ وَٱلظَّاهِرْ

فَلَا نَقُولُ مَا هَذِهِ ٱلطَّرِيقَةُ ٱلْفَاسِدَةْ — وَنَقِيسُهَا بِأَعْمَالِ ٱلشَّيَاطِينِ وَٱلْأُمَمِ ٱلْبَائِدَةْ

فَهَذَا يُمَثِّلُ نَفْسَهُ وَعَلَى ٱللهِ نُحِيلُ حِسَابَهُ — فَهُوَ لَا يَعْرِفُ ٱلطَّرِيقَةَ وَلَا ٱلنَّبِيَّ ﷺ وَلَا أَنْسَابَهُ

اِتَّخَذَ ذَلِكَ حِرْفَةَ عَيْشٍ وَٱكْتِسَابْ — وَكَمْ أَوْقَعَ بِجَهْلِهِ عَجَائِزَ وَشَبَابْ

بَعْضُ صِفَاتِ مُدَّعِي ٱلْإِرْشَادِ

تَرَى ٱلْمُدَّعِي بِعَاجِلِ حَظِّهِ مَشْغُوفَا — فَيَرَى ٱلْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَٱلْمُنْكَرَ مَعْرُوفَا

اِسْتَحْوَذَ عَلَى قَلْبِهِ ضَلَالُ ٱلشَّيْطَانْ — وَتَمَلَّكَ فُؤَادَهُ وَٱسْتَغْوَاهُ ٱلطُّغْيَانْ

فَيَصِيرُ ٱلدِّينُ مِنْ ضَلَالِهِ مُنْدَرِسًا — وَمَنَارُ ٱلْهُدَى بِأَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ مُنْطَمِسًا

فَيَمُدُّ سُلْطَتَهُ كَٱلشَّبَكَةِ لِصَيْدِ ٱلْحَرَامِ — وَيَتَلَهَّى بِٱلشَّهَوَاتِ وَيَفْنَى بِٱلْحُطَامِ

لِأَجْلِهِ يُصْبِحُ ٱلتَّصَوُّفُ بِعَصْرِهِ مَطْوِيًّا — وَٱلْعِرْفَانُ بِٱلْعُقُولِ نَسْيًا مَنْسِيًّا

فَإِنْ فُقِدَتْ بِٱلْحَلْقَةِ ٱلِٱنْعِكَاسَاتُ ٱلنُّورَانِيَّةْ — تُصْبِحُ ٱلْأَخْتَامُ(١) قَلِيلَةَ ٱلْحَظِّ وَٱلْعَطِيَّةْ

فَتَكُونُ ٱلْعِلَّةُ غِيَابَ صَاحِبِ ٱلْهِمَّةِ — أَوْ وُجُودَ خَلِيفَةٍ عَلِيلِ ٱلْإِخْلَاصِ وَٱلذِّمَّةِ

(١) الأختام: الختم هو اسم حلقة الذكر عند السادة النقشبندية.

الْحَذَرُ مِنْ أَهْلِ الْقَلْقَلَةِ

مِنْ عَادَاتِ أَهْلِ الْقَلْقَلَةْ ... تَرْوِيجُ مَقَامَاتٍ فِيهَا شَرٌّ وَبَلْبَلَةْ

يَقُولُونَ : فُلَانٌ غَوْثٌ وَوَلِيّ ... وَهُمْ جَهَلَةٌ لَا يَعْرِفُونَ أَحْمَدَ مِنْ عَلِيّ

وَيَبْنِي جَاهِلُهُمْ قَوْلَهُ عَلَى أَضْغَاثِ أَحْلَامِ ... وَيَظُنُّ نَفْسَهُ مُتَصَرِّفًا لِإِرْشَادِ الْأَنَامِ

لِمُجَرَّدِ خَاطِرٍ هَوًى تَمَلَّكَ قَلْبَهْ ... أَوْ رُؤْيَةٍ بَسِيطَةٍ مَرَّتْ بِدَرْبِهْ

أَوْ حِفْظِ كِتَابٍ أَوْ نَالَ شَهَادَةْ ... أَوِ اعْتَقَدَ بِهِ جَمَاعَةٌ أَوْ قَادَةْ

وَقَدْ يُشَاهِدُ أَحَدُهُمْ شَخْصًا فِي الْمَنَامِ ... فَيَظُنُّ نَفْسَهُ مَوْصُولًا بِخَيْرِ الْأَنَامِ ﷺ

لَا يَسْتَطِيعُ مُحَارَبَةَ الْخَوَاطِرِ وَالْأَفْكَارِ ... أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْغَافِلِينَ عَنِ الْغَفَّارِ

فَلَهَا رِجَالٌ بِحُبِّ مَوْلَاهُمْ ذَابُوا ... طُحِنَتْ عِظَامُهُمْ بِالطَّاعَاتِ وَبِالتَّجَلِّي غَابُوا

عُيُونُهُمْ بَرَّاقَةٌ مِنْ شِدَّةِ النُّورِ ... قُلُوبُهُمْ تَخْفِقُ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ بِسُرُورِ

أَرْوَاحُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِعَرْشِ الْقُرْبِ ... تَفِرُّ مِنْهُمُ الشَّيَاطِينُ عِنْدَ الْحَرْبِ

لِسَانُهُمْ كَالْبُلْبُلِ يُغَرِّدُونَ بِالْأَذْكَارِ ... لَا يَفْتُرُونَ بِالتَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ عَلَى الْمُخْتَارِ ﷺ

فَتِلْكَ حَالَاتٌ عَظِيمَةٌ لَهَا أَرْبَابُهَا ... عَلَى الطَّالِبِ دُخُولُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَبْوَابِهَا

أَضْرَارُ الْمُتَّبِعِينَ لِلنَّاقِصِينَ بِالْإِرْشَادِ

مُرِيدُ الْمُرَبِّي النَّاقِصِ تَبْقَى كَمَا هِيَ عُيُوبُهْ ... لَا تَتَبَدَّلُ مُشَاهَدَاتُهُ الْقَلْبِيَّةُ لِتُزِيلَ هُمُومَهْ

فَهَذَا بِعِلَّةٍ فَلْيَحْذَرْ وَيُرَاقِبْ ... أَعْمَالَ نَفْسِهِ أَوْ لِمَنْ تَبِعَ يُعَاتِبْ

فَإِنْ ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ بِمُرْشِدِهِ مَغْشُوش ... وَاتَّضَحَ أَنَّهُ يُحِبُّ الشَّهَوَاتِ وَالْقُرُوش

فَلْتَجِئْ لِلذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ   وَيَطْلُبْ مِنْ رَبِّهِ التَّعَرُّفَ عَلَى مُرْشِدٍ مَوْصُولِ

بِشَرْطِ الصِّدْقِ وَسَلَامَةِ النِّيَّةِ   وَالِابْتِهَالِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِالآيَاتِ الْعَلِيَّةِ

فَاللهُ هُوَ الْقَادِرُ وَهُوَ الْهَادِي   فَهَذَا مَا أُحِبُّهُ لِلنَّاسِ وَمُرَادِي

أَكْثَرُهُمْ قَدْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ   شَيْخَهُ أَوْ شَيْخَتَهُ وَبِالتِّجَارَةِ مَعَهُمُ اشْتَرَكَ

فَإِنَّهُمْ قَدْ يُدَمِّرُوهُ بِأَسْرَارِ أَحْوَالِهِمْ   وَهَذَا وَاقِعٌ بِأَوْهَامِ حَالِهِمْ

فَتَفَكَّرْ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ قَلِيلاً   دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مَرِيضًا وَمَا زِلْتَ عَلِيلاً

وَقَضَيْتَ مَعَهُمْ تَخْدِمُهُمْ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ   وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ الْمَقَامَ الثَّمِينَ الْغَالِيَ

فَإِذَا مَطْلُوبُكَ لَمْ يَحْصُلُوا هُمْ عَلَيْهِ   فَكَيْفَ تَذُوقُ مَا الْعَارِفُونَ وَصَلُوا إِلَيْهِ

أَنْتَ يَا مِسْكِينُ تَنْتَظِرُ وَتُضَيِّعُ أَوْقَاتَكَ   سَوْفَ تَبْكِي دَمًا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ حَيَاتِكَ

فَأَسْرِعْ وَاغْتَسِلْ مِنْ كُلِّ غَفْلَةٍ وَعِنَادِ   وَاتْرُكِ الْجَهْلَ وَقِلَّةَ الْمَعْرِفَةِ بِالْعِبَادِ

وَلَا تَخَفْ مَنْ يُهَدِّدُ بِحِرْمَانِكَ وَقَطْعِكَ   فَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ وَصْلِهِ وَوَصْلِكَ

فَهَذَا مَاكِرٌ مُخَادِعٌ كَذَّابْ   يَعْمَلُ بِالسِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ لِلسَّيْطَرَةِ وَالِانْجِذَابْ

كَمْ حَوَّلَ أَمْثَالُهُ التَّلَامِيذَ وَالطَّلَبَةْ   لِأَعْمَالٍ سِيَاسِيَّةٍ وَأَوْقَعُوهُمْ بِأُمُورٍ مُضْطَرِبَةْ

وَسَيْطَرُوا عَلَى نُفُوسِ وَعُقُولِ الْأَتْبَاعِ   لِأَنَّهُمْ أَعْطُوا الْجَدَلَ فَصَارَ الضُّعَفَاءُ بِضَيَاعِ

وَأَصَابَ بَعْضَهُمْ أَلَمُ وَسْوَاسٍ خَانِقِ   وَفَقَدَ النَّوْمَ وَشَعَرَ كَأَنَّهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَشَانِقِ

كَمْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ لِلْعُصْفُورِيَّةِ لِلْعِلَاجِ   فَأُصِيبَ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ بِأَشَدِّ انْزِعَاجِ

حَيْثُ وَصَفَ لَهُ أُسْتَاذُهُ وَأُسْتَاذَتُهُ الرُّوحِيَّةْ   أَوْرَادًا وَأَذْكَارًا مِنَ التَّخَيُّلَاتِ الْبَاطِنِيَّةْ

نَقَلُوهَا مِنْ وَهْمِ الْخَيَالِ حَسَبَ الْمُسَلْسَلِ   فَأَوْقَعُوا أَوْلَادَ النَّاسِ بِأَمْرَاضٍ وَعِلَلِ

فَضَاعَتْ عُقُولُهُمْ وَتَرَى الْمَقْتَ بِالْوُجُوهْ   حَيْثُ عَنِ الْفَتْحِ حَجَبُوهَا وَحَجَبُوهْ

فَضَاعَ الْوَقْتُ وَخَيَّمَ النَّدَمُ وَبَانَتِ الْحَقَائِقْ   وَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُخَادِعِ وَأَهْلِ الطَّرَائِقْ

يَقُولُ سَيِّدُنَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمْ   قَوْلًا يَعِظُ ٱلْقَلْبَ بِلِسَانٍ مُحْتَرَمْ :

«كُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُنْبِتُ ثَمَرًا فَقَطْعُهَا أَوْلَى»   الفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلْحَنْظَلِ وَٱلْمَنِّ وَٱلسَّلْوَى

أَضْرَارُ ٱلْمُلَقِّنِ غَيْرِ ٱلْمُجَازِ

مَنْ يُرِيدُ تَلْقِينَ ٱلطَّرِيقَةِ لِلنَّاسِ   عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَزَكِّيًا فِي سَائِرِ ٱلْإِحْسَاسِ

قَاطِعًا لِأَشْوَاطٍ قَلْبِيَّةٍ وَمَدَارِجَ رَاقِيَةْ   حَتَّى تَصِحَّ تَلْقِينَاتُهُ وَتَكُونَ صَافِيَةْ

وَيَكُونَ ذَا كُشُوفَاتٍ عِرْفَانِيَّةٍ عَمِيقَةِ   لَهُ قَدَمُ صِدْقٍ بِسَائِرِ أَسْرَارِ ٱلطَّرِيقَةِ

لِأَنَّ ٱلْمُلَقِّنَ يَعْكِسُ مَا فِي قَلْبِهِ   لِقَلْبِ ٱلطَّالِبِ لِسُلُوكِهِ وَبَاطِنِ دَرْبِهِ

إِذَا كَانَ ٱلْمُلَقِّنُ مَعْلُولًا وَمُتَعَدِّي   يُصَابُ ٱلطَّالِبُ بِحَالٍ سَيِّءٍ مُرْدِي

يَظُنُّ ٱلْكَثِيرُ ٱلْيَوْمَ بِتَلْقِينِهِ ٱلسَّلَامَةْ   وَهُوَ خَالِي ٱلْقَلْبِ حَسَبَ ٱلْعَلَامَةْ

ٱلتَّلْقِينُ ، أَسَاسًا ، عَمَلُ مُرْشِدِ ٱلزَّمَانِ   وَلِكَثْرَةِ ٱلطَّالِبِينَ يُعَيِّنُ مُلَقِّنًا بِذَلِكَ ٱلْآنِ

عَلَى أَنْ يُجَدِّدَ ٱلْمُرْشِدُ لِلطَّالِبِ ٱلْبَيْعَةْ   بَعْدَ تَلْقِينِهِ ٱلْمُسْتَعَارِ بِتِلْكَ ٱلصَّنْعَةْ

لِأَجْلِ أَنْ يَضَعَ لَهُ ٱلْمُرْشِدُ ٱلْمَعْرِفَةْ   حَتَّى لَا تُصْبِحَ أَحْوَالُهُ وَلَطَائِفُهُ مُشَوَّشَةْ

فَإِذَا رَحَلَ ٱلْمُرْشِدُ لَا يُفِيدُ خَلِيفَةٌ مُلَقِّنْ   فَلَا بُدَّ مِنْ صَاحِبِ قَلْبٍ مُرْشِدٍ مُتَمَكِّنْ

مُعَالِجٍ لِأَمْرَاضِ ٱلرُّوحِ وَٱلْقَلْبِ ٱلْغَافِلِ   عَالِمٍ بِعِلَلِ ٱلنُّفُوسِ وَكُلِّ سَافِلِ

فَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ رَاغِبٍ فِي ٱلنَّجَاةِ   أَنْ لَا يُسَلِّمَ قَلْبَهُ لِفَاقِدِ تِلْكَ ٱلصِّفَاتِ

وَإِلَّا يُعَرِّضْ نَفْسَهُ لِلْجُنُونِ وَٱلْوَسْوَاسِ   وَيُصْبِحْ مَزَارًا لِخَوَاطِرِ ٱلشَّيْطَانِ ٱلْخَنَّاسِ

لَا يَصِيرُ ٱلْإِنْسَانُ بِسُهُولَةٍ مُلَقِّنَا   فَهُوَ يُوَاجِهُ بِسُلُوكِهِ سِرًّا وَعَلَنَا

عِنْدَ ٱلْبَعْضِ أَصْبَحَ ٱلتَّلْقِينُ لِلشُّهْرَةِ   حَسَدًا وَكَيْدًا لِلصَّالِحِينَ ٱلْمَهَرَةِ

وَقَدْ يُعَانِدُ ٱلْبَعْضُ وَيَرْفُضُ مَا نَقُولُ   لِأَنَّهُ يَتَكَسَّبُ مِنْ كُلِّ بَسِيطٍ جَهُولْ

حُبُّ ٱلجَاهِ وَٱلسُّلْطَةِ مُدَمِّرٌ...

اَلنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي مُيُولِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ   لِذَا نَجِدُ تَنَوُّعًا فِي مَشْرَبِ مُخَالَفَاتِهِمْ

فَٱلْبَعْضُ يَقَعُ فِيهَا طَمَعًا فِي ٱلصِّيتِ   وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى لِلْجَاهِ نَاسِيًا يَوْمَ ٱلتَّبْكِيتِ[1]

فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمُهْلِكَاتِ ٱلْمُدَمِّرَةْ   فَٱلْخَائِفُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لِقَمْعِهَا زُنُودُهُمْ مُشَمِّرَةْ

يَتَّخِذُ ٱلْبَعْضُ ٱلسُّلْطَةَ ٱلْإِسْلَامِيَّةَ مَظْهَرًا وَزِينَةْ   فَيَقَعُونَ بِضَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ وَمُخَالَفَاتٍ مُشِينَةْ

تَرَكُوا ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرْ   وَلَوْ سَمِعْنَا مِنْهُمْ كَلِمَةَ: ٱللهُ أَكْبَرْ

لَوْ عَمِلُوا بِٱلْمُرَاقَبَةِ وَٱلتَّفَكُّرِ قَلِيلًا   لَعَلِمُوا أَنَّ ٱللهَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا

إِنَّهُمْ يُعَظِّمُونَ ٱلْكَفَرَةَ وَيَعْتَزُّونَ بِهِمْ   وَيَتَجَاهَلُونَ تَحْذِيرَ ٱللهِ تَعَالَى مِنْهُمْ

كُلُّ ذَلِكَ طَمَعًا بِٱلسُّلْطَةِ وَٱلرَّاتِبِ   وَلِرُكُوبِ سَيَّارَاتٍ ضَخْمَةٍ وَٱلْجُلُوسِ بِٱلْمَكَاتِبِ

فَعَلَيْنَا ٱلْحَذَرُ مِنْ ضِحْكَةِ الشَّيْطَانِ   خَوْفًا مِنْ جَحِيمِ عَذَابِ ٱلرَّحْمَنِ ﷻ

ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ بِعَمَلِهِ بِهَذِهِ ٱلْمُخَالَفَاتِ   يَنْشُرُ ٱلْحَقَّ وَيُحْسِنُ صُنْعًا بِسَائِرِ ٱلْأَوْقَاتِ

فَهَذَا مَخْدُوعٌ مُصَابٌ رَأْسُهُ بِدُوَارِ   يَسْعَى، بِخَرَابِ دِينِهِ، لِتَحْقِيقِ مَطْلَبِ ٱلْأَشْرَارِ

وَيَظُنُّ أَنَّهُ بِفِعْلِهِ يَخْدُمُ ٱلدِّينْ   فَلْيُحَاسِبْ نَفْسَهُ قَبْلَ يَوْمِ ٱلدِّينْ

مُخَالَطَةُ ٱلنَّاسِ لِلْفَسَقَةِ وَٱلْفُجَّارِ   تُرَبِّي بِٱلْقَلْبِ قَسَاوَةً كَٱلْأَحْجَارِ

فَيَقَعُ ٱلْمُخَالِطُ لَهُمْ بِمَزِيجٍ مِنَ ٱلْمُهْلِكَاتِ   فَيَأْبَى ٱلنَّصَائِحَ وَلَوْ كَانَتْ مُنَجِّيَاتِ

إِخْتَارَ وُجُودَ ٱلْحَيَّاتِ وَٱلْعَقَارِبِ تَحْتَ لِبَاسِهِ   تَلْدَغُهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْ إِحْسَاسِهِ

فَهَذَا ٱلْقَدْرُ كَافٍ فِي ٱلتَّنْبِيهِ   وَفِي تَحْذِيرِ كُلِّ مُؤْمِنٍ خَائِفٍ نَبِيهِ

(١) التبكيت: التقريع وهنا المقصود يوم إقامة الحجة وهو يوم القيامة.

تَحْذِيرُ العِبَادِ مِنْ مُدَّعِي الإِرْشَادِ

المُدَّعِي تَخْتَلِطُ أَفْكَارُهُ بِالنَّفْسِ الأَمَّارَةْ
فَتَضُرُّ أَتْبَاعَهُ بِنَظَرِيَاتِهِ المَكَّارَةْ

وَيُوقِعُهُ الشَّيْطَانُ بِمُشَاغَبَاتٍ رُوحِيَّةٍ
وَيُوهِمُهُ بِخَيَالَاتٍ وَوُصُولٍ إِلَى المَرَاتِبِ العَلِيَّةِ

فَيَنْدَمِجُ كِبْرِيَاؤُهُ بِالعُنْفِ وَالاضْطِرَابْ
وَبِتَشْبِيهٍ خَاطِئٍ مَدْسُوسٍ يُسَبِّبُ الخَرَابْ

فَيُصِيبُ أَتْبَاعَهُ بِخَيَالَاتٍ مُصْطَنَعَةٍ
وَيُصَابُونَ بِعِلَلٍ وَوَسَاوِسَ مُرَوِّعَةٍ

لِأَنَّ تَشْبِيهَهُ خَاطِئٌ حُبًّا بِشَهْوَةِ العِرْفَانِ
نَاتِجٍ مِنْ غَفْلَةِ قَلْبِ هَذَا الإِنْسَانِ

"فَمُوضَةُ" التَّعَدِّي عَلَى مَقَامِ الإِرْشَادِ
أَصْبَحَتْ دَارِجَةً عَلَى لِسَانِ العِبَادِ

هَذَا يَحْمِلُ شَعْرَةً وَالآخَرُ صُورَةْ
وَيَدَّعِي أَنَّهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدِ المَعْمُورَةْ

وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُ لِنَفْسِهِ لَقَبَ القُطْبِيَّةِ
وَالآخَرُ يُسَمِّي نَفْسَهُ غَوْثَ البَرِيَّةِ

قَصْدُهُمْ تَجْمِيعُ كَوَادِرَ بِالبِلَادِ
تَحْتَ اسْمِ الخِلَافَةِ المَسْرُوقَةِ لِلإِرْشَادِ

لِمَصَالِحَ وَمَآرِبَ تَدُرُّ رِبْحًا وَفَائِدَةْ
وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ كَأَغْنَامٍ شَارِدَةْ

اتَّخَذُوا الأَلْقَابَ وَاعْتَبَرُوهَا كَغَنَائِمَ
لَا يُنَالُ الإِرْشَادُ بِتَسَلُّطٍ وَعَمَائِمَ

صَارَتِ الأَلْقَابُ عِنْدَهُمْ لِلتَّسَلُّطِ وَالتَّفَاخُرِ
يَتَقَاتَلُونَ عَلَيْهَا مَعَ فِتَنٍ وَتَنَاحُرِ

فَلْنَحْذَرْ مِنْ مُدَّعِي الإِرْشَادِ الكَامِلْ
الَّذِي يُسَبِّبُ لِلْقُلُوبِ الدَّمَارَ الشَّامِلْ

فَصُحْبَتُهُ قَاسِيَةٌ تُورِثُ الفَشَلَ
لِأَنَّهُ زَوَّرَ أَمْرَ الخِلَافَةِ وَنَشَلَ

فَسَبَّبَ لِأَتْبَاعِهِ قَبْضًا وَحَوَادِثْ
وَضِيقَ صَدْرٍ وَعَرَّضَ أَنْفُسَهُمْ لِلْكَوَارِثْ

لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ مُرَبٍّ يَرْدَعُ قَلْبَهُ
فَيَعْرِضُ لَهُ الشَّيْطَانُ أَمَانِيَّ بَاطِلَةً فَيُحِبُّ قُرْبَهُ

عَلِيلُ النَّفْسِ خَالٍ مِنَ التَّغْطِيَةِ
يُعَرِّضُ بَاطِنَهُ لِعُبُورِ أَنْوَاعِ الأَذِيَّةِ

فَيُصَابُ قَلْبُهُ بِعِلَلٍ سَيِّئَةٍ مُؤْلِمَةٍ
فَتَصِيرُ أَجْهِزَتُهُ البَاطِنِيَّةُ مُتَوَتِّرَةً غَيْرَ مُنْتَظِمَةٍ

لَا نُصْرَةَ لِلدِّينِ بِخِلَافِ ٱلشَّرِيعَةِ

نَصْرُ ٱلدِّينِ لَا يَكُونُ بِلُبْسِ ٱلثِّيَابِ ٱلثَّمِينَةِ ... وَلَا بِرُكُوبِ سَيَّارَاتٍ عَالِيَةِ ٱلثَّمَنِ وَٱلْقِيمَةِ

فَلَيْسَ بِهَذَا عِزُّ ٱلدِّينِ وَنُصْرَتُهْ ... لِأَنَّهُ خِلَافُ ٱلتَّوَاضُعِ وَخِلَافُ فِكْرَتِهْ

فَلَا يَدَّعِي أَنَّهُ مِنَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ لِأَهْلِ ٱلْإِيمَانِ ... وَهُوَ بِٱلْحَقِيقَةِ غَيْرُ ذَلِكَ بَيْنَ ٱلْأَعْدَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ

فَلَا يُطْلَبُ عِزُّ ٱلْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِهِ ... بِٱلثِّيَابِ وَمَظَاهِرِ ٱلْغِنَى بِسُلُوكِهِ وَسَيْرِهِ

لَوْ كَانَ عِزُّ ٱلدِّينِ حَقًّا بِٱلسَّيَّارَاتِ ... وَٱلثِّيَابِ ٱلْفَخْمَةِ وَٱمْتِلَاكِ أُسْطُولٍ مِنَ ٱلطَّائِرَاتِ

لَكَانَ ٱلدِّينُ يُقَاسُ بِٱلْمَالِ وَٱلزِّينَةْ ... وَهَذَا يُخَالِفُ أَحْوَالَ ٱلصَّالِحِينَ ﷺ وَقُلُوبَهُمُ ٱلثَّمِينَةْ

هَذَا ٱلْمِقْيَاسُ كَٱلَّذِي يُطِيعُ ٱلسُّلْطَانَ ٱلظَّالِمْ ... وَيَقُولُ قَصَدْتُ بِذَلِكَ خَلَاصَ ٱلْمُسْلِمِ ٱلْعَالِمْ

فَلَا تُطَهَّرُ ٱلنَّجَاسَةُ بِمَاءِ ٱلْخُمُورِ ... ٱلطَّهَارَةُ كَلِمَةُ حَقٍّ بِوَجْهِ جَائِرٍ مَغْرُورِ

وَأَمَرَنَا ٱللهُ ﷻ بِنُصْرَةِ شَرْعِهِ ٱلْمُبِينْ ... كَيْ تَذِلَّ رِقَابُ ٱلْحُكَّامِ وَتَخْضَعَ ٱلسَّلَاطِينْ

قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ٱلْعَزِيزِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد ٧)

وَلَمْ يَقُلْ إِنْ تَنْصُرُوا ٱلْبَاطِلَ يَنْصُرْكُمْ ... فَٱلْمَلَائِكَةُ ﷺ تُسَجِّلُ سَائِرَ صُوَرِ أَفْعَالِكُمْ

لَا يُدْفَعُ ٱلضَّرَرُ عَنِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِتِلْكَ ٱلْحِيلَةْ ... فَٱلشَّرْعُ وَٱلدِّينُ وَٱلْوَعْظُ هُوَ ٱلْوَسِيلَةْ

كَذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ مَا يُسَمَّى بِٱلْإِمَامِ ٱلْمَوْجُودِ ... مِنَ ٱلسُّكُوتِ عَلَى ٱلْمُخَالَفَاتِ لِرَبِّنَا ٱلْمَعْبُودِ ﷻ

كَٱلرَّقْصِ وَٱلطَّرَبِ وَٱللَّهْوِ فِي رَمَضَانْ ... وَصُوَرِ ٱلدِّعَايَاتِ ٱلْفَاحِشَةِ بِكُلِّ شَارِعٍ وَدُكَّانْ

قَالَ ٱلضَّحَّاكُ: " مَا بَالُ قَوْمٍ جَعَلُوا رَمَضَانَ لِلَّهْوِ وَٱلطَّرَبِ " .

وَكَذَا رُكُوبُهُ لِلسَّيَّارَاتِ ٱلْفَخْمَةِ وَٱلْأُنْسِ بِهَا ... وَٱلسَّكَنِ بِٱلْمَبَانِي ٱلْفَخْمَةِ وَٱلتَّلَذُّذِ بِمَا فِيهَا

وَٱسْتِعْمَالُ أَمْوَالِ ٱلزَّكَاةِ لِلْحَفَلَاتِ وَإِطْعَامِ ... كُلِّ كَافِرٍ وَفَاسِقٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْإِجْرَامِ

لَا يُعَدُّ هَـٰذَا دِفَاعًـا عَـنِ ٱلـدِّينِ ... بَلْ هُوَ خِلَافُ شَرْعِ ٱللهِ وَسَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﷺ
اِشْتَدَّ ٱلْخَلْطُ وَ«ٱلتَّخْبِيصُ» بِمَصَالِحِ ٱلْمُسْلِمِينْ ... وَعَمِلُوا بِمَا يَخْدِمُ شَرْعَ ٱلْحُكَّامِ وَٱلسَّلَاطِينْ
وَأَقْبَلُوا بِكُلِّ هِمَّةٍ عَلَى ٱلدُّنْيَا وَٱلرِّيَاسَةِ ... بِحُجَّةِ نُصْرَةِ ٱلدِّينِ وَٱلْخَلَاصِ مِنَ ٱلتَّعَاسَةِ
لَا بُدَّ لِلزَّرْعِ مِنْ تَنْقِيَتِهِ مِنَ ٱلْحَشِيشِ ... لِيَظْهَرَ ٱلزَّاهِدُ مِنْ مُلَبِّسِ ٱلطَّرَابِيشِ
فَخَبَايَا خِدَاعِ ٱلنَّفْسِ غَامِضٌ وَدَقِيقْ ... لَا يَفْطِنُ إِلَيْهِ إِلَّا ذُو قَلْبٍ رَقِيقْ
لَا يَجُوزُ لِإِمَامٍ صَاحِبِ نَفْسٍ أَمَّارَةْ ... أَنْ يُطِيعَ دُسْتُورَ حُكَّامٍ وَسَلَاطِينِ ٱلْإِمَارَةْ
فَلَا ٱعْتِذَارَ بِحِيلَةٍ لِتَغْطِيَةِ عَيْبِهِ ... عَلَيْهِ تَحْكِيمُ ٱلشَّرْعِ وَٱلتَّخَلِّي عَنْ جَيْبِهِ
وَلَا يَرَى أَنَّ ذَلِكَ مُكَفِّرٌ لِذُنُوبِهِ ... فَٱللهُ عَالِمٌ بِمَعَاصِي ٱلْعَبْدِ وَعُيُوبِهِ
لَا أَحَدَ يَظُنُّ ٱلسَّلَامَةَ مِنْ عُيُوبِ قَلْبِهِ ... وَٱلنَّجَاةَ فِي ٱلْآخِرَةِ بِمَا يَفْعَلُهُ بِدَرْبِهِ
لَا بُدَّ مِنْ حِرَاسَةِ ٱلْقُلُوبِ مِنَ ٱلرَّذَائِلْ ... وَدَوَاءٍ يُعَالِجُ ٱلطَّالِعَ مِنْهَا وَٱلنَّازِلْ
فَقَدْ دَخَلَ إِلَى ٱلْجَوْفِ مَالُ ٱلْحُكُومَاتِ ... ٱلْمَجْمُوعُ مِنَ ٱلْمَكْسِ وَٱلنَّصْبِ وَٱلْخُصُومَاتِ
وَقَدْ عَدَّهُ أَهْلُ ٱلزُّهْدِ مِنَ ٱلْمُهْلِكَاتِ ... فَكَيْفَ يَنْجُو وَهُوَ وَاقِعٌ بِتِلْكَ ٱلصِّفَاتِ؟
لَقَدْ حَانَ ٱلْوَقْتُ لِنَسْتَمِعَ إِلَى ٱلْإِنْذَارِ ... بَعْدَ رُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي وَسَائِرِ ٱلْأَخْطَارِ
وَظُهُورِ ٱلْعَرْبَدَةِ وَٱلْمُبَاهَاةِ وَٱلْمُجَادَلَةِ بِٱلْبِلَادِ ... وَهَذَا يَدُلُّ بِٱلْحَقِيقَةِ عَلَى تَرَاكُمِ ٱلْفَسَادِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم ٤١)

مَنْ أَعْطَاهُ ٱللهُ مِنْ عِلْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْعَجِيبِ ... قَالَ : يَا رَبِّ لَا بُدَّ مِنْ نَصْرِكَ ٱلْآتِي ٱلْقَرِيبِ





← الفقيه والشيخ الصوفي عارف المولوي ـ طرابلس

الفقيه الشيخ حسن الصفدي ـ طربلس ←

الإِرْشَادُ لَيْسَ حَبَّةَ "بُونْبُونَةٍ"

سَمِعْنَا عَنْ بَعْضِ مَنْ كَانُوا فِي ٱلدَّارِ   أَنَّ ٱلْغَوْثِيَّةَ ٱنْقَسَمَتْ عَلَيْهِمْ بِٱخْتِيَارِ

نَالَهَا ثَلَاثَةٌ مِنْ مُدَّعِي ٱلْإِرْشَادِ   ضَحِكُوا عَلَى ٱلْبِلَادِ وَعَلَى ٱلْعِبَادِ

هَـٰذَا خِدَاعُ نُفُوسٍ وَرَذَائِلُ دَنِيئَةٌ   وَحَرَكَاتٌ شَيْطَانِيَّةٌ عَلَى ٱلدِّينِ جَرِيئَةٌ

صَارَ ٱلْإِرْشَادُ عِنْدَهُمْ كَتَنَاوُلِ "بُونْبُونَةٍ"   إِذَا بَلَعَهَا يَظُنُّ أَنَّ أَحْوَالَهُ مَوْزُونَةٌ

وَإِذَا شَاهَدَ ذَرَّةً مِنْ خَيْطٍ كَدَلِيلْ   أَوْ حُلُمًا شَاهَدَ فِيهِ رَجُلًا جَلِيلْ

أَوْ أَعْطَاهُ ٱلْمُرْشِدُ شَيْئًا كَهَدِيَّةٍ   أَوْ رِسَالَةً فِيهَا كَلِمَاتٌ لِحَلِّ قَضِيَّةٍ

أَوْ نَامَ ٱلْمُرْشِدُ عِنْدَهُ أَيَّامًا وَأَكَلَ   طَعَامًا، ظَنَّ نَفْسَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ٱغْتَسَلَ

يَظُنُّ صَاحِبُ ٱلدَّارِ أَنَّهُ كَامِلٌ   مُرْشِدٌ عَارِفٌ مَعَ ٱلْعَارِفِينَ عَامِلٌ

هَـٰذِهِ عِلَلُ خَوَاطِرِ ٱلنَّفْسِ ٱلْمُصَابَةْ   فَإِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ حَالٍ فَلَيْسَ عِنْدَهُ إِجَابَةْ

إِشَارَةُ ٱلْإِرْشَادِ رُؤْيَةُ ٱلْوَجْهِ ٱلشَّرِيفِ ﷺ   بَعْدَ وُصُولِهِ لِمَقَامٍ رَاقٍ مُنِيفِ

فِي مُوَاجَهَةِ بَابِ ٱلرَّوْضَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ٱلْعَلِيَّةْ   تَهْبِطُ عَلَيْهِ قَبْلَهَا رَحَمَاتٌ حَارَّةٌ قَوِيَّةْ

تَعُمُّ جَسَدَهُ مِثْلَمَا يَلْبَسُ ٱلثَّوْبَ ٱلْأَفْخَمْ   ثُمَّ يَظْهَرُ لَهُ ٱلْجَمَالُ ٱلرَّاقِي ٱلْمُحْتَرَمْ

يُشَاهِدُهُ يَقَظَةً لَيْسَ بِٱلنَّوْمِ ٱلْعَمِيقِ   هَـٰذِهِ إِشَارَاتُ أَهْلِ ٱلْإِرْشَادِ وَٱلتَّحْقِيقِ

يَأْبَى ٱلْمُعَانِدُ لِحَسَدِهِ مَا نَقُولُ   يَظُنُّ بِحَرَكَاتِهِ أَنَّهُ صَارَ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ مَوْصُولْ

إِنْ صَحَّتْ مُشَاهَدَتُهُ لِلْأَطْرَافِ ٱلشَّرِيفَةِ   فَلْيَعْكِسْ فَوَائِدَهَا عَلَى ٱلْقُلُوبِ ٱلنَّظِيفَةِ

مَنْ عَجَزَ عَنْ إِصْلَاحِ وَتَعْمِيرِ ٱلْقُلُوبِ   فَتَرْكُهُ أَوْلَى: لِأَنَّهُ مُضِرٌّ غَيْرُ مَرْغُوبِ

غَدًا سَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ   حِينَمَا ٱلْأَمْوَاتُ مِنَ ٱلْقُبُورِ تَنْتَشِرُ

سَيَخِيبُ مَنْ حَمَلَ بِٱلْقِيَامَةِ ظُلْمًا   وَلَا يَنْفَعُهُ شَيْخٌ كَذُوبٌ ٱدَّعَى عِلْمًا

ظَنَّ ٱلْبَعْضُ ٱلْإِرْشَادَ سَهْلًا كَمَصَّةِ بُنْبُونَةٍ   وَبَعْضُهُمْ ظَنَّ أَنَّهَا كَحَصِّ لَيْمُونَةٍ

خُزَعْبَلَاتٌ عِنْدَ مُدَّعِي ٱلصُّوفِيَّةِ

سَمِعْنَا عَمَّنْ كَانَ فِي ٱلدَّارِ أَفْظَعَ ٱلْأَخْبَارِ … ٱدَّعَى بَعْضُهُمْ صُحْبَةً وَمُكَالَمَةَ ٱلْمُخْتَارِ ﷺ

يَنْتَظِرُهُ رَئِيسُهُ فِي كُلِّ صَبَاحْ … لِيَقُصَّ عَلَيْهِ حُلْمًا حَتَّى نَفْسُهُ تَرْتَاحْ

فَيَعْمَلُ بِحَسَبِ أَوَامِرِ ٱلْأَحْلَامِ وَٱلْمَنَامِ … وَيُنَفِّذُ سَائِرَ مَا صَدَرَ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِ

فَأَتَاهُ يَوْمًا ٱلشَّيْ .. بِنِصْفِ "مَنْقُوشَةٍ" … وَقَالَ لَهُ خُذْهَا مِنَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ مَغْشُوشَةٍ

أَرْسَلَهَا إِلَيْكَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ لَكَ مَخْصُوصْ … فَهَذِهِ أَضَالِيلُ وَوَهْمٌ فَاسِدٌ مَدْسُوسْ

فِي مِنْطَقَةِ ٱلْخِيَارَةِ بِٱلْبِقَاعِ ٱلْغَرْبِيِّ … تَدَّعِي ٱمْرَأَةٌ أَنَّهُ يَحْضُرُ إِلَيْهَا ٱلنَّبِيُّ ﷺ

يُصَافِحُهَا، وَتَقُولُ: أُقَبِّلُ يَدَهُ ٱلْمُبَارَكَةْ . … وَيَحْضُرُ إِلَيْهَا كُلَّ جُمُعَةٍ لِلْبَرَكَةْ

وَتَقُولُ: هَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَبُوي أَنَا … فَزَكَّاهَا كِبَارُ أَهْلِ ٱللِّحَى قُرْبَنَا

فَقُلْتُ: يَا جَمَاعَةُ هَذَا خِلَافُ ٱلْإِسْلَامْ … لَا يُصَافِحُ ٱلنِّسَاءَ ٱلنَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامْ

وَتَدَّعِي حُضُورَهُ وَهِيَ مُتَبَرِّجَةٌ … فَتِلْكَ أَعْمَالُ شَيَاطِينٍ وَلَهَا مُبَرْمِجَةٌ

قَالَ ٱللهُ ﷻ مُكَذِّبًا أَمْثَالَهَا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ (الأحزاب ٤٠)

وَشَاهَدْنَا رَجُلًا يُسَلِّمُ عَلَى غَائِبْ … فَقُلْتُ: عَمَّنْ تُسَلِّمُ يَا صَاحِبْ

وَنَحْنُ فِي ٱلْوُضُوءِ قُرْبَ ٱلْحَمَّامِ … قَالَ: أُسَلِّمُ عَلَى خَيْرِ ٱلْأَنَامِ ﷺ

مَرَّ مِنْ هُنَا وَأَلْقَى ٱلسَّلَامَ إِلَيْنَا … فَرَدُّ سَلَامِهِ وَاجِبٌ عَلَيْنَا

نَكَحَ صَاحِبُ لِحْيَةٍ [خالد(م)] ٱمْرَأَةً بِٱلْحَرَامْ … وَٱدَّعَى أَنَّهُ تَلَقَّى ٱلْأَمْرَ مِنْ يَحْيَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامْ

أَمَرَهُ أَنْ يَنْكِحَهَا لِيُطَهِّرَهَا مِنَ ٱلْأَرْجَاسِ … عَاشَرَهَا ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ خُفْيَةً عَنِ ٱلنَّاسِ

وَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ بَاطِنٌ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ … أَتَلَقَّاهُ مِنْ إِشَارَاتٍ وَرُمُوزٍ خَفِيَّةٍ

وَتَعَدَّى رَجُلٌ [محمود(س)] عَلَى صَبِيَّةٍ لِرَجُلٍ مِسْكِينِ … وَٱدَّعَى أَنَّهُ أَمْرٌ صُوفِيٌّ أَتَاهُ بِٱلْحِينِ

فَجَاءَ خَالُهَا مُصْطَفَى (س) يَصِيحُ وَيَبْكِي ... وَعَلَى ذَلِكَ ٱلزَّانِي يَدْعُو وَيَشْتَكِي

فَهَذِهِ وَأَمْثَالُهَا ٱنْحِرَافَاتٌ عَنِ ٱلشَّرِيعَةْ ... تُؤَدِّي بِأَصْحَابِهَا إِلَى مَهَالِكَ مُرِيعَةْ

كَلَامُهُمْ خَلْطٌ بِخَلْطٍ خَالٍ مِنَ ٱلْمِصْدَاقِيَّةْ ... يَتَبَرَّأُ إِلَى ٱللهِ مِنْهُمْ عُلَمَاءُ ٱلصُّوفِيَّةْ

فَلْيَحْذَرْ مِنْهُمُ ٱلْمُسْلِمُ وَلَوْ بِٱلصُّوفِيَّةِ تَسَتَّرُوا ... ٱتَّخَذُوا ٱلصُّوفِيَّةَ شَعَائِرَ لِخِدَاعِ ٱلنَّاسِ فَتَهَتَّكُوا

أَصْبَحَ ٱلتَّصَوُّفُ زِينَةً وَتَفَاخُرًا

صَارَ ٱلتَّصَوُّفُ زِينَةً وَتَفَاخُرًا طَمَعًا بِمَكْسَبٍ ... وَٱلْمُتَشَيِّخُ بِسَتْرِ جَهْلِهِ فِيهِ يَبْرَعُ

يُفْتِي بِمَا يُزَيِّنُ لَهُ وَهْمُهُ وَهَوَى نَفْسِهِ ... يُخْفِي أَحْوَالَهُ ٱلدَّنِيئَةَ بَيْنَ ٱلْوَرَى وَيَتَبَرْقَعُ

ظَنَّ ٱلنَّاسُ ٱلتَّصَوُّفَ حَرَكَاتٍ وَشَعْوَذَةً ... ٱلْبَاطِلُ ظَلَامٌ يَخْفَى عَلَى مَنْ يَهْوَاهُ وَيَتْبَعُ

يُخْرِجُ ٱلْمُدَّعِي مِنْ فَمِهِ نَارًا مُؤَجَّجَةً ... وَأَهْلُ ٱلْبَاطِلِ مِنْ حَوْلِهِ تَتَجَمَّعُ

هَذَا يَدَّعِي أَنَّهُ شَاهَدَ ٱلْإِلَهَ جَهْرَةً ... وَبَعْضُهُمْ قَالَ: إِنَّهُ مِنَ ٱلْمُخْتَارِ ﷺ يَرْضَعُ

وَذَاكَ يَضْرِبُ نَفْسَهُ بِشِيشٍ هَوَاهُ ... وَيُمْسِكُ نَارًا وَثُعْبَانًا مُدَرَّبًا يَرْفَعُ

هَذِهِ وَتِلْكَ أُمُورٌ لَا نَفْعَ مِنْهَا مُطْلَقًا ... فِيهَا خَيَالٌ وَوَهْمٌ وَٱلشَّرُّ مِنْهَا يَنْبَعُ

طَلَبُوا ٱلْأَمْدَادَ مِنْ غَيْرِ إِلَهِ ٱلْوَرَى ﷻ ٱسْتِغَاثَةً ... وَٱدَّعَوْا أَنَّ شَيْخَهُمْ مَهْمَا عَصَوْا يَتَشَفَّعُ

فَٱدِّعَاءُ ٱلْقُطْبِيَّةِ وَٱلْغَوْثِيَّةِ عِنْدَهُمْ مَصْلَحَةٌ ... وَمَا تُخْفِي ٱلسَّتَائِرُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ أَشْنَعُ

إِخْتَلَطَ ٱلْحَابِلُ بِٱلنَّابِلِ فِي حَلَقَاتِهِمْ ... يَرْوُونَ لِلنَّاسِ خُرَافَاتٍ مِنْهَا ٱلْعَقْلُ يَتَزَعْزَعُ

لَوْ تَأَمَّلْنَا بِحَالِ أَهْلِ ٱللهِ لَحْظَةً ... لَوَجَدْنَا أَصْغَرَهُمْ مِنَ ٱلْجُوعِ بَطْنُهُ يَتَقَرْقَعُ

قَوْمٌ تَتَزَلْزَلُ نُفُوسُهُمْ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِمْ ... مَا بَالُ ٱلدَّجَاجِلَةِ لِأَحْوَالِهِمْ تَتَصَنَّعُ

رِجَالٌ هَجَرُوا ٱلنَّوْمَ مُسْتَأْنِسِينَ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ ... بَعْضُهُمْ يَئِنُّ صَبْرًا وَبَعْضُهُمْ لِلتَّجَلِّي يَخْشَعُ

مُتَمَسِّكِينَ بِشَرْعِ ٱلْإِلَهِ ﷻ وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى ... طَارَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَٱلْقَلْبُ إِجْلَالًا يَدْمَعُ

لَا يَرْجُونَ ٱلْخَيْرَ مِمَّنْ خَالَفَ شَرْعَنَا   وَإِنْ كَثُرَ ٱلرِّجَالُ حَوْلَ ٱلْمُتَنَطِّعِ وَتَجَمَّعُوا

قَدْ فَعَلَ ٱلْبَلِيدُ أَفْعَالًا فَاسِدَةً   ظَنَّ بِلُبْسِ ٱلصُّوفِ عَلَى جَهْلٍ يَنْفَعُ

يَشْتَهِي ٱلْإِرْشَادَ وَٱلْجُلُوسَ عَلَى عَرْشِهِ   يَتَفَانَى طَعْنًا بِٱلْمُسْلِمِينَ وَحَسَدًا وَلِلسُّمْعَةِ يَهْرَعُ

يَتَّهِمُ ٱلسَّالِكِينَ بِٱلْخِيَانَةِ لِيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ   وَلِآدَابِ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلذَّوْقِ ٱلرَّفِيعِ يَصْفَعُ

يُؤْذِي ٱلْقُلُوبَ بِأَخْلَاقِهِ وَيَضُرُّ ٱلْجَوَارِحَ   يَمِيلُ لِلْبَاطِلِ وَقَلْبُهُ لَهُ مَصْنَعُ

لَا تُسَلِّمِ ٱلْقَلْبَ لِأَمْثَالِهِ وَٱهْجُرْ صُحْبَتَهُ   ٱتَّخَذَ ٱلتَّصَوُّفَ سِتَارًا لِهَوَاهُ ٱلْمُرَقَّعُ

يَهْوَى تَجَمُّعَ ٱلرِّجَالِ مِنْ حَوْلِ سُلْطَتِهِ   وَبِمَا فِي أَيَادِي ٱلْخَلْقِ يَطْمَعُ

زَرَعَ دَرْوِيشُ فِينَا زُورًا وَبُهْتَانًا   فَٱللَّهُ يُجَازِيهِ وَلِأَقْوَالِهِ ٱلسَّيِّئَةِ يَسْمَعُ

أَغْلَقَتْ نَقْشَبَنْدِيَّةُ ٱلْمَاضِي نُورَ أَبْوَابِهَا   عِقَابًا لِمَا دَرْوِيشُ ٱلْمُغْتَصِبُ يَصْنَعُ

بَعْضُ ٱلْمُدَّعِينَ فِي حَقْلِ ٱلْجِدَالِ

ٱلَّذِينَ يَنْسَوْنَ عَظِيمَ أَمْرِ ٱلْآخِرَةِ   هُمُ ٱلَّذِينَ غَاصُوا بِرَقْدَتِهِمُ ٱلْمُشْتَهِرَةِ

وَلَمْ يَجِدُوا مَنْ يُنَبِّهُهُمْ وَيَرْعَاهُمْ   لِكَثْرَةِ ٱنْشِغَالِهِمْ بِحُطَامِ دُنْيَاهُمْ

أَكْثَرُهُمْ مَائِلُونَ لِلْهَوَى عَادِلُونَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ   مَشْغُولُونَ بِجَمْعِ ٱلْمَالِ ٱلْمُسَبِّبِ لِلْحَرِيقِ

هَمُّهُمُ ٱلزَّعَامَةُ وَرُكُوبُ كَرَاسِي ٱلْإِرْشَادِ   وَٱلسَّيْطَرَةُ عَلَى نُفُوسِ وَقُلُوبِ ٱلْعِبَادِ

وَمُهَاجَمَةُ ٱلذَّاكِرِينَ وَأَهْلِ ٱلْخَلَوَاتِ   وَتَكْفِيرُ ٱلْأُمَّةِ وَٱلتَّسَبُّبُ بِٱلشَّتَاتِ

ٱلْجِدَالُ هُوِيَّتُهُمْ وَٱلتَّلْفِيقُ مَصْلَحَتُهُمْ   وَٱلتَّنْفِيرُ وَٱلْفِتَنُ أَسَاسُ أَعْمَالِهِمْ

أَزَاغَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ عَنْ طَرِيقِ ٱلْهُدَى   فَلْنَحْذَرْهُمْ إِنَّهُمْ أَشَرُّ وَأَشَدُّ ٱلْعِدَى

هَذَا سَبَبُ خُلُوِّ ٱلطَّرِيقِ وَتَعْطِيلِ ٱلسُّلُوكْ   حَيْثُ ٱلْهَوَى غَالِبٌ وَٱلْحَقُّ مَمْلُوكْ

أَصْبَحَ ٱلدَّلِيلُ مَفْقُودًا لَا يَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدْ   فَمَنَعَ ذَلِكَ مِنَ ٱلْوُصُولِ ، لِلْفَرْدِ ٱلصَّمَدْ

ٱلْاِنْقِلَابُ وَاقِعٌ وَٱلْمِقْيَاسُ غَيْرُ نَافِعْ   وَٱلْحَقُّ قَدْ غَابَ وَٱلنِّفَاقُ وَاقِعْ

فَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ طَوَى بِسَاطَ ٱلشَّرْعِ — وَٱدَّعَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلصَّلَاحِ وَٱلْوَرَعِ

وَسَوَّى بَيْنَ ٱلْحَلَالِ وَٱلْحَرَامِ — وَدَمَجَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَٱلْعَمَلَ بِٱلْكَلَامِ

وَٱدَّعَى ٱلتَّجَلِّي وَٱلْوُصُولَ لِلرَّبِّ ٱلْمُتَعَالِ — وَلَمْ يُرَاقِبْ أَعْمَالَهُ وَبَاطِنَهُ بِذَا ٱلْمَجَالِ

وَقَالَ هُوَ وَأَمْثَالُهُ: قُلُوبُنَا بِحُبِّ ٱللهِ وَالِهَةٌ — وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ وَاصِلَةٌ غَيْرُ تَائِهَةٍ

إِنَّنَا نَخُوضُ فِي ٱلدُّنْيَا بِأَبْدَانِنَا — وَلَمْ تَتَلَهَّ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ قُلُوبُنَا

يَرْفَعُونَ دَرَجَاتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ — وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ وَسَاوِسِ شَيَاطِينِهِمْ

يَدَّعُونَ ٱلْوَجْدَ بِٱللهِ وَٱلْحُبِّ — مِنْ غَيْرِ وُقُوفٍ عَلَى مَعْرِفَةِ ٱلرَّبِّ

يَدَّعُونَ مَحَبَّةَ ٱللهِ قَبْلَ مَعْرِفَتِهِ — وَلَا يَخْلُونَ مِنْ خَيَالَاتِ تَوَقُّعِهِمْ بِنِقْمَتِهِ

أَكْثَرُهُمْ يَجْمَعُونَ ٱلْأَقْوَامَ بِقَصْدِ ٱلزَّعَامَةِ — وَٱسْتِخْدَامِهِمْ بِٱلِٱنْتِخَابَاتِ قُوَّةً لَهُمْ وَدِعَامَةً

يَجْمَعُونَ أَمْوَالَ ٱلْحَرَامِ وَٱلشُّبُهَاتِ وَلَا يُبَالُونَ — وَيُنْفِقُونَهَا عَلَى سَائِرِ ٱلْأَتْبَاعِ فَيَتَكَاثَرُونَ

كُلُّ ذَلِكَ بِقَصْدِ ٱلسَّيْطَرَةِ وَٱلِٱنْتِفَاعِ — وَنَيْلِ سُلْطَةٍ وَمَقَامٍ فِيهِ ٱرْتِفَاعْ

وَيَقُولُونَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامْ — وَقُلُوبُهُمْ مَمْلُوءَةٌ بِٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْأَسْقَامْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿**وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ**﴾ (النحل ١١٦)

يَتَسَتَّرُونَ بِٱلْإِسْلَامِ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ لِبَاسٍ — وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْقِيَاسِ

يَقُولُونَ: ٱلدِّينُ بِٱلْقَلْبِ، وَلَيْسَ بِٱلطَّاعَاتِ — وَيَتَظَاهَرُونَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ ٱلْخَلْقِ بِٱلِٱجْتِمَاعَاتِ

يُقَلْقِلُونَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيُكَفِّرُونَهُمْ — وَمِنْ دِينِ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ يُنَفِّرُونَهُمْ

ٱتَّبَعُوا ٱلْأَجْهِزَةَ وَقَدَّمُوا لَهَا ٱلتَّقَارِيرَ — لِيُعَلِّقُوا لَهُمْ "نَيَاشِينَ" نِيَابِيَّةً وَيَكُونُوا مَخَاتِيرَ

ٱدَّعَوْا أَنَّهُمْ أَسْيَادٌ وَشُيُوخُ ٱلصُّوفِيَّةِ — وَلَا يَعْلَمُونَ ٱسْمَ *أَنْطُوَانِيتْ* مِنْ بَهِيَّةٍ

خَلَطُوا ٱلدِّينَ بِٱلسِّيَاسَةِ لِمَآرِبَ وَاضِحَةٍ — وَأَعْمَالُهُمُ ٱلسَّيِّئَةُ بِٱلْخَلَائِقِ لَهُمْ فَاضِحَةٌ

هَذِهِ *مُوضَةُ* ٱلْعَصْرِ فِي ٱلتَّسَتُّرِ بِٱلدِّينِ — وَخِيَانَةِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَطَعْنِ ٱلْمُسْلِمِينَ

السَّاحِرُ الْمُتَلَبِّسُ فِي التَّصَوُّفِ

قَدْ يَتَلَبَّسُ بِالتَّصَوُّفِ بِبِقَاعِ الْبِلَادِ ... قَوْمٌ سَحَرَةٌ مُشَعْوِذُونَ مِنَ الْعِبَادِ

يَدَّعُونَ اسْتِخْرَاجَ الْفَالِ مِنَ الْقُرْآنِ ... وَيُظْهِرُونَ مَا فِي النَّوَايَا فِي التَّبْصِيرِ بِالْفِنْجَانِ

وَيَفْتَحُونَ الْبَخْتَ بِالشَّدَّةِ وَضَرْبِ الرَّمْلِ ... وَيَسْتَعْمِلُونَ وَرَقَ اللَّعِبِ لِتَحْسِينِ الْأَمَلِ

يَدَّعُونَ الْإِلْهَامَ لِكَشْفِ الْأَخْبَارِ ... وَإِزَالَةِ مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ أَخْطَارِ

فَيَكْتُبُونَ التَّمَائِمَ بِسُطُورٍ غَيْرِ وَاضِحَةٍ ... فِيهَا أَسْمَاءُ عَفَارِيتَ عَنِيدَةٍ مُقَبَّحَةٍ

وَبَعْضُهُمْ يَدَّعِي بِبَخُورِهِ إِخْرَاجَ الْجَانِّ ... وَبِتَعَاوِيذِهِ وَبِحِذَاءٍ يَضْرِبُ جِنَّ الْإِنْسَانِ

يَتَظَاهَرُ أَنَّهُ مُسَيْطِرٌ عَلَى الْأَجْوَاءْ ... لِيُوهِمَ الْحُضُورَ أَنَّ رُوحَ قَرِينِهِ جَاءْ

يَصْرُخُ الْمُشَعْوِذُ وَيَصِيحُ بِكَلِمَاتْ ... لِيَظُنَّ الْحُضُورُ أَنَّ الشَّيْطَانَ مَاتْ

وَحَرَقَهُ بِهِمَّتِهِ وَأَسْرَارِهِ الْخَفِيَّةْ ... لِيَنَالَ عَلَى فِعْلَتِهِ الْكَاذِبَةِ هَدِيَّةْ

كَمْ مِسْكِينٍ ذَهَبَ ضَحِيَّةً وَانْخَدَعْ ... بَعْدَمَا سَيْطَرَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْجَزَعْ

وَقَدْ يَدَّعِي تَحْضِيرَ الْأَرْوَاحِ بِالْبَخُورِ ... وَإِخْرَاجَ مَا كُتِبَ مِنَ السِّحْرِ مِنَ الْقُبُورِ

وَبَعْضُهُمْ قَالَ يُخْرِجُهُ مِنْ جُمْجُمَةْ ... مَوْجُودَةٍ فِي قَاعِ الْبَحْرِ وَهِيَ مُحَطَّمَةْ

وَيَكْتُبُ نَشَرَاتٍ بِالزَّعْفَرَانِ لِلْمَرِيضِ ... لِيَخْرِقَهَا وَيَشْرَبَهَا بِخَطِّهِ الْعَرِيضِ

وَأَكْثَرُهُمْ يَدَّعِي السَّيْطَرَةَ عَلَى الْأَرْوَاحْ ... وَالْعُلُومَ الَّتِي تُسَبِّبُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالِارْتِيَاحْ

وَأَجْهَلُهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ سُلْطَانُ الْعَارِفِينْ ... وَهُوَ غَارِقٌ بِالْمَعْصِيَةِ لَا يَتُوبُ وَلَا يَلِينْ

وَيَدَّعِي فَكَّ الْعُقْدَةِ وَالرَّبْطَةْ ... وَالْمُصَدِّقُ لَهُ يَنَالُ لَكْعَةً وَخَبْطَةْ

وَيَقُولُ إِنَّهُ يُحَاوِي الْجَانَّ الْوَلِيّ ... وَهُوَ لَا يَعْرِفُ الظُّلُمَاتِ مِنَ النُّورِ الْجَلِيّ

تَرَى وُجُوهَهُمْ سَوْدَاءَ لِكَثْرَةِ الْمُخَالَفَاتِ ... قَبَّحَهُمُ الْمَوْلَى فِي السُّوَرِ وَالْآيَاتِ

فَانْظُرْ إِلَى صُوَرِهِمْ وَأَقْوَالِهِمُ الْمُغْرِضَةْ ... تَرَ الْجَرَائِدَ لِأَبَاطِيلِهِمْ عَارِضَةْ

بَعْضُهُمْ يَطْلُبُ لِلْعِلَاجِ خَلْعَ الْأَثْوَابْ ... عِنْدَ دُخُولِ الْمَرِيضَةِ وَيُغْلِقُ الْأَبْوَابْ

بِحُجَّةِ ٱلْقِرَاءَةِ عَلَى بَشَرَتِهَا ٱلتَّعَاوِيذْ   فَإِذَا بِخَلْوَتِهِ ٱلْحَرَامَ وَٱلْمَعْصِيَةَ يُجِيزْ

جَعَلَتْ تِلْكَ ٱلْأَبَاطِيلُ ٱلنَّاسَ بِوَرْطَةٍ   فَأُقِيمَتِ ٱلدَّعَاوَى أَمَامَ ٱلْمَحَاكِمِ وَٱلشُّرْطَةِ

وَبَعْضُهُمْ يُخْرِجُ مِنْ فَمِهِ شُعْلَةَ نَارْ   وَيَضْرِبُ بِٱلشِّيشِ كَمَا يَفْعَلُ ٱلْأَشْرَارْ

وَيَحْمِلُ بِيَدِهِ وَيُرَقِّصُ وَيُدَاعِبُ ٱلثُّعْبَانْ   بَعْدَمَا يُدْخِلُ فِيهِ دُخَانَ ٱلْجَانّ

لَيْسَ بِعَمَلِ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْكَرَامَاتِ   لِأَنَّهَا فِي مُعْظَمِهَا ٱسْتِعَانَةٌ بِٱلْمُحَرَّمَاتِ

فَٱحْذَرْ خِدَاعَهُمْ وَضَلَالَهُمْ يَا فَتَى   قَالَ ﷻ ﴿ **وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾ (طه ٦٩)

وَضَعُوا عَلَى "الإِنْتَرْنِت" تَعَالِيمَ ٱلشَّعْوَذَةْ   وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَغُرُّونَ ٱلْمُتَعَبِّدَ وَٱلْمُتَعَبِّدَةْ

ٱلْمُتَعَامِلُ بِهَا سَيُصَابُ بِخَيْبَةِ أَمَلْ   وَيُعَاقِبُهُ رَبُّهُ عَلَى مَا عَمِلْ

وَيَتَأَذَّى فِي عَقِيدَتِهِ وَصِحَّتِهْ   فَيُصَابُ بِوَسَاوِسَ وَآلَامٍ تُنْسِيهِ فَرْحَتَهْ

ضَرْبُ ٱلشِّيشِ وَإِخْرَاجُ ٱلنَّارِ مِنَ ٱلْفَمْ   تِلْكَ خُزَعْبَلَاتٌ ٱلْإِسْلَامُ فِيهَا لَا يَهْتَمّ

وَمُدَاعَبَةُ ٱلثَّعَابِينِ وَتَرْقِيصُ ٱلْأَفَاعِي   قَدْ فَعَلَهَا أَطْفَالُ ٱلْهِنْدِ بِٱلْبِقَاعِ

فَلَا تَنْدَهِشْ لِسِحْرِ أُولَئِكَ "ٱلْجُوكِيَّة"   فَكُلُّهَا تَمَائِمُ وَأَفَاعِيلُ سِحْرِيَّةْ

لَا تُقَرِّبُ إِلَى ٱللهِ قَدْرَ شَعْرَةْ   فَهِيَ تُؤْذِي ٱلنَّاسَ وَلِنُفُوسِهِمْ مُضِرَّةْ

حَذَّرَ مِنَ ٱلتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا ٱلسَّادَةُ ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةْ   لِمَا فِيهَا مِنْ مَخَاطِرَ وَمُعَوِّقَاتٍ رُوحِيَّةْ

لِأَنَّ فِيهَا ٱلِاسْتِعَانَةَ بِسِحْرِ ٱلْجَانّ   وَهِيَ مُخَالِفَةٌ لِشَرِيعَةِ رَبِّنَا ٱلرَّحْمَٰنْ

ٱسْتَعَانَ بِتِلْكَ ٱلْأَفَاعِيلِ سَحَرَةُ فِرْعَوْنْ   يَطْلُبُونَ مِنَ ٱلشَّيَاطِينِ ٱلْمُسَاعَدَةَ وَٱلْعَوْنْ

كَمْ مِنْ مُصَابٍ فِيهِمْ قَدْ بَكَى   وَكَمْ إِنْسَانٍ مِنْ أَذَاهُمْ قَدِ ٱشْتَكَى

وَقَالَ ﷻ : ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ** ﴾ (البقرة ١٠٢)

ٱلْغَرْبُ أَسَّسَ جَامِعَاتٍ لِتَعْلِيمِ ٱلسِّحْرِ   وَيَكُونُ ٱلتَّقْدِيرُ فِي ٱلشَّهَادَةِ بِحَسَبِ ٱلضَّرَرِ

وَٱنْتَشَرَ خِرِّيجُوهُمْ بِٱلْبِلَادِ ٱلْعَرَبِيَّةِ   وَٱدَّعَوْا أَنَّهُمْ تَلَامِيذُ مَشَايِخِ ٱلصُّوفِيَّةِ

الِانْتِبَاهُ مِنَ السِّحْرِ وَالسَّحَرَةِ

يَشْتَبِهُ عَلَى الْبَعْضِ حَالُ السَّاحِرِ فَيَظُنُّهُ سَالِكْ ... لِمَا تُلْقِي الشَّيَاطِينُ فِي فِكْرِهِ مِنْ مَهَالِكْ

فَلَهُ اسْتِدْرَاجٌ وَمُكَاشَفَاتٌ ظُلُمَانِيَّةٌ مُعْتِمَةْ ... يُخْبِرُ بِهَا بَعْضَ زُوَّارِهِ مِنْ وَادِي الظُّلْمَةْ

قَدْ يَفْتَتِنُ الْبَعْضُ بِهِ وَيَضِيعْ ... وَيَصِيرُ سَاحِرًا مُؤْذِيًا وَبِالسِّحْرِ ضَلِيعْ

فَيُحْرَمُ مِنَ السُّلُوكِ فِي مَدَارِجِ السَّمٰوَاتِ ... وَلَا يُشَاهِدُ شَيْئًا مِنْ أَسْرَارِ الْآيَاتِ

وَيُقْفَلُ فِي وَجْهِهِ بَابُ الْعُبُورِ ... إِلَى سَاحَةِ الْبَرَكَاتِ وَمَجَالِسِ النُّورِ

قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (الحجر ١٦-١٨)

لَا يَسْتَعْمِلُ تِلْكَ الْأَعْمَالَ الْمُضِرَّةَ السِّحْرِيَّةْ ... إِلَّا الْمَحْرُومُ مِنَ الْبَرَكَاتِ الْقُدْسِيَّةْ

وَقَعَ كَثِيرٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ بِأَذًى وَوَسْوَاسِ ... بَعْدَمَا زَارَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ

مُدَّعِيًا أَنَّهُ يَتَعَامَلُ مَعَ جِنٍّ مُؤْمِنٍ مُسَاعِدِ ... فَهَذَا ادِّعَاءٌ بَاطِلٌ بَعِيدٌ عَنِ الْخَيْرِ وَالْقَوَاعِدِ

لَوْ ذَهَبْنَا إِلَى الْهِنْدِ عِنْدَ الْمَجُوسِ ... لَشَاهَدْنَاهُمْ كَيْفَ يُسَيْطِرُونَ عَلَى النُّفُوسِ

يَقِفُونَ عَلَى مَسَامِيرَ حَامِيَةٍ بِالْجَادَّةِ ... وَيَطْعَنُونَ أَنْفُسَهُمْ بِخَنَاجِرَ حَادَّةٍ

وَيُخْرِجُونَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ نَارًا مُلْتَهِبَةْ ... وَيَتَلَاعَبُونَ بِثَعَابِينَ ضَخْمَةٍ مُرْعِبَةْ

وَيُخْبِرُونَ عَنْ أُمُورٍ وَحَوَادِثْ ... وَعَنْ وُقُوعِ عَلَاقَاتٍ لِلْعَاشِقِينَ بِالْمَدَارِسْ

وَبَعْضُهُمْ يَلْجَأُ إِلَى ضَرْبِ الْمَنْدَلِ وَالشَّدَّةِ وَالرَّمْلِ ... وَالسَّلَّةِ وَقِرَاءَةِ الْكَفِّ وَهَذَا عِنْدَهُمْ أَعْظَمُ عَمَلِ

كُلُّ ذَلِكَ لَا يُوصِلُ الْإِنْسَانَ إِلَى التَّزْكِيَةِ ... بَلْ هُوَ لَعِبٌ يُوصِلُ إِلَى نَارٍ حَامِيَةٍ

فَإِنَّ ضَرْبَ الشِّيشِ وَالْتِقَامَ النَّارِ ... لَا يُوصِلُ إِلَى رِضَا اللهِ وَالنَّبِيِّ ﷺ الْمُخْتَارِ

بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ وَصِدْقِ النَّوَايَا ... تَحْصُلُ النَّفْسُ عَلَى سَائِرِ الْهَدَايَا

لَا يَنْفَعُ التَّلْقِينُ صُورِيًّا بِلَا إِخْلَاصِ ... فَالنَّفْسُ لَا تَشُمُّ فِيهِ ذَرَّةً مِنَ الْاخْتِصَاصِ

كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ بِأَيِّ طَرِيقٍ سَالِكْ ... إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ وَأَوْدِيَةِ الْمَهَالِكْ

أَنْوَاعُ ٱلسُّلُوكِ وَٱلتَّسْلِيكِ

ٱلسُّلُوكُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ أَلْوَانٌ وَأَشْكَالْ ... كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خَلَقَهُ لَهُ رَبُّنَا ٱلْمُتَعَالْ ﷻ

ٱلْبَعْضُ يَسْلُكُ عَلَى يَدِ مُرَبٍّ كَامِلٍ ... وَٱلْبَعْضُ يَسْلُكُ بِٱلْبَلَاءِ ٱلْمَرِيرِ ٱلشَّامِلِ

وَبَعْضُهُمْ بِٱلْفَقْرِ وَٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلْآلَامِ ٱلْمُوجِعَةِ ... وَمِنْهُمْ بِٱلْجُوعِ أَوْ تَحَمُّلِ أَذَى ٱلْجَمَاعَةِ

وَبَعْضُهُمْ يَسْلُكُ بِحِفْظِ كِتَابِ ٱللهِ وَٱلْحَدِيثْ ... وَٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنْ مُنْكَرِ إِبْلِيسْ

وَبَعْضُهُمْ بِتَدْرِيسِ عُلُومِ ٱلدِّينِ ٱلْمُنِيفِ ... وَٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى شَعَائِرِ ٱلشَّرْعِ ٱلْحَنِيفِ

وَبَعْضُهُمْ يَقُومُ بِمُجَاهَدَةِ ٱلنَّفْسِ وَٱلشَّيْطَانِ ... وَيُيَسِّرُ ٱللهُ لِلْبَعْضِ نَشْرَ ٱلشَّرِيعَةِ وَٱلْقُرْآنِ

مَنْ وَجَدَ وَاحِدَةً مِمَّا شَرَحْنَا ... وَٱسْتَشْعَرَ بِرُوحَانِيَّاتٍ كَمَا وَضَّحْنَا

فَلْيُتَابِعْ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَةٍ ... وَمَنْ أَرَادَ سُرْعَةَ ٱلْوُصُولِ وَٱلْحَرَكَةِ

فَلْيَبْحَثْ عَنْ مُرْشِدٍ عَارِفٍ بِٱلتَّرْبِيَةِ ... يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ وَإِرْشَادَهُ بَعْدَ ٱلتَّجْرِبَةِ

فَإِذَا ٱزْدَادَ حَالُ عِرْفَانِهِ وَتَطَوَّرْ ... لِأَرْقَى مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ كَمَا يَتَصَوَّرْ

فَيَكُونُ قَدْ وَفَّقَهُ ٱلْمَوْلَى إِلَى مُرْشِدْ ... وَفِي كُلِّ أَحْوَالِهِ لِيَتَمَسَّكْ بِٱلشَّرِيعَةِ وَيَشْتَدّ

آدَابُ ٱلسَّالِكِ ٱلْمُبْتَدِئْ

أَوَّلُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ ٱلْمُرِيدُ ٱلْمُبْتَدِي ... ٱلتَّبَرِّي مِنَ ٱلْحَرَكَاتِ وَعَلَى ٱلْمَقَامَاتِ ٱلتَّعَدِّي

وَٱلصِّدْقُ فِي مُرَاقَبَةِ ٱلْحَرَكَاتِ وَٱلسَّكَنَاتِ ... وَٱلْاِحْتِرَازُ عَنِ ٱلْمُهْلِكَاتِ وَسَائِرِ ٱلسَّيِّئَاتِ

وَٱلتَّأَدُّبُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ... وَٱلتَّمَسُّكُ بِنَظَافَةِ بَاطِنِهِ فِي أَحْوَالِهِ

وَيَتَحَقَّقُ أَنَّ ٱللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى سَرِيرَتِهِ ... فَيُطَهِّرُ بَاطِنَهُ وَيُزَيِّنُهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِهِ

مَعَ ٱلْاِنْكِسَارِ وَٱلذُّلِّ لِلهِ وَٱلْاِسْتِكَانَةِ ... وَٱلْخُضُوعِ لِنَجَاتِهِ مِنْ شُرُورِ ٱلْإِهَانَةِ

وَيَكُونُ حَزِينًا مُتَوَاضِعًا مُطْرِقًا صَامِتًا بِلِسَانِهِ   يُظْهِرُ أَثَرَ ٱلْخَشْيَةِ عَلَى هَيْئَتِهِ وَأَرْكَانِهِ

صُورَتُهُ ٱلظَّاهِرَةُ تَدُلُّ عَلَى أَعْمَالِهِ ٱلصَّالِحَةِ   ٱلسَّالِكُونَ يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمُ ٱلْمُفْلِحَةِ

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ وَعِبَادَةٍ مِنَ ٱلْعِبَادَاتْ   تَحُومُ حَوْلَهَا ٱلْمَخَاطِرُ وَٱلْآفَاتْ

وَيَجِبُ أَنْ يَتْرُكَ كَثْرَةَ ٱلْكَلَامِ وَٱلتَّشَدُّقْ   وَٱلْاِسْتِغْرَاقَ بِٱلضَّحِكِ وَٱلْحِدَّةِ بِٱلْحَرَكَةِ وَٱلنُّطْقْ

وَٱلْمَزْحَ ٱلْكَثِيرَ مِنْ آثَارِ ٱلْغَفْلَةْ   فَعَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ أَنْ يَتْرُكَ تِلْكَ ٱلْعِلَّةْ

وَعَلَيْهِ ٱسْتِرْضَاءُ ٱلْوَالِدَيْنِ قَبْلَ بِدَايَةِ سُلُوكِهِ   وَرَدُّ حُقُوقِ ٱلْغَيْرِ قَبْلَ سُؤَالِهِ عَنْ حُقُوقِهِ

وَمَتَى تَمَسَّكَ ٱلْمُرِيدُ بِٱلْإِخْلَاصِ ٱلزُّلَالِ   فَقَدْ بَلَغَ بِصِدْقِهِ مَبْلَغَ هِمَمِ ٱلرِّجَالِ

وَلَا يَتَحَقَّقُ صِدْقُهُ وَإِخْلَاصُهُ إِلَّا بِمُتَابَعَةْ   أَمْرِ ٱلشَّرْعِ فَتِلْكَ أَحْوَالٌ جَامِعَةْ

وَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْمُحَافَظَةُ عَلَى حُقُوقِ ٱلنَّاسِ   وَٱلشَّرْعِ وَسَدُّ ٱلْبَابِ عَلَى ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ

وَلَا يَدَّعِي أُمُورًا لِيَصِلَ بِهَا إِلَى ٱلْخَلَاصِ   مِنْ ذَنْبٍ وَقَعَ فِيهِ لِيَنْجُوَ مِنَ ٱلْقِصَاصِ

مَنْ أَلْزَمَ ٱلنَّفْسَ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِشَرْعِهَا   أَخْرَجَهَا مِنْ حُجُبِهَا وَفَهِمَ حَرَكَاتِهَا

وَفَضَحَ كُلَّ خَفِيٍّ مِنْ دَسَائِسِهَا وَشَهَوَاتِهَا   وَمَيْلِهَا إِلَى ٱلرَّذَائِلِ وَكَشَفَ تَلْبِيسَهَا

بَوَاطِنُ ٱلْمُبْتَدِئِينَ كَٱلشَّمْعِ لِلنَّقْشِ قَابِلُ   يُطِيعُ بِصِدْقٍ وَيَظْهَرُ فِيهِ ٱلْعَامِلُ

أَكْثَرُ ٱلْمُرِيدِينَ قَدْ حُرِمُوا نِعْمَةَ ٱلْوُصُولْ   بَعْدَمَا خَرَجُوا عَنِ ٱلْأَدَبِ وَضَيَّعُوا ٱلْأُصُولْ

لَقَدْ كَتَبْنَا هَٰذِهِ ٱلْوَرَقَاتِ بِٱلْكِتَابِ   بَعْدَمَا ٱخْتَبَرْنَا وَمَارَسْنَا أُمُورَ ٱلْعَذَابِ

فِي ٱلْبَحْثِ وَٱلتَّدْقِيقِ بِٱلْفُنُونِ وَٱلْأُصُولِ   وَخَالَطْنَا فِي دُورُودَ أَهْلَ ٱلْوُصُولِ

وَجَالَسْنَا ٱلْفُقَرَاءَ وَٱلصَّالِحِينَ وَأَهْلَ ٱلْمُرَاقَبَةْ   فَكُشِفَ لَنَا عَنْ أُمُورٍ كَانَتْ صَعْبَةْ

وَأَحْبَبْنَا لِلْفَائِدَةِ أَنْ نَكْشِفَ عَنْهَا ٱللِّثَامْ   فَبَذَلْنَا كُلَّ مَا فِي وُسْعِنَا لِمَنْفَعَةِ ٱلْأَنَامْ

مَنْ كَانَ بَاطِنُهُ مُعَمَّرًا عِلْمًا   صَارَ ظَاهِرُهُ مَحْفُوظًا حُكْمًا

قِيلَ : أَعْرَفُ ٱلْخَلْقِ بِٱللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَحَيُّرًا فِيهِ   مَنْ يَدَّعِ مَعْرِفَةَ ٱلذَّاتِ فَرَبُّنَا يَبْتَلِيهِ

حَوَاجِزُ فِي وَجْهِ ٱلسَّالِكِ

حِرْمَانُ ٱلْخَلْقِ مِنَ ٱلْحَقِّ سَبَبُهُ ٱلظُّلْمَةْ ... وَتَرَاكُمُ ٱلْحُجُبِ وَٱلسُّدُودِ غَيْرِ ٱلْمُحْتَرَمَةْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس ٩) .

وَٱلسُّدُودُ بَيْنَ ٱلْمُرِيدِ وَرَبِّهِ أَرْبَعَةٌ ... ٱلْمَالُ وَٱلْجَاهُ وَٱلْمَعْصِيَةُ وَٱلْعَقِيدَةُ ٱلْمُرَقَّعَةُ

مَنْ أَرَادَ رَفْعَ ٱلْحُجُبِ عَنْ قَلْبِهِ ٱلنَّائِمِ ... عَلَيْهِ بِٱلتَّوْبَةِ وَٱلنَّدَمِ وَرَدِّ ٱلْمَظَالِمِ

وَهِجْرَانِ ٱلْمَعَاصِي مَعَ ٱلْمُجَاهَدَةِ ٱلصَّادِقَةِ ... وَٱلتَّمَسُّكِ بِمُرْشِدٍ يَهْدِيهِ إِلَى أَسْرَارِ ٱلْفَاتِحَةِ

فَيَتَوَسَّلُ ٱلْمُرْشِدُ بِٱللهِ لِنَجَاةِ ٱلْمُرِيدِ ٱلسَّالِكِ ... مِنْ مَخَاطِرِ ٱلطَّرِيقِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَهَالِكِ

بَعْضُهُمْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ ٱلْخَيَالُ ٱلْفَاسِدْ ... لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَعِنْ بِتَعَالِيمِ ٱلشَّيْخِ ٱلْمُرْشِدْ

فَيَرْكَبُ سَفِينَةَ ٱلْأَخْطَارِ ٱلشَّاغِلَةِ لِلْقَلْبِ ... فَيَبْقَى فِيهَا إِلَى أَنْ يَرُدَّهُ ٱللهُ إِلَى ٱلدَّرْبِ

فَعَلَيْهِ ٱجْتِيَازُ قَوَاطِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ ٱلْعُجْبِ وَٱلرِّيَاءِ ... وَمَا فِي طَرِيقِهِ مِنْ فُتُورٍ وَوُقُوفٍ بِٱلْخَفَاءِ

وَقِيلَ ٱلْأَفْضَلُ ٱلِٱبْتِعَادُ عَنِ ٱلنَّاسِ ... بِهَذِهِ ٱلْحَالَةِ ٱلْمُسَبِّبَةِ لِقُوَّةِ ٱلْوَسْوَاسِ

حَتَّى يَجِدَ قَلْبَهُ مَعَ ٱللهِ ذَاكِرًا ... بَعْدَ ٱلْمُجَاهَدَةِ ٱلشَّاقَّةِ يُصْبِحُ لِرَبِّهِ شَاكِرًا

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَلِكَ بِحَذَرٍ ... فَأَكْثَرُ ٱلْأَمْرَاضِ ٱلْمُهْلِكَةِ مِنْ مُخَالَطَةِ ٱلْبَشَرِ

وَمِنْ بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ وَلِسَانِهِ ٱلسَّيَّالِ ... فَعَلَيْهِ ٱلْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَجَالِ

وَأَعْظَمُ ٱلْحَوَاجِزِ ٱلْقَلْبِيَّةِ ٱلضَّارَّةِ ٱلْمُضِرَّةِ ... ٱلْعَقِيدَةُ ٱلْمَهْزُوزَةُ غَيْرُ ٱلْمُسْتَقِرَّةِ

وَٱلِإفْتَاءُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَكْفِيرُ كُلِّ عَبْدْ ... وَٱلِادِّعَاءُ أَنَّ ٱللهَ أَغْلَقَ بَابَ ٱلتَّوْبَةِ وَسَدّْ

وَلْنَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ ﷻ هُوَ ٱلْمُفِيدْ ... لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْمُرْشِدُ مِنْ دُونِ ٱللهِ إِفَادَةَ ٱلْمُرِيدْ

إِنْ شَاءَ ٱللهُ ﷻ أَعْطَى وَجَمَعَ ... وَإِنْ شَاءَ رَبُّنَا ٱلرِّزْقَ مَنَعَ

المُرِيدُ النَّقَّالُ

هُنَالِكَ مُرِيدُونَ يُحِبُّونَ سُرْعَةَ الْوُصُولِ ... تَرَى أَحَدَهُمْ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ الْمَشَايِخِ كَالْمَخْبُولِ

كُلَّمَا يَسْمَعُ بِشَيْخٍ ظَهَرَ عَلَى الشَّاشَةِ ... يَتْرُكُ الْقَدِيمَ وَيَلْتَحِقُ بِهِ بِهَشَاشَةِ

يَظُنُّ أَنَّهُ يُوصِلُهُ لِلهِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةْ ... وَأَنَّهُ يَحْمِلُ مَعَهُ الْأَنْوَارَ الْمُشْرِقَةْ

فَيَقَعُ فِي خَيْبَةِ أَمَلٍ وَيَجْهَلُ ... مَا هُوَ الْأَصْعَبُ عَلَيْهِ وَمَا هُوَ الْأَسْهَلُ

فَعَلَيْهِ الثَّبَاتُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى ... وَالْمُجَاهَدَاتِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَقْوَى

كُلُّ هَذِهِ التَّنَقُّلَاتِ مُضَيِّعَةٌ لِلْوَقْتْ ... كَمْ مِنْ مُتَسَرِّعٍ جَاهِلٍ بِالْغَفْلَةِ سَقَطْ

الَّذِي يَثْبُتُ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ ... هُوَ مَنْ يُسَهِّلُ لَهُ سَائِرَ قَضَايَاهُ

وَيَهْدِيهِ بِلَا بَحْثٍ لِمَا يُفِيدُهُ ... مِنْ شَيْخٍ أَوْ مُرْشِدٍ أَوْ مُرَبٍّ يَقُودُهُ

الْأَصْلُ سَلَامَةُ النِّيَّةِ بِالْوَلِيِّ وَالْاعْتِقَادِ ... وَتَرْكُ التَّنَكُّرِ وَالْمَكْرِ وَالْانْتِقَادِ

وَتَحْسِينُ الظَّنِّ مَعَ الْاسْتِقَامَةِ الْوَاضِحَةِ ... لِتَحْصِيلِ الْمَكَاسِبِ وَالْمَقَامَاتِ النَّاجِحَةِ

عَلَى شَرْطِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَبِّي وَاصِلْ ... وَأَلَّا يَكُونَ بَيْنَ الْفَوَائِدِ وَالْقَلْبِ فَوَاصِلْ

التَّنَقُّلُ بِجَهْلٍ مَعَ الْعِلَلِ النَّفْسِيَّةْ ... فِيهِ تَضْيِيعُ أَوْقَاتٍ وَأَضْرَارٌ بَاطِنِيَّةْ

وَهُوَ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ ... الَّتِي تُفَوِّتُ عَلَيْهِ السُّلُوكَ مَعَ الْقَافِلَةِ

فَعَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ الْمُرْشِدَ السَّلِيمْ ... لِيَعْلَمَ بِقَلْبِهِ أَيْنَ هُوَ مُقِيمْ

فَمَنْ يُحِبُّ مِنْ بَرَكَةِ الصُّحْبَةِ الْانْتِفَاعْ ... يَجِبُ أَنْ يُرَاعِيَ شُرُوطَهَا عِنْدَ الْاتِّبَاعْ

التَّنَقُّلُ بَيْنَ الْمُرْشِدِينَ لَهُ أُصُولْ ... لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْ كَمَالٍ مُحَقَّقٍ وَوُصُولْ

فَعَلَى الْمُرِيدِ أَلَّا يُفَارِقَ أُسْتَاذَهْ ... إِلَّا بِإِذْنِهِ وَبَعْدَ عِلْمِهِ وَإِخْبَارِهْ

قَالَ ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النور ٦٢)

فَمَنْ يُفَارِقِ ٱلْمُرْشِدَ قَبْلَ أَوَانِهْ * يَرْجِعْ إِلَى مَاضِيهِ ٱلنَّتِنِ وَيُدَمِّرْ كِيَانَهْ

ٱلْمُفَارَقَةُ تَعْنِي ٱلْإِنْقِلَابَ عَلَيْهِ * وَلَا يَعُودُ بِٱلْمُرَاجَعَةِ وَٱلزِّيَارَةِ إِلَيْهِ

ٱلْأَحْلَامُ وَمَا نَرْوِي عَنْهَا مِنْ كَلَامٍ

كَمْ مِنْ مِسْكِينٍ ظَنَّ أَنَّ مَا رَآهُ بِٱلْمَنَامْ * إِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ بِأَنَّهُ سَيَصِيرُ سَيِّدَ ٱلْأَحْكَامْ

وَٱلْتَزَمَ بِهَٰذِهِ ٱلْمُشَاهَدَةِ وَمَا بِهَا * وَصَارَ تِلْمِيذًا لِمَنْ شَاهَدَهُ فِيهَا

حَيْثُ شَاهَدَ فِي مَنَامِهِ بَعْضَ ٱلْخَلَائِقِ * فَظَنَّ أَنَّهُ مُرْشِدُهُ وَسَيُوصِلُهُ إِلَى ٱلْحَقَائِقِ

لِأَنَّهُ أَلْبَسَهُ فِي ٱلْمَنَامِ ثَوْبًا نَفِيسًا * فَتَمَسَّكَ بِهِ وَصَرَفَ عِنْدَهُ حَيَاتَهُ هَبَاءً وَتَدْلِيسًا

فَمِثْلُ هَٰذَا يَجِبُ أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْهُ * لِأَنَّهُ فِي ٱلنِّهَايَةِ لَنْ نَحْصُلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ

فَٱلْعِرْفَانُ وَٱلتَّسْلِيكُ وَٱلتَّشْرِيعُ ٱلْمُبِينْ * لَا يُؤْخَذُ مِنْ أَحْلَامِ ٱلْخَلَائِقِ ٱلْغَافِلِينْ

فَقَلْبُ نَبِيِّنَا ﷺ كَانَ يَقِظًا عَلَى ٱلدَّوَامِ * لَا يُفَارِقُهُ تَجَلِّي وَأَنْظَارُ ٱلْعَلَّامِ

لَا يَقْدِرُ عَلَى ٱلْوُصُولِ لِلْإِرْشَادِ بِتِلْكَ ٱلْحَالَةْ * رَجُلٌ وَلَا ٱمْرَأَةٌ فَلَا يُعَلِّقْ عَلَيْهِمَا آمَالَهْ

ٱلْإِرْشَادُ فِيهِ خُصُوصِيَّةٌ وَرُتْبَةٌ لِأَهْلِ ٱلْكَمَالِ * فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِفَضْلِ ذِي ٱلْجَلَالِ

وَمَنْ كَانَتْ دَرَجَتُهُ كَبِيرَةً بِٱلْمَقَامِ * يَتَلَقَّى بِٱلْقَلْبِ إِشَارَاتٍ مِنْ خَيْرِ ٱلْأَنَامِ ﷺ

عَلَى حَسَبِ هِمَّتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ فِي ٱلْوُصُولِ * فَتَأْتِي بِشَارَاتٌ إِلَى قَلْبِهِ مِنَ ٱلرَّسُولِ ﷺ

هُنَالِكَ رِجَالٌ كَامِلُونَ مُكَاشِفُونَ لِلْأَحْلَامِ * يُرَاقِبُونَ أَحْوَالَ ٱلسَّالِكِينَ مِنَ ٱلْأَنَامِ

هُمْ مُوَظَّفُونَ لِأَعْمَالٍ خَفِيَّةٍ ٱللهُ يَعْلَمُهَا * مَهْمَا بَلَغْنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْهَمَهَا

لِأَنَّ قُلُوبَنَا صَغِيرَةُ ٱلْأَحْجَامِ * لَيْسَ فِيهَا هِمَّةٌ لِتَسْتَوْعِبَ تَعْبِيرَ ٱلْكَلَامِ

كَمْ مِنْ نَائِمٍ شَاهَدَ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْمُلُوكْ * وَٱسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مُتْعَبًا مَنْهُوكْ

لَا دِرْهَمَ مَعَهُ وَلَيْسَ حَوْلَهُ أَزْلَامْ * ٱلْعَاقِلُ لَا يَقِيسُ أَحْوَالَهُ بِٱلْأَحْلَامْ

الطَّرِيقَةُ لَيسَتْ وِرَاثَةً

اَلطَّرِيقَةُ لَا تُنَالُ بِالْوِرَاثَةِ وَالْوَاسِطَةْ … فَتِلْكَ مَقَايِيسُ بَاطِلَةٌ وَسَاقِطَةْ

فَكَمَا يَسْلُكُ الْعَالِمُ لِكَسْبِ الْعُلُومْ … سِنِينَ طَوِيلَةً فَيَغْرَقُ أَوْ يَعُومْ

كَذَلِكَ سُلُوكُ الطَّرِيقِ فَهُوَ شَاقٌّ طَوِيلْ … بَابُهُ إِيمَانٌ وَأَدَبٌ وَعَقِيدَةٌ بِالرَّبِّ الْجَلِيلْ

وَصَبْرٌ وَصِدْقٌ وَتَحَمُّلٌ بِهِمَّةٍ عَالِيَةِ … وَمُدَاوَمَةٌ عَلَى الْأَذْكَارِ الرَّبَّانِيَّةِ الذَّاكِيَةِ

فَتَفُوحُ مَعَانِيهَا وَمَعَارِفُهَا فِي قُلُوبِ الْبَشَرْ … فَتَصْطَلِحُ وَبِهَذَا يَكُونُ الْخَيْرُ عَمَّ وَانْتَشَرْ

هِيَ آلَةُ التَّصَوُّفِ وَالسُّلُوكِ وَالْمُرُورْ … بِغَيْرِهَا يَصْعُبُ الْوُصُولُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالْعُبُورْ

فَلَا تُتْعِبُوا أَنْفُسَكُمْ بِكَثْرَةِ التَّشْوِيفِ … فَفِيمَا شَرَحْنَاهُ أَفْضَلُ تَعْرِيفِ

وَهُنَالِكَ أُمُورٌ لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهَا … تُنْتَزَعُ الرُّوحُ وَتُقْطَعُ رَقَبَةُ فَاضِحِهَا

مَنْ سَلَكَ بِإِخْلَاصٍ وَصَدَقَ عَرَفَ … وَمِنْ نَهْرِ ذَلِكَ الْعَطَاءِ غَرَفَ

وَنَالَ مَرَاتِبَ وَمَقَامَاتٍ خُصَّتْ بِالشَّرَفَا … فَلْنَسْتَمِعْ إِلَى مَنْ لِهَذَا الْفَنِّ احْتَرَفَا

جَرَّبَ الْبَعْضُ الْبَحْثَ عَنْ مِثْلِهِمْ بِالزَّوَايَا … فَلَمْ يَجِدْ لِأَنَّهُ كَانَ مُعَكَّرَ النَّوَايَا

وَبَعْدَمَا أَخْلَصَ صَدْرَهُ لِلَّهِ وَالنِّيَّةْ … جَمَعَهُ اللهُ بِسِرَاجِ الدِّينِ ؓ بِمَكَّةَ الْعَلِيَّةْ

وَكَانَ مَا كَانَ أَثْنَاءَ السُّلُوكْ … لَوْ فَضَحْنَاهُ لَقَاتَلَنَا عَلَيْهِ الْمُلُوكْ

اَلْفَرْقُ شَاسِعٌ أَيُّهَا السَّادَةْ … بَيْنَ الْمُنْتَبِهِ وَبَيْنَ النَّائِمِ عَلَى وِسَادَةْ

فَالطَّرِيقُ شَاقٌّ وَغَيْرُ مُعَبَّدْ … يُسَهِّلُهُ اللهُ لِمَنْ بِالصِّدْقِ تَعَبَّدْ

← صوفي جليل ومكاشف كبير ـ عكار

الولي الكامل محمود بكار زكريا ـ عكار ←



إِنَّ ٱلظَّنَّ ٱلسَّيِّئَ صَارَ مُوضَةَ هَذَا ٱلْعَصْرِ ٱلْمُظْلِمِ ٱلَّذِي فِي غُيُومِهِ إِشَارَاتُ ٱلْمَقْتِ لِمَا لَوَّثَ مِنَ ٱلْأَجْوَاءِ ٱلتَّعَبُّدِيَّةِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْمُرَابِطَةِ مَعَ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ ﷺ وَأَوْلِيَائِهِ وَجَعَلَهُمْ يَسْتَشْعِرُونَ بِٱلْقَبْضِ وَٱلضِّيقِ ٱلْقَلْبِيِّ وَٱلصَّدْرِيِّ . وَشَجَّعَ ٱنْتِشَارَ ٱلذُّنُوبِ ٱلْمُتَطَوِّرَةِ ٱلْفَاحِشَةِ وَٱلْمَعَاصِي ٱلْمُتَحَضِّرَةِ ٱلَّتِي لَهَا ٱلْعُصَاةُ مُتَعَطِّشَةٌ تُجَّارَ ٱلْعَقَائِدِ عَلَى عَرْضِ بَضَائِعِهِمُ ٱلْمُزَيَّفَةِ فِي أَسْوَاقِ تَكْفِيرِ ٱلْعِبَادِ وَٱلزُّهَّادِ وَٱلْمُتَعَامِلِينَ بِٱلرَّوَابِطِ ٱلْقَلْبِيَّةِ وَٱلرُّوحِيَّةِ . حَتَّى ٱسْتَفْحَلَتِ ٱلْهَجَمَاتُ ٱلْعَقَائِدِيَّةُ ٱلشَّرِسَةُ ٱلَّتِي ٱسْتُورِدَتْ مَنْتُوجَاتُهَا ٱللِّسَانِيَّةُ ٱلْجَارِحَةُ مِنْ خَارِجِ حُدُودِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ . وَهَيَّأَتِ ٱلنَّوَايَا ٱلْمُبَيَّتَةَ لِضَرْبِ ٱلْبِنْيَةِ ٱلتَّعَبُّدِيَّةِ حَتَّى يَنْفَضَّ أَتْبَاعُ ٱلْأَوْلِيَاءِ ﭬ مِنْ حَوْلِهِمْ بِطَرِيقَةِ ٱلتَّضْيِيقِ ٱلْعَقَائِدِيِّ وَخَلْطِ ٱلْحَقِّ بِٱلْبَاطِلِ يُؤَازِرُهُمْ فِي ذَلِكَ هَمَجِيَّةُ ٱلْمُجَنَّدِينَ فِي ٱلْحَمَلَاتِ ٱلْاِغْتِصَابِيَّةِ لِلْعَقَائِدِ بِمُسَانَدَةِ مُعَسْكَرِ ٱلدَّعْمِ ٱلْخَارِجِيِّ فَمَلَأُوا أَجْوَاءَ ٱلْمُجْتَمَعَاتِ بِٱلْفَوْضَى ٱلْجَدَلِيَّةِ وَٱلتَّخَاصُمَاتِ ٱلْأَهْلِيَّةِ بِتَفْسِيرَاتِهِمُ ٱلْمُلْتَوِيَةِ ٱلْمَقْطُوعَةِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي مَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا . وَشَنُّوا غَارَاتِ ٱلتَّكْفِيرِ بِرَاجِمَاتِ ٱلشِّرْكِ ضِدَّ كُلِّ مَنْ يَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ ٱلتَّرَابُطِ ٱلرُّوحِيِّ مَعَ أَنْبِيَاءِ ٱللهِ ﭺ وَأَوْلِيَائِهِ ﭬ . يُرِيدُونَ تَلْوِيثَ إِيمَانِ ٱلنَّاسِ وَإِجْبَارِهِمْ عَلَى ٱتِّبَاعِ عَقَائِدِهِمُ ٱلْمَنْسُوجَةِ بِحَسَبِ أَهْوَائِهِمُ ٱلْخَاصَّةِ وَٱلْمَصْنُوعَةِ فِي أَدْمِغَةِ زُمَرِهِمُ ٱلْمُعَسْكَرَةِ لِلْقُلُوبِ . وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِسَيْفِ أَلْسِنَتِهِمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا فَسَاءَ مَا يَفْعَلُونَ . لِأَجْلِ ذَلِكَ أَحْبَبْنَا أَنْ نُظْهِرَ فَوَائِدَ ٱلتَّرَابُطِ ٱلرُّوحِيِّ مَعَ مَنْ فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْهِ فِي ٱلْأُمُورِ ٱلرُّوحِيَّةِ ٱلَّتِي أَخْفَاهَا ٱللهُ عَنْ أَعْيُنِ ٱلْحَاسِدِينَ ، وَيَجْهَلُ مَعَانِيَهَا ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلنَّاسِ لِضَعْفِ ٱلْهِمَّةِ فِي ٱلْعِبَادَةِ أَوْ شِدَّةِ ٱلْإِنْكَارِ . وَقَدْ بَيَّنَّا ذَرَّةً مِنْ بَحْرِ ٱلرَّابِطَةِ بِأُسْلُوبِ ٱلسَّجْعِ ٱلْمُبَسَّطِ لِيَسْهُلَ عَلَى

ٱلمُحِبِّ سُرْعَةُ فَهْمِ ٱلمَعْرِفَةِ . فَنَقُولُ لِلْمُنْكِرِينَ : إِنَّ مَنْ يَنْطِقُ بِٱلشَّهَادَتَيْنِ بِصِدْقِ نِيَّةٍ وَسَلَامَةِ طَوِيَّةٍ مَعَ ٱلطَّاعَاتِ ٱلمُتَوَاصِلَةِ يَبْلُغُ حَالَاتٍ إِيمَانِيَّةً مُتَنَوِّعَةً ، وَيَقْطَعُ مَرَاحِلَ تَعَبُّدِيَّةٍ نَاجِحَةً ، وَيَرْزُقُهُ رَبُّهُ مُشَاهَدَاتٍ نُورَانِيَّةً مُرِيحَةً ، بَعْدَمَا يَرْزُقُهُ ٱللهُ ٱلنَّظَرَ بِنُورِ فَرَاسَةِ ٱلإِيمَانِ[1] ، فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ وَنَفْسُهُ بِمَشَاعِرَ وَأَذْوَاقٍ تَتَوَزَّعُ مَنَافِعُهَا عَلَى ٱلحَوَاسِّ ٱلخَمْسَةِ فَتَقْشَعِرُّ بِمَا فِيهَا مِنْ رَحَمَاتٍ ٱلجُلُودُ وَٱلأَبْدَانُ . وَنُورُ ٱلفَرَاسَةِ هُوَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلأَنْوَارِ ٱلمُقْتَبَسَةِ مِنْ نُورِ ٱللهِ يَهَبُهُ ٱللهُ تَعَالَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ . قَالَ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ (الحديد ٢٨).ٱلقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِٱلأَنْوَارِ وَذَرَّةٌ مِنْ ذَلِكَ ٱلنُّورِ تَجْعَلُ فِي ٱلمُؤْمِنِ إِيمَانًا وَرَحْمَةً وَمَعْرِفَةً وَعِرْفَانًا ، فَيُعِينُهُ مَوْلَاهُ عَلَى تَمْيِيزِ ٱلحَقِّ مِنَ ٱلبَاطِلِ فِي ٱلاعْتِقَادَاتِ وَٱلأَعْمَالِ كَمَا يُمَيِّزُ ٱلخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيُشْعِرُهُ مَوْلَاهُ حِينَ ٱلخَطَرِ بِمَا لَا يَشْعُرُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ ، وَيَدْعَمُهُ سُبْحَانَهُ بِٱلانْفِتَاحِ عَلَى ٱلطَّاعَاتِ ، وَمَنَافِعِ ٱلبِشَارَاتِ ، وَحَلِّ رُمُوزِ ٱلإِشَارَاتِ . فَمِثْلُ هَذَا ٱلمُؤْمِنِ لَيْسَ بِحَاجَةٍ لِغَيْرِ ٱللهِ لِيُقَوِّمَ سُلُوكَهُ ٱلإِيمَانِيَّ حَيْثُ أَصْبَحَ مِمَّنْ يُدَافِعُ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج ٣٨)،لَا تَقْتَصِرُ ٱلمُدَافَعَةُ ضِدَّ ٱلعَدُوِّ بَلْ تَشْمَلُ سَائِرَ مُعَامَلَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَثْنَاءَ تَحَدِّيَاتِهِ وَمُوَاجَهَاتِهِ لِلْمُنْكِرِينَ فَيُلْهِمُ ٱلحُجَّةَ ٱلبَالِغَةَ فِي جِهَادِهِ ضِدَّ ٱلنَّفْسِ وَٱلشَّيْطَانِ وَٱلهَوَى وَٱلخَوَاطِرِ ٱلمُضِرَّةِ ، وَٱلأَفْكَارِ ٱلشَّاذَّةِ وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ . فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ فِي عِنَايَةِ ٱللهِ وَيَصْعُبُ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ عُبُورُ مَنَافِذِ قَلْبِهِ ٱلمَحْرُوسَةِ بِنُورِ عِنَايَةِ حِفْظِ ٱللهِ . فَلَوْ وَجَدَ ٱلمُرَابِطُ مَعَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَوِ ٱلوَلِيِّ أَيَّ خَطَرٍ أَوْ قَبْضٍ أَوْ ضِيقٍ لَمَا ٱسْتَشْعَرَ بِهَا فَقَطْ بِجِهَازِ كَشَّافِ قَلْبِهِ بَلْ لَتَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ ٱلخَيْرَاتُ وَٱلرَّحَمَاتُ وَٱلمَعَارِفُ ٱلمَنْقُولَةُ وَٱلفُتُوحَاتُ بِوَسِيلَةِ مَنِ ٱصْطَفَاهُمُ ٱللهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي تَعَامُلِهِ ٱلمُتَوَاصِلِ مَعَهُمْ بِعَمَلِيَّةِ ٱلتَّرَابُطِ ٱلرُّوحِيِّ بِطَرِيقَةِ ٱلاسْتِغَاثَاتِ ٱلمُسْتَعَارَةِ ٱلمُؤَقَّتَةِ ٱلَّتِي

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "ٱتَّقُوا فِرَاسَةَ ٱلمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ ٱللهِ" . (رواه الترمذي)

يَهْدِي ٱللهُ بِهَا قُلُوبَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .قَالَ ٱللهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا رَسُولَهُ ﷺ :

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (الضحى ٧) أَيْ كَانَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا فَعَلَّمَهُ ٱللهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ . كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللهُ ٱلْمُحْسِنِينَ. فَتَرَابُطُ سَيِّدِنَا ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِصِفَاتِ رَبِّهِ وَأَسْمَائِهِ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلْمُقَدَّسَةِ كَانَتْ سَبَباً عَظِيماً فِي هُبُوطِ ٱلْخَيْرَاتِ وَٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْبَرَكَاتِ عَلَى لَطَائِفِهِ ٱلطَّاهِرَةِ . وَمَا يَحْصُلُ لِلْمُرَابِطِ مَعَ مُرْشِدِهِ هُوَ مِنْ بَابِ ٱلْكَرَامَةِ بَعْدَ ٱسْتِجَابَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ ٱلْمُرْشِدِ قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر ٦٠) وَلَا يَعْلَمُ إِلَّا ٱللهُ مَا يَهْبِطُ مِنْ رَحَمَاتٍ وَمَعَارِفَ مَعَ نُزُولِ ٱلْإِجَابَةِ ٱلْمُخَصَّصَةِ لِأَصْحَابِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْمُسْتَطَابَةِ ٱلْمَمْلُوءَةِ بِٱلْإِجْلَالِ وَٱلْمَهَابَةِ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ٱللهَ وَيُحِبُّهُمْ . مَاذَا يَقُولُ ٱلْمُنْكِرُ عَنْ آصَفَ بْنِ بَرْخِيَا ﷺ ٱلْمُصَاحِبِ لِحَضْرَةِ نَبِيِّ ٱللهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ ٱلَّذِي كَانَ مُتَوَاصِلَ ٱلتَّرَابُطِ بِآيَاتِ عِلْمِ ٱلْكِتَابِ وَقَدْ أَحْضَرَ بِذَلِكَ ٱلْعِلْمِ عَرْشَ بَلْقِيسَ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ فَقَدْ أَحْضَرَهُ بِكَرَامَةٍ مِنَ ٱللهِ ﷻ قَالَ لِسُلَيْمَانَ ﷺ بَعْدَمَا عَرَضَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَرَدَةِ ٱلْجِنِّ وَٱلشَّيَاطِينِ إِحْضَارَ عَرْشِ بَلْقِيسَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِهِ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل ٤٠) ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ ﷺ قَادِرًا بِفَضْلِ ٱللهِ تَعَالَى عَلَى إِحْضَارِهِ وَٱلِاسْتِغْنَاءِ عَنِ ٱلْجِنِّ وَعَنِ ٱبْنِ بَرْخِيَا ﷺ وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَرَى نِعْمَةَ رَبِّهِ عَلَى غَيْرِهِ لِيَعْلَمَ ٱلنَّاسُ تَأْثِيرَ تَرَابُطِ ٱلصُّحْبَةِ،وَفَوَائِدَ ٱلتَّرَابُطِ ٱلدِّينِيِّ وَٱلرُّوحِيِّ، وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُنْكِرُ أَنَّ ٱسْتِغَاثَةَ ٱلْعَبْدِ بِٱلْعَبْدِ هِيَ ٱسْتِغَاثَةُ تَكْلِيفٍ وَتَوْظِيفٍ وَتَشْرِيفٍ تُعْطَى بِٱلْاسْتِعَارَةِ فَهِيَ مِنَ ٱللهِ؛ لِأَنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى إِنْعَامَ فَضْلِهِ عَلَى عِبَادِهِ لِيُبَاهِيَ بِهِمُ ٱلْمَلَائِكَةَ.وَلَا يَظُنَّنَّ ظَانٌّ أَنَّ ٱسْتِغَاثَةَ ٱلْعَبْدِ بِٱللهِ تَعَالَى تُشْبِهُ ٱسْتِغَاثَةَ ٱلْعَبْدِ بِٱلْعَبْدِ ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا

إِذْ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ٱلْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا وَبَيْنَ ٱلْمَخْلُوقِ، فَقُدْرَةُ ٱللهِ مُطْلَقَةٌ، وَقُدْرَةُ ٱلْعَبْدِ مَحْدُودَةٌ، بَلْ لَا قُدْرَةَ لَهُ إِطْلَاقًا إِلَّا إِذَا أَقْدَرَهُ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى ٱلْفِعْلِ . فَأَنْبِيَاءُ ٱللهِ ﷺ كَانَتْ تَأْتِي ٱسْتِغَاثَتُهُمْ مَعَ وَسِيلَتِهِمْ إِلَى ٱللهِ ٱلْأَمِينِ جِبْرِيلَ عليه السلام بِحَسَبِ مَدَارِجِ ٱلْقُلُوبِ وَمَرَاتِبِ ٱلْأَرْوَاحِ ٱلْإِيمَانِيَّةِ فَفِيهَا ٱلتَّعْرِيفُ وَٱلتَّشْرِيفُ وَٱلتَّكْلِيفُ وَٱلِٱسْتِدْلَالَاتُ عَلَى مَدَارِكِ سُلُوكِ ٱلْعُرُوجِ وَٱلْهُبُوطِ ، وَنَوْعِيَّةِ ٱلتَّعَامُلِ فِي مَحَطَّاتِ ٱلسَّمَوَاتِ ٱلْعَظِيمَةِ . وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ إِلَّا فِرْعَوْنِيُّ عَصْرِهِ . فَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام رَابِطَةَ خَيْرٍ وَمَنْفَعَةٍ لِسَائِرِ أَنْبِيَاءِ ٱللهِ ﷺ حَيْثُ ٱرْتَبَطَتْ سَائِرُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلْكِرَامِ ﷺ بِٱلتَّعَامُلِ مَعْ ضِيَائِهِ عليه السلام أَمَّا سَائِرُ ٱلْبَشَرِ مِنْ دُونِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ﷺ فَوَسَائِطُهُمْ مَعَ رَبِّهِمْ أَنْبِيَاءُ ٱللهِ ﷺ ٱلَّذِينَ تَعَرَّفُوا عَلَى نُقَطِ ٱلْعُبُورِ وَٱلْمُرُورِ وَإِشَارَاتِ ٱلْمُعَامَلَاتِ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَوَاتِ بِوَاسِطَةِ رَابِطَتِهِمُ ٱلْجِبْرَائِيلِيَّةِ ٱلشَّرِيفَةِ وَلَيْسَ كَمَا يَتَّهِمُ ٱلْمُنْكِرُونَ أَهْلَ ٱلتَّرَابُطِ بِٱلشِّرْكِ وَٱلْكُفْرِ وَهُمْ يَجْهَلُونَ ٱلْفَرْقَ ٱلشَّاسِعَ بَيْنَ ٱسْتِغَاثَةِ ٱللهِ ٱلْمُطْلَقَةِ وَٱسْتِغَاثَةِ ٱلْعَبْدِ ٱلْمُسْتَعَارَةِ بِٱلتَّكْلِيفِ بِطَرِيقَةِ ٱلتَّوْظِيفِ وَٱلتَّشْرِيفِ. وَلَوِ ٱطَّلَعْنَا عَلَى ٱلْقُرْآنِ لَوَجَدْنَا وَظَائِفَ ٱلْمَلَائِكَةِ ﷺ مُتَدَاخِلَةً مَعَ ٱلْإِنْسَانِ فِي جَرَيَانِ حَوَادِثِ حَيَاتِهِ وَمَمَاتِهِ . وَلِأَهْلِ ٱلسَّمَاءِ وَظَائِفُ وَلِأَهْلِ ٱلْأَرْضِ وَظَائِفُ . قَالَ ٱللهُ جل جلاله فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الذاريات ٣١ – ٣٤) هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلْوَظَائِفِ وَظَّفَ ٱللهُ تَعَالَى بِهَا مَلَائِكَتَهُ ﷺ وَهِيَ تَرَابُطُ ٱلطَّاعَةِ مَا بَيْنَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَخَالِقِهِمْ . وَقَالَ ٱللهُ جل جلاله: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ (الواقعة ١٧ – ١٨) هَذِهِ وَظِيفَةُ ٱلْوِلْدَانِ ٱلْمُخَلَّدِينَ فِي ٱلْجَنَّةِ لِخِدْمَةِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ . وَلِلْأَوْلِيَاءِ ﷺ مَعَ رَبِّهِمْ نُورٌ فِي ٱلْعَطَاءِ وَرَحْمَةٌ فِي ٱسْتِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ وَبَرَكَاتٌ فِي ٱلرَّجَاءِ فَمِنْهَا يَنْقُلُونَ ٱلِٱسْتِغَاثَةَ لِغَيْرِهِمْ مِمَّا يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ بِوَاسِطَتِهِمْ وَوَسَائِلِهِمْ كَتَوْظِيفٍ وَتَكْلِيفٍ مِنَ ٱللهِ

وَوَاسِطَةٍ وَوَسِيلَةٍ لَنَا . وَالَّذِي نَقَلَ وَأَوْصَلَ إِلَيْنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَهٰذَا أَيْضًا مَقَامُ تَوْظِيفٍ وَتَكْلِيفٍ وَتَشْرِيفٍ . فَالَّذِي يَجْرِي لَهُ الْقَبُولُ يَرَى مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ. وَتِلْكَ الْمَعَارِفُ مُخَصَّصَةٌ لِأَهْلِ الْوَسَائِلِ وَلَا تَهْبِطُ إِلَّا عَلَى كُلِّ مُؤَهَّلٍ صَاحِبِ رَابِطَةٍ حَسَبَ حَالِهِ وَمَقَامِهِ عِنْدَ رَبِّهِ. مِثْلُهُ مِثْلُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَغْرِسُ الْحَبَّ فَإِذَا نَبَتَ يَظُنُّ الْمُنْكِرُ أَنَّ عَمَلَهُ سَبَبُ ذٰلِكَ وَإِذَا أَثْمَرَ ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ مُجَاهَدَةِ فِعْلِهِ وَكَدِّ زَنْدِهِ وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ الْمُؤَثِّرَ فِي الْكَوْنِ هُوَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ . أَلَمْ يَقُلِ اللهُ تَعَالَى :

﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ (الواقعة ٦٤) فَكَمَا جَعَلَ اللهُ التَّأْثِيرَ فِي زَرْعِ الْعِبَادِ فَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ التَّأْثِيرَ فِي فِعْلِ الْأَوْلِيَاءِ ؓ بِطَرِيقَةِ الْكَرَامَةِ وَالْاِسْتِجَابَةِ . فَالْإِغَاثَةُ مَا هِيَ إِلَّا تَسْخِيرٌ وَاسْتِعَارَاتٌ مُؤَقَّتَةٌ مِنَ اللهِ يُجْرِيهَا اللهُ بِوَسِيلَةِ الْمَلَائِكَةِ ؊ عَلَى أَيْدِي خَلْقِهِ وَهِيَ مَا يُقَالُ عَنْهَا كَرَامَةٌ ، لِإِظْهَارِ مِصْدَاقِيَّةِ الْوَلِيِّ وَدِقَّةِ مُتَابَعَتِهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُنْكِرُ الذَّلِيلُ لَا يُفِيدُ مَعَهُ أَيُّ دَلِيلٍ وَلَوْ قَرَأْنَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْجَلِيلَ . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران ١٩١) إِنَّ هٰذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَفْتَحُ شَهِيَّةَ الْبَاطِنِ الرُّوحَانِيِّ لِكُلِّ سَالِكٍ ، وَتُشَجِّعُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِتِلْكَ الْمُهِمَّةِ الرَّاقِيَةِ وَالْمُمَيَّزَةِ حَيْثُ تُوصِلُ صَاحِبَهَا إِلَى كَشْفِ الْحُجُبِ عَمَّا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ بِهِ الْأَعْيُنُ، وَالتَّرَابُطُ بِوَسِيلَةِ الرَّابِطَةِ مَعَ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ تُورِثُ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ وَتَرْفَعُ الْمُؤْمِنَ فِي بَاطِنِهِ إِلَى مَدَارِجَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَبِمَا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ غَارِقَةٌ بِغَيْرِ طَاعَةِ رَبِّهَا وَتَجْهَلُ أَسْرَارَ فُنُونِ تِلْكَ الْمُهِمَّةِ الرَّاقِيَةِ لِقِلَّةِ طَاعَاتِهِمْ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِدِينِهِمْ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لِأَقْوَالِ أَعْوَانِ الشَّيْطَانِ بِغَيْرِ هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ بَقِيَ ذٰلِكَ الْبَرْنَامَجُ النُّورَانِيُّ وَالرُّوحَانِيُّ مَحْجُوبًا عَنْهُمْ وَنَوَافِذُ الْمَعْرِفَةِ مُغْلَقَةٌ فِي وُجُوهِهِمْ لِقِلَّةِ

حَظِّهِمْ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ العَظِيمَةِ وَالثَّرْوَةِ الكَرِيمَةِ الَّتِي لَا تُنَالُ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ. وَمَعَ الأَسَفِ إِذَا حَاوَلَ السَّالِكُ إِظْهَارَ أَيِّ شَيْءٍ وَشَرْحَ بَعْضِ مَنَافِعِ الرَّابِطَةِ لِيَسْتَفِيدَ النَّاسُ مِنْ تَجْرِبَتِهِ فَسُرْعَانَ مَا تَهِيجُ النُّفُوسُ الشِّرِّيرَةُ وَيَنْبَرِي مَنَّاعُ الخَيْرِ وَالمُعْتَدِي الأَثِيمُ بِعَرْضِ زُنُودِهِ المَنْفُوخَةِ بِهَوَاءِ الجَهْلِ لِيَزِيدَ النَّاسَ غَفْلَةً عَلَى غَفْلَتِهِمْ وَعَمًى عَلَى عَمَاهُمْ وَيَشُنَّ حُرُوبَ التَّكْفِيرِ وَالإِشْرَاكِ فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ يُظْهِرُ ذَرَّةً مِنْ دُرَرِ مَعَارِفِ ذَلِكَ العِلْمِ الَّذِي اشْتَهَرَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ ﷺ العِظَامُ وَآلُ البَيْتِ ﷺ الكِرَامُ. وَبِمَا أَنَّ الآيَةَ المُبَارَكَةَ تُجِيزُ عَلَى الإِطْلَاقِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ التَّفَكُّرَ بِمَخْلُوقَاتِ اللهِ فَأَصْبَحَ التَّرَابُطُ الفِكْرِيُّ جَائِزًا شَرْعًا. وَالرَّابِطَةُ مَعَ القُلُوبِ وَرُوحَانِيَّاتِ الخَلَائِقِ[1] لَا يَمْنَعُهُ الشَّرْعُ الحَنِيفُ. فَعِوَضًا عَنْ أَنْ يَتَفَكَّرَ المُؤْمِنُ بِمَخْلُوقَاتٍ يَشْتَرِكُ فِيهَا العُمُومُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَكَّرَ بِأَرْقَاهَا وَأَعْظَمِهَا وَأَطْهَرِهَا وَأَنْوَرِهَا، مَخْلُوقَاتٍ مَلَكَتْ أَنْوَاعًا مِنَ الجَمَالِ وَالكَمَالِ مِنَ الَّذِينَ وَصَلُوا وَاتَّصَلُوا بِنُورِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ. وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى الإِطْلَاقِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَإِخْوَانُهُ مِنْ حَضَرَاتِ الأَنْبِيَاءِ ﷺ وَآلِ البَيْتِ ﷺ الكِرَامِ وَالصَّحَابَةِ العِظَامِ وَالأَوْلِيَاءِ ﷺ المُرْشِدِينَ. وَقَدْ حَثَّنَا اللهُ تَعَالَى عَلَى الاجْتِمَاعِ وَالكَيْنُونَةِ مَعَ مَنْ نُعَاصِرُهُ مِنَ الصَّادِقِينَ لِمَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَمَصْلَحَةٌ رُوحِيَّةٌ، وَفِي الاجْتِمَاعِ مَعَهُمْ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ فَوَائِدِ الجَمَاعَةِ فِي الإِسْلَامِ. قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة ١١٩). فَلْيَتَّقِ اللهَ مَنْ يَمْنَعُ التَّرَابُطَ الفِكْرِيَّ وَالرَّابِطَةَ القَلْبِيَّةَ مَعَ المَخْلُوقَاتِ لِئَلَّا يَكُونَ مُخَالِفًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران ١٩١) فَالإِجَازَةُ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ مَفْتُوحَةٌ لِأَنْ نُرَابِطَ بِأَفْكَارِنَا وَقُلُوبِنَا مَعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ. لِتَدْرِيبِ القَلْبِ وَتَوْسِيعِهِ وَتَقْوِيَةِ الرُّوحِ لِإِصْلَاحِ النَّفْسِ المَكَّارَةِ وَالفَوْزِ بِثِمَارِ النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ" (رواه البخاري)

والوصول إلى الراضية والمرضية حتى الانتهاء إلى مقام: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (الشمس ٩). وهنا تبدأ الإلهامات بالانتقال معنوياً إلى أعظم تفكر وأرقى مراقبة وأدهش مشاهدة ويفتح لصاحب ذلك الحظ العظيم باب التفكر والتدبر بأشرق الأرواح وأطهر الأجساد سيد الكائنات سيدنا محمد ﷺ فينصبغ المرابط بذلك الجمال الأبهر والكمال الأشهر فتصبح رابطته صالحة لغيره. يا حسرة على من أضاع أعظم الفرص الثمينة وأغواه إبليس بحيله فأطاعه وحرم لذيذ المناجاة وانصرف إلى ما فيه الجهل والغفلات. قال بعض المتعاملين بالترابط النبوي والرابطة الروحية: إن الرابطة ما هي إلا تفكر ينقل العقل والحواس من وجود فان إلى وجود باق معمر بالخيرات والسعادات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وتهيئهم إلى الفوز بمشاهدة من تنصب عليه التجليات لإيقاظ الهمة واللطائف لأرقى مدارج الوعي المعنوي والإحساس العميق والدقيق؛ ليصبح بعدها سائر الجسم في مرحلة الترابط مع أسماء ربه وصفاته. وتصحبه أرقى التجليات لتفتح له أغلظ الحجب السماوية. فيلين القلب القاسي إلى أن ينال سائر الجسد مقام الذكر والتسبيح لله. وهنا يحصل تحير لعظمة المشاهدات فيتم دائرة مقام التسبيح ويختم مدارج مراتب الأذكار ليحظى بالاستغراق البراق المحفوف بالأشواق والاحتراق. ولأجل ذلك هاجت علينا الشياطين المكارة وجندت في خدمتها من نال مرتبة التعاسة بالآخرة والخسارة. فلا يستغرب من ليس عنده معرفة بهذه الأمور فالطيور والحيوانات والأشجار والجبال والجدران وكل شيء مشغول بتسبيح خالقه العظيم منحة ذلك من فضله وليس بالكسب بل بالتوظيف والتكليف الفطري قال بعض المرابطين إنني أخجل من القول بأنني أصبحت ذاكراً بعد ٥٠ سنة من المجاهدات

← مؤسس الجمعيات الخيرية والساعي لبناء المساجد، التزم بالطريقة النقشبندية زمن المرشد محمد أمين الكردي الأربلي - مصر . الشيخ أحمد العجوز .(تولد في بيروت 1905م)

الشيخ الصوفي محمد الهاشمي نور الدين اليشرطي ابن مرشد الطريقة الشاذلية اليشرطية ←
(تولد في عكا 1904م)

فهذا مقامُ الطيورِ قال تعالى جلَّ وعلا : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء ٧٩) فالكيِّسُ مَن هجرَ كلَّ فكرةٍ مضرَّةٍ وعمِلَ بالفكرةِ المسرَّةِ والمثمرةِ.لا نقولُ إلّا كما قالَ اللهُ تعالى ﷻ ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف ١٧)،ألا يكفي المنكرينَ قولُ اللهِ ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ٢٠٠) فالرّابطةُ تربطُ القلبَ بحبلِ الإيمانِ وتعقدُ عليهِ بعقدةِ الثباتِ قالَ اللهُ ﷻ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (ابراهيم ٢٧)، فليتفكّرِ المنكرُ في الحادثةِ العرفانيّةِ العظيمةِ وكيفَ ربطَ سيّدُنا موسى عليه السلام قلبَهُ وفكرَهُ الشريفَ بالخضرِ عليه السلام وتابعَهُ مرابطًا حسًّا ومعنًى ظاهرًا وباطنًا ليستفيدَ ممّا وضعَ اللهُ تعالى في قلبِ غيرِهِ من علومٍ وأسرارٍ على يدِ مَن وظّفَهُ لهذهِ الحادثةِ الرّهيبةِ والمهمّةِ العجيبةِ الّتي يظهرُ فيها توسّلُ الإنسانِ بغيرِهِ فيرتبطُ معهُ بصحبةٍ مشحونةٍ بالتّعبِ المرهقِ والمشقّةِ البالغةِ في سبيلِ الحصولِ على فضلِ اللهِ بالوسائلِ والوسائطِ . وظهرَ فيها أنّهُ حتّى واحدٌ من أولي العزمِ لا يستطيعُ صبرًا على عجائبِ غيبِ أفعالِ العرفانِ لما في ظاهرِها من كلِّ أمرٍ عجيبٍ.لا طاقةَ لمخلوقٍ على تحمّلِ امتحانِ الخالقِ سبحانَهُ وتعالى فعلمُنا محدودٌ وعلمُهُ مطلقٌ؛ألمْ يأمرِ اللهُ سيّدَنا إبراهيمَ عليه السلام بذبحِ ولدِهِ إسماعيلَ عليه السلام.فالظّاهرُ علينا لا نستطيعُ عليهِ صبرًا والباطنُ نجهلُهُ لقلّةِ معرفتِنا وهذا يدلُّ أنّ هنالكَ عالمانِ عالمُ الظّاهرِ وعالمُ الباطنِ ولا وصولَ لعالمِ الباطنِ إلّا بعدَ تكميلِ عالمِ الظّاهرِ بحوادثِهِ ومشقّاتِهِ والنّجاحِ فيهِ ولا يصفو عالمُ

الظَّاهِرِ إِلَّا بِالْعَمَلِ بِبَاطِنٍ نَظِيفٍ وَنَفْسٍ مُزَكَّاةٍ فَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَنْتَبِهَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَإِلَّا يَكُونُ كَغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ عَالِمٌ بِلَا تَقْوَى وَلَا عَمَلٍ . وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ الْحَادِثَةَ الَّتِي جَرَتْ لِمُوسَى عليه السلام كَانَتْ مَعَ بِلْيَا بْنِ مَلْكَانَ وَاسْمُهُ الْخَضِرُ عليه السلام . رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "**إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ**"[1] (رواه البخاري)وَقَالَ مُجَاهِدٌ رضي الله عنه : إِذَا صَلَّى اخْضَرَّ مَا حَوْلَهُ ،قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾ (الكهف ٦٥).قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ : عِلْمُ الْبَاطِنِ إِلْهَامًا.فَأَرَادَ مُوسَى عليه السلام أَنْ يُحَصِّلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمِ الثَّمِينِ فَقَالَ لِسَيِّدِنَا الْخَضِرِ عليه السلام : ﴿ ... **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ (الكهف ٦٦) .قَالَ لَهُ الْخَضِرُ عليه السلام: ﴿ ... **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ (الكهف ٦٧) . فَعَلَى التَّابِعِ أَنْ يَتْبَعَ مَنْ يَجِدُهُ مِنَ الْمُحَمَّلِينَ بِالْعُلُومِ الْقَلْبِيَّةِ، وَالْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَعَلَيْهِ مُفَارَقَتُهُ، وَالْبَحْثُ عَمَّنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ؛ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ رُشْدًا. وَإِلَّا ضَاعَتْ أَيَّامُ التَّابِعِ وَالْمَتْبُوعِ . فَلَا يَسْتَغْرِبُ الْمُنْكِرُ إِذَا وَظَّفَ اللهُ وَلِيًّا فِي الْأَرْضِ لِيَقُومَ بِعَمَلِ تَوْظِيفٍ وَتَكْلِيفٍ وَتَشْرِيفٍ مِنْ رَبِّهِ كَإِصْلَاحِ قُلُوبِ الْعِبَادِ وَمُعَالَجَةِ نُفُوسِهِمْ . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ (الفيل ٣ – ٥) . فَالطَّيْرُ كَانَ لَهَا وَظِيفَةٌ عِنْدَ خَالِقِهَا .

۞ وَلَا يَتِمُّ التَّعَامُلُ مَعَ رَابِطَةِ الْأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) الرَّاحِلِينَ عَنْ أَرْضِ التَّكْلِيفِ مَعَ ذَاتِ الْمُتَوَفَّى لِأَنَّ رُوحَهُ الْكَرِيمَةَ فِي عَالَمٍ آخَرَ، بَلْ يَتِمُّ الْعَمَلُ مَعَ رُوحَانِيَّةِ التَّشْرِيفِ

(١) فتح الباري ، الحديث (٣٤٠٢)

ٱلصُّورِيَّةِ مِمَّا يَهْبِطُ عَلَى قُبُورِهِمْ مِنْ نُورٍ وَأَنْوَارٍ وَبَرَكَاتٍ وَأَسْرَارٍ؛ أَيْ يَكُونُ ٱلتَّعَامُلُ مَعَ عَطَاءِ ٱللَّهِ. فَإِنْ شَاءَ ٱللَّهُ يَجْعَلُ فِي ذَٰلِكَ ٱلنُّورِ صُوَرَهُمُ ٱلنُّورَانِيَّةَ حَيْثُ هُمْ فِي بَرْزَخٍ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ. وَعَلَى هَذَا لَا يَكُونُ ٱلتَّعَامُلُ مَعَ حُفَرِ ٱلْأَمْوَاتِ بَلْ مَعَ رُوحَانِيَّةٍ مِنْ عَالَمِ ٱلْخَفِيَّاتِ أَيَّدَهَا ٱللَّهُ بِرُوحٍ مِنْهُ[1]. وَمَنْ يَكُنْ حَالُهُ هَكَذَا لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ مَهْمَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنْ غَرَائِبَ مُحَيِّرَةٍ. فَلَا يَكُونُ قَبْرُهُ إِلَّا مَهْبِطَ رَحَمَاتٍ وَبِشَارَةَ وَرَمْزَ قَبُولٍ. وَٱلْمُنْكِرُونَ لَا يَعْرِفُونَ هَذَا لِأَنَّهُمْ لَمَّا زَاغُوا عَنِ ٱلْحَقِّ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَتَكَلَّمُوا مِنْ كُتُبِ ٱلْعَمَالَةِ، وَنَطَقُوا بِلِسَانِ ٱلرَّاتِبِ ٱلْغَرْبِيِّ. هَمُّهُمْ إِطْفَاءُ نُورِ ٱللَّهِ فِي ٱلْأَرْضِ بِأَلْسِنَتِهِمُ ٱلْمَسْمُومَةِ. فَٱللَّهُ أَيَّدَ ٱلْأَنْبِيَاءَ ﷺ وَخُلَفَاءَهُمْ بِنُورٍ مِنْ عِنْدِهِ فَأَصْبَحُوا كَنُورِ ٱلشَّمْسِ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ وَتَحْتَ ٱلْأَرْضِ. قَالَ بَعْضُ ٱلزَّاهِدِينَ ٱلْمُرَابِطِينَ بِرَابِطَةِ ذِكْرِ ٱلنَّفْيِ وَٱلْإِثْبَاتِ ٱلَّذِينَ يَنْفُونَ ٱلْأُلُوهِيَّةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَيُثْبِتُونَهَا لِلَّهِ ٱلْخَالِقِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ. قَالَ: ٱلْمُرَابَطَةُ هِيَ ضِدَّ كُلِّ عَدُوٍّ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ. فَهُوَ عَمَلٌ شَرْعِيٌّ أُمِرَ بِهِ عَامَّةُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَأَعْدَى ٱلْأَعْدَاءِ ٱلنَّفْسُ ٱلشِّرِّيرَةُ ٱلَّتِي بَيْنَ جَنْبَيِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلَّتِي تَأْمُرُ صَاحِبَهَا بِٱرْتِكَابِ ٱلْمَعَاصِي وَٱلذُّنُوبِ: ﴿ **إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ** ﴾ (يوسف ٥٣). وَلَكِنَّ ٱلْعَجَبَ كُلَّ ٱلْعَجَبِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى ٱلشِّرْكِ مَنْ يُرَابِطُ فِي هَذِهِ ٱلْأَيَّامِ لِيَرْدَعَ نَفْسَهُ، وَيَمْشِي عَلَى خَرِيطَةِ ٱلْإِصْلَاحِ ٱلنَّفْسِيِّ بِٱلنُّورِ ٱلَّذِي هَدَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ. أَيُقَالُ عَنْ مِثْلِ هَذَا ٱلسُّلُوكِ ٱلنُّورَانِيِّ بِدْعَةٌ وَيُتْرَكُ كُلُّ مَا يَجْرِي عَلَى سَاحَةِ ٱلْحَيَاةِ مِنْ تَعَرٍّ وَفُحْشٍ وَمُحَرَّمَاتٍ وَأَفْلَامٍ وَفَسَادٍ وَزِنًى وَفَضَائِيَّاتٍ قَطَعَتْ بِفَسَادِهَا وَضَلَالِهَا كُلَّ ٱلْخُطُوطِ ٱلْحَمْرَاءِ وَيُسْكَتُ عَنْهُ؟! إِنَّنَا لَا نَجِدُ ٱلْهُجُومَ إِلَّا عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا نَسْمَعُ فِي حُلْقُومِ ٱلْمُنْكِرِينَ إِلَّا ٱلْمُجَادَلَاتِ وَٱلْمُغَالَطَاتِ فِي حَقِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ فَٱلْمَكْرُ يُطْبَخُ فِي بِلَادِ ٱلْغَرْبِ، وَيُسْتَوْرَدُ مَعَ عَتَادِ ٱلْقُوَّةِ مِنْ عَبَدَةِ

(١) في حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عرفه، ورد عليه السلام" (فيض القدير ج ٥ ص ٥٤٣٨)

ٱلطَّوَاغِيتِ لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ أَهْلِ ٱلإِيمَانِ وَطَرِيقِهِمُ ٱلْحَقِّ .

الرَّابِطَةُ هِمَّةٌ نُورَانِيَّةٌ

❁ يُقَالُ لِلرَّابِطَةِ عِنْدَ ٱلسَّالِكِينَ ٱلْهِمَّةُ ٱلنُّورَانِيَّةُ ٱلتَّصَرُّفِيَّةُ بِٱلْوَظِيفَةِ ٱلرُّوحَانِيَّةِ، أَلَمْ يَقُلِ ٱللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ (الحديد ٢٨). فَمَنْ نَالَ مِنْ ذَلِكَ ٱلنُّورِ يَكُونُ صَاحِبَ هِمَّةٍ وَرَابِطَةٍ وَخَوَارِقَ وَكَرَامَاتٍ . يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَبِوَاسِطَتِهِ يَمْشِي مِشْيَاتٍ رُوحَانِيَّةً فِي عَالَمِ ٱلْبَاطِنِ وَٱلظَّاهِرِ، تُطْوَى لَهُ ٱلْمَسَافَاتُ، وَتُقْضَى لَهُ ٱلْحَاجَاتُ، وَيُدَافِعُ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَحِينَ ٱخْتِرَاقِهِ سُبُلَ ٱلْمَقَامَاتِ. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج ٣٨). وَبِذَلِكَ ٱلنُّورِ يَخْتَرِقُ حُجُبَ مَسَالِكِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَيُوضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولُ لِمَا فِي وَجْهِهِ وَقَلْبِهِ مِنْ رُمُوزِ ٱلإِشَارَاتِ وَٱلْبِشَارَاتِ ٱلسِّرِّيَّةِ؛ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ (الرحمن ٣٣). وَمَنْ يَخْتَرِقْ حُجُبَ ٱلْمَقَامَاتِ يَخْتَرِقْ أَرْضِيَّةَ قُلُوبِ ٱلطَّالِبِينَ، وَيَتَجَوَّلْ فِي بَرِّ صُدُورِ ٱلْمُرَابِطِينَ وَيُعَالِجْ بِعَجَائِبِ أَسْرَارِ ذَلِكَ ٱلنُّورِ قُلُوبَ ٱلطَّالِبِينَ وَنُفُوسَهُمْ . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. وَيُقَالُ لِصَاحِبِ ذَلِكَ ٱلنُّورِ صَاحِبُ ٱلْهِمَّةِ ٱلنُّورَانِيَّةِ، يَدْفَعُ بِهَا مَا يَشَاءُ لَهُ ٱللَّهُ أَنْ يَدْفَعَ . وَكَانَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ ﷺ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِ تِلْكَ ٱلْهِمَّةِ ٱلْعَلِيَّةِ يَتَعَامَلُ مَعَ جُيُوشِ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنَ ٱلْبَعِيدِ بِهِمَّتِهِ يَدْفَعُ وَيَرْفَعُ . ذَكَرَ ٱلْوَاقِدِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْجَرَّاحِ ﷺ لَمَّا حَاصَرَ

حلَبَ تأخَّرَ بإرسالِ الأخبارِ لسيّدِنا عُمَرَ بنِ الخطّابِ ﷺ فكتَبَ إلى أبي عُبيدَةَ ﷺ رِسالةً يُخبِرُهُ فيها بكثرةِ قلقِهِ على إخوانِهِ المُسلمينَ، ويُريدُ أنْ يطمئِنَّ عليهِمْ، وكتبَ لهُ فيها: "... واعلَمْ يا أبا عُبيدَةَ أنّني وإنْ كُنتُ غائبًا عنكُمْ فإنَّ همّتي عِندَكُمْ". (فتوح الشام ج١ص٢٦٠)، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت ٦٩)؛ فمَنِ اهتدَى لِسُبُلِ اللهِ كَمُلَ عِرفانُهُ، وأصبحَ وليَّ أوانِهِ. والكمالُ ليسَ ككمالِ اللهِ كما يتهجّمُ بذلِكَ علينا المُنكِرونَ. فكمالُ اللهِ مُطلَقٌ وكمالُ العبدِ مُعلَّقٌ على مشيئةِ اللهِ في حُدودِ المعرِفةِ والفتحِ والعطاءِ والتّشريفِ، والعِلمِ اللّدُنّيِّ المَسموحِ بهِ شرْعًا ألَمْ يقُلْ رسولُ اللهِ ﷺ: **"كمُلَ مِنَ الرِّجالِ كثيرٌ، ولَمْ يكمُلْ مِنَ النِّساءِ إلّا آسيةُ امرأةُ فِرعَونَ ومَريمُ بنتُ عِمرانَ"**[1].

❁ وقدْ دعمْنا هذهِ الأطروحةَ الرّوحيّةَ ببعضِ البياناتِ والتّوضيحاتِ المُهمّةِ والمُتنوّعةِ في حقلِ العمليّاتِ السّلوكيّةِ الجامعةِ لِمقاماتِ الكشفِ والمُراقبةِ وتهذيبِ الخاطرِ والعِلاجاتِ القلبيّةِ والنّفسيّةِ وكيفيّةِ التّعامُلِ في مدارجِ السّلوكِ الصّوريِّ في السّمواتِ، وبيّنّا أكثرَ الإشاراتِ والرّموزِ الّتي تدُلُّ على صِدقِ وقدرِ وهِمّةِ المُدّعي للإرشادِ بتلكَ الخُطوطِ النّورانيّةِ والبرامجِ الباطنيّةِ. لِيَسهُلَ على المُريدِ كشفُ الحقِّ مِنَ الباطلِ، وخوضُ معارِكِهِ الرّوحيّةِ وهُوَ مُطمئنُّ النّفسِ قريرُ العَينِ، قالَ اللهُ تعالَى ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٩ – ١٠)، وقدْ أضفْنا على الرّابطةِ ولفظةِ الخِلافةِ أُمورًا مُتنوّعةً في حقلِ عمليّةِ التّعرُّفِ على خريطةِ العمَلِ الرّوحانيِّ ودُستورِ السّلوكِ النّورانيِّ ومبادئِ الخطِّ الباطنيِّ وكيفيّةِ العمَلِ مَعَ أحداثِها وبذلِكَ يَسهُلُ كشفُ المُندسّينَ والمُشعوذينَ المُشتهرينَ باستغلالِ تلكَ الحركاتِ الرّوحيّةِ الطّامعينَ بما في أيدي النّاسِ حتّى يَسلَمَ قلبُ المُريدِ الطّالبِ ويَفهَمَ لِمَنْ يُسلِّمُ قلبَهُ.

(١) رواه البخاري، فتح الباري، الحديث (٣٤١١)

الرَّابِطَةُ وَتَعْرِيفُهَا الرُّوحَانِيُّ

الرَّابِطَةُ مِنْ: «رَبَطَ نَفْسَهُ وَجَوَارِحَهُ … عَنِ الْمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ وَهَجَرَ مَعَارِفَهُ

وَرَبَطَ قَلْبَهُ وَفِكْرَهُ عَلَى بَابِ مَوْلَاهُ … لَا يُطِيعُ وَلَا يَعْبُدُ رَبًّا سِوَاهُ

وَرَبَطَ أَهْوَاءَ سُوءِ نَفْسِهِ اللَّوَّامَةْ … مَعَ الْاِسْتِغْفَارِ نَادِمًا رَاجِيًا السَّلَامَةْ»

الْمُرَابِطُ يَقْطَعُ الْعَلَائِقَ مَعَ الْخَلْقِ … وَيَفْتَحُ مَنَافِذَ قَلْبِهِ مَعَ الْحَقِّ

مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللهِ كَفَاهُ مُؤُونَتَهُ … وَمَنِ انْقَطَعَ عَنِ اللهِ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ

يَكْتَفِي الْمُرَابِطُ بِكَفَالَةِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ … وَعَنِ التَّبِعَاتِ وَالْمَعَاصِي فِي اجْتِنَابِ

يَشْتَغِلُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ بِالْعِبَادَةْ … حَتَّى يُصْبِحَ الذِّكْرُ وَالرَّابِطَةُ لَهُ عَادَةْ

اللَّهُمَّ سَلِّكْنَا فِيمَا الْمُرْشِدُونَ اعْتَمَدُوهُ … وَثَبِّتْنَا عَلَى مَا بِتَوْحِيدِكَ اعْتَقَدُوهُ

فَقَدْ كَثُرَ الْمُتَشَبِّهُونَ وَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ … وَتَسَتَّرَ بِزِيِّهِمُ الْمُتَسَتِّرُونَ وَفَسَدَتْ أَعْمَالُهُمْ

وَصَارَ الْخَلِيفَةُ الْمُدَّعِي صُورَةً وَرَسْمْ … فَارِغَ الْوِعَاءِ وَالْقَلْبِ مُزَيَّنَ الْجِسْمْ

بَعْدَ وُصُولِ الْمُرَابِطِ لِخِتَامِ اللَّطَائِفِ … يَدْخُلُ بِبَابٍ جَدِيدٍ فِي الْوَظَائِفِ

يَنْسَدُّ إِحْسَاسُهُ الْأَرْضِيُّ عَنِ الْمَعْلُومَاتْ … كَأَنَّهُ غَابَ عَنِ الدُّنْيَا وَمَاتْ

هَذَا خُرُوجٌ مِنَ الْكَوْنِ بِالْأَفْكَارِ الرُّوحِيَّةِ … لِعَالَمٍ مَمْلُوءٍ بِالسَّعَادَةِ وَالْمَقَامَاتِ النُّورَانِيَّةِ

يَرْفُضُ عَقْلُهُ التَّعَامُلَ مَعَ الْحَوَادِثِ وَالْأَفْكَارِ … وَلَا يَلْتَفِتُ لِمَا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَخْبَارِ

لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُضِرَّةً لِقَلْبِهِ وَتُؤْذِيهِ … فَتَنْقُلُهُ الرَّابِطَةُ لِعَالَمِ الرُّوحِ وَتُغَذِّيهِ

لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا فِيهِ حَسَنٌ وَسَلِيمْ … حَيْثُ أَصْبَحَ قَلْبُهُ حَوْلَ الْعَرْشِ مُقِيمْ

فَيَنَالُ لَطَائِفَ جَدِيدَةً غَيْرَ مَكْتُوبَةْ … بِالْكُتُبِ وَمِنَ الْقُلُوبِ مَفْقُودَةْ

مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْهَنَا مِمَّا قَدْ ظَهَرْ   فَلَيْسَ بِالْخَلِيفَةِ الْمَطْلُوبِ وَالْمُنْتَظَرْ

فَإِنْ ظَهَرَتْ صُوَرٌ بِلَا مَعْنَوِيَّاتٍ وَتَعَالِيمْ   فَهِيَ صُوَرٌ عَابِرَةٌ تَمُرُّ بِالْأَقَالِيمْ

فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُنْبِتُ مَا لَذَّ مِنَ الثَّمَرِ   فَقَطْعُهَا أَوْلَى كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ

فَلَا يَتَعَجَّبُ الْمُنْكِرُ مِمَّا نَقُولُ   فَالْحُلُمُ بِالْأَمْوَاتِ هُوَ دَلِيلٌ مَعْقُولُ

لِلسَّالِكِ رَابِطَتَانِ

مَنْ عَلَّقَ قَلْبَهُ بِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ   وَنُورِ عَظَمَةِ الصِّفَاتِ الظَّاهِرَةِ الْقُدْسِيَّةِ

أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ فِي مُرَاقَبَاتٍ مُتَنَوِّعَةِ   يَكُونُ قَدَمُهُ أَقْوَى بِتِلْكَ الْحَالَةِ الْمُرَوِّعَةِ

وَفِي السُّلُوكِ أَسْرَعَ وَأَثْبَتَ مِنْ غَيْرِهِ   هَكَذَا يُرَبِّي الْمُرْشِدُونَ الْمُرِيدَ بِدَرْبِهِ

وَلِلْإِنْسَانِ مُرَاقَبَتَانِ : مُرَاقَبَةٌ مَعَ مُرْشِدِهِ   وَمُرَاقَبَةٌ ثَانِيَةٌ بِالْاِسْتِقْلَالِ مَعْ رَبِّهِ

فَالْأُولَى وَسِيلَةٌ لِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الْوُصُولِ   وَالثَّانِيَةُ اسْتِمْدَادٌ مِنَ اللهِ ﷻ كَحَبْلٍ مَوْصُولِ

وَفِي الْاِثْنَيْنِ يَحْتَاجُ السَّالِكُ لِمُرَبِّيهِ   حَتَّى يَمُدَّهُ بِالْعُلُومِ وَمِنْ أَمْدَادِهِ يُغَذِّيهِ

فَسَائِرُ الْفَوَائِدِ وَالْإِمْدَادَاتِ النُّورَانِيَّةْ   صَادِرَةٌ مِنْ عَطَاءِ اللهِ بَاطِنِيَّةٌ وَظَاهِرِيَّةْ

الْمُشَاهَدَاتُ يُمْنَعُ إِذَاعَتُهَا

قِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ رضي الله عنه مَرَّةً: "حَدِّثْنَا عَنْ مُشَاهَدَاتِكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى". فَصَاحَ، ثُمَّ قَالَ: "وَيْلَكُمْ لَا يَصْلُحُ لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ"، قِيلَ: "فَحَدِّثْنَا بِأَشَدِّ مُجَاهَدَتِكَ فِي اللهِ تَعَالَى. فَقَالَ: "وَهَذَا أَيْضًا لَا يَجُوزُ أَنْ أُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ".

إِلَّا مَا يَجْلِبُ بِهِ الْتِفَاتَ الْقُلُوبِ   بِقَصْدِ التَّشْوِيقِ إِلَى مَحَبَّةِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ﷻ

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ (الضحى ١١)   كَمْ بِالتَّعْرِيفِ تَابَ طَبِيبٌ وَمُهَنْدِسْ



حَقِيقَةُ الرَّابِطَةِ

الرَّابِطَةُ هِيَ تَفَكُّرٌ يَرْبِطُ جِهَازَ الْعَقْلْ ... بِحَدَثٍ مَا لِيُعِيدَ لِمَنْ رَابَطَ النَّقْلْ

وَهُوَ عَلَى عِدَّةِ أَنْوَاعِ هَذَا التَّرْكِيزْ ... مِنْهُ مَا يَسْتَحْضِرُهُ الإِنْسَانُ بِمَجْهُودٍ وَجِيزْ

لِاسْتِحْضَارِ ذِكْرَيَاتٍ طُبِعَتْ بِصَفَحَاتِ الْفِكْرِ ... فَتَظْهَرُ الصُّوَرُ مُطِيعَةً لِلْأَمْرِ مَعَ الشُّكْرِ

فَيَظْهَرُ لَهُ بِالْمُشَاهَدَةِ مَا تَمَنَّى وَطَلَبْ ... لِأَنَّ أَمْرَ الرَّابِطَةِ عَلَى الْخَزِينَةِ تَغَلَّبْ

فَتَشْتَرِكُ الإِحْسَاسَاتُ الصَّوْتِيَّةُ وَالْبَصَرِيَّةْ ... وَتَنْدَمِجُ مَعَ صُوَرِ الْحَوَادِثِ الصُّوَرِيَّةْ

فَكَأَنَّهُ يَلْجَأُ إِلَى جِهَازِ كُمْبِيُوتَرَ لِلاسْتِعَانَةْ ... وَاسْتِرْجَاعِ مَعْلُومَاتٍ مَوْضُوعَةٍ بِخِزَانَةْ

فَكَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ لِبَعْضِ الأُمُورِ يَتَعَرَّضْ ... قَدْ يَخْطُبُ فَتَاةً فَتَتْرُكُهُ فَيُصَابُ بِمَرَضْ

فَلَا تُفَارِقُ صُورَتُهَا مُخَيِّلَةَ أَفْكَارِهِ ... وَبِلَا تَحْضِيرٍ تَجِيءُ صُورَتُهَا بِخَيَالِهِ

وَكَمْ مِنْ وَالِدٍ شَاهَدَ صُورَةَ وَلَدِهِ ... الْمُتَوَفَّى حَدِيثًا وَهُوَ لَا يَزَالُ فِي شِدَّتِهِ

وَهَذَا يَحْصُلُ لِلْوَالِدِ بِالأَحْلَامِ بِلَا طَلَبْ ... فَحُبُّهُ عَلَى حَالِ غِيَابِهِ قَدْ تَغَلَّبْ

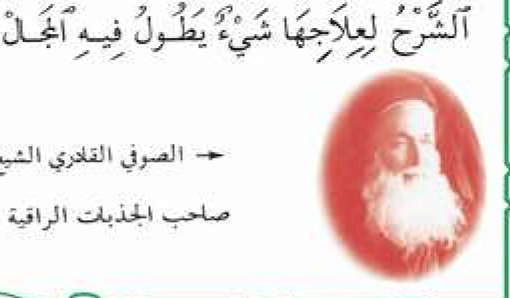
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ إِنْكَارَ مِثْلِ هَذِهِ الْمُشَاهَدَةْ ... وَكَذَلِكَ لَا فَائِدَةَ مِمَّنْ يُنْكِرُ وَيُحِبُّ الْمُجَادَلَةْ

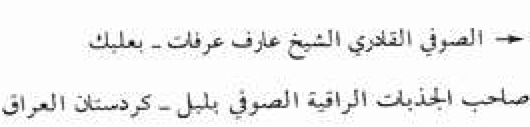
وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةٌ غَرِيبَةْ ... لَمْ يَطْلُبْهَا وَذَكَّرَتْهُ بِأَقْوَى مُصِيبَةْ

وَسَبَّبَتْ لَهُ الضِّيقَ وَالإِرْهَاقَ الْخَانِقْ ... وَكَانَتْ لِذَاكِرَتِهِ الْفِكْرِيَّةِ تُعَانِقْ

تِلْكَ هِيَ عِلَّةٌ بِالْعَقْلِ قَدْ ظَهَرَتْ ... بِالْمَرَضِ النَّفْسِيِّ شَبَّهُوهَا وَاشْتُهِرَتْ

الشَّرْحُ لِعِلَاجِهَا شَيْءٌ يَطُولُ فِيهِ الْمَجَالْ ... فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاجَعَةِ مُرْشِدٍ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالْ





→ الصوفي القادري الشيخ عارف عرفات ـ بعلبك

صاحب الجذبات الراقية الصوفي بلبل ـ كردستان العراق

تغذية الرابطة

تتغذى الرابطة من كثرة التفكر ... وتزداد قوتها بكثرة العمل والتدبر

أي عمل شرعي أو إنساني مفيد ... يزيد بأجره قوة الرابطة بالتأكيد

فالفكر هو أمر لحركة عضلة القلب ... تتحرك العضلة مع ذكر اسم الرب

إذا اتحد الفكر مع العضلة الصدرية ... يصبح الأمر صادرا للحركة القلبية

فتأمر الأفكار العضلة لتعط الفؤاد ... فتضرب العضلة ضربات فالقلب ينقاد

إلى الأوامر والضربات المتكررة المتلفظة ... بالذكر الإلهي فتصبح جوانبه متيقظة

فيتهيأ للاشتراك بأعظم حملة ... ويغوص بالذكر وينتقل من جولة لجولة

حتى إذا جاء الأمر بالخفقان ... دخل على العقل أدهش العرفان

فيغيب العقل بلذة راقية محيرة ... وينبض القلب نبضات نورانية باهرة

هذا يكون بعد ضربات رابطة العضلة ... بمئات آلاف ضربات الذكر الموصلة

حيث خلال هذه الضربات بتلك اللطيفة ... يتهيأ القلب ويتمرن لأحوال شريفة

تدريب القلب على المحبة

يصعب على المبتدئ المحبة القلبية ... مباشرة بدون مقدمات للمحبة الربانية

حيث محبة الله تتطلب القلب الواسع ... وقلب المبتدئ ضيق غير نافع

لا بد من تمرينه وتدريبه على التدرج ... في سلوك طرق الحب لغاية التخرج

إِذَا أَحَبَّ ٱلعَبْدُ شَيْئًا أَشْغَلَ قَلْبَهُ   فَتَتَوَسَّعُ مَسَاحَةٌ بِٱلقَلْبِ حَسَبَ حُبِّهِ

يَبْقَىٰ يَعِيشُ بِٱلمَحَبَّةِ ٱلإِنسَانِيَّةِ مُدَّةْ   وَيَنْتَقِلُ مِنْ وَاحِدٍ لِآخَرَ عَلَىٰ حِدَةْ

فَإِذَا أَحَبَّ وَالِدَيْهِ تَهَيَّأَ وَتَوَسَّعَ   وَإِذَا أَحَبَّ إِخْوَتَهُ ٱزْدَادَ بِٱلحُبِّ وَتَرَفَّعَ

وَيَزْدَادُ ٱلتَّوَسُّعُ إِذَا تَزَوَّجَ بِٱلإِنسِيَّةِ   وَيَزْدَادُ حُبًّا وَتَوَسُّعًا بِطَرِيقَةٍ نُورَانِيَّةِ

خُصُوصًا إِنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِٱلأَوْلَادِ   يَقْوَىٰ ٱلتَّوَسُّعُ وَيُصْبِحُ ٱلحُبُّ بِٱزْدِيَادِ

إِلَىٰ أَنْ يُصْبِحَ مُهَيَّأً لِلعَمَلِ بِٱلمَحَبَّةِ ٱلرَّبَّانِيَّةْ   فَيَرْزُقُهُ ٱللهُ سُلُوكًا وَأَعْمَالًا قَلْبِيَّةْ

يَتَدَرَّجُ بِٱلمَحَبَّةِ ٱلإِلَهِيَّةِ حَسَبَ ٱلتَّرَقِّي   حَتَّىٰ يُصْبِحَ ذَا قَلْبٍ صَافٍ مُمْتَلِئٍ نَقِيّ

فَتَهْبِطُ عَلَيْهِ أَنْوَارُ ٱلمَحَبَّةِ ٱلإِلَهِيَّةِ   وَعَلَىٰ قَلْبِهِ بِٱلأَنْوَارِ وَٱلرَّحَمَاتِ ٱلقُدْسِيَّةِ

فَيَغْلِبُ ذَٰلِكَ ٱلحُبُّ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلقَلْبِ   وَيُحَجِّبُ مَا فِيهِ غَيْرَ حُبِّ ٱلرَّبّ ﷻ

فَيَنْحَجِبُ قَلْبُهُ عَنْ أَحْبَابِهِ مُعْتَرِفَا   وَيَنْشَغِلُ بِحُبِّ مَوْلَاهُ مَشْغُوفًا مُتَشَرِّفَا

كَيْفِيَّةُ ٱلحُصُولِ عَلَىٰ مَحَبَّةِ ٱلمُرْشِدِ بِٱلرَّابِطَةِ

مَحَبَّةُ ٱلمُرْشِدِ هِيَ رَمْزٌ مَتِينْ   فِي تَقْوِيَةِ ٱلرَّابِطَةِ بِقَلْبِ ٱلمُرِيدِينْ

وَتَزْدَادُ حَسَبَ إِخْلَاصِ وَصَفَاءِ ٱلمُرِيدْ   وَخِدْمَتِهِ وَصِدْقِهِ وَبِهَا ٱلمَحَبَّةُ تَزِيدْ

وَتَتَطَوَّرُ ٱلمَحَبَّةُ وَتَنْمُو بِٱلمُرَاقَبَةِ ٱلرُّوحِيَّةِ   حَسَبَ مَا يَهْبِطُ عَلَيْهَا مِنَ ٱلرَّحَمَاتِ ٱلقُدْسِيَّةِ

كُلَّمَا كَانَتِ ٱلمَشْغُولِيَّةُ بِٱزْدِيَادٍ بِلَا حَرَكَةْ   كُلَّمَا ٱزْدَادَتِ ٱلفُتُوحُ وَتَوَسَّعَتِ ٱلبَرَكَةْ

فَيَكُونُ ٱلتَّسَابُقُ لِلحُصُولِ عَلَىٰ مَلَكَةِ ٱلرَّابِطَةِ   بَيْنَ ٱلسَّالِكِينَ أَصْحَابِ ٱلأَقْدَامِ ٱلثَّابِتَةِ

وَلَهَا دُسْتُورٌ خَاصٌّ عِنْدَ ٱلسَّادَةْ   تَوْحِيدٌ عَمِيقٌ وَطَاعَاتٌ وَأَذْكَارٌ وَعِبَادَةْ

وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقٌ وَصِيَامٌ وَمُرَاقَبَةْ   وَهِجْرَانُ ٱلحَرَامِ وَٱلمَعَاصِي وَٱلمُشَاغَبَةْ

وَتِلَاوَةُ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ بِلِسَانٍ نَظِيفْ … وَقَلْبٍ ذَاكِرٍ حَيٍّ مِنَ ٱلْأَثْقَالِ خَفِيفْ

وَسَهَرٌ وَخَلَوَاتٌ وَتَفَكُّرٌ صَافٍ عَمِيقْ … وَإِجَازَةٌ بَاطِنِيَّةٌ مِنْ مُرْشِدِ ٱلطَّرِيقْ

إِلَىٰ أَنْ تَلُوحَ إِشَارَاتٌ بَعِيدَةْ … فَيَسْتَشْعِرُ ٱلْقَلْبُ فِي بِشَارَاتٍ سَعِيدَةْ

فَتَزْدَادُ ٱلْمَحَبَّةُ حَسَبَ ٱلْأَعْمَالِ وَٱلرِّيَاضَةِ … لِغَسْلِ جَنَابَةِ ٱلْمَعْصِيَةِ وَرَذَائِلِ ٱلْإِحَاضَةِ

وَيُتَابِعُ بِجُهْدٍ لِٱسْتِحْضَارِهَا بِفِكْرٍ مُتَوَاصِلِ … كُلَّمَا غَابَتْ يُعِيدُ تَخَيُّلَهُ بِذَا ٱلْفَاصِلِ

وَيَمْلَأُ أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ بِتِلْكَ ٱلْعَمَلِيَّةِ … بِمُجَاهَدَاتٍ بَاطِنِيَّةٍ وَظَاهِرِيَّةٍ قَوِيَّةِ

حَتَّىٰ تَزْدَادَ دَقَّاتُهَا نَحْوَ ٱلشَّمَالْ … لَا بَأْسَ بِشُعُورِ أَلَمٍ إِنْ لَهَا مَالْ

فَتَأْتِيهِ عَوَارِضُ وَوَسَاوِسُ تَمْنَعُهُ … مِنْ مُتَابَعَةِ ٱلْفَائِدَةِ وَلِلْغَفْلَةِ تَدْفَعُهُ

وَيَتَمَلَّكُهُ ثِقَلٌ غَلِيظٌ وَٱنْحِطَاطٌ مُنَوِّمْ … فَلَا يُبَالِي بِهِ وَلْيُقَاوِمْ فَلْيُقَاوِمْ

فَيُقَادُ بِتِلْكَ ٱلْحَالَةِ لِمُحَارَبَةِ ٱلْأَمَّارَةِ … فَتُصْبِحُ خَائِفَةً مِنْ إِصَابَتِهَا بِغَارَةِ

حَيْثُ ٱلْمُرْشِدُ يَتَرَصَّدُ لَهَا وَيُرَاقِبُ … مَنْ مِنَ ٱلْمُرِيدِينَ يُحِبُّ ٱلْغَفْلَةَ وَيُشَاغِبُ

وَكُلَّمَا مَالَ ٱلْمُرَابِطُ لِلطَّاعَةِ وَٱلْعِبَادَةِ … كُلَّمَا كَانَ نَصِيبُهُ أَوْفَرَ وَحَظُّهُ بِزِيَادَةِ

إِلَىٰ أَنْ يَظْهَرَ خَيْطُ ٱلنُّورِ ٱلْأَزْرَقْ … وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ ٱلْخَيْرَ فِيهِ أَشْرَقْ

حَتَّىٰ يُسَيْطِرَ عَلَيْهَا ٱلسَّالِكُ ٱلْمُرِيدْ … وَيَحْصُلَ عَلَىٰ تَاجِ قُدُرَاتِهَا ٱلْعَتِيدْ

ٱلَّذِي بِهِ يَقْطَعُ ٱلْأَشْوَاطَ ٱلْمَرِيرَةْ … وَتُضَاءُ ٱللَّطَائِفُ وَتُزَكَّىٰ ٱلسَّرِيرَةْ

فَتُصْبِحُ ٱلنَّفْسُ عَلَىٰ غِذَاءِ ٱلرُّوحِ مُعْتَادَةْ … وَتَتَلَقَّىٰ ٱلْأَوَامِرَ مِنْ أَعْلَىٰ قِيَادَةْ

فِي ٱلِٱتِّجَاهِ ٱلصَّحِيحِ تَقُودُ صَاحِبَهَا … إِذَا غَفَلَ كَإِبْرَةٍ بِقَلْبِهِ يَغْرِزُهَا

فَيَصْحُو مَذْعُورًا مِنْ غَفْلَتِهِ ٱلْعَمِيقَةِ … وَيَعُودُ سَرِيعًا لِلرَّابِطَةِ وَلِٱسْتِقْبَالِ ٱلْحَقِيقَةِ

حَيْثُ يُحَرِّكُهَا ٱلْمُرْشِدُ بِنَظَرَاتٍ نُورَانِيَّةِ … وَتَسْعَىٰ لِلْوُصُولِ لِحَالَةِ ٱلرَّاضِيَةِ ٱلْمَرْضِيَّةِ

فَتَظْهَرُ ٱلرَّابِطَةُ بَعْدَهَا بِأَشْكَالٍ مُدْهِشَةِ … فَإِنْ نَالَهَا تُصْبِحُ نَفْسُهُ بِحَالَةٍ مُرْتَعِشَةِ

فَتَنْجَلِي بِوُضُوحٍ لِلْمُرَابِطِ سَرِيعَةً بَرَّاقَةْ   وَيَذُوقُ بِقَلْبِهِ حَرَارَةً نَاعِمَةً حَرَّاقَةْ

فَيَنْتَعِشُ فِكْرُهُ وَقَلْبُهُ لِلْاِنْبِسَاطِ   فَيَدُلُّ ذَلِكَ أَنَّهُ سَلِيمُ الْاِرْتِبَاطِ

أَمَّا إِذَا اسْتَشْعَرَ بِخَوْفٍ مُؤْلِمْ   وَهُوَ بِالرَّابِطَةِ فِي جَوٍّ مُعْتِمْ

وَاشْمِئْزَازٍ فِي قَلْبِهِ وَضِيقٍ وَقَبْضِ   فَلْيَتْرُكْهَا لِيُرِيحَ قَلْبَهُ مِنْ سُرْعَةِ النَّبْضِ

هَلْ تَبْقَى الرَّابِطَةُ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُرْشِدِ ؟

بَعْدَ وَفَاةِ الْمُرْشِدِ الْعَتِيدِ   يَعِيشُ كُلُّ مُخْلِصٍ بِأَلَمٍ شَدِيدِ

فَيَحْتَرِقُ فُؤَادُهُ وَيَمْتَلِئُ بِالْحُزْنِ وَاللَّوْعَةْ   لِأَنَّ كَبِدَهُ تَلَقَّى ضَرْبَةً مُوجِعَةْ

فَيَتَوَقَّفُ الْقَلْبُ عَنِ الْعَمَلْ   إِنْ كَانَ فِي سُلُوكِهِ مَا كَمَلْ

لِأَنَّهُ بِغِيَابِ الْمُرْشِدِ عَنْ أَرْضِ التَّكْلِيفِ   تَتَغَيَّرُ أُمُورٌ رُوحِيَّةٌ كَثِيرَةٌ عَنِ التَّوْظِيفِ

وَتَتَبَدَّلُ الْعَلَاقَاتُ عَلَى أَقْسَامٍ مُتَنَوِّعَةْ   وَتَقَعُ بَيْنَ الْمُرِيدِينَ حَوَادِثُ مُرَوِّعَةْ

فَبَعْضُهُمْ يَأْمُرُ الْمُبْتَدِئِينَ ، بِغَيْرِ عِلْمٍ ، بِمُتَابَعَةِ   الرَّابِطَةِ ، وَهَٰذِهِ أُمُورٌ غَيْرُ نَافِعَةِ

إِذْ لَمْ تَظْهَرْ لَهُ أَيَّةُ إِشَارَةٍ عِرْفَانِيَّةِ   وَهَذَا خُرُوجٌ عَنْ آدَابِ الطُّرُقِ الرُّوحِيَّةِ

فَيُصَابُ الْكَثِيرُ بِعِلَلٍ وَوَسَاوِسْ   لِأَنَّ الْمُبْتَدِئَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ فَارِسْ

بَعْدَ رَحِيلِ الْمُرْشِدِ تَتَغَيَّرُ الْإِشَارَاتْ   وَتُقْفَلُ الْأَبْوَابُ وَتُفْتَحُ مَغَالِيقُ الْبِشَارَاتْ

فَمَنْ كَانَ مُهَيَّئًا لِمُتَابَعَةِ الْقُرْبِ الرَّبَّانِيِّ   يَدْعَمُهُ اللهُ بِفَيْضٍ نُورَانِيِّ

فَيَزْدَادُ شُعُورُهُ وَإِحْسَاسُهُ الرُّوحَانِيّ   وَيُلْهَمُ لِمَعْرِفَةِ طَرِيقِ الْبَاقِي مِنَ الْفَانِي

فَهَذَا لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى دَلِيلِ   لِيُشِيرَ عَلَيْهِ بِنَوْعِيَّةِ مُتَابَعَةِ مَحَبَّةِ الْجَلِيلِ

لِأَنَّهُ يَتَلَقَّى أَنْوَاعًا مِنَ الْأَمْدَادِ الْمُبَارَكَةِ   مَعَ كُلِّ نَقْلَةٍ بَاطِنِيَّةٍ مُتَفَاوِتَةِ

فَيُصْبِحُ مَعَ ٱلسُّلُوكِ حَالَةٌ وَاحِدَةْ   يَفْهَمُ ٱلنَّقْلَةَ ٱلثَّابِتَةَ عَنِ ٱلشَّارِدَةْ

هَؤُلَاءِ مِمَّنْ رَبَّاهُ فِي أَعْمَاقِ ٱلْبَاطِنْ   ٱلْمُرْشِدُ ٱلرَّاحِلُ ٱلَّذِي بِٱلْجِنَانِ سَاكِنْ

قَبْلَ رَحِيلِ ٱلْمُرْشِدِ عَنْ أَرْضِ ٱلْفَنَاءِ   أَبْقَىٰ لَهُ إِسْعَافَاتٍ مَحْفُوفَةً بِٱلضِّيَاءِ

تَسْقِيهِ وَيَشْرَبُ مِنْهَا عَلَىٰ فَتَرَاتِ   يَشْرَبُ بِقَلْبِهِ وَيَسْقِي مِنْهَا قَطَرَاتِ

فَتَعُودُ إِلَيْهِ صُورَةُ ٱلرَّابِطَةِ بَعْدَ غِيَابِ   مُرْشِدِهِ فَتَظْهَرُ عَلَيْهِ بِعِزِّ ٱلشَّبَابِ

بِنُورٍ جَدِيدٍ وَوَرْشَةٍ حَدِيثَةٍ وَمَعْلُومَاتِ   بِنَوْعِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ عَنْ سَائِرِ ٱلذَّوَاتِ

لَا تُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْمَوَانِعُ ٱلْبَشَرِيَّةُ   مَهْمَا تَرَاكَمَ عَلَيْهِ ٱلضَّرَرُ وَٱلْأَذِيَّةُ

فَهُوَ دَائِمًا جَاهِزٌ لِٱسْتِقْبَالِ ٱلْعَطَاءِ   حَيْثُ كُشِفَ لَهُ مَا تَحْتَ ٱلْغِطَاءِ

يَتَلَقَّىٰ ٱلْأَنْوَارَ وَبَرْقَهَا ٱللَّامِعَ   بِقَلْبٍ قَوِيٍّ يَتَحَمَّلُ ٱلثِّقْلَ ٱلْوَاقِعَ

وَٱسْمُهُ مُدَوَّنٌ فِي دِيوَانِ ٱلْعَارِفِينَ   مَرْسُومٌ فِي وَجْهِهِ صِفَةُ ٱلْعَاشِقِينَ

فَيُصْبِحُ مُرْشِدًا مُسْتَقِلًّا لِلطَّالِبِينَ   بَعْدَمَا يَجْتَمِعُ بِمُرْشِدِهِ وَحَضْرَةِ خَيْرِ ٱلنَّبِيِّينَ ﷺ

بَعْدَمَا سَلَّمَ مُرْشِدَهُ مَا أَعْطَاهُ قَبْلَ ٱلرَّحِيلِ   وَيَسْتَلِمُ ٱلْمَوَاهِبَ ٱلْجَدِيدَةَ بِهَذَا ٱلْقَبِيلِ

ٱلَّتِي قَدْ تَفُوقُ ٱلسَّابِقَةَ بِمَقَايِيسَ لَا تُقَدَّرُ   فَتَتَبَدَّلُ سَائِرُ لَطَائِفِهِ وَأَكْثَرُ

وَتَتَغَيَّرُ رُمُوزُ سُلُوكِ دَرْبِهِ   بِٱتِّجَاهَاتٍ جَدِيدَةٍ وَمُدْهِشَةٍ لِقَلْبِهِ

فَتَعُودُ إِلَىٰ نَوَاظِرِهِ قُوَّةُ رُوحَانِيَّتِهِ   وَتَهْبِطُ عَلَىٰ إِحْسَاسَاتِهِ جَذَبَاتٌ حَسَبَ قُوَّتِهِ

فَيَزْدَادُ قُوَّةً وَيَقْوَىٰ بِهَا إِيمَانُهُ   وَلَكِنْ بِأَلَمٍ أَشَدَّ مِنْ وَجَعِ أَسْنَانِهِ

فَيُصْبِحُ رَاقِيًا مُتَطَوِّرَ ٱلْمَنْظُورِ   لَا يَهُمُّهُ نَقْرُ ٱلْأَلْسُنِ فَهِيَ كَذَرْقِ ٱلطُّيُورِ

فَيُلَازِمُهُ ٱلتَّفَكُّرُ بِٱلْوَعْدِ وَٱلْوَعِيدْ   وَعَلَيْهِ أَنْ يُجَدِّدَ سُلُوكَهُ وَلَهُ يُعِيدْ

فَتُصِيبُهُ نَفَحَاتٌ تَشُوبُهُ بِٱلْمَخَاوِفِ   وَيَلْتَقِي بِحَوَادِثَ مَمْلُوءَةٍ بِٱلْمَعَارِفِ

فَيَعِيشُ مُدَّةً بِكَدَرٍ وَوَبَالِ   وَيَسْتَغِيثُ بِرَبِّهِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْحَالِ

فَيَظُنُّ أَنَّهُ لَاحَتْ إِشَارَةُ ٱلنِّهَايَةِ ... فَيَرْزُقُهُ رَبُّهُ نُقْطَةَ رُمُوزِ ٱلْبِدَايَةِ

بَعْدَمَا طُحِنَتْ عِظَامُهُ بِطَاحُونِ ٱلتَّدْرِيبِ ... وَجُرِشَتْ أَفْكَارُهُ بِجَارُوشٍ رَهِيبِ

وَبَعْدَ أَنْ ذَاقَ مِنْ كُلِّ وَيْلٍ لَمَّةْ ... وَذَاقَ مِنْ كُلِّ جَمْرَةٍ غُمَّةْ

فَتُعَالَجُ جُرُوحُهُ بِمَرَاهِمِ ٱلْقَبُولِ ... وَيَتَسَاقَطُ عَلَىٰ قَلْبِهِ كُلُّ مَنْقُولِ

فَتَظْهَرُ لَهُ صُورَةُ مُرْشِدِهِ ٱلْجَدِيدَةِ ... آتِيَةً مِنَ ٱلْعَوَالِمِ ٱلرُّوحَانِيَّةِ ٱلْبَعِيدَةِ

فَيَتَلَقَّفُهَا بِشِدَّةٍ قَوِيَّةٍ وَٱشْتِيَاقِ ... بَعْدَ ٱنْقِطَاعٍ طَوِيلٍ لِلْمُشَاهَدَةِ وَٱلْاحْتِرَاقِ

فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مَا كَانَ يُقَاسِيهِ هُوَ لِلْعِلَاجِ ... وَٱلتَّدْرِيبِ تَوْسِعَةً لِقَلْبِهِ ٱلْمُحْتَاجِ

لِيَزْدَادَ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ مِنْ عَالَمِ ٱلْحَقِيقَةِ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَسَاعَةٍ وَدَقِيقَةٍ

فَيَنْتَقِلُ مِنْ أَرْضِيَّةٍ دُمِّرَتْ فِيهَا آلَاتُهْ ... وَتَبَدَّلَتْ فِيهَا بَوَاطِنُ رُمُوزِ مَعْنَوِيَّاتِهْ

إِلَىٰ مُنَاخٍ جَدِيدٍ تَنَوَّرَتْ فِيهَا صِفَاتُهُ ... وَتَجَمَّعَتْ فِيهَا عُدَّتُهُ وَوَارِدَاتُهُ

عَلَىٰ مَدَاخِلِ قَلْبِهِ وَمَنَافِذِهِ ٱلْجِهَادِيَّةْ ... ٱلَّتِي تَرَاكَمَتْ فِيهَا ٱلْهُمُومُ ٱلرُّوحِيَّةْ

بَعْدَ رَحِيلِ أَقْرَبِ إِنْسَانٍ لِحَيَاتِهِ ... فَتَعُودُ إِلَيْهِ ٱلْهِمَّةُ بَعْدَ مَمَاتِهِ

وَتَأْتِي لَهُ ٱلْإِشَارَةُ ٱلْقَلْبِيَّةُ بِٱلْعَمَلْ ... حَسَبَ مَا رَسَمَتْهُ لَهُ ٱلْأَوْلِيَاءُ ٱلْكُمَّلْ

وَيُقْذَفُ إِلَىٰ بَاطِنِهِ ٱلْمُنَوَّرِ ٱلْمِفْتَاحْ ... بَعْدَ أَنِ ٱنْتَهَىٰ سُلُوكُهُ لِلْمَلِكِ ٱلْفَتَّاحْ

وَلَا يَتَقَبَّلُ بَعْدَهَا ٱلْهَوَاجِسَ ٱلْعَلِيلَةْ ... مَهْمَا تَزَخْرَفَتْ وَٱزَّيَّنَتْ بِٱلْخَوَاطِرِ ٱلرَّذِيلَةْ

فَيُصْبِحُ نَظِيفَ ٱلْخَوَاطِرِ وَٱلْمُرَاقَبَةْ ... وَيَصْعُبُ عَلَىٰ ٱلشَّيْطَانِ أَنْ يَغْلِبَهْ

فَتَنْفَضِحُ لَهُ سُمُومُهُ ٱلْقَاتِلَةُ ٱلْخَفِيَّةْ ... وَتُكْشَفُ لَهُ ٱلْخَيَالَاتُ وَٱلْأَمْرَاضُ ٱلْهَوَائِيَّةْ

فَيُصْبِحُ مُرْشِدًا مُسْتَقِلًّا لِلطَّالِبِينَ ... بَعْدَمَا يُشَاهِدُ مُرْشِدَهُ وَخَيْرَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﷺ

فَيَجْتَمِعُ بِهِمْ رُوحِيًّا وَيَنَالُ ٱلْإِجَازَةَ ٱلرَّاقِيَةْ ... بَعْدَ سَلَامَتِهِ مِنَ ٱلْمَخَاطِرِ وَمِنْحِهِ ٱلْعَافِيَةْ

سماحة الشيخ الفاضل، الحافظ لكتاب الله العلامة الشهير سعيد الجندي
تولد في بيروت ودفن في حلب (و 1229هـ - ت 1316هـ)

علامة زمانه الشيخ عبد الباسط فاخوري (و 1858م)

ٱلتَّعْرِيفُ ٱلْمَرْغُوبُ بِرَابِطَةِ ٱلْقُلُوبِ

ٱلرَّابِطَةُ كَٱلرِّئَةِ فِي ٱلْمَفَاصِلِ ٱلرُّوحِيَّةِ   وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ ٱلْأَدْعِيَةِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ

تَحْقِنُ بِجُرُعَاتٍ رُوحِيَّةٍ دَافِعَةٍ لِلْمَعْرِفَةْ   وَهِيَ كَغُرْفَةِ مُخْتَبَرَاتٍ لِلْبَاطِنِ مُشَرِّفَةْ

لُقِّبَتْ بِعَامُودٍ فِقْرِيٍّ ٱلْأَذْكَارِ وَٱللَّطَائِفْ   تُنَوِّرُ ٱلنَّفْسَ وَٱلْقَلْبَ وَتَدْفَعُ ٱلْمَخَاوِفْ

وَتُورِثُ ٱلسَّكِينَةَ وَٱلْمَدَدَ وَٱلِٱطْمِئْنَانْ   وَٱلْمَعْرِفَةَ وَٱلْخُشُوعَ وَتُقَرِّبُ لِلرَّحْمٰنْ ﷻ

وَتُشَوِّقُ لِلّٰهِ وَرُسُلِهِ ﷺ وَآلِ ٱلْمُصْطَفَىٰ   وَٱلصَّحْبِ ﵃ ٱلْكِرَامِ وَأَهْلِ ٱلصِّدْقِ وَٱلْوَفَا

وَتُزِيلُ ٱلْأَزَمَاتِ ٱلصَّعْبَةِ حِينَ ٱلِٱسْتِجَابَةِ   وَيَفْتَحُ نُورُهَا حُجُبَ ٱلْمَغَالِيقِ ٱلْمُسْتَطَابَةِ

فَهِيَ تَجْمَعُ وَتُوصِلُ بِٱللّٰهِ ٱلْمُنْقَطِعِينْ   وَتُورِثُ ٱلتَّمَسُّكَ بِحَبْلِ ٱللّٰهِ ٱلْمَتِينْ

فَهِيَ لِطِبِّ ٱلْقُلُوبِ وَٱلنُّفُوسِ وَٱلْإِصْلَاحْ   لَيْسَ ٱلْمَحْرُومُ كَمَنْ نَالَ ٱلْمَعْرِفَةَ وَٱلْفَلَاحْ

بِدَايَتُهَا ٱلْإِيمَانُ وَٱلتَّوْحِيدُ وَٱلصَّبْرُ ٱلْمَرِيرْ   وَٱلتَّحَمُّلُ وَهِجْرَانُ كُلِّ ذَنْبٍ خَطِيرْ

وَهِيَ مُطِلَّةٌ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِ ٱلنُّورَانِيّ   تَنْتَقِلُ إِلَيْهِ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَوَانِي

تَتَوَلَّدُ وَتَكْبُرُ مِنْ كُتْلَةٍ نُورَانِيَّةٍ مُبَارَكَةِ   حَسَبَ طَاعَةِ ٱلْمُرَابِطِ بِتِلْكَ ٱلْحَرَكَةِ

تَتَشَكَّلُ لِلتَّابِعِ حَسَبَ صُورَةِ ٱلْمَتْبُوعِ   لِيَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا حِفْظًا مِنَ ٱلْوُقُوعِ

فِي صُوَرٍ أَشْكَالٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمُخْتَلِفَةْ   وَإِلَّا تُصْبِحُ مُرَابَطَتُهُ خَاطِئَةً مُتْلِفَةْ

وَٱلرَّبْطُ وَٱلرَّابِطَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ   وَٱلِٱنْتِظَارُ مَعَ ٱلطَّاعَةِ لِٱسْتِقْبَالِ ٱلْخَيْرِ

أَفَاضَ ٱللّٰهُ عَلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ٱلْبَرَكَاتِ   بِرَبْطِ فُؤَادِهَا عَنْ مَضَرَّةِ ٱلْآفَاتِ

لَوْلَا ذَٰلِكَ ٱلرَّبْطُ ٱلرَّبَّانِيُّ ٱلْبَدِيعْ   لَفَضَحَتْ أُمُّ مُوسَى طِفْلَهَا ٱلرَّضِيعْ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص ١٠)

فَتَحَمَّلَتِ ٱلِٱمْتِحَانَاتِ وَٱلْبَلَايَا وَٱلشَّدَائِدْ   وَصَبَرَتْ عَلَى ٱلْبَلَاءِ وَٱلْمَكْرِ وَٱلْمَكَائِدْ

فَكُلُّ ٱنْتِظَارٍ شَرْعِيٍّ دِينِيٍّ تَعَبُّدِيّ   فَهُوَ تَرَابُطٌ مَعَ بَرَكَاتِ رَبِّي

(آل عمران ٢٠٠)

قَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾



التَّأَمُّلُ الحَقِيقِيُّ لِلوُصُولِ لِمَعَانِي الرَّابِطَةِ

إِنَّ إِحْضَارَ الرَّابِطَةِ لَهُ دُسْتُورْ   هُوَ التَّفَكُّرُ وَالتَّدَبُّرُ بِهَا لِلْعُبُورْ

بِمَكَانٍ هَادِئٍ خَفِيفِ الأَضْوَاءِ   بَعِيدٍ عَنِ الضَّجِيجِ لِلْحُصُولِ عَلَى الصَّفَاءِ

قَدْ يَسْتَغْرِقُ التَّفَكُّرُ الوَقْتَ الطَّوِيلْ   بَعْدَهُ تَظْهَرُ إِشَارَاتُ مَحْبُوبِهِ الجَمِيلْ

تَتَشَكَّلُ الرَّابِطَةُ كَمَا اللهُ يُرِيدُ   وَيَسْبِقُهَا بُرُوقٌ وَلَمَعَانٌ وَمَزِيدُ

تَظْهَرُ عَلَى الجُدْرَانِ أَوْ بِالفَضَاءِ   فَتُشَاهِدُهَا العُيُونُ مَعَ الضِّيَاءِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْعُرُ بِحَرَارَةٍ رَقِيقَةِ   تِلْكَ إِشَارَاتُ رَابِطَةِ الطَّرِيقَةِ

وَتَظْهَرُ صُوَرٌ سَرِيعَةٌ مُتَنَوِّعَةُ الأَلْوَانْ   لَا يَلْقَاهَا إِلَّا المُوَاظِبُونَ الشُّجْعَانْ

تَسْبِقُهَا مُضَايَقَاتٌ وَعَوَارِضُ وَمَلَلُ   إِنْ دَفَعَهَا بِالمُتَابَعَةِ زَالَ المَلَلُ

وَيَجِبُ مُتَابَعَةُ التَّخَيُّلِ بِأَوْقَاتٍ مُتَوَاصِلَةِ   لِأَنَّهَا تَنْمُو بِالتَّدَرُّجِ بِلَا فَاصِلَةِ

فَالبِدَايَةُ قَاسِيَةٌ وَيَتَخَلَّلُهَا مُجَاهَدَاتْ   مِنْ عِبَادَةٍ وَالقِيَامِ لِلْمُسْلِمِينَ بِبَعْضِ الخَدَمَاتْ

لِأَنَّ الأَعْمَالَ مَرْبُوطَةٌ بِالأَجْرِ وَالثَّوَابِ   وَالخِدْمَةُ وَالإِحْسَانُ مِنْ أَكْبَرِ الأَبْوَابِ

فَإِذَا وَصَلَ فَلَكُ الرَّابِطَةِ لِأَطْرَافِ القَلْبِ   يَتَذَوَّقُ المُرَابِطُ مَعْنَوِيَّاتِ القُرْبِ

فَتَحُفُّهُ أَنْوَارُهَا كَالشَّمْسِ المُضِيئَةِ   وَيَفُوقُ جَمَالُهَا البَدْرَ عِنْدَ الحَقِيقَةِ

يَسْبِقُ ظُهُورَهَا عِلَاجٌ وَمُقَدِّمَاتْ   يُجَهِّزُ القَلْبَ بِرَكَائِزِ العِنَايَاتْ

تُحِيطُهُ وَتُغَذِّيهِ لِلْحِمَايَةِ الكَامِلَةِ   حَتَّى لَا يَسْقُطَ عَنْ رَكِيزَتِهِ الشَّامِلَةِ

لِأَنَّ الأَنْوَارَ لِلْقَلْبِ ثَقِيلَةٌ فَتُبْلِيهِ   إِذَا سَقَطَتْ عَلَيْهِ بِلَا عِنَايَةٍ تُضْنِيهِ

لِلتَّخَاطُرِ بِالرَّابِطَةِ أُمُورٌ مُدْهِشَةْ   إِذَا تَمَلَّكَتْ بِالرُّوحِ تُصْبِحُ لَهَا مُنْعِشَةْ

وَٱلنَّفسُ تُصبِحُ لِلعَطَاءِ مُتَحَيِّرَةً مُنبَهِرَةً ... فَتُطِيعُ خَوفًا وَقَهرًا مُتَعَجِّبَةً مُنصَهِرَةً

كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يُشَاهِدُ بِٱلمَنَامِ ... أُمَّهُ ٱلمُتَوَفَّاةَ أَوْ زَيْدًا مِنَ ٱلأَنَامِ

فَهَذِهِ رَابِطَةٌ قَلبِيَّةٌ حَصَلَتْ بِلَا مُجَاهَدَةٍ ... فَهَذَا تَذكِيرٌ لِلأَنَامِ وَٱلأُمَّةِ ٱلعَابِدَةِ

وَفِيهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عِندَ رُؤيَةِ ٱلغَائِبِ ٱلإِنسَانِ ... حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا بِسَائِرِ ٱلأَزمَانِ

مَنْ يُشغِلْ فِكرَهُ بِٱلأَشيَاءِ تُطبَعْ بِذَاكِرَتِهِ ... فَإِذَا طَلَبَهَا تُعرَضْ فِي مُخَيِّلَتِهِ

فَٱلأَفضَلُ ٱلإِنشِغَالُ بِصِفَاتِ ٱلصَّالِحِينَ ... لِنَنتَقِلَ بَعدَهَا لِأَوصَافِ سَيِّدِ ٱلمُرسَلِينَ ﷺ

ثُمَّ لِتَجَلِّي رَبِّ ٱلعَالَمِينَ بِصُحبَةِ ٱلذَّاكِرِينَ ... لِنَصِلَ لِمَقَامَاتِ ٱلسَّالِكِينَ ٱلمُتَحَيِّرِينَ

مَنْ قَذَفَ ٱللهُ بِقَلبِهِ ٱلإِلهَامَاتِ ... يَفهَمْ مَا شَرَحنَا وَفَصَّلنَا مِنْ إِشَارَاتِ

وَيَسبِقُ وُصُولَ ٱلوَلِيِّ ٱلكَامِلِ مُشَاهَدَاتٌ ضَخمَةٌ ... كَمُرُورٍ لِنُورِ ٱلعَرشِ وَبَاقِي ٱلعَظَمَةِ

مُشَاهَدَةُ ٱلرَّابِطَةِ ٱلجَدِيدَةِ

قَدْ تَظهَرُ لِلبَعضِ ٱلرَّابِطَةُ ٱلصُّورِيَّةُ ... وَهُوَ يَعمَلُ فِي ٱلطَّرِيقَةِ ٱلعَلِيَّةِ

فَتَتَكَرَّرُ مَرَّاتٍ وَتَتَنَوَّعُ بِظُهُورِهَا ... بِأَشكَالٍ تُرِيحُ ٱلقَلبَ وَلِلنَّفسِ تُنِيرُهَا

فَيَظهَرُ لَهُمُ ٱلسَّالِكُ ٱلمُسِنُّ بِشَكلِ ٱلشَّبَابِ ... لَا شَيبَ فِيهِ وَلَا كِبَرَ مِنْ وَرَاءِ ٱلحِجَابِ

وَيَكُونُ بِخِدمَةِ سَيِّدِ ٱلوُجُودْ ... ٱلسَّالِكُ وَٱلمُرشِدُ بِٱلصُّورَةِ مَوجُودْ

فَتِلكَ هِيَ إِشَارَةٌ طَيِّبَةٌ وَاضِحَةٌ ... وَبَيَانٌ وَبِشَارَةٌ لِلسَّالِكِ نَاجِحَةٌ

تَدُلُّ عَلَى وُصُولِهِ لِمَقَامِ ٱلإِرشَادِ ... فَتَظهَرُ صُورَتُهُ لِلمُشَاهَدَةِ لِأَكثَرِ ٱلعِبَادِ

فَبِٱلمُشَاهَدَةِ قَدْ يُلهَمُ وَيَعرِفُ ... أَنَّ ٱلسَّالِكَ لِلوُصُولِ قَدْ تَشَرَّفْ

وَٱلسَّالِكُ يَعلَمُ أَنَّهُ بِهَذَا ٱلحَالِ ... لَكِنَّهُ يَكتُمُ وَيُخفِي مَا فِي ٱلبَالِ

لِأَنَّـهُ يَسْبَحُ فِي مَعَـارِفَ كَثِيـرَةٍ يُعَرِّفُهُ مَوْلَاهُ عَلَـىٰ ٱلنَّفْسِ ٱلتَّقِيَّةِ وَٱلشِّرِّيرَةِ

فَمَـنْ كَـانَ حَالُـهُ بِمِثْلِ ذَلِـكَ لَيْـسَ بِحَاجَةٍ لِدَلِيلٍ أَنَّـهُ كَذَلِـكَ

وَلَكِـنَّ حَيَاءَهُ وَخَجَلَهُ يَطْـوِي لِسَانَهُ فَـتَرَىٰ بَعْضَـهُمْ شَتَمَهُ وَبَعْضَـهُمْ خَانَـهُ

فَلَا يَعْمَلُ إِلَّا بِظُهُورِ ٱلإِجَازَةِ وَٱلإِشَارَةْ لِيُرْشِدَ ٱلعِبَادَ وَيُسَاعِدَ فِي سُلُوكِ ٱلحَيَارَىٰ

فَيُصْبِحُ مَعْجُونًا بِٱلجَمَالِ ٱلنُّورَانِيِّ ٱلخَارِقْ مَحْفُوفًـا بِـٱلأَنْوَارِ ذَا نَظَـرٍ خَـارِقْ

لَا تَسْتَغْرِبْ أَيُّهَا ٱلقَارِئُ مَـا نَقُـولُ فَـٱعْتَقِدْ وَلَا تَقُلْ هَـلْ هَـٰذَا مَعْقُـولُ

وَٱقْـرَأْ قَـوْلَ ٱللهِ تَعَـالَىٰ بِكِتَابِـهِ وَاصِفًا يُوسُفَ ٱلصِّدِّيقَ (عليه السلام) ٱلَّذِي مِنْ أَحْبَابِهِ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف ٣١) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (القصص ١٤)

يَصِلُ ٱلسَّالِكُ بِهَٰذِهِ ٱللَّطَائِفِ وَٱلأَحْوَالِ إِلَىٰ سُلْطَانِ ذِكْـرِ ٱلكُـلِّ وَٱلكَمَـالِ

وَتَصِيرُ ٱلأَنْوَارُ تَهْبِطُ عَلَـىٰ كُلِّ ٱلجَسَدِ وَعَلَىٰ ٱلقَلْبِ وَٱلعَقْلِ وَٱلعَظْمِ وَٱلكَبِدِ

يُقَالُ لَهُ هَـٰذَا رَجُلٌ أَصْبَـحَ نُورَانِـيّ بِسَبَبِ ذَلِكَ ٱلعَطَاءِ وَٱلنُّورِ ٱلرَّبَّانِيّ

قَالَتِ ٱلنِّسْوَةُ عَنْ يُوسُفَ (عليه السلام) إِنَّهُ مَلَكٌ كَرِيمْ هَكَذَا شَاهَدَ ٱلوِلَايَةِ سِرَاجُ ٱلدِّينِ ٱلثَّانِي ٱلعَظِيمْ

وَٱلسَّالِكُونَ لِلهِ سُبْحَانَهُ عَلَـىٰ أَنْـوَاعْ كُلٌّ مِنْهُمْ يَنَـالُ حَسَـبَ وَرَعِـهِ وَٱلِاتِّبَاعْ

مِنْهُمْ مِنْ حَرَارَةِ ٱلنُّورِ ٱلقَمِيصُ ٱحْتَرَقْ وَذَلِكَ جِهَةَ قَلْبِـهِ وَمِنْ شِـدَّةِ ٱلـبَرْقْ

هَـلْ يَسْتَطِيعُ ٱلمُدَّعِـي تَحَمُّـلَ ذَلِـكَ وَهُـوَ يَظُـنُّ نَفْسَـهُ مُرْشِـدًا وَسَـالِكًا

لَا بُدَّ لِطُلَّابِ ٱلمَعْرِفَةِ مِنْ قَـهْرِ ٱلنُّفُوسِ حَتَّىٰ تُصْبِحَ هَزِيلَـةً كَعِـرْقِ ٱلسُّـوسِ

لَا تَرْضَىٰ إِلَّا بِمَا يَرْضَىٰ بِـهِ ٱللهُ ٱلوَهَّـابُ وَلَا تَغْضَـبُ إِلَّا لِلهِ وَمَـا فِيـهِ ٱغْتِيَـابُ

بَعْضُ ٱلسَّالِكِينَ تَكُونُ نَفْسُهُ حَاضِرَةً مُطِيعَةْ لِلْمُجَاهَدَةِ بِقَهْرِ ٱلهَوَىٰ وَٱلشَّيْطَانِ بِٱلطَّلِيعَةْ

وَمِنهُمْ نَفْسُهُ لَا تَحْتَمِلُ كَلِمَةً وَنَصِيحَةْ ... فَتَبْقَى عِلَلُهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا غَيْرُ مُرِيحَةْ

هَٰذِهِ أَدْنَى ٱلنُّفُوسِ وَلَا خَيْرَ فِيهَا ... ٱخْتَارَتِ ٱلحَظَّ ٱلقَلِيلَ عَلَى ٱلآخِرَةِ وَمَا فِيهَا

مُحَاوَلَةُ إِبْلِيسَ ٱلتَّمَثُّلَ بِٱلرَّابِطَةِ ٱلإِرْشَادِيَّةِ

بَعْدَمَا تَنْمُو ٱلرَّابِطَةُ وَتُصْبِحُ كَامِلَةْ ... تَظْهَرُ بِشَكْلِ صَاحِبِهَا بِصُورَةٍ شَامِلَةْ

مَمْلُوءَةٍ بِٱلأَنْوَارِ تَحُفُّهَا ٱلرَّحَمَاتْ ... تَتَنَوَّعُ بِٱلظُّهُورِ بِأَلْوَانِ ٱلصِّفَاتْ(١)

نَظَرَاتُهَا خَارِقَةٌ لَفَتَاتُهَا بَارِقَةْ ... بِدُنُوِّهَا لِلقَلْبِ حَارِقَةٌ بِٱلتَّسْبِيحِ غَارِقَةْ

لِأَنَّهَا آتِيَةٌ مِنْ عَالَمِ ٱلرُّوحَانِيَّاتِ ... مُحَصَّنَةٌ بِٱسْمِ ٱللهِ ٱلأَعْظَمِ مَحْجُوبَةٌ بِٱلآيَاتِ

يُحَاوِلُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يَلْعَبَ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ... مَعَ صِغَارِ ٱلسَّالِكِينَ وَمَعَ ٱلكِبَارِ

لَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمِ ... مَنْ عَبَدَ ٱللهَ بِصِدْقٍ وَقَلْبٍ مُسْتَقِيمِ

فَيَظْهَرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِأَشْكَالِ ... مُتَنَوِّعَةٍ حَسَبَ هِمَّةِ بَوَاطِنِ ٱلرِّجَالِ

فَيُحَاوِلُ أَنْ يَتَشَكَّلَ بِصُورَةِ ٱلمُرْشِدْ ... فَيَكْتَمِلُ بِٱلتَّمْثِيلِ لِنِصْفِهِ ثُمَّ يَفْسُدْ

كُلَّمَا حَاوَلَ ٱلظُّهُورَ بِصُورَةِ ٱلكَمَالْ ... يَهْتَزُّ وَتَتَخَلْخَلُ وَتَنْشَلُّ ٱلأَشْكَالْ

مَعَ مَنْظَرٍ مَصْحُوبٍ بِأَلَمٍ وَضِيقٍ مُؤْلِمِ ... يَقْشَعِرُّ مِنْهُ جِلْدُ ٱلمُكَاشِفِ ٱلمُسْلِمِ

فَيَرْفُضُ ٱلقَلْبُ ٱسْتِقْبَالَ تِلْكَ ٱلصُّورَةْ ... وَتَأْبَى ٱلنَّفْسُ تَقَبُّلَ ٱلمُكَاشَفَةِ ٱلمَنْظُورَةْ

لِأَنَّهُ يُسَبِّبُ لِلسَّالِكِ تَبَدُّلًا رَهِيبْ ... يَضْطَرِبُ حَالُهُ وَيَسْتَشْعِرُ بِإِلْهَامٍ عَجِيبْ

بِأَنَّ ٱلوَارِدَ ٱلظُّلْمَانِيَّ أَغْلَقَ ٱلقَلْبْ ... فَيَحْمِيهِ مِنْ وَسَاوِسِهِ وَشَرِّهِ مَوْلَانَا ٱلرَّبّْ

وَيُحَاوِلُ إِبْلِيسُ فَرْدَ جَنَاحَيْهِ لِتَشْوِيشِ مِنْظَارْ ... ٱلسَّالِكِ لِيُوهِمَهُ إِنَّهُ يُفِيضُ عَلَيْهِ ٱلأَنْوَارْ

وَيُوَسْوِسُ لَهُ بِعَقِيدَتِهِ وَيَلْعَبُ بِٱلأَفْكَارِ ... قَاصِدًا إِيقَاعَهُ بِفَخِّ ٱلكُفْرِ بِٱلغَفَّارِ

(١) بألوان الصفات : الرابطة الروحية الملونة .

فَيُلْقِي عَلَىٰ جِهَازِ شَهْوَتِهِ حَرَارَةْ   فَيَصْحُو ٱلسَّالِكُ وَيَنْتَبِهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْغَارَةْ

وَيَرْدَعُهُ ٱلسَّالِكُ بِبَاطِنِ ٱلِاسْتِمْدَادِ كَمَا جَاءْ   ٱلشَّيْطَانُ بِبَاطِنِ ٱلتَّخَيُّلَاتِ بِطَرِيقِ ٱلْخَفَاءِ

فَيَدْحَرُهُ ٱللهُ وَيَلْتَسِعُ مِنَ ٱلنُّورْ   وَيَفِرُّ هَارِبًا وَ يَأْبَىٰ بَعْدَهَا ٱلظُّهُورْ

ٱلْخَاسِرُ مَنْ يُشَارِكُهُ وَلَهُ يُطِيعْ   وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ٱلْأَنْوَارِ مِنَ ٱلظَّلَامِ ٱلشَّنِيعْ

فَيَسْقُطُ فِي شِبَاكِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ   مَعْرِفَةٌ تُضِيءُ قَلْبَهُ وَتُنِيرُ دَرْبَهُ

وَمَنْ يَنْجُ بِفَضْلِ رَبِّهِ مِنْ هَمَزَاتِهِ   وَيُنَجِّهِ ٱللهُ مِنْ شُرُورِ لَمَزَاتِهِ

يَرْقَ إِلَىٰ مَدَارِجِ ٱلْمَقَامَاتِ ٱلرَّفِيعَةِ   وَيَزْدَادُ قُوَّةً وَيَقِينًا بِأَوْقَاتٍ سَرِيعَةِ

وَتَتَبَدَّلُ مَعَهُ دِقَّاتُ ٱللَّطَائِفِ عَلَىٰ ٱلْجَانِبَيْنْ   فَلِلْعَقْلِ وَٱلنَّفْسِ ذِكْرٌ وَتَذْكُرُ مَعَهَا ٱلْعَيْنْ

وَتَتَّحِدُ ٱللَّطَائِفُ مَعَ ٱلْقَلْبِ وَٱلْأَعْضَاءِ   لِٱسْتِقْبَالِ عَجَائِبِ سُلُوكٍ مَا فِي ٱلْفَضَاءِ

فَٱلْمُجَابَهَةُ مَعَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَتْ لَهُ عِلَاجْ   نَصَرَهُ ٱللهُ فِيهَا عَلَىٰ ٱلْبَاطِلِ وَٱلِاعْوِجَاجْ

ٱلْمُتَعَدِّي عَلَىٰ ٱلْإِرْشَادِ وَضَرَرُهُ

يَقْصِدُ ٱلْبَعْضُ لِلسُّلُوكِ عَدِيمَ ٱلْأَهْلِيَّةِ   فَيُكَلِّفُهُ بِأَوْرَادٍ وَتَفَكُّرَاتٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةِ

وَيُصَوِّرُ لَهُ جَهْلُهُ زِيَادَةَ بَعْضِ ٱلْأُمُورْ   لِيَكُونَ مُتَفَرِّدًا عَنْ غَيْرِهِ وَبِٱلْعُيُونِ مَنْظُورْ

فَيَبْدَأُ قَاصِدُهُ ٱلْمِسْكِينُ بِتَفَكُّرٍ مِنْ أَوْهَامِهِ   وَيُدَاوِمُ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ أَيَّامِهِ

فَيَقَعُ فِي هَفَوَاتٍ عَمِيقَةٍ مُضِرَّةْ   تُصِيبُ قَلْبَهُ وَتَحْرِمُهُ ٱلْمَسَرَّةْ

وَيَسْتَدْرِجُ بِمُشَاهَدَاتٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةِ   يُلْقِيهَا عَلَيْهِ عَدُوُّهُ كَٱلْخَوَاطِرِ ٱلشَّيْطَانِيَّةِ

فَيَقَعُ فِي وَسَاوِسَ وَخَوَاطِرِ كُفْرٍ بِٱلْعَقِيدَةْ   وَيَشُكُّ وَيُصَابُ قَلْبُهُ بِأَمْرَاضٍ عَدِيدَةْ

فَيُسَلِّمُ قَلْبَهُ لِتِلْكَ ٱلْهَوَاجِسِ ٱلْخَطِيرَةْ   فَتُصِيبُهُ صَوَاعِقُ شَيْطَانِيَّةٌ ضَلَالِيَّةٌ شِرِّيرَةْ

وَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ خَوَاطِرَ وَصُوَرًا مُتَنَوِّعَةْ   وَيُصْبِحُ فِي حَالَةٍ حَزِينَةٍ مُدْمِعَةْ

وَيَسْتَلِمُ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ وَمَسَامِعَهُ إِبْلِيسْ   وَيَنْطِقُ بِٱسْمِهِ بِٱلْإِجْبَارِ ذَٰلِكَ ٱلتَّلْبِيسْ

وَيَجْرِي ٱلشَّيْطَانُ بِعُرُوقِهِ كَمَجْرَى ٱلدَّمِ   وَيَبُثُّ ٱلْكُفْرَ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ ٱلسُّمِّ

وَيُسَيْطِرُ سَيْطَرَةً كَامِلَةً عَلَى ٱلْعَقْلِ وَٱلْحَوَاسِّ   وَيُصْبِحُ ٱلْإِنْسَانُ كَٱلشَّيْطَانِ ظَاهِرٍ بِلِبَاسِ

يُضَيِّعُ عَقْلَهُ وَحَوَاسَّهُ وَيُرَوِّجُ ٱلضَّلَالَاتِ   وَيُعَارِضُ أَقْوَالَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ وَٱلْآيَاتِ

وَٱلْعِيَاذُ بِٱللهِ مِنْ هَٰذِهِ ٱلْحَالَةِ   لَقَدِ ٱخْتَصَرْنَا ٱلشَّرْحَ عَنْهَا بِهَٰذِهِ ٱلْمَقَالَةِ

فَعَلَيْنَا ٱلْحَذَرُ مِنْ تَسْلِيمِ قُلُوبِنَا   لِلْجَاهِلِ غَيْرِ ٱلْقَادِرِ عَلَى عِلَاجِ عُيُوبِنَا

هَٰؤُلَاءِ يُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ   مُرْشِدُونَ نَاقِصُونَ قُطَّاعُ ٱلطُّرُقِ ٱلنُّورَانِيَّةِ

تَعَدَّوْا عَلَى ٱلْإِرْشَادِ بِوَهْمٍ وَخَيَالْ   وَأَعْطَوْا لِأَنْفُسِهِمُ ٱلْمَقَامَاتِ وَٱلْأَحْوَالْ

ٱلْإِسْعَافَاتُ ٱلرُّوحِيَّةُ لِإِعَادَةِ ٱلصُّوَرِ فِي ٱلذَّاكِرَةِ

إِعَادَةُ ٱلصُّوَرِ ٱلْقَدِيمَةِ لِلْمُرْشِدِ بِٱلذَّاكِرَةِ   مِنَ ٱلْإِسْعَافَاتِ ٱلْأَوَّلِيَّةِ ٱلْمُفِيدَةِ ٱلْمُتَطَوِّرَةِ

حَيْثُ مَنْ يَفْتَحُ سِجِلَّ أَفْكَارِ مَاضِيهِ   فَإِنَّهُ يَنْعَكِسُ عَلَى قَلْبِهِ مَا فِيهِ

فَيُشَاهِدُ كُلَّ قَدِيمٍ مَعَهُ حَصَلَ   وَلَكِنْ عَنِ ٱلْإِتِّصَالِ قَدِ ٱنْفَصَلَ

إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ إِشَارَةُ مُتَابَعَةِ   فَذَٰلِكَ بَعِيدٌ عَنْهُ كَبُعْدِ ٱلسَّمَاءِ ٱلسَّابِعَةِ

فَإِذَا لَمْ يَسْتَفِدْ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ بِحَيَاتِهِ   فَكَيْفَ يَدَّعِي ٱلِاسْتِفَادَةَ مِنَ ٱلْمُرْشِدِ بِمَمَاتِهِ

مَا يَحْصُلُ بَيْنَ أَهْلِ ٱلْأَقْسَامِ ٱلرُّوحِيَّةِ   ٱلَّتِي شَرَحْنَاهَا فِي أُمُورِ ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْعَلِيَّةِ

مِنْ حَوَادِثَ أَوْ مُشَاهَدَاتٍ طَوِيلَةِ   فَتَكُونُ حَسَبَ صِفَتِهِ وَنَوْعِيَّتِهِ ٱلْقَلْبِيَّةِ

رُبَّمَا تَكُونُ لَهُ مِنْ بَابِ ٱلْإِعَانَاتِ   لِتَشْجِيعِهِ عَلَى ٱلْإِسْتِقَامَةِ وَٱلْقِيَامِ بِٱلطَّاعَاتِ

المتعدي على الرابطة

بعضهم غير متخصص بالمواجهات المتواصلة ... وليس له حظ في المكاسب الحاصلة

ضعيف الطاعات قليل العبادات ... فقير الحال مشغول بعلة الشهوات

لا يبالي بدينه غافل عن الله ... متلة بملذاته يأنس بعبد الله

يعمل على تحضير الرابطة بعد غياب ... المرشد ويعاند دستورها بذا الباب

فيعمل بتكلف وجهل وعناد مقصود ... فيكدره تقطع خاطر الرابطة المقصود

ويصيب له هدف أفكاره المعوجة ... ويقلقه تثبيت اتجاهات مآربه المرتجة

مقصده صعب في خرق الحواجز والسدود ... فيقاسي من عدم اختراقه تلك الحدود

يغطي صدره ثقل معنوي مؤلم ... وتصيبه حوادث روحية وقبض معتم

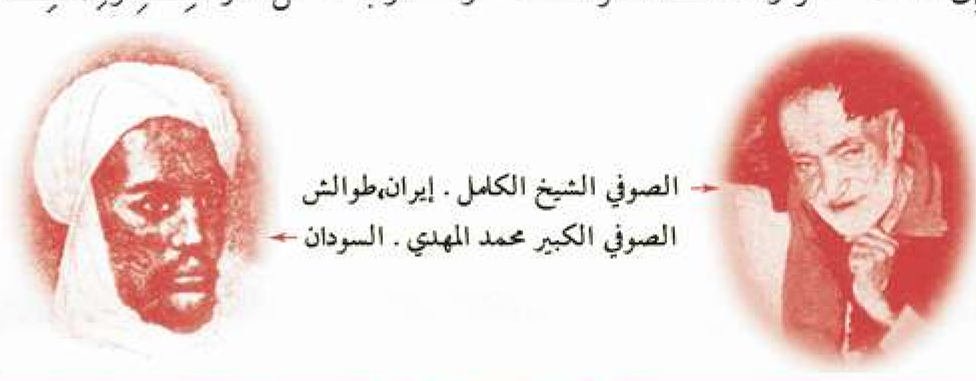
فيصاب بالوسواس وضياع الحواس ... فلا فائدة برابطته بذلك القياس

لأن قلبه غير مهيأ لاستقبال ... ما تناله الرجال مما لا يخطر ببال

وتطور المرشد بالبرزخ النوراني الراقي ... يجهله المبتدئ من لبناني أو عراقي

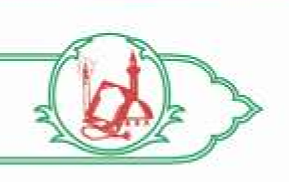
ومن يعمل بدون قياس ... يبقى متأرجحا بين وهم الخيال والوسواس

إلى أن تتناثر وتضعف قوته ... وتذوب كل قدراته وهمته



الصوفي الشيخ الكامل . إيران،طوالش

الصوفي الكبير محمد المهدي . السودان



العَمَلُ بِالرَّابِطَةِ لِنَاقِصِ الحَالِ

أَمَّا العَامِلُ بِالرَّابِطَةِ بِلَا كَمَالْ[1] ... مَهْمَا سَعَىٰ فَمَقْطُوعٌ مِنْهُ الآمَالْ

حَيْثُ اتَّخَذَ هَوَىٰ نَفْسِهِ سَبِيلَا ... كَمْ مُتَعَدٍّ مِثْلِهِ تَوَسْوَسَ وَصَارَ عَلِيلَا

يُعْتَبَرُ عَمَلُهُ فَوْضَىٰ رُوحِيَّةٌ مُهَلْهَلَةْ ... وَجَهْلٌ بَاطِنِيٌّ وَخَلَلٌ بِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ السِّلْسِلَةْ

لَا يَحِلُّ لِلنَّاقِصِ تَقْسِيمُ الوَظَائِفِ ... وَتَعْيِينُ الأَدْوَارِ المُسَبِّبَةِ لِلْوَهْمِ وَالمَخَاوِفِ

الَّتِي تُمَزِّقُ صُوَرَ رُوحَانِيَّةِ المُرَاقَبَةِ ... وَتَقْطَعُ حَبْلَ الوِصَالِ بِتِلْكَ العَاقِبَةِ

فَالبَيَانَاتُ الخَالِيَةُ مِنْ رَائِحَةِ المَعْرِفَةِ ... تَضُرُّ بِسَاحَةِ القُلُوبِ العَلِيلَةِ المُتْلَفَةِ

لِأَنَّ التَّعَدِّي عَلَىٰ نِظَامِ البَاطِنِ ... مُهْلِكٌ وَخَطِيرٌ عَلَىٰ الغَرِيبِ وَالمُوَاطِنِ

فَمَعْرِفَةُ هَذَا الشَّأْنِ لِلْمُسَلِّكِينَ الثَّابِتِينَ ... مَنْ تَكُونُ قُلُوبُهُمْ قُلُوبَ العَاشِقِينَ

وَهِيَ قُلُوبٌ مُمَيَّزَةٌ تَسْبَحُ بِبَحْرِ المَعْرِفَةْ ... قَطَعَتْ أَشْوَاطَ التَّزْكِيَةِ وَمِنَ الكَمَالِ غَارِفَةْ

وَهُنَالِكَ أَحْوَالٌ كَثِيرَةٌ لِلرَّابِطَةِ الرُّوحِيَّةِ ... مِنْهَا تَعَلُّقُ الرَّابِطَةِ لِفَتْرَةٍ زَمَنِيَّةِ

بِقَلْبِ المُرِيدِ وَمِنْهَا تَعَلُّقُ المُرِيدِ بِالرَّابِطَةِ ... وَمِنْهَا السَّاعِي لِلْحُصُولِ عَلَىٰ الرَّابِطَةِ

وَمِنْهَا الَّذِي يَشُمُّ لِلرَّابِطَةِ الرَّائِحَةْ ... وَمِنْهَا الخَائِفُ مِنَ الرَّابِطَةِ النَّافِحَةْ

وَمِنْهَا العَامِلُ بِنَوَايَا مُعَلْعَلَةِ ... وَهَذَا بَعِيدٌ عَنِ الفَائِدَةِ الكَامِلَةِ

فَمَنْ كَانَ لِلرَّابِطَةِ جُذُورٌ بِقَلْبِهِ ... وَكَانَ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنْ سُلُوكٍ بِدَرْبِهِ

فَإِنْ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ حَرَكَةُ الرَّابِطَةِ ... وَجَاءَ خَيَالُهَا الجَدِيدُ بِأَنْوَارٍ هَابِطَةِ

تَرَاهُ يَتَنَقَّلُ مِنْ حَالٍ لِحَالِ ... وَمِنْ مَقَامٍ إِلَىٰ مَقَامٍ بِمُشَاهَدَةِ الرِّجَالِ

فَهَذَا دَلِيلُ خَيْرٍ وَإِشَارَةٌ لِلْمُتَابَعَةْ ... لَا بُدَّ أَنْ تُصْبِحَ الرَّابِطَةُ عَلَىٰ قَلْبِهِ مُتَرَبِّعَةْ

(١) أَيْ بِرَابِطَةِ غَيْرِهِ النَّاقِصِ.

أَمَّا ٱلْخَائِفُ مِنْ حَرَكَةِ ٱلرَّابِطَةْ ... وَلَيْسَتْ أَحْوَالُهُ ٱلْإِيمَانِيَّةُ قَوِيَّةً وَمُرْتَبِطَةْ

فَتَعَلُّقُهُ بِٱلدُّنْيَا ٱلزَّائِدِ مُضِرّْ ... وَهُوَ عَلَىٰ مُدَاعَبَتِهَا مُتَابِعٌ وَمُصِرّْ

وَفِي تَقَصِّي حَرَكَتِهَا ٱلْقَلْبِيَّةِ مُتَكَلِّفْ ... وَهُوَ عَنْ آدَابِ ٱلسُّلُوكِ مُعْوَجٌّ وَمُتَخَلِّفْ

فَيَعِيشُ بِٱنْتِظَارٍ طَوِيلٍ مَوْهُومْ ... وَيُكَدِّرُ نَفْسَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ سُمُومْ

فَيَقَعُ بِتَضَارُبٍ رُوحِيٍّ مُؤْلِمْ ... وَيَخْتَلِطُ عَلَيْهِ ٱلْبَيَاضُ مِنَ ٱلسَّوَادِ ٱلْمُظْلِمْ

فَيَخْتَرِقُ ٱلشَّيْطَانُ قَلْبَهُ بِلَا مُدَافَعَةْ ... فَيَعِيشُ بِٱلتَّسْوِيفِ وَٱلْأَوْرَادِ[1] بِلَا مَنْفَعَةْ

فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ سُلْطَةِ ٱلْحِمَايَةِ ٱلْمَعْرُوفَةْ ... وَلَا يَحْظَىٰ بِنَعِيمِ ٱلْجَمَاعَةِ ٱلْمَوْصُوفَةْ

فَهَٰذَا حَالُهُ مُعَلَّقٌ بِقَضَاءِ ٱلْقَهَّارِ ... فَتَتَمَنَّىٰ نَجَاتَهُ لَيْلًا أَوْ فِي ٱلنَّهَارِ

نَصِيحَةٌ لِضَعِيفِ ٱلرَّابِطَةِ

هُنَالِكَ مَنْ بِقَلْبِهِ خَيَالٌ لِلرَّابِطَةِ وَبَقِيَّةْ ... وَهُوَ مُحِبٌّ لَهَا بِلَا مُجَاهَلَةٍ قَوِيَّةْ

فَتَمُرُّ عَلَىٰ مُخَيِّلَتِهِ صُوَرُ صُحْبَةِ ٱلْمَاضِي ... فَتُحَرِّكُ لَهُ مَشَاعِرَهُ وَلَوْ كَانَ خَالِي

وَتُهَيِّجُ لَهُ أَطْرَافَ قَلْبِهِ وَشُعُورَهْ ... فَيَثُورُ إِحْسَاسُهُ ٱلْقَدِيمُ وَصُوَرُهْ

فَتُؤَثِّرُ ٱلصُّوَرُ عَلَىٰ أَجْرَانِ ٱلْعُيُونْ ... فَتَدْمَعُ عَلَىٰ مَا كَانَ وَيَكُونْ

حَيْثُ يَشُمُّ لِلرَّابِطَةِ رَائِحَةَ خَيَالِهَا ... وَلَكِنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ مُتَابَعَةِ رِجَالِهَا

لِأَنَّ أَجْهِزَةَ ٱلسُّلُوكِ مَفْقُودَةٌ مِنْ لَطَائِفِهِ ... وَبِدُونِهَا لَا يَسْتَطِيعُ مُتَابَعَةَ وَظَائِفِهِ

وَإِنْ حَاوَلَ جُهْدَهُ إِعَادَةَ ٱلْحَرَكَةِ ... يَجِدُ إِغْلَاقَاتٍ ثَقِيلَةً مَقْطُوعَةً مِنَ ٱلْبَرَكَةِ

فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أُسْتَاذٍ قَلْبِيٍّ جَدِيدْ ... لِيَأْخُذَ مِنْهُ مَا بِهِ يَبْنِي وَيَشِيدْ

فَهَنِيئًا لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ وَوَعَىٰ ... وَٱعْتَقَدَ وَتَمَسَّكَ وَجَاهَدَ وَسَعَىٰ

(١) يتخذ أورادا من خياله .

ٱلْمَحَبَّةُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ ٱلرَّابِطَةِ

ٱلْمَحَبَّةُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ ٱلرَّابِطَةِ ٱلإِرْشَادِيَّةِ ... فَتُفِيدُ حِينَ ٱلزِّيَارَاتِ ٱلدِّينِيَّةِ ٱلتَّقْلِيدِيَّةِ
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ ٱلتَّرَابُطَ ٱلدِّينِيَّ ... بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِ ٱلْهِنْدِيِّ أَوِ ٱلسُّعُودِيِّ أَوِ ٱلصِّينِيِّ
وَيَبْقَى ٱلتَّرَابُطُ مُفِيدًا حَسَبَ ٱلْمَقْدِرَةِ ... كُلٌّ حَسَبَ حَالِهِ لَوْ تَقَدَّمَ بِمَعْذِرَةِ
فَلَوْ كَانَ ٱلزَّائِرُ مُبْتَدِئًا بِٱلْمَحَبَّةِ ... أَوْ كَانَ عَلَىٰ عَهْدٍ قَدِيمٍ بِتِلْكَ ٱلْمِنَّةِ
هٰذَا مُخْتَلِفٌ عَنْ رَابِطَةِ ٱلتَّسْلِيكِ ٱلْجَدِيدَةِ ... وَتَتَفَاوَتُ بِٱلتَّعْرِيفِ وَٱلْمُعَامَلَاتِ ٱلْعَدِيدَةِ
فَٱلْمُحِبُّ ٱلْمُرَابِطُ يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَأَقْوَالَهْ ... إِنْ كَانَ تَفَكُّرُهُ يُثْمِرُ بِسَائِرِ أَحْوَالِهْ
لَا بُدَّ مِنْ جُهُوزِيَّةٍ وَاضِحَةٍ جَلِيلَةْ ... لِيَعْلَمَ ٱلْمُتَعَامِلُ نَتِيجَةَ عَمَلِهِ بِتَحْلِيلِهْ
فَإِنْ زَجَرَتْهُ ٱلرَّابِطَةُ وَقَبَضَتْ صَدْرَهْ ... أَوْ نَقَرَتْ بِعَقْصَةٍ فِي نَوَاحِي قَلْبِهْ
فَتِلْكَ إِشَارَةٌ لِيَتْرُكَ مَا دَخَلَ فِيهِ ... وَإِلَّا وَقَعَ بِتَعَدٍّ رُبَّمَا يَقَعُ فِيهِ
أَمَّا إِنِ ٱنْشَرَحَ صَدْرُهُ بِٱلْمَحَبَّةِ بِٱخْتِصَارِ ... وَوَجَدَ ٱلْمُحِبُّ خَيْرًا فَلْيُتَابِعْ رَابِطَةَ ٱلأَفْكَارِ

أَوَّلُ مَنَازِلِ ٱلصَّالِحِينَ

قِيلَ لِعَلِيٍّ ﷺ: "مَا شَأْنُكَ جَاوَرْتَ ٱلْمَقْبَرَةَ؟ قَالَ: إِنِّي أَجِدُهُمْ خَيْرَ جِيرَانٍ، أَجِدُهُمْ جِيرَانَ صِدْقٍ يَكُفُّونَ ٱلأَلْسِنَةَ، وَيُذَكِّرُونَ ٱلآخِرَةَ". وَقَالَ ﷺ: "مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَّا ٱلْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ".

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلْقَبْرْ ... هُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ ٱلآخِرَةِ كَمَا بِٱلْخَبَرْ
إِذَا نَجَا مِنْهُ صَاحِبُهُ ٱلْمَدْفُونُ ... فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ يَكُونُ
وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ ... فَلْيَحْذَرِ ٱلْمُؤْمِنُ فَمَا مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدُّ
كَمْ مِنْ مَلِكٍ قُبِرَ فِي حُفْرَتِهِ ... وَصَارَ فِي ٱلْقَبْرِ يُعَانِي مِنْ وَحْدَتِهِ
فَلَا صَلَّى وَلَا أَطَاعَ فِي طُولِ مُدَّتِهْ ... هَدَمَ ٱلْمَوْتُ عَرْشَهُ وَشَلَّ قُوَّتَهْ
ٱلزَّاهِدُونَ يَعُدُّونَ ٱلْقَبْرَ حَبْسًا طَوِيلْ ... فَلْتَكُنْ أَعْمَالُكَ ٱلصَّالِحَةُ زَادًا لِلرَّحِيلْ

ٱلْمُحِبُّ بِلَا جِهَادٍ وَلَا رَابِطَةٍ

بَعْضُهُم يُبَايِعُ ٱلْمُرشِدَ وَلَا يَعْمَلْ ... بِحَيَاتِهِ عَمَلاً فَلَا يَصِلُ لِأَيِّ أَمَلْ

وَيَبْقَى بَعْدَ رَحِيلِ ٱلْمُرْشِدِ عَلَى آثَارْ ... ٱلْمَحَبَّةِ بِذِكْرَى طَيِّبَةٍ تُحَرِّكُ ٱلْأَفْكَارْ

فَتَمُرُّ عَلَى مُخَيِّلَتِهِ صُوَرٌ قَدِيمَةْ ... لِبَعْضِ لِقَاءَاتِهِ وَٱجْتِمَاعَاتِهِ ٱلْعَظِيمَةْ

فَيُحَرِّكُ شَرِيطَ ذَاكِرَتِهِ بِلَا تَكَلُّفْ ... وَيُشَاهِدُ مَا يُشَاهِدُ حَيْثُ ٱلتَّخَلُّفْ

كَانَ سَابِقًا بِلَا جِهَادٍ بِٱلْقَلْبِ قَدِ ٱعْتَادَهُ ... فَتَأْتِيهِ خَرْدَلَةٌ تُدَغْدِغُ لَهُ فُؤَادَهُ

مِنَ ٱلتَّفَكُّرِ فِي بَقَايَا آثَارِ ٱلْمَاضِي ... فَيَسْكُنُ لَهَا قَلْبُهُ ٱلْعَلِيلُ ٱلْفَاضِي

وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْإِعَانَاتِ تَمُرُّ بِٱلْخَيَالِ ... لِمَنْ تَبْقَى مَحَبَّتُهُ لِأَهْلِ ٱلْكَمَالِ

حَيْثُ ٱلْمُتَعَارَفُ عِنْدَ ٱلسَّادَةِ ٱلرُّوحَانِيِّينَ ... إِذَا غَابَ ٱلْمُرْشِدُ عَنْ سَاحَةِ ٱلْمُرِيدِينَ

تَتَوَقَّفُ ٱلْعَلَاقَاتُ وَيَنْتَهِي ٱلتَّكْلِيفُ(١) ... وَيَزْدَادُ ٱلْمُرْشِدُ مِنْ رَحْمَةِ ٱلتَّشْرِيفْ

وَتَتَبَدَّلُ نُورَانِيَّةُ ٱلْمُرْشِدِ وَشُعَاعُ ٱلْحَرَارَةِ ... فَلَا يَنَالُ مِنْهَا إِلَّا ٱلْمُتَابِعُ لِلرَّابِطَةِ بِجِهَادٍ وَمَرَارَةٍ

وَلَا يُحَصِّلُ شَيْئًا مِنْهَا فَاقِدُ ٱلْهِمَّةْ ... مَهْمَا أَيَّدَتْهُ ٱلسُّلُطَاتُ وَتَجَمَّعَتْ لِنُصْرَتِهِ ٱلْأُمَّةْ

فَٱلْخَدَمَاتُ ٱلرُّوحِيَّةُ وَمَجَالَاتُهَا ٱلسِّرِّيَّةْ ... تُبَدِّلُ ٱتِّجَاهَاتِهَا وَٱتِّصَالَاتِهَا وَمَسَامِعَهَا ٱلصَّوْتِيَّةْ

وَذَلِكَ نَتِيجَةُ غِيَابِ ٱلْمُرَبِّي عَنِ ٱلسَّاحَةِ ... فَتَنْقَطِعُ ٱلِاتِّصَالَاتُ وَتَغِيبُ ٱلصُّوَرُ بِصَرَاحَةٍ

فَإِذَا حَصَلَ تَخَاطُرٌ أَوْ صُورَةٌ عَابِرَةٌ ... مِنَ ٱلْحُبِّ فَهِيَ إِسْعَافَاتٌ رَبَّانِيَّةٌ نَادِرَةٌ

(١) التكليف للمبتدئ بعمل الرابطة.



→ الصوفي الزاهد الشيخ عبد الله أحرار العزي
دير الزور

الصوفي العارف ملا عارف بوجير ـ إيران مريوان ←

بَعْضُ مَقَامَاتِ ٱللَّطَائِفِ وَمَدَارِجِهَا بِٱلرَّابِطَةِ

لِلسُّلُوكِ مَدَارِجُ وَمَقَامَاتٌ مُتَنَوِّعَةْ ... يَنَالُهَا ٱلصَّادِقُ بِمُجَاهَدَاتٍ مُمَيَّزَةٍ مُرَوِّعَةْ

مِنْهَا ذِكْرُ قَلْبٍ وَذِكْرُ نَفْسٍ وَرُوحِ ... وَذِكْرُ سِرٍّ وَخَفِيٍّ وَأَخْفَىٰ مُخَصَّصٌ لِلْفُتُوحِ

وَذِكْرُ كُلٍّ وَذِكْرُ لَطَائِفَ عَدِيدَةٍ ... فَأَسْرَارُهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ قُلُوبٍ شَرِيدَةٍ

وَمُرَاقَبَاتٌ عَلَى أَنْوَاعٍ وَرَابِطَةٌ رُوحَانِيَّةْ ... تَتَبَدَّلُ حَسَبَ ٱلْمُجَاهَدَاتِ ٱلنُّورَانِيَّةْ

لَا بُدَّ مِنْ ظُهُورِ إِشَارَةٍ لِلسَّالِكِ ٱلْمُرِيدِ ... لِيَشْعُرَ أَنَّهُ عَلَىٰ حَقٍّ أَكِيدِ

وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ بِطَرِيقٍ سَلِيمٍ خَالٍ ... مِنْ دَجَلِ ٱلْمُدَّعِينَ ٱلْفَارِغِ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ

حَيْثُ لِكُلِّ شَوْطٍ مِنَ ٱلْمَقَامْ ... ظُهُورُ إِشَارَةٍ وَبِشَارَةٍ تَشْفِي ٱلسِّقَامْ

إِعَادَةُ صُورَةِ ٱلْمُرْشِدِ بَعْدَ رَحِيلِهِ

مِنْ إِشَارَاتِ مُتَابَعَةِ ٱلرَّابِطَةِ ٱلْعَائِلَةِ ... أَنْ تَرْجِعَ صُوَرُ ٱلصُّحْبَةِ لِلْمُرَابِطِ بِٱلْمُشَاهَدَةِ

عَلَىٰ عَدَدِ مُجَالَسَتِهِ لِمُرْشِدِهِ بِٱلْحَيَاةْ ... تَمُرُّ عَلَيْهِ صُوَرُهَا بِكُلِّ مَا فَاتْ

مَصْحُوبَةً بِمَا كَانَ ٱلْمُرْشِدُ يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ ... مِمَّا كَانَ غَيْرَ ظَاهِرٍ لِلسَّالِكِ فِي مَعَانِيهِ

هَٰذَا مَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ ٱلْمُتَابَعَةْ ... مِمَّنْ كَانَتْ لَطَائِفُهُ عَلَىٰ ٱلْخِلَافَةِ مُتَرَبِّعَةْ

فَتَظْهَرُ فَوَائِدُ ٱلصُّحْبَةِ بِذَلِكَ ٱلْعَرْضِ ... لَا يَخْفَىٰ مِنْهَا شَيْءٌ فِي ٱلطُّولِ وَلَا فِي ٱلْعَرْضِ

وَيَرَىٰ كَيْفَ كَانَ ٱلْمُرَبِّي فِي ٱلسَّابِقِ يُعِيرُهُ ... مِنْ أَحْوَالِهِ ٱلنُّورَانِيَّةِ وَبِهَا يُسْعِفُهُ وَيُجِيرُهُ

وَبِتِلْكَ ٱلصُّوَرِ ٱلْحَيَّةِ ٱلرُّوحِيَّةِ ٱلْمُتَنَوِّعَةْ ... يَصْدُرُ مِنْهَا مُعَالَجَاتٌ لِلسَّالِكِ وَمَنْفَعَةْ

مِنْ أَيَّةِ ضَجَّةٍ وَحَرَكَةٍ تَفِرُّ ٱلْهَالَـةُ ٱلنُّورَانِيَّةْ ... لِأَنَّهَا جَاءَتْ مِنْ عَـوَالِمِ صَافِيَـةٍ رُوحَانِيَّـةْ

أَيَّ شَيْءٍ عَنْـهَا غَرِيـبٍ تُحِسُّـهُ وَتَسْمَعُهُ ... فَتَخْتَفِي مُسْتَنْفِرَةً تُزْعِجُ قَلْبَـهُ وَلَا تَنْفَعُـهُ

لِأَجْلِ ذَلِـكَ ٱلسَّـالِكُونَ ٱخْتَـارُوا ٱلْخَلْـوَةْ ... حَتَّـى يَفُـوزُوا بِجَوْلَـةٍ بَعْـدَ جَوْلَـةْ

يَتْعَبُ ٱلْمُرَابِـطُ وَيُصَابُ بِإِرْهَاقٍ شَـدِيدْ ... لِيَصِلَ إِلَى رَابِطَةِ عَالَمِ ٱلـرُّوحِ وَلَهَا يَسْتَعِيدْ



رَابِطَةُ ٱلشَّيْخِ ٱلرَّاحِلِ بَيْنَ ٱلسَّالِكِ وَٱلْمُبْتَدِئِ

لَا يُمْنَعُ مِنْ عَمَلِ ٱلرَّابِطَةِ مَنْ عِنْدَهُ قَبُولْ ... تَحْضُرُ إِلَيْهِ بِـدُونِ عَوَائِـقَ كَمَـا سَنَقُولْ

إِذَا تَحَرَّكَتْ مَشَاعِرُهُ بِذِكْرَى خَوَاطِرَ قَدِيمَةٍ ... مَعَ بُكَاءٍ وَشُعُورٍ بِحَرَارَةٍ رُوحِيَّـةٍ عَظِيمَـةٍ

وَٱنْشَغَلَتْ خَوَاطِرُهُ وَٱشْتَغَلَ بِٱلرَّابِطَةِ قَلْبُهُ ... وَتَحَسَّـسَ بِنُورِهَـا وَخَيَالِهَـا فَتَكُـونُ قُرْبَـهُ

لِأَنَّ أَثَرَهَـا مَـا زَالَ بِٱلْخَيَـالِ مَطْبُـوعْ ... فَتَأْتِيهِ بِحَسَبِ ٱلْإِخْلَاصِ ٱلَّـذِي فِيـهِ مَجْمُوعْ

أَمَّا ٱلْمُتَمَسِّكُ ٱلْجَدِيدُ فَيَصْعُبُ عَلَيْـهِ ٱلْعَمَـلْ ... لِعَـدَمِ مُشَـاهَدَةِ ٱلْمُرْشِـدِ وَبِـهِ لَمْ يَتَأَمَّـلْ

وَلَمْ يُفَرِّغْ بِقَلْبِهِ مَعْنَوِيَّاتِ ٱلرَّابِطَـةِ وَٱلْعِنَايَـةِ ... فَأَعْمَالُهُ فِي ٱلتَّحْضِيرِ لَهَا خَالِيَةٌ مِنَ ٱلْحِمَايَـةِ

فَكَأَنَّـهُ يَسْتَحْضِـرُ مَيْتًـا بِـلَا رُوحْ ... فَلَا يَسْتَفِيدُ مِنَ ٱلسُّلُوكِ وَأَسْرَارِ ٱلْفُتُوحْ

لِأَنَّ ٱلرَّابِطَةَ تَتَبَدَّلُ بِعَالَمِ ٱلْبَرْزَخِ ٱلرُّوحَـانِي ... بِصَفَـاءٍ وَجَمَـالٍ وَمَقَـامِ صِـدْقٍ عِرْفَـانِي

فَيَصْعُبُ عَلَى ٱلْمُبْتَدِئِ ٱلتَّعَرُّفُ وَٱلتَّعَامُلُ مَعَهَـا ... وَلَيْسَ لَهُ ٱلْمَقْدِرَةُ عَلَى تَحَمُّلِ نُورِ صَفَائِهَا



أهل الإحساس الروحي في حالة جذب روحاني
في طوالش إيران حين تذوق توجهات المرشد عثمان
سراج الدين النقشبندي ﷺ

(من كتاب "نقشبند ونقشبندية" ، تأليف هارون شفيقي عنراني ، إيران)

رَابِطَةُ ٱلْمُرِيدِ ٱلسَّالِكِ بَعْدَ غِيَابِ مُرْشِدِهِ

بِبِدَايَةِ ٱلْمُرِيدِ بِٱلرَّابِطَةِ وَبِٱلذِّكْرِ يَنْشَغِلُ ... ثُمَّ ٱلْقَلْبُ وَٱلرَّابِطَةُ فِيهِ تَشْتَغِلُ

إِذَا كَانَ لِرَابِطَتِهِ مُتَابَعَةٌ بِغِيَابِ مُرْشِدِهِ ٱلرَّاحِلْ ... تَأْتِي لِصَدْرِهِ وَتُوقِظُهُ لِلْعَمَلِ عَلَى مَرَاحِلْ

فَتَكُونُ كُتْلَةً نُورَانِيَّةً تَتَجَمَّعُ فِيهِ ... ثُمَّ تُصْبِحُ صُورَةً مِثَالِيَّةً لِمَنْ كَانَ يُرَبِّيهِ

فَيَنْشَغِلُ بِهَا ثُمَّ تَشْتَغِلُ فِيهِ بِحَرَارَةْ ... فَيَسْتَشْعِرُ بِدَعْمِهَا ٱلرُّوحَانِيِّ حَسَبَ ٱلْإِشَارَةْ

فَإِنْ خَتَمَهَا وَوَصَلَ فَتَكُونُ لَهُ مِثْلُهَا ... فَيَسْتَقِلُّ وَيُصْبِحُ هُوَ رَابِطَةً بَعْدَهَا

فَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَمْدَادِ ٱلْإِلَهْ ... وَمِنْ ذَلِكَ ٱلنُّورِ بِوَاسِطَةِ مُرْشِدِهِ هَدَاهْ

فَتُصْبِحُ ٱلْأَنْوَارُ وَٱلرَّحَمَاتُ مُتَجَمِّعَةْ ... تَعُمُّ ٱلْكَوْنَ بِفَضْلِ رَبِّهَا لِلْمَنْفَعَةْ

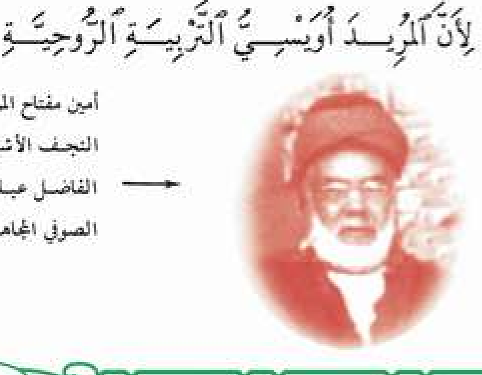
فَتَتَلَقَّى ٱلرَّابِطَةُ ٱلْمُسْتَقِلَّةُ ٱلْإِلْهَامَ وَتَعْمَلْ ... حَيْثُ أَصْبَحَ صَاحِبُهَا بِٱلنُّورِ مُكَمَّلْ

قَبُولُ ٱلْقَلْبِ مُرْشِدًا جَدِيدًا وَرَفْضُهُ

إِذَا بَايَعَ ٱلسَّالِكُ مُرْشِدًا جَدِيدَا ... قَصْدُهُ لِسُلُوكِ قَلْبِهِ أَنْ يُعِيدَ

وَأَبَى قَلْبُهُ قَبُولَ صُورَتِهِ وَرَفَضْ ... فَيَكُونُ غَيْرَ قَابِلٍ لِذَلِكَ ٱلْعَرْضْ

لِأَنَّ ٱلْمُرِيدَ أُوَيْسِيُّ ٱلتَّرْبِيَةِ ٱلرُّوحِيَّةِ ... وَمَا زَالَتْ رَابِطَتُهُ مُتَعَلِّقَةً بِلَطَائِفِهِ ٱلنُّورَانِيَّةِ



أمين مفتاح المرقد الحيدري المبارك في النجف الأشرف (سابقا) الشيخ الفاضل عباس أفندي ـ العراق



الصوفي المجاهد عمر المختار ـ ليبيا



ٱلتَّفَكُّرُ ٱلْمَسْمُوحُ بَعْدَ رَحِيلِ ٱلْمُرْشِدِ

ٱلتَّفَكُّرُ بِحَيَاةِ ٱلْأَوْلِيَاءِ غَيْرُ مَمْنُوعِ   وَبَعْدَ رَحِيلِهِمْ بِٱلدُّنْيَا بِهَذَا ٱلْمَوْضُوعِ

فَقَدْ قِيلَ : عِنْدَ ذِكْرِ ٱلصَّالِحِينَ تَنْزِلُ ٱلرَّحْمَةْ   فَلَا مَانِعَ مِنَ ٱسْتِحْضَارِ ٱلْمَحَبَّةِ مَعَ ٱلرَّحْمَةْ

بِٱسْمِ ٱسْتِرْجَاعِ صُوَرِ ٱلْمَاضِي لِلذَّاكِرَةِ   وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يُسَاعِدُ لِلتَّسْلِيكِ بِٱلْأَيَّامِ ٱلْحَاضِرَةِ

بَلْ هُوَ مُفِيدٌ لِلْقَلْبِ وَغَيْرُ ضَارِّ   وَلَا يَحِقُّ تَلْقِينُ ٱلرَّابِطَةِ لِلْكِبَارِ وَٱلصِّغَارِ

رَابِطَةِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلرَّاحِلِ ٱلْمُتَوَفَّى بِٱلْأَمْصَارِ   لَوْ يَصِحُّ ذَلِكَ لَرَابَطْنَا مَعْ رَفِيقِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُخْتَارِ ﷺ

لِأَنَّ صُورَةَ ٱلصُّحْبَةِ لَمْ تُطْبَعْ بِقَلْبِهْ   وَلَمْ تَتَمَرَّنْ عَلَى آثَارِهَا مُخَيِّلَتُهْ

فَٱلرَّابِطَةُ مَعَ ٱلْعَالَمِ ٱلثَّانِي قَدْ تَتَبَدَّلُ   لِمَعْنَوِيَّاتٍ رَاقِيَةٍ نَجْهَلُهَا وَقَدْ تَتَحَوَّلُ

مَعْنًى وَحِسًّا وَذَوْقًا وَجَمَالًا   وَنُورًا وَرَحَمَاتٍ وَبَرَكَاتٍ وَكَمَالًا

قَدْ يَعْتَرِضُ ٱلْبَعْضُ وَيَقُولْ   يَجُوزُ بَعْدَ وَفَاةِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْمَنْقُولْ

لِرَحْمَةِ ٱللهِ أَنْ نُعْطِيَ ٱلْمُبْتَدِئَ ٱلرَّابِطَةْ   أَجَازَ ٱلْجِيلَانِيُّ ٱلْإِسْتِمْدَادَ مِنْ أَنْوَارِهَا ٱلْهَابِطَةْ

نَقُولُ : إِنْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ إِنَّ ٱلزَّمَانَ مُخْتَلِفٌ   فَٱلْمُبْتَدِئُ بِعَصْرِهِ صَفَاؤُهُ مَعْ نَفْسِهِ مُنْصَرِفٌ

فَكَانَتْ رَابِطَتُهُمْ مُتَابَعَةً لِلْكَمَالِ   وَلَيْسَ غَافِلَةً كَأَمْثَالِ مَا عِنْدَنَا مِنْ رِجَالِ

وَكَانَتْ قَوَالِبُهُمْ مُهَيَّأَةً لِلْإِسْتِقْبَالِ   لِكَثْرَةِ صَفَائِهَا وَشِدَّةِ تَعَلُّقِهَا بِأَهْلِ ٱلْكَمَالِ

فَلَا تَصْلُحُ لِلْمُصَابِينَ بِنَوْمِ ٱلْقُلُوبِ   وَأَكْلِ ٱلْحَرَامِ وَٱلنَّمِيمَةِ وَتُجَّارِ ٱلذُّنُوبِ

أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ٱلْيَوْمَ نُفُوسُهُمْ مَطْمُوسَةٌ   وَبِٱلْمَعَاصِي وَحُبِّ ٱلشَّهَوَاتِ مَغْمُوسَةٌ

أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ ٱلْفَتْحُ عَلَيْهِمْ مُغْلَقٌ   وَبَابُ ٱلْفُتُوحِ دُونَ قُلُوبِهِمْ مُطْبَقٌ

أَمَّا ٱلْمُبْتَدِئُ بِعَصْرِ ٱلْجِيلَانِيِّ وَغَيْرِهِ   فَمُتَدَرِّجٌ بِرَائِحَةِ ٱلْوِلَايَةِ بِسُلُوكِ سَيْرِهِ

الآمِرُ بِالرَّابِطَةِ بِغِيَابِ الْمُرْشِدِ الرَّاحِلِ ... هُوَ جَاهِلٌ لَمْ يَقْطَعْ سَائِرَ الْمَرَاحِلِ

وَعَدِيمُ الْمَعْرِفَةِ بِالتَّرْبِيَةِ وَالإِرْشَادِ ... يُعَانِدُ لِأَنَّهُ يَعِيشُ مِنْ مَالِ الْعِبَادِ

وَهُوَ مِمَّنْ سَرَقَ الطَّرِيقَةَ وَأَخَذَ الاسْمْ ... وَحَمَلَهَا سُمْعَةً بِلَا بَاطِنٍ وَلَا جِسْمْ

صُحْبَتُهُ تَضْيِيعُ وَقْتٍ وَتَخْرِيبُ قُلُوبِ ... وَتَضُرُّ صُحْبَتُهُ بِانْعِكَاسِ عِلَلِهِ وَالْعُيُوبِ

فَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا تُعَمِّرُ رَابِطَتُهُ بِالْمَعَارِفِ ... لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ وَيَرْمِي بِنَفْسِهِ لِلْمَخَاوِفِ

مَفْقُودَةٌ مِنْهُ الإِحْسَاسَاتُ الْقَلْبِيَّةْ ... وَجَاهِلٌ بِتَعَدُّدِ الْمَدَارِجِ وَالْمَقَامَاتِ الرُّوحِيَّةْ

وَفَاقِدُ الْخِبْرَةِ بِأَسَالِيبِ الْوُصُولْ ... وَهُوَ عَنِ الإِرْشَادِ وَالتَّسْلِيكِ مَفْصُولْ

التَّسْلِيكُ لَا يُؤْخَذُ مِنَ الْكُتُبِ وَالسُّطُورِ ... بَلْ هُوَ عِلْمٌ يَقْذِفُهُ اللهُ بِالصُّدُورِ

فَاحْذَرُوا أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ وَأَوَامِرَهُمْ لَا تَقْرَبُوهَا ... خَوْفًا مِنْ ضَيَاعِ عُقُولِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ فَتَخْسَرُوهَا

الارْتِبَاطُ الرُّوحِيُّ قَبْلَ الْمَعْرِفَةِ الظَّاهِرِيَّةِ

هُنَالِكَ أَشْخَاصٌ يَبْتَدِئُونَ بِبِدَايَاتٍ عَالِيَةِ ... قَبْلَ مَعْرِفَةِ الْمُرْشِدِ بِالظَّوَاهِرِ السَّارِيَةِ

تَهَيَّئُوا وَتَدَرَّبُوا وَتَمَرَّنُوا مِنْ بَعِيدْ ... حَيْثُ الأَنْظَارُ تُرَاقِبُهُمْ وَتُعِيدْ

وَهُمْ لَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْوَارِدِ. ... وَالْمُرَبِّي الْمَحْجُوبُ عَنْهُمْ، بِذَا الْعَارِضِ،

يُشْعِلُ بِقُلُوبِهِمْ نَارَ الْبُعْدِ الْمَرِيرْ ... وَيُحَمِّلُهُمْ أَثْقَالًا ضَخْمَةً ذَلِكَ الْخَبِيرْ

فَتَتَعَوَّدُ إِحْسَاسَاتُهُمْ عَلَى شُعُورٍ مَخْصُوصْ ... فَيَنَالُونَ تَمْرِينًا قَاسِيًا وَمَدْرُوسْ

فَيَسْلُكُونَ سِنِينَ بِأَنْوَاعٍ مُتَنَوِّعَةِ ... مِنَ الضَّرَبَاتِ السَّاخِنَةِ الْمُؤْلِمَةِ الْمُوجِعَةِ

فَبَعْدَ الْعُبُورِ وَالسُّلُوكِ الشَّاقِّ الطَّوِيلِ الْمَرِيرِ ... وَالْمُرُورِ بِالأَحْوَالِ بِطَبَقَاتِ الْفَضَاءِ الْمُنِيرِ

وَالانْتِقَالِ مِنْ غَبَاشِ الرَّابِطَةِ لِلْوُضُوحْ ... وَلَمَعَانٍ مُتَنَقِّلٍ مِنْهُ الْعِطْرُ يَفُوحْ

يُجَمِّعُهُ اللهُ بِذَلِكَ ٱلْمُرْشِدِ ٱلرَّاقِي
فَيُعْطِيهِ كَمَالَ ٱلرَّابِطَةِ وَيُصْبِحُ سَاقِي

حِينَ ٱلْمُشَاهَدَةِ يُصَابُ ٱلسَّالِكُ بِجَذَبَاتٍ
تَهُزُّ ٱلْقُلُوبَ بِقُوَّةٍ مَصْحُوبَةٍ بِرَعَدَاتٍ

فَيُشَاهِدُ جَمَالَ بَاطِنِ أُسْتَاذِهِ ٱلْكَامِلِ
وَمَا فِي كَمَالِهِ وَجَمَالِهِ مِنْ نَوْعِيَّةِ ٱلْمَرَاحِلِ

بَعْدَ تَمْرِينِهِ وَتَدْرِيبِهِ سِنِينَ طَوِيلَةْ
سُبْحَانَ مَنْ يَجْمَعُ ٱلْخَلِيلَ بِخَلِيلِهْ

فَيُصْبِحُ مِمَّنْ يُنَشِّطُ إِحْسَاسَ ٱلسَّالِكِينَ
وَيُوقِظُ قُلُوبَ وَأَفْئِدَةَ ٱلْخَامِدِينَ

فَهَٰذِهِ تَرْبِيَةٌ فَرِيدَةٌ وَغَرِيبَةْ
لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا أَصْحَابُ ٱلْفِرَاسَةِ ٱلْعَجِيبَةْ

يُقَالُ لَهَا تَرْبِيَةُ ٱلْمُرِيدِينَ بِٱلْأَنْظَارِ
لَا يَحْجُبُهَا قُرْبٌ أَوْ بُعْدٌ فِي ٱلْأَمْصَارِ

هَٰذِهِ تَدُلُّ عَلَى رُقِيِّ ٱلْمُرْشِدِ وَهِمَّتِهِ
وَشِدَّةِ فِرَاسَةِ قَلْبِهِ ٱلْكَبِيرِ وَقُوَّتِهِ

فَإِنَّهُ وَصَلَ لِنُورِ ٱلرَّابِطَةِ لِلْقِمَّةِ
فَيَتَآلَفُ مَعْ أَخَوَاتِهَا ٱلرَّاقِيَةِ ٱلْمُهِمَّةِ

فَتُصْبِحُ مُوَظَّفَةً لَهُ لِخِدْمَاتٍ إِنْسَانِيَّةِ
بِحَسَبِ ٱلْمَشِيئَةِ وَٱلْإِجْرَاءَاتِ ٱلشَّرْعِيَّةِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ

إِلَى أَنْ تَكْتَمِلَ ٱلرَّابِطَةُ بِصُورَةٍ مَحْبُوبَةْ
فَيَحْصُلُ عَلَى ٱلْاسْتِقْلَالِيَّةِ حَسَبَ مَطْلُوبِهْ

فَيُصْبِحُ قَادِرًا عَلَى تَحَمُّلِ سَمَاعِهَا
وَيَتَقَبَّلُ إِشَارَاتِ وَمَعْنَوِيَّاتِ رُمُوزِهَا

حَيْثُ كَانَ بِٱلْابْتِدَاءِ قَبْلًا لَا يَتَحَمَّلْ
إِلَّا بَعْدَ قَطْعِ ٱلْأَشْوَاطِ وَبِٱلْمَقَامَاتِ تَكْمُلْ

فَبَعْدَ تَكَامُلِهَا بِصُورَةِ ٱلْمُرَبِّي ٱلرَّاقِي
تُصْبِحُ مُتَجَانِسَةً مَعَهُ كَٱلتِّرْيَاقِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْعَارِفِينَ: لِلرَّابِطَةِ صُورَةْ
تَصِيرُ حِينَ كَمَالِ ٱلرِّجَالِ مَنْظُورَةْ

تُسَاعِدُ بِٱلْوَعْظِ بِٱلرَّمْزِ وَٱلْإِشَارَةْ
كَمَا يُوسُفُ ٱلصِّدِّيقُ ﵇ تَلَقَّى بِشَارَةْ

﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (يوسف ٢٤)
فَكَانَ لَهُ ٱلْبُرْهَانُ مُهِمًّا بِدَرْبِهِ

وَبِتِلْكَ ٱلْحَادِثَةِ ٱلْوَاضِحَةِ ٱلْبَيَانِ
يَتَوَضَّحُ لِلْأَفْهَامِ مَعْنَى رَابِطَةِ ٱلْجَنَانِ

ٱلْإِحْسَاسُ مَوْجُودٌ لِنَشْعُرَ بِهِ بِٱلْأَلَمْ
وَبِٱللَّذَّةِ وَتِلْكَ خَفَايَا بِٱلْجَسَدِ فَلْنَفْهَمْ

مَنْ عَمِلَ مُجِدًّا تَظْهَرُ لَهُ إِشَارَاتْ
وَمَنْ أَطَاعَ مَوْلَاهُ تَلُوحُ لَهُ ٱلْبِشَارَاتُ

وَنَتَيَقَّنُ مِمَّا نَشْرَحُ وَنَقُولُ صِدْقًا مَا شَرَحْنَاهُ قَدْ لَمَسْنَاهُ يَقِينًا وَحَقًّا
بِطَحْنِ ٱلعِظَامِ وَإِقْلَاقِ ٱلنَّفْسِ ٱلشِّرِّيرَةِ ٱكْتَسَبْنَا تِلْكَ ٱلشُّرُوحَاتِ وَبِمُجَاهَدَةٍ مَرِيرَةٍ
بِخَلَوَاتٍ وَطَاعَاتٍ وَصِيَامٍ وَحِرْمَانٍ مِنَ ٱللَّذَّةِ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ يَصْعُبُ ٱلحُصُولُ عَلَى ٱلعِزَّةِ

رَفْضُ ٱلبَعْضِ تَلَقِّي ذِكْرِ ٱلقَلْبِ وَٱلرَّابِطَةِ

هُنَالِكَ أَخْطَاءٌ عِنْدَ ٱلنَّاسِ فَادِحَةٌ لَا يَعْرِفُونَ ٱلأُمُورَ ٱلخَاسِرَةَ مِنَ ٱلرَّابِحَةِ
إِذَا ظَهَرَ أَحَدُ ٱلأَوْلِيَاءِ بِبِلَادِهِمُ ٱلعَرَبِيَّةِ يَمْنَعُونَ تَلَامِيذَهُمْ عَنْهُ بِحُجَّةِ ٱلأَذِيَّةِ
يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَٱلجَاهْ فَعَمَلُ أَكْثَرِهِمْ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ لِمَوْلَاهْ
بَعْضُهُمْ يَدَّعِي ٱلتَّمَسُّكَ بِٱلوَلِيِّ لِلتَّبَرُّكِ فَقَطْ وَيَعْتَذِرُ عَنِ ٱلتَّعَامُلِ مَعَهُ بِتِلْكَ ٱلنُّقَطْ
يَرْفُضُ أَخْذَ ٱلرَّابِطَةِ مِنْهُ وَٱلذِّكْرِ وَعِلَاجِ ٱللَّطَائِفِ وَتَزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِ وَٱلفِكْرِ
بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ تَمَسَّكُوا عِنْدَ ٱلشَّيْخِ فُلَانْ فَلَا يَجُوزُ ٱلتَّعَامُلُ مَعْ غَيْرِهِ أَيٍّ كَانْ
فَعَلَى ٱلطَّالِبِ أَنْ لَا يَعْتَذِرَ عَلَيْهِ ٱلتَّجْرِبَةُ وَٱلمُشَاهَدَةُ لِئَلَّا يَنْغَدِرَ
وَنَسْتَغْرِبُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ حِينَمَا يَتَكَلَّمُونَ فَكَلَامُهُمْ قَدْ يَكُونُ حِكَمًا وَلَكِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ
قَالُوا: كُلٌّ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مُلْتَمِسٌ فَكَيْفَ ٱلجَاهِلُ مِنَ ٱلأَوْلِيَاءِ يَحْتَرِسُ ؟
فَعُلُومُ ٱلعِرْفَانِ لِلأَوْلِيَاءِ وَاحِدَةٌ وَقُلُوبُهُمْ عَلَى ٱلحَقِّ وَٱلعَقِيدَةِ مُتَوَحِّدَةٌ
وَسَائِرُ ٱلأَوْلِيَاءِ مَعَ ٱللهِ بِخَطٍّ وَاحِدْ ٱلصُّوفِيُّ وَٱلمُرِيدُ وَٱلزَّاهِدُ وَٱلذَّاكِرُ وَٱلمُتَوَاجِدْ
ٱلِٱنْتِسَابُ إِلَى أَحَدِهِمْ تَكْمِيلٌ لِلْمُرِيدْ وَفِيهِ رَبْطٌ بِأَخْلَاقِ ٱلصَّحَابَةِ وَتَجْدِيدْ
لَا بُدَّ لِأَيِّ مُرِيدٍ أَنْ يَعْرِضَ حَوَادِثْ قَلْبِهِ عَلَى وَلِيٍّ يَعْرِفُ بِعَوَارِضِ ٱلكَوَارِثْ
فَسَائِرُ ٱلأَوْلِيَاءِ يَأْخُذُونَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةْ وَهُمْ إِخْوَةٌ بِٱلدِّينِ وَطُرُقُهُمْ مُتَعَدِّدَةْ

لِكُلِّ وَلِيٍّ تَخَصُّصٌ وَمَقَامٌ مَعْلُومْ   ٱلْقَلِيلُ مَنْ يُدْرِكُ تِلْكَ ٱلْعُلُومْ

ٱلْمَذَاهِبُ ٱلْأَرْبَعَةُ هِيَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ   مَنْ قَلَّدَ أَحَدَهُمْ هُوَ بِسَلَامِ

لَا يَخْرُجُ عَنِ ٱلْمِلَّةِ مَنْ يَتْبَعُ أَحَدَهُمْ   وَلَا يَكْفُرُ مَنْ قَلَّدَ ٱلْأَوْلِيَاءَ وَٱتَّبَعَهُمْ

إِذَا ثَبَتَ لَدَيْنَا أَنَّ أَحَدَهُمْ مُرْشِدٌ كَامِلْ   فَعَلَيْنَا مَعَهُ أَنْ نَتَعَامَلْ

مَنْ كَانَ مِنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ ﷺ كَامِلًا مُرْشِدَا   فَلَا مَانِعَ أَنْ نَتَزَوَّدَ مِنْ عِلْمِهِ وَنَسْعَدَا

وَنَأْخُذَ مِنْهُ ٱلْأَذْكَارَ ٱلْقَلْبِيَّةَ وَٱلْأَفْكَارْ   طَالَمَا أَنَّهُ ﷺ مُرْشِدٌ إِلَى مَرْضَاةِ ٱلْغَفَّارْ

مِنْ أَيْنَ لِلنَّاقِصِ أَنْ يُزَوِّدَ غَيْرَهُ بِٱلْعِرْفَانِ   وَهُوَ لَمْ يَقْطَعْ أَشْوَاطَ مَعْرِفَةِ ٱلدَّيَّانِ ﷺ

مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِٱلسَّادَةِ ٱلرِّفَاعِيَّةِ   ثُمَّ تَمَسَّكَ بِأَحَدِ ٱلْأَوْلِيَاءِ ﷺ ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةِ

فَمَا هُوَ ٱلضَّرَرُ وَٱلْأَذَى ٱلْحَاصِلْ   ٱلْمُدَّعِي لَا يَعْرِفُ ٱلْغَافِلَ مِنَ ٱلْوَاصِلْ

إِنَّ ٱلتَّمَسُّكَ بِطَرِيقِ ٱلْفُقَرَاءِ لَهُ مَعْنًى أَسَاسِيّ   هُوَ تَجْدِيدُ ٱلْإِيمَانِ فِي ٱلْقَلْبِ وَٱلرَّأْسِ

وَطَلَبُ ٱلْمُسَاعَدَةِ ٱلرُّوحِيَّةِ لِإِصْلَاحِ ٱللَّطَائِفِ   مِنَ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْجَدِيدِ صَاحِبِ ٱلْوَظَائِفِ

ٱلْبَاطِنِيَّةِ ٱلْمُشْتَرَكِ فِيهَا سَائِرُ ٱلْأَوْلِيَاءِ ﷺ   ٱلْمُسْتَمِدِّينَ مِنْ مَدَدِ خَالِقِ ٱلسَّمَاءِ

فَٱلْإِمَامُ ٱلنَّبْهَانِيُّ ﷺ تَمَسَّكَ بِعِدَّةِ طَرَائِقْ   وَٱلسَّرْهَنْدِيُّ ﷺ بَايَعَ عِدَّةَ أَوْلِيَاءَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَقَائِقْ

ٱتَّخَذُوا بَعْضَهُمْ لِلسُّلُوكِ وَبَعْضَهُمْ لِلْبَرَكَةْ   وَصَارَتْ لَطَائِفُهُمْ مَعَهُمْ مُشْتَرِكَةْ

حِينَ ظُهُورِ ٱلْمَسِيحِ عليه السلام هَلْ نَعْتَذِرُ مِنْهُ   بِحُجَّةِ أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَاوَنَ مَعَهُ

وَرَبُّنَا ٱلْخَلَّاقُ ﷻ أَخْبَرَ بِكِتَابِهِ   وَبَيَّنَ لَنَا نَوْعِيَّةَ ٱلتَّعَامُلِ مَعْ أَحْبَابِهِ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة ٢٨٥)

يَنْبَغِي عَلَى مَنْ يَتْبَعُ ٱلطَّرَائِقْ   أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ ٱلسُّلُوكِ لِلْوُصُولِ لِلْحَقَائِقْ

وَيُرَاقِبُ قَلْبَهُ وَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ   وَيَزِينُ عَمَلَهُ وَيَتَّخِذُ الْحَلَالَ كَسْبَهُ

فَإِنِ انْتَقَلَ مِنْ عَالَمِ الْأَرْضِ الظُّلْمَانِيِّ   لِلْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ الْبَاطِنِيِّ النُّورَانِيِّ

وَانْكَشَفَتْ لَهُ الْمَعَارِفُ النُّورَانِيَّةْ   وَاسْتَغْرَقَ بِالْكُشُوفَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الْبَاطِنِيَّةْ

وَصَارَ قَلْبُهُ نَابِضًا بِمَلَكَةِ الذِّكْرِ   وَلَطَائِفُهُ مُتَحَرِّرَةٌ لِلْعَمَلِ الرُّوحَانِيِّ وَالشُّكْرِ

وَفَتَحَ اللهُ لَهُ الْعَيْنَ الثَّالِثَةْ   مَا بَيْنَ الْجَبِينِ وَالْعُيُونِ غَيْرِ الْعَابِسَةْ

وَبِهَا يُطِلُّ عَلَى حَيَاةِ الْكَشْفِ الْعِرْفَانِيِّ   وَيَصِيرُ كَأَنَّهُ شَخْصٌ مِنْ عَالَمٍ ثَانِي

أَيْ عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ فَهَذَا دَلِيلْ   أَنَّهُ سَلَكَ مَعْ مُرْشِدٍ كَامِلٍ جَلِيلْ

أَمَّا إِذَا كَانَ يَتَكَلَّمُ مِنَ الْأَوْهَامِ   وَهُوَ خَالٍ مِنْ طَرِيقِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ﷺ

فَقَدْ ضَيَّعَ، بِلَا شَكٍّ، وَقْتَهُ الثَّمِينْ   لِأَنَّهُ تَمَسَّكَ بِمُدَّعٍ لِلْإِرْشَادِ غَيْرِ أَمِينْ

التَّفَكُّرُ

التَّفَكُّرُ يُرَادُ لَهُ عُزْلَةٌ وَانْفِرَادُ   وَعَنِ الضَّوْضَاءِ وَنُورِ الشَّمْسِ ابْتِعَادُ

وَلَا يُجَالِسُ حِينَهَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ   لِأَنَّ صُوَرَ أَفْكَارِهِمْ تَنْتَقِلُ وَتُصِيبُهُ بِالْوَسْوَاسِ

فَقَدْ يَأْتِيهِ شَخْصٌ فَاسِدٌ مُتَكَبِّرٌ   يُؤَثِّرُ عَلَى صَفَاءِ أَفْكَارِهِ وَلَهُ يُعَكِّرُ

عَلَيْهِ انْتِخَابُ مَكَانٍ يُلَائِمُ مُرَاقَبَتَهُ   وَلَوْ أَكْثَرَ النَّاسُ بِذَلِكَ عَاتَبَتَهُ

وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الِانْتِفَاعْ   بِتَفَكُّرِهِ فَعَلَيْهِ بِسَلَامَةِ الْإِتِّبَاعْ

وَالتَّفَكُّرُ يَكُونُ عَلَى عِدَّةِ أَنْوَاعِ   مِنْهُمْ مَنْ يَتَفَكَّرُ كَيْفَ يَجْلِبُ طَعَامًا لِلْجِيَاعِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَفَكَّرُ كَيْفَ يَصِلُ لِلْخَفَايَا الْعِرْفَانِيَّةِ   وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَفَكَّرُ فِي الْقَضَايَا الدُّنْيَوِيَّةِ

فَالتَّفَكُّرُ طَرِيقُ تَفْتِيشٍ رُوحَانِي   عَنْ مَطَالِبَ وَاحْتِيَاجٍ دُنْيَوِيٍّ وَعِرْفَانِي

مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَفِكْرُهُ مُعَطَّلُ   وَٱلْمُسْتَعْمِلُ لِفِكْرِهِ عَلَى مَطْلَبِهِ يَحْصُلُ

وَمَنْ دَخَلَ ٱلْوَسْوَاسُ لِفِكْرِهِ ٱلْعَامِلْ   فَلْيَنْظُرْ لِبَطْنِهِ أَيَّ نَوْعٍ حَامِلْ

مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ مَا دَخَلَ أَمْعَاءَهُ ٱلْبَاطِنِيَّةْ   فَٱلْحَرَامُ يُعَطِّلُ آلَةَ أَفْكَارِهِ ٱلْعِرْفَانِيَّةْ

مَنْ تَفَكَّرَ فِي سُلُوكِهِ بِغَيْرِ دِينِهِ وَٱلْعِرْفَانْ   تَتَمَلَّكُهُ وَسْوَسَةٌ وَعِلَّةٌ وَيَكُونُ بِمُرَاقَبَتِهِ نُقْصَانْ

فَٱلْمُحِبُّ لِلَّهِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَخْرُجَ عَنْ حُدُودِهِ   وَلَا يَتَجَاوَزُ بِأَفْكَارِهِ شَرْعَ مَحْبُوبِهِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يُفَتِّشْ   عَمَّا فِي أَفْكَارِهِ مِنْ خَاطِرٍ مُوحِشْ

فَلْيَطْرُدْهُ مِنْ بَاطِنِهِ بِطَرِيقَةِ ٱلْمُرَاقَبَةِ   مَعْ تَسْلِيطِ ٱلرَّابِطَةِ عَلَى ٱلْأَمَاكِنِ ٱلْمُتْعِبَةِ

وَإِلَّا يَتَخَبَّطْ مَعَ أَفْكَارِهِ وَيَضْطَرِبْ   وَبِهَذَا تَضِيعُ أَوْقَاتُهُ بِٱلْوَسَاوِسِ فَيَكْتَئِبْ

وَمَنْ رَزَقَهُ ٱللهُ نِعْمَةَ ٱلتَّفَكُّرْ   عَلَيْهِ ٱلْمُحَافَظَةُ عَلَى حَالِهِ وَيَشْكُرْ

وَيَفِرُّ مِنْ كُلِّ جَلْسَةٍ فِيهَا غَفَلَاتُ   وَمِنْ كُلِّ مَشْهَدٍ فِيهِ عِلَلٌ وَآفَاتُ

لِأَنَّهُ إِذَا طُبِعَتْ بِمُخَيِّلَتِهِ تِلْكَ ٱلْمَشَاهِدْ   فَتَتْبَعُهُ حِينَ تَفَكُّرِهِ بِتِلْكَ ٱلْقَوَاعِدْ

وَعَلَيْهِ ٱلِابْتِعَادُ عَنِ ٱلسَّمَاعِ ٱلْمُؤْذِي   كَٱلْأَغَانِي ٱلْخَلِيعَةِ وَٱلشَّتْمِ ٱلْمُرْدِي

وَلْيُرَاقِبْ مَطْعَمَهُ وَمَشْرَبَهُ وَمَلْبَسَهْ   وَيَخْتَارُ مَكَانًا يُرِيحُ قَلْبَهُ فِي مَسْكَنِهْ

اَلتَّفَكُّرُ يُرَادُ لَهُ مُتَابَعَةٌ مُتَوَاصِلَةْ   لِيَسْتَطِيعَ تَجْمِيعَ قَلْبِهِ وَفِكْرِهِ بِلَا فَاصِلَةْ

وَلْيَقْطَعَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ كَيْ يَصِلْ   لِبَابِ ٱلْفُتُوحِ ٱلَّذِي فِيهِ قَلْبُهُ مُتَّصِلْ

وَتَتَجَوَّلُ أَفْكَارُهُ بِسَائِرِ أَرْضِيَّةِ ٱلْعَقْلْ   لِتَمْحُوَ مَا يُسَبِّبُ لِلسُّلُوكِ ٱلثِّقْلْ

مِنْ صُوَرٍ وَغَفَلَاتٍ وَسَمَاعٍ وَحَوَادِثْ   وَتُهَيِّئَ جِهَازَ ٱلتَّفَكُّرِ لِعُبُورِ ٱلْمَخَاطِرِ وَٱلْكَوَارِثْ

فَلَا يَظُنَّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ ٱلسُّلُوكَ سَهْلٌ مُرِيحْ   فَٱلْمُرَاقِبُ ٱلسَّالِكُ كَأَنَّهُ ذَاهِبٌ لِلْمِرِّيخْ

إِنَّ ٱلتَّدَبُّرَ وَٱلنَّظَرَ وَكَمَالَ ٱلِافْتِكَارِ   هُوَ مِفْتَاحُ ٱلْأَنْوَارِ وَخَطُّ ٱلِاسْتِبْصَارِ

يَجْهَلُ ٱلْبَعْضُ بِمَ وَكَيْفَ يَتَفَكَّرُ ؟   وَلِمَاذَا وَلِأَيِّ فَائِدَةٍ ٱلْإِنْسَانُ يَتَدَبَّرُ ؟

وَاللهُ قَـدْ أَمَـرَ بِكِتَابِـهِ ٱلكَـرِيمِ ٱلإِنْسَـانَ أَنْ يَتَفَكَّـرَ بِخَلْقِـهِ ٱلعَظِـيمِ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران ١٩١)

ٱلفِكْرَةُ كَٱلمِرْآةِ تُظْهِرُ لَـكَ بِصَمَاتِكَ وَتُرِيكَ وَتُذَكِّرُكَ بِحَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ

وَٱلفِكْـرَةُ هِـيَ مُخُّ عَقْـلِ ٱلمُرِيـدْ إِذَا تَفَكَّـرَ ظَهَـرَ لَـهُ مَـا ٱللهُ يُرِيـدْ

قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا ٱلمَرْءُ كَانَتْ لَـهُ فِكْرَةٌ فَفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ عِبْرَةٌ

قَالَ ٱلحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى ﷺ : "يَا رُوحَ ٱللهِ ، هَلْ عَلَى ٱلأَرْضِ ٱليَوْمَ مِثْلُكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ ذِكْرًا ، وَصَمْتُهُ فِكْرًا ، وَنَظَرُهُ عِبْرَةً ، فَإِنَّهُ مِثْلِي" (إحياء علوم الدين ج٤ ص٤٢٤)

قَالَ ٱلحَسَنُ ﷺ :

مَـنْ لَمْ يَكُـنْ كَلَامُـهُ حِكْمَـةً فَهُـوَ لَغْـوٌ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سُكُوتُهُ تَفَكُّرًا فَهُـوَ سَهْوٌ

طُولُ ٱلوَحْـدَةِ لِلْمُرِيـدِ أَفْهَـمُ لِلْفِكْـرِ وَٱلتَّفَكُّـرُ ٱلسَّلِيمُ يَزِيـدُ فِي ٱلشُّكْـرِ

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : "رَكْعَتَانِ مُقْتَصِدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ بِلَا قَلْبٍ".

لَـوْ تَفَكَّـرَ ٱلإِنْسَـانُ فِي ذَهَـابِ عُمْـرِهِ وَقِلَّـةِ عَمَلِـهِ وَٱقْتِـرَابِ أَجَلِـهِ

لَبَكَـى وَذَهَبَـتْ مِنْـهُ لَـذَّةُ ٱلحَيَـاةْ وَوَقَـفَ عَلَـى ٱلمَقَابِرِ يَنْتَظِرُ ٱلمَمَاتْ

ٱلتَّفَكُّرُ يُورِثُ ٱلحِكْمَةَ وَيُحْيِي ٱلقُلُوبْ وَيَزِيـدُ ٱلعِلْـمَ وَٱلحُـبَّ مَـعَ ٱلمَحْبُوبْ

وَيَزِيـدُ فِي ٱلخَـوْفِ وَيُـورِثُ ٱلحِكْمَـةْ وَيُزْهِـرُ ٱلمَعْرِفَـةَ وَيُوصِـلُ إِلَى ٱلفِطْنَـةْ

وَٱلتَّفَكُّرُ يُوصِلُ صَاحِبَهُ إِلَى ٱلمَعْرِفَةِ ٱلثَّمِينَةِ وَتَصِيرُ أَحْوَالُ قَلْبِـهِ وَجَوَارِحِـهِ ذَاتَ قِيمَةٍ

وَيَزِيـدُ فِي ذِكْـرِ ٱلقَلْـبِ وَيُنَمِّيـهِ وَإِلَى ٱلاِزْدِيَـادِ بِٱلمُجَاهَـدَاتِ يَهْدِيـهِ

كَمْ مِنْ جَاهِلٍ صَرَفَ فِكْرَهُ إِلَى ٱلشَّهَوَاتِ وَتَـرَكَ نِعْمَـةَ ٱلتَّفَكُّـرِ فِي نُـورِ ٱلآيَاتِ

أَفْضَلُ ٱلْفِكْرِ بِمَا سَمَحَ بِهِ ٱلدِّينُ   وَٱلتَّفَكُّرُ بِغَيْرِ ذَٰلِكَ فَهُوَ مُشِينُ

ٱلتَّفَكُّرُ بِهُمُومِ ٱلدُّنْيَا وَمَصَاعِبِهَا وَسْوَاسْ   وَٱلتَّفَكُّرُ بِهُمُومِ ٱلآخِرَةِ يُقَوِّي ٱلْحَوَاسّ

وَٱلْمُتَأَمِّلُ فِي ٱلآيَاتِ وَعَجَائِبِهَا   يَظْهَرُ لَهُ أَسْرَارٌ وَنُورُ ضِيَائِهَا

فَيَحْصُلُ ذَٰلِكَ بَعْدَ صَفَاءِ ٱلْقَلْبِ   وَصِدْقُ ٱلْمُعَامَلَةِ مَعَ ٱلنَّاسِ وَٱلرَّبِّ

وَٱلْمُتَفَكِّرُ بِأَخْبَارِ ٱلْحَبِيبِ ﷺ ٱلْمُعَظَّمِ   وَآلِ بَيْتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَكُلِّ مُكَرَّمِ

فَهُوَ فَنَاءٌ بِكَلِمَاتِهِ وَحِكْمَتِهِ   وَٱلْمَحَبَّةُ مُوصِلَةٌ إِلَىٰ ذَرَّاتِ مَعْرِفَتِهِ

وَهَٰذَا يَتَطَلَّبُ ٱسْتِغْرَاقًا بِٱلأَفْكَارِ   بِٱللَّيْلِ كَانَ أَوْ فِي ٱلنَّهَارِ

بَعْدَ تَنْظِيفِ ٱلْبَاطِنِ مِنَ ٱلْكُدُورَاتِ   وَتَحْلِيَةِ ٱلظَّاهِرِ بِٱلشَّرِيعَةِ وَٱلْمَبَرَّاتِ

مَنْ يَفْنَىٰ بِنَفْسِهِ أَيْ يَنْسَىٰ نَفْسَهْ   مُسْتَغْرِقًا بِفِكْرِهِ وَقَلْبِهِ وَسَائِرِ حِسِّهْ

لَيْسَ عِنْدَهُ فَرَاغٌ لِلنَّظَرِ بِدُنْيَاهُ   فَهُوَ صَاحِبُ ٱلْقَلْبِ ٱلْمَشْغُولِ بِأُخْرَاهُ

فَيَكُونُ مِمَّنْ تَتَسَاقَطُ عَلَيْهِ ٱلأَنْوَارُ   وَٱلْمَعَارِفُ وَٱلرَّحَمَاتُ وَٱلتَّجَلِّيَاتُ وَٱلأَسْرَارُ

سُلُوكُ ٱلْمُتَفَكِّرِ بِٱلتَّوْحِيدِ أَخْطَرُ سُلُوكْ   حَيْثُ تُجَادِلُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ ٱلْمُلُوكْ

يَرْمُونَ عَلَىٰ قَلْبِهِ خَوَاطِرَ مُهْلِكَةْ   وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةْ

تَتَوَقَّفُ دِفَاعَاتُهُ وَيَصْمُتُ لِسَانُهُ   وَيُدَافِعُ عَنْهُ رَبُّهُ ﷻ وَيُسَاعِدُهُ إِيمَانُهُ

فَنَجَاحُهُ يَكُونُ بِنَصْرِ ٱللهِ وَإِعَانَتِهِ   لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُمْ عَنْهُ بِقُدْرَتِهِ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج ٣٨)

فَإِنْ سَلِمَ مِنْ تِلْكَ ٱلْعَجَائِبْ   نَالَ مِنَ ٱلْمَقَامَاتِ مَا فِيهِ ٱلْغَرَائِبْ

وَهَانَتْ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَقَامَاتْ   فَتَأْتِيهِ رُمُوزٌ مُمَيَّزَةٌ وَإِشَارَاتٌ مُنَجِّيَاتْ

ٱللهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ لِعَبْدِهِ ٱلتَّفَكُّرَ   فَأَعْطَاهُ عَقْلًا لِيُطِيعَ رَبَّهُ وَيَشْكُرَ

المشعل الدري ، الحافظ لكتاب الله سماحة الشيخ محمد توفيق الهبري ، بيروت
(و 1828م – ت 1954م)

باقة الفن والأدب والدين الملقب ببلبل الأذكار وزينة حفلات مولد النبي المختار
سماحة الشيخ سليم البابا ، صيداء (و 1869م – ت 1932م)

قَالَ تَعَالَى جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون ١٢ - ١٤) .

بَعْضُ ٱلْمُتَفَكِّرِينَ يَسْمَعُ ٱلْآيَةَ وَيَتَفَكَّرُ ... وَٱلْغَافِلُ يَسْمَعُ ٱلْآيَةَ فَلَا يَتَدَبَّرُ
كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلْمَوْلُودَ مِنْ نُطْفَةٍ وَسَقَاهُ ... حَتَّى نَمَا وَكَبِرَ وَمِنْ نِعَمِهِ غَذَّاهُ
وَكَيْفَ حَوَّلَ ٱلنُّطْفَةَ إِلَى مُضْغَةْ ... وَكَسَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا وَبَشَرَةً سَابِغَةْ
وَجَعَلَ فِيهَا ٱلْعُرُوقَ وَٱلْأَوْتَارَ وَٱلْأَعْصَابَ ... وَجَعَلَ فِي ٱلْفَمِ ٱلْأَضْرَاسَ وَٱلْأَنْيَابَ
وَٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْأَنْفَ وَٱلْفَمَ وَسَائِرَ ٱلْمَنَافِذِ ... ثُمَّ مَدَّ ٱلْيَدَ وَٱلرِّجْلَ وَجَعَلَهُ غَيْرَ عَاجِزِ
وَٱلْأَصَابِعَ لَهَا مَفَاصِلُ عَجِيبَةٌ وَأَنَامِلْ ... وَخَلَقَ ٱلْأَعْضَاءَ ٱلْبَاطِنِيَّةَ وَٱلْقَلْبَ ٱلْعَامِلْ
وَكَبِدًا وَطِحَالًا وَرِئَةً لِلدَّمِ وَٱلْهَوَاءِ تُعَالِجْ ... وَمَثَانَةً وَأَمْعَاءَ وَجَعَلَ لَهَا مَخَارِجْ
لِكُلٍّ مِنْهَا عَمَلٌ مَخْصُوصٌ مُفِيدُ ... أَبَعْدَ هَٰذَا يُنْكِرُ ٱلْجَاهِلُ ٱلْعَنِيدُ!
وَٱلْأَسْنَانُ بَعْضُهَا لِلطَّحْنِ عَرِيضَةْ ... وَبَعْضُهَا حَادَّةٌ تَصْلُحُ لِلْقَطْعِ وَمُفِيدَةْ
سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي قَدَّرَهَا وَدَبَّرَهَا ... وَخَالَفَ بَيْنَ أَشْكَالِهَا وَأَقْدَارِهَا
خَصَّهَا ٱللَّهُ بِهَٰذَا ٱلْعَدَدِ ٱلْمَخْصُوصِ لِلْحَالِ ... لَوْ زَادَتْ عَنْ ذَٰلِكَ لَٱسْتَحَالَ إِلَى وَبَالِ
أَوْ نَقَصَ وَاحِدٌ لَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ يَحْتَاجْ ... إِلَى طَبِيبٍ يُعْطِيهِ لِنُقْصَانِهِ عِلَاجْ
هَٰذِهِ ٱلْعَجَائِبُ تَدُلُّ عَلَى خَالِقِهَا ... فَسُبْحَانَ ٱلْقَادِرِ ٱلَّذِي صَوَّرَهَا
فَٱنْظُرْ إِلَى ظَاهِرِ ٱلْإِنْسَانِ وَبَاطِنِهْ ... تَرَ ٱلْعَجَائِبَ وَٱلْغَرَائِبَ تُسَاكِنُهْ
فَقَدْ هَدَى ٱلطِّفْلَ لِيَلْتَقِمْ ... ثَدْيَ أُمِّهِ بُعَيْدَ خُرُوجِهِ مِنَ ٱلرَّحِمْ

وَخَصَّصَ لَهُ ٱللَّبَنَ ٱللَّطِيفَ فِي ثَدْيِ أُمِّهِ وَسَهَّلَ لَهُ ٱلتَّصْرِيفَ

تَفَكَّرْ كَيْفَ أَعْطَاهُ ٱلْقُوَّةَ وَٱلْعَقْلَ وَٱلْهِدَايَةَ تَدْرِيجِيًّا حَتَّى بَلَغَ ٱلْحَقْلَ

وَتَكَامَلَ مِنْ مُرَاهِقٍ إِلَى شَابٍّ ثُمَّ كَهْلٍ ثُمَّ شَيْخٍ عَجُوزٍ فَاقِدِ ٱلْأَهْلِ

وَيَكُونُ إِمَّا كَفُورًا وَإِمَّا شَكُورًا مُطِيعًا أَوْ عَاصِيًا مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا مُرِيعًا

هَذَا أَقْرَبُ شَيْءٍ لِلتَّفَكُّرِ ٱلْعَمِيقِ بِهَذَا ٱلْخَلْقِ ٱلْإِلَهِيِّ ٱلْعَجِيبِ وَٱلدَّقِيقِ

فَإِذَا ٱنْتَهَيْتَ لِلتَّفَكُّرِ بِنَفْسِكَ فَتَفَكَّرْ بِٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي هِيَ مَقَرُّكَ

ثُمَّ ٱنْتَقِلْ بِفِكْرِكَ لِلسَّمَوَاتِ ٱلظَّاهِرَةِ وَتَعَمَّقْ فِيهَا بِقُوَّةِ فِكْرٍ مَاهِرَةٍ

قَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ (الذاريات ٤٧ – ٤٨) .

بَصَرُ بَعْضِ ٱلنَّاسِ كَبَصَرِ ٱلْخُفَّاشْ يَهْرُبُ مِنَ ٱلنُّورِ كَأَنَّهُ بِهِ بَطَّاشْ

ٱلْمُتَفَكِّرُ بَصَرُهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْمُرَاقَبَةْ كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلنُّورُ تَوَسَّعَتِ ٱلْمُشَاهَدَةْ

ٱلضَّعِيفُ لَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى ٱلتَّحَمُّلِ لِأَنَّهُ لَمْ يُجَاهِدْ بِٱلتَّفَكُّرِ وَٱلتَّأَمُّلِ

وَمِنَ ٱلتَّفَكُّرِ مَا يُسْمَحُ ٱلْغَوْصُ فِيهِ وَبَعْضُهُ غَيْرُ مَسْمُوحٍ بِهِ كَمَا سَنَرْوِيهِ

قَالَ ٱلْإِلَهُ ٱلْعَظِيمُ ﷻ : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل ٨)

وَقَالَ ﷻ : ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الواقعة ٦١)

فَٱلتَّفَكُّرُ بِمَا لَا نَعْرِفُهُ وَنَجْهَلُهُ كَٱلْعَرْشِ وَٱلْكُرْسِيِّ وَٱلْمَلَائِكَةِ ﷺ مِمَّا لَا نُدْرِكُهُ

وَٱلْجِنِّ وَٱلشَّيَاطِينِ سَمِعْنَا عَنْهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ وَآمَنَّا وَصَدَّقْنَا بِهِمْ

وَلَكِنْ يَضِيقُ وَيَغْمُضُ ٱلتَّفَكُّرُ بِهِمْ إِلَّا إِذَا فَتَحَ ٱللهُ لِلْعَارِفِينَ عُيُونَهُمْ

وَٱلْأَقْرَبُ بِٱلتَّأَمُّلِ إِلَى ٱلْأَفْهَامِ وَٱلْأَفْكَارِ ٱلْمُدْرَكَاتُ بِحِسِّ ٱلْبَصَرِ وَنُحَصِّلُهَا بِٱلْأَذْكَارِ

كَٱلْمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلْكَوَاكِبِ وَٱلشَّمْسِ وَحَرَكَتِهَا وَدَوَرَانِهَا ٱلْمُفِيدَةِ لِلْمُرَاقِبِ

وَٱلتَّفَكُّرُ بِٱلأَرْضِ جِبَالِهَا وَمَعَادِنِهَا وَأَنْهَارِهَا وَحَيَوَانِهَا وَنَبَاتِهَا وَمَا فِي بِحَارِهَا

وَغُيُومِهَا وَأَمْطَارِهَا وَثُلُوجِهَا وَرَعْدِهَا وَبَرْقِهَا وَصَوَاعِقِهَا وَشُهُبِهَا وَرِيَاحِهَا

فَهَٰذِهِ مَوْجُودَاتٌ ٱلْخَالِقُ قَدْ خَلَقَهَا فَهِيَ مِنْ فِعْلِهِ وَلَنَا قَدْ أَظْهَرَهَا

وَجَمِيعُ ذَٰلِكَ مَجَالٌ لِلتَّأَمُّلِ وَٱلتَّفَكُّرْ جَمِيعُهَا تَسْجُدُ لَهُ وَتَذْكُرُهُ وَتَشْكُرْ

قَالَ ﷻ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾
(الإسراء ٤٤)

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (الأنبياء ٧٩)

ٱلتَّفَكُّرُ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ لِمَنْ لَمْ يُشَاهِدْهُ بِٱلْحَيَاةِ يَتَطَلَّبُ كَثِيرًا مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ وَٱلتَّعَبِ وَٱلْمُجَاهَدَاتِ

حَتَّى يَتَكَوَّنَ بِقَلْبِهِ حُبُّهُ وَٱلْفَنَاءْ لِغَايَةِ وُصُولِهِ بِفِكْرِهِ لِدَارِ ٱلْبَقَاءْ

فَتَتَرَاكَمُ عَلَيْهِ صُوَرُ أَهْلِ ٱلْكَمَالِ وَيَتَوَسَّعُ قَلْبُهُ وَيُصْبِحُ مِنَ ٱلرِّجَالِ

فَيُرْزَقُ بِصُورَةٍ جَمَالِيَّةٍ حَسَبَ حَالِهْ تَثْبُتُ بِمُخَيِّلَةِ أَفْكَارِهِ فَيَتَأَمَّلُ كَمَالَهْ

ثُمَّ يَتَطَوَّرُ ٱلْجَمَالُ وَٱلْكَمَالُ بِٱلْمُشَاهَدَةِ بِحَسَبِ طَرِيقَةِ ٱلْمُتَأَمِّلِ بِٱلذِّكْرِ وَٱلْعِبَادَةِ

أَمَّا ٱلتَّفَكُّرُ بِٱلْوَلِيِّ لِمَنْ شَاهَدَهُ حَيًّا فَلَا يَظْهَرُ لَهُ كَمَالُهُ إِلَّا إِذَا كَانَ وَلِيًّا

أَمَّا ٱلصُّوَرُ ٱلَّتِي تَظْهَرُ لِلْعَوَامّْ فَهِيَ مُقَدِّمَةٌ لِيَتَابَعَ ٱلْمُتَأَمِّلُ وَإِعْلَامْ



ٱلْمَوْتُ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾
(النساء ٧٨)

ٱلْمُنْهَمِكُ بِٱلدُّنْيَا ٱلْمُنْكَبُّ عَلَىٰ غُرُورِهَا نَاسِيًا مَوْلَاهُ سَاعِيًا وَرَاءَ شُرُورِهَا

إِذَا ذَكَّرْتَهُ بِٱلْمَوْتِ نَفَرَ مِنْهُ وَإِذَا نَصَحَهُ مُؤْمِنٌ رَحَلَ عَنْهُ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء ١)

يَكْرَهُ الْمَوْتَ خَوْفًا أَنْ يَخْتَطِفَهُ ... وَلَا يَتَفَكَّرُ فِيهِ يَوْمًا حَتَّى يَأْلَفَهُ

قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ (الجمعة ٨)

مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ بِكُلِّ خُطْوَةْ ... يَنْبَعِثُ الْخَوْفُ مِنْ قَلْبِهِ وَالْخَشْيَةْ

فَهَذَا مَقَامُ الْمُرِيدِ الْخَائِفِ بِدُنْيَاهُ ... الْمُشْتَاقُ لِلِقَاءِ رَبِّهِ ﷻ حَبِيبِهِ ﷻ وَمَوْلَاهُ

يَتَمَنَّى الْخَلَاصَ مِنْ دَارِ الْعَاصِينَ ... لِيَنْتَقِلَ إِلَى جَنَّاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

فَلْيَعْلَمِ الْمُرِيدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَحْبَابِ ... وَخَلْعِ الْأَسْبَابِ وَمُوَاجَهَةِ شِدَّةِ الْحِسَابِ

مَنْ خَافَ الْوَعِيدَ قَصُرَ عَلَيْهِ الْبَعِيدُ ... وَمَنْ مَاتَ مَغْفُورًا لَهُ فَهُوَ السَّعِيدُ

وَمَنْ طَالَ أَمَلُهُ ضَعُفَ عَمَلُهُ ... وَمَنْ عَشِقَ الدُّنْيَا أَثْقَلَهُ مَالُهُ

إِنَّ الدُّنْيَا لَا تَسُرُّ بِقَدْرِ مَا تَضُرّ ... كُنْ مُتَفَكِّرًا بِالْمَوْتِ وَمِنْهُ لَا تَفِرّ

إِنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَخْصُوصْ ... يَخْطَفُ الشَّابَّ وَالْقَوِيَّ وَالْعَجُوزَ وَالنُّفُوسْ

فَيَسْتَبْعِدُ بَعْضُهُمْ قُرْبَ الْمَوْتِ مِنَ الشَّبَابْ ... وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْخُذُ الْكُلَّ وَالْأَحْبَابْ

بَعْضُهُمْ يَأْلَفُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ مُشَاهَدَةِ الْأَمْوَاتِ ... وَيَسْتَبْعِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ

لِأَنَّ صِحَّتَهُ مَتِينَةٌ وَقُوَّتَهُ وَفِيرَةٌ ... وَمَالَهُ كَثِيرٌ وَقُصُورَهُ وَحَدَائِقَهُ كَثِيرَةٌ

سُدَّتْ مَنَافِذُ قَلْبِهِ لِلْمَوَاعِظِ الْمُوقِظَةْ ... فَهَذَا دَاءٌ عُضَالٌ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِ الْمَوْعِظَةْ

فَهَذَا وَضْعُهُ سَيِّئٌ وَحَالُهُ خَطِيرْ ... وَالتَّفَكُّرُ بِالْمَوْتِ يَمْحُو مِنْهُ كُلَّ حَقِيرْ

إِنْ فَكَّرَ بِأَنَّهُ طُعْمَةٌ لِلدُّودِ الْمُنْتَشِرْ ... أَكْثَرَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَبِالْمَوْتِ يَسْتَبْشِرْ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ ... فَهُوَ يَنْتَظِرُهُ كَأَنَّ الْمَوْتَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ

كَمَا نُقِلَ عَنِ الْأَسْوَدِ، وَهُوَ حَبَشِيٌّ، أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي لَيْلًا وَيَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: " مَا هَذَا ؟ قَالَ أَنْظُرُ مَلَكَ الْمَوْتِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ يَأْتِينِي" (إحياء علوم الدين ج٤ ص ٤٥٨)

فَهَذِهِ مَرَاتِبُ الْكُمَّلِ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتْ ... عِنْدَ اللهِ مُنَزِّلِ السُّوَرِ وَالْآيَاتْ

فَعَلَامَـةُ ٱلتَّوْفِيـقِ لِلْمُرِيـدِ ٱلصَّـادِقْ أَنْ يَكُونَ ٱلْمَوْتُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ لَا يُفَارِقْ
مَـنْ كَـانَ ٱلْمَـالُ يُشْـغِلُهُ بِـلَا ذِكْـرِ يُصْبِحُ قَلْبُهُ عَاكِفًا عَلَى هَـٰذَا ٱلْفِكْـرِ
فَيَثْقُـلُ عَلَـىٰ قَلْبِـهِ مُفَارَقَتُهَـا فَيَلْـهُو عَـنْ ذِكْـرِ ٱلْمَـوْتِ لِكَثْرَةِ حُبِّهَـا
إِذَا عَـنَّ عَلَـىٰ بَالِـهِ ٱلْمَـوْتُ وَخَطَـرْ يُعِينُهُ ذٰلِكَ عَلَى ٱلِٱسْتِعْدَادِ لِمَا بَعْدَ ٱلْقَبْرْ
فَيَقُـولُ إِلَىٰ أَنْ أُصْـبِحَ كَـبِيرًا أَعْمَـلُ بِٱلطَّاعَـاتِ وَٱلْأَفْكَـارِ كَـثِيرًا
بَعْـدَمَا يَصِـيرُ كَـبِيرًا يَقُـولُ بِتَهَـرُّبْ بَعْـدَمَا أَنْتَهِـي مِـنَ ٱلْبِنَـاءِ سَـأُجَرِّبْ
فَـلَا يَـزَالُ يُسَـوِّفُ وَيُـؤَخِّرُ ٱلْعَمَـلْ حَتَّـى يَـأْتِيَ ٱلْمَـوْتُ وَيَقْطَـعَ مِنْـهُ ٱلْأَمَـلْ
فَقَدِ ٱسْتَبْعَدَ قُرْبَ ٱلْمَـوْتِ مَـعَ ٱلشَّـبَابْ بِلَحْظَـةٍ مَضَـتْ حَيَاتُـهُ وَقَـدْ غَـابْ
عَلَـىٰ ٱلْمُرِيـدِ أَنْ يُعَـيِّنَ وَقْتًـا لِلِٱنْتِظَـارْ فَالْمَوْتُ يَأْخُذُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ٱلْكِبَارَ وَٱلصِّغَارْ

قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ ﷺ : خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَٱلشَّمْسُ عَلَى أَطْرَافِ ٱلسَّعَفِ فَقَالَ :

"مَا بَقِيَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِنَا هَـٰذَا فِي مِثْلِ مَا مَضَى مِنْهُ"

(إحياء ج ٤ ص ٤٥٩)

فَٱلْمَوْتُ بِيَدِ سِوَاكَ لَا تَدْرِي مَتَى يَغْشَاكَ فَٱسْتَعِدَّ لَـهُ قَبْـلَ أَنْ يُفَاجِئَـكَ وَيَلْقَـاكَ
ٱلْمَـوْتُ أَشَـدُّ مِـنْ ضَـرْبِ ٱلسَّـيْفْ يَقْطَعُ صَوْتَ ٱلْمَيِّتِ وَيُرْعِبُ ٱلضَّـيْفْ
وَأَشَـدُّ مِـنْ نَشْـرِ ٱلْمَنَاشِـيرِ ٱلْحَـادَّةْ وَأَشَـدُّ مِـنْ قَـرْضِ ٱلْمَقَارِيضِ ٱلشَّـادَّةْ
يُبْكِمُ ٱللِّسَـانَ وَيُشِـلُّ ٱلْأَطْـرَافَ شَـلَّا وَيُـذْهِبُ ٱلْعَقْـلَ وَيُنْسِـي ٱلْمَـالَ وَٱلْغَلَّـةْ
ٱلْمَوْتُ مِنْ أَفْظَعِ ٱلْأَهْوَالِ بِٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةْ كَأَنَّ ٱلنَّفْسَ حِينَ ٱلْمَوْتِ تَخْرُجُ مِنْ إِبْـرَةْ

قَالَ ٱلصَّادِقُ ٱلْمَصْدُوقُ ﷺ : **" مَوْتُ ٱلْفَجْأَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَسَفٌ عَلَى ٱلْفَاجِرِ "**

(إحياء ج ٤ ص ٤٦٣)

فَـإِنَّ لِلْمَـوْتِ ثَـلَاثُ دَوَاهٍ مُرْعِبَـةْ شِـدَّةُ ٱلْفَـزَعِ ٱلَّـتِي لِلْقَلْـبِ مُتْعِبَـةْ

وَمُشَاهَدَةُ صُورَةِ مَلَكِ ٱلْمَوْتِ ٱلْمُزَلْزِلَةِ وَدُخُولُ ٱلرُّعْبِ وَٱلْخَوْفِ بِتِلْكَ ٱلْمَنْزِلَةِ
لَا يُطِيقُ رُؤْيَتَهُ حِينَ ٱلْقَبْضِ فَارِسٌ لِمَا فِي هَيْئَتِهِ مِنْ رُعْبٍ وَكَوَارِثَ
وَرُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى عليه السلام مَرَّ بِجُمْجُمَةٍ فَضَرَبَهَا بِرِجْلِهِ فَقَالَ: " تَكَلَّمِي بِإِذْنِ ٱللهِ
فَقَالَتْ: يَا رُوحَ ٱللهِ أَنَا مَلِكُ زَمَانِ كَذَا وَكَذَا بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي مُلْكِي عَلَى تَاجِي
وَحَوْلِي جُنُودِي وَحَشَمِي عَلَى سَرِيرِ مُلْكِي إِذْ بَدَا لِي مَلَكُ ٱلْمَوْتِ فَزَالَ مِنِّي كُلُّ
عُضْوٍ عَلَى حِيَالِهِ، ثُمَّ خَرَجَتْ نَفْسِي إِلَيْهِ، فَيَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْ تِلْكَ ٱلْجُمُوعِ كَانَ
فُرْقَةً! وَيَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ٱلْأُنْسِ كَانَ وَحْشَةً!" (إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٦٤)

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى جل جلاله: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة ١١٠)

وَقِيلَ يَظْهَرُ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ لِلصَّالِحِ ٱلتَّقِيِّ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنْ رُقِيِّ
أَمَّا ٱلْكُفَّارُ فَيَسْمَعُونَ مَلَكَ ٱلْمَوْتِ يُبَشِّرُ يَا عَدُوَّ ٱللهِ ٱلنَّارُ (مَقْعَدُكَ فَأَبْشِرْ)
فَخَوْفُ سُوءِ ٱلْخَاتِمَةِ قَطَّعَ قُلُوبَ ٱلْعَارِفِينَ كَمْ حَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ سَيِّدُ ٱلنَّبِيِّينَ ﷺ

ٱلتَّفَكُّرُ بِٱلْمَوْتِ

يَتَفَكَّرُ كَيْفَ سَتَنْهَدِمُ قُوَّتُهُ وَشَبَابُهُ وَتَنْشَلُّ رِجْلَاهُ وَمَفَاصِلُهُ وَتَذُوبُ ثِيَابُهُ
وَكَيْفَ سَيَأْكُلُ ٱلدُّودُ شَفَتَيْهِ وَلِسَانَهُ وَكَيْفَ سَتَذُوبُ فِي ٱلتُّرَابِ أَسْنَانُهُ
مَنْ وَصَلَ لِتِلْكَ ٱلْحَالِ فَهُوَ مُرِيدُ وَمَنْ لَمْ يَتَأَثَّرْ فَهُوَ عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعِيدُ
فَمُلَازَمَةُ هَٰذِهِ ٱلْأَفْكَارِ وَأَمْثَالِهَا مَعَ دُخُولِ ٱلْمَقَابِرِ مَعَ سَائِرِ زُوَّارِهَا
وَمُشَاهَدَةُ ٱلْمَرْضَى وَٱلْمُصَابِينَ يَقْطَعُ لِلْمُرِيدِ ٱلْأَمَلْ وَبِذِكْرِهِ لِلْمَوْتِ يَهْجُمُ عَلَى ٱلْعَمَلْ
فَتُصْبِحُ صُورَتُهُ مَطْبُوعَةً بِٱلْقَلْبِ وَٱلْفِكْرْ وَيَصِيرُ ٱلْمَوْتُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ فَيَخَافُ وَيَنْكَسِرْ

قَالَ ﷺ : "يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مَعَهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ".

(إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٥٣)

فَلْيَعْلَمِ الْمُرِيدُ أَنَّ الدُّنْيَا حُلُمْ ... وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ وَنَحْنُ بِأَضْغَاثِ أَحْلَامٍ نُلِمّ

إِنَّ الْمَوْتَ صَارَ مِنَ الْإِنْسَانِ قَرِيبًا ... وَكُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ يَأْخُذُ مِنْ عُمْرِهِ نَصِيبًا

وَلِلْبَلَاءِ فِي جِسْمِهِ وَقَلْبِهِ دَبِيبًا ... فَلَا بُدَّ أَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ وَالْحَبِيبَا

فَبَادِرْ إِلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ قَبْلَ الرَّحِيلِ ... قَبْلَ سُقُوطِ وَرَقَتِكَ وَكَثْرَةِ الْعَوِيلِ

فَلَا تَغْتَرَّ بِقُوَّةِ صِحَّتِكَ وَقِلَّةِ الْأَلَمِ ... كَمْ مِنْ قَوِيٍّ مَاتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمِ

إِلْزَمِ التَّفَكُّرَ بِقُرْبِ أَجَلِكَ ... وَالزُّهْدَ فِي كُلِّ مَا يُطِيلُ أَمَلَكَ

وَازْدَدْ فِي طَاعَاتِكَ وَعَمَلِكَ ... وَتَوَقَّفْ عَنْ غَفْلَتِكَ وَحِيَلِكَ

فَإِذَا مِتَّ فَلَنْ تَعُودَ إِلَى دُنْيَاكَ ... وَلَنْ يَنْفَعَكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلِكَ وَلَيْسَ هَوَاكَ

فَاعْمَلْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ النَّدَامَةِ ... وَعُدْ عَلَى نَفْسِكَ بِالتَّوْبِيخِ وَالْمَلَامَةِ

فَلْيَتَفَكَّرِ الْمُرِيدُ بِسُوءِ الْمَصْرَعِ ... وَضِيقِ اللَّحْدِ وَخُشُونَةِ الْمَضْجَعِ

بِصَيْحَةِ الْحَشْرِ وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ ... وَتَجَلِّي الْجَبَّارِ ﷻ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ

فَيُهْدَمُ كُلُّ بِنَاءٍ وَتَخْلُو الْأَرْضْ ... مِنْ أَهْلِهَا وَقَدْ جَاءَ يَوْمُ الْعَرْضْ

حِينَذَاكَ تُوضَعُ الْأَسْرَارُ بِالْمَوَازِينْ ... وَيُؤْتَى بِالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالنَّبِيِّينْ

هَذِهِ الْأَفْكَارُ الرَّهِيبَةُ تَهْدِمُ اللَّذَّاتِ ... وَتُقَصِّرُ الْأَمَلَ وَتُنَفِّرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ

التَّفَكُّرُ بِالْمَوْتِ يُوقِظُ النَّائِمِينَ ... وَيُحَذِّرُ الْغَافِلِينَ وَيُفَرِّحُ الْمُتَّقِينَ

فَلِذَلِكَ وَضَعَ السَّادَةُ الْأَوْلِيَاءُ ... لِلتَّفَكُّرِ بِالْمَوْتِ بَابًا بِالطَّرِيقَةِ الْعَلْيَاءْ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

"أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ"[1] ... وَمَعْنَاهُ نَغِّصُوا بِذِكْرِهِ اللَّذَّاتِ

(١) رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده

حَتَّى يَنْقَطِعَ رُكُونُكُمْ إِلَيْهَا فَتُقْبِلُوا عَلَى اللهِ وَلَيْسَ عَلَيْهَا (الدنيا)

وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ سَبَبُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَيُوجِبُ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ الْمُبْتَذَلَةِ

وَيَقْضِي بِالْاِسْتِعْدَادِ لِدَارِ الآخِرَةِ وَيُقَرِّبُ مِنْ أَصْحَابِ الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

الْمُرِيدُ يُحِبُّ الْمَوْتَ وَيَسْعَى لَهُ وَيَسْتَعِدُّ بِسَائِرِ أَوْقَاتِهِ وَيَتْرُكُ اللَّهْوْ

لِأَنَّهُ يَعُدُّ الدُّنْيَا سِجْنًا وَعَنَاءْ تُقَاسِي نَفْسُهُ بِهَا أَنْوَاعَ الْبَلَاءْ

فَالْمَوْتُ إِطْلَاقٌ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَيُشَوِّقُهُ لِلِقَاءِ آلِ الْبَيْتِ وَالْأَصْحَابِ

قَالَ ﷺ : " **تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ** " (إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٥٠)

تَفَكَّرْ بِالْمَوْتِ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ إِلَى دَارِ الْأَخْطَارِ

تَتَمَنَّى فِيهَا الْمَوْتَ فَلَا تَجِدُهُ عَلَى الْمُرِيدِ دَوْمًا أَنْ يُرَدِّدَهُ

الصَّالِحُونَ كَانُوا يَتَذَاكَرُونَ الْمَوْتَ وَالْقِيَامَةْ وَيَبْكُونَ كَأَنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ جَنَازَةٌ مُقَامَهْ

مَنْ عَرَفَ الْمَوْتَ بِالدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُهَا وَهُمُومُهَا قَدْ لَانَتْ

كَمْ قَطَعَ الْمَوْتُ قُلُوبَ الْخَائِفِينَ فَوَاللهِ لَا نَرَاهُم إِلَّا بِاسْتِعْدَادٍ وَاهِينَ

ذِكْرُ الْمَوْتِ يُرَقِّقُ الْقَلْبَ وَيَكْوِيهِ بِنَارِ الشَّوْقِ وَإِلَى الْمَعَارِفِ يَهْدِيهِ

وَكَانَ حَضْرَةُ عِيسَى عليه السلام إِذَا ذُكِرَ الْمَوْتُ عِنْدَهُ يَقْطُرُ جِلْدُهُ الْمُبَارَكُ دَمًا .

(إحياء علوم الدين ج٤ ص٤٥١) .

وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ قَدْ حَفَرَ قَبْرًا فِي دَارِهِ فَكَانَ يَنَامُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ يَسْتَدِيمُ بِذَلِكَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَكَانَ يَقُولُ : " لَوْ فَارَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ قَلْبِي سَاعَةً وَاحِدَةً لَفَسَدَ ".

(إحياء علوم الدين ج٤ ص٤٥١) .

فَلْيَعْلَمِ الْمُرِيدُ أَنَّ الْمَوْتَ هَائِلُ وَخَطَرُهُ عَظِيمٌ وَغَفْلَةُ النَّاسِ لَهَا دَلَائِلُ

لِقِلَّةِ فِكْرِهِمْ فِيهِ وَذِكْرِهِمْ لَهُ وَإِنْ ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ بِقَلْبٍ مَمْلُوءٍ بِالسَّهْوْ

فَـلَا يَـتَّعِظُ بِـهِ وَلَا بِـذِكْرِهِ يَتَـأَثَّرْ لِكَثْرَةِ مَا تَرَكَتِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ مِنْ أَثَرْ

مَنْ لَمْ يُصَبْ بِٱلْمَصَائِبِ وَٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْعِلَلْ لَا يَتَـذَكَّرِ ٱلْمَـوْتَ وَلَا يُقَصِّـرِ ٱلْأَمَـلْ

فَلْيَتَذَكَّرِ ٱلْغَافِلُ مَـوْتَ وَمَصَارِعَ أَحْبَابِهِ كَيْفَ مَحَا ٱلتُّرَابُ صُـوَرَهُمْ وَلْيَنْظُرْ لِشَبَابِهِ

نَصَائِحُ لِلْمُتَفَكِّرِ بِرَابِطَةِ ٱلْمَوْتِ

عَلَيْـهِ أَنْ يَكُـونَ بَعِيـدًا عَـنِ ٱلْخِصَـامِ وَكُلِّ مَا يُؤَدِّي إِلَى ٱلْحَسَدِ وَٱلْغَيْرَةِ وَٱلْمَلَامِ

لِأَنَّ مَـنْ يَتَفَكَّـرُ بِـهِ وَلَـهُ عَلَيْـهِ حَـقّ تَنْتَقِلُ صُـوَرُ أَفْكَارِهِ عَـنْ بُعْـدٍ مُحَقَّقْ

يَتَفَكَّـرُ أَوَّلًا بِٱلتَّوْبَـةِ ٱلصَّـادِقَـةِ مَصْحُوبَةً بِٱلنَّدَمِ عَلَىٰ ٱلْمَعَاصِي ٱلْمُحْرِقَةِ

ثُمَّ بِكَيْفِيَّةِ ٱلْخُرُوجِ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَـعَ ٱلرَّاجِينَ لِأَنَّ رَحْمَـةَ ٱللهِ قَرِيـبٌ مِـنَ ٱلْمُـؤْمِنِينَ

ثُـمَّ يَتَفَكَّـرُ بِنَوْعِيَّـةِ ٱلتَّقَرُّبِ وَٱلْخُشُوعِ لِيَجْمَعَ ٱلْوَعْدَ وَٱلْوَعِيدَ فِي ذَٰلِكَ ٱلْمَوْضُوعِ

ثُـمَّ يَتَفَكَّـرُ بِمَرَاتِـبِ ٱلْخَـوْفِ وَٱلْإِجْلَالِ وَمَا عِنْدَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ مِنْ ثِقَلِ ٱلسُّؤَالِ

وَيَتَفَكَّـرُ بِعَـذَابِ ٱلْقَـبْرِ وَدِيدَانِـهِ وَفُقْـدَانِ مَالِـهِ وَأَهْلِـهِ وَخِلَّانِـهِ

ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَخَاطِرِ ٱلصِّرَاطِ وَٱلْجَحِيمْ وَهَـلْ إِلَى ٱلْجَنَّـةِ أَم بِـٱلْجَحِيمِ مُقِيمْ

وَقَـدْ يَمُـرُّ عَلَيْـهِ تَفَكُّـرَاتٌ مُتَنَوِّعَـةْ كَٱلْأَغْلَالِ وَٱلسَّلَاسِلِ وَٱلزَّقُّومِ وَصُوَرٍ مُرَوِّعَةْ

وَهَٰذِهِ مَقَامَاتٌ هَائِلَـةٌ وَمُرْعِبَـةٌ وَصَعْبَةْ فَلَا يَظُنَّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ ٱلتَّفَكُّرَ مُجَرَّدُ لُعْبَةْ

وَيُوَاصِـلُ إِلَى أَنْ يَقْطَـعَ أَشْـوَاطًا كَثِيرَةْ ثُـمَّ يَنْتَقِـلُ لِلتَّفَكُّـرِ بِـأُمُورٍ مُـثِيرَةْ

أَوَّلُهَـا رُؤْيَـةُ ٱللهِ بِـلَا كَيْـفٍ وَلَا مَكَـانِ فِي جَنَّةٍ أَعْظَـمُ نَعِيمِهَـا مُشَاهَدَةُ ٱلدَّيَّانِ

وَقَـدْ يَمُـرُّ عَلَىٰ تَفَكُّـرِهِ أَكْثَـرُ نَعِيمِهَـا وَمُلْكُهَا ٱلدَّائِمُ وَمَشِيئَةُ ٱللهِ ٱلْخُلُـودُ فِيهَـا

هَٰذَا بَعْضُ مَا يُثْمِرُهُ ٱلتَّفَكُّرُ مِنَ أَحْـوَالِ وَهُـوَ مُتَنَـوِّعٌ بِحَسَـبِ هِمَّـةِ ٱلرِّجَـالِ

فَإِنْ وَصَلَ بِتَفَكُّرِهِ لِأَسْرَارِ الآيَاتِ فَهُوَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ
وَمِنْهُ يَنْطَلِقُ بِفِكْرِهِ إِلَى مَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ ﷻ فَيَقْطَعُ أَشْوَاطًا وَمَقَامَاتِ الْجِنَانِ
التَّفَكُّرُ بِالْمَوْتِ هُوَ بَابٌ لِلْمَعْرِفَةِ وَالْمَوْتُ فِيهِ قَهْرٌ لِأَصْحَابِ النُّفُوسِ الْمُقْتَرِفَةِ
قَصَمَ اللهُ بِهِ رِقَابَ الْجَبَابِرَةِ وَكَسَرَ فِيهِ ظُهُورَ الْمُعَانِدِينَ الأَكَاسِرَةِ
كَمْ مِنْ قُلُوبٍ عَنِ الْمَوْتِ نَافِرَةْ جَاءَهَا الوَعْدُ الْحَقُّ فَأَرْدَاهَا بِالْحَافِرَةْ
فَنُقِلُوا بِلَحَظَاتٍ مِنْ عَظَمَةِ الْقُصُورِ إِلَى ظُلْمَةِ وَضِيقِ حُفَرِ الْقُبُورِ
وَمِنْ مُلَاعَبَةِ الْجَوَارِي وَالْغِلْمَانِ إِلَى مُقَاسَاةِ الْهَوَامِّ وَالدِّيدَانِ
وَمِنَ التَّنَعُّمِ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى الْحِرْمَانِ وَتَوَسُّدِ التُّرَابِ
وَمِنْ أُنْسِ الْعِشْرَةِ إِلَى وَحْشَةِ الْوَحْدَةِ حَيْثُ يُقَاسِي مِنَ الظَّلَامِ وَالْخَوْفِ وَالشِّدَّةِ
فَيَا مَنْ بِالْمَوْتِ مَصْرَعُهُ وَعَلَى تُرَابِ الْقَبْرِ مَضْجَعُهُ
وَالدُّودُ سَيَسُدُّ بِلَحْمِهِ جَوْعَتَهُ وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ ﵇ وَنَكِيرٍ ﵇ يُفْزِعُهُ
وَالْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدُهُ وَلَا يَدْرِي هَلِ الْجَنَّةُ أَمِ النَّارُ مَوْرِدُهُ
دَوَاؤُكَ لَا يَكُونُ إِلَّا التَّفَكُّرُ بِالْمَوْتِ فَبَادِرْ إِلَيْهِ يَا مُرِيدُ قَبْلَ الْفَوْتِ



الحُبُّ وَالْمَوْتُ

الزَّاهِدُونَ لِصِدْقِ إِخْلَاصِهِمْ يُحِبُّونَ الْمَوْتْ يَعْمَلُونَ بِرَابِطَةِ الْمَوْتِ مَعَ إِخْفَاءِ الصَّوْتْ
فَالتَّفَكُّرُ فِي الْمَوْتِ يَزِيدُ مَحَبَّةَ اللِّقَاءِ وَيَرْفَعُ الْمُرِيدَ لِأَرْقَى مَدَارِجِ الِارْتِقَاءِ
لَا يَكْرَهُ قُدُومَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ إِلَّا مُرِيبْ كَيْفَ يَدَّعِي الْمَحَبَّةَ وَهُوَ يَكْرَهُ لِقَاءَ الْحَبِيبْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة ٩٤)

فَكَرَاهَةُ ٱلْمَوْتِ تَكُونُ لِحُبِّ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَهْلِ — وَٱلتَّأَسُّفِ عَلَى فِرَاقِ ٱلْأَهْلِ وَطُولِ ٱلْأَمَلِ

فَٱلْحُبُّ ٱلْكَامِلُ يَسْتَغْرِقُ كُلَّ ٱلْقَلْبِ — وَلِذَا يَتَفَاوَتُ ٱلنَّاسُ فِي هَٰذَا ٱلْحُبِّ

ٱلْمُحِبُّ يَعْلَمُ أَنَّ بِٱلْمَوْتِ نَعِيمَهُ — وَٱلْحَبِيبُ يُسَاعِدُهُ عَلَيْهِ وَيُعِينُهُ

ٱلْبَعْضُ يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ وَيُحِبُّ تَأْخِيرَهُ — لِأَنَّ قَلْبَهُ لَمْ يَكْمُلْ تَحْضِيرُهُ

بِكَثْرَةِ ٱلْأَذْكَارِ وَٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ — وَٱلْبُكَاءِ وَٱلْخَوْفِ مِنَ ٱلرَّبِّ ٱلْمَعْبُودِ

فَإِذَا غَلَبَ ٱلْحُبُّ عَلَىٰ هَوَاهُ — لَا يَبْقَىٰ تَنَعُّمٌ غَيْرَ حُبِّ مَوْلَاهُ

حَتَّىٰ يَصِلَ لِمَقَامِ: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ — وَأَهْلُهُ بِهَٰذِهِ ٱلْكَمَالَاتِ لَا يَعْرِفُونَهُ

لَوْ غَلَبَ حُبُّ ٱللهِ عَلَى قَلْبِ مُرِيدْ — لَصَارَ يُحِبُّ ٱلْخَيْرَ لِسَائِرِ ٱلْخَلْقِ وَيُرِيدْ

تُلَازِمُهُ رِقَّةٌ وَحُزْنٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ — يَتَمَنَّى ٱلْهِدَايَةَ لَهُمْ وَٱلْإِيمَانَ لِنَجَاتِهِمْ

وَإِشَارَةُ مُحِبِّ ٱللهِ حُبُّهُ لِقُرْآنِهِ — وَحُبُّ ٱلْخَيْرِ لِخَلْقِ ٱللهِ وَجِيرَانِهِ

أَقَلُّ دَرَجَاتِ ٱلْحُبِّ ٱلتَّلَذُّذُ بِٱلْخَلْوَةِ — وَٱلتَّنَعُّمُ بِٱلْحَبِيبِ وَبِمُنَاجَاتِهِ ٱلْحُلْوَةِ

مَنْ كَانَ ٱلنَّوْمُ عِنْدَهُ أَعَزَّ مِنْ صَلَاتِهِ — فَقَدْ ضَيَّعَ خَيْرًا كَثِيرًا فِي حَيَاتِهِ

مَنْ ذَاقَ مِنَ ٱللهِ خَالِصَ مَحَبَّتِهِ — رَأَى فِي إِقْبَالِ ٱلدُّنْيَا كُلَّ وَحْشَتِهِ

ٱلْمُرِيدُ لَا يَتَأَسَّفُ عَلَىٰ مَا يَفُوتُهُ — فَذِكْرُ ٱللهِ شَرَابُهُ وَقُوتُهُ

هُنَاكَ حُبٌّ يُقَالُ لَهُ ٱسْتِبْدَالْ — قَدْ يَحْصُلُ مَعَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلرِّجَالْ

يَعْمَلُونَ بِٱلزُّهْدِ وَٱلسُّلُوكِ فَتْرَةً قَصِيرَةْ — يَهْجُرُونَ ٱلْمَلَذَّاتِ وَيَنَامُونَ عَلَى حَصِيرَةْ

فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مَحَبَّةُ ٱللهِ كَتَوْعِيَةٍ — لِيَعْمَلُوا بِٱلطَّاعَاتِ وَٱلْعِبَادَاتِ كَتَقْوِيَةٍ

فَإِذَا خَالَطُوا ٱلْعِبَادَ وَٱلدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةْ — أَبْدَلُوا مَحَبَّتَهُمْ لِلهِ بِنَوْعِيَّةٍ ثَانِيَةْ

فَهَٰذِهِ ٱنْعِكَاسَاتٌ وَإِصَابَةٌ مُضِرَّةْ — تَقْلِبُ أَذْوَاقَهُمُ ٱلْحُلْوَةَ إِلَى مُرَّةْ

وقال ﷻ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (النور ٣٧)

مِنْ فَوَائِدِ ٱلتَّفَكُّرِ

عَلَى ٱلْمُتَفَكِّرِ أَنْ يَتَحَلَّى بِأَفْعَالِ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ لِيَنَالَ ، بِحُسْنِ جُهْدِهِ ، مِنْ مَقَامَاتِ ٱلْمُقَرَّبِينَ
فَمَنْ يُرِدْ تَوْسِيعَ طَرِيقِ أَفْكَارِهِ فَلْيُحَسِّنْ مِنْ سُلُوكِهِ فِي مُعَامَلَاتِهِ وَأَسْفَارِهِ
وَلْيَتَفَكَّرِ ٱلْمُرِيدُ فِي قَلْبِهِ وَيَعِظْهُ بِٱلْوَعِيدِ وَٱلتَّشْدِيدِ وَمِنْ نَوْمِهِ يُوقِظْهُ
حَتَّى يَنْبَعِثَ لَهُ حَالُ ٱلنَّدَمِ فَيَقِفَ عَلَى حَالٍ وَيَثْبُتَ عَلَى قَدَمِ
وَيَتَفَكَّرُ بِبَدَائِعِ صُنْعِ ٱللهِ وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فَهُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ
وَيَتَفَكَّرُ أَيْضًا بِذُنُوبِهِ ٱلْبَاطِنَةِ وَٱلظَّاهِرَةِ وَعَذَابِ ٱلْقَبْرِ وَٱلْمَوْتِ وَسَكَرَاتِهِ ٱلْقَاهِرَةِ
فَيُقَرِّبُهُ ذَلِكَ مِنْ مَقَامِ ٱلْخَوْفِ فَيَلْبَسُهُ وَهُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَتَحَسَّسَهُ
وَٱلْمُتَفَكِّرُ بِعَظَمَةِ ٱللهِ ﷻ وَكِبْرِيَائِهِ تَصْغُرُ نَفْسُهُ وَيُظْهِرُ لَهُ ٱللهُ طَرِيقَةَ شِفَائِهِ

ٱلْحِجَابُ وَمَا فِيهِ مِنْ أَلَمٍ وَعَذَابٍ

مِنْ أَشَدِّ مَا يُؤْلِمُ ٱلْمُرِيدَ ٱلْحِجَابْ يُسَبِّبُ قَبْضًا وَضِيقًا وَخَوْفًا وَعَذَابْ
تَتَعَدَّدُ أَسْبَابُهُ وَتَنْقَسِمُ إِلَى عِدَّةِ أَقْسَامِ يَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا ٱلْغَفْلَةُ وَمُخَالَفَةُ ٱلْأَحْكَامِ
وَقَدْ يَحْصُلُ ٱلْقَبْضُ بِسَبَبِ أَصْحَابِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْغَافِلَةِ وَٱخْتِلَاطِ ٱلْمُرِيدِ بِهِمْ وَٱلْجُلُوسِ
وَيُصَابُ بِهِ إِذَا مَرَّ قُرْبَ قُبُورِ ٱلْكُفَّارِ فَيَشْعُرُ بِأَلَمٍ قَلْبِيٍّ كَأَنَّهُ شُعْلَةُ نَارِ
فَيُصِيبُ ٱلْمُرِيدَ ٱلصَّادِقَ كَإِشَارَةِ عِرْفَانِ لِيَفِرَّ ٱلْمُرِيدُ مِنْ مَكَانِهِ لِلْأَمَانِ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (هود ١١٣)

وَيَكُونُ لِلتَّرْبِيَةِ وَٱلْعِلَاجِ وَتَحَمُّلِ بَلَاءْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ قَدْ تَزِيدُهُ بِدِينِهِ ٱلْوَلَاءْ
فَيَتَوَقَّفُ ٱلْمُرِيدُ فَجْأَةً عَنِ ٱلْمُشَاهَدَةْ وَتَضْعُفُ ٱلْوَارِدَاتُ ٱلَّتِي لَهُ مُسَانِدَةْ

فَيَضِيقُ صَدْرُهُ وَيَتَذَمَّرُ وَيَضجَ — إِذَا رَأَيْتَهُ ظَنَنْتَ أَنَّ رَأْسَهُ قَدِ انْفَجَ

فَيَتَذَمَّرُ وَيَرْتَعِبُ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ — فَعَلَيْهِ التَّسْلِيمُ لِلهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ﷻ

وَقَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ مَطْرُودٌ مَغْضُوبْ — لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِمَا يُرِيدُهُ عَلَّامُ الْغُيُوبْ

فَعَلَيْهِ بِتِلْكَ الْحَالَةِ الْعِبَادَةُ وَالسُّجُودْ — وَالاسْتِغْفَارُ وَالذِّكْرُ وَالتَّذَلُّلُ لِلْمَعْبُودْ

مَنْ كَانَ حِجَابُهُ لِلتَّرْبِيَةِ وَلِلْعِلَاجِ — فَيَشْكُو لِمُرْشِدِهِ مَا أَصَابَهُ مِنَ اعْوِجَاجِ

فَيُبَشِّرُهُ مُرْشِدُهُ أَنَّ ذَلِكَ حَالْ — فَيَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ عَلَى بَلَاءِ رَبِّنَا الْمُتَعَالْ ﷻ

وَيُسْعِفُهُ بِتَوَجُّهٍ قَدْرَ حَبَّةٍ بِرْشَانَةْ — لِيَهْدَأَ ضَجَرُهُ وَتَخِفَّ حَرَارَةُ غَلَيَانِهْ

بَعْضُهُمْ يَعُودُ إِلَى حَالِ بَسْطِهِ بَعْدَ يَوْمْ — وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ بَعْدَ شَهْرٍ عِنْدَ الْقَوْمْ

وَبَعْضُهُمْ يَبْقَى شُهُورًا بِحَسَبِ وَرْطَتِهِ — وَمِقْدَارِ نَوْعِيَّةِ ظَاهِرِ وَبَاطِنِ مُخَالَفَتِهِ

إِذَا جَاءَتْ إِشَارَةُ الْعَفْوِ الْقَلْبِيّ — تَمُرُّ عَلَى قَلْبِ وَرُوحِ الْمُرَبِّي

فَيُقَدِّمُهَا لَهُ بِتَوَجُّهَاتٍ مَمْلُوءَةٍ بِالرِّضَى — فَيُنْسِيهِ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ مَضَى

مِنْ أَلَمٍ وَقَبْضٍ وَضِيقٍ وَضَجَرٍ — فَيَنْسَى بِالنَّعِيمِ مَا تَرَكَهُ الْقَبْضُ مِنْ أَثَرٍ

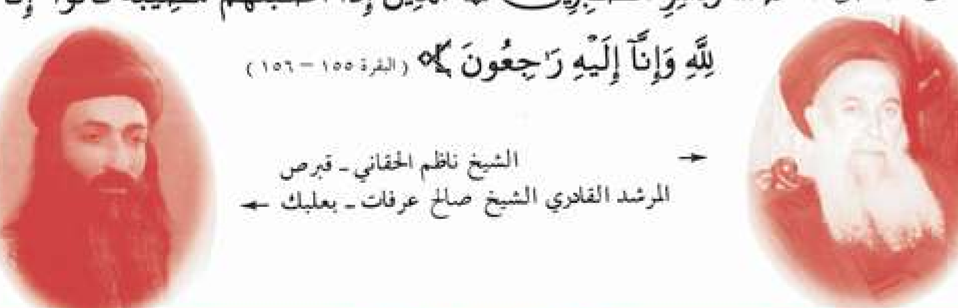
فَاللهُ هُوَ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ سُبْحَانَهْ — وَكُلُّ شَيْءٍ يَأْتِي لِلْإِنْسَانِ فِي أَوَانِهْ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٥)

أَعْظَمُ الْقَبْضِ يَكُونُ حِينَ النَّكَسَاتِ وَالْكَوَارِثْ — لِشِدَّتِهَا تُوقِعُ عَنْ حِصَانِهِ الْفَارِسْ

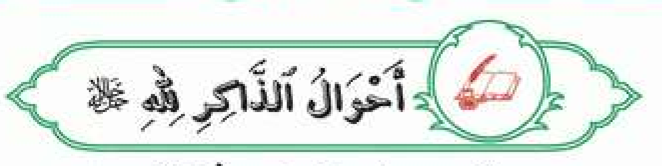
عِلَاجُ ذَلِكَ بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ — وَمُقَاوَمَةِ الْحَالِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى الدَّيَّانِ ﷻ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٥٥ – ١٥٦)



الشيخ ناظم الحقاني ـ قبرص →

المرشد القادري الشيخ صالح عرفات ـ بعلبك ←



قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد ٢٨) .

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه : " عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ وَإِيَّاكُمْ وَذِكْرَ النَّاسِ فَإِنَّهُ دَاءٌ " .

الذَّاكِرُ لَا يَغِيبُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ فَتْرَةً ... وَيُرَاقِبُ بِقَلْبِهِ رَبَّهُ وَلَا يَغِيبُ لَحْظَةً

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (المنافقون ٩)

فَإِذَا شَاهَدَ الذَّاكِرُ تَجَلِّي الْإِلَهِ ﷻ ارْتَعَدَ ... وَإِذَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْجَمَالِ سَعِدَ

فَهُوَ مِمَّنْ أَلْقَى سَمْعَهُ وَاسْتَعْمَلَ بَصَرَهُ ... فَذَاعَ صِيتُ عِرْفَانِهِ وَنَشَرَ النَّاسُ خَبَرَهُ

فَجَانَبَ الْهَوَى وَانْتَهَجَ سَبِيلَ الْهُدَى ... وَتَعَلَّقَ بِحُبِّ مَوْلَاهُ عَلَى طُولِ الْمَدَى

وَصَارَ وَكَأَنَّهُ كُلَّهُ عُيُونٌ مُرَاقِبَةٌ ... وَلَهُ فِي كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمُكَاشَفَةٍ مُضَارَبَةٌ

فَيَلُوحُ لَهُ نُورُ التَّوْحِيدِ الْفَرِيدِ ... وَيَصِيرُ قَلْبُهُ حَاضِرًا وَشَهِيدًا وَمِثْلَ الْحَدِيدِ

يُحِبُّ الْكَثِيرُ أَنْ يُرْزَقُوا مِثْلَ ذَلِكَ ... وَيَتَطَلَّعُونَ إِلَى تَقْلِيدِ الْمُرِيدِ وَالسَّالِكِ

وَيَبْقَى أَحَدُهُمْ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ نَفْسَهُ يَتَّهِمُ ... لِأَنَّهُ لَمْ يَنْكَشِفْ لَهُ شَيْءٌ مُهِمٌّ

مِنَ التَّجَلِّي وَاللَّوَامِعِ وَالطَّوَالِعِ الْبَارِقَةِ ... وَالْبَرَكَاتِ وَالْأَذْوَاقِ وَالرَّحَمَاتِ الْخَارِقَةِ

فَهَذَا لَا يُنَالُ إِلَّا مِنْ مَدْرَسَةِ التَّقْوَى ... الَّتِي فِيهَا الْمَبَادِئُ وَالتَّدْرِيبُ الْأَقْوَى

فَلَا يُكْشَفُ عَمَّا وَرَاءَ النِّقَابِ ... إِلَّا لِلذَّاكِرِينَ مِنْ أُولِي الْأَلْبَابِ

فَالطَّرِيقُ عَلَى الرَّقَّاصِينَ مُغْلَقٌ مَسْدُودْ ... لِأَنَّهُمْ قَطَعُوا بِظُلْمِهِمْ خَطَّ الْحُدُودْ

هَؤُلَاءِ لَهُمُ الْإِنْذَارُ فَحَذَارِ مِنْهُمْ حَذَارِ ... تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ

صُدُورُهُمْ مَمْلُوءَةٌ بِالْغِشِّ وَالْغِلِّ ... كَلَامُهُمْ رِيَاءٌ وَنَوَايَاهُمْ كَالْخَلِّ

فَإِشَارَةُ الْمُرِيدِ الْمُسْتَفِيدِ مِنْ بَاطِنِ الطَّرِيقَةِ ... أَنْ تَظْهَرَ عَلَى جَوَارِحِهِ أَعْمَالُ أَصْحَابِ الْحَقِيقَةِ

لَا يَصِحُّ ٱلذِّكْرُ بِلَا وُضُوحِ ٱلْحُرُوفِ

قَالَ بَعْضُهُمْ وَهُمْ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ ذِكْرِهِمْ ... كَيْفَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ بِلَا هَاءٍ بِسِرِّهِمْ
قَدْ يَجْرِي هٰذَا بِأَكْثَرِ ٱلْبِلَادِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ... فَيَكُونُونَ بِذِكْرِهِمْ مُخَالِفِينَ لِلشَّرِيعَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ
حَظُّهُمُ ٱلتَّعَبُ وَٱلْجِهَادُ بِلَا أَجْرِ ... سَوَاءٌ ذَكَرُوا ٱللهَ مِنَ ٱلْمَغْرِبِ إِلَى ٱلْفَجْرِ
فَحَرْفُ (أ): مَنْ ذَكَرَ ٱللهَ وَلَمْ يَذْكُرِ ٱلْأَلِفْ ... فَهُوَ مُخَالِفٌ لِلشَّرِيعَةِ وَكِبَارِ ٱلسَّلَفْ
حَرْفُ (ل): مَنْ لَمْ يَذْكُرِ ٱللَّامَ فَهُوَ مُلَامْ ... حَرْفُ (هـ): مَنْ لَمْ يَذْكُرِ ٱلْهَاءَ فَهُوَ كَٱلْعَوَامّْ
فَٱلْهَاءُ هِيَ سِرُّ ٱلذِّكْرِ ٱلْجَهْرِيِّ وَٱلْخَفِيّ ... لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا حَتَّى لِلْوَعْدِ يَفِي
أَمَّا مَا يَحْصُلُ لِلْمَجَاذِيبِ ٱلْكِبَارِ ... فَحَالُهُمْ عِنْدَ ٱللهِ عَالِمِ ٱلْأَسْرَارِ
لَا نُنْكِرُ عَلَيْهِمْ وَلٰكِنْ لَا يُمْكِنُ تَقْلِيدُهُمْ ... بَلْ نُسَلِّمُ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى أَمْرَهُمْ
ٱلتَّصَوُّفُ هُوَ عَلَى ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ ... وَٱتِّبَاعِ أَوَامِرِ ٱلْفُقَهَاءِ ٱلْأَئِمَّةِ
بِغَيْرِ ذٰلِكَ لَيْسَ فِيهِ فَوَائِدْ ... ٱتَّبِعْ نَصِيحَتَنَا وَلَا تُضِفْ زَوَائِدْ
وَٱعْلَمْ أَنَّكَ لِلهِ ٱلْقَهَّارِ عَائِدْ ... فَإِمَّا إِلَى ٱلْجَحِيمِ وَإِمَّا إِلَى جَنَّاتِ ٱلْمَوَائِدْ
يَقُولُ ٱلْكَاتِبُ كَلَامًا كَٱلتِّرْيَاقِ ... مُعَبِّرًا فِيهِ عَنِ ٱلتَّوْحِيدِ ٱلرَّاقِي

أَنْوَاعُ ٱللَّطَائِفِ ٱلذَّاكِرَةِ

لِلَّطَائِفِ مَقَامَاتٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَا ٱلرَّابِطَةِ ... ذِكْرُ قَلْبٍ وَرُوحٍ لِٱسْتِمْدَادِ ٱلْأَنْوَارِ ٱلْهَابِطَةِ
وَذِكْرُ كُلٍّ وَسِرٍّ وَخَفِيٍّ وَأَخْفَى ... وَكُلِّ أَعْضَاءِ ٱلْجَسَدِ إِنْ ذَكَرَتْ فَفِيهَا شِفَا
وَذِكْرُ عَقْلٍ وَصَدْرٍ وَعُيُونٍ وَمَعِدَةٍ ... وَذِكْرُ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ بِأَحْوَالِهِمُ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ
وَذِكْرُ ٱلْجَلَالَةِ وَبَعْدَهُ ٱلنَّفْيُ وَٱلْإِثْبَاتْ[1] ... وَتَشْغِيلُ سَائِرِ ٱللَّطَائِفِ فِي كُلِّ ٱلْجِهَاتْ
وَمَنْ قَالَ لَطَائِفُ ٱلذِّكْرِ سَبْعَةْ ... هٰذِهِ حَالُهُ ، عَدُّهَا بِحَسَبِ مَقْدِرَتِهِ وَٱلْمَنْفَعَةْ
فَلَا تَشْمَلُ بِهٰذَا ٱلْعَدَدِ سَائِرَ ٱلْكُمَّلْ ... فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُ بِيَدِهِ وَأَطْرَافِهِ إِذَا تَأَمَّلْ

(١) النفي والإثبات:هو الذكر بكلمة "لا إله إلا الله" ، أي نفي ما سوى الله تعالى وإثبات اسمه المعظم .

وَلِكُلِّ حَاسَّةٍ مِنَ ٱلْحَوَاسِّ ذِكْرٌ لَهُ ذَاكِرَةْ   لَا يَنَالُ ذَلِكَ إِلَّا صَاحِبُ ٱلْعُيُونِ ٱلسَّاهِرَةْ

أَمَّا مَا كُتِبَ بِٱلْكُتُبِ عَنِ ٱللَّطَائِفِ   فَلَا يَكْفِي بِٱلتَّعْرِيفِ لِقُلُوبِ أَهْلِ ٱلْوَظَائِفِ

هُنَالِكَ أَحْوَالٌ خَفِيَّةٌ حَتَّى عَنِ ٱلْمُكَاشِفِ   أَعْطَاهَا ٱللهُ لِقَلْبِ ٱلْمَظْلُومِ ٱلْعَاكِفِ

فَٱسْمَعْ مَا قَالَهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ   عَنْ ذِكْرِ ٱلْأَشْيَاءِ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَحْبَابِهِ

قَالَ ﷻ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء ٤٤)

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (الأنبياء ٧٩)

هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ بِلَا جِدَالِ   أَنَّ ٱلذِّكْرَ لِسَائِرِ ٱلْجَسَدِ وَٱلْأَحْوَالِ

مَنْ وَفَّقَهُ ٱللهُ إِلَى ذَلِكَ ٱلْمَشْرَبْ   يَسْعَدْ بِٱلدُّنْيَا وَبِٱلْآخِرَةِ يَفْرَحْ وَيَطْرَبْ

وَهَذِهِ إِشَارَةُ ٱلْوِلَايَةِ ٱلْوَاضِحِ تَعْرِيفُهَا   ٱلتَّقِيُّ يَفْهَمُ وَبِٱلْمَنْظُومَةِ سَوْفَ نُضِيفُهَا

فَيَصِلُ بِٱلذِّكْرِ إِلَى مَرَاحِلَ مُدْهِشَةٍ وَعَجِيبَةْ   فَكُلُّ قِطْعَةٍ مِنْ جَسَدِهِ تُصْبِحُ لِلهِ مُجِيبَةْ

تَتَنَوَّعُ ٱلْأَذْكَارُ وَتَتَلَوَّنُ بِذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ   فَيَصِلُ ٱلذَّاكِرُ بَعْدَ هَذَا ٱلذِّكْرِ ٱلْمَهِيبِ

إِلَى كَمَالِ ذِكْرِ ٱللَّطَائِفِ وَنُورِ ٱلْأَذْكَارِ   وَيَصِيرُ مُرَاقِبًا رَاقِيًا لِلنَّبِيِّ ﷺ ٱلْمُخْتَارِ

وَيَمْتَلِئُ مِنَ ٱلتَّجَلِّيَاتِ وَٱلْبَرَكَاتْ   حَتَّى تَذُوبَ بِرُؤْيَتِهِ ٱلذُّنُوبُ وَٱلْآفَاتْ

فَحَرَارَةُ ذِكْرِ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ ٱلرِّجَالِ   لَا تُقَاسُ بِمِيزَانٍ لِغَلَيَانِ ٱلْأَحْوَالِ

فَمِنْهُمْ مَنْ قَمِيصُهُ مِنْ حَرَارَةِ ٱلذِّكْرِ ٱحْتَرَقْ   مِنْ جِهَةِ قَلْبِهِ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمُدَّعِي فَرْقْ

فَهَلْ يَسْتَطِيعُ ٱلْمُدَّعِي تَحَمُّلَ ذَلِكْ   بَعْدَ أَنْ ظَنَّ نَفْسَهُ مُرْشِدًا وَسَالِكْ

لَا بُدَّ لِلطَّالِبِ أَنْ يَقْهَرَ ٱلنُّفُوسْ   حَتَّى تُصْبِحَ هَزِيلَةً كَعِرْقِ ٱلسُّوسْ

لَا تَرْضَى إِلَّا بِرِضَى ٱللهِ ٱلْوَهَّابْ   وَلَا تَغْضَبُ إِلَّا مِمَّا فِيهِ مَعْصِيَةٌ وَٱغْتِيَابْ

ٱلْبَعْضُ تَكُونُ نَفْسُهُ حَاضِرَةً وَجَاهِزَةْ   لِلْمُحَارَبَةِ وَمُجَاهَدَةً سَائِرَ ٱلْأُمُورِ ٱلشَّاذَّةْ

وَٱلْبَعْضُ لَا تَتَحَمَّلُ نَفْسُهُ كَلِمَةً وَنَصِيحَةً   فَهِيَ تُحِبُّ أَنْ تَبْقَى بِعِلَلِهَا مُسْتَرِيحَةً

هَذِهِ مِنْ أَخْطَرِ ٱلْمَخَاطِرِ ٱلنَّفْسِيَّةِ ٱلْعَلِيلَةْ ... ٱلَّتِي حُظُوظُهَا مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ قَلِيلَةْ

أَلْوَانُ أَنْوَارِ ٱللَّطَائِفِ ٱلرُّوحَانِيَّةِ

لِأَنْوَارِ ٱللَّطَائِفِ ٱلرُّوحَانِيَّةِ أَلْوَانٌ مُتَنَوِّعَةْ ... نُورُ ٱلْقَلْبِ أَصْفَرُ أَضْوَاؤُهُ مُتَفَرِّعَةْ

نُورُ ٱلرُّوحِ أَحْمَرُ وَٱلسِّرُّ أَبْيَضُ صَافِي ... وَٱلْخَفِيُّ أَسْوَدُ وَٱلْأَخْفَى أَخْضَرُ رَاقِي

ٱلنَّفْسُ يَظْهَرُ بَعْدَ ٱلتَّزْكِيَةِ نُورُهَا ... وَهُنَالِكَ أَلْوَانٌ زَرْقَاءُ ٱلْأَقْطَابُ يَعْرِفُونَهَا

وَهُنَالِكَ نُورٌ أَسْوَدُ طَيِّبٌ لَطِيفْ ... وَأَنْوَارٌ كَثِيرَةٌ مُخَصَّصَةٌ لِأَهْلِ ٱلتَّشْرِيفِ

لِكُلِّ نُورٍ مِنْهُمْ مَرْتَبَةٌ وَمَقَامُ ... يَعْرِفُ مَدَارِجَهَا ٱلنُّورَانِيَّةَ ٱلْأَوْلِيَاءُ ٱلْعِظَامُ

لِمَنْ يَرْغَبُ فِي تَعَلُّمِ ذِكْرِ ٱلْقَلْبِ

مَنْ تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ مُقَابَلَةُ ٱلْمُرْشِدِ وَٱلْوُصُولْ ... لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ذِكْرَ ٱلْإِلَهِ عَلَى ٱلْأُصُولْ

فَلْيَعْمَلْ مَا نَشْرَحُ لَهُ مِنْ أَذْكَارِ ... بِطَرِيقَةٍ سَهْلَةٍ مُبَسَّطَةٍ بِٱخْتِصَارِ

وَهُنَالِكَ ذِكْرٌ خُصُوصِيٌّ وَعُمُومِيّ ... ٱلْخُصُوصِيُّ لِلْخَلَوَاتِ وَإِزَالَةِ سَائِرِ ٱلْهُمُومِ

ٱلْعُمُومِيُّ مُخَصَّصٌ لِلذِّكْرِ فِي ٱلْمُجْتَمَعِ وَٱلنُّزُهَاتِ ... وَفِي سَفَرِ ٱلطَّرِيقِ وَسَائِرِ ٱلْحَالَاتِ

مَا عَدَا ٱلْأَمَاكِنِ ٱلْمُسْتَقْذَرَةِ وَٱلنَّجَاسَاتِ ... ٱحْتِرَامًا وَتَقْدِيرًا لِذِكْرِ رَبِّ ٱلْآيَاتِ

الذكر الخصوصي

أَوَّلًا يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ نَافِلَةً لِلَّهْ ... وَيَتَوَجَّهُ نَحْوَ ٱلْكَعْبَةِ ٱلْمُشَرَّفَةِ لِمَوْلَاهْ

وَيَجْلِسُ فِي مَكَانٍ خَفِيفِ ٱلنُّورِ ... لِيَتَمَكَّنَ مِنْ مُشَاهَدَةِ بَرْقِ ٱلسُّرُورِ

وَيُغَمِّضُ عُيُونَهُ وَيَطْوِي طَرَفَ لِسَانِهِ ... وَيَرْفَعُهُ مُلْتَصِقًا بِسَقْفِ ٱلْحَنَكِ فَوْقَ أَسْنَانِهِ

ثُمَّ يَقْطَعُ نَفَسَهُ قَدْرَ ٱلْمُسْتَطَاعْ ... وَيَتَفَكَّرُ بِكَلِمَةِ: أَللهْ، بِلَا ٱنْقِطَاعْ

يَتَخَيَّلُ ٱلنُّورَ يَهْبِطُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْإِسْمِ ... لِقَلْبِهِ ٱلذَّاكِرِ ٱلْمُهَيَّأِ بِٱلْفِكْرِ وَٱلْجِسْمِ

وَيُرَدِّدُ كَلِمَةَ "أَللهْ" نَازِلًا بِهَا مِنْ فِكْرِهِ ... إِلَى أَنْ يَنْقُرَ بِٱلْهَاءِ عَلَى صَفْحَةِ قَلْبِهِ

وَعِنْدَ ٱنْقِطَاعِ نَفَسِهِ بَعْدَ تِلْكَ ٱلْعَمَلِيَّةِ   يَقُولُ بَعْدَهَا كَلِمَاتٍ بِطَرِيقَةٍ لِسَانِيَّةٍ

«إِلَهِي أَنْتَ مَقْصُودِي وَرِضَاكَ مَطْلُوبِي»   فَأَزِلْ إِلَهِي عَنِّي غَفْلَتِي وَذُنُوبِي

ثُمَّ يُكَرِّرُ كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ ٱلذِّكْرْ   وَيُحَاوِلُ ٱلإِكْثَارَ مِنْهُ بِٱلْقَلْبِ وَٱلْفِكْرْ

بِكَثْرَةِ ٱلتَّكْرَارِ وَٱلْمُجَاهَدَةِ يَجِدُ حَلَاوَةً   وَيَشْعُرُ حَرَارَةً بِٱلْبِدَايَةِ وَصَفَاءً وَنَقَاوَةً

أَفْضَلُ ٱلْأَوْقَاتِ لِلْقِيَامِ بِٱلْأَذْكَارِ   قَبْلَ ٱلشُّرُوقِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ وَبِٱلْأَسْحَارِ

بِهَٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ تَتَدَرَّبُ لَطَائِفُهُ   عَلَى تَذَوُّقِ أَنْوَارٍ رَبَّانِيَّةٍ تَخْرِقُ عَوَاطِفَهُ

فَذِكْرُ ٱللهِ وَسِيلَةٌ كَٱلرَّابِطَةِ لِلْمُرِيدِ   فَهُوَ بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ قُلُوبِ ٱلْعَبِيدِ

يَصِيرُ طَبِيعَةً لَهُ بَعْدَ مُجَاهَدَةٍ وَتَحَوُّلَاتْ   وَبِخَاصَّةٍ إِذَا سَبَقَ ٱلذِّكْرَ عِبَادَةٌ وَطَاعَاتْ

كَصَوْمٍ وَتِلَاوَةِ قُرْآنٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ   وَصَلَاةٍ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ وَٱسْتِغْفَارٍ لِلرَّبِّ ٱلْمَعْبُودِ

وَكُلَّمَا حَافَظَ ٱلذَّاكِرُ عَلَى شَعَائِرِ دِينِهْ   كَانَ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَبِكَرَمِهِ يُعِينُهْ

قَدْ يَتَطَوَّرُ ٱلطَّالِبُ بِٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلْمَعْنَوِيَّةِ   إِذَا تَابَعَ وَٱزْدَادَ بِٱلْأَذْكَارِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ

قَدْ تَلْمَعُ لَهُ بَوَارِقُ مُتَعَدِّدَةُ ٱلْأَلْوَانِ   إِنْ كَانَ مَشْغُولًا بِذِكْرِ رَبِّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

فَلَا يَنْدَهِشْ مِنْهَا وَيَنْشَغِلْ وَلْيَخَفْ   وَلْيُقَاوِمْ وَلْيُتَابِعْ فَهَذَا أَوَّلُ ٱللُّطْفْ

لِأَنَّ مَا عِنْدَ ٱللهِ عَجَائِبُ لَا تَنْقَطِعُ   وَعَلَى ٱلذَّاكِرِ بِفَضْلِ ٱللهِ لَا تَمْتَنِعُ

يَصِلُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلْمُرِيدِينَ إِلَى ٱلْقُرْبِ ٱلإِلَهِيِّ   وَهَذَا لِكُلِّ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ بِٱلذِّكْرِ وَاعِي

وَيَتَنَقَّلُ بَيْنَ ٱلْمَدَارِجِ وَٱلْمَقَامَاتِ ٱلرَّاقِيَةْ   فَٱلذِّكْرُ مَطْلُوبٌ وَٱلآيَاتُ عَنْهُ حَاكِيَةْ

فَلْيُحَاوِلِ ٱلْمُرِيدُ ٱلذِّكْرَ بِكُلِّ حَالِ   لِيُفْتَحَ لَهُ بَابُ ٱلْقُرْبِ وَٱلْكَمَالِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران ١٩١)

تَغْمِيضُ ٱلْعُيُونِ يُقَالُ لَهُ ذِكْرٌ خُصُوصِيّ   بِلَا تَغْمِيضٍ ذِكْرٌ عُمُومِيٌّ وَٱلْمُرْشِدُ يُوصِي

بِعَدَمِ ٱلتَّقَرُّبِ مِنَ ٱلْحَرَامِ وَٱلظُّلْمِ وَٱلرَّذَائِلْ   وَٱلنَّظَرِ ٱلْمُضِرِّ حَتَّى لَا يُصْبِحَ مَقَامُهُ نَازِلْ

وَقَدْ يَسْتَشْعِرُ بِٱللَّطَائِفِ ٱلَّتِي بِٱلصُّورَةِ ... فَتِلْكَ عَلَى ٱلذَّاكِرِ غَيْرُ مَحْظُورَةٍ

لِكُلِّ لَطِيفَةٍ نُورٌ وَذَوْقٌ مَخْصُوصْ ... يَنَالُهَا مَنْ ذَلَّلَ لِلَّهِ ٱلنُّفُوسْ

فَوَائِدُ ٱلذِّكْرِ كَثِيرَةٌ مُتَعَدِّدَةُ ٱلْمَنَافِعِ ... فَٱطَّلِعْ عَلَى ٱلْقُرْآنِ وَعَلَى ٱلْمَرَاجِعِ

فَهُوَ يُزَكِّي ٱلنَّفْسَ وَيُنَوِّرُ ٱلْقَلْبَ ... وَيُوَسِّعُ ٱلْبَصَرَ وَيُلَيِّنُ ٱلْعَقْلَ ٱلصُّلْبَ

وَيَنْقُلُ ٱلْمُرِيدَ رُوحَانِيًّا إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلثَّانِي ... مِنْ مُشَاهَدَاتٍ وَذَوْقٍ وَفَيْضٍ نُورَانِي

وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِٱلْأَذْكَارِ ٱلْقَلْبِيَّةِ ٱلْخَفِيَّةْ ... وَأَوَّلُ مَنْ رَوَّجَهَا ٱلسَّادَةُ ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةْ

فَذِكْرُ ٱلْجَنَانِ أَرْقَى مِنَ ٱللِّسَانْ ... وَتَلَقَّنْتُهُ مِنْ مُرْشِدِي ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عُثْمَانْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ... ﴾ (البقرة ١٥٢)

سَنَعْرِضُ لِلطَّالِبِ ٱلْمُرِيدِ بَعْضَ ٱلتَّوْصِيَاتِ ... وَنَذْكُرُ لَهُ بَعْضَ مَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ إِحْسَاسَاتِ

بَعْدَ نِهَايَةِ ٱلذِّكْرِ لَا يَشْرَبُ ٱلْبَارِدْ ... وَلَا يُعَرِّضُ جَسَدَهُ لِلْهَوَاءِ وَٱلْعَوَارِضْ

وَلَا يَقُومُ بِسُرْعَةٍ مِنْ مَكَانِهْ ... وَلَا يَنْظُرُ وَلَا يَتَكَلَّمُ مَعْ مَنْ أَمَامَهْ

يَنْتَظِرُ قَلِيلًا لِتَبْرُدَ حَرَارَةُ قَلْبِهِ ... فَيَقُومُ بِبُطْءٍ وَيُتَابِعُ عَمَلَ دَرْبِهِ

لِأَنَّ أَيَّةَ عَكْسِيَّةٍ تَنْطَبِعُ عَلَى صَفْحَةِ صَفَائِهِ ... فَتُعَكِّرُ لَهُ أَجْوَاءَ لَطَائِفِ ضِيَائِهِ

وَلَا يَجْلِسُ بِمَكَانٍ مَمْلُوءٍ بِضَوْضَاءَ مُزْعِجَةْ ... فَهِيَ تُرْعِبُهُ وَكَأَنَّهَا طَلَقَاتٌ مُرْعِبَةْ

يَجْفَلُ مِنْهَا قَلْبُهُ وَلَطَائِفُهُ ٱلرُّوحِيَّةُ ... وَتَتَشَوَّشُ خَوَاطِرُهُ وَأَفْكَارُهُ ٱلْبَاطِنِيَّةُ

قَدْ تَمُرُّ صُوَرٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاشَةِ فُؤَادِهِ ... مِنْهَا ٱلْمُزْعِجُ وَمِنْهَا ٱلْمُرِيحُ لِإِسْعَادِهِ

فَلَا يَلْتَفِتُ لِلِٱثْنَيْنِ وَلَا يُبَالِي ... لِأَنَّ مُرَادَهُ رِضَى ٱلرَّبِّ ٱلْمُتَعَالِي

فَيُعْرِضُ عَنْ كُلِّ مَا يُقْلِقُهُ وَيُزْعِجُهُ ... وَلْيُقَاوِمْ وَلَا يَسْتَسْلِمْ إِلَى مَنْ يُرْعِبُهُ

تِلْكَ خَوَاطِرُ مِنَ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ... لِيُوقِفَ ذِكْرَ ٱلْمَوْلَى بِقُلُوبِ ٱلنَّاسِ

وَقَدْ يُشَاهِدُ بِٱلذِّكْرِ أَقْمَارًا سَرِيعَةً ... وَشُمُوسًا نُورَانِيَّةً وَكَمَالَاتٍ بَدِيعَةً

فَتُقَوِّي لَهُ فُؤَادَهُ بِلَذَّةٍ ذَوْقِيَّةٍ ... وَقَدْ يَرَى أَلْوَانًا نُورَانِيَّةً رَاقِيَةً زَاهِيَةً

وَإِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلذَّاكِرُ تَحْتَ ٱلسَّمَاءِ مَعْ مُرْشِدٍ فَيُجَدِّدُ لَهُ ذِكْرَ ٱللهِ بِٱلْأَسْمَاءِ
حَيْثُ تَتَبَدَّلُ أَذْكَارُهُ بِٱلْأَسْمَاءِ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱللهُ ﷻ هُوَ ٱلَّذِي لِقَلْبِهِ أَغْنَىٰ
يَسْلُكُ بِهَا وَيَقْطَعُ أَشْوَاطًا بِٱلسَّمَاوَاتِ وَيَسْتَشْعِرُ بِمُشَاهَدَةٍ مَعْ نُورٍ وَبَرَكَاتٍ
فَهَذَا سَفَرٌ مُنْفَرِدٌ بِدُونِ ٱسْتِعَارَةٍ[1] فَرَابِطَةُ مُرْشِدِهِ تَدْفَعُهُ بِمَهَارَةٍ
فَٱلذِّكْرُ بِمُسَانَدَةِ ٱلرَّابِطَةِ تَزِيدُ بِٱلدَّفْعِ وَتُقَوِّي ٱلْقَلْبَ لِسُرْعَةِ ٱلْوُصُولِ وَٱلرَّفْعِ

فَضْلُ مَجَالِسِ ٱلذِّكْرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ ٱلذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّىٰ يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي ٱلْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي. قَالُوا. وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي. قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا ٱسْتَجَارُوا. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ، فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ ٱلْقَوْمُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.[2]

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرٍو ؓ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ ٱلذِّكْرِ قَالَ: غَنِيمَةُ مَجَالِسِ ٱلذِّكْرِ ٱلْجَنَّةُ.[3]

(١) بدون استعارة: أي مجاهد بقلبه بدون قلب غيره.
(٢) رواه مسلم ج ١٧ ص ١٤ — ١٥ (٣) رواه الإمام أحمد ؓ في مسنده

مَرَاكِزُ الْقُدُرَاتِ الرُّوحِيَّةِ فِي التَّفَكُّرِ التَّأَمُّلِيِّ

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء ٤٤)

(يسار) (يمين)

١ ـ لطيفة العقل المهيئة بالذكر لمقام التحير النوراني حين انقلابه للحالة النعيمية .

٢ ـ لطيفة دائرة هالة النفس والعين الثالثة تشارك في التحير والغيبوبة النورانية وفي كشوفات راقية حين العمل بالتزكية النفسية.

٣ ـ لطيفة حنجرة التغريد تساعد على فهم تغريد بعض الطيور وتشارك بالانعكاس الصوتي مما تلهم به .

٤ ـ لطيفة الأخفى حين تعمل ينال الذاكر الغيبوبة الروحية العظمى بعد الانصباغ بالولاية المتدرجة .

٥ ـ لطيفة الخفي حين تعمل يشاهد الذاكر إشارات نورانية متنوعة ترتبط مع أمر ذكر النفس .

٦ ـ لطيفة مثالية الروح تعمل حين يحصل الذاكر على مملكة الرابطة وتنتقل إلى خارج القفص الصدري إلى عالم النعيم .

٧ ـ لطيفة السر تشارك في نعيم متنوع لمن تدرج بالولاية .

٨ ـ قلب الرابطة الواسطة النورانية لمشاهدة وقائع الحالات الروحانية النورانية ومركز المراقبة .

٩ ـ لطيفة المعدة تعمل بعد تنظيفها من الحرام .

١٠ ـ مكان إحساس اللذة الشعورية الروحية التي تتبدل من شهوة جسدية إلى شعور نعيمي مدهش لمن يحبس شهوته عن الحرام .

١١ ـ مركز أعضاء الفخذ القابلة للذكر ، حين بداية مقام التحير .

١٢ ـ مركز أعضاء بطة الرجل القابلة للذكر ، تشارك الفخذ حين الإحساس بالتحير .

١٣ ـ مقياس قدرات الرجل وعامود فقري الأحوال .

ـ يحصل الذاكر على سائر تلك القدرات بمجاهداته بعد تنويرها وتشغيلها برابطة الذكر والفكر وقد يصل لكمالات المدارج الروحية . ويخوض في بحر سلطان الذاكرين بواسطة المرشد المربي . ولا يحصل العامل بالتأملات الباطنية لكسب الثروات الروحية والسعادات النورانية على تلك القدرات إلا بتوحيد ربه وهجران الشرك والفرار من الذنب والمعصية والمحافظة على سائر الجوارح من ارتكاب المحرمات لأن العلوم مشتركة بين الناس ولكن هنالك عرفان مع إيمان وعرفان بلا إيمان وهو ما يقال له الاستدراج.

** كل لطيفة تختلف عن الأخرى بالنور والذوق .

اَلْقَلْبُ أَسَاسُ طَرِيقِ ٱلسَّالِكِينَ

اَلْقَلْبُ كَوِعَاءٍ تُحْفَظُ بِهِ ٱلْأَشْيَاءْ ... يَتَقَلَّبُ مِنْ خَيْرٍ إِلَى شَرٍّ وَفِي كُلِّ ٱلْأَنْحَاءْ

وَيُقَالُ لَهُ ٱلْفُؤَادُ لِعَلَاقَتِهِ بِٱلْأَفْئِدَةِ ... فَهُوَ مَرْكَزُ ٱلْمَعْنَوِيَّاتِ لِلْمُرَاقَبَةِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ ﴾ (الهمزة ٦-٧)

فَإِنْ كَانَ ٱلنَّارُ لَهَا ٱطِّلَاعْ ... فَٱلْأَوْلَى بِٱلْقَلْبِ مُرَاقَبَةُ ٱلْأَفْئِدَةِ وَٱلْأَتْبَاعْ

وَٱلْقَلْبُ مَخْزَنُ ٱلْأَشْيَاءِ وَٱلصُّوَرِ وَٱلْمَشَاهِدِ ... وَآلَةٌ ثَمِينَةٌ عِنْدَ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْمُجَاهِدِ

فَهُوَ ٱلْحَافِظُ ٱلْأَمِينُ لِلْأَنْوَارِ وَٱلْمُوَزِّعْ ... لَهَا عَلَى ٱللَّطَائِفِ لِتَسْتَفِيدَ مِنْهَا وَتَنْتَفِعْ

قِيلَ سُمِّيَ ٱلْقَلْبُ قَلْبًا لِتَقَلُّبِهِ ... فَعَلَى ٱلْخَائِفِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ ٱلشَّرِّ وَتَتَبُّعِهِ

اَلْقَلْبُ آلَةٌ عَظِيمَةٌ فِيهِ سِرُّ ٱلْحَيَاةْ ... فَإِذَا تَوَقَّفَ يَقُولُ ٱلطَّبِيبُ: إِنَّهُ مَاتْ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ " إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ ٱلْقُرْآنِ يٰسٓ ".[1]

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَلْبِ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ... يَصِفُهُ وَصْفًا عَظِيمًا فِي كِتَابِهِ ٱلْمُمَجَّدِ

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ (النجم ١١) ... لَمْ يَقُلْ مَا كَذَبَ ٱلْعَقْلُ مَا رَأَى

وَٱلسَّالِكُ يَسْتَعِدُّ لِكَسْبِ ٱلْمَعْرِفَةِ بِقَلْبِهِ ... وَمِنَ ٱلْقَلْبِ تَمْتَدُّ ٱلْأَنْوَارُ إِلَى جَوَارِحِهِ

فَهُوَ ٱلْجِهَازُ ٱلْفَعَّالُ بِطُرُقِ ٱلصُّوفِيَّةِ ... بِهِ يَتَقَرَّبُ ٱلْمُرِيدُ إِلَى ٱللَّهِ بِٱلْمَقَامَاتِ ٱلْقُدْسِيَّةِ

وَبِهِ يَسْعَدُ وَيُكَاشِفُ وَيُفْلِحُ إِذَا زَكَّاهُ ... وَهُوَ سَبَبُ شَقَاءِ صَاحِبِهِ إِذَا دَسَّاهُ

أَكْثَرُ ٱلْجُهَّالِ لَا يَهْتَمُّونَ بِإِصْلَاحِ قُلُوبِهِمْ ... لِأَنَّ ٱلْمَالَ وَٱلشَّهَوَاتِ هِيَ مَطْلُوبُهُمْ

وَٱلْخَائِفُ مِنْ رَبِّهِ يُرَاقِبُ قَلْبَهُ وَيُرَاعِيهْ ... وَيَتَرَصَّدُ ٱلنَّفَحَاتِ لِتُمِدَّهُ وَتَسْقِيهْ

فَمَعْرِفَةُ ٱلْقَلْبِ وَحَقِيقَةُ أَوْصَافِهِ لِلْمُرِيدِينَ ... أَسَاسٌ مُهِمٌّ فِي طَرِيقِ ٱلسَّالِكِينَ

وَلِلْقَلْبِ رِيَاضَاتٌ شَاقَّةٌ وَتَدْرِيبٌ ... عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ ٱلطَّاعَاتِ فِيهَا تَهْذِيبٌ

(١) حسن غريب ، رواه الإمام الترمذي ﷺ في سننه.

وَلَـهُ جَـوْلَاتٌ فِي كَشْـفِ العَجَائِـبِ ... وَفِيهِ تُصَبُّ الفُتُوحَاتُ المَمْلُوءَةُ بِالغَرَائِبِ

فَهُـوَ لَطِيفَـةٌ رُوحَانِيَّـةٌ نَابِضَـةٌ بِالحَيَـاةِ ... وَفِي تَوَقُّـفِ نَبَضَـاتِهِ إِشَـارَةُ المَمَـاتِ

بِغَلْقِ العُيُونِ فِي الرَّابِطَةِ تَبْتَدِئُ وَظِيفَتُـهُ ... وَإِذَا عَمِلَ صَاحِبُهُ بِلَا مُرْشِدٍ كَانَتْ مُصِيبَتُهُ

فَإِنَّهُ يَتَعَرَّضُ لِوَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ وَالمُجَابَهَةِ ... وَالمُرْشِدُ يَحْرُسُهُ لِيَفْتَحَ لَهُ طَرِيقَ المُتَابَعَةِ

حُضُورُ القَلْبِ وَحَوَادِثُهُ

مَا يَعْلَقُ بِالقُلُوبِ يُشَوِّشُ صَفَاءَ القَلْـبِ ... فَيَتَخَيَّلُ بِسَبَبِهِ البَاطِلَ وَيَخَافُ مِنَ السَّلْبِ

كَثِيرٌ مِـنَ العُصَـاةِ أَهْـلِ الضَّـلَالَةْ ... يَجِـدُونَ بِالمَعْصِـيَةِ فِي القَلْـبِ حَـلَاوَةْ

فَخُشُوعُ القَلْبِ عَلَى قَدْرِ الهِمَّةِ وَالقُدُرَاتِ ... فَالقَلْبُ تَابِعٌ لِهِمَّتِكَ مَهْمَا أَهَمَّكَ مِنْ بَلِيَّاتِ

مَنِ اجْتَمَعَ بِقَلْبِهِ الهَيْبَةُ وَالتَّعْظِيمُ وَالرَّجَـاءْ ... نَالَ حُضُـورَ القَلْـبِ وَالخُشُـوعَ وَالبَهَـاءْ

يَحْضُرُ القَلْـبُ لِأَنَّـهُ عَلَـى ذَلِكَ مَجْبُـولْ ... وَمُسَـخَّرٌ فِيـهِ قَـدِ اعْتَـادَ القَبُـولْ

إِذَا كَانَ قَلْبُ السَّالِكِ غَيْرَ حَاضِرٍ الآنْ ... فَيَعْنِي هَذَا أَنَّهُ فِي مُهِمَّـةٍ يَجُولُ بِالبُلْـدَانِ

يُنَفِّـذُ بِهِمَّـةٍ مَـا وُكِّـلَ إِلَيْـهِ مِـنْ أُمُـورْ ... بِكُـلِّ جِـدٍّ وَفِي عَمَلِـهِ عِـلَاجٌ مَنْظُـورْ

يَصْعُبُ عَلَى المُبْتَدِئِ أَنْ يَكُونَ لِقَلْبِهِ حُضُورْ ... بِسَبَبِ ضَعْفِ حَالِهِ وَقِلَّةِ اتِّعَاظِهِ بِالقُبُورْ

لَا يَحْضُرُ القَلْـبُ إِلَّا بِصَرْفِ الهِمَّـةِ لِلطَّاعَـةِ ... وَهِجْـرَانِ الـدُّنْيَا وَالتِّجَـارَةِ وَالصِّـنَاعَةِ

فَاجْتَهِـدْ يَـا فَتَـى بِتَقْوِيَـةِ الإِيمَـانِ ... لِيَكُـونَ قَلْبُـكَ حَاضِـرًا لِمَحَبَّـةِ الـرَّحْمَنِ ﷻ

مَـعْ إِدْمَـانِ الفِكْـرِ وَصَـرْفِهِ لِلتَّأَمُّـلِ ... بِعَجَائِـبِ مَخْلُوقَـاتِ اللهِ ﷻ بِـلَا تَمَهُّـلِ

قَالَ تَعَالَى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران ١٩١)

هَذَا التَّفَكُّرُ يَدْفَعُ الخَوَاطِرَ الشَّاغِلَةَ لِلْقُلُوبِ ... عَنِ الحُضُورِ فِي عِبَادَةِ وَمَحَبَّةِ عَلَّامِ الغُيُوبِ ﷻ

وَفِي عِلَاجِ وَدَفْعِ الخَوَاطِرِ الشَّاغِلَةِ عَنِ الغَفَّارِ ... انْجِذَابٌ وَهُجُومٌ بِالقَلْـبِ عَلَـى الأَذْكَـارِ

كُلَّمَا ٱزْدَادَتْ مَعْرِفَةُ ٱلْقُلُوبِ بِٱللهْ   ٱزْدَادَتْ خَشْيَةُ ٱلْعَبْدِ وَهَيْبَتُهُ لِمَوْلَاهُ ﷻ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ (الأحقاف ١٩)

فَحَظُّ كُلِّ سَالِكٍ بِقَدْرِ خَوْفِهِ وَخُشُوعِهِ   وَتَعْظِيمِهِ وَمُجَاهَدَاتِهِ وَسَلَامَةِ ضُلُوعِهِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء ٨٩)

لَا بُدَّ مِنَ ٱلتَّفَرُّغِ ٱلْكُلِّيِّ لِلهِ عَمَّا سِوَاهُ   لِتَهْدَأَ ٱلْجَوَارِحُ وَتَخْشَعَ فَإِنَّ ٱللهَ بِهَا ٱبْتَلَاهُ

فَتَسْكِينُ ٱلْبَاطِنِ وَضَبْطُ ٱلْجَوَارِحِ بِثَبَاتٍ   ضَرُورِيٌّ حَتَّى لَا تَبْغِي عَلَى ٱلْقَلْبِ بِٱلذَّاتِ

فَتَنْدَمَ عَلَى مَا سَبَقَ لَهَا مِنْ أَحْوَالٍ   وَٱنْتَظِرْ مَا يَأْتِيكَ مِنْ أَفْضَالِ ذِي ٱلْجَلَالِ

مِنْ نِعَمٍ تَجْعَلُكَ فِي حَالَةٍ رُوحِيَّةْ   تَزِيدُكَ إِحْسَاسًا بِعَظَمَتِهِ وَفِيهَا عِلَاجَاتٌ قَلْبِيَّةْ

وَمَنْ يَنْتَظِرْ مِنْ غَيْرِ ٱللهِ نِعْمَةْ   فَهُوَ نَاقِصُ ٱلْقَلْبِ وَذُو نِقْمَةْ

فَكَمَا تُحَافِظُ عَلَى حِرَاسَةِ ٱلسَّمْعِ وَٱلنَّظَرِ   فَعَلَيْكَ ٱلْمُحَافَظَةُ عَلَى قَلْبِكَ مِنَ ٱلْخَطَرِ

وَٱجْتَهِدْ فِي تَرْقِيقِ قَلْبِكَ وَخُشُوعِهِ   فَكَمْ مِنْ ذَاكِرٍ خَشَعَ قَلْبُهُ بِرُكُوعِهِ

ٱلنَّظَرُ ٱلْمُحَرَّمُ يَشْغَلُ ٱلْفِكْرَ وَٱلْقَلْبْ   وَأَكْلُ ٱلْحَرَامِ يَجْعَلُهُ كَٱلصَّوَّانِ ٱلصُّلْبْ

دَقَّاتُ قَلْبِ ٱلسَّالِكِ ٱلْكَامِلِ ٱلْمُتَنَوِّعَةُ

إِنَّ لِقَلْبِ ٱلسَّالِكِ دَقَّاتٌ مُتَعَدِّدَةْ   تَتَغَيَّرُ ٱلدَّقَّاتُ بِحَسَبِ ٱلْمُرْشِدِ وَٱلْمُرْشِدَةْ

حِينَ ٱشْتِدَادِ ٱلرَّابِطَةِ تَطُوفُ بِٱلْفُؤَادِ   فَتَتَوَلَّدُ دَقَّاتٌ رُوحَانِيَّةٌ مَصْحُوبَةٌ بِٱلْأَمْدَادِ

لِتُوقِظَهُ وَتُوصِلَهُ إِلَى أَفْضَلِ مَرْتَبَةْ   وَبِهَذَا يَزْدَادُ نَعِيمًا وَسَعَادَاتٍ مُتَشَعِّبَةْ

لِكُلِّ دَقَّةٍ صَوْتٌ وَإِحْسَاسٌ جَدِيدٌ   وَمَقَامٌ وَمَرْتَبَةٌ يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا ٱلْمُرِيدُ

هَذِهِ أَحْوَالُ ٱلسَّالِكِينَ ٱلْكُمَّلْ   وَمَنْ صَرَفَ حَيَاتَهُ بِٱلذِّكْرِ يَتَأَمَّلْ

وَقَدْ تَنْتَقِلُ لَذَّةُ ٱلدَّقَّاتِ يَمِينًا وَيَسَارْ   تَطُوفُ عَلَى ٱللَّطَائِفِ بِٱلْأَسْرَارْ

أَيْ تَنْتَقِلُ مِنَ ٱلْقَلْبِ لِتَزُورَ ٱللَّطَائِفْ   ٱلَّتِي بِٱلصَّدْرِ وَٱلْوَجْهِ فَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا كُلُّ عَاكِفْ

وَقَدْ يَحْصُلُ مِنْهَا خَفَقَانُ قَلْبٍ دَقِيقٍ   كَأَنَّمَا يَهْوِي ٱلْإِنْسَانُ بِوَادٍ عَمِيقٍ

وَٱلدَّقَّاتُ ٱلْمُمَيَّزَةُ تَكُونُ ٱثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثْ   حَتَّى يَتَمَكَّنَ وَيَزْدَادَ فِي ٱلتَّمْكِينِ وَٱلْإِحْسَاسْ

وَبَعْدَ ٱلتَّمْكِينِ يَزْدَادُ ٱلْقَلْبُ بِلَذَّةِ ٱلدَّقَّاتِ   فَيَتَلَوَّنُ فِيهَا فِي سَائِرِ ٱلْأَوْقَاتِ

وَلَذَّةُ ٱلدَّقَّاتِ تُوقِظُ ٱلْقَلْبَ فِي مَكَانِهِ   فَيَصْحُو عِرْفَانِيًّا وَيَتَذَوَّقُ مِنْ إِحْسَانِهِ

لَوْ أَرَدْنَا كَمَالَ ٱلشَّرْحِ لَطَالَ ٱلْمَقَامْ   فَفِي ٱلِٱخْتِصَارِ خَصَائِصُ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَعْلَامْ

فَيُرَادُ لِذَلِكَ طَاعَاتٌ وَأَذْكَارٌ وَصَوْمْ   وَمُتَابَعَةُ ٱلْمُرَاقَبَةِ لِيَصِلَ إِلَى حَالِ ٱلْقَوْمْ

رَفْضُ قَلْبِ ٱلسَّالِكِ أَوَامِرَ ٱلْغَيْرِ

يَرْفُضُ قَلْبُ ٱلسَّالِكِ أَوَامِرَ ٱلْغَيْرِ   لِأَنَّ فِيهَا مُخَالَفَةً لِسُلُوكِهِ وَٱلسَّيْرِ

كَٱلْأَوَامِرِ ٱلْمُضِرَّةِ وَٱلْمُخَالِفَةِ لِنِظَامِ ٱلْآدَابِ   كَٱلنَّمِيمَةِ وَٱلْقَلْقَلَةِ وَٱلْفُحْشِ وَٱلِٱغْتِيَابِ

وَلَا يَأْتَلِفُ بَاطِنُهُ فِي ٱخْتِيَارِهِ   مَعَ ٱخْتِيَارِ غَيْرِهِ مِنْ زُوَّارِهِ

إِنَّمَا يَتَعَرَّضُ لِلتَّشَوُّشِ عِنْدَهُ خَاطِرُ ٱلْإِلْهَامِ   وَهَذَا لَهُ إِشَارَاتُهُ ٱلْوَاضِحَةُ عَلَى ٱلدَّوَامِ

فَإِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ ٱلْآرَاءْ   يَنْقَبِضُ وَيَتَأَلَّمُ وَيَرْفُضُ مَا جَاءْ

كَأَنْ يُزَيِّنَ لَهُ ٱلْبَعْضُ ٱلْقِيَامَ بِزِيَارَةٍ   وَٱلْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ لِلتَّحَرُّكِ أَيَّةُ إِشَارَةٍ

فَيَعِدُهُ ٱلسَّالِكُ بِهَا لِحَيَاءٍ أَصَابَهْ   وَلَكِنَّهُ يَشْعُرُ بِأَخْطَارٍ فَيَرْفُضُ ٱلِٱسْتِجَابَةْ

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْقَوْلِ فَيَكُونُ كَٱقْتِرَاحِ   وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْمُلْهِمُ لِمَا فِيهِ شِفَاءُ ٱلْجِرَاحِ

فَيَجِبُ أَلَّا يُلِحَّ عَلَيْهِ فِي ٱلطَّلَبِ   لِئَلَّا يُؤَدِّيَ بِهِ هَذَا إِلَى ٱلْعَطَبِ

فَيُسَبِّبُ ٱلصَّاحِبُ لِنَفْسِهِ عِلَّةً بَلْ عِلَلْ   فَيَكْرَهُ ٱلسَّالِكُ صُحْبَتَهُ وَيَشْعُرُ بِمَلَلْ

فَعَلَى صَاحِبِ ٱلسَّالِكِ أَلَّا يَرْفَعَ ٱلْكُلْفَةَ   وَلَا يَفْرِضَ آرَاءَهُ ٱلضَّارَّةَ ٱلْمُتْلِفَةَ

وَلَا يَلْعَنَ ٱلنَّاسَ وَيَشْتُمَهُمْ قُرْبَهُ   وَلَا يُجَادِلَهُ فَيُكَدِّرَ لَهُ بَاطِنَ صَدْرِهِ

وَشَيْطَانُ قَرِينِ صَاحِبِ ٱلسَّالِكِ يَأْمُرُهْ   بِٱلتَّلَاعُبِ مَعَ ٱلسَّالِكِ وَبِظَاهِرِ خِدْمَتِهِ يَغْمُرُهْ

طَمَعًا فِي أَنْ يُوقِعَ ٱلسَّالِكَ فِي ٱلشِّبَاكْ ... فَلَا يَجِدُ إِلَّا ٱلْخِذْلَانَ وَٱلْإِرْتِبَاكْ

فَيَأْمُرُهُ مَثَلًا بِطَرْدِ فُلَانٍ وَلَعْنِ آخَرْ ... وَبِصُحْبَتِهِ لِلسَّالِكِ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ يَتَفَاخَرْ

فَهَذِهِ وَأَمْثَالُهَا ظُلْمَةٌ تُصِيبُ ٱلرُّوحَ وَٱلْقَلْبْ ... يَنْجُو ٱلسَّالِكُ مِنْهَا بِمَدَدِ ٱلرَّبّْ

وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ بِقَلْبِهِ نُورُ رَبِّهِ وَٱلنَّبِيِّ ﷺ ... لَا يَتَقَبَّلُ بَاطِنُهُ نَمِيمَةَ ٱلْغَبِيِّ

ٱلظُّلُمَاتُ مَعَ ٱلنُّورِ عِنْدَهُ لَا تَسْتَوِي ... فَإِذَا أَقْبَلَتِ ٱلظُّلْمَةُ رَفَضَهَا قَلْبُهُ ٱلْقَوِيّ

لِأَنَّهَا تَجْرَحُ فُؤَادَهُ وَتُنَغِّصُهُ ... وَيَشْعُرُ كَأَنَّهَا تَسْكُنُهُ وَتَتَلَبَّسُهُ

فَٱلسَّالِكُ يَعِيشُ بِشُعُورٍ مُعَيَّنٍ وَإِحْسَاسِ ... لَا كَإِحْسَاسِ ٱلْغَرِيبِ وَبَعْضِ ٱلنَّاسِ

وَلِأَنَّ لِلسَّالِكِ قَلْبًا مَفْتُوحًا رَقِيقْ ... فَيُشْعِرُهُ رَبُّهُ بِمَا فِيهِ شَرٌّ حَرِيقْ

وَلَهُ مِنْ مَوْلَاهُ عِنَايَةٌ مَخْصُوصَةْ ... وَأُجُورُهُ بِٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ غَيْرُ مَنْقُوصَةْ

وَكَشَّافُ عُيُونِهِ دَائِمًا عَلَى ٱسْتِعْدَادِ ... لِمُرَاقَبَةِ أَنْوَارٍ وَبَرَكَاتِ ٱلْأَمْدَادِ

مَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ يَصْعُبُ ٱصْطِيَادُهْ ... وَسَيِّئُ ٱلنِّيَّةِ يَتَكَفَّلُ رَبُّنَا ﷻ فِي إِبْعَادِهْ

فَٱلسَّالِكُ ذَاكِرٌ لَيْلًا نَهَارًا لِرَبِّهِ ﷻ ... لَا يَسْتَطِيعُ مُضِرٌّ تَعْكِيرَ صَفَاءِ دَرْبِهِ

مَهْمَا جَرَحُوا وَزَوَّرُوا عَلَيْهِ وَٱفْتَرَوْا ... مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَنِ لِأَكَاذِيبِهِمْ قَدْ دَوَّنُوا

وَفِي نِهَايَةِ ٱلْأَمْرِ يُبْعِدُ ٱللَّهُ صَاحِبَ ٱلسُّوءِ عَنْهُ ... بِٱسْتِدْرَاجٍ مُهْلِكٍ فَيَنْجُو ٱلسَّالِكُ مِنْهُ

قَلْبُ ٱلسَّالِكِ وَٱلْقُلُوبُ ٱلْغَافِلَةُ

رَحِمَ ٱللَّهُ ٱلْقَائِلَ: لَا تَعْتَرِضْ فَتَنْطَرِدْ ... فَٱلْبَعْضُ عَلَى ٱلسَّالِكِ قَدْ يَعْتَرِضْ

وَيَتَسَاءَلُ: لِمَ لَا يَحْضُرُ ٱلْإِجْتِمَاعَاتِ وَٱلْأَفْرَاحْ؟ ... لِأَنَّ فِيهَا مَا يَقْبِضُهُ وَيَسُدُّ لَهُ بَابَ ٱلْإِنْشِرَاحْ

لِوُجُودِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْغَافِلَةِ ٱلْقَاسِيَةْ ... ٱلْعَاشِقَةِ لِلدُّنْيَا وَلِذِكْرِ رَبِّهَا نَاسِيَةْ

أَكْثَرُ مَا نَجِدُ بِٱلْعَزَاءِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقَلْقَلَةْ ... ٱلتَّكَلُّمُ بِٱلتِّجَارَةِ وَٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي تُثِيرُ ٱلْبَلْبَلَةْ

فَذَلِكَ يُصِيبُ بَاطِنَهُ بِأَلَمٍ وَقَبْضْ ... فَيَخْفِقُ قَلْبُهُ بِشِدَّةٍ وَبِٱلْإِنْذَارِ يَنْبُضْ

وَقَدْ يَكُونُ لِمَجَالِسِهِ أَجْوَاءُ شَيْطَنَةٍ وَغَفَلَاتِ   فَيَطَّلِعُ مِنْهُمْ عَلَى خَوَاطِرَ ضَارَّةٍ وَنَظَرَاتِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف ٢٨)

وَتَنهَالُ مِنْهُمْ عَلَيْهِ كُشُوفَاتُ ٱلِٱسْتِطْلَاعْ   فَتُمَزِّقُ بَاطِنَهُ وَتَكْسِرُ لَهُ ٱلْأَضْلَاعْ

فَيَزْدَادُ تَشْوِيشًا وَجَفَافًا وَضَيَاعْ   فَيَفِرُّ لِيُعَالِجَ صَدْرَهُ بِٱلذِّكْرِ مِنَ ٱلْأَوْجَاعْ

وَٱلسَّالِكُونَ لِلهِ أَنْوَاعٌ فِي ٱلِٱسْتِشْعَارْ   بَعْضُهُمْ يَتَأَثَّرُ بِنَمْلَةٍ وَبَعْضُهُمْ يُجَابِهُ ٱلْأَخْطَارْ

لِأَنَّ لِكُلِّ سَالِكٍ قُوَّةَ دَفْعٍ وَمِقْدَارْ   بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنْ تَجَلِّي ٱلْغَفَّارْ ﷻ

فَلَا يَعْلَمُ بِٱلسَّالِكِ وَمَخَاطِرِ أَحْوَالِهِ   إِلَّا مُرْشِدُهُ ٱلَّذِي يَتَّبِعُ أَمْرَهُ وَأَقْوَالَهْ

وَكُلُّ مَا فِيهِ دُنْيَا يَسْعَى ٱلسَّالِكُ لِإِبْعَادِهِ   فَطَاعَةُ ٱللهِ وَذِكْرُهُ يَتَكَفَّلَانِ بِإِسْعَادِهِ

أَكْثَرُ ٱلْبِلَادِ خَالِيَةٌ مِنَ ٱلْكَامِلِينْ   لِأَنَّهَا لَمْ تَسْعَ بِصِدْقٍ لِخِدْمَةِ ٱلدِّينْ

لِهَذَا لَمْ يُكْشَفْ لِلْمُدَّعِينَ وَجْهُ ٱلْحَبِيبِ ﷺ   لِرَفْضِهِمُ ٱلْخُضُوعَ وَطَاعَةَ ٱلْمُرْشِدِ ٱللَّبِيبِ

لِأَنَّهُمْ لَا يَسْعَوْنَ لِتَنْظِيفِ بَاطِنِهِمْ مِنَ ٱلْمَضَرَّةِ   وَلَيْسَ لَهُمْ بِٱلْبَاطِنِ أَيَّةُ خِبْرَةٍ

قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَرَى وَجْهَ ٱلْقَمَرِ   حَتَّى تُفْنِيَ بِٱلطَّاعَاتِ سَائِرَ ٱلْعُمُرِ

لَا يَسُرُّ ٱلسَّالِكَ إِلَّا مَا فِيهِ ٱتِّبَاعُ ٱلدِّينِ   فَسَعَادَاتُ ٱلدُّنْيَا تُسَاوِي عِنْدَهُ حَبَّةَ تِينِ

وَنَنْصَحُ بِحُسْنِ ٱلْأَدَبِ مَعَ ٱلسَّالِكِينْ   وَٱلْإِخْلَاصِ وَتَرْكِ صُحْبَةِ ٱلشَّيَاطِينْ

وَإِلَّا فَصُحْبَتُهُمْ بِلَا عَمَلٍ وَطَاعَةٍ خَسَارَةْ   فِيهَا أَضْرَارٌ لِصَاحِبِ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّارَةْ

ٱلْقَلْبُ مُشْتَرِكٌ مَعَ ٱلْعَقْلِ بِٱلسُّلُوكِ

يَتَعَاوَنُ ٱلْقَلْبُ مَعَ ٱلْعَقْلِ فِي ٱلْحَيَاةِ   تَعَاوُنَ ٱلْأَرْوَاحِ مَعَ ٱلنُّفُوسِ ٱلشَّاهِدَاتِ

وَلِلْقَلْبِ دَوْرٌ كَبِيرٌ بِسُلُوكِ ٱلسَّمَاوَاتِ   وَلِلْعَقْلِ دَوْرٌ فِي دَفْعِ ٱلْبَلِيَّاتِ

وَٱلْقَلْبُ وَٱلْعَقْلُ فِيهِمَا مِنَ ٱلطَّاقَةِ شَيْءٌ كَثِيرْ ... ٱسْتَعْمَلَ مِنْهَا ٱلْإِنْسَانُ جُزْءًا صَغِيرْ

وَٱلْأَنْبِيَاءُ ﷺ وَٱلْأَوْلِيَاءُ ؓ لَهُمْ مِنْهُمَا حَظٌّ كَبِيرٌ ... مِنْ حَيْثُ ٱلتَّلَقِّي وَٱلتَّحَمُّلُ وَٱلْعِرْفَانُ ٱلْوَفِيرْ

فَعُقُولُهُمْ مَمْلُوءَةٌ بِصُوَرِ حَوَادِثِ ٱلْآخِرَةِ ... وَقُلُوبُهُمْ مَحْفُوفَةٌ بِنِعَمِ ٱلْجَنَّةِ ٱلْمُعَطَّرَةِ

قَطَعُوا بِعُقُولِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ أَشْوَاطًا مُتَطَوِّرَةْ ... تَحُفُّهَا تَجَلِّيَاتٌ وَمُشَاهَدَاتٌ خَطِرَةْ

لَا طَاقَةَ لِلْإِنْسَانِ ٱلْعَادِيِّ عَلَى تَحَمُّلِهَا ... لِأَنَّ أَثْقَالَ ٱلْمَعَارِفِ تَعْطُبُهَا وَتُدَمِّرُهَا

فَقَلْبُهُ وَعَقْلُهُ غَيْرُ مُجَهَّزَيْنِ لِٱسْتِقْبَالِ ٱلْمُفَاجَآتِ ... وَهُمَا غَيْرُ قَادِرَيْنِ عَلَى تَحَمُّلِ ٱلْمُشَاهَدَاتِ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل ٥)

لِأَنَّ ٱلْمَعْنَوِيَّاتِ ضَخْمَةٌ مُدْهِشَةٌ ... لَا تَتَحَمَّلُهَا إِلَّا قُلُوبٌ وَاسِعَةٌ مُتَعَطِّشَةٌ

لَوْ أَصَابَتْ جَبَلًا لَصَدَّعَتْهُ وَفَتَّتَتْهُ ... وَإِنْ نَزَلَتْ بِقَلْبٍ غَافِلٍ لَزَلْزَلَتْهُ

لَا تَنَالُهَا إِلَّا قُلُوبُ رِجَالٍ ثَابِتَةٌ ... بِٱلْحَقِّ وَٱلْإِيمَانِ وَبِٱلْعَقِيدَةِ نَابِتَةٌ

وَٱلْأَنْبِيَاءُ ﷺ عُقُولُهُمْ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مَفْتُوحَةْ ... عَلَى قُلُوبِهِمْ فَمُشَاهَدَتُهُمْ فِي بَحْبُوحَةْ

فَقُلُوبُهُمْ وَعُقُولُهُمْ أَقْوَى بِكَثِيرٍ ... مِنَ ٱلْإِنْسَانِ ٱلْعَادِيِّ ٱلْكَبِيرِ أَوِ ٱلصَّغِيرِ

لَا تَقْرَبُ مِنْهُمُ ٱلْغَفَلَاتُ وَٱلْخَوَاطِرُ ٱلْمُشِينَةُ ... فَعُقُولُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَقُلُوبُهُمْ مَعْصُومَةٌ

يَبْدَأُ قَلْبُ ٱلسَّالِكِ بِٱلْعَمَلِ مُنْفَرِدًا ... وَيَحْجُبُ ٱلْعَقْلَ حَتَّى لَا يُصْبِحَ مُتَشَرِّدًا

لِأَنَّهُ غَيْرُ مُجَهَّزٍ لِٱسْتِقْبَالِ ٱلْمُفَاجَآتِ ... فَيُهَيِّئُهُ ٱلْقَلْبُ لِيَنْقُلَ إِلَيْهِ ٱلْمُشَاهَدَاتِ

يُعْطِيهِ ٱلْقَلْبُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا لِيَبْدَأَ ٱلْعَمَلَ ... ثُمَّ يُرَاقِبُهُ لِيُزَوِّدَهُ بِكُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ ٱلْأَمَلَ

فَإِنْ سَلَكَ ٱلْعَقْلُ بِلَا دَلِيلْ ... يَقَعُ بِحَيْرَةٍ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ ٱلسَّبِيلْ

فَلَوْ تَعَدَّى ٱلْعَقْلُ يَنْدَهِشُ وَيَضِيعْ ... فَٱلْقَلْبُ لَهُ كَٱلْحَامِي وَٱلسُّورِ ٱلْمَنِيعْ

ٱلْعَقْلُ بِوَعْيِهِ يُقَدِّمُ لِلْقَلْبِ خَدَمَاتٍ ... لِيَقُومَ بِذِكْرِ ٱللهِ بِٱلنَّفْيِ وَٱلْإِثْبَاتِ

فَلَهُ نَصِيبٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ ٱلتَّنْوِيرِ ... فَيَجِبُ أَلَّا نُهْمِلَ ٱلْعَقْلَ وَنَرْمِيَهُ بِٱلتَّحْقِيرِ

لِكُلٍّ مِنْهُمَا عَمَلٌ مُحَدَّدٌ وَمَقَامٌ مَعْلُومٌ ... وَهَذَا عِنْدَ ٱلْعَارِفِينَ وَاضِحٌ مَفْهُومٌ

يُزَوِّدُ اللهُ ﷻ عُقُولَ المُرِيدِينَ بِالأَنْوَارِ
لِيُسَاعِدَهُمْ عَلَى طَرْدِ الشُّبُهَاتِ وَالأَخْطَارِ

لَكِنْ لَا يَخْلُو سُلُوكٌ مِنَ امْتِحَانٍ وَانْزِلَاقِ
وَاسْأَلْ مَنْ سَلَكَ قَبْلَكَ مِنَ الرِّفَاقِ

فَإِنَّ الإِنْسَانَ دَائِمًا بِاللهِ بِحَاجَةٍ
لِيَنْكَشِفَ لَهُ مَعْنَى ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ (النور ٣٥)

بَعْدَهَا يَنَالُ الكَمَالَ النُّورَانِيّ
وَيَصِيرُ خَبِيرًا مُتَرْجِمًا مُفَسِّرًا عِرْفَانِيّ

فَيَنْفَتِحُ عَقْلُهُ عَلَى قَلْبِهِ بِلَا انْزِعَاجِ
وَيَحْمِيهِ اللهُ مِنَ الخَلَلِ وَالارْتِجَاجِ

فَيَتَلَقَّى التَّجَلِّي الرَّاقِي الكَمَالِيّ
وَيَشْتَرِكُ مَعَ القَلْبِ بِالتَّذَوُّقِ الجَمَالِيّ

حَيْثُ يَنْقَلِبُ العَقْلُ الرُّوحَانِيّ
مُؤَقَّتًا إِلَى مُشَاهَدَةِ كُلِّ عَجِيبٍ وَحَالٍ عِرْفَانِيّ

فَيُشَاهِدُ نَفَحَاتٍ نُورَانِيَّةً بِتَجَلٍّ رَاقٍ
وَفُيُوضَاتٍ مُمَيَّزَةً مُسْعِفَةً كَتِرْيَاقِ

أَيْ يَنْكَشِفُ لِلْعَقْلِ أُمُورٌ نُورَانِيَّةٌ
فِيهَا تَجَلِّيَاتٌ رَاقِيَةٌ مُدْهِشَةٌ عِرْفَانِيَّةٌ

فَيَتَذَوَّقُ اليَقِينَ ثُمَّ لِحَالِهِ يَعُودُ
وَلِمَكَانَتِهِ كَمَا يَشَاءُ لَهُ رَبُّنَا ﷻ المَعْبُودُ

مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ لَا مُشَاهَدَةَ يَقِينِيَّةٌ
تَقَعُ لِغَيْرِ المُهَيَّئِينَ بِالأَنْظَارِ المُحَمَّدِيَّةِ ﷺ

وَهَذِهِ حَالَاتٌ نَادِرَةٌ وَرَاقِيَةُ المِثَالِ
فَهِيَ لِأَمْثَالِ الجِيلِيِّ(١) وَغَيْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ

تَقَعُ لَهُمْ بَعْدَ اخْتِرَاقِ الطَّبَقَاتِ
بِمُجَاهَدَاتٍ وَطَاعَاتٍ وَأَذْكَارٍ وَمَشَقَّاتِ

وَلَا بُدَّ مِنْ مُرْشِدٍ أَثْنَاءَ ذَلِكَ الاخْتِرَاقِ
فِي سَمَاءٍ مَمْلُوءَةٍ بِشُهُبِ الاخْتِرَاقِ

مَنْ سَلَكَهَا بِلَا إِيمَانٍ وَعَقِيدَةٍ وَسُلْطَانْ
أُصِيبَ بِشُوَاظٍ مِنْ نَارٍ أَكَانَ إِنْسًا أَوْ جَانّ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ (الرحمن ٣٣ – ٣٥)

فَالآيَةُ دَلِيلٌ أَنْ لَا اخْتِرَاقَ بِلَا تَوْحِيدِ
وَلَطَائِفَ ذَاكِرَةٍ وَقَلْبٍ مَشْغُولٍ بِالتَّمْجِيدِ

وَذَلِكَ العَطَاءُ لِأَهْلِ الكَمَالَاتِ الرَّاقِيَةِ
الشَّارِبِينَ مِنْ بِحَارِ المَقَامَاتِ البَاقِيَةِ

مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَقَلْبُهُ مُنْفَصِلٌ عَنِ العَمَلِ
وَمَنْ لَهُ عَقْلٌ فَقَلْبُهُ مُتَيَقِّظٌ لِلأَقْوَالِ وَالجُمَلِ

(١) أَيِ الشَّيْخِ السَّيِّدِ عَبْدِ القَادِرِ الجِيلَانِيِّ ﵁.

اِتِّحَادُ ٱللَّطَائِفِ بِٱلْمُشَاهَدَةِ

إِذَا سَلَكَ ٱلْقَلْبُ وَٱلْعَقْلُ سَوِيًّا ... فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ ٱلْقُدُرَاتِ ٱلْقَوِيَّةْ

لِلسَّالِكِ وَأَنَّهُ ذُو قَدَمٍ رَفِيعٍ وَمَوْصُولٍ ... بِٱلْفَتْحِ ٱلْقَلْبِيِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحَبَّةِ ٱلرَّسُولِ ﷺ

فَيَنْدَمِجُ ٱلْقَلْبُ سَوِيًّا مَعَ ٱلْعَقْلِ ... فَيَشْتَرِكَانِ بِٱلْمُشَاهَدَةِ وَٱلْكَشْفِ وَٱلنَّقْلِ

إِلَى أَنْ تَتَّحِدَ سَائِرُ ٱللَّطَائِفِ ... بِٱلذِّكْرِ ٱلْكَامِلِ وَسَائِرِ ٱلْوَظَائِفِ

وَهَـٰذَا ٱتِّحَادٌ فِي ٱللَّطَائِفِ ٱلدَّوَّارَةْ ... ٱلَّتِي فِي أَفْلَاكِ ٱلْأَذْكَارِ ٱلرُّوحِيَّةِ سَيَّارَةْ

هَـٰذِهِ نَوْعِيَّةٌ نَادِرَةُ ٱلْوُجُودْ ... لَا يُلَقَّاهَا إِلَّا مَنْ تَوَلَّاهُ ٱلْمَعْبُودْ

وَٱللَّطَائِفُ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةُ ٱلتَّعْرِيفِ وَٱلتَّشْخِيصِ ... كَمْ مِنْ مُدَّعٍ لَهَا قَدْ وَقَعَ فِي ٱلتَّخْبِيصِ

بَعْدَ نِهَايَةِ سُلُوكِ مَعْنَوِيَّاتِ ٱلْمُشَاهَدَةِ ... تُعْرَضُ عَلَى ٱلْقَلْبِ كُلُّ مُجَاهَدَةِ

فَيَتَلَقَّاهَا ٱلْعَقْلُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ رَقِيقِ ... وَيَصِيرُ مُتَّحِدًا مَعَ ٱلْقَلْبِ كَٱلرَّفِيقِ

فَيَكُونُ لِلْعَقْلِ نَصِيبٌ مِنَ ٱلْمُشَاهَدَةِ وَٱللَّذَّةِ ... بَعْدَمَا يَتَهَيَّأُ لِتَلَقِّي أَنْوَارِ صَاحِبِ ٱلْعِزَّةِ ﷺ

فَيَنْتَقِلُ إِلَى مَرَاحِلَ مُتَنَوِّعَةٍ بِٱلْمَدَارِجِ وَٱلْمَقَامِ ... بِحِفْظِ ٱللهِ، بِحَسَبِ هِمَّةِ صَاحِبِهِ ٱلْمِقْدَامِ

لِأَنَّهُ عُولِجَ بِٱلْأَنْوَارِ لِلْمَشَاهِدِ ٱلْعُلْوِيَّةِ ... وَجُهِّزَ بِقُدُرَاتٍ وَمَعْنَوِيَّاتٍ مَخْصُوصَةٍ قَوِيَّةِ

جُنُونُ ٱلْعَقْلِ عِنْدَ ٱلْبَاحِثِينَ بِعُلُومِ ٱلرُّوحِ ... سَبَبُهُ ٱلتَّخْبِيصُ وَعَدَمُ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْفُتُوحِ

فَلْيَحْذَرِ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ مَسْلَكٍ غَافِلٍ ... لِئَلَّا يُصَابَ بِوَسْوَاسِ شَيْطَانٍ سَافِلِ

فَسَائِرُ ٱللَّطَائِفِ وَٱلْقُدُرَاتِ إِذَا نَجَحَتْ بِأَوْرَادِهَا ... تَتَّحِدُ بِٱلْمُرَاقَبَةِ وَٱللَّذَّةِ ٱلرُّوحِيَّةِ وَٱلْمُشَاهَدَةْ

فَتَرْتَبِطُ سَائِرُ مَشَاعِرِ ٱللَّطَائِفِ وَٱلْحَوَاسِّ ... بِعُرُوقِ عَيْنِ ٱلْبَصَرِ وَٱلْبَصِيرَةِ بِهَذَا ٱلْقِيَاسِ

فَتَكُونُ ٱلْمُشَاهَدَةُ ٱلْعِرْفَانِيَّةُ مَارَّةً عَلَى ٱلْجَمِيعِ ... وَفِيهَا سِرٌّ لَطِيفٌ مِنْ أَسْرَارِ ٱلرَّبِّ ٱلْبَدِيعِ ﷺ

← الكاتب الإسلامي الكبير والمجاهد الشهيد العلامة الشيخ أحمد حسن طباره، بيروت
(و 1870م - ت 1916م)

سماحة الشيخ العالم العامل والفقيه الكفل عبد الرحمن سلام، بيروت
(و 1867م - ت 1941م) ←

الاِسْتِحْضَارُ الْقَلْبِيُّ وَالسَّيْطَرَةُ الْفِكْرِيَّةُ

يَأْتِي الاِسْتِحْضَارُ الْقَلْبِيُّ بَعْدَ مُجَاهَدَاتٍ
قَاسِيَةٍ وَتَرْبِيَةٍ إِرْشَادِيَّةٍ وَخَلَوَاتٍ

بَعْدَ مَا يَقْطَعُ السَّالِكُ سِنِينَ طَوِيلَةْ
بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ لِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ الْعَلِيلَةْ

وَلَا يَصِحُّ الاِسْتِحْضَارُ إِلَّا بَعْدَ الْكَمَالِ
بَعْدَ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْفِكْرِ بِهَذَا الْمَجَالِ

حَيْثُ يَتَعَكَّرُ الْقَلْبُ إِذَا الْفِكْرُ شَرَدْ
لَا بُدَّ مِنَ اتِّحَادٍ بَيْنَهُمَا بِهَذَا الْغَرَضْ

يُرَادُ لِذَلِكَ مُجَاهَدَاتٌ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةْ
وَقَطْعُ أَشْوَاطٍ عِرْفَانِيَّةٍ وَمَسَافَاتٍ شَاسِعَةْ

فَيَتَنَقَّلُ السَّالِكُ مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ بِدِقَّةٍ
حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَوَّلِ اسْتِحْضَارٍ بِمَشَقَّةٍ

فَيَجْرِي عَلَى قَلْبِهِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْمَقَامَاتِ
مِنَ التَّحَيُّرِ وَالْكَشْفِ وَتَجَلِّي الْآيَاتِ

فَيَبْقَى يَدُورُ بِذَلِكَ الْفَلَكِ النُّورَانِيِّ
لِيَصِلَ لِمَقَامِ التَّجَلِّي وَالتَّحَلِّي الرُّوحَانِيِّ

يَتَحَسَّسُهُ بِشُعُورٍ رُوحِيٍّ فَيَنْتَعِشُ بِالْإِحْسَاسِ
فَتَأْتِيهِ لَذَّةٌ رُوحِيَّةٌ وَخُشُوعٌ بِسَائِرِ الْأَنْفَاسِ

فَيَمْتَلِئُ بِقَشْعَرِيرَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهَا الْبُكَاءَ
لِسَيْطَرَةِ التَّجَلِّي عَلَى مَرَاكِزِ الْإِحْسَاسِ بِمَا جَاءَ

الْبُكَاءُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ يَقْطَعُ الْمُشَاهَدَةْ
وَيُصِيبُ الْمُسْتَحْضِرَ بِفُرْقَةٍ نُورَانِيَّةٍ مُبَاعِدَةْ

فَيَجِبُ عَلَيهِ بِذَلِكَ إِعَادَةُ الاِسْتِحْضَارِ
إِلَّا مَنْ كَانَ فِي صَدْرِهِ رُوحَانِيَّةُ الْمُخْتَارِ ﷺ

لِأَنَّ التَّجَلِّي يُورِثُ الدَّهْشَةَ وَالاِنْبِهَارْ
فَيَغِيبُ فِكْرُ الْمُسْتَحْضِرِ عَنِ الْأَغْيَارْ

الْبُكَاءُ لَا يَأْتِي بِمَجَالِ الاِنْشِغَالِ بِالاِسْتِحْضَارْ
يَأْتِي إِذَا عُرِضَ عَلَى الْقَلْبِ الْأَخْبَارْ

فَيُعْرَضُ عَلَى الْفِكْرِ مَثَلًا أَهْوَالُ الْعِقَابْ
أَوْ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّعِيمِ جَزَاءً عَلَى طَاعَةٍ أَصَابْ

وَهَذَا حَالٌ يَرِدُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الصِّغَارِ
الْمُبْتَدِئِينَ بِالسُّلُوكِ لِمَعْرِفَةِ طُرُقِ مَحَبَّةِ الْغَفَّارِ ﷻ

حَسَبَ قُوَّةِ الاِسْتِحْضَارِ تَكُونُ الْمَعْنَوِيَّاتُ الْهَابِطَةُ
وَيَزْدَادُ الْفَتْحُ وَتَقْوَى بِالصَّدْرِ الرَّابِطَةُ

فَإِذَا دَخَلَ بِصَلَاتِهِ بِذِكْرِ قَلْبٍ وَرُوحٍ ... تَنْصَبُّ عَلَى جَوَارِحِهِ بَرَكَاتُ ٱلْفُتُوحِ

مَنْ أَرَادَ ٱلْوُصُولَ إِلَى بِدَايَةِ ٱلِٱسْتِحْضَارِ ... عَلَيْهِ بِٱلطَّاعَةِ وَٱلذِّكْرِ وَكَثْرَةِ ٱلِٱسْتِغْفَارِ

وَٱلسُّلُوكُ عَلَى يَدِ ٱلْأَوْلِيَاءِ ٱلْكِبَارِ ... حَتَّى تَظْهَرَ عَلَيْهِ بِشَارَاتُ وَإِشَارَاتُ ٱلْأَنْوَارِ

فَٱلِٱسْتِحْضَارُ هُوَ مِفْتَاحُ ٱلتَّجَلِّيَاتِ ٱلرَّاقِيَةِ ... تَرْوِي لَطَائِفَ ٱلسَّالِكِ كَرِيِّ ٱلسَّاقِيَةِ

وَٱلْمُخَالِفُ لِعَقَائِدِ وَدُسْتُورِ كُمَّلِ ٱلرِّجَالِ ... لَا فُتُوحَ لَهُ وَلَوِ ٱخْتَلَى فِي ٱلْجِبَالِ

لِأَنَّ ٱلْفِكْرَ مَشْغُولٌ بِغَيْرِ رَبِّهِ ... وَٱلْقَلْبُ غَافِلٌ خَالٍ مِنْ نُورِ حُبِّهِ

ٱلتَّوَجُّهَاتُ ٱلْقَلْبِيَّةُ

اَلتَّوَجُّهَاتُ هِيَ رَحَمَاتٌ خَفِيَّةٌ نُورَانِيَّةٌ ... تُلْهَمُ إِلَيْهَا قُلُوبُ سَادَةِ أَهْلِ ٱلتَّرْبِيَةْ

مُحَمَّلَةٌ بِٱلْبَرَكَاتِ وَٱلْعِرْفَانِ وَٱلْأَسْرَارِ ... وَٱلْعُلُومِ وَٱلْمَقَامَاتِ وَحُبِّ ٱللهِ وَٱلْمُخْتَارِ

يَشْعُرُ وَيَتَحَسَّسُ بِهَا ٱلسَّالِكُ ٱلْمُرِيدُ ... كَحَرَارَةٍ ذَوْقِيَّةٍ وَسُخُونَةٍ رُوحِيَّةٍ تُفِيدُ

سَائِرَ آلَاتِ بَاطِنِ ٱلسَّالِكِ وَتُغَذِّي ... ٱلْقَلْبَ وَٱلرُّوحَ وَٱلنَّفْسَ وَبِٱلنُّورِ تَرْوِي

وَتُشَوِّقُهُ لِلِٱزْدِيَادِ مِنَ ٱلطَّاعَاتِ وَٱلتَّوْحِيدِ ... وَتُزِيلُ ٱلْأَدْرَانَ وَتُوَسِّعُ قَلْبَ ٱلْمُرِيدِ

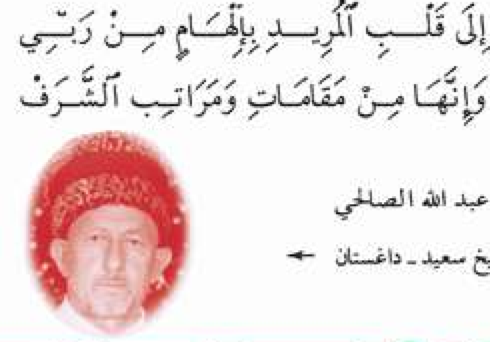
فِيهَا لَذَّةٌ رُوحِيَّةٌ هَائِلَةٌ جَاذِبَةْ ... تُعَالِجُ ٱلْأَدْرَانَ ٱلْبَاطِنِيَّةَ ٱلْمُلَوِّثَةَ ٱلْمُخَرِّبَةْ

وَتَتَفَاعَلُ مَعَ ٱلْجَذْبِ وَٱلْكَشْفِ ٱلْعِرْفَانِيّْ ... وَتُفَتِّحُ ٱلْعَيْنَ ٱلثَّالِثَةَ بِمَدَدٍ رَبَّانِيّْ

يَشْعُرُ فِيهَا ٱلْمُرِيدُ بِحَسَبِ نَظَافَةِ صَدْرِهِ ... وَيَنَالُ عِرْفَانًا بِحَسَبِ مَرْتَبَتِهِ وَقَدْرِهِ

سُمِّيَتْ بِٱلتَّوَجُّهَاتِ لِٱلْتِفَاتِ عَيْنِ ٱلْمُرَبِّي ... إِلَى قَلْبِ ٱلْمُرِيدِ بِإِلْهَامٍ مِنْ رَبِّي

مَنْ ذَاقَ مِنْ مَوْلَاهُ قَدْ عَرَفْ ... وَإِنَّهَا مِنْ مَقَامَاتٍ وَمَرَاتِبِ ٱلشَّرَفْ



→ الصوفي الأديب الراقي عبد الله الصالحي

الولي الأديب الصوفي الشيخ سعيد ـ داغستان ←

اَلْخُشُوعُ وَٱلْجَذْبُ بِٱلسَّمْعِ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْفِرَارُ مِمَّا يُؤْذِيهِ فِي ٱلسَّمَاعِ ... وَهُوَ وَاجِبٌ كَمَا تَفِرُّ ٱلطَّرِيدَةُ مِنَ ٱلسِّبَاعِ

مَا وَجَدْنَا ضَرَرًا مِثْلَ ٱلْغِيبَةِ مِثَالًا ... فَسَمَاعُهَا يَزِيدُ بِٱلْقَلْبِ وَهْمًا وَخَبَالًا

كَمْ أَوْقَعَتِ ٱلسَّامِعِينَ أَجْنَاسًا وَأَشْكَالًا ... وَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْغَضَبَ نَارًا وَوَبَالًا

لَقَدْ بَلَغَ ٱلْمُخْلِصُونَ رِقَّةً فِي ٱلنُّفُوسِ ... يَفِرُّونَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ خَفِيٍّ أَوْ مَحْسُوسٍ

فَنَالُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ ... وَسَلَكُوا بِٱلْمِنَحِ وَٱلتَّجَلِّي وَٱلنَّوَالِ

جَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ تَعَالَى ... كَانَ هَمُّهُمُ ٱلْوُصُولُ إِلَى ٱلْكَمَالِ وَمَا زَالَ

هَؤُلَاءِ وَجْدُهُمْ لَيْسَ لَهُ تَعْدَادْ ... وَسَمَاعُهُمْ يَهُزُّ ٱلْقَلْبَ وَيَحْرِقُ ٱلْأَكْبَادْ

كَثِيرًا مَا فَعَلَ أَهْلُ ٱلسَّمَاعِ أَعْمَالًا ... أَنْكَرَهَا مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ وَعَدَّهَا وَبَالًا

مَنْ أَنْكَرَ فَلِأَنَّهُ يَجْهَلُ ٱلْأَحْوَالْ ... مَشْغُولُ ٱلْقَلْبِ بِٱلْقِيلِ وَٱلْقَالْ

قِيلَ : ٱلْوَجْدُ بِٱلسَّمَاعِ سِرٌّ ٱلْبَاطِنْ ... لِأَنَّ نُورَ ٱلْمَحَبَّةِ بِٱلْقَلْبِ قَاطِنْ

مَنِ ٱدَّعَى ٱلْوَجْدَ بِٱلسَّمَاعِ قَبْلَ أَوَانِهِ ... فَهُوَ دَلِيلُ غَفْلَتِهِ وَكَثْرَةِ حِرْمَانِهِ

هُنَاكَ أَقْوَامٌ قَلَّتْ أَعْمَالُهُمْ ... وَفَسَدَتْ مَقَاصِدُهُمْ وَتَبَعْثَرَتْ أَحْوَالُهُمْ

وَأَكْثَرُوا ٱلْإِجْتِمَاعَ عَلَى ٱلسَّمَاعِ ٱلْفَاسِدِ ... لِأَغَانٍ تُثِيرُ ٱلْغَرَائِزَ بِأَمْرِ ٱلشَّيْطَانِ ٱلْحَاسِدِ

وَمِثْلُ هَذَا ٱلْأَمْرِ يَقْطَعُ عَلَى ٱلْمُرِيدِ ... ٱلْأَحْوَالَ وَٱلنَّفَحَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَزِيدِ

مِثْلُ ذَلِكَ ٱلْإِجْتِمَاعِ ٱلْفَاسِدِ مَرْدُودْ ... لِأَنَّهُ يُغْضِبُ رَبَّنَا ٱلْوَاحِدَ ٱلْمَعْبُودْ

ٱلسَّمَاعُ ٱلْحَسَنُ فِيهِ قُيُودٌ وَآدَابْ ... يَذْكُرُونَ بِهِ ٱلْآخِرَةَ لِلتَّخْوِيفِ مِنَ ٱلْعَذَابْ

ٱتَّفَقَ أَصْحَابُ ٱلْإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ ﷺ : "أَنَّ ٱلْمَرْأَةَ غَيْرَ ٱلْمَحْرَمِ لَا يَجُوزُ ٱلْإِسْتِمَاعُ إِلَيْهَا سَوَاءٌ كَانَتْ حُرَّةً أَوْ مَمْلُوكَةً أَوْ مَكْشُوفَةَ ٱلْوَجْهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ " .

وَعِندَ ٱلإِمَامِ مَالِكٍ ﷺ : " إِذَا ٱشْتَرَى جَارِيَةً فَوَجَدَهَا مُغَنِّيَةً فَلَهُ أَنْ يَرُدَّهَا بِهَذَا ٱلعَيْبِ وَهُوَ مَذْهَبُ سَائِرِ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ".

عَنِ ٱلضَّحَّاكِ قَالَ : " ٱلغِنَاءُ مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ مُسْخِطَةٌ " .

ٱلحَرَامُ مَا يَحْصُلُ بِٱلغِنَاءِ وَٱلسَّمَاعِ مِنَ ٱلفَرْقَعَةْ ... بِٱلأَصَابِعِ وَٱلتَّصْفِيقِ وَٱلرَّقْصِ وَٱلنَّاسُ مُجْتَمِعَةْ

وَفِيهِ ٱخْتِلَاطُ رِجَالٍ بِنِسَاءٍ عَارِيَاتْ ... هَكَذَا أَصْبَحَ رَمَضَانُ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلآيَاتْ

إِخْتِلَاطٌ فِيهِ تَبَرُّجٌ تَحْتَ خِيَامٍ خَبِيثَةٍ ... خِيَامِ هَنَاءٍ فَاسِدَةٍ كَاسِدَةٍ تَعِيسَةٍ

وَرَاقِصَاتٌ كَافِرَاتٌ يُظْهِرْنَ أَسْوَأَ ٱلعَوْرَاتِ ... وَمُطْرِبُونَ وَمُطْرِبَاتٌ يُغَنُّونَ بِشَهْرِ ٱلخَيْرَاتِ

قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : إِنَّهَا تَرْقُصُ لِلهِ تَعَالَى ... إِكْرَامًا لِرَمَضَانَ وَلَا تَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مَالًا

نَامَ ٱلْمَسْؤُولُ عَنْ حُرْمَةِ ٱلشَّعَائِرِ ... فَٱشْتَغَلَتِ ٱلرَّعِيَّةُ بِلَذَّةِ ٱلصَّغَائِرِ وَٱلكَبَائِرِ

فَلْيُمَيِّزِ ٱلحَقَّ مِنَ ٱلبَاطِلِ كُلُّ شَخْصْ ... وَإِلَّا فَهُوَ سَخِيفٌ وَبِعَقْلِهِ نَقْصْ

مَنْ يُشِيرُ بِأَنَّ هَذَا هُوَ مُحَبَّبٌ وَفَضِيلَةْ ... فَهُوَ ذُو غَرَضٍ وَمُحِبٌّ لِلرَّذِيلَةْ

وَهُوَ غَلَطٌ فِي تَشْخِيصِ ٱلأَحْكَامْ ... مَا فَعَلَ هَذَا صَحَابِيٌّ ﷺ وَلَا ٱلنَّبِيُّ ﷺ ٱلإِمَامْ

إِنَّ هَذِهِ ٱلأَفْعَالَ حَتْمًا تَضُرُّ بِٱلدِّينْ ... وَتُغَيِّرُ أَحْوَالَ وَأَخْلَاقَ شَبَابِ ٱلْمُسْلِمِينْ

وَقَدْ يُؤَدِّي ذَلِكَ لِلْفِتْنَةِ ٱلحَالِقَةِ ... فَعَلَى أَهْلِ ٱلدِّينِ إِنكَارُهَا بِأَصْوَاتٍ حَارِقَةٍ

ٱلسَّمَاعُ ٱلحَسَنُ تَزْدَادُ فِيهِ ٱلعَطَايَا ... وَٱلقَبِيحُ لَا يُبْقِي لِلشَّرَفِ وَٱلعِفَّةِ بَقَايَا

ٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلرَّقْصِ وَٱلسَّمَاعِ ٱلْمُبْطِلْ ... يَزِيدُ هَوَى ٱلنَّفْسِ وَلِلْقَلْبِ قَدْ يُعَطِّلْ

وَيَتَأَثَّرُ فِيهِ عُمْقُ ٱلبَاطِنِ وَيُرْدِيهِ ... وَيَدْعُو ٱلْمُسْتَمِعَ إِلَى فَسَادٍ يَشْتَهِيهِ

وَمَنْ يَتَعَلَّقْ بَاطِنُهُ بِهَذِهِ ٱلْمَفَاسِدِ ... يُسَوِّدْ قَلْبَهُ وَيُضَيِّعْ سَبِيلَ ٱلْمَقَاصِدِ

لِأَنَّ ٱلنَّغَمَاتِ ٱللَّذِيذَةَ وَٱلأَلْحَانْ ... ٱلرَّاقِصَةَ تُؤَثِّرُ فِي ٱلجِنْسِ وَشَهْوَةِ ٱلإِنسَانْ

فَيَصِيرُ بَيْنَ ٱلعُيُونِ ٱلْمُجْتَمِعَةِ مُرَاسَلَاتْ ... فَيَقَعُ ٱلنَّاظِرُ وَٱلْمَنظُورُ بِأَخْطَرِ ٱلْمُحَرَّمَاتْ

قَالَ بَعْضُهُمْ : تَكَلَّمَ مِنَّا فِي الْوُجُودِ عُيُونُنَا ، فَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ .

فَإِذَا اسْتَلَذَّتِ الْعُيُونُ الْمَغْلُولَةُ النَّظَرَاتِ تَحَرَّكَ الْبَاطِنُ لِحُدُوثِ عَارِضِ الْمُنْكَرَاتِ

الْعُيُونُ تَنْظُرُ وَتَظْهَرُ عَلَيْهَا الْعِبَارَاتْ فَتَفْهَمُ النَّفْسُ لَطِيفَ خَفِيِّ الْإِشَارَاتْ

فَمَنْ كَانَ عَلَى جَادَّةِ الِاسْتِقَامَةِ لَا يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِخَطَرِ هَذِهِ الْمَقَامَةِ

إِنَّ لِبَعْضِ الْمُرِيدِينَ إِحْسَاسٌ زَائِدٌ شُعُورُهُ بِحَسَبِ تَقْوَاهُ وَإِخْلَاصِهِ عَائِدٌ

فَإِذَا سَمِعَ آيَةً أَوْ حَدِيثًا أَوْ خَبَرًا يَهْتَزُّ وَيَرْجُفُ وَيَبْكِي لَوْعَةً وَتَأَثُّرًا

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة ٨٣)

مَنْ كَانَ بِهَذَا الْحَالِ السَّلِيمِ كَانَ مُؤْمِنًا وَعَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

هَذَا السَّمَاعُ يُحَرِّكُ حَرَارَةَ الشُّعُورِ فَتَفِيضُ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ وَالدَّمْعِ الْمَوْفُورِ

لِأَنَّ النَّفْسَ تَخْشَعُ وَالْجِلْدُ مِنْهُ يَقْشَعِرُّ فَنَارُ الْمَحَبَّةِ فِي الْقَلْبِ تَتَوَقَّدُ وَتَسْتَعِرُ

قَالَ ﷻ : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر ٢٣)

وَإِذَا وَصَلَ أَثَرُهُ إِلَى الرُّوحِ فَتَمُوجْ وَيَهْتَزُّ الْجَسَدُ لِأَنَّ لَهَا فِي السَّمَاءِ وُلُوجْ

فَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ صِيَاحٌ وَاضْطِرَابٌ هَذِهِ الْأَحْوَالُ وَالْمَوَاجِيدُ لَهَا أَرْبَابٌ

رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كَانَ رُبَّمَا مَرَّ بِآيَةٍ فِي وِرْدِهِ فَتَخْنُقُهُ الْعَبْرَةُ وَيَسْقُطُ وَيَلْزَمُ الْبَيْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ حَتَّى يُعَادَ وَيُحْسَبَ مَرِيضًا .

سَمَاعُ مَا فِيهِ مَوْعِظَةٌ يَسْتَجْلِبُ الرَّحْمَةَ النُّورَانِيَّةْ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ صَاحِبِ الصِّفَاتِ الْقُدْسِيَّةْ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ "(١).

إِنَّ بَعْضَ الْمُرِيدِينَ يَقْتَاتُ بِسَمَاعِ الْآيَاتِ الطِّوَالِ وَيَتَقَوَّى بِهَا عَلَى الطَّيِّ وَالْوِصَالِ

(١) الجامع الصغير ج١ ص ٧٨

وَتُثِيرُ عِنْدَهُ مِنَ الشَّوْقِ مَا يُذْهِبْ ... لَهَبَ الْجُوعِ وَلَا يَهْتَمُّ حِينَهَا لِكُنُوزٍ أَوْ ذَهَبْ

سَتْرُ الْمُرِيدِ لِلْحَالِ يُورِثُ لَهِيبًا ... يُوَلِّدُ حَرَكَاتٍ وَاهْتِزَازًا عَجِيبًا

وَالتَّجَلِّي يَتَوَلَّدُ مِنْهُ السُّكُونُ لِلْوَاصِلِينْ ... وَهُوَ مَحَلُّ الِاسْتِقَامَةِ وَمَرْكَزُ التَّمْكِينْ

وَقَدْ عَدَّ الْبَعْضُ أَنَّ الرَّقْصَ نَقْصْ ... إِنْ كَانَ مَصْدَرُهُ الطَّبْعُ مِنَ الشَّخْصْ

وَإِنْ كَانَ مَصْدَرُهُ نَفَحَاتٌ وَحَالْ ... فَحُكْمُهُ إِلَى مَوْلَانَا الرَّبِّ الْمُتَعَالْ

فَكَمْ مِنْ رَقَصَاتٍ مُوجِبَةٍ لِلْمَقْتِ ... وَكَمْ مِنْ حَرَكَاتٍ تُذْهِبُ رَوْنَقَ الْوَقْتِ

إِنَّ مِنَ الْأَصْوَاتِ مَا يَقْبِضُ الْقَلْبَ أَلَمًا ... وَيَضِيقُ مِنْهُ الصَّدْرُ قَبْضًا مُحْكَمًا

وَمِنَ الْأَصْوَاتِ مَا يُذَكِّرُهُ بِرَبِّهِ اللهْ ... فَيَشْعُرُ بِالِانْكِسَارِ وَالِافْتِقَارِ إِلَى مَوْلَاهْ

كَمْ مِنْ حُنْجُرَةِ طَائِرٍ بِصَوْتِهِ يُغَرِّدُ ... يَجْعَلُ الْقَلْبَ وَاللِّسَانَ بِالتَّوْحِيدِ يُفَرِّدُ

الْمُنْكِرُ الْمَكْفُوفُ لَيْسَ لَهُ بِالْجَمَالِ اسْتِمْتَاعْ ... وَسَلِيمُ الْجَسَدِ يَجْهَلُ أَلَمَ الْأَوْجَاعْ

وَالْأَصَمُّ لَا يُحَرِّكُ خَفِيَّ وَجْدِهِ السَّمَاعُ ... وَقَاسِي الْقَلْبِ يَعِزُّ عَلَيْهِ الْقَبُولُ وَالِاقْتِنَاعُ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ"**. (رواه الحاكم في المستدرك)

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: لَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ.[1]

لَا حَالَ مِنْ غَيْرِ وَجْدٍ نَازِلٍ ... أَوِ ادِّعَاءُ الْحَالِ مِنْ غَيْرِ حَالٍ حَاصِلٍ

الْوَجْدُ الصَّادِقُ فِيهِ هُجُومٌ مُفَاجِئْ ... يُرِيحُ قَلْبَ صَاحِبِ الطَّبْعِ الْهَادِئْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** (الزمر ٢٣)

فَهَذَا أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى الْقُلُوبْ ... كَيْفَ لَا وَقَدْ تَوَاجَدَ فِيهِ الْمَحْبُوبْ

إِنْ سَمِعَ الْقَلْبُ عَنْ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام ... قِصَصًا دُوِّنَتْ فِي كُتُبِ الْأَوْلِيَاءِ رضي الله عنهم

فِيهَا بُطُولَاتُهُمْ وَقُوَّةُ إِيمَانِهِمْ وَصَبْرُهُمْ ... وَحُبُّهُمْ وَإِخْلَاصُهُمْ لِلَّهِ وَشِدَّةُ قُرْبِهِمْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٤

شَعَرَ بِالْحُبِّ وَاهْتَزَّ وَهُوَ فَرِحْ ... مِمَّا ذَكَرَ الْكِتَابُ وَدَوَّنَ وَشَرَحْ

تِلْكَ الْمَحَبَّةُ الْبَاطِنِيَّةُ الَّتِي عَرَفْنَاهَا ... وَهَكَذَا عَنِ الْعَاشِقِينَ قَدْ فَهِمْنَاهَا

وَإِنَّ لِلْمُتَصَوِّفَةِ أَقْوَالًا وَأَلْفَاظًا مُتَنَوِّعَةْ ... يَقُولُونَهَا حِينَ يَشْعُرُونَ بِاللَّذَّةِ الْمُرَوِّعَةْ

فَمَهْمَا كَانَ سَبَبُ هَٰذِهِ اللَّذَّةْ ... مَادِّيًّا كَانَ أَوْ حَالًا فَفِيهِ خَفَقَانٌ وَهَزَّةْ

وَذَلِكَ لِاشْتِرَاكِ لَذَّتِهِمْ مَعَ لِسَانِهِمْ بِالْأَقْوَالِ ... وَتَنْدَمِجُ بِنُورَانِيَّةِ الْفُتُوحِ بِذَلِكَ الْحَالِ

فَتَخْرُجُ مِنْهُمْ كَلِمَاتٌ غَرِيبَةٌ غَيْرُ وَاضِحَةِ ... لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْمُتَفَقِّهَةِ

فَيَظُنُّهَا الْبَعْضُ أَنَّهَا مِنَ الضَّلَالِ ... وَهِيَ أَلْفَاظٌ تُعَبِّرُ عَنْ ذِكْرِ الرَّبِّ الْمُتَعَالِ

وَهَذَا يَدُلُّ عَنْ تَعْبِيرٍ فِي كَشْفِ الْفُتُوحِ ... وَهُبُوطِ الْأَحْوَالِ عَلَى مَعْنَوِيَّاتِ الرُّوحِ

وَهُوَ حَالٌ نَادِرٌ وَقَلِيلٌ ظُهُورُهُ ... لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَنْ كَمُلَ سَيْرُهُ وَوُصُولُهُ

أَلَمْ يَسْمَعِ الْجَاهِلُ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ... كَيْفَ يَذْكُرُونَ بِسَائِرِ أَحْوَالِهِمُ الْمُهِمَّةِ

يَجْرِي عَلَيْهِمْ ذَلِكَ مَجْرَى الطَّعَامْ ... يَحْمَدُونَ وَيُسَبِّحُونَ الْمَلِكَ الْعَلَّامْ

حَالُ الْمَجْذُوبِ السَّالِكِ الْمُتَلَوِّنُ

حَالُ الْمَجْذُوبِ السَّالِكِ بِالْمَعْرِفَةِ قَدْ يَتَبَدَّلْ ... وَكَذَا بِالْمَقَامِ فَيَرْتَفِعُ إِلَى وَلِيٍّ أَوْ بَدَلْ

مَا يَعْرِفُهُ الرِّجَالُ الْيَوْمَ مِنْ أَحْوَالٍ غَدًا تُنْسَى ... فَقُلُوبُهُمْ تَتَبَدَّلُ فَيَعْتَبِرُونَهَا كَانَتْ بِالْأَمْسِ أَقْسَى

فَإِنَّ الْفَيْضَ كُلَّ يَوْمٍ يَتَبَدَّلُ وَيَزِيدْ ... يُخْفِي بِنُورِهِ مَا سَبَقَ فَهُوَ فِي تَقَدُّمٍ عَتِيدْ

لَا يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ السُّطُورِ ... بَلْ هُوَ عِلْمٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الصُّدُورِ

يَتَفَرَّعُ مِنَ الْجَذْبِ مَقَامَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ ... وَإِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ وَأَحْوَالٌ مُتَجَمِّعَةٌ

يَتَفَرَّعُ مِنْهُ جَذْبُ عِبَرٍ وَجَذْبُ خَبَرٍ ... وَجَذْبُ انْتِقَالٍ وَتَحَوُّلٍ وَجَذْبُ صَبْرٍ

وَجَذْبُ قُرْبٍ وَجَذْبُ مُشَاهَدَةٍ وَتَفَكُّرٍ بِالْقَبْرِ ... وَجَذْبُ أَخْبَارٍ وَآيَاتٍ وَرُوحَانِيَّةِ صُوَرٍ

أَيُّ شَيْءٍ يُعْرَضُ مِنْهَا عَلَى الْمَجْذُوبِ ... يَهُزُّ قَلْبَهُ وَحَالَهُ مِنْ نَفَحَاتِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ﷻ



الوَجْدُ الصُّوفِيُّ

وَجْدُ الصُّوفِيِّ المُرِيدِ مُتَلَوِّنُ الأَحْوَالْ ... تَارَةً يَبْسُطُ قَلْبَهُ القَرِيبُ وَتَارَةً يَقْبِضُهُ المُتَعَالْ ﷻ

فَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ البَاسِطُ القَابِضْ ... لَا يَفْهَمُ المَعْنَى إِلَّا مَنْ قَلْبُهُ بِالذِّكْرِ نَابِضْ

يُؤْلِمُهُ مَرَّةً وَأُخْرَى يَشْفِيهِ ... يُلَيِّنُ قَلْبَهُ أَحْيَانًا وَحِينًا يُقَسِّيهِ

وَقَدْ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ البَلَاءَ وَالمَصَائِبْ ... فَيَصِيرُ مَطْرُوحًا عَلَى الأَرْضِ كَالغَائِبْ

كُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ فَهُوَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ... فَهَذِهِ أَحْوَالٌ قَدْ يَمُرُّ بِهَا السَّالِكُ المُرِيدُ

قَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة ١٥٥)

قَدْ يُصَابُ أَحَدُهُمْ بِالسُّكْرِ الشَّدِيدِ المُدْهِشْ ... فَيَظْهَرُ مِنْهُ كَلَامٌ مُرْعِبٌ يَخْدِشْ

فَنُسَلِّمُ حَالَهُ لِرَبِّهِ وَنَفِرُّ مِنْهُ بِسُرْعَةٍ ... لِأَنَّنَا لَا نَجِدُ كَلَامَهُ مُطَابِقًا لِلشَّرِيعَةِ

قال بعضهم

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَا إِنَّ المُحِبَّ لَفِي عَنَا ... قِيلَ : هَذَا سُلُوكُ طَرِيقِ أَهْلِ الهَنَا

وَقِيلَ : هَذَا مُسْتَأْنِسٌ بِحُبِّ مَوْلَاهُ مُسْتَلِذّ ... بِمَا يُقَاسِيهِ بِسَبَبِ فَرْطِ حُبِّهِ وَالعِزّ

مَنِ اتَّقَى اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ... وَحَارَبَ نَفْسَهُ وَللهِ قَطَعَ شَهَوَاتِهِ

وَنَظَرَ فِي مَاضِيهِ وَصَارَ يَزْدَرِيهَا ... فَأَهَانَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُعْطِهَا مَا يُرْضِيهَا

أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَى خَفَايَا الغُرُورِ فِيهَا ... فَيَوْمًا يُوَبِّخُهَا وَيَوْمًا يُدَارِيهَا

وَقَدْ عَدَّ بَعْضُهُمُ الوَجْدَ بِأَنَّهُ وَارِدْ ... جَاءَ يُزْعِجُ قَلْبَ السَّالِكِ الشَّارِدْ

يُزْعِجُهُ عَنْ شُرُودِهِ وَيَرُدُّهُ لِلْجَادَّةِ ... وَيُنَبِّهُهُ إِلَى تَرْكِ تِلْكَ العَادَةِ

فَمِنْهُمْ مَنْ فَهِمَ تِلْكَ الرُّمُوزَ وَالإِشَارَةْ ... وَتَحَرَّرَ مِنَ الإِنْكَارِ وَاسْتَشْعَرَ بِالعِبَارَةْ

فَهَذَا قَدْ صَحَا وَرَقَّ قَلْبُهُ وَصَفَا ... وَنَجَحَتِ المَوْعِظَةُ فِيهِ وَالشَّرُّ انْطَفَى

اَلوَجْدُ هُوَ مَا كَانَ وُجُودُهُ مَحْجُوبًا فَانْكَشَفَ بَعْدَ أَنْ كَانَ سِرًّا وَغُيُوبًا
فَالوَجْدُ يَسْتَنْهِضُ ٱلقَلْبَ لِوُرُودِ ٱلحَالِ فَتَرْتَاحُ ٱلنَّفسُ وَتَتَهَيَّأُ لَهُ بِالْاِسْتِقْبَالِ
فَيُصَفِّي مَا كَدَرَ وَيَطْرُدُ مَا يُقْلِقُ وَلَا يُخْطِئُ فِي مُرَادِهِ وَبِنُورِهِ يُشْرِقُ
نُورُ ٱلقَلْبِ يَتَّجِهُ نَحْوَ ٱلخَاطِرِ فَيُرْدِيهِ إِنْ كَانَ سَيِّئًا وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَيُرْوِيهِ
يُصَاحِبُ وَجْدَ ٱلسَّالِكِ مِنْ شِدَّةِ ٱلصَّفَاءِ فَيَمْتَزِجُ مَعَهُ ٱلكَشْفُ بِالنُّورِ وَٱلضِّيَاءِ
وَفِي مُشَاهَدَةِ وُرُودِ الأَحْوَالِ وَإِدْرَاكِهَا وَتَغَيُّرِ نُقَطِ ٱلمَقَامَاتِ وَٱسْتِقْبَالِهَا
قَدْ يُسَبِّبُ ٱلوَجَلُ ٱلوَجْدَ ٱلرَّاقِي فَيَنْزِلُ عَلَى قَلْبِ ٱلصُّوفِيِّ كَالسَّوَاقِي

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ (الأنفال ٢)

وَقَالَ ﷻ : ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ** ﴾ (الحشر ٢١)

بَعْضُ ٱلوَاجِدِينَ يَكْرَهُ سَمَاعَ بَعْضِ ٱلأَشْخَاصْ لِأَنَّهُ يَعْتَبِرُ سَمَاعَهُ كَأَنَّهُ قِصَاصْ
فَحُرُوفُهُ لَا تُوَافِقُ وَجْدَهُ ٱلرُّوحِيَّ وَٱلحَالْ وَلَيْسَ كُلُّ كَلَامٍ يُوَافِقُ أَحْوَالَ ٱلرِّجَالْ
وَقَدْ يَكُونُ ٱلمُتَكَلِّمُ فِيهِ ظُلْمَانِيَّةٌ مُرْعِبَةٌ فَسَمَاعُ حُرُوفِهِ لِقَلْبِ ٱلوَاجِدِ مُتْعِبَةٌ
فَيَنْفِرُ مِنْ ذَلِكَ ٱلسَّمَاعِ أَوْ يَضْطَرِبُ بِشِدَّةٍ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَجِدُ سَبِيلاً لِدَفْعِهِ بِتِلْكَ ٱلمُدَّةِ
فَالوَجْدُ يُسَاعِدُهُ لِدَفْعِ مَا دَخَلَ إِلَى شُعُورِهِ فَيَتَخَلَّصُ مِنْهُ وَيَعُودُ إِلَى سُرُورِهِ
فَطِبَاعُ ٱلمُتَوَاجِدِ لَهَا حُظُوظٌ بِالسَّمَاعِ مُنَاسِبَةْ مَا يَرْفُضُهُ إِحْسَاسُهُ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ ٱلمُحَاسَبَةْ
فَقَلْبُ ٱلوَاجِدِ دَوْمًا مُشْتَعِلٌ مُحْتَرِقٌ قَابِلٌ لِلتَّهْيِيجِ بِالسَّمَاعِ لِلرُّقِيِّ مُنْطَلِقٌ
وَهُنَالِكَ وَجْدٌ ٱنْعِكَاسِيٌّ قَدْ يُصِيبْ قَلْبَ رَفِيقِهِ وَيَجْعَلُ لَهُ نَصِيبْ
لِأَنَّ ٱلشَّمْسَ إِنْ طَلَعَتْ قَدْ تُصِيبْ سَائِرَ مَنْ تَحْتَهَا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبْ

مَنْ قَلْبَهُ ٱلوَجْدُ وَحَرَّكَهُ بِلَا ٱخْتِيَارْ فَهُوَ مَعْذُورٌ بِتَحَرُّكِهِ لَا يَمَسُّهُ ٱلإِنْذَارْ

مِنْهُمْ مَنْ يَتَوَاجَدُ مُقَلِّدًا لِفُلَانٍ خَوْفًا أَنْ يُقَالَ عَنْهُ : قَاسِي ٱلْقَلْبِ وَٱللِّسَانِ

أَوْ هُوَ عَدِيمُ ٱلصَّفَا وَٱلرِّقَّةِ فَيَهْتَزُّ بِٱلتَّكَلُّفِ وَيَصِيحُ بِمَشَقَّةٍ

وَقَدْ لَا يَظْهَرُ ٱلوَجْدُ لِضَعْفِ ٱلوَارِدْ أَوْ يَكُونُ حَالُ ٱلمُرِيدِ وَقَلْبُهُ بَارِدْ

وَأَحْيَانًا يَكُونُ ٱلوَجْدُ قَوِيًّا جَارِحْ وَلَا يُظْهِرُهُ صَاحِبُهُ لِكَمَالِ قُوَّةِ ضَبْطِ ٱلجَوَارِحْ

وَبَعْضُهُمْ لَا يَدُومُ وَجْدُهُ إِلَى نِهَايَتِهِ فَيَنْقَطِعُ أَمَّا ٱلمُرَابِطُ فَوَجْدُهُ بِحَسَبِ مَا يَتْبَعُ

فَلَا تُغَيِّرُهُ طَوَارِقُ ٱلأَقْوَالِ وَٱلأَحْوَالِ لِأَنَّهُ سَكَنَ فِي قَلْبِهِ رُوحَانِيَّةُ ٱلرِّجَالِ

رُبَّ سَاكِنٍ أَتَمُّ وَجْدًا مِنَ ٱلمُضْطَرِبْ لَا تُغَيِّرُهُ ٱلوَارِدَاتُ وَبِتَغَيُّرِ ٱلأَحْوَالِ لَا يَنْقَلِبْ

وَجْدُهُ سَاكِنٌ مُسْتَمِرٌّ فِي ٱلِاتِّصَالْ مَهْمَا تَسَاقَطَ عَلَيْهِ لَا يُسَبِّبُ لَهُ ٱلِانْفِصَالْ

وَمِنَ ٱلأَدَبِ أَنْ لَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِٱلبُكَاءِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهِ بِدُونِ أَعْبَاءِ

وَفِي هَذَا بُشْرَى وَرَجَاءٌ لِلْفَاطِنِ ٱلنَّبِيهِ وَلِمَنْ كَانَ مُتَيَقِّظَ ٱلقَلْبِ مُسْتَعِدًّا لِلتَّنْبِيهِ

مَظَاهِرُ ٱلوَجْدِ مُخْتَلِفَةٌ : حُزْنٌ وَخَوْفْ وَبُكَاءٌ وَشَوْقٌ وَفَرَحٌ وَسُرُورٌ بِٱلخَوْفْ

وَصِيَاحٌ وَٱهْتِزَازٌ وَأَصْوَاتٌ تَخْرُجُ مِنَ ٱلبَاطِنْ حَيْثُ ٱلوَجْدُ بِدَاخِلِهِ كَانَ قَاطِنْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " **شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا** ".(١)

وَرُوِيَ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ ٱلمِرْجَلِ . (اخرجه ابو داود والنسائي)

فَتِلْكَ أَحْوَالٌ تَدُلُّ عَلَى رِقَّةِ ٱلقُلُوبِ يَقْذِفُهَا بِٱلنُّفُوسِ وَٱلأَرْوَاحِ عَلَّامُ ٱلغُيُوبِ ﷻ

فَمَنْ أَصَابَتْهُ حَرَّكَتْ مَشَاعِرَهُ لِأَنَّهَا تَتَأَثَّرُ وَٱلغَافِلُ يُصَابُ بِٱلغَيْرَةِ وَيَتَحَسَّرُ

كُلُّ ذَلِكَ لِلتَّوْعِيَةِ وَٱلوَعْظِ وَٱلِاسْتِيقَاظِ رَحْمَةً بِٱلعِبَادِ وَإِعَانَةً لِلْوُعَّاظِ

فَمِنْهُمْ مَنْ يَتُوبُ وَيُصَابُ بِٱلبُكَاءِ وَيَسْتَشْعِرُ بِزَوَالِ ظُلْمَةِ ٱلغِشَاءِ

وَٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ بِوَجْدِهِ يَبْكِي وَٱلحَدِيثُ عَنْهُ كَانَ يَحْكِي

(١) مصابيح السنة ج ٣ ص ٤٥٧

(٢) أزيز : أي مثل صوت وعاء الطعام الذي يغلي من النار .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (المائدة ١١٨) ، فَبَكَى ﷺ [1] (أخرجه مسلم)

وَقَدْ أَثْنَى ٱللهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ ٱلْوَجْدِ بِٱلْقُرْآنِ ٱلْعَظِيمِ فَقَالَ ﷻ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (المائدة ٨٣)

فَٱلْوَجْدُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى ٱلصَّحَابَةِ وَٱلتَّابِعِينَ ... وَوَرَدَ كَثِيرًا بِأَحَادِيثِ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ

مِنْهُمْ مَنْ صَعِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ بَكَى ... وَمِنْهُمْ مَنْ غُشِيَ عَلَيْهِ وَمَاتَ فِي مَكَّةْ

سَمِعَ سَيِّدُنَا عُمَرُ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ (الطور ٧-٨)

فَصَاحَ صَيْحَةً وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَحُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَلَمْ يَزَلْ مَرِيضًا فِي بَيْتِهِ شَهْرًا .

وَسَمِعَ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ ﷺ قَارِئًا يَقْرَأُ :

﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات ٣٥-٣٦)

فَغُشِيَ عَلَيْهِ .

فَصَاحِبُ ٱلْقَلْبِ لَا يَخْلُو عَنْ وَجْدٍ رُوحَانِيّ ... عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْقُرْآنِ أَوِ ٱلْحَدِيثِ ٱلنُّورَانِيّ

بَلْ تُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْحِكْمَةْ ... وَرُبَّمَا يَبْكِي إِذَا تَنَاوَلَ ٱللُّقْمَةْ

كُلٌّ يَتَحَرَّكُ وَجْدُ بَاطِنِهِ بِحَسَبِ مَا يُنَاسِبُهُ ... مِنْ آيَاتِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْعَظِيمِ وَمَا يُؤَانِسُهُ

فَكُلَّمَا تَكَرَّرَتْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانَا ... ٱلْجِبَالُ تَتَصَدَّعُ عِنْدَمَا تَسْمَعُ ٱلْقُرْآنَا

شَاهَدْنَا بَعْضَ زُوَّارِ مَكَّةَ ٱلشَّرِيفَةْ ... إِذَا وَاجَهَهَا تَتَوَاجَدُ أَعْضَاؤُهُ وَأَحَاسِيسُهْ

وَقَدْ يُقِيمُ بِمَكَّةَ شَهْرًا وَلَا يُحِسُّ بِشُعُورٍ ... يَغْلِبُ عَلَيْهِ ٱلْوَجْدُ وَفَيْضُ ٱلنُّورِ

هُنَالِكَ سَالِكُونَ لَهُمْ آذَانٌ بِٱلْقُلُوبِ ... إِذَا سَمِعُوا بِهَا تَوَاجَدُوا لِلْمَحْبُوبِ

فَتَتَحَرَّكُ ٱلْأَطْرَافُ بِحَرَكَاتٍ غَيْرِ مَوْزُونَةْ ... مِنَ ٱلِٱضْطِرَابِ وَهَذَا مِنَ ٱلْجَذْبِ وَفُنُونِهْ

أَنْكَرَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ : لَيْسَ مِنَ ٱلدِّيَانَةْ ... وَٱلصُّوفِيَّةُ عَدُّوهُ مِنَ ٱلثَّوَابِتِ لِلصِّيَانَةْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٩٧

المُنْكِرُ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ العَنْدَلِيبِ وَالقَضِيبِ ... شَتَّانَ بَيْنَ المُبْغِضِ وَبَيْنَ الحَبِيبِ

الأَذْوَاقُ مُحَرِّكَةٌ لِلْقُلُوبِ إِذَا أَصَابَتْهَا ... فَلَا تُبَالِي بِالنَّاسِ وَلَوْ عَابَتْهَا

فَهِيَ مُهَيِّجَةٌ لِلشَّوْقِ وَمُحَرِّكَةٌ لِلْعِشْقِ ... وَهُوَ وَجْدٌ مَسَّ شِغَافَ القَلْبِ وَالشَّوْقِ

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ ... وَلَمْعَةٌ مِنْ لَمَعَاتِ أَنْوَارِ فَيْضِ رَحْمَتِهِ

كُلَّمَا اشْتَدَّ النُّورُ فِي سِرِّ ظُهُورِهِ ... كُلَّمَا اشْتَدَّ الوَجْدُ وَظَهَرَ إِشْرَاقُ نُورِهِ

وَالوَجْدُ بِغَيْرِ مَحَبَّةِ اللهِ قُصُورْ ... فَالفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ الظُّلْمَةِ وَبَيْنَ النُّورْ

نَسِيمُ الهَوَاءِ قَدْ يَهُزُّ الأَغْصَانْ ... وَالنَّفَحَاتُ الحَارَّةُ تُذَوِّبُ القُضْبَانْ

الفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالأَوْهَامِ ... وَبَيْنَ خَيَالِ المُكَاشَفَةِ وَحَقِيقَةِ الإِلْهَامِ

فَالعَارِضُ الرُّوحَانِيُّ المُسَبِّبُ لِلْوَجْدِ وَالجَذْبِ ... يُثْمِرُ الفَهْمَ العِرْفَانِيَّ بِالقَلْبِ العَذْبِ

تَتَأَثَّرُ الجَوَارِحُ بِقُوَّتِهِ فَيَظْهَرُ عَلَيْهَا الاهْتِزَازْ ... لِأَنَّهَا انْتَعَشَتْ بِأَشْرَفِ أَنْوَاعِ الالْتِذَاذْ

البَعْضُ يَتَغَلَّبُ عَلَى هَذَا الحَالِ لِكَمَالِهِ ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْلِبُهُ الحَالُ فِي تَرْحَالِهِ

فَيَشْتَعِلُ القَلْبُ بِحَرَارَةِ عِشْقِ نِيرَانِهْ ... وَيَقْوَى بِهِ انْبِعَاثُ الشَّوْقِ وَهَيَجَانُهْ

وَتَهْجُمُ عَلَيْهِ أَحْوَالٌ مُخَالِفَةٌ لِعَادَتِهِ ... فَتَهُزُّهُ وَتُطْرِبُهُ وَتَتَغَلَّبُ عَلَى إِرَادَتِهِ

أَمَّا قَاسِي القَلْبِ فَمِنَ الوَجْدِ يَتَعَجَّبُ ... وَيَجْهَلُ تَأْثِيرَ الأَرْوَاحِ وَلِلْأَحْوَالِ يَتَرَقَّبُ

بِالوَجْدِ القَلْبِيِّ حُزْنٌ وَانْبِسَاطٌ وَانْقِبَاضْ ... وَفَرَحٌ وَسُرُورٌ وَمُكَاشَفَاتٌ بِلَا اعْتِرَاضْ

أَمَّا البَلِيدُ الجَامِدُ فَلَا تَهُزُّهُ المَوَاجِيدْ ... لِأَنَّهُ بِقِلَّةِ إِدْرَاكِهِ إِحْسَاسُهُ كَالعَبِيدْ

فَهُوَ مُصَابٌ بِقِلَّةِ الإِدْرَاكِ وَفِقْدَانِ الذَّوْقِ ... لِأَنَّ الظُّلْمَةَ مُحِيطَةٌ بِقَلْبِهِ كَالطَّوْقِ



← الشيخ حسام الدين النقشبندي ـ العراق السليمانية



الشيخ مولانا خالد النقشبندي ـ إيران →



اَلزُّهْدُ

نَحْنُ لَا نَأْمُرُ ٱلنَّاسَ أَنْ يَفْتَقِرُوا ... بَلْ نَأْمُرُهُمْ أَنْ يَزْهَدُوا وَيَسْتَغْفِرُوا

قَالَ ﷺ "ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا"[1] ... وَٱلْبَعْضُ يَسْعَى لِجَمْعِ ٱلْأَمْوَالِ أَصْنَافًا

عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ لَا يَكْرَهَ ٱلْفَقْرَ وَيَذُمَّهُ ... فَهُوَ فِعْلُ ٱللهِ فَلَا يُظْهِرُ بَرَمَهُ[2]

ٱلْفَقْرُ مَعَ ٱلْإِيمَانِ كَنْزٌ وَغِنَى ... وَٱلْفَقْرُ بِلَا إِيمَانٍ ضَلَالٌ وَعَمَى

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ **" يَا مَعْشَرَ ٱلْفُقَرَاءِ أَعْطُوا ٱللهَ ٱلرِّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظْفَرُوا بِثَوَابِ فَقْرِكُمْ وَإِلَّا فَلَا "**. (إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٤٥)

قَدْ يَتَوَاضَعُ ٱلْغَنِيُّ لِلْفَقِيرِ رَغْبَةً بِثَوَابِ ٱللهِ ... وَقَدْ يَتِيهُ ٱلْفَقِيرُ عَلَى ٱلْغَنِيِّ ثِقَةً بِٱللهِ

عَلَى ٱلْفَقِيرِ مُلَاحَظَةُ مَا يَأْتِيهِ ... فَلَا يَجْعَلُ ٱلْمُحْسِنَ بِعَطَائِهِ يَشْتَرِيهِ

لَا يَأْخُذُ إِلَّا ٱلْحَلَالَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ... وَلَا يَرْفُضُ ٱلْهَدِيَّةَ مِنْ أُمَّةِ ٱلْمُتَّقِينَ

وَإِنْ عَلِمَ فِيهَا مِنَّةً مِنْ صَاحِبِهَا ... فَلْيَتْرُكْهَا فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَهَا

كَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ مِنْ بَعْضِ ٱلنَّاسِ وَيَرُدُّ عَلَى بَعْضٍ. (إحياء علوم الدين ج٤ص٢٠٧)

مَنْ أَتَاهُ رِزْقٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ... فَهُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ ٱللهُ إِلَيْهِ بِلَا مَشْغَلَةٍ

فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى صَاحِبِهْ ... بِقَصْدِ إِظْهَارِ ٱلْعِفَّةِ وَيُجَابِهَهْ

قَدْ تَكُونُ ٱلزِّيَادَةُ عَلَى ٱلْحَاجَةِ فِتْنَةْ ... وَٱلْأَخْذُ عَلَى قَدْرِ ٱلْحَاجَةِ رَحْمَةْ

قَالَ ﷻ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الكهف ٧)

وَقَالَ ﷺ : **" لَا حَقَّ لِابْنِ آدَمَ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: طَعَامٌ يُقِيمُ صُلْبَهُ وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَبَيْتٌ يُكِنُّهُ فَمَا زَادَ فَهُوَ حِسَابٌ "**. (إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٠٩)

مَهْمَا كَانَ ٱلْفَقْرُ مُتْعِبًا وَعَسِيرْ ... نَصْبِرُ عَلَى قَضَاءِ ٱللهِ تَعَالَى وَٱلْمَقَادِيرْ

(١) القُوتُ : مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ ، صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ٧ ص ١٤٦ (٢) برمه : ضجره

اَلغَنِيُّ مَنْ لَا يَخَافُ فَوْتَ رِزْقِ ٱلْاَسْتِقْبَالِ وَلَا يَجْعَلُ بِقَلْبِهِ إِلَّا ذِكْرَ ٱللهِ ٱلْمُتَعَالِي

فَٱلْمُرِيدُ ٱلصَّادِقُ يَحْتَرِزُ مِنَ ٱلْغِنَى أَنْ يَدْخُلَ لِصَدْرِهِ وَيُسَبِّبَ لَهُ ٱلْعَنَا

فَيُفْسِدَ عَلَيْهِ سُلُوكَهُ وَسَيْرَهُ وَيُضَيِّعَ عَلَيْهِ نَفْعَهُ وَخَيْرَهُ

لِلشَّيْطَانِ أَبْوَابٌ مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ يَسْتَعْمِلُهَا فِي قَلْبِ ٱلْإِنْسَانِ لِيُخَرِّبَ ٱلْعَقَائِدَ وَيُدَمِّرَهَا

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ (البقرة ٢٦٨) .

هُنَاكَ سَالِكُونَ إِنْ أُعْطُوا شَكَرُوا وَإِنْ مُنِعُوا عَنِ ٱلْعَطَاءِ صَبَرُوا

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلزُّهْدَ مَقَامٌ شَرِيفْ مِنْ مَقَامَاتِ ٱلسَّالِكِينَ أَهْلِ ٱلتَّشْرِيفْ

فَكُلُّ مَطْلُوبٍ بِنَفْسِهِ مَرْغُوبٌ فِيهِ فَإِنْ تَرَكَهُ لِلهِ فَهُوَ زُهْدٌ كَمَا نَرْوِيهِ

كُلُّ مَنْ بَاعَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ فَهُوَ زَاهِدٌ وَمَنْ يَنْشَغِلْ بِٱللهِ عَنِ ٱلدُّنْيَا فَهُوَ عَابِدٌ

فَصَفْقَةُ ٱلْبَيْعِ هَٰذِهِ عَمَلٌ رَابِحْ وَٱلْآخِرَةُ تُقَوِّي ٱلرَّغْبَةَ بِٱلْبَيْعِ ٱلنَّاجِحْ

وَمِنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ مَنْ يَبِيعُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ يُرَاعِي بِذَٰلِكَ يَقِينَهُ وَأَحْوَالَهُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (التوبة ١١١). وَقَالَ ﷻ ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِ﴾ (التوبة ١١١) .

هَٰؤُلَاءِ عَلِمُوا أَنَّ ثَوَابَ ٱللهِ خَيْرْ وَلَا يَصْدُرُ هَذَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ ٱلسُّلُوكِ وَٱلسَّيْرْ

فَمَنْ يَزْهَدْ بِٱلدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةِ ٱلْحَقِيرَةْ تَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَلِيلَةً أَسِيرَةْ

فَقَدْ خَرَجَ حُبُّهَا مِنْ قَلْبِهِ وَٱنْتَهَى وَدَخَلَ حُبُّ ٱلطَّاعَاتِ فِيهِ وَلَهَا ٱشْتَهَى

فَعَلَامَةُ ٱلرَّغْبَةِ بِٱلدُّنْيَا ٱلْإِنْكِبَابُ عَلَيْهَا وَعَلَامَةُ ٱلزُّهْدِ تَرْكُ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ مِنْهَا

قَالَ ﷻ ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ (آل عمران ١٥٢).

فَزُهْدُ ٱلسَّالِكِ بِٱلدُّنْيَا هُوَ ٱلْمَطْلُوبْ لَكِنَّ ٱلْبُعْدَ عَنْ مَكَاسِبِهَا غَيْرُ مَرْغُوبْ

الْمَقْصُودُ مِنَ الزُّهْدِ بِالدُّنْيَا لِأَهْلِ الْقُلُوبِ ... الْبُعْدُ عَنْ رَذَائِلِهَا وَهِجْرَانِ الْعُيُوبِ

وَالزُّهْدُ بِمَا فِيهَا مِنْ مَعَاصِي وَرَذِيلَةٍ ... وَالْعَمَلُ بِالطَّاعَاتِ فِيهَا وَكُلِّ فَضِيلَةٍ

كَمْ مِنْ مُحِبٍّ لِلدُّنْيَا كَانَ بِهَا الْأَشْقَى ... وَمَا عَلِمَ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ وَأَبْقَى

فَالزُّهْدُ مَقَامٌ يُسَبِّبُ الْمَحَبَّةَ لِلْعَامِلِ ... وَيُنَوِّرُ الْقَلْبَ وَيُسْعِدُ الْجَوَارِحَ فِي الْمَشَاغِلِ

فَمَشَاغِلُ الْمُرِيدِ الطَّاعَةُ وَالذِّكْرُ وَالِاسْتِغْفَارْ ... وَالتَّسْبِيحُ وَالرَّابِطَةُ وَعِبَادَةُ رَبِّهِ الْغَفَّارْ

فَقَلْبُ الْمُرِيدِ لَا يَسَعُ إِلَّا مَحَبَّةَ مَوْلَاهُ ... وَكُلُّ دَاخِلٍ غَرِيبٍ يَرْفُضُهُ وَيَأْبَاهُ

لِلزُّهْدِ إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ ظَاهِرَةٌ ... قَلْبٌ ذَاكِرٌ وَبَطْنٌ جَائِعٌ وَعُيُونٌ سَاهِرَةٌ

وَلِبَاسٌ مُرَقَّعٌ وَفِرَاشٌ مِنْ حَجَرٍ ... وَطَعَامٌ مِنَ الْمَاءِ وَوَرَقِ الشَّجَرِ

وَلِسَانٌ صَامِتٌ وَعُيُونٌ دَامِعَةٌ ... وَنَفْسٌ مُزَكَّاةٌ وَمُجَاهَدَاتٌ رَائِعَةٌ

وَشَهْوَةٌ نَائِمَةٌ وَأُذُنٌ لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ جَائِعَةٌ ... وَجَبْهَةٌ مَشْغُولَةٌ بِالسُّجُودِ وَأَقْدَامٌ رَاكِعَةٌ

وَشُغْلٌ دَائِمٌ وَحُبٌّ عَمِيقٌ هَائِمٌ ... فَالزَّاهِدُ رَاكِعٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ عَابِدٌ قَائِمٌ

قَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ عُمَيْرَةَ : " كَانَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام يَلْبَسُ الشَّعْرَ وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ يَمُوتُ وَلَا بَيْتٌ يَخْرَبُ وَلَا يَدَّخِرُ لِغَدٍ أَيْنَمَا أَدْرَكَهُ الْمَسَاءُ نَامَ " .

الْمُرِيدُ لَا يَفْرَحُ وَلَا يَهْتَمُّ لِلْمَوْجُودِ ... وَلَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى الْمَفْقُودِ

وَلَا يَسُرُّهُ كَثْرَةُ أَقَاوِيلِ التَّعْظِيمِ وَالْمَدْحْ ... وَلَا يَهُزُّهُ سُخْطُ النَّاسِ وَالْجَرْحْ

لَيْسَ فِي الدُّنْيَا رَاحَةٌ وَلَا اسْتِوَاءْ ... فَهِيَ دَارُ غُرُورٍ وَمَزَالِقَ وَإِغْوَاءْ

قَدْ يَزْهَدُ الْمَرْءُ بِالدُّنْيَا وَقَلْبُهُ لَهَا مَائِلْ ... فَتُتْعِبُهُ لِمَا فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلْ

فَعَلَيْهِ أَلَّا يَلْتَفِتَ إِلَى مُغْرِيَاتِهَا ... وَلْيَحْمِلْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ تَأْدِيبًا لَهَا

فَبَعْضُ الْمُتَزَهِّدِينَ لِحَقِيقَةِ الزُّهْدِ مَا وَصَلُوا ... وَعَنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا مَا انْفَصَلُوا

لِلزُّهْدِ رِجَالٌ أَقْوِيَاءُ وَلَهُمْ تَفَاصِيلْ ... فَلَا نَنْشَغِلْ بِصَاحِبِ لِسَانٍ مَشْغُولٍ بِالْأَقَاوِيلْ

إِنَّ نُفُوسَ ٱلْمُتَنَطِّعِينَ تَلْهُو وَتَلْعَبْ بِشَهَوَاتِ دُنْيَا تَسْعَى وَتُخَرِّبْ

وَقَالُوا خُلِقَتْ لَنَا لِنَتَنَعَّمَ فِيهَا كَيْفَ نُحْرَمُ مِنْ لَذَّاتِ وَشَهَوَاتِ مَعَانِيهَا

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (محمد ٣٦).

ٱلزُّهْدُ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْكِ حُظُوظِ ٱلنَّفْسْ كَمْ مِنْ عَاشِقٍ لَهَا أَصْبَحَ بِٱلآخِرَةِ تَعِسْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (النساء ٧٧).

ٱلزَّاهِدُ أَنْ لَا يَشْغَلَهُ شَيْءٌ عَنْ مَوْلَاهْ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَأَهْلٍ وَمَعَارِفَ وَجَاهْ

كَمْ مِنْ مُتَنَعِّمٍ أَنِسَ بِنَسِيمِ ٱلْأَسْحَارِ وَمُتَلَذِّذٍ بِنَغْمَةِ أَصْوَاتِ ٱلْأَطْيَارِ

غَفَلَ عَمَّا فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ أَخْطَارِ أَدْرَكَهُ ٱلْمَوْتُ فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ نَارِ

ٱلزَّاهِدُ قُوتُهُ مَا وَجَدَ وَلِبَاسُهُ مَا سَتَرْ وَمَسْكَنُهُ حَيْثُ أَدْرَكَ وَمَضْجَعُهُ ٱلْقَبْرْ

ٱلدُّنْيَا سِجْنُهُ وَٱلْخَلْوَةُ مَجْلِسُهُ وَٱلذِّكْرُ رَفِيقُهُ وَٱلْاعْتِبَارُ فِكْرَتُهُ وَٱلْحُزْنُ شَأْنُهُ وَٱللَّهُ أَنِيسُهُ

وَٱلْحَيَاءُ شِعَارُهُ وَٱلتُّرَابُ فِرَاشُهُ وَٱلْجُوعُ أُدْمُهُ[1] وَٱلْحِكْمَةُ كَلَامُهُ وَٱلْقُرْآنُ نِظَامُهُ وَٱلْحَدِيثُ عِلْمُهُ

وَٱلتَّقْوَى زَادُهُ وَٱلصَّبْرُ غُنْمُهُ وَٱلْجَنَّةُ مَبْلَغُهُ وَٱلتَّوَكُّلُ حَسْبُهُ وَٱلْعِبَادَةُ حِرْفَتُهُ وَٱلْعَقْلُ دَلِيلُهُ

وَقَالَ ٱلْحَسَنُ ﷺ : "مَاتَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ"[2].

ٱلزَّاهِدُ يَكْرَهُ ٱلْجُلُوسَ فِي ٱلْمَسَاكِنِ ٱلْمَرْفُوعَةِ كَإِيوَانِ كِسْرَى فِي ٱلْمَدَائِنِ

يَأْوِي ٱلزَّاهِدُ لِمَغَارَةٍ أَوْ بَيْتٍ مِنْ حَشِيشْ أَوْ مِنْ قَصَبٍ أَوْ جِلْدٍ كَٱلدَّرَاوِيشْ

قَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : " يَأْتِي قَوْمٌ يَرْفَعُونَ ٱلطِّينَ وَيَضَعُونَ ٱلدِّينَ وَيَسْتَعْمِلُونَ ٱلْبَرَاذِينَ[3] يُصَلُّونَ إِلَى قِبْلَتِكُمْ وَيَمُوتُونَ عَلَى غَيْرِ دِينِكُمْ " .

مَنْ أَتَاهُ مَالٌ فَخَافَ وَمِنْهُ هَرَبْ لِكُرْهِهِ لِلْمَالِ فَهُوَ زَاهِدٌ مُجَرِّبْ

هَكَذَا يَكُونُ ٱلْمُرِيدُ ٱلصَّادِقُ بِوَرَعِهِ وَصَاحِبُ هَذِهِ ٱلْحَالَةِ شَدِيدٌ عَلَى شَرْعِهِ

تِلْكَ أَحْوَالُ ٱلْمُقَرَّبِينَ أَهْلِ ٱلْكَمَالِ لِقُرْبِهِمْ مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُتَعَالِ

(١) الأُدْم: مَا يُؤْكَلُ مَعَ الْخُبْزِ. (٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٣٦ (٣) البراذين : دواب الركوب .

فَـــلَا يَجْتَمِـــعُ فِي قُلُـــوبِهِمْ حُبَّـــانْ   فَحُبُّ ٱلْمَالِ عِنْدَهُمْ يَحْجُبُ ٱلشُّجْعَانْ

يُصْبِحُ صَاحِبُهُ سَالِكًا طَرِيقَ ٱلْبُعْدِ   يَفْـتَرِقُ بِـلَا شُـعُورٍ عَـنْ طَرِيـقِ ٱلْمَجْدِ

اَلزَّاهِـدُ يَسْـتَوِي عِنْـدَهُ ٱلْمَالُ وَٱلْمَاءْ   هٰكَـذَا شَـاهَدْنَا أَحْـوَالَ ٱلْأَوْلِيَـاءْ ؓ

لَا يَـرْكَنُ إِلَى ٱلْمَالِ وَلَـوْ كَـانَ حَـلَالَا   لِأَنَّـهُ يَبْغِـي ٱلْقُـرْبَ مِـنَ ٱللهِ تَعَـالَى

يَسْتَعْمِلُ مِنْهُ قَدْرَ حَاجَتِهِ وَٱلْبَاقِي يُفَرِّقُهُ   كَٱلشَّارِبِ مِنَ ٱلنَّهْرِ قَدْرَ حَاجَتِهِ ثُمَّ يُفَارِقُهُ

آلُ ٱلْبَيْتِ ؓ ٱلْكِرَامُ ٱسْتَوَى عِنْدَهُمُ ٱلْمَالُ   وَٱلْمَاءُ وَٱلذَّهَبُ وَٱلتُّرَابُ بِسَائِرِ ٱلْأَحْوَالْ

مَنْ كَانَ فَارًّا مِـنْ جَمْعِ ٱلـذَّهَبِ وَٱلْمَالِ   فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ شِيَمِ ٱلْعَارِفِينَ ؓ أَهْلِ ٱلْكَمَالِ

اَلْفَقْـرُ فِي دِينِنَـا لَـيْسَ مِـنَ ٱلْعَـارْ   فَـٱلْمُعْطِي ٱلْمَـانِعُ وَٱلـرَّزَّاقُ رَبُّنَـا ٱلْجَبَّارْ ﷻ

إِنْ أَعْطَـى فَلِحِكْمَـةٍ قَـدْ أَرَادَهَـا   وَإِنْ مَنَـعَ فَلَـهُ أَنْ يَمْنَـعَ ٱلْأَرْضَ نَهَارَهَـا

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِبِلَالٍ ؓ: "يَا بِلَالُ إِلْقَ ٱللهَ فَقِيرًا وَلَا تَلْقَهُ غَنِيًّا"[1].

قَالَ ٱلنَّبِيُّ: "يَدْخُلُ ٱلْفُقَرَاءُ ٱلْجَنَّةَ قَبْلَ ٱلْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ"[2].

اَلْفَقْرُ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ يَصِلُ إِلَيْهَا ٱلْمُرِيدُ   لِأَنَّ ٱنْشِغَالَهُ بِٱلْإِلٰهِ ﷻ ٱلْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ

فَبُعْدُ ٱلدُّنْيَا عَنِ ٱلْمُرِيدِ لَيْسَ إِهَانَةْ   وَإِنَّمَا بِفَقْرِهِ يَصِلُ إِلَى رَأْسِ ٱلْكَرَامَةْ

اَلْفُقَرَاءُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ أَهْلُ ٱلْعِرْفَانِ ؓ   هَجَرُوا ٱلدُّنْيَا بِكُنُوزِهَا لِرِضَى ٱلرَّحْمٰنِ ﷻ

قِيلَ: اَلْفَقْرُ رَمْزُ ٱلصَّالِحِينَ ؓ فَبِهِ تَجَمَّلُوا   فَكَمَا دَخَلُوا ٱلدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا حَمَلُوا

مَنْ تَطَلَّعَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ رِزْقِهِ بِٱلْيَوْمِ   فَـذَلِكَ دَلِيـلُ طَمَعِـهِ عِنْـدَ ٱلْقَـوْمِ

لَـيْسَ ٱلْفَقِـيرُ فَقِـيرَ ٱلْمَـالِ   بَـلِ ٱلْفَقِيرُ فَقِيرُ ٱلْقَلْـبِ وَٱلْحَالِ

اَلْفَقِـيرُ مَـنْ لَا تُغْنِيـهِ كَثْرَةُ ٱلـنِّعَمِ   وَلَا تَهُـزُّهُ ٱلْمِحَنُ وَيُكَـابِرُ عَلَـى ٱلْأَلَمِ

قَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ ؓ: مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَمَلَكٌ يُنَادِي مِنْ تَحْتِ ٱلْعَرْشِ: يَا ٱبْنَ آدَمَ قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيكَ[3].

قَلِيلُ ٱلْعَقْلِ يَزِيدُ مَالُهُ وَٱلْعُمْرُ يَنْقُصُ   إِذَا أَتَـاهُ ٱلْمَالُ يَفْـرَحُ بِـهِ وَيَـرْقُصُ

(١) رواه الحاكم ؓ في المستدرك   (٢) رواه الإمام أحمد ؓ في مسنده   (٣) إحياء علوم الدين ج٤ ص٢٠٠

وَلَا يَحْزُنُهُ ذَهَابُ عُمْرِهِ وَهُوَ فِي غَفْلَتِهِ   تَـرَاهُ يَحْيَـا وَيَمُـوتُ وَهُـوَ فِي عِلَّتِـهِ

فَإِنْ قَلَّ تَمَنِّيكَ وَرَضِيتَ بِمَا يَكْفِيكَ   يَرْزُقْكَ ٱللهُ مَالًا وَمَقَامًا وَلِلصَّبْرِ يُعْطِيكَ

ثَوَابُ ٱلْمُرِيدِ بِٱلتَّسْبِيحِ أَفْضَلُ مِنْ غِنَاهُ   فَتَسْبِيحُ قَلْبِهِ كَنْزٌ قَدْ جَنَاهُ

وَيَصِيرُ ٱلْفَقِيرُ غَنِيًّا حِينَ وُصُولِهِ   إِلَى حُبِّ ٱللهِ ﷻ وَحُبِّ رَسُولِهِ

ٱلْعَائِقُ عَنْ حُبِّ ٱللهِ ﷻ حُبُّ ٱلْأَمْوَالِ   لِهَذَا فَٱلْفَقْرُ شِيمَةُ ٱلْكُمَّلِ مِنَ ٱلرِّجَالِ

وَٱلْمَقْصُودُ بِفَقْرِ ٱلْعَارِفِينَ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ   عَدَمُ تَعَلُّقِ قُلُوبِهِمْ بِٱلْكُنُوزِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ

كَمْ مِنْ مُرْشِدٍ يَمْلِكُ عَقَارَاتٍ وَمَوَاشِي   يَجْعَلُ رَيْعَهَا لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْحَوَاشِي

قَدْ يَكُونُ ٱلْفَقْرُ ٱلْمُفْرِطُ مِنَ ٱلشَّوَاغِلِ   يَشْغَلُ ٱلْقَلْبَ عَنْ سُلُوكِ ٱلْمَنَازِلِ

إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ ٱللهُ وَبِفَضْلِهِ أَغْنَاهُ   وَيَسَّرَ لَهُ مَا يَحْتَاجُ لِعِيَالِهِ وَدُنْيَاهُ

فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَعْشُوقَةٌ عِنْدَ ٱلْغَافِلِينَ   ٱلْمَحْرُومُ مِنْهَا مَشْغُولٌ بِطَلَبِهَا إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ

يَجْمَعُونَ مِنْهَا قَدْرَ ٱلْحَاجَةِ ٱلْمَطْلُوبَةْ   لِأَنَّ عِنْدَهُمُ ٱلدُّنْيَا فِي قُلُوبِهِمْ مَغْلُوبَةْ

بِقَدْرِ إِخْلَاصِ ٱلْمُرِيدِ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمُهَلْهَلَةِ   يَتَضَاعَفُ ثَوَابُ تَسْبِيحَاتِهِ فِي ٱلتَّهْلِيلَةِ

ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ قَلْبِي رَهْنَ أَمْرِكَ وَحُكْمِكَ   وَأَشْغِلْنِي بِذِكْرِكَ كَمَا أَشْغَلْتَ ٱلضِّفَادِعَ وَٱلسَّمَكَ

اِخْتَارَ ٱلْفُقَرَاءُ رَاحَةَ ٱلنَّفْسِ وَخِفَّةَ ٱلْحِسَابِ   وَٱخْتَارَ ٱلْأَغْنِيَاءُ تَعَبَ ٱلنَّفْسِ فَلَا يُبَالُونَ بِٱلْعِقَابِ

عَلَى ٱلْفَقِيرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَصِيبْ   مِنْ كُلِّ ٱسْمٍ لِلهِ لِيَنَالَ مِنْهُ عِطْرًا وَطِيبْ

فَإِذَا قَطَعَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ ٱسْمًا بِذِكْرِهِ ٱلرُّوحِيّ   يَصِلُ لِأَرْقَى ٱلْأَمْدَادِ وَٱلْعِرْفَانِ وَٱلْفُتُوحِ

فَإِنْ وَصَلَ لِلْغَنِيِّ يَرَى نَفْسَهُ فَقِيرًا   وَإِنْ وَصَلَ لِلْعَزِيزِ يَرَى نَفْسَهُ حَقِيرًا

وَإِنْ وَصَلَ لِلْعَلِيمِ يَرَى نَفْسَهُ جَاهِلًا   وَإِنْ وَصَلَ لِلْحَلِيمِ رَأَى نَفْسَهُ عَجُولًا

فَنُورُ ٱلْأَسْمَاءِ يَفْضَحُ خَفَايَا ٱلْقُلُوبِ   وَبِهَا يَرْحَمُ ٱلْمُذْنِبِينَ لِمَا فِيهِمْ مِنْ عُيُوبْ

هَكَذَا يَتَخَلَّقُ ٱلصُّوفِيُّ بِفَيْضِ ٱلْمَجِيدْ   وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يَعْمَلُ ٱلسَّالِكُ ٱلْمُرِيدْ

لَا بُدَّ لِلزَّاهِدِ مِنْ تَرْكِهِ لِحُظُوظِ ٱلنَّفْسِ   لِيَنْكَشِفَ لَهُ ٱلْحَقِيقَةُ مِنَ ٱلدَّنَسِ

مَنِ ٱسْتَوَى عِنْدَهُ ٱلْفَقْرُ وَٱلْغِنَى وَٱلْعِزُّ وَٱلذُّلُّ فَذَلِكَ فِي مَقَامِ ٱلزُّهْدِ يَحُلُّ
ٱلدُّنْيَا هَوًى وَشَهَوَاتٌ مُزَيَّنَةٌ كَٱلْعَرُوسِ يَفِرُّ مِنْهَا ٱلعَارِفُونَ بِعِزَّةِ ٱلنُّفُوسِ
مَنْ يَطْلُبْهَا يُسَخِّرْهَا لِجَلْبِ ٱلْفُلُوسِ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا نَجَا مِنْ كَابُوسِ
ٱلزُّهْدُ خُلُوُّ ٱلأَيْدِي فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلأَمْلَاكِ يَفْتَحُ ٱلْقَلْبَ فِي ٱلْمَعْرِفَةِ إِلَى ٱلأَفْلَاكِ
مَنْ زَهِدَ لَا يَهْتَمُّ مَتَى غَدَاؤُهُ أَوْ عَشَاؤُهُ وَلَا يَكُونُ لَهُ تَعَلُّقٌ بِغَدٍ إِذَا جَاءَهُ
زِينَةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلزُّهْدِ هِيَ ٱلْبَلَاءُ ٱلأَقْوَى فَلَا يَزْهَدُ ٱلْمُرِيدُ فِيهَا إِلَّا بِٱلتَّقْوَى

سُئِلَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ ﵁ عَنِ ٱلزُّهْدِ فَقَالَ: "هُوَ أَنْ لَا تُبَالِي بِمَنْ أَكَلَ ٱلدُّنْيَا مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ".

مَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ مِنَ ٱلتَّدْبِيرِ وَٱلِاخْتِيَارِ وَذَلَّلَ نَفْسَهُ لِلهِ مَعَ ٱلِافْتِقَارِ
وَسَلَّمَهَا لِلْوَكِيلِ ٱلعَزِيزِ ٱلوَاحِدِ ﷻ ٱلْجَبَّارِ فَتَحَ لَهُ أَقْفَالَ أَبْوَابِ ٱلأَسْرَارِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: **"يَا فَاطِمَةُ مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ"**[1].

عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلزُّهْدُ فِي ٱلْمَعِيشَةِ وَٱلرِّفْقُ فِي ٱلإِنْفَاقِ بِطَرِيقَةٍ ظَرِيفَةٍ
مَنِ ٱتَّسَعَ خَرْجُهُ وَكَثُرَ إِنْفَاقُهُ بِلَا حَاجَةٍ سَاءَتْ أَحْوَالُهُ وَمَاتَتْ قَنَاعَتُهُ وَزَادَ ٱعْوِجَاجُهُ

قَالَ ٱلرَّسُولُ ٱلأَعْظَمُ ﷺ: **"مَا عَالَ مَنِ ٱقْتَصَدَ"** (كشف الخفاء ج٢ ص ١٨٩)

بَعْضُ ٱلنَّاسِ يُقَلِّدُ ٱلأَثْرِيَاءَ بِٱلطَّعَامِ وَبَعْضُهُمْ يُقَلِّدُهُمْ بِٱلسَّيَّارَاتِ ٱلعِظَامِ
وَٱلآخَرُونَ يُقَلِّدُونَهُمْ بِلُبْسِ ٱلْحَرِيرِ وَفُرُشِهِمْ وَحَتَّى بِٱلنَّوْمِ عَلَى ٱلسَّرِيرِ
فَيَضِيعُ مِنْهُمُ ٱلتَّدْبِيرُ وَيَقَعُونَ بِٱلدُّيُونْ فَيُصْبِحُ أَكْثَرُهُمْ لِلتَّاجِرِ وَٱللَّحَّامِ رَاتِبُهُ مَرْهُونْ

وَفِي ٱلْخَبَرِ: **"ٱلتَّدْبِيرُ نِصْفُ ٱلْمَعِيشَةِ"**[2].

ٱلِاقْتِصَادُ يَكُونُ بِٱلِابْتِعَادِ عَنِ ٱلتَّبْذِيرِ وَلَا يَكُونُ بِحِرْمَانِ ٱلنَّفْسِ وَٱلتَّحْقِيرِ
لِأَنَّ ٱلِاقْتِصَادَ يُبْعِدُ عَنِ ٱلِاحْتِيَاجِ وَيَمْنَعُ ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلتَّصَرُّفِ بِٱعْوِجَاجِ
كَمْ سَبَّبَ ٱلْفَقْرَ وَٱلذُّلَّ ٱلتَّبْذِيرُ وَكَمْ سَعِدَ مَنْ أَطَاعَ أَمْرَ ٱلْبَشِيرِ ﷺ

(١) إحياء علوم الدين ج٤ ص ١٦٨
(٢) كشف الخفاء ج١ ص ٣٠٣

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "مَنِ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ اللهُ وَمَنْ بَذَّرَ أَفْقَرَهُ اللهُ"[1]

عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ لَا يَكُونَ شَدِيدَ الِاضْطِرَابْ ... مِمَّا يَأْتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَيَتَوَقَّعَ الْخَرَابْ

فَلْيَكُنْ وَاثِقًا بِوَعْدِ اللهِ بِالْأَرْزَاقِ ... وَيَقْنَعْ بِمَا قَدَّرَ اللهُ لِمُسْتَقْبَلِهِ وَلِلرِّفَاقِ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود ٦) .

فَالشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ الْعِبَادَ وَيَعِدُ بِالْفَقْرِ ... وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالِادِّخَارِ وَتَرْكِ الشُّكْرِ

يُوَسْوِسُ وَيَقُولُ : رُبَّمَا تَعْجِزُ أَوْ تَمْرَضُ ... فَيُبْتَلَى بِجَمْعِ الْمَالِ وَعَنِ اللهِ يُعْرِضُ

فَلَا يَزَالُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ يُتْعِبُهُ بِالطَّلَبِ ... وَيُخَوِّفُهُ مِنَ الْفَقْرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ

وَمَا رِزْقُ الْعَبْدِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ ... وَلَا يَأْتِيهِ إِلَّا مَا اللهُ لَهُ كَتَبْ

قَالَ ﷻ ﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق ٢-٣)

وَقَالَ سُفْيَانُ رضي الله عنه : "اتَّقِ اللهَ فَمَا رَأَيْتُ تَقِيًّا مُحْتَاجًا" .

عَلَى الْقَلْبِ فِي الْحِرْصِ الْكَثِيرِ تَعَبْ ... وَالطَّمَعُ فِي كَسْبِ الْمَالِ يُسَبِّبُ الشَّغَبْ

لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخَافُ عَلَى قُوتِ غَدِهِ ... فَيَنْشَغِلُ فِيهِ بِفِكْرِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ

فِي الْقَنَاعَةِ رَاحَةٌ وَاسْتِرَاحَةٌ لِلْجَوَارِحْ ... وَلَكِنَّ فِيهَا أَلَمُ صَبْرٍ جَارِحْ

الْقَنَاعَةُ هِيَ عِزُّ الِاسْتِغْنَاءْ ... عَنِ النَّاسِ وَفِي الْآخِرَةِ لَهُ الْجَزَاءْ

وَالْحِرْصُ الْمُفْرِطُ وَالطَّمَعُ فِيهِ ذُلّْ ... يُؤَدِّي إِلَى الشُّحِّ وَشِدَّةِ الْبُخْلْ

مَنِ اسْتَغْنَى بِالْمُعْطِي عَنِ الْعَطَايَا ... سَهُلَ عَلَيْهِ فَقْرُهُ سَائِرَ الْقَضَايَا

إِشَارَةُ تَقَشُّفِ الصُّوفِيِّ الصَّادِقِ

الْفَقْرُ رِدَاءُ الشَّرَفِ وَلِبَاسُ الْمُرْسَلِينَ عليهم السلام ... فَوَقَعَ ذَلِكَ الْفَضْلُ بِقُلُوبِ الصَّالِحِينَ رضي الله عنهم

وَالْمُتَقَشِّفُ الزَّاهِدُ الصُّوفِيُّ الصَّادِقْ ... لَهُ إِشَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ حَقَائِقْ

(١) الجامع الصغير ج٢ ص ٥١٧

فَإِنَّ وَجْهَهُ مَمْلُوءٌ بِالْبَيَاضِ النُّورَانِيِّ   مَائِلٌ لِلاصْفِرَارِ، نَحِيفُ الْبُنْيَانِ

مُنْحَنِي الظَّهْرِ لِكَثْرَةِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْأَذْكَارِ   ذَابِلُ الْعُيُونِ لَا يُحِبُّ رُؤْيَةَ شَمْسِ النَّهَارِ

حَيْثُ يَشْعُرُ بِأَنَّهَا مُضِرَّةٌ لِقَلْبِهِ   وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِ رَبِّهِ

عَلَى رَأْسِهِ قُمَاشَةٌ كَقُبَّعَةِ قِنْدِيلْ   النُّورُ تَحْتَهَا وَيَلْبَسُ قَمِيصًا فَضْفَاضًا طَوِيلْ

يُشْبِهُ مَظْهَرُهُ شَجَرَةً ذَابِلَةْ   لِلْبَقَاءِ طَوِيلًا فِي الْحَيَاةِ غَيْرُ قَابِلَةْ

فِرَاشُهُ بِسَاطٌ رَقِيقٌ مُرَقَّعُ   لِحَافُهُ خَفِيفٌ نَظِيفٌ مُقَطَّعُ

مَنْزِلُهُ كَهْفٌ وَخَلْوَةٌ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ   زِنَّارُهُ مِنْ فَضَلَاتِ قِطَعِ الْحِبَالِ

يَقْضِي لَيَالِيهِ بِالْبُكَاءِ وَالْخُشُوعْ   وَعَنِ الرَّاحَةِ وَالشَّهْوَةِ وَالضَّحِكِ مَمْنُوعْ

يُرَاقِبُ حَرَكَاتِ نَفْسِهِ وَكُلَّ كَلِمَاتِهِ   وَيَخْشَى وَيَخَافُ مِنَ اللهِ وَآيَاتِهِ

لَا يُبَالِي بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا الْبَالِيَةِ   وَلَا بِزِينَتِهَا الْبَرَّاقَةِ وَكُنُوزِهَا اللَّامِعَةِ الزَّائِلَةِ

وَيَحْذَرُ مَعَاصِي أُذُنَيْهِ وَعَيْنَيْهِ وَكُلِّ حَوَاسِّهْ   فَجَعَلَ الْحَذَرَ مِنْهَا دَأْبَهُ وَاخْتِصَاصَهْ

يَبْكِي اللَّيَالِي سَاجِدًا بِالْأَسْحَارِ ذَاكِرًا   مُفْتَرِشًا حَصِيرًا وَتَرَاهُ عَلَى الْبَلَاءِ شَاكِرًا

لَا يَخْرُجُ مِنْ خَلْوَتِهِ إِلَّا لِضَرُورَةْ   وَمَا يَزِيدُ عَنِ الْخُبْزِ الْيَابِسِ يَعُدُّهُ خُطُورَةْ

تَسْمَعُ لِقَلْبِهِ دَقَّاتِ نَبْضٍ مُرْتَفِعْ   يُحَافِظُ عَلَى فَرْضِهِ وَهُوَ لِلسُّنَّةِ مُتَّبِعْ

يَتَلَوَّنُ فِي أَذْكَارِهِ بَيْنَ اللَّطَائِفِ   نَظَرُهُ خَارِقٌ لِلْقُلُوبِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ

يَمُرُّ بَيْنَ الْخَلَائِقِ كَالذَّلِيلِ الْعَفِيفْ   بَاطِنُهُ عَنِ الْبُهْتَانِ وَالنَّمِيمَةِ نَظِيفْ

نَفْسُهُ رَاقِيَةٌ هَيِّنَةٌ مَرْدُوعَةْ   عَنِ الْكِبْرِ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ دَائِمًا قَنُوعَةْ

الزَّيْتُ وَالْخُبْزُ وَالْعُشْبُ أَكْثَرُ طَعَامِهِ   وَيُلَازِمُ الصَّوْمَ فِي أَكْثَرِ أَيَّامِهِ

قَلِيلُ الْكَلَامِ لَا يَتَحَرَّكُ لِسَانُهُ إِلَّا بِذِكْرِ مَوْلَاهُ   تَرَى الْعَطَبَ سَرِيعًا لِكُلِّ مَنْ آذَاهُ

فِي عَمَلِهِ مُنَظَّمٌ وَرَاقٍ وَدَقِيقْ   شَفِيقٌ مُتَوَاضِعٌ ذُو قَلْبٍ رَقِيقْ

لِبَاسُ ٱلْمُرِيدِ ٱلزَّاهِدِ

قَالَ ٱلْفَقِيرُ إِلَى ٱللهِ عَدْنَانْ يَاسِينْ ٱلْكَاتِبْ   كُنْتُ أَرَى فِي دُورُودَ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْعَجَائِبْ

حَيْثُ مَمْلَكَةُ ٱلْمُرِيدِينَ وَعَرْشُ ٱلصُّوفِيَّةِ   فِي كُرْدِسْتَانَ بِٱلْمَنَاطِقِ ٱلْإِيرَانِيَّةِ

كُنْتُ أَرَى صُوفِي حَمُو ٱلسَّالِكَ ٱلْمُجَلِّلْ   يَلْبَسْ قَمِيصًا رَقِيقًا وَسِرْوَالًا مُهَلْهَلْ

لَا يَلْبَسْ غَيْرَهَا خَارِجَ ٱلْبَيْتِ وَفِي ٱلدَّاخِلْ   يَلْفَحُهُ هَوَاءٌ يَقْطَعُ ٱلْعُرُوقَ وَٱلْمَفَاصِلْ

لَا حِذَاءَ يَلْبَسُهُ وَلَا طَعَامَ عِنْدَهُ يَأْكُلُهُ   ٱلْجُوعُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ وَٱلْبَلَاءُ يَشْمَلُهُ

رَأَيْتُهُ هَكَذَا عَشْرَ سَنَوَاتٍ عِيَانَا   فِي ثُلُوجٍ تَسْقُطُ فَيُجَمِّدُ بَرْدُهَا ٱلْآذَانَا

وَرَأَيْتُهُ مَرَّةً لَفَّ نَفْسَهُ بِسَجَّادَةٍ مُمَزَّقَةْ   ثُمَّ وَدَّعَ بِكَلِمَاتِهِ ٱلْأَصْحَابَ وَٱلرِّفْقَةْ

فَسَمِعْتُ أَنِينَهُ مِنْ دَاخِلِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ   ثُمَّ فُوجِئْتُ بِنَقْلِهِ إِلَى مَقَابِرِ ٱلْأَعْلَامِ

هَـٰذَا وَاحِدٌ مِنْ رِجَالِ دُورُودْ   رَبَّاهُمْ سِرَاجُ ٱلدِّينِ وَكَذَا آبَاؤُهُ وَٱلْجُدُودْ

فِي طَوِيلَةَ وَبِيَارَةَ وَمَحْمُودَ آبَاذْ   مَرْتَعِ ٱلْعَارِفِينَ وَٱلْأَوْلِيَاءِ وَٱلزُّهَّادْ

مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ وَلَهُ ثَوْبٌ مُقَطَّعْ   وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَسْتَأْجِرُ ٱلثَّوْبَ ٱلْمُرَقَّعْ

هَذَا ٱلزِّيُّ ٱلْخَشِنُ كَانَ شَائِعًا عِنْدَهُمْ   فَلِبَاسُهُمْ كَانَ لِسَتْرِ ٱلْحَالِ بِحَسَبِ نِيَّتِهِمْ

يَفْتَرِشُونَ ٱلتُّرَابَ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ قِلَّةٍ   وَيَتَوَسَّدُونَ ٱلْأَحْجَارَ وَلَيْسَ مِنْ عِلَّةٍ

بَلْ أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ جَلَّ جَلَالُهُ نَعِيمَ ٱلْآخِرَةِ   فَمَالُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَدِيدَانِهَا ٱلنَّاخِرَةِ

وَأَخَذُوا ٱلْعِبَرَ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ   وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ ٱلْقُصُورِ

قَدْ يَلْبَسُ أَحَدُهُمُ ٱلثَّوْبَ ٱلْفَخْمَ ٱلشَّرْعِي   لِقَضَاءِ حَوَائِجِ ٱلنَّاسِ بِحَسَبِ ٱلْوَرَعِ

لِيُمَثِّلَ دِينَ ٱلْإِسْلَامِ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ   وَيَجْعَلُ هَمَّهُ نُصْرَةَ ٱلدِّينِ ٱلْعَلَمِ

فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ إِنْ كَانَ لِلهِ   فَيَكُونُ لُبْسُهُ إِرْضَاءً لِخَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ

لَا لِلتَّفَاخُرِ بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالزِّينَةْ … لِأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَفِعْلَتُهُ تَشِينُهْ

الْمُرِيدُ الزَّاهِدُ لَا يَهْتَمُّ بِلِبَاسِهِ وَلَا يَعْتَمِدُ … عَلَيْهِ فِي إِظْهَارِ مَقَامِهِ وَلَا يَسْتَنِدُ

فَإِذَا وَجَدْنَا لِبَاسَ الْمُرْشِدِينَ فَخْمًا عَلَيْهِمْ … فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ وَمَقَامِهِمْ

لَهُمْ فِيهَا أَحْكَامٌ نَجْهَلُهَا وَعِبَرْ … وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي دَاخِلِ الصَّدْرْ

وَلَقَدْ سُئِلَ سَيِّدُنَا الْعَبَّاسُ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " كَانَ فَخْمًا مُفَخَّمًا "

كَانَ لِبَعْضِهِمْ لِبَاسٌ مُزَيَّنٌ بِكَرِيمِ الْأَحْجَارِ … يَخْرُجُ بِهِ لِيَبْهَرَ عِنْدَ اللِّقَاءِ عُيُونَ الْكُفَّارِ

وَلَهُ لِبَاسٌ مُرَقَّعٌ خَصَّصَهُ لِمُجَالَسَةِ الْأَحْبَابِ … مِنْ فُقَرَاءِ الزَّاوِيَةِ وَيَقْعُدُ قُرْبَ الْبَابِ

فَاللَّهُ مُلْهِمُ قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ بِهِمْ … أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُ قَلْبَهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ

قَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء ٨٤)

نَجْهَلُ حَالَ الْوَاصِلِ الْكَامِلِ مَعَ اللَّهْ … وَمَا يُقَرِّبُهُ وَمَا يُبْعِدُهُ عَنْ مَوْلَاهْ

لِذَلِكَ لَا نَسْتَطِيعُ عَلَى لُبْسِهِمُ الْاِعْتِرَاضْ … لِأَنَّنَا مَا زِلْنَا نُعَالِجُ مَا فِينَا مِنْ أَمْرَاضْ

فَالْأَوْلِيَاءُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنَ اللِّبَاسِ … وَلَا مِنْ أَنْظَارِ وَكَلَامِ فَسَقَةِ النَّاسِ

قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : " دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ ، فَرَأَيْتُ قَمِيصَهُ وَسِخًا فَقُلْتُ لِامْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ : اغْسِلُوا ثِيَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَتْ : نَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : ثُمَّ عُدْتُهُ فَإِذَا الْقَمِيصُ عَلَى حَالِهِ فَقُلْتُ : يَا فَاطِمَةُ أَلَمْ آمُرْكُمْ أَنْ تَغْسِلُوهُ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا لَهُ قَمِيصٌ غَيْرُ هَذَا " .

قَالَ الْكَاتِبُ قَدْ شَاهَدْنَا مِثْلَ هَذَا الْحَالِ … فِي دُورُودَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْأَكْرَادِ مِنَ الرِّجَالِ

يَعِيشُ الصُّوفِيُّ سِنِينَ بِوَاحِدٍ مِنَ اللِّبَاسْ … يُخَالِفُ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ وَمَا يَهْوَاهُ النَّاسْ

وَلَمْ نَجِدْ رَائِحَةَ عَرَقٍ لِأَيٍّ مِنْهُمْ … يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَالنُّورُ غَطَّى وُجُوهَهُمْ

وَقَالُوا كَانَ مُرْشِدُهُمْ عَلَاءُ الدِّينِ … وَالِدُ السُّلْطَانِ الشَّيْخِ سِرَاجِ الدِّينِ

لَيسَ عِندَهُ إِلَّا ثَوبٌ وَاحِدٌ يَلبَسُهُ إِذَا ٱتَّسَخَ يَختَلِي بِدَارِهِ لِيَغسِلَهُ
يُنَادِيهِ ٱلصُّوفِيَّةُ طَالِبِينَ مِنهُ ٱلخُرُوجَ إِلَيهِمْ فَلَا يَستَطِيعُ ، بِمَا هُوَ فِيهِ ، ٱلرَّدَّ عَلَيهِمْ
فَيَبْقَى فِي بَيتِهِ مُدَّةً وَهُوَ يَرتَجِفُ وَلَا يَخرُجُ إِلَّا بَعدَمَا لِبَاسُهُ يَجِفُّ
لَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ ٱلثَّوبُ حَسَنْ إِنْ كَانَ لُبْسُهُ لِلهِ فَهُوَ أَحسَنُ ٱلحَسَنْ
أَمَّا إِنْ كَانَ لُبْسُهُ لِهَوَى نَفسِ وَلَفتِ نَظَرِ ٱلنَّاسِ وَكَأَنَّهُ فِي عُرسِ
فَعَلَيهِ حَرَجٌ بِحَسَبِ ٱلضَّمِيرِ وَٱلنِّيَّةِ وَٱللهُ عَالِمٌ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلبَرِيَّةِ
وَكَذَا لُبْسُ ٱلأَلبِسَةِ ٱلمُلَوَّنَةِ ٱلمُتَنَوِّعَةِ هُوَ مِنَ كِبْرِيَاءِ ٱلنَّفسِ وَآفَاتِهَا ٱلمُرَوِّعَةِ
يَتَكَلَّفُونَ فِيهَا ٱلمَبَالِغَ ٱلضَّخمَةَ ٱلطَّائِلَةِ تَسُدُّ مَطَالِبَ شَهرٍ لِسَائِرِ ٱلعَائِلَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **"بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ، قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"**.[1]

وَأَحوَالُ ٱلنَّاسِ تَختَلِفُ فِي ٱلنَّوَايَا وَتَتَنَوَّعُ فِي ٱلآدَابِ وَٱلهِوَايَةْ
إِنَّ ٱلنَّفسَ ٱلبَشَرِيَّةَ تَطلُبُ ٱلزِّيَادَاتِ فِي ٱلطَّعَامِ وَٱللُّبسِ وَحَتَّى فِي ٱلشَّهَوَاتِ
وَلَهَا فِيهِ أَهوَاءٌ مُتَنَوِّعَةٌ وَمَآرِبُ مُختَلِفَةْ لِإِيقَاعِ ٱلإِنسَانِ فِي مَتَاعِبَ مُهلِكَةْ
فَلِبَاسُ ٱلبَعضِ بِهَذَا ٱلعَصرِ ٱلمُمَزَّقْ لَا شَرَفَ فِيهِ وَلِلعِفَّةِ قَدْ خَرَقْ
لَيسَ فِيهِ ذَرَّةٌ مِنْ آدَابِ ٱللِّبَاسْ وَلَا فِي صَاحِبِهِ عِفَّةٌ وَلَا إِحسَاسْ
كَأَنَّ ٱلشَّرَفَ وَضَعَهُ فِي ثَلَّاجَةْ لَا يَتَقَيَّدُ بِدِينٍ وَكَأَنَّهُ لَيسَ لَهُ بِهِ حَاجَةْ
ذَبُلَ ٱلحَيَاءُ وَذَابَ شَرَفُ ٱلعُصَاةِ وَهَذِهِ ٱلأَحوَالُ فِي أَكثَرِ ٱلأَوسَاطِ
هَمُّ ٱلمَرأَةِ أَنْ يُظهِرَ ثَوبُهَا عَورَتَهَا لَا تُبَالِي بِعَفَافٍ وَلَا دِينٍ فِي سِيرَتِهَا
صَارَ ٱلتَّعَرِّي وَٱلفَسَادُ مُوضَةَ ٱلعُصَاةِ يُظهِرُونَ ٱلتَّعَرِّي مُفَصَّلًا عَلَى أَقسَاطِ
هَذَا دَلِيلٌ عَلَى ٱختِلَاطِ ٱلحَلَالِ بِٱلحَرَامِ بِٱلطَّعَامِ وَٱللِّبَاسِ مِمَّا زَادَ فِي ٱلإِجرَامِ

(١) رواه الإمام مسلم ﷺ ، ج ١٤ ص ٦٤

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ :"مَنِ ٱشْتَرَى ثَوْباً بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ صَلَاتَهُ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ". (إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٨٩ - ٩٠)

أَدَبُ ٱللِّبَاسِ أَنْ يَدْفَعَ ٱلْبَرْدْ ... وَيَدْفَعَ ٱلْحَرَّ وَيُسْتَعْمَلَ لِأَيِّ غَرَضْ

فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْإِنْسَانِ وَجِلْدِهِ ... لَا أَنْ يَكْشِفَ مَا أُمِرَ بِسَتْرِهِ مِنْ جَسَدِهِ

فَهَٰذِهِ قِلَّةُ أَدَبٍ كَبِيرَةٌ مَعَ مَوْلَانَا ... ٱلَّذِي خَلَقَنَا وَبِنِعْمَتِهِ قَدْ غَطَّانَا

فَكَشَفْنَا مَا حَرَّمَ وَمَنَعَ إِلَيْهِ ٱلنَّظَرْ ... فَأَوْقَعَنَا إِبْلِيسُ بِأَشَدِّ وَأَعْظَمِ خَطَرْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف ٢٦)

بَعْضُهُمْ يَلْبَسُ عَبَاءَتَهُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ ... وَفِي بَطْنِهِ طَعَامٌ بِقِيمَةِ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ

مَا فِي بَطْنِهِ أَغْلَىٰ مِمَّا عَلَىٰ ٱلْجَسَدْ ... فَهَٰذَا بَاطِلٌ وَفِي سُوقِ ٱلْخَيْرِ كَسَدْ

مِثْلُ خُشُونَةِ ثَوْبِهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَعَامُهُ ... وَلِلهِ يَكُونُ لِبَاسُهُ وَقِيَامُهُ

يَلْبَسُ ٱلثَّوْبَ ٱلْخَشِنَ لِلنَّاسِ وَهُمْ يَغُشُّ ... وَإِذَا كَانَ فِي بَيْتِهِ فَمِنَ ٱلطَّعَامِ ٱلثَّمِينِ يَحُشّ

كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ ٱلصَّلَاحِ كَانَ لِبَاسُهُمْ ... بَسِيطًا غَيْرَ مُكَلِّفٍ وَهَذَا شَائِعٌ بَيْنَهُمْ

وَكَانَتْ لُقْمَتُهُمْ تُجْمَعُ مِنَ ٱلْأَبْوَابِ ... مِنْ كِسَرِ خُبْزِ ٱلْمُخْلِصِينَ وَسَائِرِ ٱلْأَحْبَابِ

مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ حَالٍ مَعَ مَوْلَاهُمْ ﷻ ... لَوْ طَلَبُوا طَعَامًا لَرَزَقَهُمْ وَأَفْضَلَ شَرَابٍ لَسَقَاهُمْ

وَكَانَ أَفْضَلُهُمْ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ ٱللِّبَاسْ ... إِذَا زَادَ عَلَيْهِ يَنْقُصُ عِنْدَهُ ٱلْإِحْسَاسْ

فَيَرْمِي ٱلْجَدِيدَ وَيَخَافُ مِنَ ٱلْوَعِيدْ ... وَيَأْتِيهِ بِإِحْسَاسِهِ ٱلرَّقِيبُ ٱلْعَتِيدْ

رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا ؓ لَبِسَ قَمِيصًا ٱشْتَرَاهُ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ ثُمَّ قَطَعَ كُمَّهُ مِنْ رُؤُوسِ أَصَابِعِهِ.

هَٰذِهِ أَحْوَالُ ٱلْخَائِفِينَ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ... ٱلْوَاصِلِينَ إِلَى نُورِ عَرْشِ ٱلْمُقَرَّبِينَ



الزَّاهِدُ وَالرِّبَاطُ

المَبِيتُ فِي الرِّبَاطِ

اَلصُّوفِيَّةُ فِي ٱلرِّبَاطِ[1] ذُرِّيَّةٌ مُتَسَامِحَةْ   مَعَ بَعْضِهِمْ عَنْ أَيِّ ذَنْبٍ فِيهِ سَانِحَةْ
إِذْ يَلْمَحُونَ فِيهِ قِلَّةَ أَدَبٍ وَمَعْصِيَةْ   فَيَخْلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ لِلدُّعَاءِ وَٱلتَّوْصِيَةْ
لِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ رَفِيقِ زُهْدِهِمْ   وَلَا يَعُدُّونَهُ كَمَا يَفْعَلُ ٱلنَّاسُ ٱلْيَوْمَ عَدُوَّهُمْ

كَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ: " رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي ".

إِذَا بَدَا مِنْ نَفْسِ ٱلصُّوفِيِّ خُصُومَةٌ وَغَضَبْ   مَعَ بَعْضِ ٱلْإِخْوَانِ وَسَبَبٌ لِلْعَدَاوَةِ نَشَبْ
فَعَلَى رَفِيقِهِ مُقَابَلَةُ نَفْسِهِ بِٱلْقَلْبْ   فَتَنْحَسِمُ مَادَّةُ ٱلشَّرِّ وَيَلِينُ مَا هُوَ صُلْبْ
وَإِذَا قُوبِلَتِ ٱلنَّفْسُ بِٱلنَّفْسِ ثَارَتِ ٱلْفِتْنَةْ   كَأَنَّهُ فَتِيلٌ يَشْتَعِلُ بِزَيْتٍ وَقُطْنَةْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت ٣٤)

فَعَلَى ٱلظَّالِمِ وَٱلْمَظْلُومِ ٱلتَّوْبَةُ وَٱلِاسْتِغْفَارْ   وَتَرْكُ ٱلْقَالِ وَٱلْقِيلِ وَٱلْجِدَالِ وَٱلنِّقَارْ
فَتَهْدَأُ ٱلْقُلُوبُ بِٱلِاسْتِغْفَارِ وَتَرْتَفِعُ ٱلْوَحْشَةُ   وَيَحْصُلُ لِلْمُحِبِّينَ مِمَّا حَدَثَ فَرْحَةٌ وَدَهْشَةُ
لَا يَبِيتُونَ وَٱلْبَوَاطِنُ مَطْوِيَّةٌ عَلَى خِصَامِ   وَلَا يَجْتَمِعُونَ وَهُمْ مُتَخَاصِمُونَ عَلَى طَعَامِ
فَإِنَّ ذَلِكَ يُسَبِّبُ ضَعْفَ ٱلْأَبْصَارِ   عَنْ مُشَاهَدَةِ رَحَمَاتِ رَبِّنَا ٱلْغَفَّارِ
بِٱلصُّلْحِ تَجْتَمِعُ ٱلْقُلُوبُ وَلِلْخَيْرِ تَعُودُ   وَإِلَّا يُصْبِحُ ٱلْخَيْرُ مِنَ ٱلْبَاطِنِ مَفْقُودُ
ٱلْكُلُّ يَنْشَغِلُ بِٱلْخِصَامِ فِي مُرَاقَبَتِهْ   فَيَصِيرُ عِلَاجُ ٱلْوَسْوَاسِ هَمَّهُ وَمَشْغَلَتَهْ
لَا يَصْلُحُ ٱلْبَاطِنُ إِلَّا بِذَهَابِ ٱلتَّفْرِقَةِ ٱلْمُؤْذِيَةِ   كَأَنَّهَا حَرَارَةٌ نَارِيَّةٌ بِيَوْمِ تَعْزِيَةِ

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى ٱلْمِنْبَرِ: "ٱرْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَٱغْفِرُوا يَغْفِرِ ٱللهُ لَكُمْ" . (رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده)

(١) الرِّبَاطُ : هُوَ ٱلْمَكَانُ ٱلْمُخَصَّصُ لِلْعِبَادَةِ وَمُعَالَجَةِ ٱلنَّفْسِ عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ .

الْأَكْلُ مِنْ طَعَامِ الرِّبَاطِ

إِذَا سَكَنَ الْمُرِيدُ الرِّبَاطَ بِلَا طَاعَةٍ ... وَأَرَادَ الْأَكْلَ مِمَّا بِالْمَطْبَخِ مِنْ صِنَاعَةٍ

وَكَانَ يَكْرَهُ الْعَمَلَ وَيُفَضِّلُ الْبَطَالَةْ ... وَلَا يَقُومُ بِشُرُوطِ أَهْلِ الْعِبَادَةِ الرَّحَّالَةْ

الَّذِينَ يَرْحَلُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ ... قَاصِدِينَ رِضَى وَرَحْمَةَ مَوْلَاهُمْ

فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْكُلَ بِاسْتِمْرَارْ ... لِأَنَّ طَعَامَ الرِّبَاطِ لِمَنْ يَعْبُدُ الْغَفَّارْ

إِلَّا إِنْ كَانَ تَحْتَ سِيَاسَةِ مُرْشِدِهْ ... يَنْصَحُهُ وَيُرْشِدُهُ وَيُرَبِّيهِ وَيُدَرِّبُهْ

فَيَعْمَلُ الْمُرْشِدُ كُلَّ مَا لَهُ فِيهِ خَيْرْ ... لِأَنَّ الْأَكْلَ فِي الرِّبَاطِ خُصِّصَ لِلْإِنْسَانِ وَالطَّيْرْ

وَيُصْرَفُ الْمَالُ فِيهِ بِحَسَبِ الْوَقْفِ الشَّرْعِيّ ... إِذْ فِيهِ أُصُولٌ مُحَدَّدَةٌ، لَا يُقَالُ عَنْهَا أَمْرٌ فَرْعِيّ

فَائِدَةُ الرِّبَاطِ

لَا يَأْتِي الْإِنْسَانُ الرِّبَاطَ فَقَطْ لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ ... بَلْ لِلْعِبَادَةِ وَالْقِيَامِ وَالدُّعَاءِ وَالصِّيَامِ

وَلَا يَتَسَلَّى بِاللَّهْوِ وَالْكَلَامِ كَمَضْيَعَةٍ لِلْوَقْتْ ... وَيَقُولُ إِنَّنِي لِلرِّبَاطِ قَدِ اشْتَقْتْ

كَانَ الْآلُ وَالْأَصْحَابُ عِنْدَهُمْ ... مِنْ هَمِّ الْآخِرَةِ مَا يَشْغَلُهُمْ

عَنِ اشْتِغَالِ الْبَعْضِ بِالْبَعْضِ ... فَهُمْ مَشْغُولُونَ بِالنَّوَافِلِ وَالْقِيَامِ بِالْفَرْضِ

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُ الصُّوفِيَّةِ بِالرِّبَاطِ ... غَيْرَ مُضِرٍّ لَهُمْ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ

الرِّبَاطُ يَحْبِسُ النَّفْسَ عَنْ دَوَاعِي الْهَوَى ... وَيُضْعِفُهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَيَشُلُّ عَنِ الْأَذَى الْقُوَى

الْمُرِيدُ الْمُبْتَدِئُ فِي الرِّبَاطِ

دَاخِلَ الرِّبَاطِ عَلَى الْأُمِّيِّ الْمُبْتَدِئِ بِطَاعَتِهِ ... أَنْ يَعْمَلَ بِالْخِدْمَةِ لِيَبْتَعِدَ عَنْ آفَاتِهِ

وَيُحْسِنَ خِدْمَةَ أَهْلِ الْقُلُوبِ وَالْعِبَادَةِ ... فَتَشْمَلُهُ بَرَكَةُ صُحْبَتِهِمْ وَتُوصِلُهُ إِلَى السَّعَادَةِ

الْبَعْضُ يُنْكِرُ طَرِيقَ أَهْلِ الْمُرَابَطَةِ الرُّوحَانِيَّةْ ... لِقِلَّةِ عِلْمِهِ بِمَقَاصِدِهِمُ الصَّادِقَةِ السَّنِيَّةْ

مَنْ أَرَادَ التَّكْفِيرَ عَنْ ذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ ... فَلْيَخْدُمْ أَهْلَ دِينِهِ بِصِدْقٍ فَإِنَّ اللهَ هَادِيهِ

بِدُونِ تَعَزُّزٍ وَتَرَفُّعٍ عَلَى الفُقَرَاءِ وَإِنْ كَانَ مِنَ السَّلَاطِينِ وَأَبْنَاءِ الوُزَرَاءِ
إِذَا خَدَمَ أَهْلَ اللهِ المَشْغُولِينَ بِطَاعَتِهِ يُشَارِكُهُمْ بِالثَّوَابِ فِي سَائِرِ مُدَّتِهِ

الاِجْتِمَاعُ فِي الرِّبَاطِ سُنَّةٌ وَمَصْلَحَةٌ

اجْتِمَاعُ الصُّوفِيَّةِ فِي الرِّبَاطِ المُهَيَّأَةِ لِلطَّاعَةِ سُنَّةُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ أَفْرَادٍ وَجَمَاعَةٍ
كَأَهْلِ الصُّفَّةِ مِنَ السَّلَفِ وَالصَّالِحِينْ فَهُمْ بِالرِّبَاطِ كَجَسَدٍ وَاحِدٍ مُتَضَامِنِينْ
قُلُوبُهُمْ مُتَّفِقَةٌ وَعَزَائِمُهُمْ سَلِيمَةٌ مُتَّحِدَةْ يَتَجَلَّى فِيهِمْ سِرُّ الجَمَاعَةِ فِي يَدٍ وَاحِدَةْ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف ٤)

هَكَذَا وَصَفَ اللهُ الصَّادِقِينَ المُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ وَصْفًا فِيهِ تَعْرِيفٌ عَنْ حُبِّهِمْ لِبَعْضِهِمْ
وَظِيفَةُ الصُّوفِيَّةِ حِفْظُ اجْتِمَاعِ البَوَاطِنِ وَإِزَالَةُ التَّفْرِقَةِ مِنْ كُلِّ المَوَاطِنِ
لِأَنَّهُمْ فِي نِسْبَةِ بَرَكَةِ الأَرْوَاحِ اجْتَمَعُوا وَبِرَابِطَةِ التَّآلُفِ الإِلَهِيِّ اتَّفَقُوا وَتَوَاضَعُوا
وَلِإِصْلَاحِ بَاطِنِ القُلُوبِ بِعِلْمٍ تَعَاطَوْا وَلِتَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَصَفَائِهَا رَابَطُوا

قَالَ ﷺ : " **الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** "[1].

مِنْ فَوَائِدِ اجْتِمَاعِهِمْ إِصْلَاحُ بَاطِنِهِمْ فَاجْتِمَاعُهُمْ دَافِعٌ يُسَاعِدُهُمْ فِي إِصْلَاحِ نُفُوسِهِمْ
فَمَتَى ظَهَرَتِ التَّفْرِقَةُ مِنْ أَحَدِهِمْ أَدَّبُوهُ وَنَصَحُوهُ خَوْفًا مِنْ تَضْيِيعِ وَقْتِهِمْ
لَا يَتَسَاهَلُونَ إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ خِلَافُ شَرْعِهِمْ فَيُوَجِّهُونَهُ بِالحُسْنَى وَالسِّيَاسَةِ الحَكِيمَةِ إِلَى دَرْبِهِمْ
بِعَكْسِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ بِعَصْرِنَا المَمْقُوتْ يَنْتَظِرُ الوَاحِدُ أَخَاهُ لِيَقَعَ وَيَمُوتْ
لَا يَنْصَحُهُ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى عَاقِبَتِهِ وَيُشَهِّرُ فِيهِ مِنْ بِدَايَتِهِ إِلَى نِهَايَتِهِ

قَالَ ﷻ : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (النور ٣٦ – ٣٧)

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ الشَّرِيفَةُ قَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَالَ : " يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ البُيُوتُ مِنْهَا بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ، قَالَ: **نَعَمْ، أَفْضَلُهَا** "[2].

(١) رواه الإمام البخاري ، فتح الباري ، الحديث (٣٣٣٦)

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٩١

مَنِ انْقَطَعَ للهِ كَفَاهُ مُؤُونَتَهْ
وَخَفَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِ شِدَّتِهْ

فَسُكَّانُ الرِّبَاطِ رَبَطُوا نُفُوسَهُمْ لِطَاعَتِهِ
وَذَكَرُوهُ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ

قِيلَ: الْمُرَابِطُ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ وَبِدُعَائِهِ
الْبَلَاءَ عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ (بِحَسَبِ قَضَائِهِ)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ : **"إِنَّ اللهَ لَيَدْفَعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِائَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْبَلَاءَ"**. (الفتح الكبير، ج ١ ص ٣٤٥)

فَالرِّبَاطُ لِجِهَادِ النَّفْسِ . وَالْمُقِيمُ بِالْمَكَانِ الْمَذْكُورِ
مُرَابِطٌ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ لِيُبْعِدَهَا عَنِ الْغُرُورِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران ٢٠٠) .

ارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ فِي الْعِبَادَاتِ
بِحُسْنِ صَفَاءِ النِّيَّاتِ وَرِقَّةِ الطَّوِيَّاتِ

يَحُلُّ مَا عَقَدَتْهُ الْأَفْلَاكُ الدَّائِرَاتْ
وَيُعِيدُ الْبَرَكَةَ إِلَى الْبِلَادِ بِبَرَكَةِ الطَّاعَاتْ

قَالَ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران ٢٠٠) :

"اصْبِرُوا عَنِ الدُّنْيَا رَجَاءَ السَّلَامَةِ
وَصَابِرُوا عِنْدَ الْقِتَالِ بِالثَّبَاتِ وَالِاسْتِقَامَةِ

وَرَابِطُوا أَهْوَاءَ النَّفْسِ اللَّوَّامَةْ
وَاتَّقُوا مَا يُعْقِبُ لَكُمُ النَّدَامَةْ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ غَدًا عَلَى بِسَاطِ الْكَرَامَةِ"
(نَرْجُوكَ رَبِّي الْعَفْوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

مَنِ اشْتَغَلَ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ بِالْعِبَادَةِ
مُعَوَّضًا بِهَا عَمَّا سَلَفَ مِنْ مَذْمُومِ الْعَادَةِ

شُغْلُهُ مُلَازَمَةُ الْأَوْرَادِ وَحِفْظُ الْأَوْقَاتِ
وَانْتِظَارُ الصَّلَوَاتِ وَاجْتِنَابُ عِلَّةِ الْغَفَلَاتِ

فَهُوَ بِذَلِكَ مُرَابِطٌ للهِ مُجَاهِدْ
وَهَذِهِ شِيمَةُ كُلِّ تَقِيٍّ عَابِدْ

قَالَ بَعْضُهُمْ: "السَّلَامَةُ بِالْوَحْدَةْ
وَالْمُكْثِ بِالرِّبَاطِ مَهْمَا طَالَتِ الْمُدَّةْ

وَالتَّهْيِئَةِ لِلْآخِرَةِ بِالزَّادِ وَالْعُدَّةِ
لِتَصْلُحَ النَّفْسُ بِتِلْكَ الْمُجَاهَدَةِ وَالشِّدَّةِ"

يَحْتَوِي الرِّبَاطُ عَلَى شُيُوخٍ وَشُبَّانٍ
وَأَصْحَابِ خِدْمَةٍ لِشَرِيعَةِ الدَّيَّانِ ﷻ

الشيخ الحبيب النسيب الحافظ لحديث خير البشر ﷺ الإمام الحنفي
الشيخ إبراهيم الأحدب (تولد في طرابلس 1242هـ - ت 1307هـ)

العلامة الفقيه الشيخ أحمد بن عمر بن محمد غنيم المحمصاني البيروتي
الأزهري (توفي 1951م)

تَعْرِيفُ ٱلْعُزْلَةِ

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ ﵁ أَنَّهُ قَالَ : " خُذُوا بِحَظِّكُمْ مِنَ ٱلْعُزْلَةِ ".

كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يُحَارِبُ ٱلْعُزْلَةْ ... وَعِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ يُقَالُ لَهَا ٱلْخَلْوَةْ

حَيْثُ ٱلتَّفَرُّغُ لِلطَّاعَاتِ وَٱلْعِبَادَةِ ... وَٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ وَٱلذِّكْرِ لِلِاسْتِفَادَةِ

وَهِيَ مُدَّةٌ زَمَنِيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ لِلسَّالِكِ بِحَيَاتِهِ ... يَسْتَفِيدُ مِنْهَا فِي سُلُوكِهِ وَقَبْلَ مَمَاتِهِ

وَتُسَاعِدُ فِيمَا بَعْدُ لِتَقْدِيمِ ٱلْخَدَمَاتِ ... لِلنَّاسِ ، عَلَى بَصِيرَةٍ ، فِي عِدَّةِ حَالَاتِ

وَتَكُونُ لَهُ كَٱلتِّلْمِيذِ ٱلَّذِي يَخْتَلِي بِنَفْسِهْ ... لِيَصْفَى لَهُ ٱلْجَوُّ وَيَحْفَظَ دَرْسَهْ

هَارِبًا مِنَ ٱلتَّعْكِيرِ عَلَى قَلْبِهِ وَٱلتَّشْوِيشِ ... وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْغَافِلِ وَٱلدَّرْوِيشِ

سُمِّيَتِ ٱلْخَلْوَةُ مِنَ ٱلِاخْتِلَاءِ بِٱلنَّفْسِ لِكَسْرِ ٱلْخُيَلَاءِ(١) ... وَٱلْوَحْدَةُ لِلْأُنْسِ بِمَحَبَّةِ ٱلْوَاحِدِ وَٱلرَّجَاءِ

قَالَ ٱلشِّبْلِيُّ ﵁ : "اِلْزَمِ ٱلْوَحْدَةَ وَٱمْحُ ٱسْمَكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ وَٱسْتَقْبِلِ ٱلْجِدَارَ حَتَّى تَمُوتَ".

وَٱلْخَلْوَةُ هِبَةٌ وَتَوْفِيقٌ مِنَ ٱلْوَاحِدِ ٱلدَّيَّانِ ... لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهَا ٱلْمُرِيدُ لَوْلَا فَضْلُ ٱلرَّحْمٰنِ

فَيَبْعَثُ ٱللهُ لِلْبَاطِنِ ٱلْمَطْلُوبَ لَهُ ... مِنْ شُعَاعِ ٱلْقَبُولِ فَتَنْجَذِبُ ٱلنَّفْسُ لَهُ

فَهَذَا أَكْمَلُ وَأَدَلُّ عَلَى كَمَالِ ٱلِاسْتِعْدَادِ ... فَٱلْكَثِيرُ رَفَضَتْهُ ٱلْخَلْوَةُ مِنَ ٱلْعِبَادِ

حَيْثُ تَكُونُ ٱلنَّفْسُ رَافِضَةْ ... لِدُخُولِ ٱلْخَلْوَةِ وَهِيَ لَهَا مُعَارِضَةْ

فَٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ حُبِّبَ إِلَيْهِ ٱلْخَلْوَةْ ... وَجَاءَهُ ٱلْحَقُّ فَأَمَرَهُ ٱللهُ تَعَالَى بِٱلدَّعْوَةْ

فَٱلنَّبِيُّ ﷺ ٱخْتَلَى بِنَفْسِهِ فِي حِرَاءْ ... حَيْثُ عَبَدَ رَبَّهُ وَٱزْدَادَ بِذَلِكَ صَفَاءْ

حَتَّى قَوِيَ فِيهِ نُورُ عَظَمَةِ ٱلنُّبُوَّةِ ... وَظَهَرَ عَلَيْهِ عَلَامَاتٌ وَإِشَارَاتُ ٱلْقُوَّةِ

ثُمَّ عَادَ لِلْعَمَلِ وَعَاشَرَ ٱلْأَصْحَابَا ... وَإِنْ عَمِلَ ٱلسَّالِكُ بِهَا فَلَحَقَّ أَصَابَا

(١) ٱلْخُيَلَاءُ : ٱلْكِبْرُ .

فَكَانَ ٱلْخَلْقُ لَا يَحْجُبُوهُ عَنِ ٱلْحَقِّ ... وَكَانَ قَلْبُهُ ٱلشَّرِيفُ مُقْبِلًا بِلَا فَرْقِ

الِاخْتِلَاطُ وَٱلْعُزْلَةُ

ٱلِاخْتِلَاطُ مُفِيدٌ لِلْإِنْسَانِ ٱلْمُبْتَدِئِ بِٱلْحَيَاةِ ... لِمَقَاصِدَ دِينِيَّةٍ وَتَأَدُّبٍ وَعِلْمٍ لِمَا هُوَ آتٍ

وَنَيْلِ ثَوَابِ ٱلْقِيَامِ بِٱلْحُقُوقِ وَٱلتَّوَاضُعِ ... وَٱلِاسْتِفَادَةِ مِنَ ٱلتَّجَارِبِ فِي ٱلْمَوَاقِعِ

أَمَّا مَنْ قَطَعَ شَوْطًا طَوِيلًا فِي ٱلْحَيَاةِ ... مِنَ ٱلْمُفِيدِ أَنْ يَعْتَزِلَ وَيَبْعُدَ عَنِ ٱلْآفَاتِ

بَعْدَ أَنْ يَمْضِيَ فِي تَعَلُّمِ ٱلشَّرْعِ ٱلْمُفِيدْ ... وَلِسَائِرِ ٱلْمُخَالَفَاتِ وَٱلضَّلَالَاتِ يُبِيدْ

قَالَ بَعْضُ ٱلزَّاهِدِينَ : "لَوْلَا مَخَافَةُ ٱلْوَسْوَاسِ لَمْ أُجَالِسِ ٱلنَّاسَ" .

وَقَدْ يُسَمُّونَ ٱلِاخْتِلَاطَ جِهَادَ ٱلْمُنَازَلَةْ ... لِلنُّصْحِ وَٱلْوَعْظِ وَٱلتَّحْكِيمِ،فِيهَا يَنَالُ مَنْزِلَةْ

وَمُخَالَطَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَأْمَنُ شَرَّهُمْ ... وَاجِبٌ فَٱلِاخْتِلَاطُ مَعَهُمْ يَجْبُرُ قَلْبَهُمْ

وَهُنَالِكَ قُلُوبٌ يَتَسَرَّبُ إِلَيْهَا بِٱلِاخْتِلَاطِ ٱلضَّرَرْ ... فَٱلْعُزْلَةُ دَوَاءٌ لَهَا مِنْ ذَلِكَ ٱلْخَطَرْ

وَبَعْضُ ٱلْأَشْخَاصِ تَكُونُ سَلَامَتُهُمْ بِٱلِاخْتِلَاطْ ... لِأَنَّهُ يُصِيبُهُمُ ٱلضَّجَرُ بِٱلْعُزْلَةِ وَٱلْإِحْبَاطْ

وَأَكْثَرُ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلْكِبَارِ يُحِبُّونَ ٱلِاخْتِلَاطْ ... لِأَنَّهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنَ ٱلْأَذَى بِتِلْكَ ٱلْأَشْوَاطْ

يَصْبِرُونَ عَلَى أَذَى ٱلنَّاسِ وَٱلزُّوَّارِ ... فَيَنَالُونَ ٱلْأُجُورَ ٱلْمُمَيَّزَةَ كَمَا بِٱلْأَخْبَارِ

ٱلْقُلُوبُ مَعَادِنُ تَخْتَلِفُ بِٱخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا ... وَقُدْرَتُهَا عَلَى ٱلتَّحَمُّلِ تَتَبَايَنُ بِحَسَبِ أَنْوَاعِهَا

فَٱلِاخْتِلَاطُ يَسْتَهْلِكُ مِنْ رَاحَةِ ٱلْقَلْبِ وَيُرْدِيهِ ... وَيُزْعِجُ دَقَّاتِ ٱلْقَلْبِ،لَكِنَّ ٱلْعُزْلَةَ تَشْفِيهِ

فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ سَرِيعَ ٱلتَّأَثُّرِ يَضُرُّهُ ٱلِاخْتِلَاطْ ... فَشِفَاؤُهُ مُجَرَّبٌ بِٱلْوَحْدَةِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ٱلِارْتِبَاطْ

فَٱلْعُزْلَةُ لِتَجْدِيدِ ٱلنَّشَاطِ وَٱلتَّقْوِيَةِ وَٱلتَّحَمُّلِ ... وَغَسْلِ ٱلْقَلْبِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ بِطُرُقِ ٱلتَّأَمُّلِ

وَٱلْعُزْلَةُ تَزِيدُ فِي عُلُوِّ شِفَاءِ كَمَالِهِ ... فَلَا مَانِعَ إِذَا لَمْ تُؤَثِّرْ بِنَقْصِ قُوتِ عِيَالِهِ

فَمَنْ أَصْبَحَ "عِلْكًا" بِأَفْوَاهِ الْمَاضِغِينَ ... نَالَ عِنْدَ رَبِّهِ ﷻ مَرْتَبَةَ الْمُتَوَاضِعِينَ

وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمُخَالَطَةِ وَالْعِبَادَةِ ... إِلَّا أَهْلُ النُّبُوَّةِ ﷺ أَصْحَابُ الْهِمَّةِ وَالْإِرَادَةِ

وَالْاِسْتِغْرَاقُ لِلسَّالِكِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعُزْلَةْ ... أَمَّا الْكَامِلُ فَعُزْلَتُهُ وَمُخَالَطَتُهُ هِيَ خَلْوَةْ

يُخَالِطُ النَّاسَ بِبَدَنِهِ وَقَلْبُهُ غَائِبْ ... يَسْتَمِدُّ مِنْ رَبِّهِ ﷻ وَلَا يُحِسُّ بِالْمَصَائِبْ

وَلَا يَسْتَشْعِرُ بِأَصْوَاتِ النَّاسِ بِقُرْبِهِ ... هَذَا لِلْمُسْتَغْرِقِ الْمُتَحَيِّرِ مِنْ تَجَلِّي رَبِّهِ ﷻ

أَمَّا السَّالِكُ فَلَا رَاحَةَ لِقَلْبِهِ بِالْاِخْتِلَاطِ ... فَتُؤْذِيهِ النَّظْرَةُ وَالْهَمْسَةُ وَرَفْعُ الْأَصْوَاتِ

لِأَنَّ قَلْبَهُ مَفْتُوحٌ فِي تَمَارِينِهِ الرُّوحِيَّةْ ... يَسْتَقْبِلُ فِي قَلْبِهِ الْأَنْوَارَ الْقُدْسِيَّةْ

إِنَّ الْتِقَاطَ الصُّوَرِ وَانْعِكَاسَ الْعِلَلِ عَلَى قَلْبِهِ ... مَرَضٌ دَفِينٌ لَوْ جَالَسَ مَعْلُولًا أَصَابَهُ بِمَا بِهِ

وَبِكَثْرَةِ الْمُجَالَسَاتِ تُصْبِحُ الْمَعَاصِي عَلَيْهِ ... هَيِّنَةً لِعَدَمِ إِنْكَارِهَا وَطَرْدِ مَا تَعَوَّدَ عَلَيْهِ

فَكَثْرَةُ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ ... تُعْكَسُ عَلَيْهِ وَهِيَ هَيِّنَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ بِالْقُلُوبِ

فَلَا تَسْتَصْغِرْهَا النَّفْسُ لِعَدَمِ إِنْكَارٍ حَاصِلْ ... فَالْجَلِيسُ يَكُونُ مَعَ ضَيْفِهِ لِلْغَفْلَةِ وَاصِلْ

فَلَا يَزُولُ ثِقْلُهَا وَنَفْثُهَا وَأَثَرُهَا عَنِ الْقَلْبْ ... وَلَا تَسْقُطُ صُوَرُهَا الْمُضِرَّةُ لِتَتَبَدَّلَ وَتَنْقَلِبْ

إِلَّا بِالْإِنْكَارِ وَالْهَرْوَلَةِ لِلطَّاعَةِ وَالنَّدَمْ ... وَإِلَّا تَبْقَى النَّفْسُ مُشَوَّشَةً وَالْقَلْبُ مُعْدَمْ

وَهُنَاكَ مَنْ لَا يَشْعُرُ بِهَذِهِ الْعَكْسِيَّاتِ الْمُضِرَّةْ ... الَّتِي تَعْلَقُ بِالْقَلْبِ بِطَرِيقَةٍ دَائِمَةٍ مُسْتَقِرَّةْ

عَنْ أَبِي مُوسَى ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"**...وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثَلُ الْقَيْنِ، إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ بِشَرَرِهِ، عَلِقَ بِكَ مِنْ رِيحِهِ**"[١].(القين : هو الحداد والصائغ)

فَنَقْلُ هَفَوَاتِ الْأُمَّةِ وَغَفَلَاتِهَا الصُّورِيَّةِ ... بِسَبَبِ تَكْرَارِ مُشَاهَدَتِهِ وَمُلَاقَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ

وَالْفِرَارُ مِنْ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْمُضِرَّةِ أَمْرٌ فَضِيلٌ ... لَكِنَّ الْفَارِّينَ مِنَ الْمَعَاصِي عَدَدُهُمْ قَلِيلٌ

هُنَاكَ مُعَانَاةٌ وَخُصُومَاتٌ وَمَذَلَّاتٌ ... وَفِتَنٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهَا بِتِلْكَ الْأَوْقَاتْ

وَكَذَلِكَ نَصْبُ مَكَائِدٍ وَدَسٌّ وَتَلْبِيسُ ... فَالْعُزْلَةُ آنَذَاكَ هِيَ الْعَمَلُ النَّفِيسُ

(١) صحيح ابن حبان ، الحديث (٥٧٩)

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "سَيَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ تَحِلُّ فِيهِ ٱلْعُزْبَةُ وَلَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ فَرَّ بِهِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ كَٱلطَّائِرِ بِفِرَاخِهِ وَكَٱلثَّعْلَبِ بِأَشْبَالِهِ".[1] (العزبة : أي العزوبة)

قَالَ بَعْضُ ٱلسَّالِكِينَ أَفْضَلُ ٱلْعُزْلَةِ بِٱلْمَقَابِرِ وَبِمُطَالَعَةِ ٱلْكُتُبِ وَتَدْوِينِ ٱلْمُفِيدِ بِٱلدَّفَاتِرِ

وَقِيلَ ٱلْإِسْتِئْنَاسُ بِٱلنَّاسِ عَلَامَةُ ٱلإِفْلَاسْ وَلَكِنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعَمِّمَ هَذَا ٱلْقِيَاسْ

مُمَارَسَةُ ٱلْخَلْوَةِ عَمَلٌ شَاقْ يَتَفَضَّلُ بِهِ ٱلْمَوْلَى ﷺ عَلَى ٱلْمُحِبِّ ٱلْمُشْتَاقْ

وَمَعَ ذَلِكَ يَنْظُرُ ٱلسَّالِكُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ٱلْاسْتِصْغَارِ وَإِلَى مُجَاهَدَاتِهِ ٱلْقَلْبِيَّةِ بِعَيْنِ ٱلْإِحْتِقَارِ

يَرَى نَفْسَهُ دَائِمًا بِٱلطَّاعَاتِ مُقَصِّرَةْ يَشُوبُهَا ٱلْخَلَلُ وَٱلْغَفَلَاتُ ٱلْمُيَسَّرَةْ

إِعْلَمُوا : عِنْدَ ذِكْرِ ٱلصَّالِحِينَ ﷺ تَنْزِلُ ٱلرَّحْمَةْ وَحِينَ ذِكْرِ ٱلْفَاسِقِينَ تُخَيِّمُ ٱللَّعْنَةْ

فَٱنْبِعَاثُ شَظَايَا ٱللَّعْنَةِ تَضُرُّ ٱلْقُلُوبْ وَٱنْبِعَاثُ ٱلرَّحَمَاتِ تُزِيلُ جُرُوحَ ٱلْعُيُوبْ

فَهُنَاكَ زَمَانٌ يَمُوجُ بِٱلشَّرِّ ٱلنَّتِنِ يَعْتَزِلُ ٱلْمُسْلِمُ ٱلنَّاسَ فِيهِ خَوْفًا مِنَ ٱلْفِتَنِ

قَالَ سُفْيَانُ ٱلثَّوْرِيُّ ﷺ : "هَذَا وَقْتُ ٱلسُّكُوتِ وَمُلَازَمَةُ ٱلْبُيُوتِ".

وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : " أَفْضَلُ ٱلْمَجَالِسِ مَجْلِسٌ فِي قَعْرِ بَيْتِكَ لَا تَرَى وَلَا تُرَى ".

فَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا هَيَّأَ لَهُ ٱلْأَسْبَابَ ثُمَّ كَلَّفَهُ أَنْ يَفْتَحَ لِقُلُوبِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْأَبْوَابَ

شُرُوطُ ٱلْعُزْلَةِ وَكَيْفِيَّتُهَا

لَا تُسْتَحَبُّ ٱلْعُزْلَةُ إِلَّا لِمُسْتَغْرِقٍ بِرَبِّهِ ﷺ ذِكْرًا وَفِكْرًا وَعِبَادَةً طَامِعًا بِقُرْبِهِ

وَعَلَى ٱلْمُعْتَزِلِ أَنْ يَكُونَ صَبُورًا لِمَا يَلْقَاهُ مِنْ أَذَى ٱلْجِيرَانِ وَيَصْبِرُ عَلَى شَكْوَاهُ

ٱلْأَخْبَارُ يَنَابِيعُ ٱلْوَسَاوِسِ لِلْقَلْبِ ٱلصَّغِيرِ فَعَلَيْهِ سَدُّ مَسَامِعِهِ عَنِ ٱلثَّنَاءِ ٱلْكَثِيرِ

(١) كشف الخفاء ج ١ ص ٣٨٦

وَقَطْعُ ٱلطَّمَعِ بِٱلدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا ٱلْمُضِرَّةِ   بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَأَهْوَالِهِ ٱلْكَثِيرَةِ ٱلْمُتَكَرِّرَةِ

وَٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ مَنْ بِعُزْلَتِهِ لِلَّهِ تَعَبَّدْ   وَبَيْنَ مَنِ ٱشْتَغَلَ بِمَا يُؤَدِّي لِلْعَذَابِ ٱلْمُؤَبَّدْ

فَذَاكَ ٱعْتَزَلَ لِيُقَوِّيَ قَلْبَهُ وَدِينَهُ   وَهَٰذَا بِذُلِّ ٱلْمَعَاصِي دَمَّرَ وَأَفْسَدَ يَقِينَهُ

وَمِنْ شُرُوطِ ٱلْخَلْوَةِ عَنِ ٱلأَحِبَّةِ صَرْفُ ٱلأَنْظَارِ   وَأَنْ يَكُونَ خَالِيًا مِنْ جَمِيعِ ٱلأَفْكَارِ

إِلَّا مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ ٱلْغَفَّارْ ﷻ   وَخَالِيًا مِنَ ٱلْمُرَادَاتِ إِلَّا مُرَادَ رَبِّهِ ٱلْجَبَّارْ ﷻ

وَمَنْ لَمْ تَكُنْ خَلْوَتُهُ بِهَٰذِهِ ٱلصِّفَةِ   وَقَعَ بِفِتْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ عَاصِفَةِ

فَمَنْ دَخَلَ ٱلْخَلْوَةَ وَنَفْسُهُ تَجْهَلُ شُرُوطَهَا   دَخَلَ عَلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ وَكَانَ لِنَفْسِهِ رَسُولَهَا

وَٱمْتَلَأَ مِنَ ٱلْغُرُورِ بِأَسْوَإِ ٱلأَحْوَالِ   لِأَنَّهُ دَخَلَ ٱلْخَلْوَةَ بِغَيْرِ شُرُوطِ ٱلرِّجَالِ

وَشَرْطُهَا أَنْ لَا يَتْرُكَ أَهْلَهُ وَٱلزَّوْجَةْ   وَيَبْتَعِدَ عَنْهُمْ وَهُمْ إِلَى عَمَلِهِ بِأَمَسِّ ٱلْحَاجَةْ

وَلْتَكُنْ عُزْلَتُهُ ٱلْمُؤَقَّتَةُ شَرْعِيَّةْ   فَلْيَعْمَلِ ٱلسَّالِكُ بِذَلِكَ وَلَا يَجْعَلْهَا سِرِّيَّةْ

ٱعْتَزَلَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَكَانَتْ عُزْلَتُهُ شَرْعِيَّةْ   كَانَ فِيهَا عِبَادَةٌ وَأَدْعِيَةٌ نَادِرَةُ ٱلنَّوْعِيَّةْ

فَرَزَقَهُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ بِعُزْلَتِهِ إِسْحَاقَ عليه السلام وَيَعْقُوبْ عليه السلام   إِشَارَةً عَلَى بَرَكَةِ عُزْلَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ٱلْمَحْبُوبْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم ٤٩)

مَنْ لَمْ يَخْضَعْ لِنِظَامِ ٱلشَّرْعْ   وَأَنْكَرَ ٱلْحُدُودَ وَٱلأَحْكَامَ وَٱلأَصْلَ وَٱلْفَرْعْ

وَدَخَلَ ٱلْخَلْوَةَ مَعَ جُوعٍ وَسَهَرِ   فَمَهْمَا شَاهَدَ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي ٱلنَّظَرِ

لَا يَرَى دَلِيلًا بَلْ خَيَالَاتٍ مُوهِمَةْ   يَظُنُّهَا وَقَائِعَ وَنَفْسُهُ بِذَلِكَ مُلْهِمَةْ

إِنَّهُ وَاقِعٌ فِي أَشَدِّ ٱلْقُصُورِ   وَقَلْبُهُ بَارِدٌ خَالٍ غَارِقٌ بِٱلْفُتُورِ

كَانَتِ ٱلْخَلْوَةُ لِتَرْبِيَةِ ٱلْعَبْدِ بِزَمَانِهِ   وَتَقْوِيَةِ يَقِينِهِ وَتَثْبِيتِ مَشَاعِرِ إِيمَانِهِ

وَكُلُّ ذَلِكَ لِلْمُرِيدِ مِنَ ٱللَّهِ مَوَاهِبْ   لِيَزْدَادَ يَقِينًا وَتَقْوِيَةً بِتِلْكَ ٱلْعَجَائِبْ

بَعْضُ ٱلْمُرِيدِينَ مَا أَعْطَاهُ ٱللهُ أَظْهَرَ … وَمِنْهُمْ مَنْ تَخَفَّى بِفُتُوحِهِ وَٱسْتَتَرَ

مَنِ ٱعْتَقَدَ بِخَيَالٍ وَقَنِعَ بِحَالٍ … وَلَمْ يَتَمَسَّكْ بِشَرْعِ رَبِّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُتَعَالِ

فَإِنَّهُ يَدْخُلُ ٱلْخَلْوَةَ وَهُوَ مَغْرُورْ … وَيَخْرُجُ مِنْهَا خَالِيَ ٱلْيَدَيْنِ كَٱلْمَبْتُورْ

ٱلْمَقْصُودُ مِنَ ٱلْخَلْوَةِ ٱلتَّقَرُّبُ وَعِمَارَةُ ٱلْأَوْقَاتِ … وَكَفُّ سَائِرِ ٱلْجَوَارِحِ عَنِ ٱلْمُنْكَرَاتِ

ٱلَّذِي يُرِيدُ دُخُولَ ٱلْخَلْوَةِ ٱلنُّورَانِيَّةِ … يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَتُوبُ لِلهِ خَالِقِ ٱلْبَرِيَّةِ

وَيَتُوبُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَعُيُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ … وَيَبْكِي مُتَضَرِّعًا لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي مَاضِيهِ

وَيُسَوِّي بَيْنَ ٱلسَّرِيرَةِ وَٱلْعَلَانِيَةِ … وَلَا يَنْطَوِي عَلَى غِشٍّ وَخِيَانَةٍ دِينِيَّةِ

وَلَا يَخْرُجُ مِنْ خَلْوَتِهِ إِلَّا لِجَمَاعَةٍ وَجُمُعَةْ … فَتَرْكُ صَلَاةِ ٱلْجَمَاعَةِ تَجْرَحُ ٱلسُّمْعَةْ

عِنْدَ ٱللهِ، وَلَا يُصْغِي إِلَى مَا يَسْمَعُ … لِأَنَّ لِلسَّمْعِ قُوَّةً خَاطِفَةً تَتْبَعُ

قُدْرَةَ مُخَيِّلَتِهِ كَلَوْحٍ يُنْقَشُ بِٱلنَّظَرِ وَٱلْحِسِّ … وَٱلْمَسْمُوعُ يُكْثِرُ ٱلْوَسْوَاسَ وَحَدِيثَ ٱلنَّفْسِ

وَلْيَشْغَلْ نَفْسَهُ فِي ٱلْخَلْوَةِ بِذِكْرٍ وَتِلَاوَةْ … وَصَلَاةٍ وَمُرَاقَبَةٍ لِأَنَّ فِيهَا حَلَاوَةْ

وَعَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ ٱلنَّوْمْ … وَيَذْكُرُ بِٱللِّسَانِ وَٱلْقَلْبِ عَلَى ٱلدَّوْمْ

وَيَجْعَلَ مَعِدَتَهُ خَفِيفَةً لَا ثِقَلَ فِيهَا … لِأَنَّ كَثْرَةَ ٱلطَّعَامِ تُوقِفُ مَعَانِيهَا

وَيَلْزَمَ قِلَّةَ ٱلطَّعَامِ وَقِلَّةَ ٱلْمَنَامِ … وَٱلِٱعْتِزَالَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَقِلَّةَ ٱلْكَلَامِ

لِأَنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلرَّاقِدَةَ تَسْتَيْقِظُ بِٱلْجُوعِ … وَيَشْتَعِلُ فِيهَا لَهَبُ نَارِ ٱلدُّمُوعِ

سُئِلَ بَعْضُهُمْ: أَيْنَ يَذْهَبُ لَهَبُ ٱلْجُوعِ؟ … قَالَ: يُطْفِئُ ٱلنُّورُ نَارَ كُلِّ مَوْجُوعِ

مَنْ كَانَ يَعْمَلُ بِصِدْقٍ وَقَلْبٍ حَنُونِ … لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْجُوعُ وَقِلَّةُ نَوْمِ ٱلْعُيُونِ

يُغَذِّي ٱللهُ عَقْلَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ … وَيَحْفَظُ جِسْمَهُ مِنَ ٱلِٱضْطِرَابِ بِعَظَمَتِهِ

يُعَوِّضُهُ ٱللهُ فَرَحًا فِي بَاطِنِهِ ٱلنَّظِيفِ … وَيَمْلَأُ قَلْبَهُ بِٱلْأَنْوَارِ وَبِكُلِّ طَرِيفِ

يَتَحَقَّقُ قَوْلُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ صَادِقِ ٱلْوَعْدِ … مَا أَخْبَرَ عَنْهُ فِي فُتُوحِ ٱلسَّعْدِ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : "إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ. إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى". (صحيح مسلم ﷺ ج ٧ ص ٢١١)

هَٰذَا ٱلْحَالُ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ مُرِيدْ   إِلَّا ٱلْكَامِلُ صَاحِبُ ٱلْحَظِّ ٱلسَّعِيدْ

قَالَ ٱللَّهُ ﷻ : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت ٣٥)

فَمَنْ بِخَلْوَتِهِ صَحَّتْ أَذْكَارُهُ وَأَعْمَالُهْ   تَفَجَّرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ فِي كَمَالِهْ

عُزْلَةُ ٱلْعِلَاجِ وَٱلْعُزْلَةُ ٱلْكُلِّيَّةُ

هُنَالِكَ فَرْقٌ بَيْنَ ٱلْعُزْلَةِ ٱلْكُلِّيَّةِ   وَٱلْعُزْلَةُ كَعِلَاجٍ مُؤَقَّتٍ لِلْأُمُورِ ٱلنَّفْسِيَّةِ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ ٱلْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[1]

فَٱلْعُزْلَةُ ٱلْمُضِرَّةُ أَنْ يَهْجُرَ ٱلْمُسْلِمِينْ   وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَيْهِمْ وَيَتْرُكَ أُمُورَ ٱلدِّينْ

قَالَ ﷺ "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ ٱلنَّارَ"[2]

إِلَّا أَنْ يَرَى إِصْلَاحًا فِيهِ لِلْمَهْجُورْ   أَوْ يَرَى فِيهِ لِنَفْسِهِ سَلَامَةً كَمَا هُوَ ٱلْمَشْهُورْ

قَالَ ٱللَّهُ ﷻ : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (مريم ٤٨)

عُزْلَةُ ٱلْأَرْبَعِينَ ٱلنُّورَانِيَّةُ

هُنَاكَ مُرْشِدُونَ يُسَلِّكُونَ بِٱلْأَرْبَعِينِيَّةِ   بِحُجَّةِ أَنَّ مُوسَى ﷺ فَعَلَ مِثْلَ تِلْكَ ٱلْقَضِيَّةِ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : " مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ ٱلْحِكْمَةِ مِنْ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ" (الفتح الكبير ج ٣ ص ١٥٢)

(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ، ج ١٢ ص ٢٣٨   (٢) رواه أبو داود في سننه

وَقَدْ خَصَّ اللهُ بِذَلِكَ مُوسَى ﷺ فَعَدَّ الصُّوفِيَّةُ ذَلِكَ دَلَائِلَ مَحْسُوسَةْ

فَأَمَرُوا الْمُرِيدِينَ بِالْخَلْوَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَاعْتَادَ عَلَيْهَا الصُّوفِيَّةُ وَحَافَظُوا عَلَيْهَا دَوْمًا

ظَهَرَ لَهُمْ بِذَلِكَ الْفُتُوحُ وَخَوَارِقُ الْعَادَاتْ وَهَطَلَتْ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِ رَبِّهِمُ النَّفَحَاتْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف ١٤٢)

فَمَنِ انْقَطَعَ لِلهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةْ مَعَ تَخْفِيفِ الطَّعَامِ فِي كُلِّ أَكْلَةْ

فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ قَدْرَ صِدْقِهِ فِيهَا وَالنَّفْسُ رَبُّنَا هُوَ مَنْ يَشْتَرِيهَا

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (التوبة ١١١)

وَالْأَرْبَعُونَ يَوْمًا عِنْدَ الْقَوْمِ كَيَوْمٍ حَيْثُ يَطْوِي اللهُ الْأَوْقَاتَ لِلْقَوْمِ

فَتَعُودُ بَرَكَةُ تِلْكَ الْأَرْبَعِينَ النُّورَانِيَّةِ عَلَى جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ وَسَاعَاتِهِ الرُّوحَانِيَّةِ

وَهُوَ طَرِيقٌ حَسَنٌ مُفِيدٌ اعْتَمَدَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ وَذَاقُوا مَدَدَهُ

وَكَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْأَرْبَعِينَ ذَا الْقِعْدَةْ وَيُكَمِّلُونَهَا بِأَيَّامِ ذِي الْحِجَّةِ بَعْدَهْ

فَهِيَ أَرْبَعُونَ مُوسَى ﷺ كَمَا قِيلْ فَتَظْهَرُ فِيهَا الْأَنْوَارُ كَالْقَنَادِيلْ

إِنَّ الصُّوفِيَّةَ قَوْمٌ أَحْيَوُا السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةْ فَسَلَكُوا بِفَضْلِ اللهِ مَقَامَاتٍ مَرْضِيَّةْ

وَقَفَوْا بِبِدَايَتِهِمْ لِرِعَايَةِ أَقْوَالِهِ ﷺ وَفِي أَوَاسِطِ حَالِهِمُ اقْتَدَوْا بِأَعْمَالِهِ

فَأَثْمَرَ لَهُمْ ذَلِكَ التَّحَقُّقَ بِأَخْلَاقِهِ ﷺ فَذَوَّقَهُمْ مِنْ رَحِيقِ نُورِ تِرْيَاقِهِ ﷺ

بَعْضُهُمْ يَقْضِي عُمْرَهُ مُخْتَلِيًا يَجْنِي مِنَ الْفُتُوحِ بِحَسَبِ سُلُوكِهِ الطَّوِيلِ الْمُضْنِي

فَإِنْ دَامَ عَلَيْهِ تَسَاقُطُ الْأَنْوَارِ لَا يَسْتَطِيعُ مُغَادَرَةَ خَلْوَتِهِ وَالْغَارِ

لِأَنَّ الرَّحَمَاتِ تُعَطِّلُ مَشَاغِلَ فِكْرَتِهِ وَلِثِقْلِهَا يُبْطِئُ فِي اسْتِعْمَالِ قُدْرَتِهِ

ٱلِاخْتِلَاطُ فِيهِ ضَرَرٌ وَإِفَادَةٌ

مُخَالَطَةُ ٱلْمُرْشِدِ مَعَ ٱلْخَلْقِ شَيْءٌ لَا يَضُرُّهُ ... يَحْتَاجُهُ ٱلْمُرِيدُ لِمُعَالَجَتِهِ وَهَٰذَا شَيْءٌ يَسُرُّهُ
ٱلْبَشَرُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ جِنْسِهِ ... مَهْمَا بَلَغَ مَعَ ٱللهِ فِي أُنْسِهِ
بِعَكْسِ ٱلْمُرِيدِ ٱلسَّالِكِ فَهُوَ مُعَرَّضْ ... لِنَقْلِ ضَرَرِ ٱلْاخْتِلَاطِ وَأَيِّ مَرَضْ
لِأَنَّ قَلْبَهُ وَاسِعٌ مَفْتُوحْ ... خُصِّصَ لِحَالَةِ ٱلْخَلْوَةِ لِنَيْلِ ٱلْفُتُوحْ
بَعْدَ نِهَايَةِ تَخَرُّجِهِ مِنْ مَدْرَسَتِهِ ... وَكَمَالِ وُصُولِهِ رُوحِيًّا وَنِهَايَةِ مَعْرِفَتِهِ
فَيَعُودُ لِلْأُنْسِ بِٱلْخَلْقِ وَٱلْمُخَالَطَةْ ... بَعْدَمَا كَانَ مُرَابِطًا يُصْبِحُ رَابِطَةْ
فَكُلُّ عَامِلٍ مُجَاهِدٍ يَسْلُكُ فَتْرَةْ ... يَقْضِيهَا ثُمَّ يَعُودُ لِأَحْبَابِهِ وَٱلْأُسْرَةْ
يَعُودُ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ لَا يَعْرِفُ ٱلْفُتُورْ ... مُتَعَطِّشًا إِلَى ٱلطَّالِبِينَ وَافِرَ ٱلنُّورْ

ٱلتَّجَلِّيَاتُ فِي عَالَمِ ٱلْحَيَاةِ

يَظُنُّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ نَيْلَ ٱلتَّجَلِّي سَهْلُ ... يَغْرِفُ مِنْهُ كَٱلنَّهْرِ ٱلشَّابُّ وَٱلْكَهْلُ
لَا وُصُولَ لِمَقَامِ ٱلتَّجَلِّي إِلَّا بِٱلْمُجَاهَدَاتِ ... وَٱلْأَذْكَارِ ٱلْقَلْبِيَّةِ مَعْ سَائِرِ ٱلْعِبَادَاتِ
فَعَلَى ٱلْمُتَمَنِّي أَنْ يُحْسِنَ ٱلطَّلَبَ ... كَمْ قُوَّةً لِلرِّجَالِ ٱلتَّجَلِّي قَدْ سَلَبَ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (الأعراف ١٤٣)

فَتَجَلِّي ٱلْإِلَهِ فِيهِ أَشْكَالٌ وَأَحْوَالٌ مُتَنَوِّعَةْ ... ٱلتَّجَلِّي بَارِقٌ وَحَارِقٌ وَذُو حَرَارَةٍ مُرَوِّعَةْ
لَوْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللهُ ٱلْحِجَابَ عَلَى ٱلْخَلَائِقِ ... لَذَابُوا مِنْ نُورِ تَجَلِّيهِ ٱلْخَارِقِ
وَهُنَالِكَ تَجَلٍّ مَائِلٌ لِلزُّرْقَةِ بَرَّاقٌ لَامِعُ ... وَتَجَلٍّ مَائِلٌ لِلْبَيَاضِ نُورُهُ سَاطِعُ
وَتَجَلٍّ خُضْرَتُهُ تُفْرِحُ ٱلْقَلْبَ وَهُوَ عَجِيبْ ... شَاهَدَتْهُ ٱلسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﵂ عَلَى ٱلْحَبِيبْ
وَتَجَلِّي رِضًى يُنْعِشُ ٱلْقُلُوبَ ٱلْمُتَعَطِّشَةْ ... وَهُنَاكَ تَجَلٍّ أَقْوَى مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُشْرِقَةْ

وَتَجَلِّي جَلَالٍ يَفُوقُ نُورَ ٱلْقَمَرْ   قَدْ ذَاقَ مِثْلَهُ بِعَرَفَاتَ سَيِّدُنَا عُمَرْ ؓ
وَتَجَلٍّ يُورِثُ ٱلْعِلْمَ وَٱلْقُوَّةَ وَٱلْمَعْرِفَةْ   نَالَهُ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ ؓ وَهَذَا مِنْ أَحْوَالِهِ ٱلْمُشَرَّفَةْ
وَتَجَلٍّ كَٱلنُّقَطِ يَظْهَرُ بِحُرُوفِ ٱلْحَدِيثِ   وَبَيْنَ ٱلْآيَاتِ ٱلْمُطَهَّرَةِ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلنَّفِيسِ
وَتَجَلٍّ يُزَلْزِلُ ٱلْأَرْضَ وَٱلْجِبَالْ   وَتَجَلٍّ يُحَيِّرُ وَيَتِيهُ فِيهِ ٱلرِّجَالْ
فَٱلتَّجَلِّي يَكُونُ حَسَبَ مَا يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ   مِنْ رَحْمَةٍ كَانَتْ أَوْ غَضَبٍ فِيهِ يَبْلِيهِ
وَتَجَلٍّ لِأَهْلِ ٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلْبَلَاءِ ٱلْعَظِيمْ   فِيهِ طُمَأْنِينَةٌ وَسَكِينَةٌ وَمَقَامٌ كَرِيمْ
فَٱلتَّجَلِّيَاتُ لَهَا أَحْوَالٌ نُورَانِيَّةٌ ثَقِيلَةْ   نَالَ مِنْهَا آلُ ٱلْبَيْتِ ؓ فِي طَاعَاتِهِمُ ٱلْجَلِيلَةْ
يَكُونُ تَذَوُّقُ ٱلتَّجَلِّي بِحَسَبِ نَظَافَةِ ٱلْقُلُوبِ   لِمَنْ تَزَكَّتْ نَفْسُهُ مِنْ سَائِرِ ٱلْعُيُوبِ
فَهُوَ مِنْحَةٌ إِلَهِيَّةٌ رَفِيعَةُ ٱلْمَقَامْ   لَا يَنَالُهَا إِلَّا ٱلنَّبِيُّ ﷺ وَٱلْوَلِيُّ ٱلْمِقْدَامْ

أَثَرُ ٱلِٱسْتِمْدَادِ عَلَى أَهْلِ ٱلتَّجَلِّي

يَخْرُجُ ٱلنُّورُ ٱلَّذِي ٱسْتَمَدُّوهُ مِنْ رَبِّهِمْ ﷻ   إِلَى سَائِرِ أَمَاكِنِ قُدُرَاتِ لَطَائِفِهِمْ
وَيَلُفُّ نُورُ ٱلنَّعِيمِ ٱلْحَوَاجِبَ وَٱلْجَبِينْ   وَٱلْبَرَكَاتُ تَدُورُ حَوْلَ وُجُوهِهِمْ بِوُضُوحٍ مُبِينْ
وَتَلْمَعُ عُيُونُهُمْ بِرَحَمَاتٍ مُضِيئَةٍ بَرَّاقَةْ   بِأَنْظَارٍ خَارِقَةٍ لِلْقُلُوبِ وَلِلْحُجُبِ خَرَّاقَةْ
يُسْمَعُ دَقَّاتُ ذِكْرِ قُلُوبِهِمْ مِنْ بَعِيدِ   بِنَظَرَاتِ قُلُوبِهِمْ يُذَكِّرُونَ بِيَوْمِ ٱلْوَعِيدِ
يَبْدُو ٱلْجَمَالُ بِوَجْهِهِمُ ٱلظَّاهِرَ وَٱلْبَاطِنْ   وَيُصْبِحُ حُبُّ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِقَلْبِهِمْ قَاطِنْ
لِمَا فِيهِمْ مِنْ هِمَمٍ وَرُقِيٍّ مُدْهِشْ   إِذَا تَقَرَّبَ ٱلْقَلْبُ مِنْهُمْ يَخْفِقُ وَيَرْتَعِشْ
هَؤُلَاءِ أَهْلُ ٱلتَّجَلِّي وَٱلْقُرْبِ   يَطْوِي لَهُمْ رَبُّنَا ﷻ ٱلْأَرْضَ بِٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ
يُصْبِحُونَ أَهْلَ ٱلْعِلَاجِ وَٱلطِّبِّ ٱلرَّفِيعِ   حَيْثُ يَمُدُّهُمْ رَبُّ ٱلنَّبِيِّ ﷺ ٱلشَّفِيعِ
وَيُقَالُ لَهُمْ أَهْلُ ٱلرُّوحَانِيَّةِ ٱلْمُلَوَّنَةْ   وَهِيَ بِفَضْلِ ٱللهِ لِلْعَارِفِينَ مُكَوَّنَةْ
هَنِيئًا لِمَنْ مَعَهُمْ سَلَكَ بِٱلْإِخْلَاصْ   فَذَلِكَ فَضْلُ ٱللهِ وَمِنْهُ ٱلِٱخْتِصَاصْ
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ رَبُّنَا ﷻ   فَعَقِيدَتُنَا رَاسِخَةٌ فِي شَرْعِنَا



سَفَرُ ٱلصُّوفِيِّ

اَلسَّفَرُ وَسِيلَةُ ٱلْخَلَاصِ مِنْ مَهْرُوبْ … مِنْهُ لِيَصِلَ ٱلصُّوفِيُّ إِلَى هَدَفِهِ ٱلْمَطْلُوبْ

وَأَعْظَمُ ٱلْمَهْرُوبِ مِنْهُ ٱلْكُفْرُ وَٱلضَّلَالْ … وَٱلْكَذِبُ وَٱلْخِيَانَةُ وَٱلْغَدْرُ وَجَمَاعَةُ ٱلْأَرْذَالْ

وَمَا شَابَهَ ذَٰلِكَ . وَمِنْهُ سَفَرٌ بِظَاهِرِ ٱلْبَدَنْ … وَهُوَ سَهْلٌ كَٱلسَّفَرِ مِنْ وَطَنِهِ إِلَى عَدَنْ

وَأَعْظَمُ ٱلسَّفَرِ سَفَرُ ٱلْقُلُوبِ لِلْمَحْبُوبْ … فِي قَافِلَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِكُلِّ مَا هُوَ مَطْلُوبْ

فَيُسَافِرُ ٱلْمُرِيدُ بِبَاطِنِهِ فِي هَٰذَا ٱلزَّمَنِ ٱلْمَوْبُوءِ … قَاطِعًا مَسَافَاتٍ لِعِلَاجِ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّارَةِ بِٱلسُّوءِ

فَكُلُّ رَذِيلَةٍ مُضِرَّةٌ لِلنَّفْسِ ٱلْبَشَرِيَّةِ … وَلَا بُدَّ أَنْ يَتْرُكَهَا ٱلصُّوفِيُّ بِرِحْلَةٍ بَاطِنِيَّةِ

وَيَقْطَعُ مَنَازِلَ آفَاتِهَا وَأَخْلَاقِهَا ٱلْمَذْمُومَةِ … وَمَا فِيهَا مِنْ ضَغَائِنَ مَلْغُومَةِ

وَيَنْتَقِلُ مِنْ كُلِّ قَاعِدَةٍ تَمُوجُ بِٱلشَّهَوَاتِ … إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَاتِ

فَلَا يَحْصُلُ تَرْوِيضُ ٱلنُّفُوسِ إِلَّا بِٱلسَّفَرِ … فَفِيهِ تَطْهِيرُ ٱلْقَلْبِ بِجِهَادٍ وَقَهْرِ

فَهَٰذَا سَفَرُ أَرْوَاحٍ بِدُونِ طَائِرَةٍ وَتَذْكِرَةْ … تَجُولُ بِمَيَادِينَ نُورَانِيَّةٍ لِلْعُقُولِ مُحَيِّرَةْ

تَقْطَعُ فَرَاسِخَهَا بِلَحَظَاتٍ كَٱلْبَرْقِ ٱللَّامِعْ … وَيَكُونُ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَهُ قَلْبٌ وَنُورٌ سَاطِعْ

وَشِعَارُ ٱلسَّفَرِ بِٱلرُّوحِ أَنَّهُ لَا إِقَامَةْ … فَيُجْهِدُ نَفْسَهُ لِيَرْجِعَ بِسَلَامَةٍ وَتَحْصِيلِ عَلَامَةْ

لِأَنَّهُ يَعُودُ بَعْدَ سَفَرِهِ ٱلْمَيْمُونِ لِلْعَمَلْ … فَحَالُهُ قَدِ ٱرْتَقَى وَقَلْبُهُ صَلُحَ وَٱكْتَمَلْ

يَشْخَصُ بَصَرُهُ بِسَفَرِ ٱلرُّوحِ نَحْوَ ٱلسَّمَٰوَاتْ … فَيَظُنُّ أَهْلُهُ أَنَّهُ فَارَقَ ٱلْحَيَاةَ وَمَاتْ

ثُمَّ تَعُودُ ٱلرُّوحُ إِلَيْهِ بِدَهْشَةْ … وَٱلْقَلْبُ وَٱلرُّوحُ مِنَ ٱلْعَطَاءِ مُرْتَعِشَةْ

هَٰذِهِ حَالُ أَرْوَاحِ ٱلسَّائِرِينَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ … وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا كِبَارُ ٱلْكُمَّلِ ٱلْمُتَّقِينَ

هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَ ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ … ٱلَّذِينَ هَجَرُوا ٱلشَّهَوَاتِ وَجَاهَدُوا بِٱلْأَعْمَالِ

بَعْضُهُمْ حَتَّى يُبْصِرَ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ … وَبَعْضُهُمْ لِيُرَكِّزَ تَفْكِيرَهُ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ

وَمَقْصُودُهُمْ مِنَ ٱلسَّفَرِ إِصْلَاحُ ٱلْبَاطِنِ … وَتَعَلُّمُ ٱلْعُلُومِ ٱلَّتِي تَزِيدُ مِنْ إِيمَانِ ٱلْمُوَاطِنِ

وَذَلِكَ بَعْدَ تَعَلُّمِ ٱلْعِلْمِ ٱلضَّرُورِيِّ مِنَ ٱلشَّرِيعَةِ ... فَيُتَابِعُ بَعْدَهُ سُلُوكَ ٱلطَّرِيقِ ٱلْبَدِيعَةِ

قَالَ ﷺ : "...وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ ٱللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى ٱلْجَنَّةِ"[1].

وَٱلنَّبِيُّ ﷺ كَانَتْ أَسْفَارُهُ مُتَنَوِّعَةْ ... سَفَرُ تِجَارَةٍ وَسَفَرُ دَعْوَةٍ وَسَفَرُ رُوحٍ رَائِعَةْ

وَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ سَفَرَهُ مَحْفُوفٌ بِٱلضَّجَرْ ... لِأَنَّ قَلْبَهُ غَيْرُ مُسْتَرِيحٍ وَلَا مُسْتَقِرّْ

وَلَا بُدَّ لَهُ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلطَّوِيلِ مِنْ رَفِيقٍ[2] ... صَالِحٍ يُسَاعِدُهُ عَلَى تَحَمُّلِ مَشَاقِّ ٱلطَّرِيقِ

فَٱلْمَنَازِلُ بَعِيدَةٌ عَنِ ٱلْوَطَنِ وَٱلِٱسْتِقْرَارِ ... مَمْلُوءَةٌ بِٱلْمَشَقَّاتِ وَٱلْمُجَاهَدَاتِ وَٱلْأَخْطَارِ

دُونَهَا تِيهٌ مُمِيتٌ حَارِقٌ فَانِي ... يَضِيعُ فِيهِ ٱلسَّالِكُ وَتَزْهَقُ رُوحُهُ بِثَوَانِي

ٱلسَّالِكُونَ مِنْ رُكَّابِ قِطَارِ ٱلنَّعِيمِ ... هُمُ ٱلْفَائِزُونَ بِصِدْقِهِمْ مَعَ ٱلْمَلِكِ ٱلْكَرِيمِ ﷻ

هَؤُلَاءِ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلْحُسْنَى ... عَرَفُوا أَنَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ وَعْدٍ أَعْظَمُ وَأَغْنَى

كَثِيرٌ مِنَ ٱلْخَلْقِ قَبْلَ وُصُولِهِ قَدْ يَهْلَكُ ... وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ ، بِفَضْلِ ٱللهِ ، يَصِلُ وَيُمَلَّكُ

وَمِنْ أَعْظَمِ ٱلْأَسْفَارِ سَفَرُ ٱلنِّهَايَاتِ ... إِنَّهُ سَفَرٌ قَيِّمٌ رَاقٍ مَحْفُوفٌ بِٱلْعِبَادَاتِ

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَافِرَ ٱلْمُرِيدُ إِلَّا بِطَلَبِ عِلْمٍ ... أَوْ مُشَاهَدَةِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ لِدِينِهِ ٱلْمُهِمّ

وَمَا مِنْ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَوَاتِ ٱلْعَلِيَّةِ ... إِلَّا وَلَهَا أَنْوَاعٌ شَاهِدَاتٌ لِلهِ بِٱلْوَحْدَانِيَّةِ

قَدْ يَمُرُّ بِهَا ٱلْمُسَافِرُ بِرِحْلَتِهِ ٱلْفَضَائِيَّةِ ... وَسَمَّاهُ ٱلصُّوفِيَّةُ ٱلسُّلُوكَ وَٱلسَّيْرَ بِٱلطُّرُقِ ٱلرُّوحِيَّةِ

بَعْضُهُمْ تَسْبِقُهُ رُوحُهُ لِلْكَعْبَةِ وَتُسَافِرُ ... لِأَنَّهَا مُتَشَوِّقَةٌ لِلْفُتُوحِ وَهَذَا هُوَ ٱلْمَاهِرُ

وَٱلْمُرِيدُ لَا تُفَارِقُهُ ٱلْعَصَا وَٱلرَّكْوَةُ ... وَٱلْمِرْآةُ وَٱلسِّوَاكُ وَٱلْمِشْطُ وَٱلْمُكْحُلَةُ

مِنْ سُنَنِ ٱلْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام حَمْلُ ٱلْعَصَا ... وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِٱلتَّوْحِيدِ وَصَّى

وَاجِبَاتُ ٱلسَّالِكِ ٱلْحَقِيقِيِّ قَبْلَ ٱلسَّفَرِ

قَبْلَ سَفَرِ ٱلسَّالِكِ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ أُمُورْ ... مِنْهَا رَدُّ ٱلْمَظَالِمِ وَقَضَاءُ ٱلدَّيْنِ ٱلْمَنْظُورْ

وَمِنْهَا دَفْعُ ٱلنَّفَقَةِ لِمَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ ... وَتَحْصِيلُ ٱلْمَالِ ٱلْحَلَالِ ٱلطَّيِّبِ لِيُعْطِيَ عَائِلَتَهُ

(١) رواه الإمام مسلم رحمه الله ج ١٧ ص ٢١

(٢) رفيق : مرشد يدله على دروب السلامة في العبور .

وَيُعَالِجُ خَبَايَا ٱلْبَاطِنِ وَنَوَايَا ٱلْأَفْكَارِ مِنَ ٱلشَّرِّ وَسُوءِ ٱلظَّنِّ وَمِنْ كُلِّ ٱلْأَخْطَارِ
فَٱلْأَحْمَالُ ٱلْبَاطِنِيَّةُ ٱلثَّقِيلَةُ تَعُوقُ هَذِهِ ٱلسَّفْرَةْ فَلَا تَتَحَرَّكُ لَطَائِفُهُ فِيهَا قَدْرَ شَعْرَةْ
كَحُبِّ ٱلدُّنْيَا وَٱلشَّهَوَاتِ وَٱلْمَعَاصِي ٱلْمُثْقِلَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَخْفِيفِهَا حَتَّى تَمْشِيَ ٱلْقُلُوبُ بِٱلرِّحْلَةِ

مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمُسَافِرِ قَبْلَ ٱلسَّفَرِ

يُسْتَحَبُّ لِلْمُسَافِرِ أَنْ يُوَدِّعَ أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوَ لَهُمْ وَيَسْتَسْمِحَ مِنْ أَحْبَابِهِ
وَيُزَوِّدَهُ أَصْحَابُهُ بِمَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلدُّعَاءِ فَهَذِهِ سُنَّةُ ٱلْمُصْطَفَى ﷺ صَاحِبِ ٱلرَّجَاءِ
وَكَانَ ﷺ يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ ٱلسَّفَرَ: **"فِي حِفْظِ ٱللَّهِ وَكَنَفِهِ زَوَّدَكَ ٱللَّهُ ٱلتَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا كُنْتَ"**. (إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٤٧)
يُصَلِّي ٱلْمُرِيدُ رَكْعَتَيْنِ، وَٱلصَّلَاةُ قُرَّةُ عَيْنِ وَيُوَدِّعُ كُلَّ مَنْزِلٍ يَرْحَلُ عَنْهُ بِرَكْعَتَيْنِ
وَيَقُولُ: ٱللَّهُمَّ زَوِّدْنِي ٱلتَّقْوَى وَٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَوَجِّهْنِي لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتُ.
وَعَلَيْهِ ٱلرَّحِيلُ فِي ٱلْبُكُورِ مِنَ ٱلصَّبَاحْ وَيَبْتَدِئُ بِيَوْمِ ٱلْخَمِيسِ فَفِيهِ ٱنْشِرَاحْ
وَلَا يَنْسَى ٱلِاقْتِدَاءَ بِٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا نَزَلْ فِي مَكَانٍ فَيَدْعُو كَمَا كَانَ حَبِيبُهُ ﷺ يَعْمَلْ
عَنْ صُهَيْبٍ صَاحِبِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: **"ٱللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّمَوَاتِ ٱلسَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ ٱلْأَرَضِينَ ٱلسَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ ٱلشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ ٱلرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ ٱلْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا"**.[1]

مِنْ فَوَائِدِ ٱلسَّفَرِ

كُلُّ سَفَرٍ فِيهِ مَقَاصِدُ دِينِيَّةْ فَلِصَاحِبِهِ نَصِيبٌ مِنَ ٱلْبَرَكَاتِ ٱلْقُدْسِيَّةْ
فَٱلنَّفْسُ لَا تَرْغَبُ بِتَرْكِ مَا أَلِفَتْهُ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَكُلِّ مَا ٱعْتَادَتْهُ



(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى.

تَجْهَلُ مَا أَخْفَى ٱللهُ عَنْهَا مِنْ عَطَاءِ وَلَوْ كُشِفَ لَجَاهَدَتْ فِي قَطْعِ طَبَقَاتِ ٱلسَّمَاءِ

قَالَ ٱلإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ ﷺ: لِلنَّفْسِ بِٱلسَّفَرِ دِبَاغٌ يُذْهِبُ عَنْهَا ٱلْخُشُونَةَ وَٱلْيَبَاسَةَ ٱلْجِبِلِّيَّةَ وَٱلْعُفُونَةَ ٱلطَّبِيعِيَّةَ. (وَهَذَا مَا يُعَالَجُ بِٱلطَّرَائِقِ ٱلْعَلِيَّةِ).

وَفَوَائِدُ ٱلسَّفَرِ رُؤْيَةُ ٱلآثَارِ وَٱلْعِبَرِ وَٱلتَّذَكُّرُ بِفِقْدَانِ ٱلأَهْلِ وَمُرِّ ٱلصَّبْرِ

وَقَالَ ٱلسَّرِيُّ ٱلسَّقَطِيُّ إِذَا خَرَجَ ٱلشِّتَاءُ وَدَخَلَ آذَارُ وَأَوْرَقَتِ ٱلأَشْجَارُ، طَابَ ٱلإِنْتِشَارُ

فَفِي ٱلرِّحْلَةِ مَعَ ٱلرُّفَقَاءِ فِي ٱلسَّفَرِ يَنْتَقِشُ فِي ٱلْقَلْبِ فَوَائِدُ ٱلنَّظَرِ

إِلَى أَحْوَالِ ٱلأَصْحَابِ وَمَا يُرَى مِنْ حِكَمٍ وَعِبَرِ وَظُهُورِ مَا فِي ٱلنَّفْسِ مِنْ دَفِينٍ مُحْتَقَرِ

مَنْ كَانَ سَفَرُهُ لِلهِ وَٱلإِجْتِمَاعِ بِٱلإِخْوَانِ فِي عُبُورِهِ أَقْطَارَ ٱلأَرْضِ وَشَاسِعَ ٱلْبُلْدَانِ

فَأَجْرُهُ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ مِنْ رَبِّهِ ٱلرَّحْمَنِ ﷺ وَقَدْ قَلَّ هَذَا وَنَدَرَ بِهَذَا ٱلزَّمَانِ

وَيَرْتَجِي ٱلْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ ٱلْمُجَاهَدَةِ وَٱلإِصْطِبَارِ نَفَحَاتِ فَضْلِ ٱللهِ وَجَمَالَ أَشِعَّةِ ٱلأَنْوَارِ

وَأَكْثَرُ ذَلِكَ يَكُونُ فِي زِيَارَةِ مَكَّةَ ٱلْمُكَرَّمَةِ أَوِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلنَّبَوِيِّ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ ٱلْمُحْتَرَمَةِ

أَمِيرُ ٱلسَّفَرِ وَصِفَاتُهُ

ٱلْمُرِيدُ ٱلْمُسَافِرُ يَحْتَاجُ بِسَفَرِهِ لِرَفِيقِ يُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ ٱلدِّينِ فِي ٱلطَّرِيقِ

وَقَدْ قِيلَ ٱلرَّفِيقُ أَوَّلاً ثُمَّ ٱلطَّرِيقُ لَا بُدَّ بِٱلرُّفْقَةِ مِنْ أَمِيرٍ عَامِلٍ عَلَى ٱلتَّحْقِيقْ

مُتَحَقِّقٌ فِي مَعْرِفَةِ شَرْعِهِ وَٱلدِّينْ يُعِينُ إِذَا أَخْطَأَ أَحَدُ ٱلرِّفَاقِ مِنَ ٱلْمُرِيدِينْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **"إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ"**[1].

يَكُونُ ٱلأَمِيرُ أَزْهَدَ ٱلْجَمَاعَةِ وَأَقْوَاهُمْ وَأَوْفَرَهُمْ حَظًّا بِٱلشَّرِيعَةِ وَأَتْقَاهُمْ

وَأَتَمَّهُمْ مُرُوءَةً وَسَخَاءً وَأَكْثَرَهُمْ شَفَقَةً وَأَلْيَنَهُمْ قَلْبًا وَأَزْكَاهُمْ نَفْسًا وَرِقَّةً

أَمِينًا عَلَى مَصَالِحِهِمْ يَرْعَى مَا مَعَهُ مِنْ جَوْقَةْ أَفْطَنَهُمْ ذَكَاءً وَأَكْثَرَهُمْ إِحْسَاسًا وَدِقَّةْ

وَعَلَى ٱلْجَمِيعِ ٱلإِنْقِيَادُ لَهُ وَٱلطَّاعَةْ إِلَّا إِنْ خَالَفَ ٱلشَّرْعَ بِجَهْلٍ وَشَنَاعَةْ

(١) رواه أبو داود في سننه.

وَمَنْ يَطْلُبِ ٱلإِمَارَةَ وَٱلسُّلْطَةَ عَلَى ٱلْمُرِيدِينْ
أَثْنَاءَ سَفَرِهِمْ أَوْ إِقَامَتِهِمْ فِي أَيِّ حِينْ
يُمْنَعْ مِنْهَا لِأَنَّ طَالِبَهَا صَاحِبُ هَوَى
مَـنْ أَطَاعَـهُ فِي شَرِّهِ ٱنْكَوَى

مَعْرِفَةُ ٱلأَصْحَابِ بِٱلسَّفَرِ

قَدْ يَقَعُ خِلَافَاتٌ بَيْنَ ٱلأَحْبَابِ
فِي ٱلسَّفَرِ عِنْدَ صُحْبَتِهِمْ لِبَعْضِ ٱلأَصْحَابِ
ٱلسَّفَرُ يَكْشِفُ ٱلرَّفِيقَ فِي نَفْسِيَّتِهِ وَأَخْلَاقِهْ
فَيَتَمَنَّى جَمِيعُ ٱلرِّفَاقِ تَرْكَهُ وَفِرَاقَهْ
وَفِي ٱلسَّفَرِ تَظْهَرُ دَقَائِقُ ٱلنُّفُوسِ وَمَا فِيهَا
وَيَفْضَحُ بَاطِنَ صَاحِبِهَا وَدَعَاوِيهَا
لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تُعْرَفُ إِلَّا بِٱلسَّفَرْ
وَكَمْ مِنْ رَفِيقٍ بِٱلسَّفَرِ شَتَمَ وَكَفَرْ
وَسُمِّيَ ٱلسَّفَرُ سَفَرًا لِأَنَّهُ يُسْفِرُ عَنِ ٱلأَخْلَاقِ
وَلِأَنَّهُ مُحْزِنٌ بِسَبَبِ ٱلْبُعْدِ وَٱلْفِرَاقِ
فَمَنْ تَجَرَّعَ مَرَارَةَ ٱلِافْتِرَاقِ عَنِ ٱلْخِلَّانِ
وَٱلزَّوْجَةِ وَٱلْوَلَدِ وَٱلأَحْبَابِ وَٱلأَوْطَانِ
وَسَلَكَ طَرِيقَ ٱلسَّفَرِ مَحْزُونًا مَهْمُومْ
قَاصِدًا ٱلْحَجَّ أَوْ مُرْشِدًا لِكَسْبِ ٱلْعُلُومْ
فَعَلَى ٱلإِخْوَانِ مُدَارَاتُهُ وَخِدْمَتُهْ
وَمُصَاحَبَتُهُ بِٱللِّينِ وَٱلرَّأْفَةِ لِإِزَالَةِ عِلَّتِهْ

ٱلْمُقَامُ بِبَلَدٍ بَعْدَ ٱلسَّفَرِ

وَإِذَا أَشْرَفَ عَلَى بَلَدٍ يُرِيدُ بِهَا ٱلْمُقَامْ
يُشِيرُ عَلَى مَنْ فِيهَا بِٱلسَّلَامْ
مِنَ ٱلأَحْيَاءِ وَٱلأَمْوَاتِ وَيَقْرَأُ مَا تَيَسَّرْ
مِنَ ٱلْقُرْآنِ وَيَجْعَلُهُ هَدِيَّةً لَهُمْ بَعْدَ ٱلسَّفَرْ
كَانَ ﷺ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى مَدِينَتِهِ يُحَرِّكُ ٱلدَّابَّةَ وَيَقُولُ: **"ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا وَرِزْقًا حَسَنًا"**[1]
إِذَا دَخَلَ ٱلْمُرِيدُ عَلَى ٱلزَّاوِيَةْ
فَلْيُسَلِّمْ بِهُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ وَهَذَا فِيهِ كِفَايَةْ
كَيْ لَا يُزْعِجَ ٱلْحَاضِرِينَ وَأَهْلَ ٱلْمُرَاقَبَةْ
وَيُشَوِّشَ حَالَهُمْ بِأَصْوَاتٍ قَدْ تَكُونُ لَهُمْ مُرْعِبَةْ
لِأَنَّ ٱلرِّبَاطَ وَٱلزَّاوِيَةَ مَثْوَى ٱلسَّالِكِينَ
وَأَكْثَرُهُمْ أَرْبَابُ أَحْوَالٍ بِٱلْمُرَاقَبَةِ مُتَفَكِّرِينَ
وَعَلَى ٱلْمُرِيدِ شَدُّ ٱلْوَسَطِ وَمُدَارَاةُ ٱلدَّاخِلِينَ
ٱلْجُدُدِ وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ مَعَ ٱلْمُرِيدِينَ

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٦١

وَيَسْتَقْبِلُهُمْ بِطَلَاقَةِ وَجْهٍ حَتَّى يُزِيلَ دَهْشَتَهُمْ ... لِأَنَّهُمْ يَخْجَلُونَ فِي أَوَّلِ دَخْلَتِهِمْ

فَلَا يَنْهَرُ أَحَدَهُمْ وَلَوْ أَخْطَأَ بِقَوْلِهِ ... بَلْ يُعَلِّمُهُ ٱلْآدَابَ ٱلْمَطْلُوبَةَ بِلُطْفِهِ وَعِلْمِهِ

وَهَذَا هُوَ ٱلْخُلُقُ ٱلْحَسَنُ وَٱلْمُعَامَلَةُ ٱلصَّالِحَةْ ... وَيَتْرُكُ فِي مُعَامَلَتِهِ ٱلْأُمُورَ ٱلَّتِي لِقَلْبِهِ جَارِحَةْ

حِينَ وُصُولِ ٱلْمُرِيدِ مِنْ سَفَرٍ بَعِيدْ ... لَا يَقْصِدُ زِيَارَةَ أَحَدٍ حَتَّى ٱلْمَرِيضْ

بَلْ يَسْتَرِيحُ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ وَعْثَاءُ ٱلسَّفَرْ ... وَيَهْدَأَ بَاطِنُهُ وَيَعُودَ إِلَيْهِ حَالُهُ وَيَسْتَقِرّْ

فَقَدْ يَكُونُ أُصِيبَ بِٱلسَّفَرِ بِعَوَارِضْ ... وَعَكْسِيَّاتٍ تُكَدِّرُ بَاطِنَهُ ٱلشَّارِدْ

فَيَشْعُرُ بِقَبْضٍ فِي قَلْبِهِ وَتَعَبٍ مُرْهِقٍ ... لِمَا تَجَمَّعَ عَلَيْهِ بِسَفَرِهِ مِنْ كَدَرٍ مُطْبِقٍ

عَادَةً بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَجْتَمِعُ هِمَّتُهُ ... وَيَصْطَلِحُ بَاطِنُهُ وَتَعُودُ لَهُ قُوَّتُهُ

وَتُصْبِحُ أَوْقَاتُهُ وَأَحْوَالُهُ صَافِيَةً ... وَتَصِيرُ نَفْسُهُ جَاهِزَةً لِلصُّحْبَةِ رَاقِيَةً

سَفَرُ بَعْضِ مُتَصَوِّفِي هَذَا ٱلزَّمَانِ

إِنَّ مُتَصَوِّفَةَ هَذَا ٱلْعَصْرِ لَمَّا خَلَتْ بَوَاطِنُهُمْ ... عَنْ لَطَائِفِ ٱلْأَذْكَارِ وَمَلَّتْ مِنْهَا نُفُوسُهُمْ

وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ أُنْسٌ بِٱللهِ وَذِكْرِهِ ... فِي خَلَوَاتِهِمْ وَكَانُوا غَيْرَ مُحْتَرِفِينَ لِشُكْرِهِ

وَلَا مَشْغُولِينَ بِٱلطَّاعَاتِ وَحُبِّ ٱلرِّيَاضَاتِ ... ٱنْشَغَلُوا بِٱقْتِنَاصِ أَمْوَالِ ٱلتُّجَّارِ ٱلذَّوَاتِ

ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوا بِهَا ٱلْأَتْبَاعَ ٱلْمُسَانِدِينَ لِلطَّرِيقَةِ ... لَعَلَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى ٱلْمُرْشِدِينَ أَهْلِ ٱلْحَقِيقَةِ

فَٱتَّخَذُوا ٱلسَّفَرَ وَٱلرِّحْلَةَ لِمَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ ... وَطَلَبًا لِأَطْعِمَةٍ شَهِيَّةٍ وَنُزُهَاتٍ نَفْسِيَّةٍ

تَسَتَّرُوا وَرَاءَ مُصْطَلَحَاتِ ٱلتَّصَوُّفْ ... لِيَجْمَعُوا ٱلْأَعْوَانَ لِأَنَّ عِنْدَهُمْ لِلسُّلْطَةِ تَشَوُّفْ

ٱلْأَحْمَقُ ٱلَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ ٱلْفَهْمِ ... ٱنْجَرَّ وَرَاءَ كَلَامِهِمُ ٱلْمَعْسُولِ وَلَحَسَ مِنْهُ بِنَهَمٍ

سَاعَدَهُمْ فَزَادَهُمْ ظُلْمًا عَلَى ظُلْمِهِمْ ... عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ ظُهُورِ نَوَايَاهُمْ عَلَى جَوَارِحِهِمْ

أَعْظَمُ ٱلظُّلْمِ مَا وَقَعَ بِسَبَبِ ٱلدِّينْ ... فَٱنْتَبِهْ ، وَبِهَذَا ٱلْأَمْرِ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَهِينْ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ : ٱلتَّصَوُّفُ ٱمَّحَقَ ... وَهَذَا بِعَصْرِهِ أَمَّا بِعَصْرِنَا فَقَدِ ٱنْسَحَقَ

مَـنْ ذَا ٱلَّـذِي يَسْـتَطِيعُ حِفْـظَ قَلْبِـهِ ... تَارِكًا ٱلْمَلَذَّاتِ وَٱلشَّهَوَاتِ ٱلَّتِي تَحُفُّ بِدَرْبِهِ
بِهَذَا ٱلْعَصْرِ ٱلَّذِي سَادَ فِيهِ أَبَالِسَةُ ٱلْجَانِّ ... وَصَارَ فِيهِ ٱلتَّقِيُّ وَٱلْحَلِيمُ حَيْرَانْ ؟

ٱلْقُدْوَةُ عِنْدَ ٱلْمُرِيدِ

لَا يَقِيسُ ٱلْمُرِيدُ مَعِيشَتَهُ عَلَى ٱلْأَغْنِيَاءِ ... وَٱلْمُتْرَفِينَ وَٱلْكَفَرَةِ وَشِلَّةِ ٱلْأَغْبِيَاءِ
وَلَا يَعْمَلُ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ بِٱللِّبَاسِ وَٱلزَّادْ ... وَلَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ عِبَادٌ وَنَحْنُ عِبَادْ
يَجِبُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى حَيَاةِ أَهْلِ ٱلنُّبُوَّةِ ﷺ ... وَيَتَأَمَّلَ بِٱلصَّحَابَةِ ؓ وَٱلْآلِ أَهْلِ ٱلْقُوَّةِ
فَٱلْعَقْلُ ٱلسَّلِيمُ يُشِيرُ إِلَى ٱلِاقْتِدَاءِ بِهِمْ ... وَتَرْكِ ٱلْأَرْذَالِ وَٱلْبُعْدِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ
وَبِهَذَا يَقْتَدِي بِأَعَزِّ أَصْنَافِ ٱلْخَلْقِ ... وَيُكْتَبُ فِي دِيوَانِ ٱلصَّابِرِينَ أَهْلِ ٱلْحَقِّ
وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى تَزَيُّنِ ٱلْكُفَّارِ بِٱلْحُلَى ... فَمَصِيرُهُمْ إِلَى ٱلنَّارِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ وَٱلْبِلَى
وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ دُونَهُ فِي ٱلْمَعِيشَةِ مِنَ ٱلنَّاسِ ... وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ بِهَذَا ٱلْقِيَاسِ
وَيَطْرُدُ وَسَاوِسَ ٱلشَّيْطَانِ وَمَا يَقُولُ ... وَلَا يَظُنُّ أَنَّ تَنَعُّمَ ٱلْغَنِيِّ بِمَطْعَمِهِ لَا يَزُولُ
وَيَنْصَحُ نَفْسَهُ بِٱلطَّاعَةِ وَيَصْرِفُ نَظَرَهُ ... عَنْ كُلِّ شَرٍّ قَبِيحٍ وَمَا لَا يُرْضِي رَبَّهُ ﷻ
فَتَرْتَاحُ ٱلنَّفْسُ وَيَطْمَئِنُّ ٱلْقَلْبُ وَيَهْدَأُ ... وَيَتَذَكَّرُ ٱلْآخِرَةَ وَٱلْقَبْرَ وَبِهَذَا رُوَيْدًا يَبْدَأُ
فَبِهَذِهِ ٱلْأُمُورِ يَقْدِرُ عَلَى ٱكْتِسَابِ ٱلْقَنَاعَةِ ... لِأَنَّهُ يَفْتَحُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ ٱلْمُحَاسَبَةِ وَٱلْمُرَاجَعَةِ
فَٱلْمُرِيدُ يَصْبِرُ عَلَى ٱلدُّنْيَا أَيَّامًا قَلَائِلْ ... لِيَتَمَتَّعَ بِٱلْجَنَّةِ دَهْرًا طَوِيلًا غَيْرَ زَائِلْ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ: "**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَالِ وَٱلْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ**". (صحيح مسلم ج١٨ ص٩٦ – ٩٧)

فَٱلْمَالُ إِنْ كَانَ بِٱلْيَدِ مَفْقُودًا ... فَلْيَكُنِ ٱلْعَبْدُ بِٱلْقَنَاعَةِ وَبِٱلرِّضَى مَوْجُودًا

الشيخ الفقيه المجاهد صالح الفرفور – دمشق

→ (اجتمع بحضرته الكاتب)



الشيخ الفاضل نجيب كيوان ـ دمشق ←

إِظْهَارُ ٱلْفَوَائِدِ

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ إِظْهَارَ ٱلْفَوَائِدْ حِسَابُهَا عَلَى حَسَبِ ٱلنِّيَّةِ عَائِدْ
كَأَنْ تَتَكَلَّمَ عَمَّا أَفَاضَ ٱللهُ عَلَيْكَ بِقَصْدِ ٱلْتِفَاتِ قُلُوبِ ٱلْعُصَاةِ إِلَيْكَ
لِيَقَعَ بِقُلُوبِهِمُ ٱلْخَوْفُ وَعَظَمَةُ ٱلرَّهْبَةِ وَيُقْلِعُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَٱلْمَعَاصِي ٱلصَّعْبَةِ
عَلَى شَرْطِ عَدَمِ تَعْظِيمِ نَفْسِكَ كَمَا وَضَّحْنَا وَبَيَّنَّا وَعَرَّفْنَا بِٱلرِّيَاءِ فِيمَا بَعْدُ وَطَرَحْنَا
كَأَنَّ ذَلِكَ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ ٱلإِجَازَةْ فَٱلْبَعْضُ عِنْدَ نُصْحِهِ يَأْتِيهِ هَزَّةْ

قَالَ ٱللهُ ﷻ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة ٢٧١)

إِظْهَارُ ٱلْعَمَلِ نَفْسِهِ عَلَى ٱلْمَلَإِ كَٱلصَّدَقَةِ لِتَرْغِيبِ ٱلنَّاسِ فِيهَا بِطَرِيقَةٍ مُحَقَّقَةِ
كَمَا يُقَلِّدُ ٱلْبَعْضُ بِٱلْعِبَادَةِ إِخْوَانَهْ فَيَسْرِي ٱلتَّقْلِيدُ بِٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ إِلَى جِيرَانِهْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: **"مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا مَنْ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً"**. (رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده)

كَمَا أَنَّ ٱلرَّجُلَ يَرْفَعُ بِٱلأَذَانِ صَوْتَهْ لِيُنَبِّهَ ٱلْغَافِلَ فَيَقْتَدِي بِهِ قَبْلَ فَوْتِهْ
أَمَّا مَا يُؤْذِي إِجْهَارُهُ فَكَتْمُهُ أَوْلَى كَٱلصَّدَقَةِ ٱلَّتِي تُؤْذِي بِتِلْكَ ٱلْجَوْلَةْ
مَعَ أَنَّ عَمَلَ ٱلسِّرِّ يُضَاعَفُ عَلَى عَمَلِ ٱلْعَلَانِيَةِ إِلَّا فِي حَالَاتٍ مُحَقَّقَةٍ خَاصَّةٍ ضَرُورِيَّةِ
مَعَ مُلَاحَظَةِ ٱلنَّفْسِ مِنَ ٱلرِّيَاءِ وَٱلْحَذَرِ مِنَ ٱلإِظْهَارِ بِلَا رُخْصَةٍ مُسَبِّبَةٍ لِلْخَطَرِ

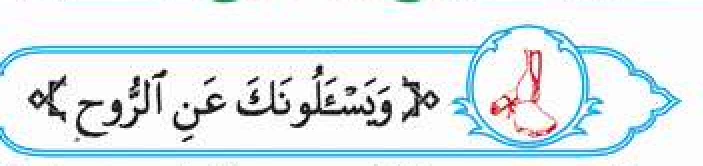
قَالَ ﷺ: **"...وَإِنَّ ٱللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا ٱلدِّينَ بِٱلرَّجُلِ ٱلْفَاجِرِ"**. رواه الإمام البخاري ، الحديث (٣٠٦٢)



من المجاذيب القادرية الكبار ببلاد الهند ←

شيخ المدينة المنورة الشيخ العباسي ←





مَنْ يُطْلِقْ عِنَانَ ٱلْفِكْرِ بِمَسَارِحِ ٱلنَّظَرِ ... وَيَسْلُكْ لِمَعْرِفَةِ مَاهِيَّةِ ٱلرُّوحِ بِٱلْخَطَرِ

تَتَلَاشَى آرَاؤُهُ وَتُظْهِرُ ٱلنَّفْسُ عَجْزَهَا ... وَبَعْدَ لَفٍّ وَدَوَرَانٍ تُجْبَرُ أَنْ تَلْزَمَ حَدَّهَا

فَطَرِيقُ ٱلْمَعْرِفَةِ بِٱلْإِسْتِدْلَالِ وَٱلنَّظَرِ ... لَا يَصْلُحُ لِمَعْرِفَةٍ مُتَوَّجَةٍ بِمَوَانِعَ وَخَطَرٍ

ٱلرُّوحُ خَلْقٌ طَيِّبٌ تَكُونُ فِيهَا ٱلْحَيَاةُ ... وَٱلنَّفْسُ رِيحٌ حَارَّةٌ تَكُونُ مِنْهَا ٱلْحَرَكَاتُ

إِسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ ٱلرُّوحِ ٱلرَّبُّ ٱلْمَعْبُودْ ﷻ ... لَا تَكُونُ ٱلْعِبَارَةُ عَنْهَا بِأَكْثَرَ مِنْ مَوْجُودْ

قِيلَ: ٱلْعَقْلُ هُوَ لِسَانُ ٱلرُّوحْ ... إِذَا ذَهَبَتِ ٱلرُّوحُ غَابَتِ ٱلْفُتُوحْ

فَمَنْ لَهُ بِٱلشَّرْعِ بَاعٌ طَوِيلْ ... يَقِفُ عَلَى حُدُودِ ٱلْمَنْعِ بِٱلدَّلِيلْ

كَيْفَ نَدَّعِي مَعْرِفَةَ ٱلْخَفِيِّ عَنِ ٱللَّمْسِ ... وَلَا نَشْعُرُ بِهَا إِلَّا بِذَوْقِ ٱلْحِسِّ

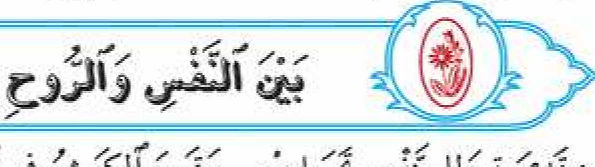
أَخْبَرَ ٱللهُ ﷻ عَنِ ٱلرُّوحِ فِي كَلَامِهِ ... تَحْيَا بِتَجَلٍّ وَٱسْتِتَارٍ وَخَصَّهَا بِسَلَامِهِ

يَصِيرُ ٱلْبَدَنُ بِوُجُودِ ٱلرُّوحِ حَيًّا ... إِذَا قُبِضَتْ عَادَ ٱلْجَسَدُ نَسْيًا مَنْسِيًّا

أَفْضَلُ ٱلتَّعْرِيفِ ٱلْإِمْسَاكُ عَنِ ٱلتَّأْوِيلْ ... وَنَكْتَفِي بِآيَاتِ ٱللهِ حُجَّةً وَدَلِيلْ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء ٨٥)

إِنِّي أَعْجَزُ عَنْ مَعْرِفَةِ ٱلْأَفْلَاكْ ... وَٱلسَّلَامَةُ بِتَعْرِيفِ ٱلرُّوحِ ٱلسُّكُوتُ وَٱلْإِمْسَاكْ



مِنْ عُهُودٍ قَدِيمَةٍ وَلِلنَّفْسِ تَجَارِبْ ... وَقَعَ ٱلْكَثِيرُ فِي تَفْسِيرِهَا بِتَضَارُبْ

مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ٱلرُّوحُ هِيَ ٱلنَّفْسُ ٱلْإِنْسَانِيَّةْ. ... بَعْضُهُمْ أَنْكَرَ مِثْلَ هَذِهِ ٱلتَّعْرِيفَاتِ غَيْرِ ٱلْغَنِيَّةْ

وَإِلَى ٱلْآنَ ٱلنَّاسُ بِتَحَيُّرٍ عَمِيقِ ... يَرْغَبُونَ بِشَرْحٍ شَافٍ وَدَقِيقِ



قِيلَ: ٱلرُّوحُ قِوَامُ ٱلحَيَاةِ لِلأَحْيَاءِ ... وَٱلنَّفْسُ ٱلأَمَّارَةُ مَشْغُولَةٌ بِٱلإِغْوَاءِ

قَالَ ٱللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ (يوسف ٥٣)

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي وَزَكَّى نُفُوسَهُمْ ... كَٱلأَنْبِيَاءِ ﷺ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلصَّحَابَةِ ﷺ وَٱلآلِ كُلِّهِمْ

وَٱلأَوْلِيَاءِ مِنَ ٱلمَشَايِخِ ٱلعَارِفِينَ ٱلكُمَّلْ ... ٱلمُتَصَوِّفِينَ أَرْقَاهُمْ مَنْ بِٱلرَّابِطَةِ تَأَمَّلْ

أَمَّا غَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنُّفُوسِ ٱلبَشَرِيَّةْ ... فَتَأْبَى ٱلخَيْرَ وَهِيَ عُدْوَانِيَّةْ

فَقَدْ أَنْزَلَ ٱللهُ بِٱلقُرْآنِ تَوْضِيحْ ... وَكَلَامًا مَفْهُومًا وَلِلْقَلْبِ مُرِيحْ

أَقْفَلَ مَعْرِفَةَ ٱلأَرْوَاحِ عَنَّا وَأَخْفَاهَا ... وَعَرَّفَنَا بِظَاهِرِ ٱلنَّفْسِ وَبَيَّنَ مَعْنَاهَا

فَكَيْفَ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَدَّى إِنْسَانُ ... عَلَى مَا أَخْفَاهُ رَبُّنَا ٱلدَّيَّانُ ﷻ

عَلَى ٱلإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَقَّفَ وَيَعْرِفَ حَدَّهُ ... وَإِذَا كَانَ حَكِيمًا لَا يُجَاوِزُ وَيَقِفُ عِنْدَهُ

أَمَّا ٱلنَّفْسُ فَقَدْ بَيَّنَ ٱللهُ ﷻ مَرَاتِبَهَا ... بِكَلَامٍ وَاضِحٍ، وَجَلَّى لَنَا مَنَازِلَهَا

قَالَ ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر ٣٨)

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ (الفجر ٢٧-٣٠)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (التحريم ٦)

فَٱلذَّاتُ ٱلإِنْسَانِيَّةُ يُقَالُ لَهَا نَفْسْ ... وَهَذَا مُسْتَعْمَلٌ فِي ٱللُّغَةِ بِٱلحِسّْ

وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ لِلنَّفْسِ مَقَامَاتٌ مُتَعَدِّدَةْ ... ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّهَا مُسْتَقِلَّةٌ عَنِ ٱلرُّوحِ مُنْفَرِدَةْ

فَعِلْمُ ٱلرُّوحِ ٱسْتَأْثَرَ بِهِ ٱلمَعْبُودُ ... لَا نَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا وَغَابَ عَنَّا هَذَا ٱلمَقْصُودُ

وَهَذَا مِنْ إِعْجَازِ رَبِّنَا ٱلخَلَّاقِ ... أَبَدِيٌّ عِلْمًا وَآخَرٌ نَحْنُ عَنْهُ فِي ٱفْتِرَاقِ

لَوْلَا ٱلرُّوحُ لَمْ تَحْيَ ٱلنَّفْسُ ٱلبَشَرِيَّةُ ... وَلَوْلَا ٱلنَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مُجَاهَدَاتٌ رُوحِيَّةٌ

فَمُنْكِرُ وُجُودِ ٱلرُّوحِ لِلهِ جَاحِدْ   فَٱلرُّوحُ وَٱلنَّفْسُ تَوْأَمُ بِقَالَبٍ وَاحِدْ

ٱلرُّوحُ هِيَ مُحَرِّكُ طَاقَةِ ٱلإِنْسَانِ   وَٱلنَّفْسُ بِطَبِيعَتِهَا تُشْغِلُ عَنْ طَاعَةِ ٱلدَّيَّانِ ﷻ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٩ و ١٠)

فَمَنْ يَمُتْ تَمُتْ مَعَهُ سَائِرُ ٱلآتِهِ   لَا تَبْقَى نَفْسٌ وَيَنْفَضِحُ فِي شَتَاتِهِ

لَوْ كَانَ ٱلإِنْسَانُ بِرُوحٍ بِلَا نَفْسٍ   لَكَانَ مَلَاكًا طَاهِرًا بِلَا عَكْسٍ

وَلَقَدْ عَرَّفَ ٱلدِّينُ عَنِ ٱلمَلَائِكَةْ عليهم السلام   أَنَّهَا أَرْوَاحٌ نُورَانِيَّةٌ طَاهِرَةٌ مُبَارَكَةْ

مَا سَمِعْنَا أَنَّ لِلْمَلَائِكَةِ عليهم السلام نُفُوسٌ   هَـٰذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَمَحْسُوسٌ

لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِحَاجَةٍ لِلْمُجَاهَدَةْ   فَأَرْوَاحُهُمْ طَاهِرَةٌ مُزَكَّاةٌ عَابِدَةْ

فَٱلنَّفْسُ تُحِبُّ ٱللَّذَّاتِ وَتَرْغَبُ بِٱلشَّهَوَاتِ   وَٱلمَلَائِكَةُ مُنَزَّهَةٌ عَنْ تِلْكَ ٱلصِّفَاتِ

فَلِأَجْلِ ذَلِكَ تُجَاهِدُ ٱلدَّرَاوِيشْ   لِتُزَكِّي نُفُوسَهَا وَبِٱلجَنَّةِ تَعِيشْ

لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَدْمِجَ ٱلنَّفْسَ بِٱلرُّوحِ   وَلَا أَنْ نُفَرِّقَ ٱلرُّوحَ عَنِ ٱلنَّفْسِ بِٱلشُّرُوحِ

مَعَ ذَلِكَ ٱلِارْتِبَاطُ بَيْنَ ٱلنَّفْسِ وَٱلرُّوحِ وَثِيقْ   وَهَـٰذَا لَيْسَ جَدِيدًا بَلْ عَتِيقْ

كَمَا أَنَّ لِلْإِنْسَانِ عَقْلٌ وَقَلْبْ   لَا يَسْتَغْنِي ٱلوَاحِدُ عَنِ ٱلآخَرِ حِينَ ٱلطَّلَبْ

وَكَذَلِكَ بِٱلجَسَدِ ٱلنُّفُوسُ وَٱلأَرْوَاحْ   لَا تَسْتَغْنِي ٱلوَاحِدَةُ عَنِ ٱلأُخْرَى بِٱلأَشْبَاحْ

رُوِيَ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : " لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسَانِ أَحَدُهُمَا نَفْسُ ٱلعَقْلِ ٱلَّذِي يَكُونُ بِهِ ٱلتَّمْيِيزُ وَٱلأُخْرَى نَفْسُ ٱلرُّوحِ ٱلَّذِي بِهِ ٱلحَيَاةُ " (إحياء علوم الدين ج٣ ص٦٨٩) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا نَامَ ٱلإِنْسَانُ   قَبَضَ نَفْسَهُ رَبُّنَا ﷻ ٱلمَلِكُ ٱلدَّيَّانُ

وَيَبْقَى ٱلنَّائِمُ يَتَنَفَّسُ دَلِيلَ حَيَاتِهِ   وَهَـٰذَا دَلِيلٌ أَنَّ ٱلرُّوحَ بَاقِيَةٌ بِذَاتِهِ

لَا يَقْبِضُ رُوحَهُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ   إِلَّا عِنْدَ ٱلمَوْتِ وَهَـٰذِهِ إِرَادَتُهُ وَمُرَادُهُ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر ٤٢)

فَٱلنَّفسُ لَهَا وَظَائِفُ وَعَلاقَاتٌ بِٱلأَعمَالِ وَٱلرُّوحُ يَصعُبُ مَعرِفَتُهَا بِهَذَا ٱلمَجَالِ
ٱلإِسلَامُ قَدِ ٱهتَمَّ بِٱلنَّفسِ وَإِصلَاحِهَا فَعَلَينَا مُجَاهَدَتُهَا لِلوُصُولِ إِلَى فَلَاحِهَا

مُجَاهَدَةُ ٱلنَّفسِ

أَشَدُّ ٱلمُجَاهَدَاتِ وَأَقوَاهَا لِلسَّالِكِ ٱلمُجَاهِدِ مُحَارَبَةُ عَوَارِضَ وَحَوَادِثَ تَعرِضُ لِلعَابِدِ
أَوَّلُهَا عَوَارِضُ وَخَوَاطِرُ ٱلنَّفسِ ٱلأَمَّارَةْ ٱلمُحَبِّبَةِ لِصَاحِبِهَا ٱلغَفَلَاتِ وَٱلشَّهَوَاتِ وَٱلخَسَارَةْ
حَيثُ تَأبَى تَذَوُّقَ ٱلأَلَمِ وَٱلأَوجَاعْ وَتُحِبُّ ٱلضَّرَرَ وَتُبغِضُ لِصَاحِبِهَا ٱلِٱنتِفَاعْ
تَشتَغِلُ دَائِمًا بِٱلتَّحرِيضِ وَطَلَبِ ٱلمَلَذَّاتِ لَا تَتعَبُ وَلَا تَمَلُّ مِن هَٰذِهِ ٱلحَيَاةِ
تُبغِضُ ٱلعِبَادَةَ وَٱلطَّاعَاتِ وَٱلأَذكَارَ وَتَكرَهُ ٱلتَّهَجُّدَ وَٱلتَّسبِيحَ وَٱلِٱستِغفَارَ
تِلكَ ٱلنَّفسُ ٱلمَرِيضَةُ ٱلغَافِلَةُ ٱلعَلِيلَةْ تُوصِلُ صَاحِبَهَا لِمَرَاتِبَ مُهِينَةٍ وَذَلِيلَةْ
يُقَالُ لَهَا بِٱلطَّرِيقِ: ٱلنَّفسُ ٱلأَمَّارَةْ دَوَاؤُهَا ٱلقَهرُ بِٱلرَّابِطَةِ بِكُلِّ جَسَارَةْ
بِمُسَانَدَةِ مُرشِدٍ كَامِلٍ مُرَبٍّ وَاصِلْ مُطَّلِعٍ عَلَى أَعمَالِهَا وَمَا مِنهَا حَاصِلْ
فَلَهَا عِندَهُ عَقَاقِيرُ تُؤَدِّبُ عُنفُوَانَهَا لِتَبدِيلِ مَسلَكِهَا وَتَنظِيفِ شَأنِهَا
وَٱلإِنسَانُ ضَعِيفٌ عَاجِزٌ لَا يَستَطِيعُ دَفعَهَا أَمَّا ٱلمُرَبِّي فَهُوَ خَبِيرٌ فِي تَهذِيبِهَا
لِأَنَّ لَهَا سُلُطَاتٍ قَوِيَّةً مُرعِبَةْ وَمُعَانَدَتُهَا بِلَا مُسَاعَدَةٍ حَالَةٌ مُتعِبَةْ
كَم أَوصَلَتِ ٱلمَدرَسَةُ ٱلمُحَمَّدِيَّةُ مِن أَصحَابِ إِلَى ٱلنَّفسِ ٱلرَّاضِيَةِ ٱلمَرضِيَّةِ بِهَذَا ٱلبَابِ
بَعدَ أَن قَطَعُوا ٱللَّوَّامَةَ وَٱلمُطمَئِنَّةْ حَتَّى أَصبَحُوا بِهِمَّةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَهلًا لِلجَنَّةْ
أَشَدُّ عَذَابٍ لِلسَّالِكِ مُعَالَجَةُ ٱلنُّفُوسِ فَهِيَ خَطِيرَةٌ شِرِّيرَةٌ دَاهِيَةٌ كَٱلكَابُوسِ
لَا يَنجُو مِنهَا إِلَّا ٱلأَقَلُّ مِنَ ٱلقَلِيلْ وَلَا يَعلَمُ دَسَائِسَهَا ٱلغَافِلُ وَٱلعَلِيلْ
ٱلسَّالِكُ ٱلرَّاقِي يُطلِعُهُ ٱللهُ عَلَى حَقِيقَتِهَا فَلَا تَقدِرُ عَلَيهِ بِمَكرِهَا وَخِدَاعِهَا

وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَى مَا تَبُثُّهُ مِنْ خَوَاطِرِ مُضْنِيَةِ   فَيَصِلُ بِذَلِكَ إِلَى كَمَالِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلتَّزْكِيَةِ

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف ٥٣)   فَلِمُعَالَجَتِهَا عَلَيْنَا إِلَى ٱللهِ ٱللُّجُوءْ

قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٩)   ٱلْمُرْشِدُ ٱلْمُرَبِّي يُسَاعِدُ ٱلْمُرِيدَ فِي مُعَالَجَةِ هَوَاهَا

لِيَتَخَلَّصَ مِنْ رَذَائِلِ نَفْسِهِ ٱللَّوَّامَةِ   وَإِيصَالِهِ بِذِكْرِ ٱللهِ إِلَى طَرِيقِ ٱلسَّلَامَةِ

لِتَكُونَ بَعْدَهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً مُطْمَئِنَّةْ   فَمَنْ وُفِّقَ بِذَلِكَ فَتِلْكَ إِشَارَاتُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةْ

وَبِبَصِيرَتِهِ يُشَاهِدُ مَقَامَهَا بِٱلصُّدُورِ ٱلْمُنِيرَةْ   بِوَاسِطَةِ ٱلْكَشْفِ ٱلَّذِي يَعْرِفُ بِهِ ٱلسَّرِيرَةْ

فَصَاحِبُ ذَلِكَ ٱلْحَالِ ٱلرَّاقِي   لَهُ إِشَارَاتٌ عِرْفَانِيَّةٌ تَنْبَعُ كَٱلسَّوَاقِي

هَكَذَا يَشْرَبُ وَيَسْقِي ٱلْمُرْشِدُ ٱلْمُخْتَارُ   مِمَّا تَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَوْلَانَا ٱلْغَفَّارُ ﷻ

ٱلنَّفْسُ إِذَا . . .

ٱلنَّفْسُ إِذَا مُدِحَتْ بِكِبْرٍ ٱتَّسَخَتْ   وَإِذَا ذُمَّتْ لِإِرْضَاءِ رَبِّهَا ﷻ تَنَظَّفَتْ

وَإِذَا ٱسْتَعْلَتْ عَلَى ٱلْخَلْقِ مُقِتَتْ   وَإِذَا تَوَاضَعَتْ لِرَبِّهَا ﷻ رُفِعَتْ

وَإِذَا خَيَّمَ عَلَيْهَا ٱلْجَهْلُ ٱبْتُلِيَتْ   وَإِذَا تَلَوَّثَتْ بِٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَعَاصِي تَظَلَّمَتْ

وَإِذَا أَرَادَتِ ٱلْإِنْتِصَارَ لِذَاتِهَا ٱنْزَلَقَتْ   وَإِذَا سَلَّمَتْ لِرَبِّهَا ﷻ فَازَتْ وَٱنْتَصَرَتْ

وَإِذَا سَاقَ ٱللهُ إِلَيْهَا ٱلْخَيْرَ ٱبْتُلِيَتْ   وَإِذَا صَبَرَتْ عَلَيْهِ مُحْتَسِبَةً تَهَذَّبَتْ

وَٱلنَّفْسُ بِٱلشَّهَوَاتِ إِذَا ٱشْتَغَلَتْ   أُهِينَتْ عِنْدَ رَبِّهَا ﷻ ﷻ وَذُلَّتْ

تَعْظُمُ ٱلنَّفْسُ إِذَا رَبَّهَا ذَكَرَتْ   فَكَمْ نَفْسٍ بِذِكْرِ مَوْلَاهَا تَنَوَّرَتْ

فَمَا أَعْظَمَ ٱلنَّفْسَ إِذَا لِلْقَضَاءِ سَلَّمَتْ   وَمَا أَرْقَاهَا إِذَا بِٱلْبَلَاءِ رَضِيَتْ

كَمْ مِنْ نَفْسٍ ٱسْتَعْلَتْ وَأَنْكَرَتْ   أَمَرَتْ بِٱلسُّوءِ وَغَيْرَهَا ظَلَمَتْ

فَعَلَيْهَا بِٱلتَّوْبَةِ وَإِلَّا فَٱلنَّارُ أُعِدَّتْ   لَهَا وَبِٱلسَّلَاسِلِ وَٱلْأَغْلَالِ رُبِطَتْ وَشُدَّتْ

يَوْمَهَا تُعَانِي مَا فِي ٱلشَّبَابِ قَدَّمَتْ   وَتَجِدُ كُلَّ مَا فِي شَيْخُوخَتِهَا أَخَّرَتْ

مُحَارَبَةُ ٱلنَّفْسِ

لَا بُدَّ مِنَ ٱلتَّشْمِيرِ عَنْ سَاقِ ٱلجِدِّ بِٱلمُجَاهَدَةِ ... وَتَحَمُّلِ ٱلمَشَاقِ لِلشِّفَاءِ وَقَلْعِ عُرُوقِ ٱلمُعَانَدَةِ

وَتَفَكُّرِ ٱلمُرِيدِ بِقَلْبِهِ بِٱلآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا ... ٱلمُؤَبَّدِ وَٱلمَنَازِلِ ٱلرَّفِيعَةِ وَٱلإِقَامَةِ فِيهَا

فَيُحْضِرُ بِخَاطِرِهِ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَمَا فِيهَا ... مِنَ آلَامٍ وَأَوْجَاعٍ وَعَذَابٍ وَأَهْوَالٍ تَلِيهَا

فَيَسْتَحْقِرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِٱلخَلْقِ وَٱلحَيَاةِ ... وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا عَاشَ فَصَائِرٌ إِلَى ٱلمَمَاتِ

فَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ لِلطَّاعَةِ وَيَسْتَوْحِشُ مِنَ ٱلخَلْقِ ... وَيَسْتَحْقِرُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْعَدُ بِٱسْتِئْنَاسِ ٱلحَقِّ

قَالَ ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد ١١)

عَلَى ٱلعَبْدِ ٱلصَّادِقِ ٱلتَّوْبَةُ وَٱلمُجَاهَدَةْ ... وَمِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ حُسْنُ ٱلهِدَايَةْ

لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْ مُحَارَبَةِ هَيَجَانِ ٱلرَّغْبَةِ ... وَسَائِرِ مَا فِيهَا مِنْ مَعَاصٍ مُرْعِبَةِ

مِثْلِ ٱلرِّيَاءِ وَٱلهَيَجَانِ إِلَى ٱلفَوَاحِشِ ٱلكَثِيرَةْ ... وَٱسْتِيلَاءِ ٱلشَّهْوَةِ ٱلَّتِي بِٱلنَّفْسِ مُبَعْثَرَةْ

وَعَلَيْهِ إِطْفَاءُ آفَةِ ٱلغَضَبِ لِغَيْرِ ٱلدِّينْ ... وَيُشْغِلُ قَلْبَهُ وَلَطَائِفَهُ بِذِكْرِ رَبِّ ٱلعَالَمِينْ

وَيَطْرُدُ حَلَاوَةَ ٱلشَّهْوَةِ ٱلمُحَرَّمَةِ ٱلمُهْلِكَةِ ... وَيَمْلَأُ قَلْبَهُ بِٱلخَوْفِ مِنَ ٱلمَسَالِكِ ٱلمُتْعِبَةِ

وَلَا يَجْعَلُ هَوَاهُ يَغْلِبُ عَقْلَهُ ... وَيَتَشَاغَلُ بِذِكْرِ اللهِ بِقَلْبِهِ وَفِكْرِهْ

وَذَمِّ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتِرْجَاعِ أَحْوَالِ ٱلآخِرَةِ ... وَٱلِٱسْتِضَاءَةِ بِنُورِ ٱلقُرْآنِ وَآيَاتِهِ ٱلمُنَوِّرَةِ

فَيَرُدُّ ٱللهُ عَنْهُ كَيْدَ ٱلشَّيَاطِينِ وَٱلتَّخَيُّلَاتِ ... ٱلمُهَيِّجَةِ لِلرِّيَاءِ وَٱلمَيْلِ لِعَوَارِضِ ٱلشَّهَوَاتِ

فَلَا يُبَالِي بَعْدَهَا بِخَوَاطِرِ ٱلوَسْوَسَةِ ... ٱلمُصِيبَةِ لِلْقُلُوبِ ٱلغَافِلَةِ ٱلمَيْتَةِ ٱلمُنْتَكِسَةِ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ (طه ١١٧ - ١١٩)

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلدُّنْيَا مَنْبَعُ ٱلْمِحَنِ وَهِيَ مَلِيئَةٌ بِٱلشَّهَوَاتِ وَسَائِرِ ٱلْفِتَنِ

عَلَيْنَا إِعْدَادُ أَنْفُسِنَا لِمُحَارَبَتِهَا بِٱلطَّاعَاتِ فَلَا نَصْرَ إِلَّا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصِّدْقِ وَٱلْمُجَاهَدَاتِ

عَلَيْنَا ٱلْحَذَرُ مِنَ ٱلنَّفْسِ وَٱلْأَعْدَاءِ وَلَا نُطِيعْ إِلَّا مَا أَمَرَ بِهِ ٱللهُ ﷻ وَٱلنَّبِيُّ ٱلشَّفِيعْ ﷺ

قَالَ ﷻ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ (الأنفال ٦٠)

ٱلطَّيْشُ وَٱلْإِهْمَالُ مِنْ جُنْدِ ٱلشَّيْطَانِ يُعَرِّضُ ٱلنَّفْسَ لِلنَّارِ ٱلْمُحْرِقَةِ وَٱلْخُسْرَانِ

وَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلْأَسْبَابَ وَسَائِطُ مُسَخَّرَةْ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ فَذَلِكَ هُوَ ٱلْمَفْخَرَةْ

ٱلنَّهْيُ عَنْ مَدْحِ ٱلنَّفْسِ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (النجم ٣٢)

مِنْ عَجِيبِ مَا قَرَأْنَاهُ بِبَعْضِ ٱلْكُتُبْ تَعْظِيمُ وَتَزْكِيَةُ مَنْ يُقَالُ لَهُ قُطْبْ

قُطْبُ ٱلشَّرِيعَةِ وَٱلْعَقِيدَةِ ٱلْجَدِيدَةِ وَقُدْوَةُ ٱلْمُحَقِّقِينَ وَعُمْدَةُ ٱلْمُدَقِّقِينَ ٱلْمُجِيدَةِ

وَصَدْرُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْعَامِلِينَ ٱلتَّقِيُّ ٱلزَّاهِدُ صَاحِبُ ٱلْمَوَاهِبِ ٱلْجَلِيلَةِ ٱلْفَاضِلُ ٱلْعَابِدُ

وَمَا هِيَ إِلَّا أَلْقَابٌ يُطْلِقُونَهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِقَصْدِ تَزْكِيَتِهَا وَلَا تُطَابِقُ أَبَدًا أَعْمَالَهُمْ

فَٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي يُعْطِي ٱلْأَلْقَابْ يَمْنَحُ مَا يَشَاءُ لِلْحَدَّادِ أَوِ ٱلْعَالِمِ أَوِ ٱلْحَطَّابْ

لَا أَحَدَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ﷺ لَقَّبَ نَفْسَهُ لَقَبَ تَعْرِيفِ وَلَا ٱلصَّحَابَةُ ﭫ عَظَّمُوا أَسْمَاءَهُمْ بِٱلتَّشْرِيفِ

كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ ٱلْمُهَنْدِسِينَ بِهَذَا ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي ظَهَرَ فِيهِ عَلَامَاتُ ٱلْغَضَبِ وَٱلْمَقْتِ

فَٱلْعِلْمُ بَحْرٌ قَاعُهُ خَطِيرْ يَنَالُ مِنْهُ مَنْ رَزَقَهُ ٱللهُ تَعَالَى ٱلْقَدِيرْ

وَفِي ٱلْخَبَرِ: " إِنَّ مِنْ خِيَارِ أُمَّتِي قَوْمًا يَضْحَكُونَ جَهْرًا مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ ٱللهِ، وَيَبْكُونَ سِرًّا مِنْ خَوْفِ عَذَابِهِ، أَبْدَانُهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَقُلُوبُهُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ، أَرْوَاحُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَعُقُولُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ... " (إحياء علوم الدين ج ١ ص ٧٥)

تَظْهَرُ لِلْعَارِفِينَ ٱلْأَلْقَابُ بِلَوْحٍ رُوحَانِيّ يَظْهَرُ مَقَامُ صَاحِبِهِ بِخَطٍّ نُورَانِيّ

المُرِيدُ الْمَرِيضُ وَكَشْفُ أَحْوَالِ الصِّيدِ

لَقَدْ أَخْفَى اللهُ أَحْوَالَ الرِّجَالِ ... فَجَعَلَ صُدُورَهُمْ مُزَكَّاةً وَأَهْلَ هِمَّةٍ وَكَمَالِ

وَمَنَعَ فَضْحَهَا وَالتَّكَلُّمَ بِمَا فِيهَا ... لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْرَارِ مَعَانِيهَا

فَالْبَعْضُ قَدْ يَنَالُ كَشْفًا بَسِيطًا ... لِيَكُونَ لَهُ كَشَّافًا لِطَرِيقِهِ وَوَسِيطًا

فَيَقْفِزُ بِهِ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِ ... وَيَفْضَحُ مَا سَتَرَهُ اللهُ فَيُضْنِيهِ

فَيُخْبِرُ الْغُرَبَاءَ بِمَا فِي الصُّدُورْ ... وَيَقُولُ: فُلَانٌ قُطْبٌ، وَهَذَا مَنْظُورْ

فَيَقَعُ فِي "تَخْبِيصٍ" وَتَخْتَلِطُ عَلَيْهِ الْمَعَارِفْ ... فَتَنْهَلُّ الصَّوَاعِقُ عَلَى رُوحِهِ كَضَرْبِ الْمَجَارِفْ

لِأَنَّهُ غَيْرُ مُجَازٍ بِفَضْحِ مَا حَجَبَهُ السَّتَّارْ ... وَلَيْسَ بِكَامِلٍ لِيَعْرِفَ التَّعَامُلَ مَعَ الْأَسْرَارْ

فَهَذِهِ هِيَ حِرْفَةُ الْأَوْلِيَاءِ ﵃ الْكُمَّلْ ... مَنْ أَكْثَرُهُمْ بِالتَّجَلِّي قَدْ تَحَمَّلْ

فَمَنْ يَفْضَحُ مَا سَتَرَهُ رَبُّنَا ﷻ بِالْعُلَا ... يُصَابُ بِالْفَقْرِ وَالْمَذَلَّةِ وَيُبْتَلَى

وَالْبَعْضُ قَدْ يَسْتَعْمِلُ كَشْفَهُ لِلِاطِّلَاعْ ... فَيُوقِفُ قَلْبَ السَّالِكِ بِتِلْكَ الْأَوْضَاعْ

فَيَدْخُلُ بِأَنْظَارِهِ إِلَى قَلْبِهِ فَيَجْرَحُهُ ... ثُمَّ يَعْرِضُ لِأَصْحَابِهِ مَا شَاهَدَهُ وَيَشْرَحُهُ

فَيَضُرُّ نَفْسَهُ وَيُبْعِدُهَا عَنِ الْعِلَاجْ ... وَيَضُرُّ السَّالِكَ وَيُصِيبُ صَدْرَهُ بِانْزِعَاجْ

كَأَنَّهُ بِفِعْلَتِهِ يُرِيدُ إِيقَافَ الذِّكْرِ ... وَتَعْطِيلَ صُورَةِ الرَّابِطَةِ بِالْفِكْرِ

مَنْ أَحَبَّ فِعْلَ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ وَالْمَوَاضِيعِ ... عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْجُنُونِ وَالْوَسْوَاسِ الْمُرِيعِ

فَمَنْ يُكَاشِفُ مَعَ ضَعْفِهِ رُقِيَّ الْمَقَامَاتْ ... تُصِبْهُ هَوَاجِسُ مُزْعِجَةٌ وَآفَاتْ

وَالْبَعْضُ يَدَّعِي تَحْضِيرَ نُورَانِيَّةِ الرَّابِطَةِ ... وَالتَّعَامُلَ مَعَهَا بِخَيَالَاتٍ مَوْهُومَةٍ هَابِطَةِ

وَيَسْأَلُهَا بِجِدٍّ عَنْ حَوَادِثَ دُنْيَوِيَّةْ ... فَهَذِهِ أُمُورٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ وَخَيَالِيَّةْ

فَالرَّابِطَةُ لَا يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَ مَنْظَرِ جَمَالِهَا ... إِلَّا مَنْ تَوَلَّاهُ اللهُ وَدَخَلَ بِكَمَالِهَا

فَإِذَا ظَهَرَتْ عَلَىٰ كَشَّافِ ٱلْبَصَائِرِ تُذْهِلِ ٱلْعُقُولَ وَأَهْلَ ٱلسَّرَائِرِ
وَإِذَا نَطَقَتْ بِبَعْضِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ تُذْهِلُ ٱلْمَسَامِعَ مِنَ ٱلْأَضْوَاءِ ٱلنُّورَانِيَّةِ
فَتُصْبِحُ ٱلْقُلُوبُ صَامِتَةً مُتَحَيِّرَةً مَرْهُوبَةً وَتَرْتَجِفُ ٱلْأَعْضَاءُ فَتَقَعُ فِي أُعْجُوبَةٍ
فَنَنْصَحُ بِتَرْكِ ٱلْبَحْثِ فِي صُدُورِ أَحْبَابِ ٱلْبَدِيعِ خَوْفًا مِنَ ٱلْإِصَابَةِ بِهَذَا ٱلْمَسْلَكِ ٱلشَّنِيعِ
لِأَنَّ ٱللهَ يَنْتَقِمُ مِمَّنْ يُضَايِقُ أَحْبَابَهُ كَمْ مِنْ مُتَعَدٍّ عَلَى أَحْوَالِهِمْ رَبُّنَا أَصَابَهُ
فَلَا يَظُنَّنَّ بِأَفْعَالِهِ أَنَّهَا مُفِيدَةٌ بَلْ تُسَبِّبُ لِلنُّفُوسِ ٱلْأَضْرَارَ ٱلشَّدِيدَةَ
فَٱلْخَائِفُ مِنْ رَبِّهِ لِنَفْسِهِ فَلْيُحَارِبْ وَلْيَسْأَلْ عَنِ ٱلْبَلَاءِ أَهْلَ ٱلتَّجَارِبْ
وَنَسْأَلُ ٱلْمُدَّعِي لِلرَّابِطَةِ ٱلْخَفَّاقَةِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ هَلْ قَطَعَ ٱلْأَذْكَارَ بِٱللَّطَائِفِ ٱلسَّبْعَةِ
وَنَالَ ٱلتَّجَلِّي وَٱلْبَرْقَ ٱللَّامِعَ وَقَطَعَ أَشْوَاطَ ٱلسُّلُوكِ وَنَالَ ٱلْمَنَافِعَ
مِثْلَ ذِكْرِ ٱلْقَلْبِ وَٱلرُّوحِ وَذِكْرِ ٱلْكُلِّ وَذِكْرِ نَفْسٍ وَسِرٍّ وَخَفِيٍّ وَأَخْفَى مُسْتَقِلِّ
فَهَذِهِ لَطَائِفُ نُورَانِيَّةٌ ذَاكِرَةٌ بِٱلْإِنْسَانِ لَا تَشْتَغِلُ إِلَّا بِأَمْدَادِ فَيْضِ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْكَشْفِ وَٱلْحَاسَّةِ ٱلسَّادِسَةِ

هُنَالِكَ مُعَانِدُونَ يَرْفُضُونَ ٱلْحَقَّ وَيُبَدِّلُونَ ٱسْمَ ٱلْعَطَاءِ حَتَّى عَنْهُ يَنْشَقّ
وَيَبْتَعِدُ ٱلْقَابِلُونَ لِلْإِيمَانِ بِٱلْعِرْفَانِ فَيُحَوِّرُونَ حَقِيقَتَهُ بِمُسَاعَدَةِ ٱلشَّيْطَانِ
حِينَ سَمَاعِهِمْ بِكَشْفٍ لِمُؤْمِنٍ ظَهَرَ يُلَقِّبُونَهُ بِٱلْحَاسَّةِ ٱلسَّادِسَةِ كَمَا ٱشْتَهَرَ
هَؤُلَاءِ يَرْفُضُونَ قَبُولَ ٱلْحَقِّ بِأَنْوَاعِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْرَهُهُ وَيُقْفِلُ أَسْمَاعَهُ
فَٱلْحَاسَّةُ ٱلسَّادِسَةُ هِيَ لَقَبٌ جَدِيدٌ ٱبْتَكَرَهُ ٱلْأَطِبَّاءُ وَلَيْسَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ ٱلْمَجِيدْ
فَٱلذَّوْقُ وَٱلشَّمُّ وَٱلسَّمْعُ وَٱللَّمْسُ وَٱلْبَصَرْ خَمْسُ حَوَاسٍّ عَنْهَا ٱلْإِسْلَامُ وَٱلْعِلْمُ أَخْبَرْ
مِنْ أَيْنَ أَتَوْا بِٱلْحَاسَّةِ ٱلسَّادِسَةِ فَزَادُوا عَلَى ٱلْحَوَاسِّ ٱلْبَشَرِيَّةِ وَاحِدَةْ
فَٱلْحَالَةُ ٱلَّتِي يَزْعُمُ ٱلْأَطِبَّاءُ أَنَّهَا حَاسَّةٌ سَادِسَةْ مَرَضٌ أَصَابَ عَقْلَ ٱلْإِنْسَانِ وَأَعْصَابَهْ

فَيَخْـرَبُ ٱلتَّـوَازُنَ وَٱلحَالَـةَ ٱلْبَاطِنِيَّـةْ ... لِأَنَّ أَجْهِزَتَـهُ غَيْرُ مُهَيَّـأَةٍ لِلْقَابِلِيَّـةْ

وَتَجْرِي فِيهَـا لِلْعِبَـادِ خَـوَاطِرُ ظَنِّيَّـةْ ... فِي أَعْصَـابِ ٱلْمَـرْءِ وَمُخَيِّلَتِـهِ ٱلْبَاطِنِيَّـةْ

وَتَخْتَلِطُ صُوَرُ ٱلْحَوَادِثِ وَتَتَوَلَّدُ عَـوَارِضْ ... وَيَتَـدَخَّلُ خَـاطِرُ ٱلشَّـيْطَانِ ٱلْمَـارِدْ

وَيُلْقِي عَلَـى ٱلْحَـوَاسِّ هَمَـزَاتٍ وَلَمَـزَاتِ ... فَيَتَخَيَّـلُ ٱلْإِنْسَـانُ حَـوَادِثَ وَإِشَـارَاتِ

فَيَتَعَرَّضُ لِمُشَاهَدَةِ حَوَادِثَ يَتْبَعُهَا أَمْرَاضْ ... وَعَوَارِضُ وَمُشَاهَدَةٌ لِأَشْبَاحٍ بِـلَا ٱعْتِرَاضْ

فَتُصِـيبُ ٱلْجِهَـازَ ٱلْفِكْـرِيَّ وَتُرْدِيـهِ ... بِعَكْسِ ٱلْكَشْفِ ٱلَّذِي يَدْعَمُ ٱلْفِكْرَ وَيُقَوِّيهِ

فَزَعَمُـوا لِقِلَّـةِ عِلْمِهِـمْ أَنَّهَـا حَاسَّـةْ ... وَخَفِـيَ عَـنْهُمْ أَنَّهَـا بِـٱلْجِنِّ مُلْتَبِسَـةْ

فَيُوجَـدُ تَفَـاوُتٌ شَاسِـعٌ بَـيْنَ ٱلْحَاسَّـةِ ... ٱلسَّادِسَةِ وَبَيْنَ ٱلْكُشُوفَاتِ ٱلنُّورَانِيَّةِ ٱلْمُتَعَارَفَـةِ

أَهْـلُ ٱلْمَعْرِفَـةِ لَهُـمْ عَـيْنُ ٱلْمُشَـاهَدَةِ ... تُقَرِّبُ صُوَرَ ٱلْعِرْفَانِ لِلصُّوفِيِّ كَمُسَاعَدَةِ

تَنْمُـو وَتَظْهَـرُ عَلَـى جَـبِينِ ٱلْمُسْـتَفِيدِ ... مَشْهُورَةٌ بِعَيْنِ ٱلْمَعْرِفَـةِ لِكَشَّـافٍ جَدِيـدِ

فَٱلْكَشْفُ لَـيْسَ بِحَاسَّـةٍ سَادِسَـةٍ مُفْجِعَـةْ ... بَلْ أَنْوَارٌ تَجْرِي عَلَـى ٱلْأَبْصَـارِ مُتَتَابِعَـةْ

إِذَا حَلَّـتْ بِٱلْبَصَـرِ تَكْشِـفُ حُجُبَـهُ ... فَيُشَـاهِدُ عَالَمًـا رَاقِيَـةً مَرَاتِبُـهُ

هُـوَ عَـالَمُ ٱلْعِرْفَـانِ ٱلنُّـورَانِيِّ وَٱلْبَرَكَـةِ ... وَإِذَا حَـلَّ ٱلنُّـورُ بِـٱلْحَوَاسِّ ٱلْمُشْـتَرَكَةِ

تَنْكَشِـفُ لَـهُ عَـوَالِمُ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَـةْ ... فَيَقُـولُ ٱلْمُنْكِـرُونَ عَنْهَـا حَاسَّـةٌ مُرَوِّعَـةْ

أَمَّا ٱلْكَشْفُ إِذَا حَلَّ نُورُهُ عَلَـى ٱلسَّمْعْ ... فَيَتَـذَوَّقُ مَـا فَـوْقَ ٱلْمَسْـمُوعِ وَمَـا لَمَـعْ

وَإِذَا حَـلَّ نُـورُهُ عَلَـى ٱللِّسَـانِ ... فَيَتَفَجَّرُ لِسَانُهُ بِـٱلْحِكَمِ وَٱلْخَوَارِقِ وَٱلْعِرْفَانِ

كُلُّ شَيْءٍ بِٱلْإِسْلَامِ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ ٱلْقُلُوبْ ... يَطْعَـنُ فِيـهِ ٱلْكَفَـرَةُ بِـأَيِّ أُسْلُوبْ

فَمُعْجِـزَةُ ٱلنَّـبِيِّ مُحَمَّـدٍ ﷺ قَـدْ كَـذَّبُوهَا ... وَٱلْكُشُوفَاتُ بِٱلْحَاسَّـةِ ٱلسَّادِسَـةِ لَقَّبُوهَـا

فَٱحْذَرُوا مِنْهُمْ وَمِـنَ ٱللَّعِـبِ بِٱلِٱعْتِقَـادْ ... وَحَافِظُوا عَلَى ٱلْفِكْرِ لِئَلَّا يَنْحَازَ إِلَيْهِمْ وَيَنْقَادْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: **"مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ: عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دِينِهِ"**. (إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٤٤)

التَّسَلُّلُ بِالْكَشْفِ الْمُضِرِّ لِلْقُلُوبِ

الْكَشْفُ عَلَى عِدَّةِ أَنْوَاعٍ وَأَدْرَاجْ ... كَشْفٌ رُوحَانِيٌّ وَكَاذِبٌ وَاسْتِدْرَاجْ

كَشْفُ الاسْتِدْرَاجِ يُمْتَحَنُ فِيهِ الْمُرِيدْ ... فَإِذَا نَجَى يُتَابِعُ الطَّرِيقَ السَّعِيدْ

وَكَشْفُ ضَلَالٍ لِلضَّرَرِ وَالْأَذِيَّةِ وَهُوَ ظُلْمَانِيّْ ... يَنْخَرِطُ فِيهِ كُلُّ عِفْرِيتٍ شَيْطَانِيّْ

يُسَبِّبُ كَشْفُهُ لِظَاهِرِ الصُّدُورِ الضَّرَرْ ... وَأَذًى وَوَسَاوِسَ وَيَزِيغُ مِنْهُ الْبَصَرْ

وَقَدْ يَحْمِلُ الْمُصَابُ مِنَ الْأَثْقَالِ مَا لَا يُطِيقْ ... فَفِيهِ خُبْثٌ عَجِيبٌ لِيَكْرَهَ مُتَابَعَةَ الطَّرِيقْ

يَجْرَحُ لَهُ فُؤَادَهُ الصَّدْرِيَّ وَيُدْمِيهِ ... يُرِيدُ أَنْ يُبْعِدَهُ عَنْ مَقْصِدِهِ وَيُعْمِيهِ

فَتَمُرُّ عَلَيْهِ أَهْوَالٌ مُرْعِبَةٌ مُضْنِيَةْ ... وَالْمُرْشِدُ يُرَاقِبُ وَيَمُدُّ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ الْخَفِيَّةْ

فَيُهَرْوِلُ السَّالِكُ إِلَى مُرْشِدِهِ وَيَقْصِدُهُ ... فَيَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ بِهِمَّةٍ نُورَانِيَّةٍ وَيُضَمِّدُهُ

فَيَنَالُ مَرَاتِبَ عَلَى صَبْرِهِ مَعَ الْعِلَاجْ ... وَيَتَرَقَّى فِي مَقَامِهِ وَيَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْمِزَاجْ

هُنَالِكَ كَشْفُ الْقَصْدِ مِنْهُ حُبُّ الِاسْتِطْلَاعْ ... عِنْدَ بَعْضِ الْمُرِيدِينَ يُسَبِّبُ لَهُمُ الِانْقِطَاعْ

وَأَنَا أَعْتَبِرُهُ تَسَلُّلًا بِالْكَشْفِ إِلَى الْقُلُوبِ ... وَلِتَمْزِيقِ سَتْرِ السَّالِكِ وَهُوَ رَأْسُ الْعُيُوبِ

هُوَ عَاهَةُ الْمُرِيدِ الْغَافِلِ الْمُؤْذِي ... يُوصِلُهُ إِلَى طَرِيقٍ مَسْدُودٍ مُخْزِي

فَالتَّطَاوُلُ عَلَى قُلُوبِ السَّالِكِينَ الْكِبَارْ ... قِلَّةُ أَدَبٍ فِيهَا مَزَالِقُ وَأَخْطَارْ

السَّالِكُ يَخْجَلُ مِنَ الرَّدِّ عَلَى هَذَا الضَّرَرِ ... فَيَصْبِرُ عَلَى الْأَذِيَّةِ وَمَا فِيهَا مِنْ شَرَرِ

وَصَبْرُهُ عَلَى أَلَمِ هَذَا الْكَشْفِ يُرَقِّيهِ ... لِأَنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ رِفْعَتَهُ يَبْتَلِيهِ

الْمُكَاشَفَةُ لِلْمُبْتَدِئِينَ تَحْبِسُهُمْ عَنِ الْإِقْلَاعْ ... فَفِيهَا ضَرَرٌ لِأَخِيهِمُ الْمُسْلِمِ تُسَبِّبُ لَهُ الْأَوْجَاعْ

لِأَنَّ الْمُكَاشِفَ يَلْعَبُ بِأَجْهِزَةِ السَّالِكْ ... وَيُسَبِّبُ لَهُ مَتَاعِبَ وَإِرْهَاقًا وَمَهَالِكْ

فَيُشْغِلُ الذَّاكِرَ عَنْ مُتَابَعَةِ وِرْدِهِ ... وَيُضْعِفُ هِمَّتَهُ الصُّورِيَّةَ لِأَدَاءِ غَرَضِهِ

لِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الْمُكَاشِفِ ذَبْذَبَاتْ ... مَصْحُوبَةٌ بِشَظَايَا حَرَارِيَّةٍ مِنَ الْآفَاتْ

كَأَنَّمَا يَشُقُّ ٱلْمُكَاشِفُ لِلْمُرِيدِ صَدْرَهُ   فَيَقْطَعُ رَابِطَةَ مَعْنَوِيَّاتِهِ وَيُعَرْقِلُ سَيْرَهُ

فَيُصْبِحُ ٱلْمُرِيدُ عَلِيلاً مُصَابًا غَافِلاً   كَأَنَّهُ فِي ٱلنَّزْعِ ٱلْأَخِيرِ يَنْتَظِرُ ٱلْغَاسِلَا

فَيَشْعُرُ بِحَرَارَةٍ وَغَلَيَانٍ قَلْبِيٍّ مَرِيرٍ   وَضَيَاعِ قِسْمٍ مِنَ ٱلذَّاكِرَةِ لِوَقْتٍ قَصِيرٍ

فَإِذَا كَانَ مَعَ فُلَانٍ مَشْغُولاً بِٱلْكَلَامِ   تَرَاهُ صَمَتَ فَجْأَةً وَنَسِيَ مَا فِي ٱلْأَفْهَامِ

فَٱلْمُكَاشِفُ يُوقِفُ لَهُ دَائِرَةَ مَعْلُومَاتِهِ   ٱلَّتِي يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا ٱلْمُرِيدُ كَلِمَاتِهِ

فَيَشْعُرُ بِٱشْتِعَالٍ بِٱلرَّأْسِ وَحَرَارَةٍ بِٱلرَّقَبَةِ   مِنْ تِلْكَ ٱلْمُكَاشَفَةِ ٱلْمَكَّارَةِ غَيْرِ ٱلْمُرْتَقَبَةِ

مَعَ ثِقَلٍ وَٱنْحِطَاطٍ وَقَبْضٍ وَضِيقٍ   كَأَنَّهُ يَخْتَنِقُ مِنْ دُخَانِ ذَلِكَ ٱلْحَرِيقِ

وَتَنْحَجِبُ مَعْلُومَاتُهُ ٱللِّسَانِيَّةُ وَٱلْفِكْرِيَّةْ   إِلَى أَنْ يَسْتَرْجِعَ حَالَتَهُ ٱلْقَلْبِيَّةْ

هَذَا حَالُ مَنْ كَانَ مَحْبُوسًا عَنْهُ ٱلتَّصَرُّفْ   فِي ٱلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ بِدُسْتُورِ ٱلتَّصَوُّفْ

أَمَّا مَنْ رَزَقَهُ ٱللهُ قُوَّةً بِٱلدِّفَاعَاتِ   فَيَتَصَرَّفُ بِحَسَبِ مَرْتَبَتِهِ بِهَذِهِ ٱلْوَقَعَاتِ

فَقَدْ يَدْفَعُهَا بَعْدَ كَشْفِ مَصْدَرِ ٱلْمُكَاشَفَةِ   وَٱلْبَعْضُ يُغَادِرُ وَيَفِرُّ مِنْ هَذِهِ ٱلْكُلْفَةِ

تَصَرُّفُ ٱلسَّالِكِينَ وَٱلْمُرِيدِينَ يَكُونُ بِحَسَبِ ٱلْمَقَامْ   لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا ٱلْأَوْلِيَاءُ ٱلْكُمَّلُ ٱلْعِظَامْ

يَكْرَهُ ٱلسَّالِكُ مُرَافَقَةَ ٱلْمُكَاشِفِ وَصُحْبَتَهُ   لِأَنَّهُ مَعَهُ يَشْعُرُ أَنَّهُ صَارَ فَرِيسَتَهُ

فَٱلْمُكَاشِفُ لَا يَتْرُكُ ٱلسَّالِكَ مُرْتَاحَ ٱلرُّوحْ   فِي مُجَالَسَتِهِ فَصُحْبَتُهُ تُسَبِّبُ لَهُ ٱلْجُرُوحْ

فَيَرْفُضُ ٱلسَّالِكُ عِشْرَتَهُ وَلَا يُطِيقْ   مُرَافَقَتَهُ وَٱلتَّقَرُّبَ مِنْهُ بِهَذَا ٱلطَّرِيقْ

يَخْتَرِقُ ٱلْمُكَاشِفُ أُمُورًا رُوحَانِيَّةً ثَمِينَةْ   فَتَكْثُرُ أَذِيَّتُهُ وَأَضْرَارُهُ ٱلْمُرْهِقَةُ ٱلْمُهِينَةْ

ٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلْمُكَاشِفِ ٱلْكَامِلِ   وَٱلْمُكَاشِفِ ٱلْمُضِرِّ ٱلْمُؤْذِي ٱلْغَافِلِ

فَٱلْكَشْفُ يُسْتَعْمَلُ كَسِلَاحٍ ضِدَّ ٱلْأَعْدَاءِ   وَلَيْسَ لِتَمْزِيقِ صُدُورِ أَهْلِ ٱلصَّفَاءِ

كَمْ تَأَلَّمْنَا مِنْ كَشْفِ ٱلْحَسُودِ فِي بِيَارَةَ[1]   يَهْجُمُ بِعُيُونِهِ عَلَى ٱلصَّدْرِ وَيَشُنُّ غَارَةً

يَسْحَبُ ٱلْقَلْبَ مِنْ مَكَانِهِ لِيَقْرَأَ مَا فِيهِ   كَأَنَّهُ جَرِيدَةٌ يَوْمِيَّةٌ يُطَالِعُ فِيهَا خَبَرًا يُخْزِيهِ

يَفْتَحُ ٱلصَّدْرَ صُورِيًّا لِإِخْرَاجِ ٱلْمَعَارِفِ   وَكَأَنَّهُ يَخْلَعُ أَبْوَابًا مُقْفَلَةً بِٱلْجَارِفِ

(١) بيارة: قَرْيَةُ ٱلصُّوفِيَّةِ فِي إِيرَانَ.

فَتَقَعُ مُشَاجَرَةٌ بَيْنَ ٱلْمُكَاشِفِ وَٱلْمُرِيدِ — وَرُبَّمَا ضَرَبَهُ بِمَا بِقُرْبِهِ مِنْ شَيْءٍ حَدِيدِ

لِٱنْهِيَارِ أَعْصَابِ ٱلْمُرِيدِ وَضَيَاعِ سَيْطَرَتِهِ — فَيَفِرُّ ٱلْمُكَاشِفُ حَالًا مِنْ مِنْطَقَتِهِ

كَمْ شَكَى لِي مِنْ هَذِهِ ٱلْحَالَةِ ٱلْأَخُ مَعْرُوف[ح] — فَقَدْ كَانُوا يَضْطَادُونَهُ بِحَسَبِ ٱلظُّرُوفِ

أَرَادَ مَرَّةً ضَرْبَ أَحَدِهِمْ بِآلَةٍ حَادَّةٍ — وَهُوَ فِي بَيَارَةٍ عَلَى طَرَفِ ٱلْجَادَّةِ

وَقَدْ شَكَا ٱلْكَاتِبُ إِلَى مُرْشِدِهِ بَعْضَهُمْ — لِكَثْرَةِ مَا أَصَابَهُ مِنْ أَذَى أَفْعَالِهِمْ

كَانَ يَضَعُ ٱلْمُكَاشِفُ صَدْرَهُ عَلَى ٱلْجِدَارِ — ٱلَّذِي فِيهِ غُرْفَةُ ٱلْكَاتِبِ بِٱلدَّارِ

وَيُشَوِّشُ عَلَى خَاطِرِهِ بِكَشْفٍ يُرْسِلُ ذَبْذَبَاتِ — تُعَكِّرُ سُلُوكَ قَلْبِهِ مِنْ سَائِرِ ٱلْجِهَاتِ

فَنَصَحَ ٱلْمُرْشِدُ[١] ٱلْكَاتِبَ أَنْ يَصْبِرَ وَيُدَاوِمْ — عَلَى صَبْرِهِ وَهُوَ مَعَهُ يَرُدُّ أَذَاهُ وَيُقَاوِمْ

فَهَزَمَ ٱللهُ ٱلْمُكَاشِفَ وَفَرَّ وَٱنْدَحَرَ — بَعْدَ أَنْ رَمَى عَقَارِبَ سَامَّةً لِيُسَبِّبَ ٱلْخَطَرَ

وَقَتَلَ ٱلْكَاتِبُ مِنْهَا ثَلَاثَةَ عَقَارِبْ — وَٱنْهَزَمَ بِإِذْنِ ٱللهِ ذَلِكَ ٱلْفَاشِلُ ٱلْمُحَارِبْ

فَلْيَتَّقِ ٱلْمُكَاشِفُ ٱللهَ ٱللَّطِيفَ ٱلْخَبِيرْ — وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ غَارِقٌ بِعَمَلٍ خَطِيرْ

وَلَنْ يَنْتَفِعَ بِكَشْفِهِ ٱلْمُضِرِّ وَسَيَضِيعْ — وَيَنْقَطِعُ عَنْ بَرَكَاتِ ٱلرَّبِّ ٱلْبَدِيعْ

مَنْ لَمْ يُحْسِنِ ٱسْتِعْمَالَ كَشْفِهِ وَتَعَدَّى — فَسَيَجُرُّ عَلَيْهِ ٱلْبَلَاءَ فَيَهْوِي وَيَتَرَدَّى

مُكَاشَفَةُ ٱلصَّاحِبِ

عَلَى صَاحِبِ ٱلسَّالِكِ أَلَّا يُبَيِّتَ لَهُ نِيَّةْ — لِأَنَّ ٱلسَّالِكَ يَسْتَشْعِرُ بِبَاطِنِ ٱلْقَضِيَّةْ

كَأَنْ يَأْخُذَهُ بِقَصْدِ ٱلنُّزْهَةِ لِيَنْفَرِدَ بِٱلْمُكَاشَفَةِ — فَيَشْعُرَ ٱلسَّالِكُ بِمَا يَجْرِي لِأَنَّهُ كَٱلْمُدَافَشَةِ

فَيَنْفِرُ مِنْهُ قَلْبِيًّا وَيَكْرَهُ مُصَاحَبَتَهُ — وَلِلْإِصْلَاحِ يُحَاوِلُ بِٱلْبَاطِنِ مُعَاتَبَتَهُ

وَيَصْبِرُ عَلَيْهِ أَيَّامًا مَرِيرَةً طَوِيلَةْ — بَعْدَهَا يَنْفِرُ مِنْهُ وَمِنْ حَرَكَاتِهِ ٱلْعَلِيلَةْ

لِكَثْرَةِ مُحَاوَلَاتِهِ مُكَاشَفَةَ ٱلْأَعْمَاقْ — لِلِاطِّلَاعِ عَلَى مَا نَالَ ٱلسَّالِكُ مِنْ أَذْوَاقْ

(١) ٱلْمُرْشِدُ: أَيِ ٱلشَّيْخُ عُثْمَانُ سِرَاجُ ٱلدِّينِ .



طَلَبَ شَاهْ نَقْشَبَنْدْ مِنْ كُلِّ مُرِيدٍ يُعَلِّمُهْ ... إِذَا مَشَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَسْفَلِ قَدَمِهْ

لِأَنَّ أَضْرَارَ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلْحَرَامْ ... تُؤْذِي قَلْبَ ٱلْمُرِيدِ فَيُضَامْ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ بِٱلدَّرْبْ ... يُخَزَّنُ بِٱلذَّاكِرَةِ وَيُرَبِّيهِ ٱلْقَلْبْ

اَلْقَلْبُ مِرْآةُ ٱلْقَلْبِ يَعْكِسُ مَا رَآهُ ٱلْآخَرُ بِهِ ... فَلِذَلِكَ يَسْعَى ٱلْمُرِيدُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهِ

هَذِهِ أُمُورٌ قَدْ يَشْعُرُ بِهَا ٱلْبَعْضْ ... لِأَنَّ قَلْبَهُ صَافٍ فَيَشْعُرُ بِهَذَا ٱلْمَرَضْ

وَأَكْثَرُهَا أَضْرَارًا حِينَمَا يَخْرُجُ ٱلسَّالِكْ ... مِنْ خَلْوَتِهِ وَهُوَ لِشِدَّةِ صَفَائِهِ مَالِكْ

فَيَأْتِيهِ صَدِيقٌ غَافِلٌ وَيُلَازِمُهْ ... فَيَبْدُو وَكَأَنَّهُ أُصِيبَ بِطَلَقَاتٍ فِي عَزَائِمِهْ

لِمَا يَحْمِلُ قَلْبُ ٱلزَّائِرِ مِنْ صُوَرٍ مُتْعِبَةٍ ... تُعَكِّرُ صَفَاءَ ٱلسَّالِكِ بِطَرِيقَةٍ مُرْعِبَةٍ

فَيُسَبِّبُ لِقَلْبِهِ ٱلتَّجْرِيحَ وَٱلِٱنْتِفَاخْ ... لِأَنَّهُ نَقَلَ لَهُ أَحْوَالَهُ بِطَرِيقَةِ ٱلِٱسْتِنْسَاخْ

فَيَضِجُّ عَقْلُهُ وَيُصْبِحُ مُتَوَتِّرَ ٱلْأَعْصَابِ ... وَلَا يَتَحَمَّلُ كَلِمَةً مِنْ أَهْلِهِ أَوِ ٱلْأَصْحَابِ

لِأَنَّهُ أُصِيبَ بِتَصَادُمٍ رَهِيبٍ رُوحَانِيّ ... لَا يَتَحَمَّلُهُ قَلْبُ ٱلسَّالِكِ وَلَوْ لِثَوَانِي

فَيُحِسُّ بِمَا أُصِيبَ وَمِنْ أَيْنَ أَتَاهُ ... وَيَشْعُرُ بِعَارِضٍ مُؤْلِمٍ بَعِيدٍ مَدَاهُ

وَعِنْدَمَا يَعُودُ إِلَى نَفْسِهِ وَيَفِرُّ مِنْ جَلْسَتِهِ ... أَوْ يَطْلُبُ مِنَ ٱلزَّائِرِ مُغَادَرَةَ غُرْفَتِهِ

يَشْعُرُ بِأَلَمٍ وَكَأَنَّهُ أَلَمُ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ ... وَٱلْقَلِيلُ مَنْ يَعْرِفُ مَا نَشْرَحُهُ بِهَذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ

فَٱلنَّظَرُ يَنْقُلُ إِلَى ٱلْقَلْبِ ٱلصُّوَرْ ... وَهُوَ بَرِيدُ ٱلْقَلْبِ بِهَذَا ٱلْخُوَزْ

بَعْضُ ٱلصُّوفِيَّةِ يَمْشِي وَيُغْلِقُ عُيُونَهُ ... فَيَقُودُهُ شَخْصٌ وَهُوَ يَجْهَلُ فُنُونَهُ

يَفْعَلُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ صُوَرِ ٱلنَّاسِ ... ٱلَّتِي تُخَزَّنُ فِي قَلْبِهِ وَتَتَمَكَّنُ كَٱلْإِحْسَاسِ

لِأَنَّهُ إِذَا ٱسْتَحْضَرَ رَابِطَةَ ٱلْمَحَبَّةِ ... وَفِي قَلْبِهِ صُوَرٌ مُتَوَالِيَةٌ لِغَيْرِ ٱلْأَحِبَّةِ

فَتَتَصَارعُ مَعَ هَذِهِ ٱلصُّوَرِ فَيَحْصُلُ تَعَبٌ ... فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ بِمَا نَقُولُهُ يَا أَحِبَّةُ لَعِبٌ

فَلَا يَسْتَهِنْ أَحَدُكُمْ مِنْ دَاءِ ٱلنَّظَرِ ... وَلْيُحَافِظْ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ هَذَا ٱلْخَطَرِ

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَيِّزَ قَلْبَهُ عَنِ ٱلسِّفْلَةِ ... فَلْيُحَافِظْ عَلَى نَظَرِهِ مِنْ كُلِّ مَشْغَلَةٍ

كَٱلْعُصَاةِ وَٱلزُّنَاةِ أَوِ ٱلْكَفَرَةِ وَٱلظَّلَمَةِ ... فَلَا يُعَرِّضْ قَلْبَهُ لِمَعْرَكَةٍ شَرِسَةٍ كَٱلْمَلْحَمَةِ

هَذِهِ ٱلْأَمْرَاضُ لَا يَفْهَمُ ٱلْكُلُّ مَعَانِيهَا ... إِلَّا مَنْ يُصَابُ بِهَا وَيَقَعُ فِيهَا

وَهَذِهِ تَظْهَرُ لِلْعَابِدِ بَعْدَ ٱلتَّجَارُبِ ... كَتَمْرِينٍ لَهُ وَإِشَارَةِ تَقَارُبِ

أَوْ لِمُحِبِّ ٱلسُّلُوكِ ٱلرُّوحَانِيِّ ٱلْمُرَابِطِ ... ٱلْعَامِلِ بِٱلذِّكْرِ وَٱلْأَسْمَاءِ لِلْمَقَامِ ٱلثَّابِتِ

تُعْرَضُ عَلَيْهِ فَيَطْرُدُهَا مِنْ خَاطِرِهِ بِٱلذِّكْرِ ... فَتَخْتَفِي مِنْ قَلْبِهِ وَتَذْهَبُ مِنَ ٱلْفِكْرِ

إِحْسَاسَاتُ ٱلصُّوفِيِّ ٱلسَّالِكِ

مَنِ ٱسْتَشْعَرَ ٱلْآخِرَةَ بِشُعُورِ إِحْسَاسِهِ ... كَانَ مُرِيدًا مُشْتَاقًا إِلَيْهَا بِسَائِرِ أَنْفَاسِهِ

فَٱلشَّوْقُ لِلِقَاءِ ٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ... دَلِيلُ ٱلْإِيمَانِ وَبِهِ نَدْعُو وَنُجَاهِرُ

وَحَقَارَةُ ٱلدُّنْيَا وَٱبْتِعَادُهَا مِنَ ٱلْخَاطِرِ ... هُوَ هُوِيَّةُ ٱلسَّالِكِ ٱلصُّوفِيِّ ٱلذَّاكِرِ

وَٱلسَّالِكُ يَسْتَعِدُّ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ ... وَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ قَبْلَ وُصُولِهِ

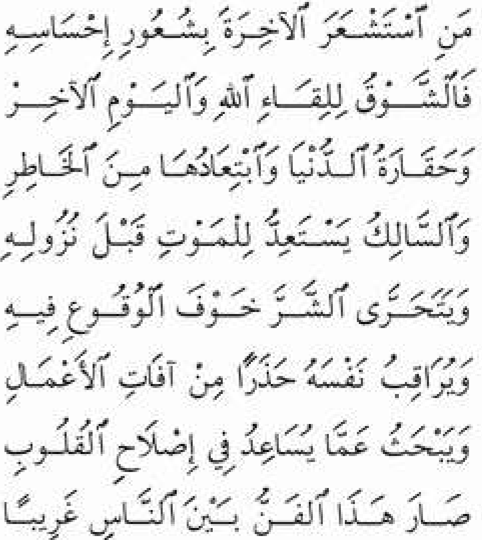
وَيَتَحَرَّى ٱلشَّرَّ خَوْفَ ٱلْوُقُوعِ فِيهِ ... وَيَبْحَثُ عَنِ ٱلْخَيْرِ لِيَنَالَ مَا فِيهِ

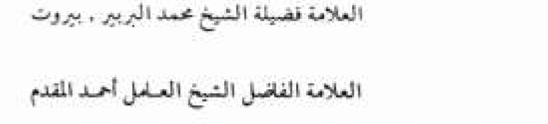
وَيُرَاقِبُ نَفْسَهُ حَذَرًا مِنْ آفَاتِ ٱلْأَعْمَالِ ... وَيُرَاقِبُ لِسَانَهُ لِئَلَّا يَنْطِقَ بِسَيِّءِ ٱلْأَقْوَالِ

وَيَبْحَثُ عَمَّا يُسَاعِدُ فِي إِصْلَاحِ ٱلْقُلُوبِ ... خَائِفًا رَاجِفًا مِنْ عِتَابِ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ ﷻ

صَارَ هَذَا ٱلْفَنُّ بَيْنَ ٱلنَّاسِ غَرِيبًا ... وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِمْ يَعْتَبِرُونَهُ شَيْئًا عَجِيبًا

وَصَارَ عِلْمُ ٱلْآخِرَةِ عِنْدَ ٱلْبَعْضِ مَطْوِيًّا ... ٱلذَّاكِرُ وَٱلْغَافِلُ عَدُّوهُمَا سَوِيًّا





العلامة فضيلة الشيخ محمد البربير . بيروت

العلامة الفاضل الشيخ العامل أحمد المقدم

مَنْشَأُ ٱلْخَوَاطِرِ وَٱلْأَفْكَارِ وَأَثَرُهَا

اَلْفِكْرُ ٱلْإِنْسَانِيُّ جِهَازٌ حَافِظٌ وَدَقِيقْ يَتَلَقَّى ٱلْخَوَاطِرَ مِنْ عَكْسِيَّاتِ ٱلطَّرِيقْ

حَيْثُ أَنَّهُ رَقِيقٌ حَسَّاسٌ شَفَّافْ يُصَابُ سَرِيعًا بِٱلْخَوْفِ وَٱلْاِرْتِجَافْ

إِذَا تَلَقَّى ٱسْتَقْبَلَ صُوَرٍ مُرْعِبَةٍ فَيُصِيبُ ٱلْحَوَاسَّ بِإِشَارَاتٍ مُتْعِبَةٍ

وَبَعْضُهُمْ يُصَابُ بِعَوَارِضِ ٱلْأَعْصَابْ فَيُصْبِحُ عَلِيلًا بِٱلْأَمْرَاضِ مَهْزُوزًا مُصَابْ

وَبَعْضُهُمْ يَنْطَرِحُ بِٱلْفِرَاشِ لِسَاعَاتٍ ثُمَّ يُنَجِّيهِ ٱلْمَوْلَى مِنْ تِلْكَ ٱلْآفَاتِ

أَمَّا ٱلسَّالِكُ فَجِهَازُهُ مُحَصَّنٌ بِسُدُودْ وَكُلُّ خَاطِرٍ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَرْدُودْ

كَأَنَّهُ جَالِسٌ خَلْفَ مِتْرَاسٍ مَانِعْ لِأَيِّ خَاطِرٍ يَأْتِيهِ فَيَرْفُضُهُ وَيُدَافِعْ

فَلَا يَتَأَثَّرُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ غَلَيَانِهِ وَبِحَرَارَةِ قُدُومِهِ وَشِدَّةِ عُنْفُوَانِهِ

فَيَشْعُرُ فِيهِ صُوَرِيًّا وَبِإِحْسَاسٍ حَادٍّ يَمُرُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِلَا ٱلْتِبَاسٍ

حَيْثُ ٱلْفِكْرُ مُتَّحِدٌ مَعْ نُورِ ٱلْقَلْبِ وَيَسْتَمِدُّ مِنْ تَجَلِّيَاتِ فَضَائِلِ ٱلرَّبِّ ﷻ

لَا يَسْتَوِي فِيهِ ٱلظُّلُمَاتُ وَٱلنُّورْ لِأَجْلِ ذَلِكَ لَا يَجِدُ ٱلْخَاطِرُ مَجَالًا لِلْعُبُورْ

لَوْ أَشْغَلَ ٱلنَّاسُ قُلُوبَهُمْ بِٱلْأَذْكَارِ لَحَصَّنَهَا ٱللهُ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ جَبَّارٍ

وَأَكْثَرُ ٱلْمُصَابِينَ هُمْ أَهْلُ ٱلْغَفْلَةِ يَقَعُونَ بِمَهَالِكَ خَطِيرَةٍ بِحَسَبِ ٱلْجِبِلَّةِ

فَتَرَى تَقَلُّبًا فِي خَوَاطِرِهِمْ وَٱلصُّدُورِ مِنْ أَثَرِ تَخَاطُرِ أَهْلِ ٱلشُّرُورِ

وَأَصْعَبُ مَا يَسْتَقْبِلُ ٱلْفِكْرُ ٱلضَّعِيفْ صُوَرًا مُرْعِبَةً صَعْبَةَ ٱلشَّرْحِ وَٱلتَّصْنِيفْ

كَأَنْ يَتَصَوَّرَ لَهُ شَبَحٌ بِٱلْخَاطِرِ أَوْ تَنْطَبِعَ عَلَى صَدْرِهِ صُوَرُ ٱعْتِقَادِ ٱلْكَافِرِ

صُوَرٌ مُتَنَوِّعَةٌ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْبُدْ مِنْ تَمَاثِيلَ وَأَوْثَانٍ تَجْعَلُهُ فِي كَمَدْ

تَقْبِضُ ٱلصَّدْرَ وَٱلْقَلْبَ وَتُرْعِبُهُ وَتُرْدِيهِ وَتَطْبَعُ صُورَتَهُ بِمُخَيِّلَتِهِ فَتُؤْذِيهِ

اَلضَّعِيفُ يُسَلِّمُ أَمْرَهُ لِلْخَاطِرِ الجَاذِبْ ... فَيُطِيعُهُ وَفِي ذَلِكَ ضَرَرٌ لِلْقَلْبِ ثَاقِبْ

مِنْ عَلَامَاتِ الإِصَابَةِ بِالخَاطِرِ التَّحْوِيلُ ... وَانْحِطَاطُ المُؤْمِنِ وَالتَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ

أَيْ يَفِرُّ عَنْ مُتَابَعَةِ العِبَادَةْ ... فَتَضْعُفُ هِمَّتُهُ وَتَخِفُّ عِنْدَهُ الإِرَادَةْ

فَيَكُونُ قَدْ حَمَلَ بِخَاطِرِهِ عَكْسِيَّةْ ... تَنْقُلُ خَوَاطِرَ مُرْسَلَةً لِأَفْكَارِهِ البَاطِنِيَّةْ

وَقَدْ يُصَابُ بِعَكْسِيَّةٍ يَحْمِلُهَا وَاحِدٌ بِقُرْبِهِ ... فَتَنْتَقِلُ الخَوَاطِرُ وَعِلَلُهَا لِقَلْبِهِ

فَإِنْ كَانَ المُصَابُ مُبْتَلًى بِالوَسْوَاسِ ... يَنْتَقِلُ لِمَنْ بِقُرْبِهِ بِطَرِيقَةِ الِانْعِكَاسِ

كَالمِرْآةِ تَنْقُلُ وَتَعْكِسُ صُورَةَ الأَشْخَاصِ ... وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا أَهْلُ الِاخْتِصَاصِ

وَبَعْضُهُمْ يَمْتَلِكُ قُوَّةَ تَسَلُّطٍ جَاذِبِيَّةٍ ... فَيُرْسِلُ خَوَاطِرَهُ بِإِشَارَةٍ ثَابِتَةٍ قَوِيَّةٍ

فَتَتَسَلَّطُ عَلَى الفِكْرِ مِنْ خَلْفِ الرَّقَبَةِ ... فَتُصِيبُهُ بِمَا يُرِيدُ مِنْ خَوَاطِرَ مُرْعِبَةٍ

وَالَّذِي يَمْلِكُ تِلْكَ الجَاذِبِيَّةِ مَاهِرْ ... يُقَلِّبُ الأَفْكَارَ وَالقَلْبَ بِتِلْكَ الخَوَاطِرْ

وَقَصْدُهُ تَخْوِيفُ مَنْ يَعْتَبِرُهُ خَصْمَهْ ... أَوْ إِحْدَاثُ انْحِلَالٍ عَصَبِيٍّ مُؤَقَّتٍ بِجِسْمِهْ

أَوْ بَثُّ البُغْضِ أَوِ الحُبِّ بِالقُلُوبْ ... فَيُدَاوِمُ عَلَى التَّخَاطُرِ لِيَحْصُلَ المَطْلُوبْ

قَدْ يَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الحِرْفَةَ الدَّنِيئَةْ ... رِجَالُ المَطَارَاتِ الغَرْبِيَّةِ المَلِيئَةْ

بِزَحْمَةِ المُسَافِرِينَ وَقَدْ ذُقْنَا ذَلِكَ مِنْهُمْ ... فَإِنَّ فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ تُحَدِّثُ عَنْهُمْ

يَسْتَعْمِلُونَ التَّخَاطُرَ لِلسُّؤَالِ عَنْ خَفَايَا ... مَا يَحْمِلُهُ المُسَافِرُ مِنْ أَمْتِعَةٍ وَهَدَايَا

بِذَلِكَ عَلَى بَاطِنِ المُسَافِرِ يَتَعَرَّفُونْ ... فَيَعْلَمُونَ مَا يُخْفِي عَنْهُمْ مِنْ سِرِّهِ المَدْفُونْ

مِنْهُمْ مَنِ اسْتَعْمَلَ تِلْكَ الجَاذِبِيَّةْ ... لِتَفْرِيقِ قُلُوبِ الأَزْوَاجِ لِمَصْلَحَةٍ خُصُوصِيَّةْ

فَتَهْجُرُ المُصَابَةُ زَوْجَهَا بِلَا انْزِعَاجْ ... فَيَظُنُّ النَّاسُ قَدْ أَصَابَهَا ارْتِجَاجْ

وَلَا تَهْتَمُّ بِأَوْلَادِهَا وَالعِشْرَةِ القَدِيمَةْ ... فَتَنْسَى الحَنَانَ وَكَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ قِيمَةْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ (البقرة ١٠٢)

هَـٰذِهِ ٱلْأُمُورُ قَرِينَةُ ٱلسِّحْرِ ٱلْمُضِرّ ... وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُفِيدٌ مُسِرّ

ٱلْبَعْضُ يَسْتَعْمِلُهُ لِلْحُصُولِ عَلَىٰ ٱلْأَمْوَالِ ... فَيُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَفْكَارِ ٱلنِّسَاءِ وَٱلرِّجَالِ

كَمِثْلِ ٱلْمُقَاوِلِينَ بِأَرْقَامٍ خَيَالِيَّةٍ فِي ٱلْبِنَاءِ ... وَافَقَ ٱلْبُسَطَاءُ عَلَىٰ خَوَاطِرِهِمُ ٱلدَّنِيئَةِ بِغَبَاءِ

اِسْتَعْمَلُوا ٱلتَّخَاطُرَ وَزَيَّنُوهُ بِٱلْأَرْبَاحْ ... فَجَمَعُوا ٱلْأَمْوَالَ وَبِقِصَّةٍ مُلَفَّقَةٍ ٱلْمَالُ رَاحْ

اِسْتَعَانُوا بِٱلتَّخَاطُرِ لِلْجَاهِ وَٱلْأَعْمَالِ ... وَيُخَطِّطُونَ بِدِقَّةٍ مِنْ أَجْلِ سَرِقَةِ ٱلْأَمْوَالِ

هَـٰذِهِ بَعْضُ فُنُونِ إِبْلِيسَ ٱلْخَفِيَّةِ ... تُلَفُّ مَعَهَا كُلُّ دَعْوَى وَكُلُّ قَضِيَّةِ

فَإِذَا بَثَّ شَيْطَانُ ٱلْإِنْسِ مَا يُرِيدْ ... لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْمُصَابُ عَنِ ٱلصُّورَةِ أَنْ يَحِيدْ

لِـذَٰلِكَ يَقَعُ ٱلْيَوْمَ أَكْثَرُ ٱلْعِبَادِ ... بِإِصَابَاتٍ عَكْسِيَّةِ ٱلْخَوَاطِرِ وَٱلْفَسَادِ

لَا خَلَاصَ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْمُصِيبَةِ ٱلْمُتَطَوِّرَةِ ... إِلَّا بِٱلطَّاعَاتِ وَٱلْأَذْكَارِ وَٱلتَّسَابِيحِ ٱلْمُتَكَرِّرَةِ

فَعَلَىٰ ٱلْمُصَابِ ٱلْعَمَلُ بِٱلذِّكْرِ وَٱلْمُرَاقَبَةْ ... تَسْبِيحًا وَتِلَاوَةً وَأَدْعِيَةً صَائِبَةْ

يُدَاوِمُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَىٰ أَنْ يَرْتَاحْ ... فَتَزُولُ ٱلْمَخَاطِرُ وَصُوَرُ ٱلْأَشْبَاحْ

قَدْ يَصِفُ لَهَا ٱلْمُرْشِدُ ٱلْمُرَبِّي حَسَبَ ٱلْعِلَّةِ ... مِنْ أَسْمَاءِ ٱللهِ ٱلْمَاحِيَةِ لِلْخَوَاطِرِ ٱلْمُضِلَّةِ

مَعَ تَوَجُّهَاتٍ نُورَانِيَّةٍ مِنَ ٱلْقَلْبِ ... لِتَفْتِيتِ كُلِّ خَاطِرٍ خَبِيثٍ صَلْبِ

لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَلَامَةٌ بِوَجْهِهِ وَإِشَارَةْ ... هِيَ رَمْزُ تَدَرُّجِ مَقَامِهِ لِكُلِّ بِشَارَةْ

تَكُونُ مَفْضُوحَةً لِكَشَّافِ بَصِيرَةِ ٱلْعَارِفِينَ ... مَحْرُومٌ مِنْهَا فِرَقُ أَقْزَامِ ٱلْمُشْرِكِينَ

فَلْنُلَاحِظْ بِدِقَّةٍ نَوْعِيَّةَ تَحْوِيلِ ٱلْأَفْكَارِ ... لِنَنْتَصِرَ دَائِمًا عَلَىٰ إِبْلِيسَ ٱلْغَدَّارِ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الحشر ١٦)

يَبُثُّ بِٱلْخَوَاطِرِ سُمُومًا مُضِرَّةً مُتَنَوِّعَةْ ... فَيُبْلِي ٱلْإِنْسَانَ بِعَكْسِيَّاتٍ سَيِّئَةٍ مُرَوِّعَةْ



← إبن ش. الحزين ش. شرف الدين ـ تركيا

صوفي نقشبندي قادري ـ كلس تركيا ←



ٱلسَّالِكُ فِي مُوَاجَهَةِ ٱلْعَكْسِيَّةِ وَغَيْرِهَا

مِنْ إِشَارَاتِ ثَبَاتِ رَابِطَةِ ٱلسَّالِكِ ٱلْقَوِيِّ ... تَمَكُّنُهُ وَعَدَمُ تَأَثُّرِهِ بِٱلْعَارِضِ ٱلظَّاهِرِ أَوِ ٱلْخَفِيِّ

فَٱلْمُحَرَّمَاتُ وَٱلذُّنُوبُ وَٱلْغَفَلَاتُ وَٱلْمَعَاصِي ... تَجِدُ بِمَمَرَّاتِ قَلْبِهِ سَدًّا مَنِيعًا قَاسِ

لَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ صُوَرُ تَعَرٍّ فَاسِدِ ... لَا يَثْبُتُ ذَلِكَ بِقَلْبِ ٱلذَّاكِرِ ٱلْعَابِدِ

وَكَذَلِكَ تَرَاكُمُ صُوَرِ عَكْسِيَّاتِ ٱلشَّارِعِ بِخَيَالِهِ ... فَيُسَلِّطُ عَلَيْهَا نُورَ أَذْكَارِ رَابِطَةِ أَفْكَارِهِ

فَتَذُوبُ تَدْرِيجِيًّا كَمَا جَاءَتْ وَتَخْتَفِي ... فَتَهْنَأُ لَطَائِفُهُ وَبِٱلْفَيْضِ تَكْتَفِي

وَهَذَا عَوْنٌ لَهُ مِنْ نُورِ رَحْمَةِ رَبِّي ﷻ ... بِتَدْرِيبِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْوَلِيِّ ٱلْعَارِفِ ٱلْمُرَبِّي

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج ٥٢)

فَمَنْ يَثْبُتْ فِي سَائِرِ ٱلتَّقَلُّبَاتِ ... يَنَلْ عَلَى مُجَاهَدَاتِهِ قُرْبًا وَمَعْنَوِيَّاتِ

عَصْرُنَا مَلِيءٌ بِٱلْعَكْسِيَّاتِ فَأَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ؟ ... فَٱلسَّالِكُ بِعِنَايَةِ رَبِّهِ ﷻ يُوَاجِهُ هَذَا وَٱلْأَمَرّ

لِأَنَّ ٱلْمُرَابِطَ يَمْشِي بِنُورِ فَيْضِ رَبِّهِ ﷻ ... فَيُزِيلُ لَهُ سَائِرَ ٱلْعَقَبَاتِ مِنْ دَرْبِهِ

قَالَ ﷻ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ (الحديد ٢٨)

وَهُنَالِكَ دَهْشَةٌ رُوحِيَّةٌ لِعَظَمَةِ ٱلْعَطَاءِ ... صَعْبَةُ ٱلْحَالِ عِنْدَ ٱلْمُرَابِطِ لِمَقَامِ ٱلْفَنَاءِ

حِينَ تَظْهَرُ عَظَمَةُ ٱلْفُيُوضَاتِ مِنْ مَوْلَاهُ ﷻ ... فَيَقِفُ قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِ ٱلْإِلَهْ

وَيَنْقَطِعُ عَنْ مُتَابَعَةِ ٱلْحَالِ لِلَحْظَةِ ... كَمَا يَتَوَتَّرُ ٱلْإِنْسَانُ حِينَ ٱلْمُفَاجَأَةِ بِٱلْيَقَظَةِ

فَيُعْتَبَرُ قَطْعُهُ لِلْمُشَاهَدَةِ وَٱلْمُرَاقَبَةْ ... ٱلْتِفَاتًا لِهَذَا ٱلْعَطَاءِ فَيُسَبِّبُ مُعَاتَبَةْ

وَهَذَا يُعَدُّ نَقْصًا عِنْدَ ٱلسَّادَةِ ٱلْكِبَارِ — لِٱنْشِغَالِهِ بِذَوْقِ ٱلْحَالِ عَنِ ٱلْغَفَّارِ ﷻ

وَقَدْ يَتَدَارَكُهُ رَبُّهُ ﷻ فَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ مُرَاقَبْ — فَيَعُودُ لِذِكْرِهِ بَعْدَ لَحَظَاتٍ لِئَلَّا يُعَاقَبْ (١)

وَمَنَامُ ٱلْعَامَّةِ لَهُ تَفْسِيرٌ وَمِقْيَاسْ — لَكِنَّ ٱلسَّالِكَ لَا يُعَامَلُ كَعَوَامِّ ٱلنَّاسْ

هَذِهِ بَعْضُ أَحْوَالِ ٱلسَّالِكِ ٱلْمُتَوَسِّطِ ٱلْحَالِ — فَٱلْوَسَاوِسُ تَرْفُضُهَا قُلُوبُ ٱلرِّجَالِ

فَقَدْ يُمْتَحَنُ ٱلْمُرَابِطُ فِي أَحْلَامِهِ — لِتَظْهَرَ حُدُودُ تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ وَمَقَامِهِ

فَلَوْ تَقَبَّلَ لَذَّةَ مَعْصِيَةٍ فِي ٱلْأَحْلَامِ — فَتِلْكَ إِشَارَةُ نَقْصٍ فِي ٱلْمَقَامِ

لِأَنَّ تَأَثُّرَهُ بِمَا يَرَى دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِلْعِيَانِ — بِأَنَّ حَالَهُ مَا زَالَ عُرْضَةً لِوَسَاوِسِ ٱلشَّيْطَانِ

(١) العقاب: عتاب روحاني.

أَثَرُ عَكْسِيَّاتِ ٱلنَّاسِ عَلَى قَلْبِ ٱلسَّالِكِ

يَصْفُو قَلْبُ ٱلسَّالِكِ فَيَصِيرُ نَقَّالًا لِلْأَحْوَالِ — يَنْقُلُ عَكْسِيَّاتٍ وَعِلَلَ ٱلْمُصَابِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ

فَإِنْ قَصَدُوهُ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينْ ﷻ — يَنْعَكِسُ حَالُهُمْ عَلَى قَلْبِهِ بِٱلْحِينْ

فَيُعَانِي مِنْ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ بَلَاءْ — فَيَتَوَسَّلُ لِلَّهِ بِقَلْبِهِ لِيَنَالُوا ٱلشِّفَاءْ

وَقَدْ تَقَعُ لَهُمْ خَوَاطِرُ غَيْرُ مُفِيدَةٍ — مِنْ مَطَالِبَ أَوْ ذِكْرَيَاتٍ بَعِيدَةٍ

أَوْ يَشْتَهُونَ طَعَامًا أَوْ جَرْعَةَ مَاءٍ — أَوْ يَرْغَبُونَ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ

كَطَلَبِ عِلَاجٍ أَوْ وَصْفَةِ دَوَاءٍ — أَوْ يُضْمِرُونَ خَاطِرًا سَيِّئًا بِٱلْخَفَاءِ

لِٱمْتِحَانِ بَاطِنِ ٱلسَّالِكِ ٱلْمَقْصُودْ — فَيَكْشِفُهَا لَهُ، إِنْ شَاءَ رَبُّنَا ٱلْمَعْبُودْ ﷻ

فَتَنْعَكِسُ صُوَرُ ٱلْخَوَاطِرِ عَلَيْهِ وَيَشْعُرُ بِهَا — فَمِنْهَا مَا يُظْهِرُهَا لَهُمْ وَمِنْهَا مَا يُؤَجِّلُهَا

فَيَتَدَرَّجُ بِتِلْكَ ٱلْأَحْوَالِ مَعَ ٱلْعِبَادِ — وَلَوْ كَانُوا هُمْ بِصَحْرَاءَ وَهُوَ بِوَادِ

فَذَلِكَ تَدْرِيبٌ وَتَمْرِينٌ لَهُ وَتَرْبِيَةْ — لِيَتَوَسَّعَ قَلْبُهُ وَفِكْرُهُ لِيَصِلَ إِلَى ٱلتَّزْكِيَةْ

وَبِهَذَا لَا يَخْلُو مِنْ نَظَرِ ٱلعِنَايَةِ ٱلصُّغْرَى ... لِصَبْرِهِ عَلَى تِلْكَ ٱلْمَعَارِكِ ٱلْكُبْرَى

مُتَابَعَةُ سُلُوكِ ٱلطَّرِيقِ وَٱلإِشَارَاتِ ٱلإِلْهَامِيَّةِ

فَإِذَا كَانَ لَهُ مُتَابَعَةٌ لِسُلُوكِ ٱلطَّرِيقِ ... فَيَقِفُ بِمَقَامِ ٱلْقَبْضِ شُهُورًا مَعَ ٱلضِّيقِ

فَيَشْعُرُ بِرُوحِهِ وَكَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ صَدْرِهِ ... فَيَمْتَلِئُ أَلَمًا وَيَضِجُّ ٱلسَّالِكُونَ مِنْ صَبْرِهِ

لِأَنَّهُ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ يَصْعَدُ فِي ٱلسَّمَاءْ ... فَتَبْقَى رُوحُهُ خَائِفَةً مِمَّا قَدْ جَاءْ

وَمِنْ تِلْكَ ٱلْحَالَةِ مُرْشِدُهُ بِٱللَّهِ يَسْتَغِيثْ ... لِيُسْمَحَ لَهُ بِتَجْدِيدِ سُلُوكِهِ ٱلنَّفِيسْ

فَإِنِ ٱسْتَجَابَ لَهُ رَبُّ ﷻ ٱلْعِزَّةِ ... وَأَتَى لَهُ ٱلْإِذْنُ فَيَخْفِقُ قَلْبُهُ بِشِدَّةِ

وَيَتَوَسَّعُ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ لِلتَّحَمُّلِ ٱلْقَادِمْ ... لِأَنَّهَا وَارِدَاتٌ ثَقِيلَةٌ عَلَى ٱبْنِ آدَمْ

فَيَلُوحُ لَهُ نُورٌ بِأُفُقِ ٱلْمَعَارِفْ ... يُضِيءُ لَهُ ٱلْكَوْنَ وَيُصْبِحُ كَٱلْعَارِفْ

مَهْمَا ٱمْتَلَأَ مِنْ تِلْكَ ٱلرَّحَمَاتِ ٱلرَّاقِيَةِ ... فَٱلْقَلْبُ يَطْلُبُ مَزِيدًا مِنَ ٱلتَّقْوَى وَٱلْعَافِيَةِ

فَيَنْطَلِقُ لِلسُّلُوكِ أَقْوَى مِمَّا كَانْ ... وَيَصِيرُ كُلُّ جِهَازٍ بَاطِنِيٍّ فِيهِ مَلْآنْ

بِرَحَمَاتٍ وَحَرَارَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ غَيْرِهَا ... فَتَغُوصُ ٱلنَّفْسُ مَشْغُولَةً بِسُلُوكِهَا وَسَيْرِهَا

وَتَمُرُّ عَلَيْهِ ٱلْمَعْنَوِيَّاتُ بِأَنْوَاعِ ٱلْغَرَائِبِ ... فَيُعْرِضُ عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ وَٱلرَّغَائِبِ

وَيُعَوَّضُ عَنْهَا بِأُمُورٍ خَفِيَّةٍ ... لَا تَخْطُرُ بِقَلْبِ بَشَرٍ يَنَالُهَا كَهَدِيَّةٍ

فَيُسَلِّمُ ٱلْأَجْهِزَةَ ٱلْبَاطِنِيَّةَ ٱلَّتِي بِهَا سَلَكْ ... وَيَسْتَلِمُ رَابِطَةً جَدِيدَةً تُوصِلُ لِلْفَلَكْ

لَوْ تَظْهَرُ ذَرَّةٌ مِنْهَا عَلَى ٱلْغَافِلِينَ ... لَذَابَتْ أَفْئِدَتُهُمْ لِأَنَّهُمْ لَهَا غَيْرُ مُهَيَّئِينَ



← الولي الصوفي الكبير الشيخ الشامي أحمد حارون

الفقيه الجليل و الصوفي الجميل يارجان آخوند ـ إيران ←

تركمان صحراء

تَقَلُّبَاتُ ٱلْقَلْبِ بِٱنْعِكَاسِ ٱلصُّحْبَةِ

سُمِّيَ ٱلْقَلْبُ قَلْبًا لِكَثْرَةِ تَقَلُّبَاتِهْ ... فَٱلشَّرْحُ عَنْهُ تَطُولُ حِكَايَاتُهْ

بَعْضُ ٱلتَّقَلُّبَاتِ تَأْتِي مِنْ إِصَابَةٍ ... وَبَعْضُهَا تَأْتِي مِنْ سِحْرٍ وَإِعَابَةٍ

تَنْقُلُ ٱلْعَيْنُ صُورَةَ مَا تُشَاهِدُ لِلْبَاطِنْ ... فَيَغْلِي نَارًا كَأَنَّهُ بِٱلْجَحِيمِ سَاكِنْ

قَالَ بَعْضُ ٱلصَّالِحِينَ: مَا تَرَاهُ ٱلْعَيْنُ يُرَبِّيهِ ٱلْقَلْبُ.

بَعْضُهُمْ يَتَمَنَّى إِزَالَةَ ٱلنِّعْمَةِ بِتَفَكُّرٍ وَنَظَرٍ ... وَإِيقَاعَ ٱلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ بِأَلَمٍ وَخَطَرٍ

فَتَتَحَرَّكُ مَشَاعِرُ ٱلنَّاظِرِ بِتَقَلُّبَاتِ ٱلْغَيْرَةْ ... مِنْ حَسَدِهِ وَقِلَّةِ إِيمَانِهِ وَتَدْبِيرِهْ

فَيُصَابُ ٱلْمَنْظُورُ بِٱنْعِكَاسِ ذَلِكَ ٱلْحَالِ ... فَيَتَأَلَّمُ بِوَسْوَاسٍ ضَخْمِ ٱلْأَثْقَالِ

وَهُنَاكَ عَكْسِيَّاتٌ وَتَأْثِيرَاتٌ بِٱلتَّحْدِيدْ ... تُصِيبُ ٱلْعَامَّ وَٱلْغَافِلَ وَٱلْمُرِيدْ

مِنْهَا عَكْسِيَّةٌ صُورِيَّةٌ مُضِرَّةٌ وَحَارَّةْ ... مِمَّا يَنْقُلُهُ ٱلْقَلْبُ مِنَ ٱلْأَسْوَاقِ وَٱلْمَارَّةْ

حَيْثُ تَنْقُلُ ٱلْقُلُوبُ ٱلصُّورَةَ كَٱلْمِرْآةِ ... وَتُنْقَشُ بِٱلصُّدُورِ وَٱلْخَوَاطِرِ وَتُطْبَعُ كَٱلصَّفَحَاتِ

وَبَعْدَ رُجُوعِ زَائِرِ ٱلسُّوقِ لِدَارِهِ ... وَٱشْتِرَاكِهِ فِي ٱلْغَفَلَاتِ مَعْ زُوَّارِهِ

يَشْعُرُ بِٱلتَّعَبِ وَٱلِٱنْزِعَاجِ فَيَطْلُبُ ٱلرَّاحَةْ ... فَيَرْتَمِي عَلَى سَرِيرِهِ لِيُعَالِجَ جِرَاحَهْ

إِصَابَةُ هَٰذِهِ ٱلْعَكْسِيَّةِ تَضُرُّهُ وَتُبْلِيهِ ... فَتَرَاهُ غَيْرَ وَاعٍ بِمَا دَخَلَ فِيهِ

ٱلْبَعْضُ يَتَمَكَّنُ مِنَ ٱلتَّحَكُّمِ فِي عِلَاجِ خَوَاطِرِهِ ... وَيُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْحَقِيقَةِ وَٱلْخَيَالِ بِنَوَاظِرِهِ

فَهَٰذِهِ إِشَارَاتُ أَهْلِ ٱلتَّمَكُّنِ وَٱلْوِلَايَةِ ... لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ تَتَنَظَّفُ مِنَ ٱلْعَكْسِيَّةِ كَٱلْجَلَايَةِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَاهِدُ لِطَرْدِ خَوَاطِرِ ٱلسَّيِّئَاتِ ... لِأَنَّ قَلْبَهُ لَا يَتَقَبَّلُ ثَبَاتَ ٱلْآفَاتِ

وَٱلْغَافِلُ يَرْكَنُ إِلَى ٱلْخَاطِرِ ٱلسَّيِّئِ وَٱلرَّذِيلَةِ ... فَيَشْتَعِلُ كَمَا تَشْتَعِلُ ٱلنَّارُ بِفَتِيلَةِ

أَكْثَرُ ٱلْإِصَابَاتِ وَٱلْعَكْسِيَّاتِ مِنَ ٱلْأَسْوَاقِ ... لِمَا فِيهَا مِنْ غَفْلَةٍ وَتَعَرٍّ وَنِفَاقِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: " **شَرُّ ٱلْبِقَاعِ ٱلْأَسْوَاقُ** ". (كشف الخفاء ج٢ ص٧)

وَبَعْضُهَا مِنْ صُحْبَةِ ٱلْعُصَاةِ وَسَمَاعِ ٱلْأَغَانِي ... وَمُشَاهَدَةِ ٱلْأَفْلَامِ ٱلْفَاسِدَةِ وَلَوْ لِثَوَانِي

وَيُصْغِي بِسَمْعِهِ لِلنَّمِيمَةِ وَٱلشَّتَائِمِ ... وَيَرْضَى بِٱلْمُخَالَفَاتِ وَمَا لِلشَّرْعِ غَيْرُ مُلَائِمِ

وَيُطِيعُ رَغَبَاتِ ٱلشَّيْطَانِ وَعَكْسِيَّةَ خَوَاطِرِهْ ... بِسَبَبِ ٱلصُّحْبَةِ ٱلسَّيِّئَةِ يُلَبِّي أَوَامِرَهْ

فَتَتَبَلَّدُ فِيهِ ٱلْمَشَاعِرُ وَٱلْإِحْسَاسْ ... وَيَقَعُ بِمَا يَقَعُ فِيهِ غَالِبُ ٱلنَّاسْ

فَيُغْرِيهِ ٱلشَّيْطَانُ بِٱلتَّسَلِّي بِمُحَرَّمَاتِ ٱلدِّينِ ... كَٱلزِّنَا وَٱلْخَمْرِ وَٱلْقِمَارِ وَأَفْعَالِ ٱلشَّيَاطِينِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة ١٦٨)

وَمِثْلُ هَذَا ٱلْمُصَابِ تَأْبَى ٱلنَّصِيحَةَ أَفْكَارُهْ ... وَيَعُدُّ ٱلْوَعْظَ يُسِيءُ إِلَى ٱخْتِيَارِهْ

فَتَرَاهُ يَعْتَدِي عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَيُخَالِفُ ٱلْإِسْلَامْ ... وَإِذَا سَمِعَ آيَةً أَوْ حَدِيثًا يُشْوَى بِٱلْآلَامْ

لِأَنَّ لَمَزَاتِ ٱلشَّيْطَانِ تَهْرُولُ بِعُرُوقِ ٱلْجَسَدْ ... فَتَقْوَى فِيهِ ٱلْبَغْضَاءُ وَٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْحَسَدْ

وَيَصِيرُ قَلْبُهُ مَمْلُوءًا بِٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْمَعَاصِي ... مُنْكِرًا خَشِنًا جِلْفًا كَٱلصَّخْرِ ٱلْقَاسِي

يَصْعُبُ ٱلتَّعَامُلُ مَعَهُ بِٱلدَّلِيلِ وَإِقْنَاعِهْ ... لِأَنَّهُ بِٱنْغِمَاسِهِ بِٱلْمَعَاصِي سِيئَتْ أَوْضَاعُهْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ٱلْإِنْسَانِ مَجْرَى ٱلدَّمِ "[1].

عِلَاجُ ٱلْخَوَاطِرِ وَٱلْعَكْسِيَّاتِ

عِلَاجُ ٱلْمَصَائِبِ ٱلصُّورِيَّةِ ٱلْخَفِيَّةِ ... لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا سَادَةُ ٱلطَّرَائِقِ ٱلْعَلِيَّةِ ﷺ

وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِآيَاتِ ٱللهِ وَٱلدُّعَاءِ ... يُعَالِجُونَ ٱلْقَلْبَ وَيُفْرِغُونَ مَا فِيهِ كَالوِعَاءِ

فَوِعَاءُ ٱلْقَلْبِ ٱلَّذِي ٱمْتَلَأَ بِٱلصُّوَرْ ... يُفْرَغُ وَيُطَهَّرُ بِٱلْآيَاتِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلدُّرَرْ

كَذَا ٱلرُّوحُ وَٱلنَّفْسُ تُصَابُ بِعِلَلْ ... فِيهَا قَبْضٌ وَضِيقٌ وَبَلَايَا وَمَلَلْ

لَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ هَذَا ٱلْقَوْلِ وَٱلتَّعْبِيرْ ... إِلَّا مَنْ أُصِيبَ بِهَا وَلَمْ يَجِدْ خَبِيرْ

فَهَذِهِ ٱلْعِلَلُ وَٱلْأَمْرَاضُ لَا تَزُولْ ... إِلَّا بِطَبِيبٍ رُوحَانِيٍّ عَنِ ٱلنَّاسِ مَعْزُولْ

قَطَعَ أَشْوَاطًا فِي مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْمُبِينْ ... وَنَالَ إِجَازَاتٍ نُورَانِيَّةً وَبِهَا يَسْتَعِينْ

(١) رواه الإمام البخاري ﷺ ، فتح الباري ، الحديث (٢٠٣٨)

يَفْحَصُ ٱلْجُزْءَ ٱلْمُصَابَ وَيَصِفُ مَا يُنَاسِبْ ... مِنْ آيَاتِ ٱللهِ ٱلْحَكِيمِ بِلَا مَكَاسِبْ

فَيُعَايِنُ كُلَّ مَرَضٍ وَيُشَخِّصُهُ بِسِرِّ آيَةٍ لِلهْ ... وَمَنْ يَشَاءُ يُعْطِي ذَلِكَ ٱلْفَضْلَ ٱلإِلَهْ

وَٱلْمُصَابُ يُتَابِعُ ٱلْعِلَاجَ شُهُورًا طَوِيلَةْ ... حَتَّى يَأْذَنَ ٱللهُ بِٱلشِّفَاءِ بِإِلْهَامَاتٍ جَلِيلَةْ

بِلَا بَخُورٍ وَلَا تَحْضِيرٍ وَلَا كَشْفِ فِنْجَانِ ... وَلَا تَبْصِيرٍ وَلَا مَنْدَلٍ كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ ٱلْجَانِّ

فَتِلْكَ خُزَعْبَلَاتٌ قَدْ دَمَّرَتِ ٱلْكَثِيرْ ... وَقَدْ سَاءَ حَالُهُمْ بِعِلَلٍ مُتَنَوِّعَةِ ٱلْمَصِيرْ

وَٱلْمُصَابُ بِٱلْعَكْسِيَّاتِ عَلَى أَنْوَاعٍ ... كَأَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ صَافِيًا لَكِنَّهُ بِضَيَاعِ

غَافِلًا وَلَكِنَّهُ مُهَيَّأٌ نَظِيفٌ كَٱلْمِرْآةِ ... فَيُشَاهِدُ صُوَرَ ٱلْفَسَادِ وَٱلْمَعَاصِي بِٱلطُّرُقَاتِ

أَوْ يُجَالِسُ ٱلْفَسَقَةَ وَٱلْعُصَاةَ وَٱلزُّنَاةْ ... فَتَنْتَقِلُ عِلَلُهُمْ بِوَاسِطَةِ تِلْكَ ٱلصِّفَاتْ

لِأَنَّ صُوَرَهُمْ تَدْخُلُ بِمِرْآةِ صَفَائِهِ ... فَتُطْبَعُ بِقَلْبِهِ وَتَتَغَلَّبُ عَلَى ضِيَائِهِ

فَتَتَلَقَّى ٱلْجَوَارِحُ تِلْكَ ٱلصُّوَرَ ٱلْمُخْزِيَةْ ... وَلِذَا يُبْتَلَى بِمَا فِي ٱلصُّوَرِ مِنْ أَذِيَّةْ

وَعَلَى هَذِهِ ٱلْحَالَةِ تَنْتَقِلُ صُوَرُ ٱلْحَرَامِ ... مِنْ رِبًا وَفُجُورٍ وَتَعَدٍّ وَكَذِبٍ وَإِجْرَامِ

لَا يُمْكِنُ دَفْعُهَا وَطَرْدُهَا خَارِجَ ٱلْقَلْبِ ... إِلَّا بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَذِكْرٍ قَوِيٍّ صَلْبِ

فَيُدَاوِمُ أَوْقَاتًا طَوِيلَةً وَسَاعَاتِ ... لِيَمْحُوَ مَا فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ صُوَرِ ٱلْآفَاتِ

فَكُلَّمَا كَانَ ٱلْقَلْبُ بَعِيدًا عَنِ ٱلْغَفْلَةِ ... حَفِظَهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْمَعْصِيَةِ وَصُوَرِ ٱلسِّفْلَةِ

وَأَزَالَ عَنْهُ عَكْسِيَّةَ ٱلظُّلُمَاتْ ... وَأَحْيَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ مَاتْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ (هود ١١٣)

شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ ٱلسَّالِكِينَ ٱلْكِبَارِ ... حَيْثُ كَانُوا يُعَانُونَ مِنْ حُضُورِ ٱلزُّوَّارِ

وَبَعْضُهُمْ مِنَ ٱلظَّلَمَةِ وَٱلْفَسَقَةِ وَٱلْفُجَّارِ ... فَكَانَتْ جَلَسَاتُهُمْ مَعَهُمْ بِٱلْإِجْبَارِ

كَمِثْلِ حَاكِمِ ٱلْمِنْطَقَةِ يَأْتِي لِحَلِّ قَضِيَّةْ ... فَتَكُونُ نَفْسُهُ عَلَيْهِمْ مُضِرَّةً وَمُؤْذِيَةْ

وَبَعْدَ ذَهَابِهِ نَجِدُ ٱلسَّالِكَ فَوْرًا يُغَادِرْ ... ٱلْمَكَانَ لِيَصْفُوَ قَلْبُهُ مِنْ عَكْسِيَّاتِ ٱلزَّائِرْ

وَلَكِنْ لَا تَضُرُّهُ كَمَا تَضُرُّ ٱلطَّالِبَ ... بَلْ تُزْعِجُهُ لِمَا فِي بَاطِنِهِ مِنْ عَجَائِبَ

ٱلْجُلُوسُ خَلْفَ قَلْبِ ٱلسَّالِكِ لِلْمَضَرَّةِ

هُنَالِكَ أَمْرٌ يَضُرُّ بِقَلْبِ ٱلذَّاكِرْ   وَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ هَٰذَا ٱلْخَطَرُ ٱلْمَاكِرْ

كَمَا إِذَا جَلَسَ شَخْصٌ خَلْفَ ظَهْرِ ٱلسَّالِكْ   وَيَبْدَأُ بِٱلتَّفَكُّرِ لِيُعَكِّرَ عَلَيْهِ ٱلْمَسَالِكْ

وَيُوقِفُ تَقَدُّمَهُ فِي خَوَاطِرِهِ ٱلْعَدِيدَةْ   فَتَخْرُجُ مِنَ ٱلْمُؤْذِي ذَبْذَبَاتٌ صُورِيَّةٌ جَدِيدَةْ

وَتَنْتَقِلُ مِنْهُ لِقَلْبِ ٱلسَّالِكِ ٱلْمُرِيدِ   فَتُؤَثِّرُ فِيهِ بِمَوْجَاتِهَا ٱلْمُضِرَّةِ بِكُلِّ تَأْكِيدِ

فَيَشْعُرُ وَكَأَنَّ مِخْرَزًا يَنْعَرُهُ وَيُؤْلِمُ قَلْبَهْ   وَيَتَعَمَّقُ ٱلْمُخَاطِرُ بِعَمَلِهِ لِكَشْفِ حَسَنَاتِهِ وَعَيْبِهْ

فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِحَرَارَةٍ سَاخِنَةٍ مُزْعِجَةٍ   وَيُصَابُ ٱلسَّالِكُ بِمَعْنَوِيَّاتٍ مُتْعِبَةٍ

ثُمَّ يَنْتَقِلُ ٱلْمُكَاشِفُ إِلَى فَتْحِ ٱلْقَلْبِ   ٱلْمَعْنَوِيِّ فَيَقَعُ فِي أَشَدِّ عَيْبِ

فَيُشَوِّشُ عَلَى ٱلسَّالِكِ جَرَيَانَ فُنُونِهِ   وَيُتْعِبُ أَفْكَارَهُ وَيَرَى مَا يَفْعَلُهُ بِعُيُونِهِ

لِأَنَّ ٱلسَّالِكَ يَشْعُرُ بِمَكْرِ ٱلْمُخَاطِرْ   وَيَعْلَمُ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ وَبِهِ يُخَاطِرْ

وَلَا يَمْنَعُهُ ٱلسَّالِكُ خَجَلًا مِنَ ٱللهِ وَحَيَاءً   وَٱلْمُكَاشِفُ يَزْدَادُ ضَرَرًا وَوَبَاءً

فَيَنْتَقِلُ مِنْ أَذَى ٱلْقَلْبِ لِمُكَاشَفَةِ ٱلرَّقَبَةْ   فَتَحْمَى كَأَنَّهَا نَارٌ حَامِيَةٌ مُلْتَهِبَةْ

وَمِنْهَا يَسْتَعْرِضُ صُوَرًا كَشْفِيَّةً قَدِيمَةْ   فَيَطَّلِعُ عَلَى بَاطِنِ ٱلسَّالِكِ بِطَرِيقَةٍ لَئِيمَةْ

وَيُوقِفُ لَهُ قَلْبَهُ عَنِ ٱلنَّبْضِ ٱلرُّوحَانِيِّ   وَيُشْغِلُهُ عَنِ ٱلتَّلَقِّي وَٱلشُّعُورِ ٱلْإِنْسَانِيِّ

فَيُصَابُ ٱلسَّالِكُ ٱلذَّاكِرُ بِضَعْفٍ وَٱرْتِخَاءِ   وَيَصِيرُ كُتْلَةَ لَحْمٍ تَتَقَلَّبُ عَلَى نَارِ ٱلشِّوَاءِ

مِنْ شِدَّةِ ٱلْحَرَارَةِ ٱلْمُرْتَفِعَةِ وَٱلتَّجْرِيحِ ٱلْمُضِرِّ   فَيَغُوصُ ٱلْمُكَاشِفُ بِتَشْرِيحٍ بَاطِنِيٍّ خَطِرِ

وَكَأَنَّهُ يُمَزِّقُ عُرُوقَ ٱلذَّاكِرِ وَأَوْصَالَهْ   فَيَقْطَعُ عَلَيْهِ مُؤَقَّتًا خَطَّ ٱتِّصَالِهْ

فَيَقَعُ بِقَلْبِ ٱلسَّالِكِ مِنْهُ نُفُورْ   وَيَكْرَهُ مُجَالَسَتَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ شُرُورْ

فَيَفِرُّ مِنْهُ وَلَا يَرْغَبُ بِصُحْبَتِهِ أَوْ مُجَالَسَتِهِ ... وَهَذَا جَائِزٌ مَا دَامَ ٱلْمُكَاشِفُ مُسْتَمِرًّا فِي أَذِيَّتِهِ

هَذِهِ أُمُورٌ تُضَيِّعُ عَلَى ٱلسَّالِكِ أَفْكَارَهْ ... وَيَطَّلِعُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى خَفَايَا أَسْرَارِهْ

فَإِذَا كَانَ ٱلْمُكَاشِفُ طَوِيلَ ٱللِّسَانِ ... يَفْضَحُ مَا عِنْدَ ٱلسَّالِكِ مِنْ مَعَارِفِ ٱلْجَنَانِ

وَبِهَذَا يُغْرِي أَنْظَارَ أَمْثَالِهِ لِتُطَارِدَهْ ... فَيَكْثُرُ ٱلْمُؤْذُونَ لِيُشَاهِدُوا ٱلسَّالِكَ وَمَا عِنْدَهُ

فَيُشْغِلُونَ قَلْبَهُ حَتَّى مِنْ وَرَاءِ ٱلْجُدْرَانْ ... فَيَفِرُّ ٱلسَّالِكُ مِنْ سَكَنِهِ وَأَهْلِهِ وَٱلْجِيرَانْ

هَذَا ٱلضَّرَرُ وَٱلْأَذَى ٱلَّذِي سَبَبُهُ ٱلْمُخَاطِرْ ... سَيَنْقَلِبُ عَلَيْهِ بِعَوَاقِبَ وَخِيمَةٍ وَمَخَاطِرْ

فَٱلْمَفْتُوحُ قَلْبُهُ لَا يُجَازِفُ بِصُحْبَةِ ٱلْأَغْيَارِ ... لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَمْلُوءَةٌ بِٱلْمَصَائِبِ وَٱلْأَخْطَارِ

وَبِهَذِهِ ٱلْمُدَاخَلَاتِ ٱلْكَشْفِيَّةِ بِٱلْجَوَارِحْ ... يَظُنُّ ٱلْمُخَاطِرُ أَنَّهُ بِأَفْعَالِهِ نَاجِحْ

وَيُحَاوِلُ إِدْخَالَ صُورَتِهِ إِلَى قَلْبِ ٱلسَّالِكْ ... لِتَثْبُتَ بِقَلْبِهِ ثُمَّ بِعِرْفَانِهِ يُشَارِكْ

تَظْهَرُ لِلسَّالِكِ ٱلصُّورَةُ فَيَرْفُضُهَا فِكْرُهُ ... وَيَصْرِفُهَا عَنْهُ وَلَا يَتَقَبَّلُهَا قَلْبُهُ

وَيَسْتَعْمِلُ ٱلسَّالِكُ لَطَائِفَهُ ٱلْمُتَنَوِّعَةْ ... وَيَشْتَغِلُ بِٱلدُّعَاءِ لِتَنْصَرِفَ عَنْهُ ٱلصُّورَةُ ٱلْمُفْزِعَةْ

فَيُذَوِّبُهَا بِٱلتَّدَرُّجِ بِطَرِيقَةِ ٱلْإِحْتِرَاقِ ... فَتَنْتَهِي مُهَلْهَلَةً وَتَؤُولُ إِلَى ٱلْفِرَاقِ

ٱلسَّالِكُ بِرِحْلَتِهِ مُعَرَّضٌ لِحَوَادِثَ دَائِمَةٍ ... وَلَطَائِفُهُ وَقُدُرَاتُهُ مُسْتَعِدَّةٌ لِلْمُقَاوَمَةِ

فَطَرِيقُهُ دَائِمًا مَحْفُوفَةٌ بِٱلْمَخَاطِرِ وَٱلْمُفَاجَآتِ ... وَبِهَذَا يَتَدَرَّبُ عَلَى ٱلْوُصُولِ إِلَى طَرِيقِ ٱلثَّبَاتِ

وَتَنْصَبُّ عَلَى ٱلْقَلْبِ ٱلْآثَارُ وَٱلْأَحْوَالُ ... لَكِنَّهُ إِذَا تَقَلَّبَ فَلَا يَرْتَاحُ لِلْعَبْدِ بَالُ

هَذَا تَخَصُّصٌ قَلْبِيٌّ دَقِيقٌ رَاقِي ... هَكَذَا يُصْبِحُ بِٱلْمُجَاهَدَةِ قَلْبُهُ نَقِيّ

فَٱلْقَلْبُ هُوَ هَدَفُ إِبْلِيسَ عَلَى ٱلدَّوَامْ ... فَإِذَا ٱسْتَفَادَ ٱلسَّالِكُ فَٱلْمَلْعُونُ يُضَامْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ (الأنعام ١١٠).

مَا أَعْظَمَ صُنْعَ ٱللهِ فِي عَجَائِبِ ٱلْقَلْبِ ... فَإِنَّهُ مُعَرَّضٌ لِلنَّفَحَاتِ وَمُعَرَّضٌ لِلسَّلْبِ

كَانَ ﷺ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: "**يَا مُقَلِّبَ ٱلْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**"[1].

(١) رواه الترمذي في سننه.

مُيُولُ أَهْلِ ٱلْخَوَاطِرِ ٱلنَّفْسِيَّةِ

صَاحِبُ ٱلنَّفْسِ ٱلأَمَّارَةِ لَهُ مُيُولٌ مُتَنَوِّعَةْ ... كَحُبِّ ٱلشَّهَوَاتِ وَٱلْقَتْلِ وَٱلضَّرَبَاتِ ٱلْمُشْبِعَةْ

وَٱلإِيـذَاءِ وَٱلْمَكْـرِ وَٱلْخَدِيعَـةِ وَٱلإِغْـوَاءِ ... وَٱلْكِبْرِ وَٱلتَّجَبُّرِ وَٱلْحَسَـدِ وَٱلاِسْـتِعْلَاءِ

فَتِلْكَ عِلَلٌ وَأَمْرَاضٌ مُسْتَعْصِيَةٌ وَرَذَائِلْ ... لَا تَـذْهَبُ وَلَا تُهَـذَّبُ إِلَّا بِعِـدَّةِ وَسَـائِلْ

بِتَوْحِيـدِ ٱللهِ وَٱلطَّاعَـةِ لَـهُ وَلِرَسُولِهِ ﷺ ... وَٱلتَّمَسُّكِ بِمُرْشِدٍ كَامِلٍ وَٱلذِّكْرِ عَلَى أُصُولِهِ

لَا يَقْـدِرُ عَلَـى قَهْـرِ ٱلنُّفُـوسِ ٱلْعَلِيلَـةِ ... إِلَّا ٱلأَنْبِيَـاءُ ﷺ بِهِمَمِهِـمُ ٱلْقَاصِـمَةِ لِلرَّذِيلَـةِ

مَـا مِـنْ إِنْسَـانٍ إِلَّا وَفِي بَاطِنِـهِ عِلَّـةْ ... فَلِـذَا أَرْسَـلَ ٱللهُ ٱلأَنْبِيَـاءَ ﷺ لِكُـلِّ مِلَّـةْ

أَلَمْ يَقُلْ فِرْعَوْنُ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات ٢٤) ... فَجَـاءَهُ مِـنْ رَبِّنَـا ﷻ غَـرَقٌ عَظِـيمٌ وَبَـلَا

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ وَٱلنُّفُوسِ إِلَى ٱلْعِبَادِ مَدَاخِلْ ... يَـتَخَلَّلُونَ مِنْهَـا عَلَـيْهِمْ بِعِـدَّةِ مَرَاحِـلْ

يُزَيِّنُـونَ لِلْعِبَادِ خَـوَاطِرَ وَأَلْفَاظًـا ضَارَّةْ ... تُؤْذِي أَكْثَرَ مِـنَ ٱلْـبَرَاكِينِ ٱلْمُتَفَجِّرَةِ ٱلْحَارَّةْ

يُمَرِّرُونَهَا مِنَ ٱلْعُـرُوقِ إِلَى ٱلْفِكْـرِ ٱلْمُتَقَلِّـلِ ... ثُـمَّ لِلْقَلْـبِ ثُـمَّ يَرْفَعُونَهَـا إِلَى ٱلْعَقْـلِ

ثُمَّ يَتَرَصَّدُونَ ٱلأَمَاكِنَ ٱلْمُنَاسِبَةَ حِينَ ٱلْكَلَامِ ... فَتَكُـونُ تِلْـكَ ٱلْخَـوَاطِرُ غَـيْرَ مُمَيَّـزَةٍ لِلأَنَامِ

فَيَخْتَلِطُ ٱلْخَاطِرُ ٱلسَّيِّئُ مَعَ أَلْـفِ حَرْفٍ ... وَيَنْسَـاقُ ٱلْعَبْـدُ مُطِيعًـا لِكُـلِّ طَـرَفٍ

كَمَـا يَخْـتَلِطُ ٱلْمَـاءُ ٱلْحُلْـوُ بِٱلْمَـاءِ ٱلْمَالِحْ ... وَلَا يَفْصِـلُهُ إِلَّا وَلِـيٌّ كَامِـلٌ عَـارِفٌ صَالِحْ

يَضِـيعُ ٱلْغَافِـلُ عَـنْ إِدْرَاكِ ٱلْعِلَّـةِ ... لِأَنَّ قَلْبَـهُ غَافِـلٌ مَـعَ ٱلشِّـلَّةِ

وَيَجْـرِي ذَلِـكَ مِنْـهُ مَجْـرَى ٱلـدَّمِ ... فَيَقَعُ بِٱلْمَعَاصِي وَٱلأَكْدَارِ وَٱلْخَوَاطِرِ وَٱلْهَمِّ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **" إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ٱلإِنْسَانِ مَجْرَى ٱلدَّمِ "**[1].

ٱلْقَلْبُ ٱلنَّائِمُ يَسْتَقْبِلُ سَائِرَ ٱلْوَسَاوِسِ ... مِـنْ كَـلَامِ ٱلنَّـاسِ وَٱلْجِنِّ ٱلْبَـائِسِ

يُصْبِحُ إِدْخَالُ ٱلأَمْـرَاضِ لَـهُ أَمْـرٌ سَـهْلْ ... لِكَثْـرَةِ ٱلْمَعَاصِـي وَٱلـذُّنُوبِ وَٱلْجَهْـلْ

(١) رواه الإمام البخاري ﷺ ، فتح الباري ، الحديث (٢٠٣٨)

ٱلْمُصَابُ تَأْتِيهِ خَوَاطِرُ لِعَمَلٍ كَذَا — فَيَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ بَاطِنٍ صَادِقٍ أَتَى

فَيُطِيعُ فَإِذَا بِهِ يَجِدُ فِيهِ أَذَى — فَتَخْتَلِطُ عَلَيْهِ ٱلْأُمُورُ ، ذَلِكَ ٱلْفَتَى

أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَاقِعٌ بِتِلْكَ ٱلْأَمْرَاضِ — وَإِذَا نَصَحْتَهُمْ يُجَابِهُونَكَ بِأَشَدِّ ٱعْتِرَاضِ

كَمْ مِنْ مُطِيعٍ لِهَوَى ٱلنَّفْسِ وَصَلَ لِلْمَهَالِكْ — وَكَانَ يَظُنُّ نَفْسَهُ تَقِيًّا صَالِحًا سَالِكْ

لَا يُبْنَى عَلَى خَوَاطِرٍ وَأَفْكَارِ ٱلنُّفُوسِ — إِلَّا حِينَ ٱلْفَتْحِ وَٱلْمَدَدِ ٱلرَّبَّانِيِّ ٱلْمَحْسُوسِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (العنكبوت ٣٨)

لَا يَنْجُو مِنْ ذَلِكَ ٱلتَّزْيِينِ ٱلشَّيْطَانِيِّ — إِلَّا وَلِيٌّ مُرْشِدٌ كَامِلٌ رَبَّانِيّ

ٱلْخَوَاطِرُ ٱلْمُتَتَابِعَةُ وَٱلْقُلُوبُ ٱلضَّائِعَةُ

ٱلْمَكْرُ(١) ٱلْإِلَهِيُّ وَٱلْخَوَاطِرُ ٱلْمُضِرَّةُ — لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا ٱلْقُلُوبُ ٱلْمُعَمَّرَةُ

فَإِنْ نَجَتْ مِنْهَا تَبِعَهَا وَسَاوِسُ ٱلشَّيْطَانِ — فَإِنْ نَجَتْ مِنْهَا تَبِعَهَا خَوَاطِرُ ٱلْإِنْسَانِ

فَإِنْ نَجَتْ فَيُلَاحِقُهَا هَوَى ٱلنُّفُوسِ — فَعَلَيْنَا تَهْذِيبُهَا بِٱلذِّكْرِ وَٱلدُّرُوسِ

عَلَيْكَ بِطَرْدِ كُلِّ إِرْسَالٍ مُشَوِّشٍ وَمُعَكِّرْ — فَإِنْ غَفَلْتَ عَادَ ٱلْقَلْبُ لِحَالِهِ ٱلْمُحْتَقَرْ

لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى ٱلْأَنْبِيَاءِ ﷺ خَوَاطِرُ وَسَيْطَرَةْ — فَإِنْ تَجَرَّأَ يُرْمَ بِشُهُبٍ مُسَعَّرَةْ

وَمَنْ أَوْصَلَهُ ٱللهُ لِأَقْدَامِهِمُ ٱلْمَعْنَوِيَّةِ — ٱسْتَطَاعَ تَنْظِيفَ ٱلْقُلُوبِ بِمَرَاهِمَ نَبَوِيَّةِ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ لَا يَغْتَرَّ بِنَفْسِهِ — فَغُرُورُهُ يُرْدِيهِ وَيُؤَدِّي إِلَى نَسْفِهِ

أَنْوَاعُ ٱلْخَوَاطِرِ

ٱلْخَوَاطِرُ عَدَّهَا ٱلْقَوْمُ أَرْبَعَةً مُتَنَوِّعَةْ — وَهِيَ حَسَبُ أَقْوَالِ ٱلصَّالِحِينَ رضي الله عنهم مُتَفَرِّعَةْ

خَاطِرُ ٱلنَّفْسِ وَيُحِسُّ بِهِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّهُ — مِنْ أَرْضِ ٱلْقَلْبِ ، وَخَاطِرُ ٱلْحَقِّ يَأْتِي إِلَيْهِ

(١) قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران ٥٤)

مِنْ فَوقِ ٱلقَلْبِ ، أَمَّا خَاطِرُ ٱلْمَلَكْ فَمَجِيئُهُ عَنْ يَمِينِ ٱلقَلْبِ وَلَيْسَ فِيهِ هَلَكْ
وَخَاطِرُ ٱلشَّيْطَانِ يَكُونُ عَنْ يَسَارِ ٱلقَلْبِ وَلَا يُمَيِّزُهَا إِلَّا مَنْ آذَنَ نَفْسَهُ بِٱلْحَرْبِ
وَعَلَى ٱلنَّفْسِ وَٱلْهَوَى وَٱلشَّيْطَانِ ٱنْتَصَرْ كَمَا قَالَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ خَالِقُ ٱلبَشَرْ
قَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد ٧)

خَاطِرُ ٱلْخَيْرِ وَخَاطِرُ ٱلشَّرِّ

قَالَ ٱلرَّسُولُ ﷺ : " إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً[1] بِٱبْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً؛ فَأَمَّا لَمَّةُ ٱلشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِٱلشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِٱلْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ ٱلْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِٱلْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِٱلْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَٰلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ ٱللهِ فَلْيَحْمَدِ ٱللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ ٱلأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ". ثُمَّ قَرَأَ ﷺ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ (البقرة ٢٦٨) الآيَةَ .[2]

جَعَلَ ٱللهُ لِلإِنسَانِ خَاطِرَ خَيْرٍ يَعِظُهُ مُقَابِلَ خَاطِرِ ٱلشَّرِّ ٱلَّذِي إِلَيْهِ يَدْفَعُهُ
فَٱلأَوَّلُ هُوَ إِعَانَةٌ وَصَوَابٌ وَهُوَ مَبْرُوكٌ وَٱلثَّانِي مِنَ ٱلشَّيَاطِينِ فَمَرْفُوضٌ وَمَتْرُوكٌ
لَهُ أَوَامِرُ بِٱلقَلْبِ وَخَوَاطِرُ مُتَنَوِّعَةْ مِنْهَا ٱلأَمْرُ بِٱلزِّنَا وَٱلْقَتْلِ بِطَرِيقَةٍ مُفْزِعَةْ
وَٱلِٱنْتِحَارُ وَٱلإِبْهَامُ وَٱلتَّخْوِيفُ وَكَثْرَةُ ٱلشَّهَوَاتِ وَتَزْيِينُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ آفَاتِ
كُلُّ ذَٰلِكَ يَجُولُ بِٱلقَلْبِ لِيُتْلِفَهُ فَيَأْتِي خَاطِرُ ٱلْخَيْرِ عَلَى خَاطِرِ ٱلشَّيْطَانِ فَيَنْسِفُهُ
إِذَا كَانَ ٱلْمُصَابُ عِنْدَهُ مُجَاهَدَاتٌ وَرَدْعُ فَيَذُوبُ تَسَلُّطُ ٱلشَّيْطَانِ وَيَخِفُّ ٱلْفَزَعُ

ٱلتَّمْيِيزُ بَيْنَ ٱلْخَاطِرِ ٱلْحَسَنِ وَٱلسَّيِّئِ

ٱلتَّمْيِيزُ بَيْنَ ٱلْخَوَاطِرِ ٱلَّتِي تَنْتَابُ ٱلعَبْدَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مُرِيدٌ كَامِلٌ خَبِرَ ٱلدَّرْبَ
يَفْصِلُ بَيْنَ ٱلْفَسَادِ وَٱلصَّلَاحِ بِٱلإِشَارَةِ وَيَكُونُ قَلْبُهُ مُضِيئًا كَٱلْمَنَارَةِ

(١) ٱللَّمَّةُ : ٱلْهَمَّةُ وَٱلْخَطْرَةُ تَقَعُ فِي ٱلقَلْبِ .

(٢) حسن غريب رواه الترمذي ﷺ في سننه

صَافِيَ ٱلْيَقِينِ قَوِيَّ ٱلتَّمْكِينِ وَٱلْهِمَّةِ ... يُمَيِّزُ بَيْنَ ٱلْخَوَاطِرِ وَمَعْرِفَةِ ٱلْغُمَّةِ

هَـٰذَا عَبْدٌ ٱسْتَقَامَ قَلْبُهُ عَلَى ٱلطَّاعَةِ ... وَٱبْتَعَدَتْ نَفْسُهُ عَنْ كُلِّ شَنَاعَةِ

يَئِسَ ٱلشَّيْطَانُ مِنْهُ وَمِنْ مُلَاحَظَتِهِ ... فَهُوَ يَكْشِفُهُ فِي أَكْثَرِ سَيِّئَاتِهِ وَآفَاتِهِ

لِأَنَّ ٱلْقَلْبَ إِذَا كَانَ صَافِيًا رَقِيقًا ... ٱهْتَزَّ لِكُلِّ طَارِئٍ غَرِيبٍ وَعَكَّرَ ٱلرِّيقَا

ٱلصَّفَاءُ فِيهِ نُورُ بَرَكَاتِ ٱلْهِدَايَةِ ... يَتَّقِيهِ ٱلشَّيْطَانُ خَوْفًا مِنَ ٱحْتِرَاقِهِ بِٱلْبِدَايَةِ

بِٱلذِّكْرِ يَحْمِي ٱلإِنْسَانُ ٱلْجَوَارِحَ ٱللَّطِيفَةْ ... مِنْ وَسَاوِسِ سُوءِ لَمَّاتِهِ ٱلْمُخِيفَةْ

وَيُعَالِجُ بِٱلْمُرَاقَبَةِ حَوَادِثَ ٱلنَّفْسِ ٱلْمُتْعِبَةِ ... فَيَتَّقِي بِهَا مِنَ ٱلْخَوَاطِرِ وَٱلأَفْكَارِ ٱلْمُرْعِبَةِ

وَيَصِيرُ قَلْبُهُ كَٱلْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ ٱلسَّارِي ... يَرْمِي بِٱلشُّهُبِ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ ٱلضَّارِي

وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ قُوَّةُ مُكَاشَفَةِ ... لِلْخَوَاطِرِ ٱلْحَسَنَةِ وَٱلْخَوَاطِرِ ٱلْمُهْلِكَةِ

إِذَا جَاءَهُ خَاطِرٌ وَٱشْتَبَهَ عَلَيْهِ تَفْسِيرُهْ ... فَلْيَطْلُبِ ٱلْمَعُونَةَ مِنَ ٱللهِ لِتَغْيِيرِهْ

مَعَ ٱلِاعْتِرَافِ بِٱلتَّقْصِيرِ وَٱلْمَذَلَّةِ ... لِلهِ وَٱتِّهَامِ نَفْسِهِ بِكُلِّ عِلَّةِ

إِذَا أَتَى بِهَـٰذَا ٱلأَدَبِ يُغَاثُ وَيُعَانْ ... وَيُظْهِرُ ٱللهُ تَعَالَى لَهُ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلرَّانْ

أَمَّا مَنْ وَسَّعَ عَلَى نَفْسِهِ طَرِيقَ ٱلْهَوَى ... ٱسْتَمْكَنَ فِيهِ ٱلشَّيْطَانُ وَأَضْعَفَ مِنْهُ ٱلْقُوَى

يَكُونُ ٱلْقَلْبُ ٱلصَّافِي كَٱلْمِرْآةِ ٱللَّاقِطَةِ ... تَكْشِفُ كُلَّ ٱلْخَوَاطِرِ ٱلْحَسَنَةِ وَٱلسَّاقِطَةِ

أَمَّا مُظْلِمُ ٱلْقَلْبِ فَلَا يُبَالِي بِٱلْخَوَاطِرِ ... وَلَا يَلْتَفِتُ لِنَصَائِحِ وَمَوَاعِظِ أَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: **"إِذَا أَذْنَبَ ٱلْعَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا فَإِنْ عَادَ زَادَتْ، حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ فَذَٰلِكَ ٱلرَّانُ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (المطففين ١٤) **"**[1]

مَنْ كَانَ أَكْلُهُ حَرَامٌ لَا يُفَرِّقُ ... بَيْنَ هَوَاجِسِ ٱلنَّفْسِ وَٱلإِلْهَامِ ٱلْمُشْرِقِ

وَٱلشَّيْطَانُ إِذَا دَعَاهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ وَلَمْ يُجِبْ ... يُوَسْوِسُ بِأُخْرَى حَتَّى ٱلْقَلْبُ يَنْجَذِبْ

(١) إحياء علوم الدين ج١ص ٣١٢

وَتَتَحَسَّسُ ٱلنَّفسُ ٱلرَّاقِيَةُ ٱلخَوَاطِرَ ٱلْمُتَنَوِّعَةْ بِمَعْرِفَةٍ نُورَانِيَّةٍ وَمُكَاشَفَاتٍ مُرَوِّعَةْ

بِنُورِ ٱلتَّوحِيدِ تَقْبَلُ ٱلخَاطِرَ ٱلعَظِيمْ وَبِنُورِ ٱلمَعْرِفَةِ تَقبَلُ مِنَ ٱلمَلَكِ ٱلكَرِيمْ

وَبِنُورِ ٱلإِيمَانِ تَنهَى ٱلمَرْءَ عَنِ ٱلرَّذِيلَةِ وَبِنُورِ ٱلإِسْلَامِ تَرُدُّ عَلَى ٱلعَدُوِّ صَاحِبِ ٱلحِيلَةِ

فَتَقِيسُ ٱلخَاطِرَ: إِنْ كَانَ سَلِيمًا تُمْضِيهِ وَإِنْ كَانَ خَاطِرًا سَيِّئًا تَنْفِيهِ

زَجْرُ ٱلبَاطِنِ هِبَةُ ٱللهِ لِلْمُرِيدْ لَا يَظْفَرُ بِذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ كَمَا ٱللهُ يُرِيدْ

ٱلصَّادِقُ ٱلَّذِي إِذَا ذَكَرَ ٱللهَ ٱفْتَكَرْ وَإِذَا ذَكَرَ ذَنْبَهُ بِٱلمَعْصِيَةِ ٱسْتَغْفَرْ

وَإِذَا ذَكَرَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ٱعْتَبَرْ وَإِذَا ذَكَرَ أَحْوَالَ ٱلآخِرَةِ ٱسْتَبْشَرْ

وَإِذَا ذَكَرَ مَوْلَاهُ بِقَلْبِهِ ٱقْشَعَرّْ وَخَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ ﷻ قَدِ ٱشْتَهَرْ

تَسَلُّطُ ٱلشَّيْطَانِ عَلَى ٱلقَلْبِ

ٱلجِنُّ أَرْوَاحٌ نَارِيَّةٌ خَلَقَهَا ٱلبَارِي ﷻ بَعْضُهُمْ يَعْمَلُ لِلْخَيْرِ وَبَعْضُهُمْ لِلشَّرِّ وَٱلإِضْرَارِ

يَجِبُ ٱلِاعْتِقَادُ بِوُجُودِ ٱلجِنِّ فَمَنْ أَنْكَرَ وُجُودَهُمْ فَإِنَّهُ بِعَقِيدَتِنَا قَدْ كَفَرَ

لِأَنَّهُ كَذَّبَ ٱلقُرْآنَ ٱلكَرِيمْ وَمَا أَخْبَرَنَا عَنْهُ رَبُّنَا ٱلعَظِيمْ ﷻ

خَلَقَ ٱللهُ ٱلجِنَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ مِنْهُمُ ٱلكَافِرُ وَمِنْهُمُ ٱلمُؤْمِنُ بِٱلنَّبِيِّ ٱلمُخْتَارِ ﷺ

قَالَ ﷻ : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ (الرحمن ١٥)

ٱلشَّيْطَانُ يَعْلَمُ مِنْهُمْ مَدَاخِلَ ٱلقُلُوبْ يَخْتَارُ ٱلقَلْبَ ٱلغَافِلَ فَهُوَ لَهُ مَطْلُوبْ

لِيَرْمِيَ فِيهِ سِهَامَهُ فِي ٱللَّيْلِ أَوِ ٱلضَّحْوَةِ فَيُصِيبُ مَكَامِنَ ٱلغَضَبِ أَوِ ٱلشَّهْوَةِ

فَإِذَا أَدْرَكَ بِإِصَابَتِهِ ٱلحَوَاسّ تَأَثَّرَ ٱلقَلْبُ بِمَا فَعَلَهُ ٱلخَنَّاسْ

فَتَهِيجُ ٱلشَّهْوَةُ أَوِ ٱلغَضَبُ بِشِدَّةٍ فَتَتَحَرَّكُ ٱلخَيَالَاتُ وَٱلوَسَاوِسُ بِحِدَّةٍ

وَقَدْ يَعْرِضُ عَلَى ٱلقَلْبِ خَوَاطِرُ كُفْرِيَّةٌ وَيَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ صَبَاحًا وَعَشِيَّةً

وَيَدْعُو بِخَوَاطِرِهِ ٱلْقَلْبَ إِلَى ٱلشُّرُورِ ... وَيُوهِمُهُ ٱلْعَمَلَ بِهَا لِسُهُولَةِ ٱلْمُرُورِ

وَٱلْخَوَاطِرُ ٱلَّتِي تَعْرِضُ عَلَى ٱلْقَلْبِ كَثِيرَةْ ... فِيهَا لَمَّاتٌ وَإِغْوَاءَاتٌ مُثِيرَةْ

يَصْعُبُ مَعْرِفَتُهَا وَمَكَانُ صُدُورِ قَاعِدَتِهَا ... فَإِنَّ ٱلْمُصَابَ لَمْ يَتَخَصَّصْ فِي مُحَارَبَتِهَا

إِلَّا ٱلسَّالِكُ ٱلْعَارِفُ قَوِيُّ ٱلْهِمَّةِ ... يَسْتَطِيعُ ٱلتَّمْيِيزَ بَيْنَ ٱلْإِغْوَاءِ وَٱللَّمَّةِ

تَقَلُّبُ ٱلْخَوَاطِرِ ٱلْقَلْبِيَّةِ

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْقَلْبَ تَنْصَبُّ عَلَيْهِ ٱلْأَحْوَالْ ... وَيَتَقَلَّبُ تَقَلُّبَاتٍ بِحَسَبِ هِمَمِ ٱلرِّجَالْ

فَلَا يَطْمَئِنَّ سَالِكٌ أَوْ عَالِمٌ مِنَ ٱلْمَكْرْ ... وَعَلَيْهِ مُتَابَعَةُ ٱلْخَوْفِ مِنَ ٱللَّهِ وَٱلشُّكْرْ

ٱنْظُرْ أَيْنَ كَانَ إِبْلِيسُ قَبْلَ هُبُوطِهِ مِنَ ٱلْجَنَّةْ ... لَقَدْ وَقَعَ بِعِنَادِهِ فِي ٱلْمَكْرِ فَكَانَ أَذَلَّ ٱلْجِنَّةْ

كَانَ رَسُولُنَا ٱلْمُعَظَّمُ ﷺ يَسْتَغِيثُ وَيَقُولُ ... قَوْلًا عَظِيمًا تَتَحَيَّرُ لَهُ ٱلْعُقُولُ

"يَا مُقَلِّبَ ٱلْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". (أخرجه الترمذي)

بَعْضُ ٱلْقُلُوبِ مَمْلُوءَةٌ بِصُوَرٍ نَقَّالَةٍ ... تَنْقُلُ مَا تُشَاهِدُهُ بِٱلطُّرُقِ مِنْ مَعَاصٍ وَرَذَالَةٍ

كُلَّمَا ٱزْدَادَتِ ٱلصُّوَرُ عَلَى ٱلْقُلُوبْ ... كُلَّمَا فُتِحَتْ لِلشَّيْطَانِ مَدَاخِلُ وَدُرُوبْ

وَإِذَا كَانَ ٱلسَّالِكُ يُجَاهِدُ شَيْطَانَهُ ... بَقِيَ قَلْبُهُ قَوِيًّا وَٱرْتَفَعَ مَقَامُهُ

لِأَنَّهُ يَتَرَقَّى بِحَسَبِ قُوَّةِ مُجَاهَدَاتِهِ ... وَيَبْقَى هَكَذَا إِلَى أَنْ تَلُوحَ إِشَارَةُ نِهَايَتِهِ

فِي نِهَايَةِ سُلُوكِهِ تَذُوبُ وَسْوَسَتُهُ ... وَيَنَالُ مَرَاتِبَ بِقَدْرِ هِمَّتِهِ وَتَزْكِيَتِهْ

الشَّيْطَانُ مُسْتَنْفِرٌ وَكَذَلِكَ حِدَّةُ الْمُوَاجَهَةِ

لَا يَمَلُّ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ مُطَارَدَةِ ٱلْقُلُوبِ ... وَمُلَاحَقَتِهَا عِنْدَ ٱلْغَفْلَةِ وَٱقْتِرَافِ ٱلذُّنُوبِ

كُلَّمَا غَفَلَ ٱلذَّاكِرُ ٱغْبَرَّتْ خَوَاطِرُهُ ... وَكُلَّمَا ذَكَرَ ضَعُفَتْ عَنِ ٱلْقَلْبِ نَوَاظِرُهُ

لَهُ آلَةٌ يَبُثُّ مِنْهَا هِيَ كَالْخُرْطُومِ فِيهَا الْوَسَاوِسُ وَالْمَخَاوِفُ وَسَائِرُ السُّمُومِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خُرْطُومَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِنْ هُوَ ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى خَنَسَ وَإِنْ نَسِيَ اللهَ تَعَالَى الْتَقَمَ قَلْبَهُ** "[1]. (أخرجه ابن الدنيا)

وَسَائِلُ مُجَابَهَتِهِ يَنْبَغِي أَنْ تَبْقَى جَاهِزَةْ كَالصِّيَامِ وَالذِّكْرِ وَالْعِبَادَاتِ الْجَائِزَةْ

وَإِلَّا تَغَلَّبَ الشَّيْطَانُ عَلَى سَائِرِ الْحَوَاسِّ وَتَسَلَّطَ عَلَى الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالْإِحْسَاسِ

حَيْثُ يَتَجَوَّلُ وَيَجْرِي مُهَرْوِلًا لِلصُّدُورْ فَيَبْقَى الْمُصَابُ مُشَوَّشًا مُتَأَلِّمًا مَقْهُورْ

قَالَ ﷺ: " **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهِ بِالْجُوعِ**"[2].

إِنَّ الْجُوعَ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ وَيُهَدِّئُ الْخَوَاطِرْ وَيُضَيِّقُ مَجَارِيَ الشَّيْطَانِ بِالشَّهْوَةِ وَكُلَّ خَاطِرْ

فَيَتَوَقَّفُ عَنْ بَثِّ الْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ وَلَا يَعْرِفُ هَذَا إِلَّا الْعَارِفُونَ بِكُشُوفَاتٍ جَرِيئَةِ

لَكِنَّ وَسَائِلَهُ كَثِيرَةٌ فَيُوَسْوِسُ بِلَطِيفِ الْحِيلَةِ وَيُزَيِّنُ بَعْضَ الْأَعْمَالِ لِإِظْهَارِ خَيْرَاتٍ جَمِيلَةِ

لِيَصْطَادَ بِشِبَاكِهِ قُلُوبَ الْبُسَطَاءِ الْغَافِلِينْ فَيَسْتَدْرِجُ بِهَا النَّاسَ لِلْهَلَاكِ الْمُبِينْ

وَلَهُ تَحْتَ الْخَيْرِ تَلْبِيسَاتٌ وَمَقَاصِدُ مَوْصُوفَةٌ مَكْشُوفَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَلِلْأَوْلِيَاءِ رضي الله عنهم مَعْرُوفَةٌ

دُخُولُ الشَّيْطَانِ لِبَاطِنِ الْإِنْسَانِ وَمُجَابَهَتُهُ

يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ إِلَى الْقُلُوبِ بِحَسَبِ النُّفُوسِ فَالطَّرِيقُ إِلَى قَلْبِ الْقَاسِي مُيَسَّرَةٌ لِلْمَنْحُوسِ

فَعِقَابًا لَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ يُسَلِّطُهُ رَبُّنَا سُبْحَانَهْ عَلَيْهِ فَيَنَالُ نَصِيبَهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ فِي أَوَانِهْ

أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ بِشَكْلِ انْتِقَامِ لِإِيمَانِهِ الْعَظِيمِ وَكُرْهًا مِنْهُ لِذَلِكَ الْمَقَامِ

قَالَ اللهُ جل جلاله: ﴿ **وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ** ﴾ (التوبة ٧٤)

فَيُعْطِي اللهُ الْمُؤْمِنَ قُوَّةً لِلْمُجَابَهَةِ الْخَطِيرَةِ لِدَفْعِ أَضْرَارِهِ وَوَسَاوِسِهِ الْمُؤْلِمَةِ الْمَرِيرَةِ

وَأَثْنَاءَ مُجَاهَدَةِ الْمُؤْمِنِ لِخَوَاطِرِهِ الرَّدِيئَةْ يَنَالُ إِشَارَاتٍ وَبِشَارَاتٍ وَأَنْوَارًا قُدْسِيَّةْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨

(٢) كشف الخفاء ج ١ ص ٢٢١

فَيَمْكُرُ ٱلشَّيْطَانُ بِـٱلمُؤْمِنِ لِيَصِيبَ قَلْبَهُ ... فَيَمْكُرُ ٱللهُ بِٱلشَّيْطَانِ وَيُعْلِنُ عَلَيْهِ حَرْبَهُ
فَيَحْبِسهُ بِعُرُوقِ ٱلمُؤْمِنِ ٱلقَوِيِّ ٱلمُجَاهِدْ ... وَيَمْنَعُهُ مِنَ ٱلفِرَارِ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ شَاهِدْ
إِلَى أَنْ تَذُوبَ قُوَّتُهُ ٱلشِّرِّيرَةُ وَعُنْفُوَانُهْ ... وَتَضْعُفُ كُلُّ وَسَائِلِهِ وَسَائِرُ أَعْوَانِهْ
حَتَّى يَنْفَصِلَ ٱلشَّيْطَانُ وَيَنْقَطِعَ عَنِ ٱلاتِّصَالِ ... فَيُصْبِحُ ذَلِيلاً ضَعِيفًا مَقْطُوعَ ٱلأَوْصَالِ
وَيُخَيَّرُ ٱلمُؤْمِنُ بِحَرْقِهِ[1] بِٱلشَّهَادَةِ ٱلكَرِيمَةِ ... أَوْ يَتْرُكُهُ لِيَحْرِقَهُ ٱللهُ بِنَارٍ عَظِيمَةِ
وَقَدْ يُبْقِيهِ بِٱلسَّلَاسِلِ وَٱلأَصْفَادِ كَعِبْرَةِ ... تُكَاشِفُهُ ٱلأَوْلِيَاءُ ﵃ بِإِشَارَاتِهِمُ ٱلمُعْتَبَرَةِ

(١) تحرقه الأولياء.

ٱلهُرُوبُ مِنَ ٱلرَّذَائِلِ يَحْمِي مِنَ ٱلوَسْوَسَةِ

بَعْضُ ٱلمَعَاصِي ٱلَّتِي يَسْتَغْفِرُ ٱلعَبْدُ مِنْهَا رَبَّهْ ... تُسَمَّى مَعَاصِيَ ظَاهِرَةً تَقَعُ لَهُ بِدَرْبِهْ
أَمَّا ٱلبَاطِنَةُ فَيَصْعُبُ ٱكْتِشَافُهَا ٱلخَفِيّْ ... لَكِنَّ ٱللهَ يَعْلَمُهَا وَهُوَ ٱلَّذِي مِنْهَا يَشْفِي
فَعَلَى ٱلخَائِفِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ ٱلهُرُوبُ مِنَ ٱلرَّذَائِلِ ... وَمِنْ سَائِرِ مَا شَرَحْنَا مِنْ تِلْكَ ٱلمَسَائِلِ
فَإِنَّ مَنْ يُشَارِكُ ٱلشَّيْطَانَ بِأَعْمَالِهِ ... يَتَّحِدُ مَعَهُ فِي أَذَاهُ وَسَائِرِ أَقْوَالِهِ
أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ تَعَرُّضًا لِوَسْوَسَةِ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمْ ... مَنْ يَسْتَحْقِرُ ٱلنَّاسَ وَيَزْدَرِيهِمْ وَهُوَ لَئِيمْ
يَأْنَسُ بِسُوءِ ٱلظَّنِّ وَٱلغِيبَةِ وَٱلنَّمِيمَةِ ... وَكَسْرِ قُلُوبِ ٱلمُسْلِمِينَ وَٱلتُّهَمِ ٱلعَظِيمَةِ
فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ أَنَّهُ عَلَى حَقِّ ... فَيُوَافِقُ طَبَائِعَهُ ٱلسُّفْلِيَّةَ بِكُلِّ مُنْزَلَقِ
بَعْضُهُمْ يَسُبُّ ٱلشَّيْطَانَ فِي ٱلعَلَانِيَةِ ... وَيُوَافِقُهُ فِي ٱلسِّرِّ وَيَأْكُلُ مَعَهُ فِي ٱلآنِيَةِ
قِيلَ: كَيْفَ ٱلخَلَاصُ مِنْ تِلْكَ ٱلمَكَائِدِ وَٱلمَصَائِبْ ... ٱلخَلَاصُ بِٱلتَّوْبَةِ وَٱلنَّدَمِ وَٱلحَذَرِ فَإِنَّهُ عَمَلٌ صَائِبْ
قَالَ أَحَدُ ٱلأَوْلِيَاءِ ﵃: (إِنَّ بَابَ ٱلتَّوْبَةِ مَفْتُوحْ ... مَا دَامَ فِي ٱلجَسَدِ رُوحْ)
وَيُقْفَلُ بِظُهُورِ ٱلإِشَارَةِ ٱلمُرْعِبَةِ ٱلشَّرْعِيَّةِ ... كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ صَاحِبُ ٱلأَحَادِيثِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ﷺ

ضَرُورَةُ مُعَالَجَةِ الْخَوَاطِرِ وَكَيْفِيَّتِهَا

حَيْثُمَا يَجِدُ الشَّيْطَانُ مَجَالًا يَقْصِدُهُ ... كَالْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ فَلَا شَيْءَ يَرْدَعُهُ

فَأَعْظَمُ الْمُحَارَبَةِ تَكُونُ فِي الْقُلُوبِ ... فَعَلَى الْمُرِيدِ مُطَارَدَتُهُ بِأَذْكَارِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ ﷻ

لِيُبْعِدَهُ عَنِ اسْتِيطَانِ قَلْبِهِ وَاسْتِعْمَارِهِ ... فَيُزْعِجُهُ بِتِلْكَ الْمُجَاهَدَاتِ حَتَّى أَثْنَاءَ فِرَارِهِ

فَتَخِفُّ حَرَارَةُ الْخَاطِرِ بِالذِّكْرِ الْخَفِيِّ ... وَلَا تَنْتَهِي وَسْوَسَةُ الْخَوَاطِرِ بِالذِّكْرِ النَّفْسِيِّ

بَلْ تَخْنُسُ الْوَسْوَسَةُ طَالَمَا هُوَ ذَاكِرْ ... وَالْوَسْوَاسُ أَصْنَافٌ مُتَنَوِّعَةُ الْمَظَاهِرْ

فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ وَعْدَ اللهِ وَوَعِيدَهْ ... قَوِيَ إِيمَانُهُ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى تَقْوِيضِهْ

فَيَخْنَسُ الشَّيْطَانُ وَكَأَنَّمَا عَلَيْهِ نَزَلْ ... إِنْذَارٌ يُزَلْزِلُ قُوَّتَهُ وَيَأْتِيهِ بِالْأَجَلْ

فَيَتَرَاجَعُ تَارَةً وَيَعُودُ تَارَةً أُخْرَى ... لِأَنَّ قَلْبَهُ لَمْ يَرَ بَعْدُ إِلَّا الْعَلَامَاتِ الصُّغْرَى

وَلَا يُعَالَجُ الشَّيْءُ إِلَّا بِضِدِّهِ فَيَكْوِيهِ ... وَذِكْرُ اللهِ بِالْقَلْبِ يُزْعِجُهُ وَيُرْدِيهِ

وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَعْقُبُ الذِّكْرَ الْوَسْوَسَةْ ... يَضُرُّ الشَّيْطَانُ الْمُرِيدِينَ بِزَرْعِ هَذِهِ الْغَرْسَةْ

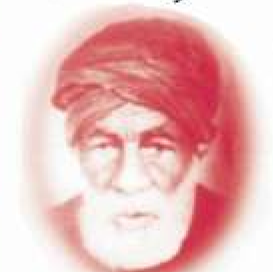
وَالْمَحْفُوظُ مِنْهُمْ مَنْ كَمُلَتْ مَحَبَّتُهُ ... وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ نُورًا وَصَفَتْ سَرِيرَتُهُ

فَيَحْسِبُ لَهُ الشَّيْطَانُ أَلْفَ حِسَابِ ... يَتَرَقَّبُهُ مُتَسَتِّرًا دَائِمًا خَلْفَ الْأَبْوَابِ

وَهَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ الصَّالِحُونْ ... الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ ذِكْرُ رَبِّهِمْ ﷻ فَالشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ يَهُونْ

فَيُجَرِّبُ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمْ طَائِفَ خَوَاطِرِهِ خِلْسَةْ ... فَيَذُوقُ مِنْهُمْ غُصَّاتٍ تَقْطَعُ حِسَّهْ

قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف ٢٠١)





→ الشيخ زين العابدين حفيد الشيخ الحزين - تركيا

الصوفي الشيخ حسين جسيون - المغرب ←

مِثَالٌ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالتَّخَاطُرِ

قَدْ يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ خَاطِرٌ رَقِيقْ   يُخْبِرُهُ أَنَّ هُنَاكَ امْرَأَةً تَسِيرُ فِي الطَّرِيقْ

وَأَنَّهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ   فَلَوِ الْتَفَتَ إِلَيْهَا لَرَآهَا كَمَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ

هَذِهِ مِنَ الاتِّصَالاتِ التَّخَاطُرِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ   الْمُشْتَرَكَةِ بِالإِحْسَاسَاتِ وَالْمَشَاعِرِ الْقَلْبِيَّةِ

وَقَدْ سَمَّوْهُ حَدِيثًا تَخَاطُرَ النُّفُوسْ   رُبَّمَا لِأَنَّ الْمَرْأَةَ لَهَا مَطْلَبٌ مَدْسُوسْ

فَانْعَكَسَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْحَالُ الْمُرْسَلْ   فَأَصَابَ جِهَازَ فِكْرِهِ بِمَا أَرْسَلْ

فَإِنْ مَنَعَهُ الْحَيَاءُ وَالْخَجَلُ مِنَ الالْتِفَاتِ   فَتَقْوَى ، ضِدَّ الأَهْوَاءِ ، فِيهِ إِرَادَةُ الذَّاتِ

وَمَنْ كَانَتْ إِرَادَتُهُ ضَعِيفَةً تَقْبَلُ الْمَعَاصِي   فَيُطِيعُ الْعَارِضَ وَيَلِينُ فِيهِ مَا كَانَ قَاسِي

اللهُ أَعْلَمُ بِالنَّوَايَا وَالْعَزَائِمِ التَّخَاطُرِيَّةِ   وَهُوَ الْعَالِمُ بِالْهَوَاجِسِ النَّفْسِيَّةِ وَالصَّدْرِيَّةِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ** " . (كشف الخفاء ج ٢ ص ٣٨٥)

وَأَكْثَرُ خَوْفِ الأَطْفَالِ عِنْدَ الْمَسَاءِ   يَخَافُونَ الْخُرُوجَ مِنْ غُرَفِهِمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ

وَأَكْثَرُ مَا يُوَسْوِسُ الشَّيْطَانُ بِالصَّلاةِ وَالْوُضُوءِ   مَنْ أَصَابَ قَلْبَهُ بِمَشْهَدٍ مَوْبُوءِ

كَأَنْ يُزَيِّنَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ رُؤْيَةَ مُتَبَرِّجَةٍ   فَيُحَرِّكُ فِيهِ لَوَاعِجَ نَفْسِهِ بِطَرِيقَةٍ مُزْعِجَةٍ

فَلا يَزُولُ الْوَسْوَاسُ الشَّيْطَانِيُّ عَنْ فُؤَادِهِ   إِلَّا بِرَمْيَةٍ جَادَّةٍ مِنْ قَلْبِهِ لِإِبْعَادِهِ

وَقَدْ يَقَعُ قَلْبُ الشَّابِ بِحُبِّ فَتَاةٍ (١)   فَيَحْتَرِقُ قَلْبُهُ لَهْفَةً عَلَيْهَا بِتِلْكَ الأَوْقَاتِ

فَتُسَبِّبُ لَهُ الْخَوَاطِرُ آلامًا وَأَوْجَاعًا مُتْعِبَةْ   وَهَوَاجِسَ وَمُشَاهَدَاتٍ ذَاتَ طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةْ

مَنْ يَتَغَلَّبُ عَلَى هَذِهِ الآفَاتِ   يَصِلُ إِلَى مَدَارِجِ رُوحِيَّةٍ فِيهَا أَرْقَى حَالاتِ

(١) حب بالحرام ؛ غير شرعي

الشيخ عبد القادر المعروف بأحمد قدور – مشحة شمال لبنان

الشيخ أحمد عز الدين الرفاعي – قرقف شمال لبنان



شَيَاطِينُ ٱلْإِنْسِ تُعِينُ شَيَاطِينَ ٱلْجِنِّ

قَدْ يُسَاعِدُ ٱلشَّيْطَانُ مَنْ يُطِيعُهُ فَيُعَرِّفُهُ ... عَلَى عُلُومٍ سَوْدَاءَ مُضِرَّةٍ وَلِلْخَطَرِ تَجْرِفُهُ

قَدْ يَصِلُ بِهَا إِلَى تَوَلِّي ٱلْحُكْمِ وَٱلسُّلْطَةْ ... فِي عَصْرٍ تَكُونُ فِيهِ ٱلْأُمُورُ مُخْتَلِطَةْ

يَكُونُ فِيهِ ٱلْكَاذِبُ صَدُوقًا مُحْتَرَمَا ... وَٱلصَّادِقُ كَذُوبًا مَكْرُوهًا مُحَارَبًا مُتَّهَمَا

وَٱلْحُقُوقُ مَسْرُوقَةً وَٱلسَّارِقُ مُنْتَصِرًا ... وَصَاحِبُ ٱلْحَقِّ فِي سِجْنٍ مُحْتَقَرًا

يَنْتَشِرُ ٱلدَّجَّالُونَ وَيُسَيْطِرُونَ بِتَأْيِيدِ ... كُلِّ شَيْطَانٍ كَافِرٍ مَلْعُونٍ مَرِيدِ

وَيَظْهَرُ ٱلِاحْتِيَالُ عِنْدَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلرِّجَالِ ... وَٱلْغِشُّ وَٱلتَّزْوِيرُ وَٱلْخِدَاعُ بِكُلِّ مَجَالِ

فَيَشْتَرِكُ رِجَالُ ٱلسُّلْطَةِ بِكُلِّ مَجَالِ ... وَيَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَأَنْوَاعَ ٱلْأَمْوَالِ

وَيُصْبِحُ ٱلْحَاكِمُ لَا خَلَاقَ لَهُ فَاجِرْ ... يَشْتَرِكُ مَعَهُ ٱلطَّبِيبُ وَٱلْمُحَامِي وَٱلتَّاجِرْ

فَيُلَبِّسُ تَلْبِيسَهُ فِي ٱلْبِلَادِ وَٱلْعِبَادْ ... وَفِي بَعْضِ ٱلْمَذَاهِبِ يَقَعُ ٱلِارْتِدَادْ

عِصْيَانُ إِبْلِيسَ بِجَنَّةِ ٱلْخَلْقِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْفَجَرَةِ مُعْتَرِضًا عَلَى ذَاتِهِ ﷻ: ... كَيْفَ يُخْرِجُ رَبُّكُمْ إِبْلِيسَ مِنْ جَنَّاتِهِ

وَقَالَ بِٱلْقُرْآنِ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (التغابن ٩) ... وَإِبْلِيسُ كَانَ فِيهَا سَعِيدًا مُسْعَدًا

قَالَ بَعْضُ ٱلزُّهَّادِ عَنْ إِبْلِيسْ ... حِينَمَا عَصَى ٱللهَ ذَلِكَ ٱلتَّلْبِيسْ

لَمْ يَعْصِ ٱللهَ بِجَنَّةِ[1] ٱلْخُلْدِ ٱلْمَوْصُوفَةِ ... بَلْ عَصَاهُ فِي جَنَّةِ ٱلْخَلْقِ ٱلْمَعْرُوفَةِ

جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ ثَبَتَ ... عَلَى ٱلطَّاعَةِ وَٱلْإِيمَانُ بِقَلْبِهِ نَبَتَ

لِقَوْلِهِ[2] سُبْحَانَهُ بِكِتَابِهِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْمُحْتَرَمْ ... قَوْلًا مُرِيحًا لِقَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مُكَرَّمْ

(١) قال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الأصفهاني: " إن هذه الجنة ليست جنة الخلد ، ولو كان آدم عليه السلام في جنة الخلد لما قال له إبليس ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ ، وإن من دخل جنة الخلد لا يخرج منها لقوله تعالى ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

تفسير الإمام محمد بن عمر الرازي: (دار الفكر – بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م) ، الجزء ٣ – الصفحة ٣ . (بتصرف بسيط)

(٢) أي الآية الكريمة التي ذكرناها سابقا : (خٰلدين فيها أبدا) .

مُجَابَهَةُ ٱلْمُؤْمِنِ مَعَ ٱلشَّيْطَانِ

اَلتَّقَيُّدُ بِٱلْفَرَائِضِ وَٱلْعَمَلُ بِٱلسُّنَنِ ٱلْمُبَارَكَةِ ... هُوَ بَابُ ٱلذِّكْرِ وَآلَةُ ٱلْحَرَكَةِ

فَإِنِ ٱمْتَلَأَ ٱلْقَلْبُ بِذِكْرِ مَوْلَاهُ ... يَخْلُو مِنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ فَلَا يَعْرِفُ سِوَاهُ

بِهَذَا يَتَدَرَّجُ ٱلْمُرِيدُ إِلَى قَلْبِ أُسْتَاذِهِ ... فَيُحَبِّبُ ٱللهُ لَهُ ٱلْخَلْوَةَ لِإِسْعَادِهِ

وَٱلْخَلْوَةُ تَدْفَعُ ٱلشَّوَاغِلَ وَتَضْبِطُ ٱلسَّمْعَ ... وَتَزِيدُ فِي ٱلْإِحْسَاسِ وَتُحَرِّكُ ٱلدَّمْعَ

وَٱلصَّمْتُ[1] هُوَ ٱلدَّافِعُ لِلْفَوْزِ بِٱلْعُزْلَةِ ... وَيَجْلُبُ ٱلْوَرَعَ وَيُعَلِّمُ ٱلتَّقْوَى بِتِلْكَ ٱلْمَنْزِلَةِ

فَهَذِهِ أُمُورٌ تَمْنَعُ ٱلْعَوَارِضَ ٱلْمُضِرَّةْ ... ٱلْقَاطِعَةَ لِأَهْلِ طَرِيقِ ٱلْخَيْرِ وَٱلْمَسَرَّةْ

وَتُسَاعِدُ عَلَى قَطْعِ ٱلْعَقَبَاتِ ٱلْمُتَعَرِّجَةِ ... وَتُوقِفُ ٱلنَّظَرَ لِلْمَفَاتِنِ وَٱلزَّخَارِفِ ٱلْمُتَوَّجَةِ

فَيَسْتَوْلِي حُبُّ ٱللهِ عَلَى ٱلْقَلْبِ ٱلْمُنَوَّرْ ... فَهَمُّهُ وَاحِدٌ وَهُوَ ٱلْآخِرَةُ وَفِي بَالِهِ مُصَوَّرْ

بِذِكْرِهِ «ٱللهُ ٱللهُ» يَشْعُرُ أَنَّهُ قَرِيبْ ... لِلرَّحْمَٰنِ ﷻ ٱلْقَهَّارِ ٱلْمُجِيبِ ٱلْحَبِيبْ

فَيُلَقِّنُهُ ٱلْمُرْشِدُ مَا يَرَاهُ مِنَ ٱلْكَمَالَاتِ ... وَمَا يُوصِلُهُ إِلَى أَنْوَارِ وَأَسْرَارِ ٱلصِّفَاتِ

فَيُشْغَلُ بِهِ قَلْبُهُ وَيُهَيِّجُ فُؤَادَهُ ٱلْوَلْهَانْ ... فَيُوَاظِبُ عَلَيْهِ حَتَّى تَسْقُطَ حَرَكَةُ ٱللِّسَانْ

فَيَجْرِي عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيكْ ... حَتَّى يَثْبُتَ بِٱلْقَلْبِ وَيَنْفِي عَنِ ٱللهِ ٱلشَّرِيكْ

فَيَتَحَرَّرُ حِينَئِذٍ مِنْ وَسَاوِسِ إِبْلِيسْ ... فَيُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْخَاطِرِ ٱلْمُضِرِّ وَغَيْرِهِ وَيَقِيسْ

وَتَشْتَعِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلشَّيْطَانِ مَعَارِكُ ضَارِيَةْ ... حَتَّى تُصْبِحَ جَوَارِحُهُ مِنْ هَوَاجِسِهِ خَالِيَةْ

وَيَمُرُّ مَعَ خَاطِرِهِ أَنْوَاعُ ٱلْكُفْرِ وَٱلْبِدَعْ ... وَهِيَ تِجَارَةُ ٱلشَّيْطَانِ يَعْرِضُ فِيهَا آخِرَ مَا صَنَعْ

فَيَفْزَعُ إِلَى ذِكْرِ ٱللهِ وَيَبْتَهِلُ إِلَيْهِ لِيَدْفَعَهُ ... عَنْهُ فَيَقْبَلُ ٱللهُ دُعَاءَهُ وَبِهِ يَنْفَعُهُ

قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ٱلْعَزِيزِ ﷻ : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف ٢٠٠) .

(١) ٱلصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ.



تَفَاوُتُ ٱلنَّاسِ فِي رَدِّ خَوَاطِرِ ٱلْخَنَّاسِ

يَخْتَلِفُ ٱلْمُرِيدُونَ بِٱلتَّعَامُلِ مَعْ خَوَاطِرِهِمْ ... بَعْضُهُمْ يَرُدُّهَا بِسُرْعَةٍ وَيَتَبَاطَأُ بَعْضُهُمْ

كَأَنْ يُعْرَضَ عَلَى أَحَدِهِمْ خَاطِرُ ضَلَالٍ ... فَيَتَأَخَّرُ فِي رَدِّهِ وَمُقَاوَمَتِهِ بِٱلْحَالِ

فَمَنْ يَكُونُ رَدْعُهُ قَوِيًّا سَرِيعْ ... فَعُمْقُ إِيمَانِهِ أَقْوَى بِرَبِّهِ ٱلْبَدِيعْ ﷻ

فَيَكُونُ جَوَابُهُ حَاضِرًا مَعَ ٱلسُّؤَالِ ... لِشِدَّةِ إِيمَانِهِ ٱلثَّابِتِ بِرَبِّهِ ٱلْمُتَعَالِ

وَبَعْضُهُمْ يَغُوصُ مَعْ خَوَاطِرِ وَسَاوِسِهِ ... لِقَسَاوَةٍ فِي قَلْبِهِ وَبَلَادَةٍ فِي حَوَاسِّهِ

بِحَسَبِ قُوَّةِ ٱلتَّمْكِينِ تَكُونُ سُرْعَةُ ٱلْمُجَابَهَةِ ... وَبِحَسَبِ ٱلْغَفْلَةِ يَتَأَخَّرُ فِي رُدُودِهِ وَٱلْإِجَابَةِ

فَلْنَسْتَعِذْ بِٱللهِ مِنْ شَرِّ ٱلْخَنَّاسِ ... ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ بِعُقُولِ وَقُلُوبِ وَصُدُورِ ٱلنَّاسِ

يُمْكِنُ أَنْ تَعْتَرِضَ ٱلْخَوَاطِرُ كِبَارَ ٱلسَّالِكِينْ ... فَلَهُمْ فِيهَا رُتْبَةٌ عَظِيمَةٌ وَتَمْرِينْ

يَتَعَلَّمُ أَحَدُهُمْ مِنْهَا كَيْفَ يُجَابِهُ أَعْدَاءَهْ ... فَيُقَاوِمُ قَلْبُهُ بِشِدَّةِ ٱلشَّرَّ بِأَنْوَاعِهْ

وَهَذِهِ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْمُهِمَّةِ لِلسَّالِكِينَ ٱلْكَامِلِينَ ... لِيُسَاعِدُوا فِي تَنْبِيهِ عُقُولِ ٱلْغَافِلِينَ

مَنْ يَرُدُّ ٱلْخَاطِرَ ٱلسَّيِّءَ كَانَ حَنِيفًا ... قَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء، ٧٦)



ٱلْحَالُ

سُمِّيَ ٱلْحَالُ حَالًا لِتَحَوُّلِهِ بِحَوَادِثِهِ وَأَخْبَارِهِ ... وَتَنَوُّعِ مَقَامَاتِ صَاحِبِهِ وَكَثْرَةِ أَسْرَارِهِ

وَٱلْأَحْوَالُ هِيَ مَوَارِيثُ ٱلْأَعْمَالِ ... وَلَا تَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا دَامَتْ لِلرِّجَالِ

فَإِذَا لَمْ تَدُمْ فَهِيَ لَوَائِحُ وَطَوَالِعُ ... وَهِيَ مُقَدِّمَاتٌ لِلْأَحْوَالِ كَمَا هُوَ شَائِعُ

وَهُنَالِكَ أَحْوَالُ زَجْرٍ لِلْمُرِيدِ تَقَعُ ... تَكُونُ تَأْدِيبًا لَهُ عَلَى مَا صَنَعْ

كَأَنْ يَقُومَ بِعَمَلٍ بَاطِنِيٍّ فَوْقَ مَقَامِهِ ... وَيُرِيدُ ٱلْوُصُولَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَيَّامِهِ

فَيُزْجَرُ بِإِشَارَةٍ تُزَلْزِلُ ٱلْقَلْبَ وَٱلرُّكَبْ ‏ فَيَعُودُ فَوْرًا وَكَأَنَّهُ مَاءٌ ٱنْسَكَبْ

ٱلزَّجْرُ ضِيَاءٌ بِقَلْبِ ٱلْمُرِيدِ ٱلزَّاهِدْ ‏ يُبْصِرُ بِهِ خَطَأَ قَصْدِهِ ٱلشَّارِدْ

فَهِبَاتُ ٱللهِ لَا حَدَّ لَهَا وَلَا تَنْحَصِرُ ‏ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ تَوَدُّ ٱلنَّفْسُ لَوْ تَسْتَكْثِرُ

هَذِهِ إِشَارَةٌ لِدَوَامِ تَطَلُّعِ ٱلْمُرِيدِ وَتَطَلُّبِهِ ‏ وَعَدَمِ ٱلرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ وَكَثْرَةِ تَقَلُّبِهِ

لَا مَانِعَ مِنْ حُصُولِ ٱلْمُرِيدِ عَلَى ٱلْمَزِيدِ ‏ وَلَكِنْ بِحَسَبِ دُسْتُورِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْعَتِيدِ

لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحٌ وَلِكُلِّ مِفْتَاحٍ حِجَابْ ‏ ٱلسَّعْيُ وَٱلْكَسْبُ يُقَوِّي قُلُوبَ ٱلشَّبَابْ

ٱلْيَقَظَةُ فِي ٱلْأَحْوَالِ تُوقِظُ ٱلرِّجَالْ ‏ وَٱلْيَقَظَةُ تُقَوِّي ٱلْإِعْتِبَارَ وَتُوصِلُ لِلْحَالْ

وَٱلْيَقَظَةُ تُنَبِّهُ إِلَى ٱلْحِسَابِ وَٱلْمِيزَانِ فَتُهَذِّبْ ‏ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ ٱلْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ وَيُعَذَّبْ

عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ ٱلْأَكْبَرِ يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا يَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ.

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (الحاقة ١٨) .

ٱلْمُرِيدُ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ قَبْلَ خُرُوجِ ٱلْأَنْفَاسْ ‏ وَيَضْبِطُ طَاعَاتِهِ وَيُرَاعِي ٱلْحَوَاسّ

يُرَاقِبُ أَوْقَاتَهُ فِي صَلَوَاتِهِ ٱلْخَمْسْ ‏ وَيَسُدُّ مَدَاخِلَ ٱلشَّيْطَانِ وَلَا يَقْبَلُ ٱلْهَمْسْ

ٱلْمُسْتَفِيدُ فِي دَرْبِهِ يَخَافُ عَلَى قَلْبِهِ ‏ فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ حَذَرًا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ

يُهَيِّءُ بَاطِنَهُ لِلطَّاعَاتِ بِضَبْطِ جَوَارِحِهِ ‏ فَيَعِيشُ بِنُورٍ فِي سَوَانِحِهِ وَبَوَارِحِهِ [1]

مَنْ حَسُنَتْ رِعَايَتُهُ دَامَتْ وِلَايَتُهْ ‏ وَذَلِكَ بِمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهْ

وَبِمُلَاحَظَةِ ٱلْحَقِّ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِكُلِّ لَحْظَةٍ ‏ فَتَصِيرُ خَوَاطِرُهُ صَائِبَةً فِي كُلِّ لَفْظَةٍ

مَنِ ٱسْتَحْسَنَ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِهِ ‏ فَسَدَتْ عَلَيْهِ إِرَادَتُهُ وَبَعْضُ أَقْوَالِهِ

فَعَلَيْهِ تَرْوِيضُ نَفْسِهِ لِيَرَى عُيُوبَ أَفْعَالِهِ ‏ وَيَسْتَشْعِرَ دَائِمًا بِعِلَّةٍ فِي أَقْوَالِهِ

رَوَى فُضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ : "ٱلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلهِ" [2].

(١) فِي ٱلسَّوَانِحِ وَٱلْبَوَارِحِ : أَيْ فِي ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ .

(٢) رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده .

يَكْتَسِبُ ٱلْمُرِيدُ مِنْ هَذِهِ ٱلْأَحْوَالِ ٱلصَّبْرْ   فَفِيهَا مُجَاهَدَةُ ٱلْجَوَارِحِ ٱسْتِعْدَادًا لِلْقَبْرْ

إِذَا ثَبَتَ ٱلْمُرِيدُ بِٱلْوَصْفِ وَأَقَامْ   يُسَمَّى ذَلِكَ ٱلْحَالُ لِلْمُؤْمِنِ مَقَامْ

إِذَا كَانَ عَارِضًا سَرِيعَ ٱلزَّوَالِ   فَتُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ كُمَّلُ ٱلرِّجَالِ

إِذَا خَطَرَ بِقَلْبِكَ فِيمَا مَضَى مَوْجُودْ   سُمِّيَ تَذَكُّرٌ وَذِكْرٌ مَحْمُودْ

وَإِذَا خَطَرَ بِقَلْبِكَ مَوْجُودٌ فِي ٱلْحَالْ   سُمِّيَ وَجْدًا وَذَوْقًا وَإِدْرَاكًا كَمَا يُقَالْ

وَسُمِّيَ وَجْدًا لِأَنَّهُ حَالٌ تَجِدُهُ فِي نَفْسِكَ   وَهَذَا تَشْعُرُ بِهِ فِي دَاخِلِ حِسِّكَ

ٱلنُّورُ يُشْرِقُ بِٱلْحَالِ كَٱلشَّمْسِ وَقْتَ ٱلطُّلُوعْ   وَمَنْ لَا قَلْبَ لَهُ فَٱلْحَالُ مِنْهُ مَقْطُوعْ

تَبَدُّلُ ٱلْحَالِ بِتَغَيُّرِ ٱلصُّحْبَةِ

مِنْهُمْ مَنْ يَتَسَلَّطُ عَلَى نَشَاطِهِ   صُحْبَةُ ٱلزَّوْجَةِ وَٱلْوَلَدِ بِسَائِرِ أَوْقَاتِهِ

فَتَزْدَادُ غَفْلَتُهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمِ   حَتَّى يَرْزُقَهُ ٱللهُ صُحْبَةَ صَالِحِي ٱلْقَوْمِ

فَيَقُومُونَ لِلتَّهَجُّدِ وَٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامْ   فَإِذَا صَاحَبَهُمُ ٱنْبَعَثَ نَشَاطُهُ وَٱلْقِيَامْ

حَتَّى يَزِيدَ عَلَى مَا كَانَ يَعْتَادُهُ   فَتَنْدَفِعُ عَنْهُ ٱلْمَشَاغِلُ ٱلَّتِي أَبَادَتْهُ

وَيَحْصُلُ لَهُ أَسْبَابٌ بَاعِثَةٌ عَلَى ٱلْخَيْرِ   لِمُصَاحَبَتِهِ إِيَّاهُمْ وَقُبُولِهِمْ إِيَّاهُ لِلسُّلُوكِ وَٱلسَّيْرِ

خَاصَّةً بَعْدَ إِعْرَاضِهِ عَنِ ٱلْغَفَلَاتِ   فَيُفَارِقُهُ ٱلنَّوْمُ وَيَسْتَنْكِرُهُ بِٱلذَّاتِ

فَيَصِلُ لِحَالٍ يَتَأَلَّمُ حِينَ مُشَاهَدَةِ ٱلنَّاسْ   لِكَثْرَةِ صَفَائِهِ فَيَتَعَكَّرُ عِنْدَهُ ٱلْإِحْسَاسْ

تَبَدُّلُ أَحْوَالِ ٱلْقُلُوبِ بِٱلزِّيَارَاتِ

قَدْ يَحْصُلُ مَعَ ٱلسَّالِكِ ٱلْمُرِيدْ   أَمْرٌ عَجِيبٌ، مِنْهُ لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَفِيدْ

يَخْتَارُ، مَثَلًا فِي يَوْمٍ، زِيَارَةَ مَكَّةْ   فَيَشْعُرُ بِمَوَانِعَ وَتَكُونُ أَحْوَالُهُ مُرْتَبِكَةْ

فَيُبَدِّلُ خَطَّ سَيْرِهِ فَيَقُومُ بِزِيَارَةٍ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ... فَيُحِسُّ بِرَاحَةٍ وَيَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ

وَهَذَا لِأَنَّ لَهُ فِيهَا مَشْرَبًا رُوحَانِي ... فَتُقْفَلُ دُونَهُ كُلُّ مَا فِي غَيْرِهَا مِنَ ٱلْمَعَانِي

فَيَقْضِي فِيهَا مَا شَاءَ ٱللهُ لَهُ مِنَ ٱلْأَيَّامِ ... وَيُرَتِّبُ أُمُورَهُ لِيَبْقَى فِيهَا عَلَى ٱلدَّوَامِ

فَيَشْعُرُ بِمَوَانِعَ كَثِيرَةٍ وَقَبْضٍ خَارِقْ ... فَيَعْزِمُ عَلَى زِيَارَةِ مَكَّةَ فَيَجِدُ فَارِقْ

إِذْ يَرْتَاحُ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ بِذَلِكْ ... وَيَتَحَيَّرُ بِمَا حَصَلَ مَعَهُ كَسَالِكْ

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سُلُوكَهُ عَلَى خَطَّيْنِ ... لَهُ سُلُوكٌ مَكِّيٌّ وَآخَرُ مَدَنِيٌّ بِٱلْحَالَتَيْنِ

إِذَا جَاءَهُ حَالُ مَكَّةَ يَنْغَلِقُ ... عَلَيْهِ حَالُ ٱلْمَدِينَةِ وَإِلَى مَكَّةَ يَنْطَلِقُ

وَإِذَا جَاءَهُ حَالُ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ ... يَنْقَفِلُ عَلَيْهِ حَالُ مَكَّةَ بِحَالَةٍ مُحَيِّرَةِ

فَيَحْرِقُهُ شَوْقٌ لِلْمَدِينَةِ وَيُغَادِرُ مَوْقِعَهُ ... فَيَجِدُ رَاحَةً قَلْبِيَّةً وَسَكِينَةً تَنْفَعُهُ

وَقَدْ يَحْصُلُ هَذَا لِبَعْضِهِمْ بِنَفْسِ ٱلطَّرِيقَةِ ... إِذَا قَصَدَ أَحَدَ مَشَايِخِ أَهْلِ ٱلْحَقِيقَةِ

فَيَضِيقُ صَدْرُهُ فَيَذْهَبُ لِزِيَارَةِ ٱلشَّفِيعِ ﷺ ... وَيُتَمِّمُهَا بِزِيَارَةِ شُهَدَاءِ ؓ وَأَوْلِيَاءِ ٱلْبَقِيعِ

هَذَا يَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِ ٱلْأَحْيَانِ ... مَشْرَبٌ مُنْفَرِدٌ مَعَ حَبِيبِ ٱلرَّحْمَنِ ﷺ

رُبَّمَا يَكُونُ سُلُوكُهُ أُوَيْسِيًّا مُنْتَخَبْ ... فَيَخْتَصِرُ ٱلسُّلُوكَ ٱلْمُمَيَّزَ ٱلْمُوصِلَ ٱلْأَقْرَبْ

مِنْهُمْ مَنْ يَحْصُلُ لَهُ هَذَا عَلَى تَقَطُّعِ ... حَسَبَ هِمَّتِهِ فِي مَقَامِ ٱلتَّرَفُّعِ

وَبَعْضُهُمْ يَمُرُّ عَلَيْهِ بِحَيَاتِهِ مَرَّةْ ... وَمِنْهُمْ مَنْ يُلَاحِقُهُ بِصُورَةٍ مُسْتَمِرَّةْ

ٱلْحَالَةُ ٱلْأَخِيرَةُ يَنَالُهَا أَهْلُ ٱلْكَمَالِ ... ٱلْمُتَابِعُونَ لِسُلُوكِ مُشَاهَدَةِ فَيْضِ ٱلْجَمَالِ

وَلَيْسَتْ تِلْكَ ٱلْأَحْوَالُ لِسَائِرِ ٱلْخَلَائِقْ ... بَلْ هِيَ لِمَنْ لَهُ فِي ٱلرُّوحَانِيَّاتِ عَلَائِقْ

أَمَّا ٱلَّذِي يَرْفُضُ ٱلتَّعَامُلَ مَعَ ٱلرَّسُولِ ﷺ ... وَٱلْأَوْلِيَاءِ وَآلِ ٱلنَّبِيِّ ؑ وَبِنْتِ[1] ٱلرَّسُولِ ﷺ

مُدَّعِيًا أَنَّهُ وَاصِلٌ كَامِلُ ٱلْأَحْوَالِ ... فَهَذَا مَقْطُوعٌ وَمَمْنُوعٌ عَلَيْهِ حَالُ ٱلرِّجَالِ

(١) أَيِ ٱلسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ ؑ.

أَدَبُ ٱلسَّالِكِ فِي ٱلْأَحْوَالِ وَٱلْكَلَامِ عَنْهَا

مِنَ ٱلْأَدَبِ أَنْ يَحْفَظَ ٱلْأَسْرَارَ بِسَرِيرَتِهْ ... فَفِي ذَلِكَ ٱلْحِفْظِ سَلَامَةُ ٱلنِّيَّةْ

مَنْ أَفْشَى ٱلْأَسْرَارَ وَتَكَلَّمَ بِٱلْخَوَارِقِ ... دَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَعَرُّضِهِ لِكَثْرَةِ ٱلطَّوَارِقِ

فَفَضْحُ ٱلسِّرِّ مِنَ ٱلتَّشَوُّفِ وَٱلنُّقْصَانِ ... مُسَبِّبٌ لِلْحِرْمَانِ وَٱلْقَطْعِ وَٱلضَّرَرِ وَٱلْخُسْرَانِ

إِلَّا مَنْ كَانَ مَسْمُوحًا لَهُ وَمُجَازْ ... وَتَخَرَّجَ لِلْإِرْشَادِ وَٱلتَّرْبِيَةِ بِٱمْتِيَازْ

حَيْثُ يَعْرِفُ مَا يُفِيدُ مِنَ ٱلْكَلَامِ ... فَيَخْتَارُ مِنْهُ ٱلْمُفِيدَ ٱلصَّالِحَ لِلْأَنَامِ

وَكَتْمُ ٱلْأَسْرَارِ عِنْدَ ٱلْمُرِيدِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ... يَكُونُ لِقُوَّةِ خَوْفِهِمْ وَرَزَانَةِ عُقُولِهِمْ

وَٱلْمُتَكَلِّمُ بِغَبَاءٍ عَنِ ٱلْأَحْوَالِ ٱلَّتِي عِنْدَهُ ... عَلَيْهِ ٱلْحَذَرُ مِنْ إِبْلِيسَ وَٱلَّذِي أَعَدَّهُ

قَدْ يَقْصِدُ بِكَلَامِهِ كَسْبَ عَيْشٍ وَلُقْمَةْ ... فَيَنْقَلِبُ عَلَيْهِ ٱلسَّامِعُونَ بِٱلنِّقْمَةْ

فَلْيَتَفَقَّدْ وَلْيُرَاقِبْ إِذَا كَانَ مَالُ ٱلْمُرِيدْ ... هُوَ مَا يَدْفَعُهُ لِلْكَلَامِ، وَإِذَا سَمِعَهُ مِنْهُ يَسْتَفِيدْ

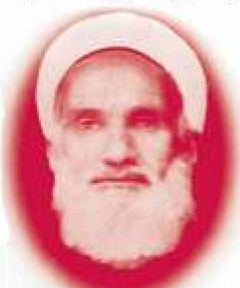
وَيَزِنْ أَحْوَالَهُ وَأَقْوَالَهُ بِمِيزَانِ ٱلشَّرْعِ ... وَيَقِيسُهَا عَلَى ٱلسُّنَّةِ وَٱلْفَرْضِ وَٱلْفَرْعِ

فَإِذَا وَجَدَ أَحْوَالَهُ صَحِيحَةً مُسْتَقِيمَةْ ... فَلْيُتَابِعْ صُحْبَتَهُ بِٱلِٱحْتِرَامِ وَٱلْقِيمَةْ

فَيَلُوحُ لَهُ مِرْآةُ جَمَالِ حُسْنِ حَالِهِ ... وَنُورُ أَسْرَارِ بَاطِنِ خَزِينَةِ أَقْوَالِهِ

فَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا ٱلْحَالِ ... فَرَّ مِنْهُ نَاجِيًا مِنَ ٱلْمَآلِ

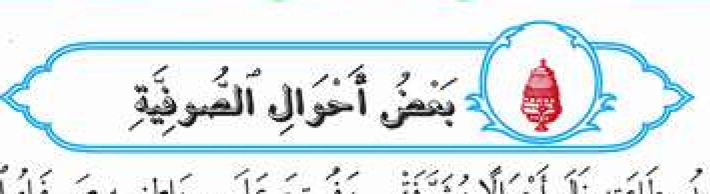
لِأَنَّهُ إِنْ تَابَعَ صُحْبَتَهُ وَقَعَ فِي ٱلْعَطَبْ ... وَٱزْدَادَ ظُلْمَةً وَٱعْوِجَاجًا وَتَعَذَّبْ



الشيخ مفسر القرآن الكريم مفتي دير الزور سابقا عبد القادر ملاحويش - دير الزور سوريا. قابله الكاتب في دير الزور

الشيخ الحافظ لكتاب الله أحمد الشميطلي - لبنان





بَعضُ أَحوالِ الصُّوفِيَّةِ

إِذَا أَخلَصَ المُرِيدُ بِطَاعَتِهِ نَالَ أَحوَالًا مُشرِقَةً ... وَفُتِحَ عَلَى بَاطِنِهِ صَفَاءُ المُكَاشَفَةْ

وَأَشرَقَ صَدرُهُ بِيَقِينٍ وَمَعَارِفَ مَنظُورَةْ ... فَتُصبِحُ نَفسُهُ لَهُ أَسِيرَةً مَأمُورَةْ

مَعْ كُلِّ ذَلِكَ لَا يَأمَنُ مَكرَهَا ... وَيَحذَرُ مِنْ خِدَاعِهَا وَفُنُونِ شَرِّهَا

فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الرُّجُوعِ وَالِانقِلَابِ ... كَمَا دَخَلَتْ فِي الطَّاعَةِ تَخرُجُ مِنْ نَفسِ البَابِ

لَمْ نَجِدْ تِلكَ الأَحوَالَ عِندَ غَيرِهِمْ ... فَهُمُ الزَّاهِدُونَ المُتَمَسِّكُونَ بِسُلُوكِهِمْ وَسَيرِهِمْ

المُستَمسِكُونَ بِالتَّقوَى بِأَوثَقِ العُرَى ... المُستَغرِقُونَ بِالرُّوحِ بِخَلَوَاتِهِمْ فِي القُرَى

تَصِيرُ نُفُوسُهُمْ مَحفُوفَةً بِحِرَاسَةٍ وَرِعَايَةٍ ... بَعِيدَةً عَنِ الغِشِّ وَمَذمُومَاتِ الغَايَةِ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى ١٣)

هَذَا حَالُ المُؤمِنِ المَحبُوبِ وَالمَطلُوبِ ... وَالمُرِيدُ هُوَ طَالِبٌ لِمَعرِفَةِ عَلَّامِ الغُيُوبِ

كُلُّ هَذِهِ الأَحوَالِ الذَّهَبِيَّةِ الرَّاقِيَةِ ... لَا تَأتِي بِتَسوِيفٍ وَادِّعَاءَاتٍ بَاطِلَةٍ

مَنْ نَالَهَا تَظهَرُ آثَارُهَا عَلَى صَدرِهِ ... وَيَدُلُّ عَلَى وُجُودِهَا نُورُ وَجهِهِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت ٦٩)

فَاللهُ يُدَرِّجُ المُرِيدِينَ بِمَدَارِجِ الكَسبِ ... بِحَسَبِ أَنوَاعِ الرِّيَاضَاتِ وَمُجَاهَدَاتِ القَلبِ

وَسَهَرِ الدُّجَى[1] وَمَرَارَةِ ظَمَأِ الهَوَاجِرِ ... وَهِجرَانِ الفِرَاشِ وَكُلِّ شِرِّيرٍ فَاجِرِ

وَالتَّقَلُّبِ بِشِدَّةٍ فِي رَمضَاءِ[2] الإِرَادَةِ ... وَالِانخِلَاعِ عَنْ كُلِّ مَألُوفٍ وَعَادَةٍ

هَذَا حَالُ السَّالِكِ المُحِبِّ المُرِيدِ ... المُنتَصِرِ عَلَى القَبضِ المُرِيرِ الشَّدِيدِ

المُرَادُ يَسبِقُ كَشفُهُ وَعِرفَانُهُ اجتِهَادَهُ ... وَالمُرِيدُ يَسبِقُ اجتِهَادُهُ كَشفَهُ وَعِرفَانَهُ

فَإِنَّ المُرَادَ مَطلُوبٌ بِسِرٍّ مِنَ الوَاهِبِ ... وَالمُرِيدُ طَالِبٌ وَلِذَلِكَ يَكُونُ غَيرَ غَالِبِ

السَّالِكُ يُرِيدُ اللهَ وَحدَهُ وَقُربَهُ ... يُجَاهِدُ لِتَذهَبَ شَهَوَاتُ الدُّنيَا عَنْ قَلبِهِ

(١) سَهَرُ الدُّجَى : السَّهَرُ فِي ظُلمَةِ اللَّيلِ .

(٢) الرَّمضَاءُ : شِدَّةُ الحَرِّ .

فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَرَارَةِ ٱلْمُتَابَعَةِ   وَٱلْمُدَاوَمَةِ عَلَى ٱلْأَذْكَارِ وَٱلرَّابِطَةِ لِلْمَنفَعَةِ

مَنْ أَمَّرَ ٱلسُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِٱلْحِكْمَةِ   وَمَنْ أَمَّرَ ٱلْهَوَى نَطَقَ بِٱلْبِدْعَةِ

فَكُلُّ وَجْدٍ لَا يَشْهَدُ لَهُ ٱلْكِتَابُ وَٱلسُّنَّةْ   فَهُوَ بَاطِلٌ عِنْدَ سَائِرِ ٱلْأَئِمَّةِ

وَٱلتَّصَوُّفُ يُقَرِّبُ إِلَى مَحَبَّةِ ٱلرَّبِّ   وَيُزَكِّي ٱلنُّفُوسَ ٱلْعَامِلَةَ وَيُصَفِّي ٱلْقَلْبْ

وَيَدْفَعُ إِلَى ٱلتَّفَكُّرِ فِي يَوْمِ ٱلنَّفْخِ بِٱلصُّورِ   لِيَسْتَعِدَّ ٱلْمُؤْمِنُ يَوْمَ يُنْقَرُ فِي ٱلنَّاقُورِ

فَيَزْهَدُ فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَتَاعٍ   وَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى ٱلضَّرُورِيِّ مِنْهَا بِٱقْتِنَاعٍ

وَهَذَا يُوصِلُهُ إِلَى ٱلْخُشُوعِ وَكَسْبِ ٱلنُّورِ   وَٱلتَّفَكُّرِ وَٱلِاعْتِبَارِ بِمَا فِي ٱلْقُبُورِ

فَيَصِيرُ ذَا فِرَاسَةٍ تَقِيًّا عَارِفْ   وَفِيًّا كَامِلًا ذَا قَلْبٍ مُكَاشِفْ

لَا يُجَازِفُ بِشَرْحٍ وَتَفْسِيرٍ فِي مَقَالٍ   وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِٱلصِّدْقِ تَعْرِيفًا بِٱلْحَالِ

وَيَصِيرُ فِيهِ سِرٌّ خَفِيٌّ يَجْذِبُ ٱلْقُلُوبْ   فَضْلًا وَنِعْمَةً مِنَ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلَهِ ٱلْمَحْبُوبْ

فَيُصْبِحُ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَلْسُنِ ٱلْكَرِيمَةِ   وَأَصْحَابِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْمُنَوَّرَةِ ٱلْعَظِيمَةِ

يَنْتَفِعُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُعْتَقِدِينَ   وَيَتُوبُ عَلَى يَدَيْهِ أَكْثَرُ ٱلْمُنْكِرِينَ

وَيُصْبِحُ عَارِفًا بِٱلْأَعْمَالِ وَٱلْإِشَارَةِ وَجَوْدَتِهَا   وَٱلْحُرُوفِ وَٱلْعِبَارَاتِ وَٱلرُّمُوزِ وَمُعَامَلَاتِهَا

وَيَصِيرُ رَاسِخًا فِي مَنْقُولِ ٱلْعُلُومِ وَمَعْقُولِهَا   وَقَادِرًا عَلَى ٱلتَّمْيِيزِ بَيْنَ إِجْمَالِهَا وَتَفْصِيلِهَا

وَيَخُصُّهُ ٱللهُ بِنُورٍ بِبَرَكَةِ ٱلْكَرَامَةِ   وَيُلْبِسُهُ ثَوْبَ ٱلْعِزِّ وَٱلثَّبَاتِ عَلَى ٱلِاسْتِقَامَةِ

وَيُصْبِحُ ذَا قَدْرٍ لِعُلُوِّ دَرَجَتِهِ   شَدِيدَ ٱلْفِرَاسَةِ فِي عِرْفَانِهِ وَمُنَاظَرَتِهِ

وَتَقْصِدُهُ ٱلْأَئِمَّةُ وَأَفَاضِلُ ٱلْعُلَمَاءْ   وَيُوَقِّرُهُ ٱلسَّادَةُ ٱلْكِرَامُ وَٱلْفُضَلَاءْ

وَيَظْهَرُ فِي ٱلْكَوْنِ كَٱلدُّرَّةِ ٱلْفَاخِرَةِ   وَيَمْتَلِئُ مُكَاشَفَاتٍ بِعُلُومِ ٱلْآخِرَةِ

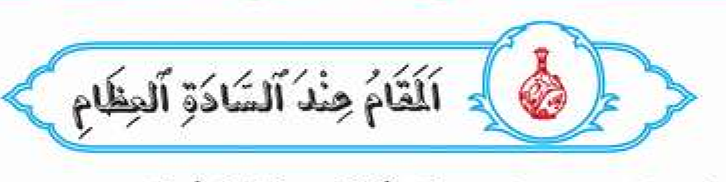
لَا يَتَذَوَّقُ مَا نَقُولُ وَمَا نُعَبِّرُ بِٱلْكَلَامِ   إِلَّا ٱلْقَلِيلُ مِمَّنْ لَهُ سَعَةٌ فِي ٱلْأَفْهَامِ

لَا أَدَّعِي أَنَّنِي بِكِتَابِي نَاجِي   سَامِحْنِي إِلَهِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ فِي شَبَابِي

فَٱنْتَبِهْ حَتَّى لَا تَقَعْ فِي شَرٍّ وَرَطَةٍ — وَتَفَحَّصْ عَقِيدَةَ كُلِّ جَمَاعَةٍ وَفِرْقَةٍ
لِتُمَيِّزَ بَيْنَ كُلِّ مُحِقٍّ وَبَطَّالٍ — فَٱلْخِدَاعُ وَٱلْأَكَاذِيبُ غِذَاءُ ٱلدَّجَّالِ
لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْإِقْدَامَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ عِلَاجْ — إِلَّا مَنْ كَانَ صَافِيَ ٱلرُّؤْيَةِ وَٱلْمِزَاجْ
وَمَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ لِلْمُجَاهَدَةِ تَوَّاقَةْ — فَتَنْفَتِحُ لَهُ طَاقَةٌ وَرَاءَ طَاقَةْ
وَكُلُّ مَقَامٍ فِي ٱلتَّصَوُّفِ ٱلسَّالِكُ يَقْطَعُهُ — يُعَانِي ٱلْهَمَّ وَٱلْغَمَّ وَٱلْكَدَرُ يَتْبَعُهُ
ذُكِرَتْ بَعْضَ أَحْوَالِهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنْ — أَوَّلُهَا ٱلْعَذَابُ وَٱلْأَلَمُ وَنِهَايَتُهَا ٱلْجِنَانْ

قَالَ ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ١٥٥ – ١٥٧)

يَتَلَقَّى ٱلسَّالِكُ حَوَادِثَ وَإِحْسَاسًا بِٱلْأَفْكَارِ — وَيَسْتَشْعِرُ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبِ أَهْلِ ٱلنَّارِ
بِجَلَسَاتٍ طَوِيلَةٍ لَا حَرَكَةَ فِيهَا وَلَا تَغْيِيرْ — وَلَا رَمْشَةَ عَيْنٍ وَلَوْ سَمِعَ ٱلنَّفِيرْ
حَيْثُ ثِقَلُ ٱلْأَمْدَادِ مُحِيطٌ بِرُوحِهِ — وَلَا يَفِرُّ مِنْهَا مَهْمَا كَانَ فُتُوحُهُ
ٱلْخَوْفُ وَٱلرُّعْبُ أَقْوَى مِنَ ٱلْحَالْ — لَوْلَا عِنَايَةُ ٱللهِ مَا نَالَ أَحَدٌ ٱلْكَمَالْ
حَيْثُ يَصُبُّ ٱللهُ عَلَى ٱلرُّوحِ ٱلْأَرْضِيَّةِ — أَثْقَالًا تُوقِفُ سَائِرَ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلْجَسَدِيَّةِ
كَأَنَّهُ لِلْمَوْتِ صَارَ عَلَى ٱسْتِعْدَادِ — هَكَذَا ٱلْأَوْلِيَاءُ حَصَلُوا عَلَى ٱلْأَمْدَادِ
ٱلْكَسْبُ مِنْ تِلْكَ ٱلتِّجَارَةِ نَادِرَةْ — إِلَّا لِمَنْ كَانَ قَلْبُهُ طَاهِرًا وَرُوحُهُ حَاضِرَةْ
يَقِظَ ٱلْفِكْرِ وَٱلْجَوَارِحِ عَلَى ٱلدَّوَامِ — وَإِلَّا يَتَعَرَّضُ لِأَشَدَّ مِنَ ٱلْإِعْدَامِ
لِأَنَّ إِبْلِيسَ عَنْ بُعْدٍ يَتَرَصَّدُهُ — وَيَتَمَنَّى لَهُ ٱلْغَفْلَةَ حَتَّى يَقْصِدَهُ
وَيَصْطَادَ قَلْبَهُ وَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ بِبَسَاطَةِ — لَوْلَا تَدْرِيبُ ٱلْمُرْشِدِ وَنِعْمَةُ ٱلْوَسَاطَةِ
لَوَقَعَ بِنَفْخِهِ ٱلْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ ٱلسُّلُوكْ — وَذَلَّ ٱلْفُقَرَاءُ وَٱلْأُمَرَاءُ وَحَتَّى ٱلْمُلُوكْ
هَذِهِ أَحْوَالُ ٱلصُّوفِيَّةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ — لَا يَئِنُّونَ مِمَّا يُلَاقُونَهُ وَيَصْمُدُونَ كَٱلْجِبَالِ



المَقَامُ عِندَ ٱلسَّادَةِ ٱلعِظَامِ

جَاءَ فِي ٱلقُرْآنِ الكَرِيمِ : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (الصافات ١٦٤)

لِلأَنْبِيَاءِ وَٱلرُّسُلِ ﷺ مَقَامَاتٌ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ — يَنَالُونَهَا مِنْ رَبِّهِمْ ﷻ بِطَرِيقَةِ ٱلهِبَةِ

لَا يَصِلُ إِلَيْهَا ٱلعِبَادُ مَهْمَا بَلَغُوا — مِنْ مَقَامَاتٍ وَمَهْمَا بِٱلطَّاعَاتِ ٱنْشَغَلُوا

وَسُمِّيَ ٱلمَقَامُ مَقَامًا لِثُبُوتِهِ وَٱسْتِقْرَارِهِ — فِيهِ مِنْ تَجَلِّيَاتِ ٱللهِ وَأَسْرَارِهِ

مِنْهَا مَقَامَاتٌ يَكْتَسِبُهَا ٱلعَبْدُ بِٱلمُطَالَعَةْ — فَيَنَالُ رُتَبًا ظَاهِرِيَّةً وَمَقَامَاتٍ مُتَنَوِّعَةْ

مِنْهَا مَقَامَاتٌ وَرُتَبٌ رَاقِيَةٌ خَفِيَّةْ — يَعْرِفُهَا مَنْ شَغَلَ قَلْبَهُ بِٱلأَذْكَارِ ٱلعَلِيَّةْ

وَبِمُرَاقَبَاتٍ وَمُجَاهَدَاتٍ شَرْعِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ — وَعِبَادَاتٍ وَصَلَوَاتٍ وَتِلَاوَةٍ وَرِيَاضَاتٍ لَاذِعَةٍ

تَصْلُحُ لِمَنْ كَانَتْ وُجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةْ — مِنَ ٱلأَوْلِيَاءِ ؓ أَصْحَابِ ٱلقُلُوبِ ٱلمُنَوَّرَةِ ٱلعَامِرَةْ

فَمَقَامَاتُ آلِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ وَٱلصَّحَابَةِ ؓ — لَا يَصِلُ ٱلعَبْدُ إِلَيْهَا مَهْمَا بَلَغُوا مِنْ مُرَاقَبَةٍ

وَنَالَ ٱلكِبَارُ مَرْتَبَةَ حَلِيمٍ وَأَوَّابٍ — وَصِدِّيقٍ مَكْشُوفٍ لَهُ أَرْقَى حِجَابٍ

قَالَ ﷻ: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف ٤٦) وَقَالَ ﷻ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود ٧٥)

وَقَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ ... وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص ١٧)

المَقَامَاتُ بَيْنَ ٱلعِبَادِ

المَقَامَاتُ دَرَجَاتٌ وَمَرَاتِبُ وَمِنْهَا ٱلفَنَاءْ — وَهِيَ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ لِإِعَادَةِ ٱلبِنَاءْ

ٱلمُجَاهَدَةُ ٱلنَّفْسِيَّةُ لِتَزْكِيَةٍ وَطَهَارَةِ ٱلقَلْبِ — بِٱلذِّكْرِ وَٱلرَّابِطَةِ وَٱلسَّهَرِ ٱلمُضْنِي ٱلصُّلْبِ

حَتَّى يُصْبِحَ ٱلقَلْبُ جَاهِزًا لِلِاخْتِرَاقِ(١) — فَيَرْتَفِعُ رُوحِيًّا بِٱلمَدَارِجِ وَيَمُرُّ بِٱلأَطْبَاقِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ (الانشقاق ١٩) أَيْ : حَالًا بَعْدَ حَالٍ .

(١) أَيِ ٱلقَلْبُ يَخْتَرِقُ .

قَالَ سَهْلٌ : كُلُّ ٱلْمَقَامَاتِ لَهَا وَجْهٌ وَقَفَا
غَيْرُ ٱلتَّوَكُّلِ وَجْهٌ بِلَا قَفَا

إِنْ أَصَابَ ٱلْمُرِيدُ مِنَ ٱلتَّوَكُّلِ عِنَايَةْ
فَيَجِدُ مِنَ ٱللهِ مَا فِيهِ ٱلْكِفَايَةْ

وَٱلْإِيمَانُ وَٱلنَّدَمُ رَأْسُ ٱلْمَقَامِ
وَٱلْاَسْتِغْفَارُ وَقِلَّةُ ٱلْكَلَامِ وَٱلطَّعَامِ وَٱلْمَنَامِ

وَبِٱلْاَعْتِزَالِ وَٱلذِّكْرِ تَنْهَالُ ٱلْمَقَامَاتْ
وَتَسْتَقِيمُ ٱلْأَحْوَالُ وَتَصِلُ ٱلْأَبْدَالُ لِلنِّهَايَاتْ

مَنْ ظَفِرَ بِهَا ظَفِرَ بِعَيْنِ ٱلْعِنَايَةِ
وَيَنْجَحُ مَنْ وَجَدَ ٱلزَّاجِرَ فِي ٱلْبِدَايَةِ

وَٱلسَّالِكُونَ ٱلْمُتَصَوِّفُونَ عَلَى عِدَّةِ أَنْوَاعِ
مِنْهُمُ ٱلْمَجْذُوبُ ٱلسَّالِكُ بِحَسَبِ ٱلْإِتِّبَاعِ

وَمِنْهُمْ صَاحِبُ وِلَايَةٍ صُغْرَى لِمَا هُوَ عَامِلٌ
وَسَالِكٌ مَجْذُوبٌ وَبِٱلْإِتِّبَاعِ كَامِلٌ

وَصَاحِبُ وِلَايَةٍ كُبْرَى وَكَمَالٍ وَتَكْمِيلْ
وَمِنْهُمْ قُطْبٌ وَمُرْشِدٌ وَخَلِيفَةٌ جَمِيلْ

وَحَافِظُ حَدِيثٍ وَقَارِئٌ لِلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمْ
وَعَالِمٌ وَفَقِيهٌ وَدَاعِيَةٌ صَادِقٌ مُسْتَقِيمْ

وَإِمَامٌ وَعَلَّامَةٌ قَدْ لُقِّبَ بِٱلْمُفْتِي
لِأَحْكَامِ شَرْعِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ يُرَوِّجُ وَيُفْتِي

وَوَاصِلٌ لِلنِّهَايَةِ وَمُجَدِّدٌ لِلسُّلُوكِ وَٱلْفَنَاءِ
وَغَوْثٌ وَمَدَارٌ يَلُفُّ بِسَائِرِ ٱلْأَرْجَاءِ

وَمُرْشِدٌ كَامِلٌ يَعْمَلُ بِٱلْإِسْتِقْلَالِ
لِأَنَّهُ نَالَ مِنْ مُرْشِدِهِ إِجَازَةَ ٱلْكَمَالِ

فَهَذَا يُصْبِحُ رَابِطَةً مُتَصَرِّفَةً مُسْتَقِلَّةْ
تَظْهَرُ أَسْرَارُهُ وَأَنْوَارُهُ بَيْنَ ٱلْمِلَّةْ

وَيُدْخِلُ ٱللهُ حُبَّهُ بِقُلُوبِ عِبَادِهِ
وَيَضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولَ فِي سَائِرِ بِلَادِهِ

وَتَظْهَرُ صُورَتُهُ بِٱلْمُرَاقَبَةِ مَعْ أَرْقَى سَاجِدْ
وَبَيْنَهُمَا مُرْشِدُهُ مَعَهُمَا مُتَوَاجِدْ

فَيَرَاهَا مَنْ شَاءَ ٱللهُ لَهُ ٱلْهِدَايَةْ
وَقَدْ أَلْبَسَهُ ٱللهُ نُورَ ثَوْبِ ٱلْعِنَايَةْ

فَكُلُّ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَصْحَابِ ٱلْمَقَامَاتِ ٱلْمَذْكُورَةْ
بِلَا إِجَازَةِ إِرْشَادٍ ٱنْطِلَاقَتُهُمْ مَحْظُورَةْ

فَلَا فَائِدَةَ مِنَ ٱلتَّمَسُّكِ بِهِمْ فِي ٱلسُّلُوكِ
إِلَّا لِلْبَرَكَةِ وَٱنْتِظَارًا لِإِشَارَةِ مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ ﷺ

إِنْ شَاءَ لَهُمُ ٱللهُ ٱلْعَمَلَ بِٱلْإِرْشَادِ
أَعْطَاهُمُ ٱلْعُدَّةَ وَٱلْإِجَازَةَ لِفَتْحِ قُلُوبِ ٱلْعِبَادِ

فَلْتَحْذَرْ وَٱنْتَبِهْ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانْ
لَا تَتَّبِعْ مُدَّعِيًا مُتَسَتِّرًا بِبَاطِنِهِ نَفْسَانْ(1)

(١) أَيْ نَفْسُ شَيْطَانٍ وَنَفْسٌ شِرِّيرَةٌ.

بَعْضُ الْمَقَامَاتِ تَخْتَفِي بِالزِّيَارَةِ

إِنْ زَارَ سَالِكٌ كَبِيرٌ أَوْ وَلِيّ … سَيِّدَ الْكَائِنَاتِ مُحَمَّدًا ﷺ النَّبِيّ

فَتُحْجَبُ عَنْهُمْ بَعْضُ أَحْوَالِهِمْ وَتَخْتَفِي … لِعَظَمَةِ رِفْعَةِ مَقَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَشْرَفِ

مِنْهُمْ مَنْ يَشْعُرُ بِالْجَفَافِ وَالْخُلُوِّ وَالثِّقَلْ … كَأَنَّهُ سُلِبَ وَعَلَى قَلْبِهِ رَطْلْ

يَكُونُ بَعْضُهُ كَعِلَاجٍ وَتَهْيِئَةٍ مُشَاهَدَةْ … يَنَالُ الْقَبْضَ وَتُحْسَبُ لَهُ مُجَاهَدَةْ

وَبَعْضُهُمْ تَبْرُقُ لَهُ الْمُشَاهَدَاتُ النَّبَوِيَّةْ … مِنْ خَلْفِ الْأَبْوَابِ الْخَضْرَاءِ الْمُحَمَّدِيَّةْ

وَبَعْضُهُمْ تَجْرِي عَلَيْهِ بَعْدَ الزِّيَارَةِ الْفَوَائِدُ … فَيَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ وَلِلْجَمَالِ يُشَاهِدُ

وَيَعُودُ إِلَى حَالَتِهِ الرُّوحِيَّةِ وَالسَّعَادَةْ … فَيَتَرَقَّى بِأَحْوَالِهِ وَمَقَامَاتِهِ وَزِيَادَةْ

قال بعضهم

لَا يُمْكِنُ التَّنَعُّمُ بِمُشَاهَدَةِ نُورِ ذَلِكَ الْقَمَرِ ﷺ … إِلَّا بَعْدَ الطَّاعَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ وَفَنَاءِ الْعُمُرِ

وَإِشَارَةُ مَعْرِفَةِ وُصُولِ السَّالِكِ بِالظَّاهِرِ … مُشَاهَدَةُ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ ﷺ مِنْ خَلْفِ السَّتَائِرِ

بِشَكْلٍ نُورَانِيٍّ مُنِيرٍ مُضِيءٍ يَنْظُرُ وَيَبْتَسِمُ … فَيُطْبَعُ بِقَلْبِ الْمُشَاهِدِ وَيَسْكُنُ وَيَرْتَسِمُ

وَعِنْدَ حُصُولِهَا يَخْشَعُ الْوَاصِلُ وَيُدْهَشُ … مِنْ عَظَمَةِ الْجَمَالِ فَيَصْفُو لَهُ الْعَيْشُ

تِلْكَ إِشَارَةُ كِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ الْوَاصِلِينَ … كَمْ مِنْ حَالٍ خَفِيَ عَنْ أَعْيُنِ الْمُنْكِرِينَ

التَّصَوُّفُ خَالٍ مِنَ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ … مَنْ يَتَعَدَّى يُعَرِّضُ عَقْلَهُ لِلْوَبَالِ

مَقَامَاتُ الْعَقْلِ فِي الْمُشَاهَدَةِ

مِنْ أَعْظَمِ عَلَامَاتِ قُرْبِ الْوُصُولِ لِلسَّادَةِ … مَا يُكْشَفُ لِلْعَقْلِ مِنْ أَنْوَارِ الْمُشَاهَدَةِ

إِذْ يَصِيرُ الْعَقْلُ مِنْهَا فِي حَالَةٍ مُحَيِّرَةِ … لِمَا يُشَاهِدُ مِنْ أَثَرِ التَّجَلِّيَاتِ الْمُنَوِّرَةِ

فَتَشْتَرِكُ مَعَهُ فِي ذَلِكَ سَائِرُ الْحَوَاسّ … فَتَتَلَذَّذُ بِالنَّعِيمِ الَّذِي لَا يُقَاسْ

يَنْقَسِمُ الْعَقْلُ إِلَى قِسْمَيْنِ فِي الْحَيَاةِ … قِسْمٌ لِمُشَاهَدَةِ الْمُحْدَثَاتِ وَقِسْمٌ لِلتَّجَلِّيَاتِ

مَقَامَاتُ ٱلعَقْلِ فِي ٱلسُّلُوكِ خَاصَّةْ   لِمَنْ كَانَتْ عُقُولُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ مُتَخَصِّصَةْ

فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُفَاجَآتِ وَٱلتَّحَمُّلَاتِ وَٱلثِّقَلْ   تُصِيبُ بِنُورِهَا ٱلثَّقِيلِ ٱلْقَلْبَ وَٱلْعَقْلْ

وَلَا تَصْمُدُ لَهَا ٱلْجِبَالُ ٱلرَّاسِخَاتُ   فَتَخِرُّ سُجَّدًا إِذَا ٱنْكَشَفَتْ لَهَا ٱلتَّجَلِّيَاتُ

كَمْ صُعِقَ مِنْهَا أَهْلُ ٱلْهِمَمِ وَٱلْوَظَائِفِ   فَقَدْ تَنْدَكُّ ٱلْجِبَالُ لِنُورِهَا ٱلْجَارِفِ

قَالَ ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (الأعراف ١٤٣)

ٱسْتِعْرَاضُ مُشَاهَدَةِ ٱلْأَنْوَارِ

هُنَاكَ حَالَاتُ ٱسْتِعْرَاضٍ لِمُشَاهَدَةِ   مَا ٱكْتَسَبَ ٱلسَّالِكُ بِطَرِيقِ ٱلْعِبَادَةِ

بَعْدَ نِهَايَةِ سُلُوكِهِ ٱلطَّوِيلِ ٱلْمُرِّ   يُصْبِحُ قَادِرًا عَلَى ٱسْتِحْضَارِ ٱلسِّرِّ

فَتَظْهَرُ لَهُ عَلَى ٱلْحَائِطِ أَنْوَارٌ وَإِشَارَاتْ   مِمَّا فِي خَزِينَتِهِ ٱلسَّابِقَةِ مِنَ ٱلْبِشَارَاتْ

فَيَسْتَحْضِرُ ذَٰلِكَ سَاعَةَ مَا يَحْتَاجُ وَيُرِيدْ   لِلتَّرْفِيهِ ٱلرُّوحِيِّ وَٱسْتِعْمَالِهِ لِلْعِلَاجِ ٱلْمُفِيدْ

وَهَذَا يَكُونُ لِصَاحِبِ ٱلْكَشْفِ ٱلْوَاسِعِ وَٱلْمَعْرِفَةِ   ذِي ٱلرُّتَبِ وَٱلْقُرْبِ وَٱلْأَسْرَارِ ٱلْمُشَرَّفَةِ

ٱلَّذِي صَارَ بِسُلُوكِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلنِّهَايَاتِ   بَعْدَمَا ذَاقَ فِي سُلُوكِهِ مَرَارَةَ ٱلْمُجَاهَدَاتِ

لَكِنَّهُ قَبْلَ ٱلنِّهَايَةِ يُحْجَبُ عَنِ ٱلِٱسْتِحْضَارِ   حَتَّى لَا يَلْتَهِي بِٱلتَّلَذُّذِ فِي عِرْفَانِ ٱلْأَسْرَارِ

ثُمَّ يَعُودُ ٱلْفَتْحُ بَعْدَ ٱلْوُصُولِ ٱلْمُحَقَّقْ   فَيُشَاهِدُ مَا ٱكْتَسَبَهُ مِنْ نُورٍ يَتَدَفَّقْ

عَدَمُ ٱلتَّلَهِّي بِٱلْمُشَاهَدَاتِ

لَا يَتَعَجَّبِ ٱلْمُرِيدُ وَلَا يَتَلَهَّى بِٱلْمُشَاهَدَةِ   حَيْثُ يَفُوتُهُ قِطَارُ ٱلسُّلُوكِ وَٱلْمُجَاهَدَةِ

فَلَا يَتَقَيَّدْ وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَى ٱلْأَحْوَالِ   فَإِنَّ مَحَطَّةَ ٱلْوُقُوفِ تُضَيِّعُهُ عَنْ ذِي ٱلْجَلَالِ ﷻ

لِأَنَّ عَجَائِبَ طَرِيقِ ٱللهِ بِلَا نِهَايَةِ   فَلَوْ وَقَفَ عِنْدَ كُلِّ أُعْجُوبَةٍ مِنَ ٱلْبِدَايَةِ

لَقَصُرَتْ خُطَاهُ وَحُرِمَ مِنَ ٱلْوُصُولِ   وَضَاعَ عَلَيْهِ ٱلْوَقْتُ فِي سَائِرِ ٱلْفُصُولِ

نَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ زَيْغِ ٱلْقُلُوبِ بَعْدَ ٱلْهُدَى   وَمِنِ ٱعْوِجَاجِ ٱلنَّفْسِ بَعْدَ ٱلِٱسْتِوَا



فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ ٱلسَّالِكُ طَرِيقَ ٱلْمَعَارِفِ ... أَنَّ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ ﷻ أَوَّلُ وَاجِبَاتِ ٱلْعَارِفِ

إِنَّنَا نَعْرِفُ ٱلْأَشْيَاءَ بِٱللَّمْسِ وَٱلْمُشَاهَدَةِ ... وَهَٰذِهِ جَاءَتْنَا بِفَضْلِ ٱللهِ بِلَا مُجَاهَدَةِ

خَلَقَ ٱللهُ حَوَاسَّنَا لِنَتَعَرَّفَ بِهَا عَلَى ٱلْأَشْيَاءْ ... وَلَوْلَاهَا مَا عَرَفْنَا مَنْ ذَهَبَ وَمَنْ جَاءْ

وَهِيَ مُخَصَّصَةٌ لِلْأَشْيَاءِ ٱلْمُحْدَثَةِ ٱلظَّاهِرِيَّةِ ٱلْحِسِّيَّةِ ... أَمَّا ٱلْقَلْبُ وَٱلْعَقْلُ فَهُمَا لِلْمَعَارِفِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ

خَصَّصَهُمَا ٱللهُ لِلْمَعَارِفِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ وَٱلْمُشَاهَدَاتِ ... ٱلْمُمَيِّزَةِ وَكُلِّ مَا خَفِيَ عَنِ ٱلْغَافِلِينَ وَٱلْغَافِلَاتِ

وَكُلُّ مَا فِي ٱلْكَوْنِ شَوَاهِدُ نَاطِقَةٌ وَأَدِلَّةْ ... عَلَى وُجُودِ خَالِقٍ مُدَبِّرٍ لِلْأَشْيَاءِ بِلَا عِلَّةْ

نَسْتَشْعِرُ بِحَوَاسِّنَا بِعِلْمِهِ وَلُطْفِهِ وَحِكْمَتِهِ ... وَٱلْمَوْجُودَاتُ ٱلْمُدْرَكَةُ تَدُلُّ بِٱلضَّرُورَةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ

فَهَٰذِهِ ٱلْمَوْجُودَاتُ لَيْسَتْ بِنَفْسِهَا ظَهَرَتْ ... وَأَنَّ نَفْسَ ٱلْإِنْسَانِ لَيْسَتْ هِيَ دَبَّرَتْ

بَلْ أَوْجَدَ ٱللهُ لَهَا ٱلْوَسَائِلَ وَٱلْمَسَائِلْ ... فَزَوَّجَ ٱلذَّكَرَ لِلْأُنْثَى فَأَنْجَبَتْ لَهُ خَدِيجَةَ وَوَائِلْ

وَرَكَّبَ لَهُمُ ٱلْعِظَامَ وَٱللَّحْمَ وَٱلْأَعْضَاءَ ... وَٱلْأَعْصَابَ وَأَنْبَتَ لَهُمُ ٱلشَّعْرَ كَمَا بِٱلْآيَةِ جَاءَ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون ١٢ – ١٤)

وَٱلْأَرْضُ هُوَ مَنْ كَوَّنَهَا وَأَنْبَتَ فِيهَا ... مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ٱثْنَيْنِ وَعَلَّمَنَا كَيْفَ نَسْقِيهَا

وَهَلِ ٱلْكَوْنُ ٱلْمُحْتَاجُ يُدِيرُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ... ٱلْمُنْكِرُ لِلْجَبَّارِ ﷻ ٱلْحِمَارُ أَحَقُّ بِرَفْسِهِ

كَمْ مِنْ دَائِرَةٍ إِنْ غَابَ عَنْهَا ٱلْمُدِيرُ ... تَعُمُّ فِيهَا ٱلْفَوْضَى وَيَضِيعُ ٱلتَّدْبِيرُ

مَنْ آمَنَ ٱزْدَادَتْ بِٱللهِ إِحْسَاسَاتُهُ ... وَعَرَّفَهُ رَبُّهُ ﷻ عَلَى أَسْرَارِ آيَاتِهِ

سُبْحَانَهُ تَنَزَّهَ عَنِ ٱلْإِشْرَاكِ بِصِفَاتِهِ ... فَٱنْبَهَرَتِ ٱلْعُقُولُ وَعَجِزَتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ

ٱللَّهُ لَيْسَ مُحْدَثًا حَتَّى يَحْجُبَ نَفْسَهُ ... فَغَفْلَتُنَا حَجَبَتْنَا عَنْ مُشَاهَدَةِ رَحَمَاتِ قُدْسِهِ ﷻ

كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْمُرِيدُ طَاعَةً وَإِيمَانْ ... ٱرْتَفَعَ عَنْ بَصَرِهِ حِجَابُ مَعْرِفَةِ ٱلرَّحْمَٰنْ ﷻ

جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلشَّمْسَ تُشْرِقُ وَٱلْقَمَرْ ... ثُمَّ يَغِيبَانِ لِتَدْبِيرِ أَمْرِ حَيَاةِ لِلْبَشَرْ

فَهُوَ بِحِكْمَتِهِ أَظْهَرَ سَائِرَ ٱلْأَشْيَاءِ ... وَكَذَٰلِكَ أَظْهَرَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ بَاطِنِ ٱلْأَحْشَاءِ

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ ﷻ مَا عَرَفْنَا أَيَّ شَيْءْ ... فَسُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءْ

مَنْ قَوِيَ بِٱلْإِيمَانِ إِحْسَاسُ بَصِيرَتِهِ ... زَادَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي مَعْرِفَتِهِ

فَإِنَّهُ يَزْدَادُ عِلْمًا بِهَٰذِهِ ٱلْمَعْرِفَةْ ... وَيَشْعُرُ أَنَّ رَبَّهُ ﷻ صَنَعَ صَنْعَاتٍ مُشَرِّفَةْ

فَيُشَاهِدُ آثَارَ رَحْمَةِ ٱللَّهِ بِٱلْخَلَائِقِ ... وَيَذْهَبُ عَنْهُ قُصُورُ ٱلْأَفْهَامِ بِٱلْحَقَائِقِ

هَلْ يَرَى ٱلصُّوفِيُّ ٱللَّهَ ﷻ

لَقَدِ ٱدَّعَى ٱلْكَثِيرُ أَنَّ ٱللَّهَ يُشَاهِدُهُ[1] ... كُلُّ طَائِعٍ وَمُؤْمِنٍ وَعَابِدٍ يَعْبُدُهُ

وَقَدْ قُلْنَا سَابِقًا إِنَّهُ مِنْ غَيْرِ ٱلْمُمْكِنْ ... ذَٰلِكَ لِأَنَّ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ غَيْرُ مُتَمَكِّنْ

لِيَتَحَمَّلَ تِلْكَ ٱلْمُشَاهَدَةَ ٱلْعَظِيمَةْ ... ٱلَّتِي تَسْبِقُهَا تَجَلِّيَاتٌ مُمَيَّزَةٌ كَرِيمَةْ

فَقُدْرَةُ ٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي نَسْتَعْمِلُهُ ... مُخَصَّصَةٌ لِمُشَاهَدَةِ كُلِّ مُكَيَّفٍ نُدْرِكُهُ

وَٱللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ مُكَيَّفًا وَلَا يُدْرَكْ ... فَهَٰذَا ٱدِّعَاءٌ مَرْفُوضٌ فَلْيُتْرَكْ

هُنَالِكَ أَشْيَاءٌ تُهَيِّئُهُ لِلْمُشَاهَدَةِ ... بَعْدَ كَسْبِ مِئَاتِ ٱلتَّجَلِّيَاتِ بِٱلْمُجَاهَدَةِ

وَٱلْفَوْزِ بِرُوحَانِيَّةِ ٱلرَّسُولِ ﷺ كَٱسْتِعْدَادِ ... وَٱمْتِلَاءِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْعَقْلِ بِأَرْقَى ٱلْأَمْدَادِ

وَتَصِلُ ٱلْأَمْدَادُ لِلْعُرُوقِ وَٱلْإِحْسَاسِ ... فَتَمُدُّ ٱلْأَعْضَاءَ بِقُوَّةٍ لَيْسَتْ عِنْدَ ٱلنَّاسِ

فَيَجِدُ نَفْسَهُ عَلَى قَاعِدَةِ ٱلْمُشَاهَدَةْ ... فَتَمُرُّ عَلَيْهِ تَجَلِّيَاتٌ كَٱلْبَرْقِ حَارِقَةٌ وَبَارِدَةْ

(١) يشاهد الله : أي في الدنيا .

فَيَنْقَلِبُ ٱلعَقْلُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَىٰ أَعْلَىٰ
بِطَرِيقَةٍ رُوحَانِيَّةٍ بِأَمْرِ ٱللهِ جَلَّ وَعَلَا

وَتَتَبَدَّلُ عَيْنُ ٱلقَلْبِ عَنْ مُشَاهَدَةِ ٱلمُكَيَّفَاتِ
إِلَىٰ عَيْنِ ٱلمُشَاهَدَةِ بِمَشَاعِرَ وَإِحْسَاسَاتِ

فَيَصِيرُ وَكَأَنَّهُ كُلُّهُ عَيْنٌ يَطُولُ شَرْحُهَا
وَيَعْجَزُ ٱلسَّالِكُ ٱلمُتَذَوِّقُ ٱلمَحْظُوظُ عَنْ وَصْفِهَا

فَتَنْشَغِلُ أَجْهِزَتُهُ وَلَطَائِفُهُ ٱلنُّورَانِيَّةْ
بِتَلَقِّي ٱلتَّجَلِّيَاتِ وَٱلأَذْوَاقِ ٱلبَرْقِيَّةْ

فَتَغِيبُ ٱلإِحْسَاسَاتُ وَٱلمَشَاعِرُ ٱلدُّنْيَوِيَّةْ
فَتَتَوَلَّدُ فِيهِ مُقَدِّمَاتٌ لِلْمُشَاهَدَةِ ٱلسَّنِيَّةْ

وَيُفْتَحُ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلعُرُوقِ ٱلقَبُولْ
فَيَقَعُ فِي دَهْشَةٍ وَرَعْشَةٍ وَذُهُولْ

وَيَقَعُ فِي مَقَامِ ٱلتَّحَيُّرِ وَمَدَارِجِ ٱلثَّبَاتِ
فَيَخْفِقُ قَلْبُهُ بِذِكْرِ ٱلنَّفْيِ وَٱلإِثْبَاتِ

مَنْ رَأَى ٱلسَّالِكَ فَكَأَنَّهُ أَمَامَ مَلَكٍ كَرِيمٍ
لِكَثْرَةِ تَجَلِّيَاتِ رَبِّنَا ٱلعَظِيمِ

فَيَذُوقُ رُوحِيًّا أَنَّهُ بِبَابِ ٱلرُّؤْيَةِ ٱلمُبَارَكَةِ
فَيَشْعُرُ وَكَأَنَّ مَلَكًا دَفَعَهُ إِلَىٰ هَاوِيَةٍ مُهْلِكَةٍ

فَتَتَوَقَّفُ كُلُّ لَطَائِفِهِ بِدُونِ سَابِقِ إِنْذَارِ
وَتَنْدَهِشُ ٱلجَوَارِحُ لِعَظَمَةِ عَجَائِبِ ٱلقَهَّارِ

فَتَغْلِي عُيُونُهُ وَتَكُونُ حَمْرَاءَ كَٱلدِّهَانِ
وَلَا تُقَاسُ حَرَارَةُ رُوحَانِيَّتِهِ بِمِيزَانِ

فَيُلْهَمُ كَأَنَّهُ بِٱلجَنَّةِ بِهَذِهِ ٱلمُشَاهَدَةْ
ثُمَّ تَخْتَفِي مَشَاعِرُهُ فَجْأَةً وَتُصْبِحُ بَارِدَةْ

وَيَعُودُ لِحَالَتِهِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ وَيَأْتِيهِ ٱلإِلْهَامْ
بِأَنَّ ٱلمُشَاهَدَةَ لَا تَقَعُ فِي دُنْيَا ٱلظَّلَامْ

لَكِنَّهَا إِشَارَةٌ بِأَنَّهُ سَيَفُوزُ بِهَا فِي ٱلجَنَّةْ
وَفِي هَذَا تَدْرِيبٌ لَهُ وَمَقَامَاتٌ مُهِمَّةْ

فَيَزْدَادُ مَعْرِفَةً وَفُتُوحَاتٍ وَرُتَبَا
فِي مُشَاهَدَةٍ تَحَيُّرٌ وَيَرَىٰ فِيهَا ٱلعَجَبَا

إِذَا قَالَ أَحَدٌ أَنَّهُ رَأَى ٱللهَ بِشَبَابِهِ
فَهَذَا يَتَكَلَّمُ مِنْ جُعْبَتِهِ وَعَلَىٰ حِسَابِهِ

فَٱلتَّجَلِّي يَحْرِقُ سُبُحَاتِ وَجْهِ ٱلمُشَاهِدْ
لَوْلَا ٱلحِجَابُ ٱلَّذِي لَهُ يُسَاعِدْ

فَكَيْفَ يَدَّعِي هَذَا مُشَاهَدَةَ رَبِّ ٱلسَّمٰوَاتْ
ٱلَّذِي تَرْجُفُ مِنْ بَرْقِ سَمَائِهِ ٱلمَخْلُوقَاتْ

إِذَا كَانَ ٱلبَرْقُ وَٱلصَّوَاعِقُ تَشُقُّ ٱلأَرْضْ
فَمَا بَالُكُمْ بِمَنْ لَا يُوصَفُ بِطُولٍ وَلَا عَرْضْ

ٱلَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلرَّحْمٰنْ
فَرُؤْيَةُ ٱللهِ فِي ٱلدُّنْيَا لَا تَكُونُ لِإِنْسَانْ

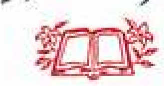
لَكِنَّ ٱللهَ خَصَّ بِهَا حَبِيبَهُ مُحَمَّدًا ٱلرَّسُولْ ﷺ فَقَدْ جَهَّزَهُ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ مَكَّنَهُ مِنَ ٱلْوُصُولْ
بِـلَا كَيْـفٍ وَلَا مَكَـانٍ وَلَا جِهَـةْ فَكَانَتْ سَائِرُ لَطَائِفِهِ لِلْمُشَاهَدَةِ مُتَوَجِّهَةْ

رُؤْيَةُ وَجْهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْكَرِيمِ ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ :"**مَنْ رَآنِي فِي ٱلْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي**". (صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه ج ١٥ ص ٢٤)

رُؤْيَـةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِٱلرَّابِطَـةِ ٱلْمُتَكَـرِّرَةْ هِـيَ دَلِيـلُ تَسْلِيكٍ وَإِشَارَةٌ مُتَطَـوِّرَةْ
قَدْ تَشْتَرِكُ بِلَذَّةِ ٱلرُّؤْيَةِ لَطَائِفُ ٱلْأَطْرَافِ وَذَلِكَ مِـنَ ٱلرَّحَمَاتِ ٱلْإِلَهِيَّـةِ وَٱلْأَلْطَافِ
أَكْثَرُ ٱلْخَلَائِقِ يُشَاهِدُ ٱلنَّبِيَّ ٱلرَّسُولْ ﷺ مِنْهُمُ ٱلْعَاصِي وَٱلْكَافِرُ وَٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمَوْصُولْ
أَمَّا ٱلْعَاصِي فَهِيَ لَهُ مِنْ بَابِ ٱلتَّهْدِيدْ لِيَرْجِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَهِيَ بِـذَلِكَ وَعِيـدْ
قَـدْ يَـرَاهُ بِطَرِيقَـةِ ٱلتَّـوْبِيخِ وَٱلزَّجْـرِ فَيَصْـحُو طَالِبًـا ٱلتَّوْبَـةَ عِنْـدَ ٱلْفَجْـرِ
وَأَمَّا ٱلْكَافِرُ[1] فَيَرَى إِشَارَاتِهِ مَعَ ٱلتَّهْدِيدِ وَٱلسُّخْطْ يَشْـعُرُ كَأَنَّـهُ مِـنْ عُلُـوٍّ مُرْتَفِـعٍ سَـقَطْ
وَفِي رُؤْيَتِهِ إِهَانَةٌ لَهُ عَلَى أَفْعَالِهِ ٱلْخَبِيثَةْ مِنْ قَتْلٍ وَظُلْمٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَعْمَالٍ خَسِيسَةْ
أَمَّـا ٱلْمُـؤْمِنُ فَـيَرَاهُ عَلَـى حَسَـبْ حَالِهِ وَبِقَدْرِ ٱلطَّاعَاتِ وَٱلْأَذْكَارِ ٱلَّتِي ٱكْتَسَبْ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَـرَى ٱلْوَجْـهَ ٱلْمُعَظَّـمَ ﷺ مُغَطَّى بِقِطْعَـةِ قِمَـاشٍ كَإِشَـارَةٍ لَـهُ وَمَحَطَّـةْ
أَنَّهُ سَيَنْطَلِقُ مِنْهَا إِلَى سُلُوكٍ فِيـهِ سَعَادَةْ وَيَحْصُـلُ لَـهُ وُصُـولٌ مُتَنَـوِّعٌ وَإِعَـادَةْ
وَبَعْضُهُمْ يَرَى ٱلْوَجْهَ ٱلْكَرِيمَ ﷺ بَاسِمًا مُنَوَّرًا سُبْحَانَ ٱلْإِلَـهِ ٱلْعَظِـيمِ ٱلَّـذِي صَـوَّرَا
فَهَـذِهِ حَالَـةٌ عَظِيمَـةٌ مِـنْ أَرْقَـى نَوْعِيَّـةْ حَصَلَتْ مَعَ مُرْشِدِ ٱلسَّادَةِ ٱلرِّفَاعِيَّةْ ﷺ
وَيَنَـالُ مَـعَ ٱلرُّؤْيَـةِ دَعْمًـا وَمَعْنَوِيَّـاتٍ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ ٱلرُّؤْيَةِ وَصِدْقِ ٱلْمُشَاهَدَاتِ

(١) ٱلْكَافِرُ يَرَاهُ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ رُؤْيَةِ ٱلْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَرَاهُ بِجَوٍّ مِنَ ٱلرُّعْبِ وَٱلتَّهْدِيدِ.



انقلابُ الظّاهرِ إلى ذوقٍ باطنٍ

بَعْدَ مُشاهَدَةِ الكامِلِ لِلوَجْهِ الشَّريفْ   يَنهَدِمُ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ حِجابُهُ(١) الكَثيفْ
ثُمَّ يَنتَقِلُ بَعْدَها إلى قَبْضٍ كَفاصِلْ   وَيَصيرُ حُلْمُهُ يَقْظَةً وَبِباطِنِهِ واصِلْ
وَهذا مَقامٌ فيهِ هَدْمُ الحِجابِ   كُلُّ نَقْلَةٍ يَرى فيها العَجَبَ العُجابِ ۞
عَلى قَدْرِ تَحَمُّلِهِ لِذلِكَ الحالِ   يَمْشي تَقَرُّبًا إلى رَحْمَةِ رَبِّنا المُتَعالِ
يَنقَلِبُ بَعْدَها ظاهِرُهُ المَعْنَوِيّ   إلى لَذَّةٍ رُوحِيَّةٍ تَجْري بِباطِنِهِ وَتَرْوي
لَطائِفَهُ بِالانتِعاشِ بِتَدَفُّقِ الأمْدادْ   بَعْدَ مُجاهَداتٍ تَتَفَتَّتُ مِنها الأكْبادْ
فَيُشاهِدُ المَوْصُولُ نَفْسَهُ بِعِلْمِ الباطِنْ   بِتَذَوُّقٍ فَريدٍ أصْبَحَ بِباطِنِهِ قاطِنْ
فَيَنتَقِلُ مِنْ عالَمِ ظاهِرِ الأذْكارِ   إلى باطِنِ عالَمِ العِرْفانِ والأسْرارِ
فَيَرْحَلُ مِنْ دائِرَةِ المَقامِ بِرُوحِهِ   إلى عالَمِ السَّعاداتِ وَيَزْدادُ بِفُتُوحِهِ
فَتَتَبَدَّلُ لِطائِفُهُ مِنْ مُشاهَدَةِ المَعْرِفَةِ   إلى ذَوْقٍ وُجْدانِيٍّ سَريعِ الحَرَكَةِ
تَنقُلُهُ مِنْ حالَةِ بُطْءِ السّالِكينْ   إلى سُرْعَةِ التَّنَقُّلِ بِالمَقاماتِ والتَّمْكينْ
فَيَتَمَكَّنُ مِنَ المُشارَكَةِ بِثَباتٍ راقي   وَيَجُولُ بَيْنَ أذْواقٍ وَفُيُوضاتٍ كَالسَّواقي
فَلا يَعْرِفُ ذلِكَ إلّا بِواسِطَةِ الذَّوقِ   الَّذي وَصَلَ إلَيْهِ بِالمُجاهَدَةِ والطّاعَةِ والصِّدْقِ ۞
عِندَها يُصْبِحُ الواصِلُ غَريبَ الدِّيارِ   يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنيا والنّاسِ فَيَلْجَأُ إلى الغَفّارِ
فَيَعيشُ بَيْنَ طَعْنٍ وافْتِراءٍ وَتَجْريحِ   وَأذًى وَظُلْمٍ واتِّهاماتٍ وَحَسَدٍ قَبيحِ
فَإنْ حَدَّثَ عَمّا هُوَ فيهِ   مِنْ مَعْنَوِيّاتٍ وَبَرَكاتٍ راقِيَةٍ تُغَذّيهِ
هَجَمَ عَلَيْهِ الحاسِدُونَ بِأفْواهِهِمُ المَفْتُوحَةِ   فَالكَلِمَةُ والهَمْسَةُ لَهُ غَيْرُ مَسْمُوحَةِ
هَؤُلاءِ هُمْ حُسّادُ الرِّجالِ في المَقاماتْ   لا يَمَلُّونَ مِنْ أذاهُ وَلَوْ ماتْ
فَحِرْمانُهُمْ عَلى قَدْرِ ما عِندَهُمْ مِنْ حَسَدْ   يَنتَفِضُ مِنْ هَيَجانِ حِقْدِهِمُ الرُّوحُ والجَسَدْ
كُلُّ مَنْ يَعْتَرِضُ عَلى فَضْلِ مَوْلاهُ ۞   لَهُ نَصيبٌ مِنْ حَظِّ إبْليسَ فيما اللهُ ابْتَلاهُ

(١) أي حِجابُ الرّائي.

اَلْفَنَاءُ

اَلْفَنَاءُ قَرِيبٌ مِنْ حَالِ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّاتِي   قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلَّتِي

سَقَطَ فِيهَا إِحْسَاسُهُنَّ مِنْ شِدَّةِ جَمَالِ   يُوسُفَ عليه السلام ٱلْمَحْفُوفِ بِٱلنُّورِ وَأَنْوَاعِ ٱلْكَمَالِ

هٰذَا فَنَاءٌ وَغِيَابٌ عَنِ ٱلْإِحْسَاسِ ٱلنَّفْسِيِّ   إِذْ سَيْطَرَ جَمَالُهُ عَلَى كُلِّ شُعُورٍ حِسِّيِّ

وَهٰذَا مِنْ مَقَامَاتِ مَدَارِجِ ٱلْفَنَاءْ   عِنْدَ أَهْلِ ٱلتَّصَوُّفِ كَمَا عِنْدَنَا جَاءْ

فَيَأْتِي ٱلْحَالُ وَيَغِيبُ كَسُرْعَةِ ٱلْبَرْقِ ٱلْخَاطِفْ   وَدَوَامُهُ لَا تُطِيقُهُ ٱلنَّفْسُ حَتَّى ٱلْعَارِفْ

فَإِذَا أَتَى يُحْجَبُ صَاحِبُهُ عَنِ ٱلْإِحْسَاسِ   وَقَلِيلٌ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلنَّاسِ

وَٱلْفَنَاءُ(1) لَيْسَ فَنَاءَ قَلْبٍ وَلَحْمٍ وَجَسَدِ   بَلْ هُوَ ٱحْتِرَاقٌ نُورَانِيٌّ مِنَ ٱلْفَرْدِ ٱلصَّمَدِ ﷻ

قُوَّةُ ٱلْهِمَّةِ وَٱلْفَنَاءِ

كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْمُرِيدُ مِنَ ٱللهِ قُرْبَا   زَادَهُ مَوْلَاهُ نُورًا وَسَعَادَةً وَهَيْبَةْ

اَلْقُرْبُ أَنْ لَا يَشْهَدَ ٱلْعَبْدُ غَيْرَ خَالِقِهِ(2)   وَلَا تَكُونُ مَحَبَّةُ سِوَاهُ فِي خَاطِرِهِ

مَنْ كَانَ مُتَحَصِّنًا بِنُورِ ٱلرُّوحِ   مُسْتَقِرًّا فِي تَقَلُّبَاتِ رُوحِ ٱلْفُتُوحِ

قَطَعَ حُظُوظَ ٱلْفَنَاءِ وَلِلْقُرْبِ وَصَلَ   وَهٰذَا خَاطِرُهُ عَنِ ٱلسُّوءِ قَدِ ٱنْغَسَلَ

لَا يُبَالِي إِنْ رَأَى ٱمْرَأَةً أَوْ حَائِطْ   بِعَكْسِ ٱلْغَافِلِ ٱلْوَاقِعِ بِٱلسَّيِّئَاتِ ٱلسَّاقِطْ

فَيَصِيرُ فَانِيًا عَنْ سَائِرِ ٱلْمُخَالَفَاتِ   مُتَمَكِّنًا "بَاقِيًا"(3) فِي حِمَى ٱلْمُوَافَقَاتِ

مَنْ كَانَتْ بِدَايَتُهُ أَحْكَمَ فَنِهَايَتُهُ أَتَمّ   أَكْثَرُ ٱلْأَضْرَارِ مِنْ فَسَادِ ٱلْاِبْتِدَاءِ ٱلْمُلِمّ

اَلْمُبْتَدِئُ يَحْتَاجُ إِلَى إِحْكَامِ ٱلنِّيَّةِ   وَإِلَّا ضَاعَ فِي سُهُولِ ٱلسُّلُوكِ وَٱلْأَوْدِيَةِ

(1) ٱلْفَنَاءُ لَهُ أَشْكَالٌ كَثِيرَةٌ وَرُمُوزٌ وَمَعَانِي.

(2) قَالَ ﷺ حِينَ سُئِلَ عَنِ ٱلْإِحْسَانِ: "أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". (رواه مسلم)

(3) أَيْ بَاقِيًا بِمَقَامِ ٱلْعَطَاءِ.



اَلْفَنَاءُ يَدُورُ عَلَى صِحَّةِ إِخْلَاصِ ٱلْوَحْدَانِيَّةِ ... وَٱلْبَقَاءُ يَكُونُ كَذَٰلِكَ بِصِحَّةِ ٱلْعُبُودِيَّةِ

مِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ ٱللهُ ٱلْخَيْرَاتِ فِيهِ ... وَيُسَخِّرُ ٱللهُ لَهُ مَنْ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ

مِنْهُمْ مَنْ يَفْنَى وَلَا يَغِيبُ إِحْسَاسُهُ ... لِأَنَّ غَيْبَتَهُ بِحَسَبِ شُعُورِهِ وَقُوَّةِ حَوَاسِّهُ

وَقِيلَ لَيْسَتِ ٱلْغَيْبَةُ مِنْ ضَرُورَةِ ٱلْفَنَاءْ ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهَا بِشَارَاتُ ٱلصَّفَاءْ

أَهْلُ ٱلْفَنَاءِ تَمَيَّزُوا بِأَرْوَاحِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ ... فَعَرَّفَهُمْ رَبُّهُمْ ﷻ بِطَرِيقِ سُلُوكِ سَيْرِهِمْ

فَخَاضُوا بَحْرَ ٱلْعِلْمِ بِٱلْفَهْمِ ٱلْعِرْفَانِيِّ ... فَٱنْكَشَفَ لَهُمْ مِنْ أَسْرَارِ ٱلْعِلْمِ ٱلنُّورَانِيِّ

فَٱسْتَخْرَجُوا ٱلدُّرَرَ وَٱلْجَوَاهِرَ وَٱلْيَوَاقِيتْ ... وَنَطَقُوا بِٱلْحِكْمَةِ حَتَّى ذَاعَ بِهِمُ ٱلصِّيتْ

فِيهَا مِنَ ٱلْعُلُومِ مَا يَظُنُّهَا ٱلْغَافِلُ جَدِيدَةْ ... فَهِيَ عَنْهُ غَرِيبَةٌ بَلْ هِيَ عَجِيبَةٌ عَدِيدَةْ

قَالَ ٱلْمَوْلَى ﷻ فِي حَقِّ ٱلْخَضِرِ عليه السلام : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف ٦٥)

لَهُمْ أَحْوَالٌ بَيْنَ بَعْضِهِمْ يَفْهَمُونَهَا ... وَعَلَامَاتٌ قَلْبِيَّةٌ لَا نَعْرِفُهَا هُمْ يَعْرِفُونَهَا

قِيلَ قَدْ جَمَعَهُمْ بِفَضْلِ أَسْرَارِ ذَاتِهِ ﷻ ... وَعَرَّفَهُمْ عَلَىٰ مَحَاسِنِ أَنْوَارِ صِفَاتِهِ ﷻ

فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْرِفُ رَبَّهُ ﷻ بِطَرِيقِ ٱلْإِسْتِدْلَالِ ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْرِفُهُ عَنْ طَرِيقِ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلْإِجْلَالِ

مَنْ لَمْ يَعْرِفِ ٱللهَ فَهُوَ لِلزَّوَالِ ... وَمَنْ عَرَفَهُ فَهُوَ ثَابِتٌ ثُبُوتَ ٱلْجِبَالِ

فَٱلْعِرْفَانُ مِنَ ٱللهِ حِرْزٌ مَنِيعْ ... وَٱلْعَمَلُ بِٱلشَّعْوَذَةِ يَنْكَشِفُ بِشَكْلٍ سَرِيعْ

يَعْبُرُ ٱلْفَانِي بِرُوحِهِ إِلَى مَقَامِ ٱلسَّمَوَاتِ ... وَهَٰذَا حَالٌ مُرْعِبٌ فِي قَطْعِ ٱلْمَسَافَاتِ

فَإِذَا وَصَلَ لِلْبَابِ ٱلرُّوحَانِيِّ يُحِسُّ بِضَرْبَةْ[1] ... تُصِيبُ رَأْسَهُ لِأَنَّ ٱلْمَدَاخِلَ صَعْبَةْ

(١) بضربة : إشارة روحية لها صوت غريب لا يسمعها غير السالك.

فَيَصِلُ لِحَالَةٍ يَلْبَسُ فِيهَا تَاجْ … وَٱللهُ أَعْلَمُ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ مِنَ ٱلِٱعْوِجَاجْ

لَا نَقُولُ إِنَّهُ يَدْخُلُ جَنَّةَ ٱلنَّعِيمِ … وَإِلَّا يَتَّهِمُونَنَا أَنَّنَا مِنْ أَهْلِ ٱلْجَحِيمِ

فَتَتَكَاثَرُ عَلَيْهِ ٱلْأَنْوَارُ وَٱلرَّحَمَاتْ … وَيَمْتَلِئُ مِنَ ٱلْفَيْضِ وَٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْبَرَكَاتْ

وَيُفَاجَأُ بِعَجَائِبَ فَوْقَ ٱلْعُقُولِ … هَـٰذِهِ ذَرَّةٌ مِنَ ٱلْفَنَاءِ ٱلْمَعْقُولِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يُعِيدُ ٱلسُّلُوكَ وَٱلْوُصُولْ … يَكُونُ ذَا قُدُرَاتٍ وَعَزِيمَةٍ وَمَوْصُولْ

هَـٰذِهِ أَقْوَىٰ ٱلْمَرَاتِبِ فِي ٱلْمُجَاهَدَاتِ … لِأَنَّهُ يَحْمِلُ ٱلْأَثْقَالَ وَٱلْمُكَابَدَاتِ

هَـٰذِهِ مَقَامَاتٌ يُقَالُ لَهَا خُصُوصِيَّةْ … نَادِرَةُ ٱلْوُجُودِ تِلْكَ ٱلنَّوْعِيَّةْ

فَلْنَعُدْ لِلْفَنَاءِ ٱلنُّورَانِيِّ ٱلْمَذْكُورِ … بَعْدَمَا عَرَفْنَاهُ عَنِ ٱلْفَانِي ٱلْجَسُورِ

فَبَعْدَ ٱلْمُرَاقَبَةِ ٱلطَّوِيلَةِ لِعَشَرَاتِ ٱلسِّنِينَ … وَبِمُشَاهَدَةِ أَنْوَارِ وَبَرَكَاتِ خَيْرِ ٱلنَّبِيِّينَ ﷺ

يَصِلُ ٱلسَّالِكُ لِلْمَقَامَاتِ حَسَبَ ٱلْأَرْقَامِ … أَيْ عَلَى عَدَدِ مَا شَاهَدَ مِنْ سَيِّدِ ٱلْأَنَامِ ﷺ

مِنْ إِشَارَاتٍ بَرَّاقَةٍ لَامِعَةٍ رُوحِيَّةِ … تَجْمَعُهُمْ مُشَاهَدَةٌ وَاحِدَةٌ بِٱلطُّرُقِ ٱلْعَلِيَّةِ

فَهِيَ مُعَلَّقَةٌ عَلَى بَابِ ٱلنُّورَانِيَّاتِ ٱلنَّبَوِيَّةِ … تَهْبِطُ عَلَى مَنْ هُوَ مِنْ أَفْضَلِ نَوْعِيَّةِ

عِبَارَةٌ عَنْ كُتْلَةٍ كَٱلشَّمْسِ ٱلنُّورَانِيَّةِ … تَهْبِطُ عَلَى أَصْحَابِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْعَلِيَّةِ

لَا يَشْعُرُ بِهَا مَلَايِينُ ٱلْحُجَّاجِ وَٱلْعُمَّارْ … إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يُحِبُّ ٱلْمُخْتَارْ ﷺ

فَيُذَاعُ بِعَالَمِ ٱلْعِرْفَانِ مَا شَاهَدَ وَكَانَ … فَتَسْمَعُ ٱلْقُلُوبُ وَتُكَبِّرُ وَتُعَظِّمُ ٱلدَّيَّانَ

فَتَنْهَلُ عَلَيْهِ ٱلْأَنْوَارُ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَنْوَاعِ … وَيُقْذَفُ بِٱلْأَذَى مِنَ ٱلْجِيرَانِ وَٱلْأَتْبَاعِ

حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لِظُهُورِ ٱلْحَقّْ … كَمْ مِنْ حَاسِدٍ عَادَى ٱلْفَانِي وَعَنْهُ ٱنْشَقّْ

فَيَقُومُ ٱلْفَانِي بِنَشْرِ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْعُلُومْ … بِمَا أَمَدَّهُ مَوْلَاهُ ٱلْقَادِرُ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومْ ﷺ

فَلَا يَرَى إِلَّا حَرْبًا وَآذَانًا مُقْفَلَةْ … إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللهُ لَهُ ٱلْمَدَدَ وَٱلْمَعْرِفَةْ

فَيَرْفُضُ بَعْضُهُمْ مِنْهُ قَبُولَ ٱلْكَلَامِ … لِجَهْلِ ٱلنَّاسِ بِمَعْرِفَةِ مُرْشِدِي ٱلْأَنَامِ

حَيْثُ لَمْ يُوَفَّقُوا بِالْفَتْحِ وَالْفُتُوحِ
لِخَلْطِهِمُ الْبَيَاضَ بِالسَّوَادِ الْمَفْضُوحِ
وَتَشْغِيلِ نُفُوسِهِمْ بِالْأَهْوَاءِ وَالْخَوَاطِرِ الْمُضِرَّةِ
فَيُحْرَمُونَ مِنَ الْعِرْفَانِ وَالْمَسَرَّةِ

إِخْفَاءُ أَحْوَالِ الْفَانِي لِحِكْمَةٍ

فَإِذَا أَرَادَ الْمُرْشِدُ الْأَخْذَ بِالْأَيَادِي
فَيَمْتَحِنُ مِنَ الْمَدْسُوسِينَ الْأَعَادِي
فَيَأْمُرُ بِفِعْلِ أَمْرٍ لَا تُدْرِكُهُ الْعُقُولْ
فَيَطْرُدُ صُورِيًّا السَّالِكَ الْفَانِي الْمَوْصُولْ
لِيَحْمِيَهُ مِنَ الْحَاسِدِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالْ
فَتَرْتَاحُ صُدُورُ الْأَعَادِي وَيَطْمَئِنُّ الْبَالْ
يَظُنُّونَ أَنَّهُ قُطِعَتْ عَنْهُ الْأَحْوَالْ
وَهَذَا لِخَلَاصِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالْ
فَتَنْفَضُّ عَنْهُ الْأَوْبَاشُ وَالْأَرَاذِلْ
فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ بِهِ بَلَاءٌ نَازِلْ
فَهَذِهِ هِيَ النَّقْلَةُ الْمُهِمَّةُ لِلْفَنَاءْ
فَيَحْجُبُهُ عَنِ الْجَمِيعِ لِيَنَالَ الصَّفَاءْ
فَيُصْبِحُ رَقِيقَ الْقَلْبِ فَوْقَ الْعَادَةْ
وَيَحْزَنُ عَلَى الْخَلْقِ لِفُقْدَانِهِمُ السَّعَادَةْ
عِنْدَ دُخُولِهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ الْعَجِيبْ
يَنَالُ الْهِمَمَ وَالْقُدُرَاتِ وَالْحَظَّ الرَّهِيبْ
فَيَشْعُرُ كَأَنَّهُ يَحْتَرِقُ وَيَذُوبْ
وَهَذِهِ إِشَارَةُ الْفَنَاءِ بِعَلَّامِ الْغُيُوبْ ﷻ

الْفَنَاءُ بِمُشَاهَدَةِ رُوحَانِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ

عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى مَقَامَاتٍ مَسْمُوحٍ بِهَا الْمُرِيدْ
يَمْتَلِئُ مَحَبَّةً بِأُسْتَاذِهِ الْعَتِيدْ
فَتَنْطَبِعُ صُورَةُ أُسْتَاذِهِ فِي خَيَالِهِ
فَيُقَالُ لِهَذَا: الْفَنَاءُ بِالْمُرْشِدِ وَأَحْوَالِهِ
فَتُرَافِقُهُ تِلْكَ الصُّورَةُ لِلْمُتَابَعَةِ
إِنْ كَانَ لَهُ فُتُوحٌ لِأَنْوَارِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ

فَيُجِيزُهُ ٱلْمُرْشِدُ لِتَلَقِّي رُوحَانِيَّةٍ جَدِيدَةٍ ... فَيَتَعَامَلُ مَعَ جَمَالِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِطَرِيقَةٍ مُفِيدَةٍ

فَتَتَبَدَّلُ أَحْوَالُهُ مِنْ نُورٍ إِلَى نُورِ ... وَتَتَمَتَّعُ لَطَائِفُهُ بِٱلسَّعَادَةِ وَٱلسُّرُورِ

فَتَزْدَادُ عِنْدَهُ سُرْعَةُ ٱلْإِنْطِلَاقِ ... فَيَحْتَرِقُ بِٱلْحُبِّ وَيَذُوبُ بِٱلْاشْتِيَاقِ

فَيُفَاجَأُ بِقِطَعٍ نُورَانِيَّةٍ مُذْهِلَةْ ... تَمُرُّ عَلَى نَوَاظِرِهِ وَلَيْسَتْ لِلْكُلِّ سَهْلَةْ

حَتَّى يَصِلَ لِخَرْقِ ٱلْحُجُبِ ٱلضَّخْمَةِ ٱلسَّاتِرَةْ ... فَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ ٱلْحَبِيبِ مُشَاهَدَاتٌ فَاخِرَةْ

فَإِذَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَهَذَا فَنَاءٌ ثَانِ ... لَا بُدَّ مِنْ ظُهُورِ مُرْشِدِهِ بِٱلرَّابِطَةِ وَلَوْ لِثَوَانِ

لِأَنَّهُ يَقَعُ بِٱلْحَيْرَةِ وَٱلتَّحَيُّرِ ٱلْمُذْهِلْ ... وَيَنْدَهِشُ قَلْبُهُ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مُقْبِلْ

فَيَمُدُّهُ أُسْتَاذُهُ بِٱلْفَهْمِ ٱلْقَلْبِيِّ بِٱلْإِشَارَاتِ ... فَتَدْخُلُ إِلَى ٱلْأَعْمَاقِ فَيَفْهَمُ بِٱلنَّظَرَاتِ

فَتَسْكُنُ رُوحُهُ وَتَطْمَئِنُّ بَعْدَ هَيَجَانِهَا ... حَيْثُ تَتَمَنَّى ٱلْفِرَارَ لِكَثْرَةِ فَيَضَانِهَا

وَٱنْعِكَاسِ جَمَالِ خَيْرِ ٱلْخَلَائِقِ ﷺ إِلَيْهِ ... لِأَنَّ ٱلرُّوحَ لَمْ تَتَعَوَّدْ قَبْلًا عَلَيْهِ

فَلَوْلَا ٱلْمُرْشِدُ ٱلْمُعَالِجُ ٱلْمُرَافِقُ لِلْمُرِيدِ ... لَوَقَعَ ٱلْمِسْكِينُ بِٱنْزِلَاقٍ غَيْرِ مُفِيدِ

فَٱلْمُرْشِدُ بِتِلْكَ ٱلْحَالَاتِ هُوَ ٱلدَّلِيلُ ٱلْمُعَالِجْ ... وَٱلْمُسَكِّنُ لِهَيَجَانِ ٱللَّطَائِفِ بِٱلدَّاخِلِ وَٱلْخَارِجْ

وَٱلْمُنْقِذُ مِنْ ضَلَالِ سُلُوكِ ٱلطَّرِيقِ ... حَيْثُ لِلسَّمٰوَاتِ أَبْوَابٌ وَمَنَافِذُ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ

لَا يُسْمَحُ بِعُبُورِهَا لِأَيِّ خَلْقٍ كَانْ ... إِلَّا لِمَنْ يَأْذَنُ ٱللهُ لَهُ مِنَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجَانّ

فَٱللهُ تَعَالَى يُسَلِّمُ وَيُعِينُ مَنْ يُرِيدْ ... فَٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلْمُرَادِ وَٱلْمُرِيدْ

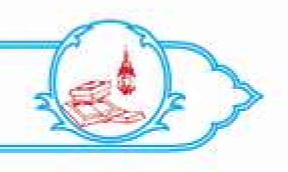
قال تعالى ﷻ : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ (الرحمن ٣٣)





← صوفي زاهد من بلاد البوسنة الإسلامية

الشيخ الصوفي محمد الفارسي ـ مكة المكرمة ←



حُبُّ اللهِ ﷻ وَرَسُولِهِ ﷺ

لِيَعْلَمِ الْمُرِيدُ أَنَّ حُبَّ اللهِ مَقَامٌ رَاقِي ... وَحُبَّ رَسُولِهِ ﷺ بَحْرٌ تَصُبُّ فِيهِ السَّوَاقِي

فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْمُرِيدُ الصَّادِقُ إِيمَانًا ... ازْدَادَ حُبُّهُ لِلهِ وَرَسُولِهِ ﷺ عِيَانًا

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة ١٦٥) .

فَالْوُصُولُ إِلَى كَمَالِ الْمَحَبَّةِ الرَّبَّانِيَّةْ ... يُرَادُ لَهَا طَاعَاتٌ وَعِبَادَاتٌ وَجِهَادَاتٌ قَوِيَّةْ

فَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ صَادِقَةً قَوِيَّةْ ... تُنْسِ صَاحِبَهَا الْأَهْلَ وَالْأَمْوَالَ الرَّدِيَّةْ

فَيَعْلَقُ حُبُّ الْمَحْبُوبِ بِالْقَلْبِ وَالْفِكْرْ ... فَيَحْجُبُ سَائِرَ مَا فِيهِ مِنْ صُوَرٍ فَتَنْدَثِرْ

إِلَى أَنْ تَنْحَجِبَ الصُّوَرُ قَلِيلًا قَلِيلًا ... فَإِنْ شَاهَدْتَ أَحْوَالَهُ تَظُنُّهُ عَلِيلًا

فَيُصْبِحُ مَشْغُولَ الْقَلْبِ لَا زِينَةَ فِيهِ ... لَا طَعَامَ وَلَا مَالَ وَلَا لِبَاسَ وَلَا فَرَحَ يُرْضِيهِ

حَيْثُ مَحَبَّةُ حَبِيبِهِ زَيَّنَتْهُ بِأَنْوَارِهَا ... فَتَغَلَّبَتْ عَلَى الْقَلْبِ بِأَسْرَارِهَا

فَتَصِيرُ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ غَالِبَةٌ مُسَيْطِرَةْ ... عَلَى سَائِرِ اللَّطَائِفِ وَالْأَفْكَارِ الْمُتَحَيِّرَةْ

وَتَكُونُ الْمَحَبَّةُ هِيَ مَطْلَبَهُ وَحُبَّهْ ... لَا يَسْتَطِيعُ الْبُعْدَ عَنْ مُشَاهَدَةِ قُرْبِهْ

فَيَحُوزُ عَلَى كُلِّ مَقَامٍ كَرِيمِ ... وَلَا يَنَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمِ

وَيُعْطِي حُبَّ اللهِ سَاحَةَ فُؤَادِهْ ... فَيُنْسِيهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَنَفْسَهُ وَبِلَادَهْ

قَالَ أَبُو رَزِينٍ الْعَقِيلِيُّ : يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ ﷺ : " **أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ سِوَاهُمَا** "[1] . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ " **لَا يُؤْمِنُ الرَّجُلُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** "[2] (من حديث أنس)

مَنْ دَخَلَ إِلَى قَلْبِهِ ذَلِكَ الْحُبُّ وَانْتَشَرْ ... شَغَلَهُ وَأَوْحَشَهُ عَنْ سَائِرِ الدُّنْيَا وَالْبَشَرْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٩٤

(٢) صحيح الإمام مسلم ﷺ ، ج٢ ص ١٥



مَنْ مَاتَ عَلَى تِلْكَ ٱلْمَحَبَّةِ ٱلصَّادِقَةِ حُشِرَ مَعْ أَحَبِّ وَأَرْقَى فِرْقَةِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **"مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حَشَرَهُ ٱللهُ فِي زُمْرَتِهِمْ"** (الفتح الكبير ج ٣ ص ١٤٩)

فَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْغَافِلَ عَنِ ٱلْحُبِّ قَلْبُهُ رَاقِدٌ وَلِلْمَحَبَّةِ وَٱلْإِخْلَاصِ وَٱلنَّعِيمِ فَاقِدٌ

عَجِبْتُ لِمَنْ وَقَعَ بِحُبِّ ٱلشَّهَوَاتِ وَٱلْفَرْشِ وَغَفَلَ عَنْ حُبِّ خَالِقِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْعَرْشِ

اَلْحُبُّ سِرٌّ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ

إِنَّ ٱلْحُبَّ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ ٱلْحَبِيبْ يَنْدَهِشُ وَيَضْطَرِبُ ٱلْمُرِيدُ إِذَا بِهِ أُصِيبْ

يُقَالُ لَهُ جَذْبٌ لِإِظْهَارِ ٱلْحُبِّ وَنُزُولِ ٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْبَرَكَاتِ عَلَى ٱلْقَلْبِ

فَإِنْ وَقَعَ مِنْهُ بِلَا تَكَلُّفٍ فَهُوَ مَعْذُورْ لِأَنَّهُ وَاقِعٌ بِلَا ٱخْتِيَارٍ وَلِلْحَالِ مَقْهُورْ

وَقَدْ تَشْتَعِلُ فِي ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلْحُبِّ نِيرَانُهْ فَلَا يَقْدِرُ ٱلْقَلْبُ عَلَى دَفْعِ فَيَضَانِهْ

فَعَلَى ٱلْمُحِبِّ بِهَذَا ٱلْعَصْرِ أَنْ يَخْتَفِي وَيَعْمَلَ بِٱلذِّكْرِ مَعَ حَالِهِ ٱلْخَفِيّ

وَيَحْجُبَ أَفْعَالَهُ وَأَقْوَالَهُ عَنِ ٱلْأَغْيَارْ لِأَنَّ ٱلْحَسَدَ وَٱلنِّفَاقَ مَلَأَ ٱلْأَمْصَارْ

قِيلَ : مَا عَلَامَةُ ٱلْحُبِّ بِٱللهِ وَٱلْأُنْسِ ؟ قِيلَ : ضِيقُ ٱلصَّدْرِ مِمَّا بِصُدُورِ ٱلْإِنْسِ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ مُوسَى عليه السلام : ﴿ ... إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ (الشعراء ١٣)

قَالَ بَعْضُ ٱلْعُرَفَاءِ :

اَلْأُنْسُ بِٱللهِ لَا يَحْوِيهِ بَطَّالٌ وَلَيْسَ يُدْرِكُهُ بِٱلْحَوْلِ مُحْتَالٌ

وَٱلْآنِسُونَ رِجَالٌ كُلُّهُمْ نُجُبٌ وَكُلُّهُمْ صَفْوَةُ ٱللهِ بِٱلْحُبّ

إِنْ أَبْكَاكَ ٱللهُ لَا يَرُوِيكَ ٱلذَّهَبْ وَإِنْ أَضْحَكَكَ مَوْلَاكَ فَمِنْهُ مَا قَدْ وَهَبْ

فَإِذَا قَلَّ ٱلرِّزْقُ لَا تَقُلِ ٱلْحَظُّ نَهَبْ فَمِنْهُ ٱلْمَنْعُ وَٱلْعَطَاءُ وَبِٱللهِ ٱلْعَجَبْ

أَسْعَدُ ٱلْخَلْقِ حَالًا فِي ٱلْآخِرَةِ … أَقْوَاهُمْ حُبًّا لِلّٰهِ بِٱلْقَلْبِ وَٱلذَّاكِرَةِ

كُلَّمَا ٱزْدَادَتِ ٱلْمَحَبَّةُ ٱزْدَادَتْ لَذَّةُ ٱلْمَعْرِفَةِ … وَسَبَبُهَا قَطْعُ ٱلْعَلَائِقِ بِٱلدُّنْيَا ٱلْمُزَيَّفَةِ

مَنْ أَحَبَّ ٱللّٰهَ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ … فَازَ بِأَرْقَى ٱلتَّجَلِّيَاتِ عَنْ غَيْرِهِ

أَسْبَابُ ضَعْفِ حُبِّ ٱللّٰهِ بِٱلْقُلُوبْ … قُوَّةُ حُبِّ ٱلدُّنْيَا فَصَاحِبُهَا مَغْلُوبْ

بِقَدْرِ مَا يَأْنَسُ بِٱلدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا ٱلْفَانِيَةِ … يَنْقُصُ أُنْسُهُ بِٱللّٰهِ ثَانِيَةً تِلْوَ ثَانِيَةٍ

ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ ضَرَّتَانِ لَا يَسْتَوِيَانِ … فَحُبُّ ٱللّٰهِ وَٱلدُّنْيَا بِٱلْقَلْبِ لَا يَجْتَمِعَانِ

قَالَ ٱللّٰهُ ﷻ : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ (الأحزاب ٤)

كَمَالُ ٱلْحُبِّ أَنْ يُحِبَّ ٱلْمُرِيدُ مَوْلَاهُ … مِنْ كُلِّ ٱتِّجَاهَاتِ قَلْبِهِ جَلَّ بِعُلَاهُ

فَمَا دَامَ يَلْتَفِتُ بِٱلْحُبِّ لِغَيْرِهِ تَكُونْ … زَاوِيَةُ قَلْبِهِ مَشْغُولَةً بِغَيْرِهِ مِنَ ٱلْفُنُونْ

فَبِقَدْرِ مَا يَنْشَغِلُ بِغَيْرِ ٱللّٰهِ يَنْقُصْ … مِنْهُ حُبُّ ٱللّٰهِ حَتَّى يَغْفَلَ ٱلْقَلْبُ وَيَنْطَمِسْ

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ : أَنْ لَا مَحْبُوبَ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ … وَمَنْ أَحَبَّ غَيْرَ ٱللّٰهِ فَقَدِ ٱبْتَلَاهُ

وَكَمَالُ ٱلْإِخْلَاصِ أَنْ يُخْلِصَ لِلّٰهِ قَلْبَهُ … فَيَزْدَادَ مِنَ ٱللّٰهِ حُبُّهُ وَقُرْبُهُ

وَعَلَى هَذَا فَإِشَارَةُ ضَعْفِ ٱلْقُلُوبِ … حُبُّ ٱلْقَلْبِ لِغَيْرِ ٱللّٰهِ ٱلْمَحْبُوبِ

فَسُلُوكُ طَرِيقِ ٱلزُّهْدِ مَعَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ … هُوَ سَبِيلُ نَزْعِ ٱلدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةِ ٱلْعَوْجَاءِ

فَإِنْ طَهُرَ ٱلْقَلْبُ مِنْ رَذَائِلِهَا ٱلْمُضْنِيَةِ … ٱتَّسَعَ ٱلْقَلْبُ لِنُزُولِ ٱلْمَعْرِفَةِ ٱلْعَلِيَّةِ

وَٱلطَّهَارَةُ هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ ٱلْمَحَبَّةِ ٱلصَّادِقَةْ … فَبِهَا تَتَجَمَّعُ ٱللَّطَائِفُ ٱلذَّاكِرَةُ ٱلْمُتَفَرِّقَةْ

فَتَصِيرُ تِلْكَ ٱلْفُرُوعُ أَصْلُهَا ثَابِتٌ … وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَنُورُهَا نَابِتٌ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر ١٠)

مَنْ وَصَلَ بِصِدْقِ صَفَائِهِ لِتِلْكَ ٱلْمَرْتَبَةِ … أَصْبَحَ يَمْلِكُ مَعَارِفَ قَلْبِيَّةً كَٱلْمَكْتَبَةِ

هَؤُلَاءِ أَهْلُ ٱلْكَمَالِ ٱلْأَقْوِيَاءْ … يَعْرِفُونَ ٱللّٰهَ وَبِهِ يَعْرِفُونَ ٱلْأَعْدَاءْ



نَصَائِحُ مُتَنَوِّعَةٌ عَنِ ٱلْمَحَبَّةِ

عَنْ أَبِي ٱلدَّرْدَاءِ ﷺ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **"قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ...رَبِّ ٱجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنَ ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ"**. (رواه الحاكم في المستدرك)

بَوَاعِثُ ٱلْمَحَبَّةِ بِٱلإِنْسَانِ مُتَنَوِّعَةٌ: ٱلْمَحَبَّةُ بِٱلرُّوحِ وَبِٱلنَّفْسِ ٱلزَّكِيَّةِ ٱلرَّائِعَةْ

وَمَحَبَّةٌ بِٱلْقَلْبِ وَبِٱلْعَقْلِ وَهَذِهِ لِلسُّلُوكِ وَٱلْكَامِلُ يُحِبُّ بِكُلِّيَّتِهِ مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ ﷺ

حُبُّ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِحُكْمِ ٱلإِيمَانِ وَحُبُّ ٱلأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ بِحُكْمِ طَبْعِ ٱلإِنْسَانِ

مَنْ غَلَّبَ ٱلأَوَّلَ عَلَى ٱلثَّانِي كَمُلَ لِلْوُصُولِ وَمَنْ فَضَّلَ ٱلثَّانِي كَانَ قَلِيلَ ٱلْحُصُولِ

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ ٱلْغَلَبَةُ لِمَحَبَّةِ ٱلإِيمَانِ عَلَى ٱلطَّبْعِ وَسَائِرِ لَطَائِفِ ٱلإِنْسَانِ

مَنْ فَازَ بِتِلْكَ ٱلدَّرَجَةِ وَلَهَا قَطَعَ فَعَلَى جِبِلَّتِهِ ٱلإِنْسَانِيَّةِ تَغَلَّبَ وَٱرْتَفَعَ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (المائدة ٥٤)

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : مَنْ قَتَلَتْهُ مَحَبَّتُهُ فَدِيَتُهُ رُؤْيَتُهْ أَيْ بِٱلْقِيَامَةِ وَلَهُ بِٱلدُّنْيَا تَجَلِّي عِزَّتِهْ ﷺ

ٱلْمُحِبُّ لَا يُزْعِجُهُ طَلَبٌ وَلَا يُوحِشُهُ سَلَبٌ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

وَمَنِ ٱكْتَسَى بِمَلَابِسِ نُورِ أَهْلِ ٱلْعُكُوفِ صَارَتْ نَفْسُهُ مَحْمِيَّةً عَنِ ٱلطَّوَارِقِ وَٱلصُّرُوفِ

حَقِيقَةُ ٱلْمَحَبَّةِ أَنْ تَهَبَ لِلهِ كُلَّكَ وَتَشْكُرَ بِوَفَاءِ مَنْ عَلَيْهِ قَدْ دَلَّكَ

قَالَتْ سَيِّدَةُ عَصْرِهَا رَابِعَةُ ٱلْعَدَوِيَّةُ ﷺ :

"تَعْصِي ٱلإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي ٱلْفِعَالِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ"

وَكَمَالُ وَصْفِ ٱلْمَحَبَّةِ يُزِيلُ ٱلْمَوَانِعْ وَيُوصِلُ ٱلْمُرِيدَ لِكُلِّ مَقَامٍ جَامِعْ

الرَّابِطَةُ وَالْمُرَاقَبَةُ وَالذِّكْرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالصَّلَاةُ ... وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَالْحَجُّ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ

دَلِيلٌ عَلَى الْعَامِلِ فِيهَا وَعُنْوَانُ الْمَحَبَّةْ ... وَالتَّارِكُ لَهَا عَلَيْهِ بِالْقِيَامَةِ مُنْقَلِبَةْ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"(١) ... فَعَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يُحْسِنَ لِحُبِّهِ الطَّلَبْ

وَظَاهِرُ الْمَحَبَّةِ اتِّبَاعُ رِضَى الْمَحْبُوبْ ... وَبَاطِنُهَا أَنْ يَكُونَ سَالِكًا مَجْذُوبْ

فَكُلُّ مَا يَنَالُهُ السَّالِكُ مِنْ عَطَايَا ... فَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ كَسْبِهِ بَلْ فَضْلُ رَبِّ الْبَرَايَا

عَلِمْنَا مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ ﷺ ... أَنَّ الْمَحْبُوبَ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ بِالنَّارِ

فَمَنْ أَحَبَّ اللهَ اشْتَاقَ لِلِقَائِهِ ... وَمَنْ كَرِهَ قَدِ ازْدَادَ فِي شَقَائِهِ

يَرْفَعُ بِالْمَحَبَّةِ سَائِرَ الْغَمِّ وَالْهُمُومِ ... وَيَصِلُ فِيهِ إِلَى مَقَامٍ طَيِّبٍ مَعْلُومِ

الذَّوْقُ بِالْمَحَبَّةِ

الْمُحِبُّونَ مِمَّنْ يَرَوْنَ آيَاتِهِ ﷻ ... فِي آفَاقِ أَسْرَارِ نُورِ عَجَائِبِ قُدُرَاتِهِ ﷻ

إِذَا ذَاقُوهَا امْتَلَأَتْ عُقُولُهُمْ بِهَا ... لَا يُدْخِلُونَ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ غَيْرَهَا

يَحُفُّهُمْ ذَوْقٌ يَبْهَرُ وَخَوْفٌ لَذِيذْ ... يُصْمِتُ أَلْسِنَتَهُمْ عَطَاءُ رَبِّهِمُ الْعَزِيزْ ﷻ

لِمَا فِيهِ مِنْ تَحَيُّرٍ وَعَجَائِبَ غَرِيبَةِ ... فَلَا تَهُزُّ قُلُوبَهُمْ بِالدُّنْيَا أَيَّةُ مُصِيبَةِ

لِأَنَّ الْحُبَّ أَشْغَلَهُمْ وَأَخَذَ حَوَاسَّهُمْ ... فَتَرَاهُمْ سَاهِينَ عَنْ طَعَامِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ

فَالطَّرِيقُ الْأَسْهَلُ وَالْأَقْرَبُ لِلسُّلُوكِ ... تَرْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَحُبُّ مَلِكِ الْمُلُوكِ ﷻ

فَإِذَا أَخْلَصَ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ الْمُرِيدْ ... أَلْهَمَهُ رَبُّهُ ﷻ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ مُفِيدْ

أَلْهَمَ اللهُ ﷻ النَّحْلَ فَاتَّخَذَتْ مِنَ الْجِبَالِ الْبُيُوتْ ... وَعَلَّمَ نَسْجَ الْبَيْتِ الْعَجِيبِ لِلْعَنْكَبُوتْ

فَاشْتَغَلَ الْمُرِيدُ بِالْمَحَبَّةِ فَضِيلَةٌ رَبَّانِيَّةٌ ... وَنِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَخُصُوصِيَّةٌ

يَسُوقُ إِلَى قَلْبِهِ إِلْهَامَ مَحَبَّتِهِ الْعَظِيمَةِ ... فَتَرَاهُ عَائِمًا بِلَطَائِفَ ذَاكِرَةٍ مُسْتَقِيمَةِ

(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١٦ ص ١٨٨

هَـٰذِهِ أَحْوَالُ ٱلْمُقَرَّبِينَ أَهْلِ ٱلْعِرْفَانِ ... قَدْ وَصَفَ أَمْثَالَهُمْ رَبُّنَا ﷻ بِٱلْقُرْآنِ

تَتَلَوَّنُ أَحْوَالُهُمْ بِتَغَيُّرِ ٱلْإِحْسَانِ ... وَفِي بَعْضِ ٱلْأَحْيَانِ يَكُونُ ٱلْأَمَانُ كَٱلِٱمْتِحَانِ

أَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى وُجُودِ عَلَامَةٍ لِلْمَحَبَّةِ ... وَٱسْتَدَلَّ عَلَيْهَا ٱلْمُرِيدُ بِأُسْلُوبِ ٱلتَّرْبِيَةِ:

اِتِّبَاعُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ ... لِيَقُودَ إِلَى رِضَى ٱللهِ كُلَّ ٱلْبَشَرِيَّةِ

وَكَرَاهِيَةُ ٱلْبَقَاءِ بِٱلدُّنْيَا ٱلزَّائِلَةْ ... وَتَكُونُ لِلِقَاءِ ٱللهِ جَوَارِحُهُ مَائِلَةْ

قِيلَ: حَبِيبُنَا مَعَنَا وَلَكِنَّ ٱلدُّنْيَا قَطَعَتْنَا ... فَإِنْ أَبْغَضْنَاهَا رَحْمَةُ ٱللهِ وَصَلَتْنَا

قِيلَ: لَا يَعْشَقُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا غَشَّاشْ ... وَمَنْ مَالَ إِلَى ٱلدُّنْيَا طَاشْ

وَٱلْأَحْمَقُ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي لَاشْ ... وَٱلْعَاقِلُ عَنْ عُيُوبِهِ فَتَّاشْ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ٱحْذَرِ ٱلْمُدَّعِي ٱلْغَشَّاشْ ... حَتَّى لَا يُصِيبَكَ مِنْ دَجَلِهِ رَشَاشْ

اَلْحُبُّ دَهْشَةٌ بِلَذَّةٍ وَحَيْرَةٌ فِي تَعْظِيمْ ... لَا يَنَالُهَا ٱلْحَسُودُ وَلَا مُبْغِضٌ لَئِيمْ

قِيلَ: ٱلْمَحَبَّةُ نَارٌ مُحْرِقَةٌ لِأَصْحَابِ ٱلْقُلُوبْ ... يَحْرِقُونَ بِهَا ٱلْخَوَاطِرَ وَٱلْإِرَادَاتُ تَذُوبْ

اَلْوَسْوَاسُ وَٱلْخَيَالَاتُ لِلْعَارِفِ مِنَ ٱلْمُنَغِّصَاتِ ... وَكَذَا شَوَاغِلُ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآفَاتِ

لَا يَصِلُ ٱلْمُرِيدُ لِلْمَحَبَّةِ ٱلْإِلَهِيَّةِ إِلَّا بِٱلِٱتِّبَاعِ ... لِأَوَامِرِ سَيِّدِ ٱلْخَلْقِ ﷺ ٱلْحَامِي مِنَ ٱلضَّيَاعِ

قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ٱلْكَرِيمِ ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران ٣١)

اَلْمَحَبَّةُ تُرَقِّي ٱلْمُرِيدَ فِي مَقَامَاتِ ٱلْكَمَالِ ... وَبِقَدْرِهَا يَتَقَرَّبُ ٱلْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ٱلْمُتَعَالِ ﷻ

وَٱلْحُبُّ لَهُ عَلَامَاتٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْتَعِدُ ... عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ وَإِذَا صَادَفَهَا يَرْتَعِدُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ ٱللهُ ٱلدُّنْيَا مِنْهُ ... وَيُبْقِيهِ وَحِيدًا غَضْبًا عَنْهُ

→ الشيخ الفقيه النقشبندي الداعية محمد متولي الشعراوي

شيخ الشاذلية في الأردن الشيخ أبو غزالة ←

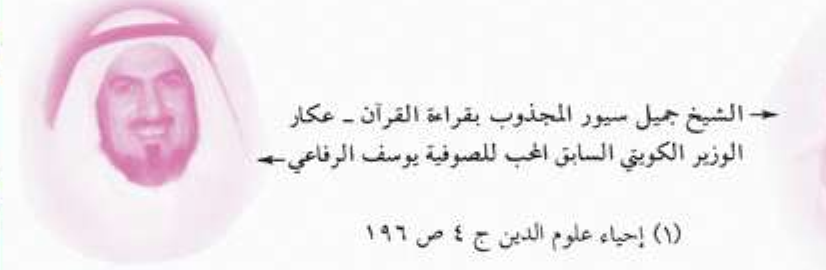
قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " إذا أحَبَّ ٱللهُ عَبْدًا ٱبْتلاه، فإذا أحَبَّه ٱلحُبَّ ٱلبالِغَ ٱقْتناه .

قِيلَ: ومَا ٱقْتناهُ ؟ قالَ : لمْ يتْرُكْ لهُ أهْلاً ولا مالاً "[1] (أخرجه الطبراني) .

وَمِنْ عَلامَةِ مَحَبَّةِ ٱللهِ لِلْعَبْدِ ٱلمُرِيدْ ... يُوحِشُهُ مِنْ غَيْرِهِ كَمَا يَشَاءُ وَيُرِيدْ
ٱلمُرِيدُ ٱلوَاصِلُ لِلْمَحَبَّةِ يُصْبِحُ لَهُ وَاعِظْ ... بَاطِنِيٌّ رَقِيقُ ٱلإِحْسَاسِ تُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلمَوَاعِظْ
يَتَلَقَّى ٱلإِشَارَاتِ وَيَمْشِي عَلَى رُمُوزِهَا ... وَيَتَلَقَّفُ ٱلنَّفَحَاتِ فَلَا يُفْشِي سِرَّهَا

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "إذَا أرادَ ٱللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَاعِظاً مِنْ نَفْسِهِ يَأمُرُهُ وَيَنْهاهُ ". (الفتح الكبير ج١ ص ٧٣)

اَلسَّالِكُ ٱلمُرِيدُ يُجَابِهُ زَوَاجِرَ مُحْرِقَةْ ... وَيَتَلَقَّى مَوَاعِظَ بَاطِنِيَّةً بِأَنْوَاعٍ مُتَفَرِّقَةْ
تَخْرِقُ ٱلقَلْبَ لِشِدَّةِ حَرَارَتِهَا ٱلقَوِيَّةِ ... تَمُدُّ وَتُعَرِّفُهُ عَنِ ٱلإِلْهَامَاتِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ
بِطَرِيقَةِ إِشَارَاتٍ تَدْخُلُ بِٱلإِحْسَاسِ ... لَا يَفْهَمُ ذَلِكَ إِلَّا خَوَاصُّ ٱلعُرَفَاءِ مِنَ ٱلنَّاسِ
لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَخْتَلِطُ عَلَيْهِ ٱلوَارِدْ ... فَيَتَدَخَّلُ ٱلوَسْوَاسُ بِٱلغَافِلِ ٱلشَّارِدْ
وَيَضِيعُ ٱلضَّعِيفُ وَقَدْ يَتْعَبُ وَيَتَأَلَّمْ ... فَتَرَاهُ يَشْكُو وَيَعْتَرِضُ وَيَصِيحُ وَيَتَأَلَّمْ
اَلكَثِيرُ يَدَّعِي مَحَبَّةَ ٱللهِ بِٱللِّسَانِ ... مَا أَسْهَلَ ٱلدَّعْوَى عِنْدَ هَذَا ٱلإِنْسَانِ!
إِنَّ مَحَبَّةَ ٱللهِ لَهَا عَلَامَاتٌ وَاضِحَةٌ ... وَأَدِلَّةٌ وَبَرَاهِينُ لِلْمُدَّعِي ٱلكَذَّابِ فَاضِحَةٌ
عَلَامَةُ ٱلحُبِّ عَلَى ٱلقَلْبِ وَٱلجَوَارِحِ مُشْرِقَةْ ... وَدَلِيلُهَا ٱلدُّخَانُ ٱلخَارِجُ مِنَ ٱلنَّارِ ٱلمُحْرِقَةْ
وَدَلَالَةُ ٱلفَاكِهَةِ ٱلثِّمَارُ ٱلَّتِي عَلَى ٱلأَشْجَارِ ... وَٱلمُحِبُّ كَٱلرَّوْضَةِ فِيهَا كُلُّ نَوْعٍ مِنَ ٱلأَزْهَارِ
فَمَنْ يَدَّعِي ٱلمَحَبَّةَ وَلَيْسَ لَهُ ثِمَارْ ... فَلَا تَقِفْ عَلَيْهِ فَقَدْ تُفَاجِئُكَ صَدْمَةُ ٱلقِطَارْ


← الشيخ جميل سيور المجذوب بقراءة القرآن ـ عكار
الوزير الكويتي السابق المحب للصوفية يوسف الرفاعي ←

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٩٦

ٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ

ٱلإِسْلَامُ يَطْلُبُ ٱلْمَحَبَّةَ وَٱلصُّحْبَةَ وَٱلْمَوَدَّةْ ... فَهِيَ لِلْمُؤْمِنِ مُعِينَةٌ تُسْتَعْمَلُ كَٱلْعُدَّةْ

كَانَ بِشْرٌ بْنُ ٱلْحَارِثِ يَقُولُ: "إِذَا قَصَّرَ ٱلْعَبْدُ فِي طَاعَةِ ٱللهِ سَلَبَهُ ٱللهُ ﷻ مَنْ يُؤْنِسُهُ".

وَشَرْطُ ٱلْمُتَحَابِّينَ فِي ٱللهِ بِعَصْرِنَا ... أَنْ يَكُونَ حُبُّهُمْ فِي دِينِهِمْ لِنَصْرِنَا

وَلَا يَصْلُحُ ٱلْحُبُّ مَعَ ٱلْغَفَلَاتِ وَٱلذُّنُوبِ ... وَنَقُولُ: نَحْنُ مُتَحَابُّونَ بِحُبِّ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ

وَأَحْوَالُهُمْ يَطُولُ شَرْحُهَا فِي ٱلْكِتَابْ ... فَإِنَّ فِيهِ بِٱلْبَاطِنِ قَبُولاً وَإِيجَابْ

قَدْ يَطْلُبُ ٱلْمُحِبُّ شَيْئاً ثَمِينَا ... مِنَ ٱلْمَحْبُوبِ فَيُعْطِيهِ وَبِطَلَبِهِ لَنْ يَسْتَهِينَا

وَيَتَمَنَّى ٱلْوَاحِدُ لِلآخَرِ ٱلْخَيْرَ وَٱلْمَنْفَعَةَ ... وَيُقَدِّمُ لَهُ مِنْ ثِيَابِهِ وَيَلْبَسُ بَدَلَهَا ٱلْمُرَقَّعَةَ

هَذَا أَقَلُّ صِفَاتِ ٱلْمُتَحَابِّينَ فِي ٱللهْ ... وَلَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ إِلَّا ٱلْفَانِي بِمَوْلَاهْ

فَصُحْبَتُهُمْ فِي ٱلْمَحَبَّةِ قَوِيَّةٌ وَحَازِمَةٌ ... لَا تُفَرِّقُهُمْ حَوَادِثُ وَفِتَنٌ وَلَا أَزْمَةٌ

فَمَا يَحْصُلُ بَيْنَ مُتَحَابَّيْنِ مِنْ تَفْرِقَةٍ ... يُوَاجِهُونَهَا بِصَبْرٍ وَصَمْتٍ بِتِلْكَ ٱلْحَلْقَةِ

وَيُصْلِحُونَ مَا ٱنْقَطَعَ مِنْ حَبْلِ ٱلْمَوَدَّةِ ... وَلَا يَنْقَلِبُونَ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلصُّحْبَةِ

ٱلْمُتَضَرِّرُ لَا يُبْغِضُ ٱلآخَرَ لِشَخْصِهِ ٱلإِنْسَانِيِّ ... بَلْ يُبْغِضُ عَمَلَهُ ٱلسَّيِّئَ ٱلنَّفْسَانِيَّ

قَالَ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (الشعراء ٢١٦).

وَلَمْ يَقُلْ ﷻ (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ)، ٱلْقُرْآنُ كُلُّهُ آدَابٌ مُعْجِزَةٌ، فَبَيَّنَ لَهُمُ ٱللهُ سَبَبَ مُفَارَقَةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ لِيَشْعُرُوا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تُرْضِي ٱللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ لِيُبْقِيَ لَهُمْ فُرْصَةً لِلرُّجُوعِ، فَتَبَرَّأَ ﷺ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: "**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِناً وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**"[1].



(١) الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٨١

عَنْ ٱبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " **أَوْثَقُ عُرَى ٱلْإِيمَانِ ٱلْمُوَالَاةُ فِي ٱللهِ وَٱلْمُعَادَاةُ فِي ٱللهِ وَٱلْحُبُّ فِي ٱللهِ وَٱلْبُغْضُ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ** ". (الفتح الكبير ج ١ ص ٤٦٢)

فَوَائِدُ ٱلصُّحْبَةِ ٱلصَّادِقَةِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ ٱللهِ مَتَى ٱلسَّاعَةُ ؟ قَالَ : "**وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ ؟**" قَالَ : حُبَّ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ "**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**". (رواه الإمام مسلم ﷺ ، ج١٦ ص ١٨٧)

فَٱلصُّحْبَةُ ٱلصَّادِقَةُ تَخْرِقُ بِٱلْاجْتِمَاعِ ٱلْأَجْرَامْ ... وَيَتَوَارَدُ عَلَى ٱلْقَلْبِ ٱلْفَتْحُ وَٱلْإِكْرَامْ
فَتَخْلُصُ ٱلرُّوحُ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْأَغْيَارِ ... وَتَصْلُحُ لِلْعَمَلِ بِشَهَادَةِ حَقٍّ وَقَرَارِ
وَتَحْصُلُ فِي ٱلصُّحْبَةِ ٱلْبَرَكَةُ وَٱلْخَيْرَاتُ ... وَتَحْصُلُ ٱلْفَائِدَةُ بَيْنَهُمَا وَٱلْكَلِمَاتُ ٱلنَّيِّرَاتُ

وَٱلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ هُمْ مِنَ ٱلسَّبْعَةِ ٱلَّذِينَ ذَكَرَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﷺ فِيمَنْ يُظِلُّهُمُ ٱللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : " **وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي ٱللهِ ٱجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**[1] " .

ٱلصُّحْبَةُ عِنْدَ ٱلْكَامِلِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ

يَعْمَلُ ٱلْكَامِلُ مَعَ ٱلنَّاسِ حَسَبَ ٱلْوَظِيفَةِ ... بِأَخْلَاقٍ عَالِيَةٍ وَآدَابٍ رَاقِيَةٍ ظَرِيفَةِ
كَمَا كَانَ فِي طُلُوعِهِ عَادَ بِٱلنُّزُولْ ... يَعْمَلُ بِٱلْخَفَا وَمَهْمَا عَمِلَ لَا يَقُولْ
يَنْزِلُ إِلَى حَالِ ٱلْمُرِيدِينَ وَٱلرِّفْقَةِ ... وَيُسْعِدُهُمْ وَيُؤْنِسُهُمْ بِبَاطِنِهِ وَٱلشَّفَقَةِ
حَيْثُ عَادَ وَهُوَ مَمْلُوءٌ مِنَ ٱلرِّقَّةِ ... وَٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْبَرَكَاتِ وَٱلْعِرْفَانِ وَٱلْأَسْرَارِ ٱلْمُحَقَّقَةِ
فَأَصْبَحَ ٱلْاخْتِلَاطُ[2] يُسْعِدُهُ وَيُؤْنِسُهُ ... وَٱلْبُعْدُ عَنِ ٱلنَّاسِ يُتْعِبُهُ وَيُوحِشُهُ

(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ٧ ص ١٢١

(٢) أي اختلاط الأرواح الطيبة .

سُبْحَانَ مُبَدِّلِ أَحْوَالِ ٱلرِّجَالِ ٱلسَّالِكِينَ … نَقَلَهُمْ لِلْكَمَالِ بَعْدَمَا كَانُوا مُرِيدِينَ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (الجمعة ٤) .

بِتِلْكَ ٱلْحَالَةِ مَعَهُ ٱلْمُرِيدُ يَتَدَرَّجُ … فَمَنْ يُنْكِرُ وَيُعَانِدُ يَقَعُ وَيَتَدَحْرَجُ

وَهُوَ لَا يُضَيِّعُ حَقَّ ٱلطَّالِبِينَ لِلْمَعْرِفَةِ وَٱلْمَوَدَّةِ … فَيُعَامِلُهُمْ بِٱللُّطْفِ وَيُهَدِّدُ بِٱلشِّدَّةِ

مَنْ يَنْحَرِفُ وَيَنْجَرِفُ عَنِ ٱلْجَادَّةِ … فَيَضِيعُ بَيْنَ ٱلْعِرْفَانِ وَحُبِّ ٱلْمَادَّةِ

وَإِذَا وَقَعَ ذَنْبٌ مِنَ ٱلْمُتَحَابِّينَ فَيُعَالِجْ … بِٱلْحِكْمَةِ وَلَيْسَ بِٱلتُّهَمِ ٱلسَّيِّئَةِ كَٱلدَّارِجْ

عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ ذَنْبِهِ لَا يَنْسَاهُ مِنْ دُعَائِهِ … لَعَلَّ ٱللَّهَ يُصْلِحُ مِنْ نَفْسِهِ وَوِعَائِهِ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ ٱلنَّخَعِيُّ ﵀ : " لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ وَلَا تَهْجُرْهُ عِنْدَ ٱلذَّنْبِ بِذَنْبِهِ فَإِنَّهُ يَرْكَبُهُ ٱلْيَوْمَ وَيَتْرُكُهُ غَدًا ".

آدَابُ صُحْبَةِ ٱلْمُرِيدِ لِلْمُرِيدِ

مِنْ أَدَبِ ٱلصُّحْبَةِ لِينُ ٱلْجَانِبِ … وَتَرْكُ ظُهُورِ ٱلنَّفْسِ مَعَ ٱلْأَحْبَابِ وَٱلْأَجَانِبِ

وَيَحْذَرُ ٱلْمُفَارَقَةَ وَيَحْرِصُ عَلَى ٱلْمُلَازَمَةِ … وَٱلِاسْتِئْذَانِ وَإِلَّا أُصِيبَ فِي قَلْبِهِ بِٱلْمَلَامَةِ

وَلَا يَتَرَدَّدُ فِي ٱلْإِجَابَةِ إِذَا دَعَاهُ رَفِيقُهُ … وَيَنْصَحُ مَنْ كَانَ ثَقِيلًا لَا يُطِيقُهُ

وَيُعْطِي ٱلرَّفِيقَ ٱلصَّاحِبَ مِنْ مَالِهِ … قَبْلَ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى سُؤَالِهِ

وَلَا يَتَكَلَّفُ فِي دَعْوَةِ ٱلْإِخْوَانِ … كَٱلْإِكْثَارِ مِنَ ٱلطَّعَامِ بِأَشْكَالٍ وَأَلْوَانٍ

وَلَا يَتَبَاهَى بِمَا يُقَدِّمُهُ لِلزَّاوِيَةِ … لِأَنَّ ٱلْمَنَّ بِٱلْعَطَاءِ يَرْمِيهِ فِي ٱلْهَاوِيَةِ

وَلَا يَسْتَعْمِلُ ٱلْمُرِيدِينَ فِي ٱلْخِدْمَةِ … فَقَدْ تُفَاجِئُهُ صَدْمَةٌ تِلْوَ صَدْمَةٍ

وَأَنْفَعُ ٱلْأَدَبِ أَنْ تَكُونَ ٱلصُّحْبَةُ لِمَوْلَاهُ … وَتَكُونَ بِدُونِ رَجَاءِ مَنْفَعَةٍ صُحْبَتُهُ إِيَّاهُ

فَعَلَامَةُ شَرْطِ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلصُّحْبَةِ ٱلصَّادِقَةْ … أَنْ لَا يَكُونَ فِيهَا شَائِبَةُ حَظٍّ حَارِقَةْ

حَسَبَ ٱلنِّيَّةِ تَعِيشُ ٱلصُّحْبَةُ وَتُعَمَّرْ ... فَإِنْ فَسَدَتْ فَيَجِبُ أَنْ لَا تُخَرَّبَ وَتُدَمَّرْ

وَٱلإِنْسَانُ يُسْأَلُ عَنْ صُحْبَةِ سَاعَةٍ ... فَعَلَيْهِ ٱللُّجُوءُ إِلَى ٱلدُّعَاءِ وَٱلْبَقَاءُ مَعَ ٱلْجَمَاعَةِ

كُلُّ عَمَلٍ كَانَ مَعْلُولًا فِي بِدَايَتِهِ ... يَزُولُ مَهْمَا طَالَ بِمَسَاوِئِ عِلَّتِهِ

قَالَ ﷻ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف ٦٧)

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: "**إِذَا آخَى ٱلرَّجُلُ ٱلرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ ٱسْمِهِ وَٱسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ**". (الفتح الكبير، ج ١ ص ٦٢)

مِنْ آدَابِ ٱلْمُتَحَابِّينَ لِلهِ فِي ٱلصُّحْبَةْ ... أُمُورٌ عَلَى ٱلنُّفُوسِ قَاسِيَةٌ وَصَعْبَةْ

مِنْهَا حِفْظُ حُرُمَاتِ ٱلْمُرَبِّي ٱلْكَبِيرِ ... وَحُسْنُ عِشْرَةِ ٱلإِخْوَانِ ٱلْكَبِيرِ وَٱلصَّغِيرِ

وَٱلنَّصِيحَةُ لَهُمْ وَٱلْمُعَاوَنَةُ فِي حَلِّ عُسْرِهِمْ ... وَٱلتَّغَافُلُ عَنْ زَلَّتِهِمْ وَهَفَوَاتِ فِعْلِهِمْ

وَكَتْمُ عَيْبِ صَاحِبِهِ لِوَقْتٍ مُنَاسِبْ ... وَإِطْلَاعُهُ عَلَيْهِ بِقَصْدِ ٱلإِصْلَاحِ وَلَا يُحَاسِبْ

وَيَأْخُذُ بِيَدِهِمْ بِرِفْقٍ وَرَأْفَةٍ وَحَنَانْ ... وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ بِظَهْرِ ٱلْغَيْبِ لِيَرْضَى ٱلرَّحْمَٰنْ

وَيَجْتَهِدُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَنْفَعُهُ وَيَزِيدُهُ ... مِنَ ٱللهِ قُرْبًا وَعَنِ ٱلنَّارِ يُحِيدُهُ

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه: "رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي".

ٱلصَّادِقُ يُحِبُّ مَنْ يَنْصَحُهُ فِي ٱلسِّرِّ ... وَٱلْكَاذِبُ لَا يُحِبُّ ٱلنَّاصِحَ وَيَعُدُّهُ مُضِرّ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (الأعراف ٧٩).

وَٱلْغِيبَةُ إِنْ وَقَعَتِ ٱلْأُخُوَّةُ ٱرْتَفَعَتْ ... وَمَتَى أَضْمَرَ أَحَدُهُمْ خَيْرًا أَبْوَابُهَا أُغْلِقَتْ

وَمِنَ ٱلآدَابِ حِفْظُ أَسْرَارِ ٱلْمُرِيدِينَ ... وَمَا يُكَاشَفُونَ بِهِ مِنْ رُتَبِ ٱلْمُقَرَّبِينَ

فَإِنَّ كَشْفَ خَرْقِ ٱلْعَادَاتِ أَثْنَاءَ ٱلْخَلَوَاتِ لِلْمُرِيدْ ... يَسُدُّ بَابَ ٱلسِّرِّ وَعَلَيْهِ يَزِيدْ

فَإِنَّ ٱلْمُرِيدَ يَطْلُبُ ٱلْمُنْعِمَ لَا ٱلنِّعْمَةْ[1] ... فَإِذَا ٱنْفَضَحَتِ ٱبْتُلِيَ بِشَرِّ نِقْمَةٍ

فَقَدْ تُذَاعُ أَخْبَارُهُ بَيْنَ ٱلْأَطْفَالِ وَٱلنِّسْوَانِ ... وَيُصْبِحُ مَهْزَلَةً وَمَسْخَرَةً عَلَى كُلِّ لِسَانٍ

(١) ٱلنِّعْمَةُ: نِعْمَةُ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْأَسْرَارِ ٱلْخَفِيَّةِ.

الصحبة المعكرة للنفوس

وهناك صحبة معكرة للنفوس ... يتعلق بها المريد والمريدة كاللصوص

وزيارتهم للمريد لأهداف خفية عن الأبصار ... وبكل زيارة تدخل إلى قلوبهم الأخطار

حتى تمتلئ لطائفهم بإشارة فاضحة ... تظهر أعمالهم الخفية بطريقة واضحة

لابتعادهم كثيرا عن الآداب المطلوبة ... فتزداد المريدة ويزداد المريد بعيوبه

فمن لم يكن له بالأدب أي تأثير ... فلا ينفعه تربية المربي الخبير

فينفصلون عن الخط الروحاني ... ويدمر عندهم كل ما قد بناه الباني

لأنهم أدخلوا بقلوبهم نفاق الصحبة ... ونواياهم كانت خبيثة ومرعبة

وخلاص المريد والمريدة من هذه العلة ... الابتعاد عن الشر وأهله بالعزلة

هذه العزلة بزماننا قليلة الوجود ... لأن المربي أصبح بعصرنا مفقود

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ **"يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن"**[1].

ما ظهرت الفتن إلا بسوء الاختلاط ... وإذا خالط لعذر يكثر الصمت للاحتياط

قال لي بعض أهل الإسلام ... من قرية عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ببلاد الشام

وكنت بجانبه بالمدينة المنورة ... حيث قضينا معا أياما بالعمرة

قال لي: "عندي من الإناث خمسة ... كلهن منعتهن من الذهاب إلى المدرسة

لأن الاختلاط يردي خلقهن ويؤذيه ... فيتعلمن منه مخالفات لربنا ﷻ لا ترضيه

فألحقتهن بمدرسة تعلم القرآن الكريم ... لينجون من عذاب ربنا ﷻ والهول العظيم"

لقد توفي رحمه الله بعد أيام ... جعله الله ﷻ بالجنة بأرقى مقام

(١) رواه الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده .

وَهُنَاكَ مَنْ لَا يُفَارِقُ صُحْبَةَ ٱلسُّوءْ ... وَقَدْ صَارَ بِٱخْتِلَاطِهِ مَعَهُمْ كَٱلْمَوْبُوءْ

فَإِنَّ طُولَ ٱلْخِلْطَةِ تُدْخِلُ ٱلصُّحْبَةَ بِٱلتَّآلُفِ ... فَحَالُ ٱلْمُرِيدِ مَعَ صَاحِبِهِ وَاحِدٌ بِٱلتَّحَالُفِ

لَا يَقْبَلُ نَصِيحَةً وَلَا تَهُمُّهُ أَيَّةُ إِشَارَةٍ ... وَإِذَا أُصِيبَ بِشَرٍّ لَا يَتَّعِظُ بِوَاقِعِ ٱلْعِبَارَةِ

اَلصَّاحِبُ سَاحِبٌ فَٱنْتَبِهْ بِمَنْ تُصَاحِبْ ... وَٱلصُّحْبَةُ تَعْكِسُ مَا عِنْدَهُ مِنْ شَوَائِبْ

فَصُحْبَةُ ٱلْأَثْرِيَاءِ تُشْغِلُ ٱلْقَلْبَ وَتُرْدِيهِ ... وَصُحْبَةُ ٱلْعُصَاةِ تُمِيتُ ٱلْفِكْرَ وَتُبْلِيهِ

وَصُحْبَةُ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ تَهُدُّ ٱلْهِمَّةَ وَتُضْعِفُهَا ... وَصُحْبَةُ ٱلظَّالِمِينَ تُكَدِّرُ ٱلنَّفْسَ وَتُتْعِبُهَا

لِأَنَّ ٱلصَّاحِبَ يُقَلِّدُ لِصَاحِبِهِ أَعْمَالَهْ ... فَتَنْعَكِسُ عَلَيْهِ أَحْوَالُهُ وَأَقْوَالُهْ

فَتَعْمِي عَيْنَ ٱلْقَلْبِ وَتَطْمِسُ مَعَارِفَهْ ... فَٱنْتَبِهْ مِنْ صُحْبَةٍ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ جَارِفَةْ

لِأَنَّ ٱلصَّاحِبَ إِنْ كَانَ مُحِبًّا لِلْمَعَاصِي ... تَنْتَقِلُ تِلْكَ ٱلصُّوَرُ لِقَلْبِكَ فَيَغْدُو قَاسِي

عَلَى ٱلْمَرْءِ هَجْرُ خَلِيلِهِ ٱلْمُضِرِّ لِبَاطِنِهِ ٱلْخَفِيِّ ... وَإِبْعَادُ صُوَرِ صُحْبَتِهِ مِنْ فِكْرِهِ مَعَ ٱلنَّفْيِ

قَالَ ﷺ : " **ٱلْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** " (رواه أبو هريرة) .

لِهَذَا تَرَى ٱلزَّاهِدِينَ يَخْتَفُونَ بِٱلْغَارِ ... خَوْفًا مِنْ وُقُوعِهِمْ بِمَعْصِيَةِ ٱلْغَفَّارِ ﷻ

حَتَّى نِهَايَةِ سُلُوكِ طَرِيقِ مَحَبَّتِهِمْ ... ثُمَّ يَعُودُونَ لِلدَّعْوَةِ حَسَبَ هِمَّةِ قُدْرَتِهِمْ

فَسُوءُ ٱلصُّحْبَةِ لِلْأَرْذَالِ نَوْعٌ مِنَ ٱلْمَعَاصِي ... يُورِثُ ٱلْغَفْلَةَ وَٱلْحِقْدَ وَٱلْحَسَدَ وَٱلْقَلْبَ ٱلْقَاسِي

وَمُدَّعِي ٱلْإِرْشَادِ وَٱلْفَتَّانُ وَسَيِّئُ ٱلْخُلُقِ ... كَذَّابُونَ لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى " سُورَةِ ٱلْفَلَقِ "

يُصَاحِبُهُمُ ٱلْبَعْضُ لِغِنَاهُمْ أَوْ لِسُلْطَةِ ... يَظُنُّ أَنَّهُمْ يُسْعِفُونَهُ عِنْدَ ٱلْوَرْطَةِ

فَيَكْتَسِبُ مِنْ صُحْبَتِهِمُ ٱلْغَفْلَةَ وَٱلْفُتُورْ ... وَٱلتَّخَلُّفَ وَبُرُودَةَ ٱلْبَاطِنِ عَلَى مَرِّ ٱلشُّهُورْ

فَلْيَحْذَرِ ٱلْمُرِيدُ مِنْ صُحْبَةِ ٱلْوَاقِفِينَ ... عَلَى حُظُوظِ ٱلدُّنْيَا وَعَلَى زِينَتِهَا عَاكِفِينَ

وَلْيَأْخُذْ مِنَ ٱلصُّحْبَةِ أَصْفَى ٱلْأَقْسَامِ ... وَإِنْ نَدَرَ فَوِرْدُهُ ٱلصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ ٱلْأَنَامِ ﷺ

→ الشيخ الصوفي أحمد شاكر ـ حيزوق شمال لبنان

الشيخ الصوفي خالد سعيد الزعبي ـ مشحه شمال لبنان ←

الصوفي والتسبب

أَحْوَالُ ٱلتَّسَبُّبِ ٱخْتَلَفَ فِيهَا ٱلسَّادَةْ ... هَلْ هِيَ لِحَاجَةٍ أَوْ فَاقَةٍ أَوْ عَادَةْ
مَعْ كُلِّ ذَلِكَ لَهُمْ أَدَبٌ يَعْرِفُونَهُ ... يُرَاعُونَهُ وَفَوْقَ حُدُودِهِ لَا يَتَعَدَّوْنَهُ
فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَنْ يَسْأَلَ ٱلنَّاسْ ... فَتَقِلُّ هَيْبَتُهُ ٱلرُّوحِيَّةُ وَمِقْدَارُهُ ٱلحَسَّاسْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: **"وَٱللهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلاً فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً أَغْنَاهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ"**[1].

إِنْ كَانَ ٱلْمُرِيدُ مُتَوَكِّلاً عَلَى مَوْلَاهُ ﷻ ... يَرْزُقُهُ ٱللهُ رِزْقًا طَيِّبًا فَلَا يَسْأَلُ سِوَاهُ
ٱلسُّؤَالُ هُوَ ضَعْفٌ فِي ٱلهِمَّةِ ... وَضَيَاعُ وَقْتٍ وَمُسَبِّبٌ لِلْهَمِّ وَٱلْغُمَّةِ
حَيْثُ يَنْكَسِرُ جَاهُهُ ٱلرُّوحِيُّ بَيْنَ ٱلْخَلَائِقْ ... وَتَضِيعُ أَوْقَاتُهُ فِي سَاعَاتِهَا وَٱلدَّقَائِقْ
يَبْحَثُ وَيَتَحَسَّسُ عَمَّنْ يُصْلِحُ حَالَهُ ... وَإِنْ مَنَعَ عَنْهُ ٱلعَطَاءَ يُعَكِّرْ بَالَهُ
ٱلْمُرِيدُ ٱلْمَفْتُوحُ عَلَيْهِ يَأْتِيهِ مَا طَلَبْ ... عَلَى حَسَبِ ٱلحَاجَةِ لِأَنَّهُ عَلَى نَفْسِهِ تَغَلَّبْ
إِذَا هَمَّتِ ٱلنَّفْسُ بِسُؤَالِ شَيْءٍ مِنَ ٱلأَشْيَاءِ ... تَرُدُّهُ ٱلهَيْبَةُ ٱلَّتِي فِي ٱلأَحْشَاءِ
فَيُعْطِيهِ ٱللهُ عِنْدَ ذَلِكَ حَاجَتَهْ ... مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ يَكْسِرُ جَاهَ هِمَّتِهْ

كَمَا نُقِلَ عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ٱلْخَلِيلِ عليه السلام: " أَنَّهُ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ فِي ٱلهَوَاءِ قَبْلَ أَنْ يَهْوِيَ إِلَى ٱلنَّارِ فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ، قَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، فَقَالَ لَهُ: فَسَلْ رَبِّي ﷻ، قَالَ: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي ".

بَعْضُهُمْ يَعُدُّ سُؤَالَ ٱلْمُرِيدِ لِغَيْرِ مَوْلَاهُ ﷻ ... عُقُوبَةً قَدِ ٱبْتَلَاهُ فِيهَا ٱللهُ
لِأَنَّ هَذَا ٱلسُّؤَالَ يُطْبَعُ بِٱلأَفْكَارِ ... وَيُعَكِّرُ ٱلبَاطِنَ بِٱلطَّلَبِ مِنْ غَيْرِ ٱلقَهَّارِ ﷻ
ٱلْمُرِيدُ ٱلكَامِلُ يُرْزَقُ بِخَرْقِ ٱلعَادَةِ ... رِزْقًا رُوحِيًّا أَوْ شَيْئًا مِنْ أَيَّةِ مَادَّةِ

(١) رواه الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده .

قَالَ ﷻ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران ٣٧)

سُؤَالُ ٱلْمُرِيدِ غَيْرَ ٱلرَّزَّاقِ ضَعْفٌ ... وَمَنْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ فَهْوَ سُخْفٌ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَسْأَلُ ٱلْمُرِيدُ ٱلْمُحْتَاجْ ... عِنْدَ شِدَّةِ حَالَتِهِ إِلَى ٱلْاِحْتِيَاجْ

لِئَلَّا تَتَعَوَّدَ ٱلنَّفْسُ عَلَى ٱلتَّسَبُّبِ ... وَتَجْعَلَ لَهُ بِذَلِكَ ٱلسُّؤَالِ عَادَةَ تَحَبُّبِ

وَقِيلَ مَنْ لَهُ مَعَ رَازِقِهِ حَالْ ... لَا بَأْسَ إِنْ لَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا مِنَ ٱلرِّجَالْ

أَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ وَمَقْدِرَةْ ... فَإِنْ سَأَلَ لِسَدِّ رَمَقٍ فَلَهُ مَعْذِرَةْ

يُعْفَى عَنِ ٱلتَّسَبُّبِ مَا دَامَ هُنَاكَ ٱضْطِرَارْ ... وَإِلَّا وَقَعَ بِتَهْلُكَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِٱلْأَخْطَارْ

قَالَ بَعْضُهُمْ إِيَّاكَ وَسُؤَالَ ٱلْخَلْقْ ... فَرَازِقُهُمْ وَإِيَّاكَ هُوَ مَوْلَاكَ ٱلْحَقّ ﷻ

كَيْفَ تَكْسَبُ مِمَّنْ تَعْمَلُ عِنْدَهُ خَادِمًا ؟ ... وَكَيْفَ لَا يُعْطِيكَ مَنْ تَذْكُرُهُ صَاحِيًا وَنَائِمًا ؟

مَنْ صَحَّ عِنْدَهُ صَفَاءٌ فِي ٱلْمُرَاقَبَةِ ... سَلِمَتْ نَفْسُهُ فِي وَقْتِ ٱلْمُحَاسَبَةِ

فَيَرَى بِبَاطِنِهِ أَنَّ ٱللهَ ٱلْمُعْطِي ٱلْمَانِعْ ... وَهُوَ مُقَلِّبُ ٱلْقُلُوبِ قَامِعُ ٱلْمَطَامِعْ

إِذَا وَقَفَ ٱلْعَبْدُ بِذَلِكَ ٱلْمَقَامْ ... يَزُولُ عَنْ بَاطِنِهِ بِٱلرِّزْقِ ٱلْاِهْتِمَامْ

فَيَرَى ٱلسُّؤَالَ مِنْ غَيْرِهِ رُتْبَةَ ٱلْعَوَامْ ... فَٱلرِّزْقُ يُطْلَبُ مِنَ ٱلرَّزَّاقِ ﷻ عَلَى ٱلدَّوَامْ

مَنْ يَأْتِهِ رِزْقٌ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ ... يَأْخُذْهُ لِسَدِّ حَاجَتِهِ وَرَاحَةٌ لِلْبَالِ

وَعَلَى ٱلْمُرِيدِ سَاعَتَئِذٍ أَلَّا يَرُدَّ ٱلْعَطَاءَ ... فَهُوَ رِزْقٌ مِنَ ٱللهِ قَدْ جَاءَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **"مَنْ عُرِضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ فَلْيَقْبَلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ ٱللهُ إِلَيهِ".** (رواه الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده)

مَنْ صَحَّ عَلَيْهِ تَعَرُّفُهُ صَحَّ تَصَرُّفُهُ ... وَمَنْ أَهْمَلَ يَقْظَتَهُ فَٱلْأَحْوَالُ تَجْرُفُهُ

بِقَدْرِ مَا جَمَعْتَ مِنَ ٱلْهَمِّ عِنْدَكَ ... أَبْلَيْتَ بِهِ دُنْيَاكَ فِي دَرْبِكَ

وَلَوِ ٱمْتَلَأْتَ مِنَ ٱلقَيُّومِ ٱلخَلَّاقِ ﷻ
مَا عُذِّبْتَ بِهُمُومِ ٱلدُّنيَا وَٱلأَرْزَاقِ
سَأَلَ بَعْضُهُمْ: مِنْ أَيْنَ لَكَ ٱلكَسْبُ
قَالَ: مِنَ ٱلَّذِي يَرْزُقُ ٱلكَلْبَ
وَيَجْعَلُ مِنْ رِزْقِهِ ٱلذِّكْرَ بِٱلقَلْبِ
مَنْ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ سِوَى ٱلرَّبِّ ﷻ
كَسْبُ ٱلحَلَالِ بِٱلدُّنيَا فِيهِ أَجْرٌ
وَمُخَالِفُ شَرْعِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَحِقُّ ٱلزَّجْرَ
لَوْلَا كَسْبُ ٱلدَّرَاهِمِ بِٱلطُّرُقِ ٱلحَلَالِ
لَمَا ٱسْتَطَعْنَا ٱلوُصُولَ لِكَعْبَةِ ذِي ٱلجَلَالِ
كُلُّ مَنْ يَرْفُضُ ٱلعَمَلَ لِكَسْبِ ٱلقُوتِ
بِحُجَّةِ أَنَّهُ صُوفِيٌّ مُخْتَلٌ بِٱلبُيُوتِ
وَيَمُدُّ يَدَهُ بِٱلذُّلِّ لِمَالِ ٱلغَيْرِ
فَهَذَا بِٱلإِسْلَامِ يُعَدُّ عَكْسَ ٱلسَّيْرِ

ٱلتَّوْحِيدُ وَ ٱلتَّوَكُّلُ

مَنْ دَخَلَ بِقَلْبِهِ نُورُ يَقِينِ ٱلوَحْدَانِيَّةِ
وَهُوَ سَالِكٌ فِي ٱلطَّرَائِقِ ٱلعَلِيَّةِ
فَذَلِكَ هُوَ ٱلفَنَاءُ بِٱلتَّوْحِيدِ عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ
يَمُرُّ صَاحِبُهُ بِمَقَامَاتٍ مُدْهِشَةٍ نُورَانِيَّةِ
فَٱلتَّوْحِيدُ بِٱلقَلْبِ مُخْتَلِفٌ عَنِ ٱللِّسَانِ
كَمْ مِنْ سَالِكٍ ذَاقَ طَعْمَ ٱلسَّيْفِ وَٱلسِّنَانِ
مَنْ عَرَفَ بِٱلقَلْبِ أَنَّ ٱللهَ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ
وَهُوَ ٱلمُتَصَرِّفُ بِٱلوُجُودِ وَأَنَّهُ حَقًّا مَوْلَاهُ ﷻ
فَقَدِ ٱنْخَرَطَ بِٱلوِلَايَةِ ٱلرَّاقِيَةِ وَٱلعِرْفَانْ
وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى مِثْلِهِ سُلْطَانْ
عَلَى ٱلمُرِيدِ أَنْ يَشْعُرَ بِتَقْصِيرِ نَفْسِهِ
وَيَعْلَمَ أَنَّ ٱللهَ لَيْسَ جَالِسًا عَلَى عَرْشِهِ
فَهَذِهِ تَعَالِيمُ مُهِمَّةٌ لِلسَّالِكِ ٱلمُرِيدِ
فَبِسَبَبِ جَهْلِ ذَلِكَ كَمْ أَهْلَكَ ٱللهُ مِنْ عَبِيدٍ
كَمْ مِنْ عَنِيدٍ ٱدَّعَى ٱلرُّبُوبِيَّةْ
وَأَبَتْ نَفْسُهُ ٱلشِّرِّيرَةُ ٱلاعْتِرَافَ بِٱلعُبُودِيَّةْ
ذَلِكَ مِنْ أَمْرَاضِ وَعِلَلِ ٱلنُّفُوسْ
أَهْمَلَهَا صَاحِبُهَا وَهَجَرَ ٱلتَّوْحِيدَ ٱلمَحْسُوسْ

ٱلتَّوَكُّلُ هُوَ ٱلتَّعَلُّقُ بِٱللهِ بِكُلِّ حَالٍ . كَحَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عِنْدَمَا قُذِفَ نَحْوَ ٱلنَّارِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَقَالَ لَهُ: " أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: " أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا " فَقَالَ جِبْرِيلُ: " أَلَكَ حَاجَةٌ إِلَى رَبِّكَ ؟ " فَقَالَ: "عِلْمُهُ بِحَالِي يُغْنِيهِ عَنْ سُؤَالِي " .

أَيْ هُوَ ٱلَّذِي يُعْطِينِي حَاجَتِي وَهُوَ ٱلَّذِي يَعْلَمُ حَالِي وَقِصَّتِي

هَذَا ٱلفَنَاءُ ٱلرَّاقِي لِلْعُرَفَاءِ ٱلمُتَّقِينْ هُوَ ٱلغِيَابُ عَنِ ٱلنَّفْسِ بِٱللهِ ٱلحَقِّ ٱلمُبِينْ

نَادِرٌ بِبِلَادِنَا هَذَا ٱلحَالُ ٱلثَّمِينْ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى ٱللهِ فَهُوَ لَهُ مُعِينْ

فَسُكُونُ ٱلقَلْبِ لِلْوَكِيلِ وَٱلثِّقَةُ فِيهِ هُوَ ٱلتَّسْلِيمُ لِحُكْمِهِ فَمَا شَاءَ يُمْضِيهِ

وَٱلتَّوَكُّلُ لَيْسَ تَرْكَ ٱلكَسْبِ وَٱلدُّعَاءْ وَتَرْكَ ٱلتَّدْبِيرِ بِٱلقَلْبِ، فَذَلِكَ ذَمَّهُ ٱلعُلَمَاءْ

ٱلتَّوَكُّلُ يَظْهَرُ تَأْثِيرُهُ فِي أَعْمَالِ ٱلعِبَادِ وَسَعْيِ ٱلعَبْدِ بِٱخْتِيَارِهِ فِي كُلِّ ٱلبِلَادِ

كَكَسْبِهِ لِلرِّزْقِ وَٱلعِلْمِ مِثْلَ كُلِّ طَالِبِ فَفِي طَرِيقِكَ يَقْضِي ٱللهُ لَكَ كُلَّ ٱلمَطَالِبِ

أَمَّا مَنْ يَتْرُكُ ٱلسَّعْيَ وَٱلكَسْبَ وَيَتَسَوَّلْ بِقَصْدِ أَنَّهُ وَلِيٌّ فِي ٱلكَوْنِ يَتَجَوَّلْ

وَيَنْتَظِرُ ٱلأَغْنِيَاءَ أَنْ تَأْتِيَهُ بِزَكَاةِ مَالِهَا فَهَذَا طَمَعُ ٱلنَّفْسِ فَلْتَعْلَمْ مَا عَلَيْهَا وَمَا لَهَا

إِنَّ ٱللهَ يَرْزُقُ ٱلعِبَادَ بِوَاسِطَةِ ٱلعِبَادْ وَيُسَخِّرُهُمْ لَهُ وَلَوْ كَانُوا فِي "مَحْمُودَ آبَادْ"

أَمَّا مَنْ كَانَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى ٱلعَمَلْ وَٱنْقَطَعَ مِنْ عِلَاجِهِ وَشِفَائِهِ ٱلأَمَلْ

فَتَوَكُّلُهُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ سَلِيمٌ وَعَظِيمُ فَهُوَ ٱلرَّزَّاقُ لِسَائِرِ ٱلخَلْقِ وَبِهِمْ عَلِيمُ

فَإِنْ تَفَرَّغَ ٱلعَبْدُ لِطَاعَةِ مَوْلَاهُ ﷻ وَعِبَادَتِهِ أَوْ لِخِدْمَةِ عِلْمٍ وَنَشْرِهِ بِمِلْءِ إِرَادَتِهِ

فَٱللهُ يُوقِعُ ٱلعَطْفَ فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ لِيَحْمِلُوا إِلَيْهِ فَوْقَ كِفَايَتِهِ مِنْ طَعَامٍ وَلِبَاسِ

فَهُوَ مَنْ يُسَخِّرُ قَلْبَ ٱلأُمِّ لِإِرْضَاعِ وَلَدِهَا فَتَحِنُّ عَلَيْهِ حَنَانًا يُفَتِّتُ كَبِدَهَا

قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق ٢ - ٣)

مَنْ كَانَ مُطْمَئِنَّ ٱلنَّفْسِ أَبَدًا وَاثِقًا بِٱللهِ وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلًا وَمُعْتَمِدًا

فَتِلْكَ إِشَارَةُ ٱلأَقْوِيَاءِ مِنَ ٱلأُمَّةْ فَٱلضُّعَفَاءُ لَيْسَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَقْدِرَةٌ وَهِمَّةْ

قَالَ عِيسَى عليه السلام: " لَا يَكُونُ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَفْرَحْ بِدُخُولِ ٱلمَصَائِبِ وَٱلأَمْرَاضِ عَلَى جَسَدِهِ وَمَالِهِ لِمَا يَرْجُو فِي ذَلِكَ مِنْ كَفَّارَةِ خَطَايَاهُ "[1].

(١) إحياء علوم الدين ج٤ ص ٢٨٩

كَانَ أَحَدُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ فِي صَحْرَاءَ لَا طَعَامَ فِيهَا   وَأَرْهَقَ نَفْسَهُ بِٱلْبَحْثِ عَنْ دَاجِنَةٍ يَشْوِيهَا

فَنَامَ مُتَوَكِّلًا عَلَى مَوْلَاهُ ٱلرَّزَّاقِ   وَلَمَّا أَفَاقَ وَجَدَ طَائِرًا مُعَلَّقًا بِٱلْأَشْدَاقِ[1]

فَأَخَذَهُ وَذَبَحَهُ وَتَقَوَّى بِهِ عَلَى ٱلطَّاعَةِ   فَٱلْمُسَخِّرُ وَٱلْمُلْهِمُ لِلطَّائِرِ رَبُّ تِلْكَ ٱلصِّنَاعَةِ

وَقَدْ يَحْصُلُ مِثْلُ ذَلِكَ لِمَشْغُولِ قَلْبٍ   أَعْرَضَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱنْشَغَلَ قَلْبُهُ بِٱلرَّبِّ

زَالَ مِنْهُ ٱلتَّطَلُّعُ إِلَى ٱلْكَسْبِ وَٱلْمَعَاشِ   فَهُوَ مَشْغُولُ ٱلْقَلْبِ بِذِكْرِ مَوْلَاهُ مَا عَاشَ

فَهَذَا رِزْقُهُ مُيَسَّرٌ يَأْتِيهِ لَا مَحَالَةَ   مُتَوَكِّلٌ دَائِمًا لَا يَغُمُّهُ أَوْلَادٌ وَلَا عَالَةٌ

قَالَ عِيسَى عليه السلام : " ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلطَّيْرِ لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَدَّخِرُ وَٱللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُهُمْ يَوْمًا بِيَوْمٍ "[2]

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ يَرْزُقُهُمُ ٱللَّهُ بِلَا تَعَبٍ   وَٱلْعِبَادُ يَكِدُّونَ بِتَعَبٍ وَشَقَاءٍ وَنَصَبٍ

وَبَعْضُهُمْ يَأْكُلُ بِذُلِّ ٱلتَّسَوُّلِ وَٱلسُّؤَالِ   وَبَعْضُهُمْ بِتَعَبٍ وَٱنْتِظَارٍ بِحَسَبِ ٱلْأَحْوَالِ

وَبَعْضُهُمْ بِٱمْتِهَانٍ كَٱلصُّنَّاعِ وَٱلْخُدَّامِ   وَبَعْضُهُمْ بِعِزٍّ كَٱلصُّوفِيَّةِ وَٱلْأَوْلِيَاءِ ٱلْعِظَامِ

فَٱلتَّوَكُّلُ مَقَامُ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُخْلِصِينَ لِرَبِّهِمْ   ٱلَّذِينَ لَا يَعْتَرِضُونَ عَلَى شَيْءٍ يَحُلُّ بِهِمْ

يُسَلِّمُونَ أَمْرَهُمْ لِرَبِّهِمْ فِي سَائِرِ ٱلْأَحْوَالِ   فَهُمْ أَغْنِيَاءُ بِٱللَّهِ أَغْنَاهُمْ عَنْ ذُلِّ ٱلسُّؤَالِ

وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : " لَا أُبَالِي أَصْبَحْتُ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا خَيْرٌ لِي ".

مَنْ وَصَلَ إِلَى مَقَامِ ٱلتَّوَكُّلِ ٱلْعَجِيبِ   نَالَ مِنْ كُلِّ مَقَامٍ رَبَّانِيٍّ نَصِيبْ

فَٱلتَّوَكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ قُوَّةٌ فِي ٱلْإِيمَانِ   وَسُوءُ ٱلظَّنِّ بِٱللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِلْقَاءِ ٱلشَّيْطَانِ

قَالَ تَعَالَى جل جلاله : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (البقرة ٢٦٨)

فَوُصُولُ ٱلْأَرْزَاقِ إِلَى ٱلْمُتَوَكِّلِينَ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ   مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ ٱللَّهِ تَعَالَى فِي ٱلْبَرِيَّةِ

سَأَلَ رَجُلٌ بَعْضَ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى ٱللَّهِ جل جلاله : " لَمْ نَرَكَ يَوْمًا تَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ ٱلنَّاسِ فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ: قَرَأْتُ ٱلْقُرْآنَ وَفِيهِ ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات ٢٢) فَإِنْ كَانَ رِزْقِي فِي ٱلسَّمَاءِ فَكَيْفَ أَطْلُبُهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ " .

(١) الأشداق : أي الأفواه .

(٢) إحياء علوم الدين ج٤ ص ٢٦٧

وَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا ٱلْفَقِيهُ فَيْصَلُ ٱلْحُشَيْمِيُّ (رَحِمَهُ ٱللهُ) مِنْ بَلْدَةِ بَرِّ إِلْيَاسَ فِي شَرْقِ لُبْنَان عَنْ حَضْرَةِ ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ ٱلدِّيْرِيِّ ﷺ ٱلْقُطْبِ ٱلْوَلِيِّ ٱلْمَشْهُورِ بِكَرَامَاتِهِ بِشَهَادَةِ حَضْرَةِ ٱلشَّيْخِ عُثْمَانَ سِرَاجِ ٱلدِّينِ ﷺ أَنَّ ٱلشَّيْخَ مُحَمَّدًا حَجَّ مَاشِيًا عَلَى أَقْدَامِهِ بِلَا طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ يَحْمِلُهُ مَعَهُ، فَأَصَابَهُ ٱلْجُوعُ وَأَوْجَعَ أَمْعَاءَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْتَنِبَ ٱلْمَشْيَ عَلَى ٱلطُّرُقَاتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ ٱلتَّصَوُّفِ، وَأَمَرَهُ بِٱلْمَشْيِ عَلَى حُرُوفِ ٱلْجِبَالِ. وَنَامَ فِي مَغَارَةٍ بِإِحْدَى ٱلْجِبَالِ فَإِذَا بِهِ يَسْمَعُ هَدِيرَ سَيَّارَةٍ، فَخَرَجَ مِنَ ٱلْغَارِ فَوَجَدَ ٱمْرَأَةً تَحْمِلُ بِسَيَّارَتِهَا دَسْتًا كَبِيرًا فِيهِ طَعَامٌ يَكْفِي مِائَةَ شَخْصٍ، فَنَادَتْ: يَا رَجُلُ هَذَا ٱلطَّعَامُ نَذَرْتُهُ لِسِبَاعِ هَذَا ٱلْغَارِ إِذَا خَرَجَ ٱبْنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ، فَقَدْ خَرَجَ وَلِلهِ ٱلْحَمْدُ، فَخُذْ وَأَطْعِمْ. فَبَكَى حَتَّى ٱبْتَلَّتْ لِحْيَتُهُ. (دُفِنَ فِي إِسْطَنْبُولَ خَلْفَ مَقَامِ حَضْرَةِ أَبِي أَيُّوبَ ٱلْأَنْصَارِيِّ ﷺ فِي طَرَفِ ٱلْجَبَلِ ٱلْمُخَصَّصِ لِلْمَدَافِنِ).

ٱلتَّوَكُّلُ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ ٱلدِّينْ ... وَمَقَامٌ عَظِيمٌ مِنْ مَقَامَاتِ ٱلْمُوقِنِينْ

فَهُوَ شَاقٌّ عَلَى ٱلنُّفُوسِ إِلَّا ٱلْمُقَرَّبِينْ ... لَهُ غِطَاءٌ سَمِيكٌ وَحِجَابٌ مَتِينْ

لَا يَقْدِرُ عَلَى كَشْفِ غِطَائِهِ ٱلْخَفِيِّ ... إِلَّا كُلَّ عَالِمٍ زَاهِدٍ تَقِيٍّ وَوَلِيِّ

فَمَنْ تَكَحَّلَ بِأَنْوَارِ حَقَائِقِ ٱلْمَعْرِفَةِ ... وَتَعَطَّرَ بِكُشُوفَاتِ ٱلْأَسْرَارِ ٱلنُّورَانِيَّةِ ٱلْمُشَرَّفَةِ

نَالَ مِنْ مَقَامِ ٱلتَّوَكُّلِ وَبِهِ فَازْ ... وَحَظِيَ بِمَحَبَّةِ نَبِيِّ أَرْضِ ٱلْحِجَازْ ﷺ

قَالَ ٱللهُ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم ١٢)

مَنْ لَبِسَتْهُ صِفَاتُ ٱلتَّوَكُّلِ بَعْدَ ٱلْمُجَاهَدَةِ ... نَالَ مَحَبَّةَ ٱللهِ كَوِسَامٍ وَشَهَادَةِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران ١٥٩)

مَنْ أَحَبَّهُ ٱللهُ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ... وَٱلْمَحْبُوبُ لَا يُعَذَّبُ، وَيَنَالُ حَالًا كَرِيمًا

فَٱلْمُتَوَكِّلُ مُسْتَجِيرٌ بِٱللهِ مُلْتَجِئٌ إِلَى حِمَاهُ ... يُنَجِّيهِ بِفَضْلِهِ مِمَّا جَنَتْ بِٱلْمَاضِي يَدَاهُ

يُسَخِّرُ ٱللهُ لَـهُ كُـلَّ مَـا يَحْتَـاجُ بِٱلْخَفَـا وَيَرْزُقُهُ مِـنْ كُـلِّ مَـا فِيـهِ صَـلَاحٌ وَشِـفَا

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ :"**لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى ٱللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ ٱلطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**". (فتح الباري ، ج ١١ ص ٣٠٦ ، خِماصًا : جِياعًا ، بِطَانًا : شِباعًا)

مَـنْ يَلْجَـأُ لِغَيْرِ ٱللهِ فَهُـوَ فِي مَذَلَّـةْ فَلْيَصْبِـرِ ٱلْمُؤْمِنُ مَهْمَـا دَاهَمَتْـهُ ٱلْقِلَّـةْ

ٱلْقُـوتُ مَقْسُـومٌ مِـنَ ٱلْحَـيِّ ٱلْقَيُّـومْ ﷻ وَٱلْمَـرْزُوقُ يَفْنَـى وَٱلـرَّزَّاقُ وَحْـدَهُ يَـدُومْ

لَا تَسْـأَلْ مِـنْ أَيْـنَ نَأْكُـلُ وَمَـنْ يَـرْزُقُنِي سَلِ ٱلـرَّزَّاقَ رَبِّـي ﷻ فَهُـوَ ٱلَّـذِي يُطْعِمُـنِي

مَتَى رَضِيَ ٱلْمُرِيـدُ بِرَبِّـهِ سُبْحَانَهُ وَكِـيلًا وَجَـدَ لِكُـلِّ خَـيْرٍ مِفْتَاحًـا وَسَـبِيلًا

اِمْتِحَانُ صُوفِيٍّ عَابِدٍ

جَاءَ أَحَدُ ٱلنَّاسِ يَخْتَبِرُ فُقَرَاءَ ٱلتَّصَوُّفِ ٱلْمَشْغُولِينَ بِعِبَادَةِ ٱللهِ ظَانًّا أَنَّـهُ سَـوْفَ يُفْحِمُـهُ بِعَمَلِهِ وَيَرُدُّهُ عَنْ طَرِيقِهِ ٱلصَّحِيحِ :

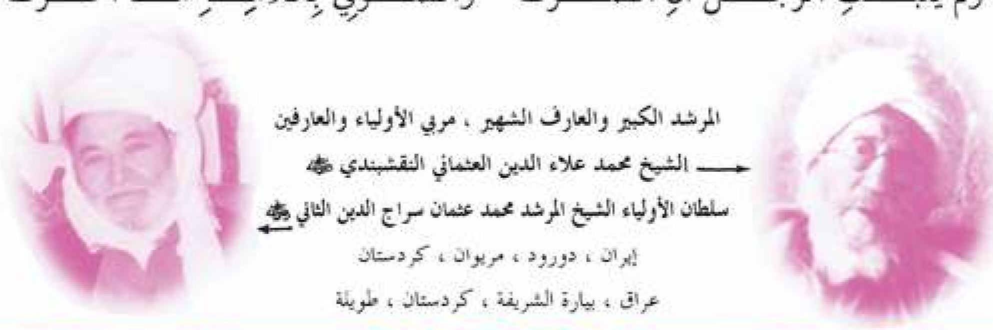
قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلصُّوفِي : مَا هُـوَ ٱلتَّوْحِيـدْ ؟ كَانَ جَوَابُ ٱلصُّوفِيِّ : عَنِ ٱلإِشْرَاكِ حِيدْ

قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلصُّوفِيِّ : مَا هِيَ ٱلأَحْكَامُ ؟ أَجَابَ ٱلصُّوفِيُّ : مَا قَالَهُ ٱلشَّافِعِيُّ ﷺ ٱلإِمَامُ

قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلصُّوفِيِّ : مَا هُـوَ ٱلْحَدِيثْ ؟ قَالَ ٱلصُّوفِيُّ : مَا يُرْضِي ٱللهَ وَيَلْعَنُ إِبْلِيسْ

قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلصُّوفِيِّ : مَا فَائِدَةُ ٱلأَذْكَارِ ؟ أَجَابَ ٱلصُّوفِيُّ : إِصْلَاحُ ٱلْقَلْبِ مِنْ كُلِّ عَارٍ

وَلَمْ يَلْبَـثِ ٱلرَّجُـلُ أَنِ ٱنْصَـرَفَ وَٱلصُّـوفِيُّ بِكَلَامِـهِ مَـا ٱنْحَـرَفَ



المرشد الكبير والعارف الشهير ، مربي الأولياء والعارفين

الشيخ محمد علاء الدين العثماني النقشبندي ﷺ

سلطان الأولياء الشيخ المرشد محمد عثمان سراج الدين الثاني ﷺ

إيران ، دورود ، مريوان ، كردستان

عراق ، بيارة الشريفة ، كردستان ، طويلة

اَلإِنْسَانُ

اَلإِنْسَانُ خُلِقَ بِحَيْثُ لَا يَعِيشُ وَحْدَهْ
بَلْ يَضْطَرُّ إِلَى ٱلْاِجْتِمَاعِ مَعْ غَيْرِهْ

لِحَاجَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا حِفْظُ ٱلنَّسْلِ لِلْبَقَاءْ
وَٱلطَّاعَةُ وَٱلْعِبَادَةُ وَبِهَذَا يَكُونُ ٱلنَّمَاءْ

وَوَظَائِفُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةُ ٱلْفَوَائِدِ
كَمُوَظَّفٍ وَعَامِلٍ وَحَاكِمٍ وَقَائِدِ

فَلَا يَنْكَبُّ عَلَى ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا كَٱلْوَحْشِ
بِسَرِقَاتٍ وَحَرَامٍ وَمَكْسٍ وَظُلْمٍ وَفُحْشِ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ عَدَمُ فَتْحِ سَائِرِ أَبْوَابِهَا
وَلَوْ وَسْوَسَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَلْيَتْرُكْ عِتَابَهَا

هِيَ كَهَاوِيَةٍ فَاتِحَةٍ فَمَ أَبْوَابِهَا
مَنْ عَشِقَهَا سَقَطَ بِشَهَوَاتِهِ عَلَى أَعْتَابِهَا

فَعَلَيْهِ أَلَّا يَتْرُكَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْكُلِّيَّةِ وَلَا يَقْمَعْ
نَفْسَهُ بَلْ يَأْخُذُ قَدْراً مِنَ ٱلْحَلَالِ بِلَا طَمَعْ

فَمِنَ ٱلشَّهَوَاتِ مَا يُخْرِجُهُ عَنْ طَاعَةِ ٱلشَّرْعِ
فَلْيَأْخُذْ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ بِٱلْعَدْلِ وَحَدِّ ٱلْوَرَعِ

اَلدُّنْيَا وَمَصَائِبُهَا عِنْدَ ٱلسَّالِكِينَ

إِنَّ يَسِيرَ ٱلدُّنْيَا يُشْغِلُ عَنِ ٱلآخِرَةِ
فَكَيْفَ بِكَثِيرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَوَانِي ٱلْفَاخِرَةِ

قَلْبُ ٱلْمُرِيدِ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَا يَفْرَحْ
يَكْفِيهِ ذِكْرُ ٱللهِ وَآيَةُ «أَلَمْ نَشْرَحْ»

حُبُّ ٱلدُّنْيَا وَٱلذُّنُوبُ فِي ٱلْقَلْبِ
تُضَيِّعُ عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلسَّيْرَ وَسُلُوكَ ٱلدَّرْبِ

اَلدُّنْيَا بِٱلْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِٱلْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ
وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ، وَبِٱلْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ (الحديد ٢٠)



فَلَا يَدُومُ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلْخَلْقِ أَحْوَالُهَا ... وَلَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا ٱلْبَغِيضِ أَهْلُهَا

ٱلْإِفْرَاطُ فِي شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا مَذْمُومُ ... وَٱلْعَيْشُ فِيهَا بِٱلرَّخَاءِ أَبَدًا لَا يَدُومُ

ٱلدَّهْرُ يَرْمِيكَ كُلَّ يَوْمٍ بِسِهَامِهِ ... فَتَعْمَكَ ٱلْغَفْلَةُ بِلَيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ

ٱلدَّهْرُ مُوَكَّلٌ بِتَشْتِيتِ ٱلْأَحْبَابِ وَٱلْجَمَاعَاتِ ... يَرْتَحِلُونَ ٱرْتِحَالًا سَرِيعًا مَعَ سَائِرِ ٱلْحَرَكَاتِ

أَشَارَ إِلَى ذَٰلِكَ سَيِّدُنَا عِيسَى عليه السلام فَقَالَ : " ٱلدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَٱعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا ".[1]

وَلَقَدْ مَرَّ إِبْلِيسُ بِسَيِّدِنَا عِيسَى عليه السلام مَرَّةً فَرَآهُ مُسْتَلْقِيًا وَمُتَوَسِّدًا بِحَجَرٍ تَحْتَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : تَدَّعِي أَنَّكَ زَاهِدٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَتَحْتَ رَأْسِكَ حَجَرٌ ، فَرَمَاهُ عِيسَى بِٱلْحَجَرِ وَقَالَ: هُوَ لَكَ مَعَ ٱلدُّنْيَا " .

وَكَانَ نَبِيُّ ٱللهِ سُلَيْمَانُ عليه السلام يُطْعِمُ ٱلنَّاسَ لَذَائِذَ ٱلْأَطْعِمَةِ وَهُوَ يَأْكُلُ خُبْزَ ٱلشَّعِيرِ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَطْوِي أَيَّامًا صَائِمًا وَيَشُدُّ ٱلْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ ٱلْجُوعِ.[2]

كُلُّ مَا لَيْسَ لِلهِ فَهُوَ لِلدُّنْيَا وَهَالِكْ ... كَٱلْإِفْرَاطِ بِشَهَوَاتِ ٱلْأَطْعِمَةِ بِدُنْيَا ٱلْمَهَالِكْ

وَقَالَ ﷻ : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف ٤٦)

وَمَا هُوَ لِلهِ فَلَيْسَ مِنَ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْعَادَةِ ... كَتَنَاوُلِ ٱلْأَطْعِمَةِ لِلتَّقْوِيَةِ عَلَى ٱلْعِبَادَةِ

قال ﷻ :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات ٤٠ - ٤١)

فَضَرُورَةُ ٱلْقُوتِ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ مَسْكَنٍ ... وَمَلْبَسٍ فَهُوَ لِلهِ إِنْ قَصَدَ بِهِ وَجْهَ ٱلْمُحْسِنِ

وَٱلْإِفْرَاطُ وَٱلْإِكْثَارُ مِنْهُ فَوْقَ ٱلْعَادَةْ ... فَهُوَ تَنَعُّمٌ لَا تُقْبَلُ تِلْكَ ٱلزِّيَادَةْ

كَٱهْتِمَامِ ٱلنَّاسِ بِٱلْحِرَفِ وَٱلصِّنَاعَاتِ ... وَٱسْتِغْرَاقِهِمْ بِهَا وَتَرْكِ سَائِرِ ٱلطَّاعَاتِ

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلدُّنْيَا مَمْزُوجَةٌ بِٱلتَّنْغِيصِ ... وَٱلْهُمُومِ وَٱلْأَكْدَارِ وَمُجَابَهَةِ إِبْلِيسْ

ٱلتَّارِكُ لِدِينِهِ وَٱلْمُتَمَسِّكُ بِهَا خَاسِرْ ... مَصِيرُهُ لِلتَّلَفِ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَهُ مِنْ نَاصِرْ

(١) إحياء علوم الدين ج٤ ص ٢٢٣

(٢) إحياء علوم الدين ج٣ ص ٢٢١

فيا لها من مصيبة ما أفظعها … إذا جاءه الحساب، وجهنم يا لهولها

فهذه هي الحسرة والمصيبة المدمرة … أهوالها وعجائبها بالكتب مشتهرة

لم ينل الصالحون ﭬ من الدنيا إلا المباح … لهم وابتعدوا عن الحرام فكانوا بارتياح

وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها … وزهدوا في لذة نعيمها وزهرتها

إذا أقبلت الدنيا عليهم أغرقتهم الأحزان … وقالوا: ذنب عجلت عقوبته بذا الزمان

وإذا أحسوا الفقر مقبلاً قالوا … مرحباً بشعار الصالحين ﭬ وله مالوا

فلا تجمعوا المال للكثرة والفخر … والزينة والعلو والمتعة بالدهر

فلا تحرموا أنفسكم نعيم الآخرة … بسبب نعيم الدنيا وشهواتها والهرطقة

يزعم بعضهم أنه يجمع المال … بقصد إنفاقه على مشروع حلال

يدعي أنه للبر والفضل يجمعه … وإلى الفقراء واليتامى يدفعه

فإذا كثرت الأموال بيديه … يتغير قلبه وتنقلب نفسه عليه

فتشغله الدنيا عن الله وذكره … ويتحول حاله ويتبدل قلبه وفكره

فأعدوا وتهيئوا للموقف والحساب … سيسأل صاحب كل مال صادقاً أو كذاب

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (التكاثر ٨)

وقال ﷺ: " **من نوقش الحساب عذب** "(١) (من حديث عائشة).

كان الصدق بجمع المال موجوداً … واليوم بجمع المال أصبح الصدق مفقوداً

يا خاطب الدنيا إلى حتفك تسعى … إن التي تخطبها غدارة أفعى

فاترك خطبتها من شرها تسلم … فعرسك معها قريب من المأتم

كم من ساع في جمع كنوزها … هدت قواه ومات ولم ينل بغيته منها

من زهد بالدنيا عرف أنها لئيمة … ومن عمل للآخرة نال معارف كريمة

(١) الفتح الكبير ج٣ ص٢٤٣

فَعلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ ٱلدُّنيَا لِبَدَنِهِ ... وَيَأْخُذَ مِنَ ٱلآخِرَةِ لِقَلْبِهِ

قَالَ ٱللهُ تَعالَى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنيَا ﴾ (لقمان ٣٣)

ٱلدُّنيَا حَلالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عَذَابْ ... وَبَعْضُ سُكَّانِهَا أَصْحَابُ مَكْرٍ وَأَنْيَابْ

فَٱلدُّخُولُ فِي حُبِّ ٱلدُّنْيَا هَيِّنْ ... أَمَّا ٱلْخُرُوجُ مِنْهُ فَصَعْبٌ وَغَيْرُ لَيِّنْ

فَلَا تَفْرَحْ فِي ٱلدُّنْيَا بِبُلُوغِ أَمَلِكَ ... وَٱحْذَرْهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ ٱلْمَوْتُ بِأَجَلِكَ

لَا يَنجُو مِنْ شَهَوَاتِ ٱلدُّنيَا ٱلفَاخِرَةِ ... إِلَّا مَنْ أَشْغَلَ قَلْبَهُ وَنَفْسَهُ بِأَعْمَالِ ٱلآخِرَةِ

فَلْنَكُنْ مِنَ ٱللهِ ٱلعَظِيمِ عَلَى وَجَلْ ... فَلَا نَغْتَرُّ بِٱلدُّنيَا وَلَا نُطِيلُ ٱلأَمَلْ

قَدْ تُنْسِينَا ٱلْهَوْلَ عِنْدَ ٱلأَجَلِ ... فَلْنَأْخُذْ مِنْ دُنْيَانَا عَلَى مَهَلِ

لِإِطْعَامِ ٱلوَلَدِ وَسَدِّ جَوْعَةِ ٱلأَهْلْ ... فَكَمْ مِنْ شَابٍّ أَصْبَحَ بِجَمْعِهَا كَهْلْ

إِنَّهَا دَارٌ كَثِيرٌ هَمُّهَا وَبَوَائِقُهَا(١) ... وَقَدْ ذَمَّهَا وَحَذَّرَ مِنْهَا خَالِقُهَا

عَزِيزُهَا يَذِلُّ وَكَثِيرُهَا يَقِلُّ ... وَحَيُّهَا يَمُوتُ وَخَيْرُهَا يَفُوتُ

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ دُعِيَتْ لَهُ ٱلأَطِبَّاءُ ... فَتَعَسَّرَ ٱلعِلَاجُ وَٱمْتَنَعَ عَلَيْهِ ٱلشِّفَاءُ

إِلَى أَنْ ثَقُلَ لِسَانُهُ فَفَقَدَهُ إِخْوَانُهُ ... وَبَكَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَحَزِنَ جِيرَانُهُ

وَخُتِمَ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَنطِقْ ... وَكَانَ سُكُوتُهُ عَنِ ٱلكَلَامِ مُطْبِقْ

جَمَدَ جِسْمُهُ وَبَرَدَ فَتَمَّ ٱلقَضَاءْ ... وَٱنْتُزِعَتْ رُوحُهُ مِنْ سَائِرِ ٱلأَعْضَاءْ

قِيلَ لِعِيسَى عليه السلام: "عَلِّمْنَا عِلْمًا وَاحِدًا يُحِبُّنَا ٱللهُ عَلَيْهِ،قَالَ: أَبْغِضُوا ٱلدُّنيَا يُحِبَّكُمُ ٱللهُ تَعَالَى".

قَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام : " مَنْ جَمَعَ فِيهِ سِتَّ خِصَالٍ لَمْ يَدَعْ لِلْجَنَّةِ مَطْلَبًا وَلَا عَنِ ٱلنَّارِ مَهْرَبًا ، أَوَّلُهَا مَنْ عَرَفَ ٱللهَ فَأَطَاعَهُ ، وَعَرَفَ ٱلشَّيْطَانَ فَعَصَاهُ ، وَعَرَفَ ٱلْحَقَّ فَٱتَّبَعَهُ ، وَعَرَفَ ٱلبَاطِلَ فَٱتَّقَاهُ ، وَعَرَفَ ٱلدُّنيَا فَرَفَضَهَا ، وَعَرَفَ ٱلآخِرَةَ فَطَلَبَهَا " .



(١) بوائقها : شرها .

فَلْنَصُمْ عَنْ زِينَةِ ٱلدُّنيَا وَٱلْفَخْرِ بِهَا وَلْنُفْطِرْ عَلَى ٱلْفَوْزِ بِٱلآخِرَةِ وَبَهْجَتِهَا

يَحْمَدُ ٱلْبَعْضُ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَسَرَّةٍ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ كَانَ فِي هَمٍّ وَحَسْرَةٍ

فَسَوْفَ لَعَمْرِي بَعْدَ قَلِيلٍ يَلُومُهَا لِأَنَّهَا إِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيرَةً هُمُومُهَا

فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَكُنْ قَلْبُكَ فِيهَا وَلْتَذْهَبِ ٱلدُّنْيَا إِلَى قُلُوبِ طَالِبِيهَا

فَمَا فِيهَا إِلَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ وَبَلِيَّةٌ نَازِلَةٌ لَمْ تَدُمْ يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ فَهِيَ خَاذِلَةٌ

لَقَدْ وَصَفَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلدُّنْيَا قَائِلًا : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (الكهف ٤٥)

عَجِبْتُ لِمَنْ يُعَظِّمُ مَا ٱللهُ حَقَّرَهُ وَعَجِبْتُ لِمَنْ خَذَلَهُ ٱلنَّاسُ وَٱللهُ نَصَرَهُ

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : " ٱلدُّنْيَا حَانُوتُ ٱلشَّيْطَانِ فَلَا تَسْرِقْ مِنْ حَانُوتِهِ شَيْئًا فَيَجِيءَ فِي طَلَبِهِ فَيَأْخُذَكَ " .

ٱلْبَعْضُ يَرْتَعُونَ بِٱلدُّنْيَا لِتَمْزِيقِ ٱلدِّينِ فَإِذَا نَصَحْتَهُمْ كَأَنَّكَ تَعِظُ رَجُلًا مِنَ ٱلصِّينِ

يَعْمَلُونَ عَلَى إِفْسَادِ مَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَهَذَا مِنْ خُبْثِ ٱلنَّفْسِ وَإِغْوَاءِ ٱلْخَنَّاسِ

لَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلْبِرِّ لَتَحَابُّوا وَلَوْ تَحَابُّوا عَلَى دِينِ ٱللهِ لَتَنَاصَحُوا

فَقِلَّةُ ٱلْإِيمَانِ تُمِيتُ ٱلْهِمَّةَ وَتُبْلِيهَا وَقُوَّةُ ٱلْإِيمَانِ تُنَشِّطُ ٱلْهِمَّةَ وَتُحْيِيهَا

لَمَّا قَلَّ ٱلْإِيمَانُ بِقُلُوبِ ٱلْبَعْضِ صَارَتِ ٱلنَّصِيحَةُ صَاعِقَةً كَصَوْتِ ٱلرَّعْدِ

قَلِيلُ ٱلْعَقْلِ يُتْعِبُ نَفْسَهُ بِٱلْمَشَقَّةِ وَكَبِيرُ ٱلْعَقْلِ يُشْغِلُ نَفْسَهُ بِٱلْأُمُورِ ٱلْمُحِقَّةِ

بِعْ دُنْيَاكَ وَشَهَوَاتِهَا بِآخِرَتِكَ تَرْبَحْهَا وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَا فَانِيَةٍ فَتَخْسَرْهَا

عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَعْلَمَ رَذَائِلَ ٱلدُّنْيَا وَآفَاتِهَا وَيَتَحَرَّى عُيُوبَهَا وَذُلَّ مَصَائِبِ عَوْرَاتِهَا

وَيَبْتَعِدَ عَنْ سَيِّئَاتِهَا وَلَا يَأْنَسَ بِحَسَنَاتِهَا حَتَّى يَسْلَمَ مِنْ شُرُوقِهَا إِلَى غُرُوبِهَا

إِنَّهَا كَالْمَرْأَةِ الَّتِي تَسْتَمِيلُ النَّاسَ بِجَمَالِهَا ... وَتُهْلِكُ الرَّاغِبِينَ السَّاعِينَ فِي وِصَالِهَا

هِيَ فَرَّارَةٌ مِنْ طُلَّابِهَا شَحِيحَةٌ بِإِقْبَالِهَا ... وَإِذَا أَقْبَلَتْ لَمْ يُؤْمَنْ خَطَرُ وِصَالِهَا

فَهِيَ فِي زَخَارِفِهَا جَارِحَةٌ رَاشِقَةْ ... مَنْ آنَسَهَا صَارَتْ كَلَالِيبُهَا بِهِ عَالِقَةْ

فَكُلُّ عَاشِقٍ مَغْرُورٍ بِهَا مَعْرُوفٌ مَصِيرُهُ ... يَأْتِيهِ أَجَلُهُ بَغْتَةً وَيَنْتَهِي مَسِيرُهُ

تُصِيبُ عَاشِقَهَا بِالْعِلَلِ وَالسَّقَمِ ... وَأَجْمَلُ الشَّبَابِ تَسُوقُهُ إِلَى الْهَرَمِ

يَفْرَحُ سُكَّانُهَا بِأَمْلَاكِهِمْ سُرُورًا وَغُرُورًا ... فَيَبْنُونَ قُصُورًا ثُمَّ تُصْبِحُ لَهُمْ قُبُورًا

فَلْيَحْذَرِ الْمُرِيدُ لِأَنَّهَا قَاطِعَةٌ لِلطَّرِيقِ ... بِزِينَتِهَا وَزَهْرَتِهَا تَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى الْحَرِيقِ

كَمْ قَطَعَتْ بِشَهَوَاتِهَا وَمَعَاصِيهَا الْأَكْبَادْ ... وَحَرَمَتْهُمُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ لِكَثْرَةِ الْفَسَادْ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ** " (كشف الخفاء ج ١ ص ٣٤٤)

فَمَنْ يَعْرِفُ الشَّرَّ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَهْ ... وَمَنْ أَبَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهْ

وَمَنْ حَجَبَ نَفْسَهُ عَنْهَا فَهِيَ سِجْنُهُ ... وَمَنْ عَشِقَهَا فَهِيَ بِالْآخِرَةِ هَمُّهُ

قَالَ ﷺ: " **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ** "(١)

فَطَالِبُ الدُّنْيَا لَا يَضِيعُ فِيهَا رِزْقُهُ ... وَطَالِبُ الْآخِرَةِ يُقَدِّمُ لَهَا عُنُقَهُ

مَهْمَا كَانَ شَأْنُ الدُّنْيَا كَبِيرُ ... فَإِنَّهُ مَعَ صَاحِبِهَا لِلْفَنَاءِ يَصِيرُ

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: " وَيْلٌ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَمُوتُ وَيَتْرُكُهَا وَمَا فِيهَا وَتَغُرُّهُ وَيَأْمَنُهَا وَيَثِقُ بِهَا وَتَخْذُلُهُ ... " (إحياء علوم الدين ج٣ ص ٢٠٥)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا**" قَالُوا: وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا؟ يَا رَسُولَ قَالَ: "**بَرَكَاتُ الْأَرْضِ**"(٢).

وَقَالَ ﷺ: " **لَا تَشْغَلُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ الدُّنْيَا** " (الفتح الكبير ج٣ ص٣٢٧)

كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ نَامَ فِي عَافِيَةٍ ... وَصَحَا وَهُوَ عَلَى حَافَّةِ الْهَاوِيَةِ

(١) صحيح الإمام مسلم ﵀ ج ١٨ ص ٩٣

(٢) صحيح الإمام مسلم ﵀ ج٧ ص١٤٢

حُبُّ ٱلْمَالِ مُسَبِّبٌ لِضَعْفِ ٱلْحَالِ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ مُعَالَجَةُ نَفْسِهِ وَٱلْجَوَارِحِ مِنْ آفَةِ جَمْعِ ٱلْمَالِ ٱلْجَامِدِ وَٱلسَّارِحِ
إِلَّا لِضَرُورَاتٍ شَرْعِيَّةٍ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَعَلَّقْ بِحُبِّهِ وَيَطْمَعْ، وَلِمَدَارِجِ ٱلضَّرَرِ يَتَسَلَّقْ
لِأَنَّهُ إِنْ تَعَوَّدَ عَلَى جَمْعِ ٱلْمَالِ وَٱلذَّهَبْ فِي خَزَائِنِهِ وَقَالَ: هَذَا مِمَّا ٱللهُ وَهَبْ
أَفْسَدَ نَفْسَهُ وَعَلَيْهِ يَعْتَادُ وَيَأْلَفُ فَيَنْشَغِلُ عَنِ ٱللهِ فِيهِ وَيَتْلَفُ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا. وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ٱبْنِ آدَمَ إِلاَّ ٱلتُّرَابُ. وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"[1].

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ مُجَاهَدَةُ مَا فِي جِبِلَّتِهِ مِنْ غَرِيزَةٍ تُرْدِيهِ وَتُعَكِّرُ مِنْ صَفْوَتِهِ
وَأَخْطَرُ ٱلْغَرَائِزِ ٱلْمُعَكِّرَةِ لِلْقُلُوبِ وَٱلنُّفُوسِ ٱلتَّهَافُتُ عَلَى ٱلْكُنُوزِ وَحُبُّ ٱلْفُلُوسِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة ٣٤ - ٣٥)

فَلْيَرْضَ ٱلْمُرِيدُ بِٱلْقَلِيلِ ٱلآتِي إِلَيْهِ حَتَّى لَا يَكْثُرَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٱلْحِسَابُ عَلَيْهِ

قَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: " مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَمَلَكٌ يُنَادِي، يَا ٱبْنَ آدَمَ قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيكَ ".

فَتَرْكُ ٱلطَّمَعِ عِلَاجٌ وَهُوَ رَأْسُ ٱلْمُجَاهَدَاتِ وَهُوَ بَابُ ٱلْخُرُوجِ مِنْ شَرِّ ٱلْمُفْسِدَاتِ
لَكِنْ فِي عَصْرِنَا ٱلْحَالِيِّ ٱلْحَيَاةُ صَعْبَةٌ فَٱلْغَلَاءُ فَاحِشٌ وَٱلرَّوَاتِبُ قَلِيلَةٌ مُتْعِبَةٌ

(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج٧ ص ١٣٨ – ١٣٩

لَوْ أَرَادَ ٱلإِنْسَانُ شِرَاءَ مَسْكَنٍ مُتَوَاضِعِ يَلْزَمُـهُ سِنِينَ لِجَمْعِ قِيمَـةِ ٱلْمَنَافِعِ
فَمَـنْ وَقَـعَ بِتِلْـكَ ٱلْعِلَّـةِ بِٱلإِجْبَارِ لَا يُسَـمَّى عَاشِـقَ ٱلـذَّهَبِ وَٱلـدِّينَارِ
كَمْ مِنْ ضَعِيفِ عَقْلٍ سَخَّرَ نَفْسَهُ عَبْـدًا لِمَـنْ يَمُـدُّهُ بِـدِينَارٍ وَغَشَّـهُ
يَتَجَسَّسُ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ لِحُبِّهِ لِلْمَـالْ وَيَقْتُـلُ لِأَجْـلِ دَرَاهِـمَ وَيَغْتَـالْ
يَبِيعُ نَفْسَـهُ لِلشَّـيْطَانِ بِكُـلِّ مَجَالِ لِيَحْصُلَ عَلَى مَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ مِنَ ٱلْمَالِ
قَدْ نُشَاهِدُ أَمْثَالَهُمْ بِٱلْقُصُورِ ٱلرَّاقِيَةْ يَخْـدِمُونَ ٱلسُّـلُطَاتِ ٱلظَّالِمَـةَ ٱلْعَاتِيَـةْ
يُحَلِّلُـونَ ٱلْحَرَامَ إِكْرَامًـا لِعَطِيَّـةِ ٱلـزَّعِيمِ فَيَحْرِمُونَ نُفُوسَهُمْ بِٱلْقِيَامَةِ مِنْ خَيْرِ ٱلنَّعِيمِ
قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ فِي أَمْثَالِهِمْ أَحَادِيثَ بَهِيَّةْ عَـرَّفَ بِهَـا جَوَانِـبَ تِلْـكَ ٱلْقَضِيَّـةْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : " **تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّينَارِ وَتَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّرْهَمِ تَعِسَ وَلَا ٱنْتَعَشَ ...**"[1] .

فَـلَا تَتَهَـالَكُوا وَتَتَقَـاتَلُوا عَلَـى جَمْعِـهِ فَـإِنَّ شَـرَّ ٱلْمَالِ غَالِـبٌ عَلَـى نَفْعِـهِ
فَيَجِبُ ٱلأَخْذُ مِنْهُ بِقَدْرِ ٱلْكِفَايَةِ لِلإِسْتِعَانَةِ عَلَى أَمْرِ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْحَوَائِجِ وَنَشْرِ ٱلدِّيَانَةِ
وَهَـذَا لَا يَـدْخُـلُ فِي ٱلتَّـنَعُّمِ ٱلْمَمْقُـوتِ لِأَنَّ ٱلْحَاجَةَ تَمَسُّ إِلَيْهِ فِي ٱلدَّعْوَةِ وَٱلْقُوتِ
فَمَـنْ هَيَّـأَ ٱللهُ لَـهُ ٱلأَمْـوَالَ وَٱلْخَـدَمْ فَعَلَيْـهِ ٱلإِكْثَارُ مِنْ إِنْفَاقِهِ قَبْلَ ٱلنَّدَمْ
وَإِلَّا ضَـاعَتْ أَوْقَاتُـهُ ٱلثَّمِينَـةُ عَلَيْـهِ وَمَالَـتِ ٱلْغَفَـلَاتُ وَٱلشَّـهَوَاتُ إِلَيْـهِ
وَتَعَـذَّرَ عَلَيْـهِ سُـلُوكُ سَـبِيلِ ٱلآخِـرَةْ وَضَاعَتْ عِنْدَهُ ٱلذِّكْرَى وَٱلأَفْكَارُ ٱلْفَاخِرَةْ
وَلَوْ بَنَى بِهَا مَسَـاجِـدَ وَمَـدَارِسَ خَيْرِيَّـةْ لَنَـالَ مَرَاتِـبَ وَمَقَامَـاتٍ عَلِيَّـةً بَاطِنِيَّـةْ
وَلَوْ صُرِفَتْ لِلْمَرَاكِزِ ٱلْمُخَصَّصَةِ لِلْخَيْرَاتِ لَنَـالَ صَـاحِبُهَـا أَجْـرَ سَـائِرِ ٱلْمَبَرَّاتِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة ٢٦١)

كَثْـرَةُ ٱلْمَالِ قَـدْ تَـأْتِي بِٱلْمَعَاصِـي وَٱلشَّهَوَاتِ وَيُصْبِحُ ٱلْقَلْبُ بِهَا قَاسِي

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٣٥

ٱلبَعْضُ يَعْصِي ٱللهَ لِطَلَبِ رِضَا زَعِيمٍ   لِيَكْسَبَ مِنْهُ مَالًا وَيَعِيشَ فِي نَعِيمٍ

يُنَافِقُهُمْ وَيُجَارِيهِمْ لِحُظُوظِهِ ٱلنَّفْسِيَّةِ   وَيَعِيشُ مَعَهُمْ بِأَخْلَاقٍ رَدِيئَةٍ دَنِيَّةٍ

وَسُمُومٍ وَآفَاتٍ نَسْأَلُ ٱللهَ مِنْهَا ٱلسَّلَامَةْ   وَٱلثَّبَاتَ عَلَى ٱلدِّينِ فَهُوَ عَيْنُ ٱلْكَرَامَةْ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ إِنْ كَانَ غَنِيًّا   أَنْ يُطْعِمَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا أَوْ ثَرِيًّا

وَلَا يُطْعِمُ ٱلْغُرَبَاءَ مِنْ فَضَلَاتٍ مَا تَبْقَى   فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ حَتَّى لِلْمَقَامَاتِ يَرْقَى

كَانَ فِي دُورُودَ بِبِلَادِ إِيرَانَ   شَيْخٌ كَرِيمٌ بِمِنْطَقَةِ *دُورُودٍ* كُرْدِسْتَانَ

يَمُدُّ سُفْرَتَهُ أَشْكَالًا وَأَنْوَاعًا وَأَلْوَانًا   فَيَأْكُلُ ضُيُوفُهُ إِنْ كَانُوا أَعَاجِمَ أَوْ عُرْبَانًا

كَانَ سَخِيَّ ٱلنَّفْسِ كَرِيمًا ذَا إِحْسَانْ   هُوَ ٱبْنُ عَلَاءِ ٱلدِّينِ ٱلشَّيْخُ عُثْمَانْ ﵁

أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ ٱلصَّالِحِينَ ﵁   بِقَصْدِ ٱلتَّبَرُّكِ وَٱلشِّفَاءِ بِفَضْلِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﷻ

عَنْ نَافِعٍ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " **طَعَامُ ٱلْجَوَادِ دَوَاءٌ وَطَعَامُ ٱلْبَخِيلِ دَاءٌ** " (إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٤٥)

فَكَانَ ٱلشَّيْخُ عُثْمَانُ ﵁ يُطْعِمُ حُبًّا لِلهْ   وَلَا يَمُنُّ عَلَى مَنْ جَاءَهُ وَأَتَاهْ

كَانَ ٱلزَّائِرُ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَاجِيًا   وَيَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ فَرِحًا رَاضِيًا

فَكَانُوا يَسْأَلُونَهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِمْ   وَكَانَ يُعْطِيهِمْ(١) عَلَى قَدْرِ ٱلنِّعْمَةِ بِزِيَارَتِهِمْ

وَسَبَبُ ٱلشِّفَاءِ فِي طَعَامِهِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلْمَيْمُونْ   لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَالٍ حَرَامٍ يَهُونْ

فَٱحْتِيَاجَاتُ ٱلْأَطْعِمَةِ تُقْطَفُ مِنْ أَرْضِهِ   وَٱللَّحْمُ وَٱلْحَلِيبُ وَٱلْجُبْنُ مِنْ أَبْقَارِهِ وَغَنَمِهِ

كَانَ يَبْذُلُ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ   رَجَاءَ رِضَا ٱللهِ وَدُونَ أَيِّ غَرَضٍ

لَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ رَسَخَ بِٱلدِّينِ قَدَمُهْ   وَتَحَرَّى بِعِرْفَانِهِ وَكُشُوفَاتِ عِلْمِهْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ (التغابن ١٦)

يَسْتَحِيلُ ٱلْمُقَارَنَةُ بَيْنَ ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرِ   وَبَيْنَ ٱلْغَنِيِّ ٱلْبَخِيلِ وَٱلْكَرِيمِ ٱلْفَقِيرِ

فَعُيُوبُ ٱلنُّفُوسِ وَآفَاتُ ٱلْأَعْمَالِ شَيْءٌ خَطِيرْ   فَٱلْكَرَمُ مِنْ نَفَحَاتِ رَبِّنَا ٱلْخَبِيرْ ﷻ

(١) مما رزقه الله ﷻ من فضله.

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ صَاحِبَ ٱلْمَالِ مُتْعَبٌ وَٱلْمُكْثِرُ مِنَ ٱلْمَالِ غَافِلٌ مُجَرَّبٌ
لِأَنَّ ٱلْمَالَ يُلْهِيهِمْ عَنْ ذِكْرِ ٱلْغَفَّارْ ﷺ وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ ٱلْعُصَاةُ وَٱلْكُفَّارْ
ٱلْمَالُ أَعْظَمُ أَرْكَانِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمُهْلِكَةْ وَقَدْ عَشِقَ ذَهَبَهَا ٱلْأُمَمُ ٱلْمُشْرِكَةْ
ٱلْمَالُ وَسِيلَةٌ إِلَى مَقْصُودٍ صَحِيحٍ إِلَّا بِيَدِ ٱلْمُسْرِفِ عَلَى نَفْسِهِ وَٱلشَّحِيحِ

قَالَ ٱلْحَسَنُ ﷺ : " وَٱللهِ مَا أَعَزَّ ٱلدِّرْهَمَ أَحَدٌ إِلَّا أَذَلَّهُ ٱللهُ ". وَقِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا ضُرِبَ ٱلدِّينَارُ وَٱلدِّرْهَمُ رَفَعَهُمَا إِبْلِيسُ ثُمَّ وَضَعَهُمَا عَلَى جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَبَّلَهُمَا وَقَالَ : " مَنْ أَحَبَّكُمَا فَهُوَ عَبْدِي حَقًّا ".

لَيْسَ كُلُّ ٱلْمَالِ مَذْمُومٌ وَخَبِيثٌ مِنْهُ حَلَالٌ طَيِّبٌ وَمِنْهُ نَفِيسٌ
مَنْ جَمَعَ مَالًا وَصَرَفَهُ فِي حَلَالٍ وَنَشَرَ بِهِ ٱلدِّينَ لِوَجْهِ ذِي ٱلْجَلَالِ ﷺ
فَهَذَا مِنَ ٱلْمَمْدُوحِ فِي ٱلشَّرِيعَةِ وَقَدْ فَازَ مَنْ عَمِلَ بِتِلْكَ ٱلصَّنِيعَةِ
حَيْثُ قَالَ عَنْهُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ ٱلْمَاجِدُ أَقْوَالًا كَثِيرَةً يَحِنُّ لَهَا ٱلْقَلْبُ ٱلسَّاجِدُ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ " **نِعْمَ ٱلْمَالُ ٱلصَّالِحُ لِلرَّجُلِ ٱلصَّالِحِ** "(فتح الباري ج ١١ ص ٢٧٤)

فَلَا مَانِعَ مِنَ ٱلْكَسْبِ ٱلْحَلَالِ ٱلصَّافِي لِصَرْفِهِ عَلَى ٱلْعِيَالِ وَٱلطَّاعَاتِ وَٱلْحَجِّ ٱلْوَافِي
وَقَدْ يُمِدُّ ٱللهُ عَبْدَهُ بِٱلْمَالِ فِتْنَةْ فَإِنْ صَرَفَهُ بِشَرٍّ فَهُوَ فِي ظُلْمَةْ

قَالَ ﷻ : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (نوح ١٢)

فَجَمْعُهُ مَحْمُودٌ إِنْ صُرِفَ فِي خَيْرٍ وَجَمْعُهُ مَذْمُومٌ إِنْ صُرِفَ فِي شَرٍّ

قَالَ ﷺ "**دَعُوا ٱلدُّنْيَا لِأَهْلِهَا مَنْ أَخَذَ مِنَ ٱلدُّنْيَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ أَخَذَ حَتْفَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ**".[1]

أَكْثَرُ ٱلطِّبَاعِ مَائِلَةٌ لِجَمْعِ ٱلْمَالْ لَا يَهُمُّهُمْ إِنْ كَانَ حَرَامًا أَوْ حَلَالْ
فَمَا يَزِيدُ عَلَى قَدْرِ ٱلْكِفَايَةِ ٱلْمَطْلُوبَةْ فَفِيهِ عَلَى ٱلنَّفْسِ أَخْطَارٌ مَحْسُوبَةْ
إِسْتَعَاذَ ٱلْأَنْبِيَاءُ ﷺ ٱلْكِرَامُ مِنْ شَرِّهِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ خَيْرَهُ مِنْ ضَرَرِهِ

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٢٧٤

قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ : "ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا"[1]. (ٱلْقُوتُ : مَا يَسُدُّ ٱلرَّمَقَ)

وَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ فِي ٱلْفَقْرِ لَذَّةً إِذَا ٱقْتَرَنَ مَعَ ٱلإِيمَانِ يَزِيدُهُ عِزَّةً

يَكُونُ بِٱلْمَالِ فِي بَعْضِ ٱلأَحْيَانِ بَلَاءٌ عَظِيمْ يَصْرِفُ ٱلْبَعْضَ عَمَّا لَا يُرْضِي ٱللهَ ٱلْكَرِيمْ

فَيُفْرِطُ بِٱلْمَلَذَّاتِ ٱلَّتِي تُوقِعُهُ بِٱلْغَفَلَاتِ فَيَشْتَرِي لِنَفْسِهِ بَلَاءَ ٱلنِّسَاءِ ٱلْغَرْبِيَّاتِ

وَيَقْضِي حَيَاتَهُ فِي شَهْوَةٍ وَلَذَّةٍ وَسِيَاحَةٍ وَلَا يَلْتَفِتُ لِدِينِهِ وَيَظُنُّ أَنَّهُ فِي رَاحَةٍ

فَإِذَا دَقَّتْ سَاعَةُ ٱلْمَوْتِ وَبِهِ نَزَلْ تَرَاهُ يَرْتَجِفُ وَيَتَزَلْزَلُ مِنَ ٱلْخَجَلْ

يَبْكِي وَيَصِيحُ وَيَحْزَنُ عَلَى مَا فَاتَهْ وَيَكُونُ غَرِيبًا فِي تَقَلُّبَاتِهِ وَحَرَكَاتِهْ

إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ ﷻ إِلَّا فِي ٱلشِّدَّةِ وَيَغْفَلُ عَنْهُ فِي ٱلرَّخَاءِ وَطُولِ ٱلْمُدَّةِ

عَلَّقَهُ هَوَاهُ بِفَخٍّ لَا يَتَوَقَّعُهُ فَٱلنِّسَاءُ وَٱلذَّهَبُ وَٱلْجَاهُ لَا يَنْفَعُهُ

بِقَدَرٍ يَرْزُقُ ٱللهُ ٱلْمَالَ لِلإِنْسَانِ فَيَكُونُ رَحْمَةً وَفَضْلًا مِنَ ٱلإِلَهِ ٱلدَّيَّانِ ﷻ

قَالَ ﷻ ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (الشورى ٢٧)

إِذَنْ حِمَايَةُ ٱلْمُرِيدِ مِنْ كَثْرَةِ ٱلأَمْوَالِ فَضْلٌ مِنْ رَبِّنَا ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُتَعَالِ ﷻ

لِأَنَّهَا تَكُونُ بَلَاءً فِي حَقِّ بَعْضِ ٱلنَّاسِ وَفُقْدَانُهَا بِبَعْضِ ٱلأَحْيَانِ نِعْمَةٌ بِهَذَا ٱلْقِيَاسِ

كَثْرَةُ ٱلْمَالِ فِيهَا أَضْرَارٌ مُتْعِبَةٌ وَمَشَاكِلْ كَمْ مِنْ رَجُلٍ ٱسْتَعْلَى بِمَالِهِ وَكَانَ ٱلْفَاشِلْ

يُسَبِّبُ لِلنَّاسِ ٱلْكِبْرِيَاءَ وَٱلإِسْتِعْلَاءْ عَلَى ٱلْمَسَاكِينِ وَبِخَاصَّةٍ وَقْتَ ٱلْغَلَاءْ

يَحْفَظُ ٱللهُ تَعَالَى ٱلْمُؤْمِنَ مِنَ ٱلْمَالِ كَمَا يَحْمِي ٱلْمُحِبُّ حَبِيبَهُ مِنَ ٱلدَّاءِ ٱلْعُضَالِ

قَالَ حَضْرَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ : "**إِنَّ ٱللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ مَرِيضَهُ**" (إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٢٨)

لِكُلِّ شَيْءٍ يَفْعَلُهُ ٱللهُ بِعَبْدِهِ حِكْمَةْ سَوَاءٌ حَبَسَ عَنْهُ أَوْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ ٱلنِّعْمَةْ

إِنَّ رَأْسَ ٱلْخَطَايَا ٱلِاعْتِرَاضُ عَلَى ٱلْقَضَاءِ فَيَجِبُ ٱلتَّسْلِيمُ لِلهِ فِي ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ



(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ٧ ص ١٤٦



عَوَارِضُ تَمُرُّ عَلَى ٱلمُرِيدِ

لَا بُدَّ أَنْ تَمُرَّ بِٱلمُرِيدِ ٱلمَتَاعِبْ لِيَتَمَرَّنَ عَلَى تَحَمُّلِ ثِقَلِ ٱلمَصَاعِبْ
فَقَدْ يُحَمِّلُهُ ٱللهُ ٱلهُمُومَ وَٱلأَكْدَارَ وَٱلخَوْفَ وَٱلأَلَمَ وَٱلقِلَّةَ وَٱلأَخْطَارَ
وَٱلبَلَاءَ وَٱلقَلَقَ وَٱلتَّسَلُّطَ وَٱلمُضَايَقَاتِ وَٱلوَسَاوِسَ وَٱلخَوَاطِرَ وَغَيْرَهَا مِنَ ٱلمَشَقَّاتِ
وَتُمْحَى مِنْ فِكْرِهِ صُوَرُ أَكْثَرِ ٱلذِّكْرَيَاتِ وَيَنْسَى مَا حَفِظَ بِمَاضِيهِ مِنَ ٱلحَيَاةِ
وَهَذَا يَكُونُ تَدْرِيبًا أَوَّلِيًّا فِي ٱلبِدَايَةْ وَهُوَ لِعِلَاجِ ٱلنَّفْسِ وَلَيْسَ ٱلنِّهَايَةْ
لَا فَائِدَةَ تَأْتِي إِلَّا بِٱلزَّحَمَاتِ ٱلقَاسِيَةِ فَأَغْلَى ٱلأَثْمَانِ مَهْرُ ٱلمَعَارِفِ ٱلرَّاقِيَةِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ١٥٥ ـ ١٥٧)

ٱلإِصَابَةُ وَٱلمُصِيبَةُ هِيَ لِعِلَاجِ بَاطِنِ ٱلطَّالِبْ لَا مَفَرَّ مِنْهَا فَٱلعَبْدُ مَغْلُوبٌ وَٱللهُ غَالِبْ
وَلَا يَسْتَطِيعُ ٱلعَمَلَ بِٱلسُّلُوكِ وَٱلتَّفَكُّرَ بِٱلرَّابِطَةِ إِلَّا بَعْدَ إِزَالَةِ صُوَرِ ٱلمَاضِي ٱلمُتَرَبِّعَةِ
فِي ٱلقَلْبِ، لِأَنَّهَا تُحْدِثُ لِلسَّالِكِ مُشَاكَسَةً وَعِلَّةْ وَتَظْهَرُ عَلَيْهِ بِٱلمُرَاقَبَةِ كَأَمْرَاضٍ مُسْتَقِلَّةْ
فَإِذَا ٱنْمَحَتْ مِنَ ٱلقَلْبِ صَفَتِ ٱلمُرَاقَبَةْ وَصَارَتِ ٱلأَفْكَارُ ٱلبَاطِنِيَّةُ صَافِيَةً وَصَائِبَةْ
لِأَنَّ صُوَرَ ٱلمَاضِي تَغْلِبُ أَفْكَارَ ٱلذَّاتِ حِينَمَا يَفْتَحُ قَلْبَهُ لِلرَّابِطَةِ تَظْهَرُ كَٱلآفَاتِ
فَيَكُونُ ٱلمُرِيدُ ٱلمُبْتَدِئُ بِفَنِّ ٱلتَّفْكِيرِ وَكَأَنَّ فِكْرَهُ مِرْآةٌ تَعْكِسُ أَحْدَاثَ ٱلمَشَاوِيرِ
مَنْ أَصَابَهُ تَفْكِيرُهُ بِكُلِّ حَالٍ لَمَّةْ يَكُونُ قَدْ قَطَعَ أَشْوَاطًا مُهِمَّةْ
فَكُلُّ ٱلعَوَارِضِ ٱلنَّفْسِيَّةِ لِلمُرِيدِ خَفِيَّةْ يَأْتِي بِمُقَابِلِهَا إِحْسَاسَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ بَاطِنِيَّةْ

وَمَنْ سَلَكَ وَكَانَ مِنَ ٱلأَغْنِيَاءِ ... يَذُوقُ حَالَ ٱلْفَقْرِ بِٱلْفِكْرِ وَٱلْخَفَاءِ
لَا مَهْرَبَ مِنَ ٱلْفَقْرِ حَتَّى فِي ٱلْبَاطِنِ ... يَمُرُّ عَلَى كُلِّ مُرِيدٍ سَالِكٍ فِي مَوَاطِنِ
ٱلْبَعْضُ يَظُنُّهُ أَنَّهُ لِلإِنْسَانِ عِلَّةْ ... فَهَذَا حَالٌ طَيِّبٌ فِي بِدَايَةِ سُلُوكِ ٱلْقِلَّةْ
ٱلشَّيْطَانُ لَهُ تَدَخُّلَاتٌ بِوَعْدِ ٱلْفَقْرِ ... لِمَنْ كَانَ قَلِيلَ ٱلطَّاعَةِ وَٱلشُّكْرِ

قَالَ ٱللهُ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٦٨)

يُرْسِلُ أَحْوَالًا لِلْقَلْبِ مَعْنَوِيَّةً يُخَوِّفُ بِهَا ... وَيُعَرْقِلُ سُلُوكَ قُلُوبِ ٱلْعِبَادِ وَسَيْرَهَا
تَأْتِي هَذِهِ ٱلأَحْوَالُ لِلْقَلْبِ وَتَغِيبْ ... لِيَمُرَّنَهُ مُرْشِدُهُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ عَجِيبْ
هَذَا دَلِيلُ قُوَّةِ قَلْبِ ٱلْمُرِيدِ ... وَعَظَمَةِ هِمَّةِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْعَتِيدِ
وَهُنَالِكَ عَوَارِضُ لَا تَحْمِلُهَا ٱلْجِبَالْ ... لِكَثْرَةِ ثِقَلِ مَعَانِيهَا عَلَى هِمَمِ ٱلرِّجَالْ
إِذَا دَخَلَتْ قُلُوبَهُمْ طَرَحَتْهُمْ أَجْمَعِينْ ... يُجَاهِدُونَهَا مَعَ ٱلنَّزْعِ وَٱلأَنِينْ
لَا يَذُوقُ ٱلسَّالِكُ ٱلْمَعَارِفَ إِلَّا بَعْدَ ٱلإِصَابَةِ ... بِعَوَارِضَ ثَقِيلَةٍ مِنْ هُمُومٍ وَأَكْدَارٍ وَكَآبَةِ
كُلُّ هَمٍّ لَهُ عَطَاءٌ يُقَابِلُهُ وَزِيَادَةْ ... كَمْ مِنْ سَالِكٍ تَمَسَّكَ بِخُيُوطِ ٱلشَّهَادَةْ
يَقْضِي سُلُوكَهُ وَهُوَ يَمُرُّ بِطُرُقِ ٱلنَّزْعِ ... مَعَ ٱلأَلَمِ ٱلْبَالِغِ وَشِدَّةِ ٱلْوَجَعِ
لَا يَقْدِرُ عَلَى تَحَمُّلِهِ مُبْتَدِئٌ رَقِيقُ ٱلْهِمَّةِ ... لِأَنَّهُ خَاصٌّ لِكِبَارِ ٱلسَّالِكِينَ مِنَ ٱلأُمَّةِ

سُلُوكُ ٱلرِّضَا بِقَضَاءِ ٱللهِ جَلَّ جَلَالُهُ

إِعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلرِّضَا مَقَامْ ... فِيهِ سَبَبٌ لِرَفْعِ ٱلْحِجَابِ عَنِ ٱلأَنَامْ
إِذَا رَضِيَ ٱلْعَبْدُ بِمَا قَسَمَ ٱللهُ لَهُ ... يَرْضَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ عَلَيْهْ

قَالَ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (المائدة ١١٩) .

فَمَا يُصِيبُ ٱللهُ ٱلْمُرِيدَ بِهِ مِنْ بَلَاءْ فَلْيَسْتَقْبِلْهُ بِصَدْرٍ مَمْلُوءٍ بِالْقَبُولِ وَٱلرَّجَاءْ
قِيلَ مَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ ٱللهِ بِٱلْقَضَاءْ فَلَيْسَ لِحَمَاقَتِهِ وَلِدَائِهِ دَوَاءْ
إِذَا كَانَ لِلْمُرِيدِ سُرُورٌ بِٱلْمُصِيبَةِ مِثْلُ سُرُورِهِ بِٱلزَّوَاجِ مِنَ ٱلْحَبِيبَةِ
وَإِذَا ٱسْتَوَى عِنْدَهُ ٱلْمَنْعُ وَٱلْعَطَاءُ وَٱلْمَرَضُ وَٱلشِّفَاءُ وَٱلشِّدَّةُ وَٱلرَّخَاءُ
فَٱللهُ عَنْهُ رَاضٍ وَيَحْمِيهِ مِنَ ٱلْجَزَعِ وَيُعْطِيهِ ثَوَابَهُ مَعَ إِزَالَةِ مَرَارَةِ ٱلْوَجَعِ
فَٱلَّذِي يَعْلَمُ ثَوَابَ وَجَمِيلَ أَجْرِ ٱلشِّدَّةِ لَا يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا عَلَى طُولِ ٱلْمُدَّةِ
وَٱلَّذِي أَطْلَعَهُ ٱللهُ عَلَى خَفِيِّ لُطْفِهِ رَضِيَ بِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَضَائِهِ وَفِعْلِهِ

فَقَدَ أَحَدُ ٱلصُّوفِيَّةِ وَلَدَهُ ٱلصَّغِيرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ خَبَرٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ سَأَلْتَ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْكَ فَقَالَ: سُؤَالِي ٱعْتِرَاضِي فِيمَا قَضَى وَإِنَّهُ لَأَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ضَيَاعِ وَلَدِي.

مَنْ رَضِيَ بِٱللهِ فِيمَا كَتَبَهُ وَقَضَاهُ وَهَبَهُ بِٱلدُّنْيَا ذِكْرَهُ وَبِٱلآخِرَةِ أَغْنَاهُ

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: **" عَجَبًا لِأَمْرِ ٱلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ "** . (صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١٨ ص ١٢٥)

ٱلَّذِي فَقَدَ ٱلْبَصَرَ يُنْكِرُ جَمَالَ ٱلصُّوَرِ وَٱلَّذِي فَقَدَ ٱلرِّضَى وَقَعَ بِأَشَدِّ خَطَرٍ
مَا يُنَاقِضُ ٱلرِّضَى، ذَمُّ ٱلْفَقْرِ وَٱلْحَيَاةِ وَذَمُّ ٱلْأَطْعِمَةِ وَعَيْبُهَا وَذَمُّ ٱلْمَمَاتِ
عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلتَّسْلِيمُ لِتَدْبِيرِ ٱلصَّانِعْ وَلْيَكُنْ بِقَضَاءِ ٱللهِ وَقَدَرِهِ قَانِعْ
هُنَاكَ مُكَاشَفَاتٌ تُحْجَبُ عَنِ ٱلْكَامِلِينَ فَيَخَافُ مِنْ ذَلِكَ كِبَارُ ٱلْعَامِلِينَ
يَظُنُّ ٱلْعَامِلُ أَنَّ ذَلِكَ عِقَابْ بِإِغْلَاقِ ٱلْمُكَاشَفَاتِ مِنْ كُلِّ بَابْ
وَذَلِكَ كَيْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا فَيَلْهُو وَيَقِفَ عَنْ ذِكْرِ مَوْلَاهُ وَيَسْهُو

حَيْثُ ٱلعطَاءُ كَثِيرٌ غَيْرُ مَحْدُودْ ... مَنْ يَنْشَغِلْ فِيهِ كَانَ لِانْشِغَالِهِ حُدُودْ
ٱلمَطْلُوبُ، إِذَنْ، ٱلرِّضَا فِي كُلِّ ذَلِكْ ... فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ نَجَاتَنَا مِنَ ٱلمَهَالِكْ
وَعَلَيْنَا حِينَ ظُهُورِ ٱلمَعَارِفِ عَلَى ٱلقُلُوبِ ... أَلَّا نَلْتَهِيَ بِهَا بَلْ نَسْجُدُ لِعَلَّامِ ٱلغُيُوبِ
فَمَنْ صَارَ ٱلرِّضَا صِفَةَ ذَاتِهِ ... تَمَكَّنَ مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ فِي سَائِرِ حَالَاتِهِ
فَيُصْبِحُ ذُلُّهُ لِلهِ عِزًّا بَيْنَ ٱلخَلْقِ ... ذَا نَفْسٍ مُتَوَاضِعَةٍ سَالِكَةٍ طُرُقَ ٱلحَقِّ
هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ قُلُوبِ ٱلرِّجَالِ ٱلكَامِلَةْ ... فَمَنْ أَحَبَّهُمْ نَالَ ٱلسَّعَادَاتِ ٱلشَّامِلَةْ
فَعَسَاهُ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ مَنْ أَحَبّْ ... إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ سُلُوكَ ذَلِكَ ٱلدَّرْبْ
فَبَذْلُ ٱلنَّفْسِ وَٱلرِّضَى وَصْلُ ٱلأَوْلِيَاءْ ... فَٱسْمَعْ عَنْهُمْ بِسُلُوكِ ٱلذُّلِّ مَا جَاءْ
ٱنْتَهَى ٱلمُرِيدُونَ لِلْوِلَايَةِ بِإِذْلَالِ ٱلنَّفْسْ ... إِلَى حَدِّ ٱلهَوَانِ حَتَّى ضَاعَ ٱلحِسْ

رُوِيَ أَنَّ ٱبْنَ ٱلكَرِيبِيِّ، وَهُوَ أُسْتَاذُ ٱلإِمَامِ ٱلجُنَيْدِ، دَعَاهُ رَجُلٌ إِلَى طَعَامٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ كَانَ يَرُدُّهُ ثُمَّ يَسْتَدْعِيهِ فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي ٱلمَرَّةِ ٱلرَّابِعَةِ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: قَدْ رِضْتُ نَفْسِي عَلَى ٱلذُّلِّ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ (ذ) يُطْرَدُ فَيَنْطَرِدُ ثُمَّ يُدْعَى فَيَرْمِي، وَلَوْ رَدَدْتَنِي خَمْسِينَ مَرَّةً ثُمَّ دَعَوْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ لَأَجَبْتُ.

هَذَا هُوَ ٱلِٱفْتِقَارُ وَٱلرِّضَا ٱلكَامِلْ ... فَلْيَعْمَلْ مِثْلَهُ كُلُّ مُرِيدٍ وَسَالِكٍ عَامِلْ
هَكَذَا كَانُوا يُرَوِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْخَلَاصِ ... مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلخَلْقِ بِذَا ٱلِٱخْتِصَاصِ
فَالمُلْتَفِتُ إِلَى نَفْسِهِ مَحْجُوبٌ ... فَإِنَّ شُغْلَهُ بِنَفْسِهِ[1] حِجَابٌ مَضْرُوبٌ
كَانَ عِلَاجُ ٱلمُرْشِدِينَ لِطُلَّابِهِمْ ... قَاسِيًا شَدِيدًا فَيُغْلِقُونَ دُونَهُمْ أَبْوَابَهُمْ
وَيَأْمُرُونَ بِحَلْقِ ٱلرُّؤُوسِ وَلُبْسِ ٱلمُرَقَّعِ ... وَتَرْكِ ٱلطَّعَامِ ٱللَّذِيذِ وَشُرْبِ ٱلمُصَقَّعِ
وَتَعْلِيقِ ٱلمِخْلَاةِ بِٱلرَّقَبَةِ بِقَصْدِ ٱلذُّلّْ ... وَٱلتَّجَوُّلِ بِٱلأَسْوَاقِ لِيَرَاهُ ٱلكُلّْ
وَٱلتِقَاطِ ٱلخُبْزِ ٱليَابِسِ مِنَ ٱلشَّوَارِعْ ... فَهَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ فِي ٱلتَّرَقِّي يُسَارِعْ

(١) أَيْ شُغْلُهُ بِنَفْسِهِ عَنِ ٱلطَّاعَاتِ.

فَالَّذِي كَانَ يَمْتَنِعُ وَيَسْتَعْلِي يَعُدُّونَهُ مُتَكَبِّرًا فَيَرْفُضُونَهُ وَعَنْ طَرِيقِهِمْ يُبْعِدُونَهُ
وَمَنْ قَبِلَ ذُلَّ نَفْسِهِ لِلَّهِ فَقَدْ فَازَ وَوَصَلَ بِطَرِيقِهِ إِلَى بَابِ سَيِّدِ الْحِجَازِ ﷺ
لَا يَنْجُو مِنْ مَرَضِ الْهُرُوبِ مِنَ الذُّلِّ إِلَّا الْقَلِيلُ مَعَ أَنَّ الذُّلَّ دَوَاءٌ شَافٍ لِلْكُلِّ

عَنْ سَعْدٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ"**. (مصابيح السنة ج ٣ ص ٤٤٧)

الْمُرِيدُ وَنِعَمُ اللَّهِ تَعَالَى

عَلَى الْمُرِيدِ الَّذِي يُغْنِيهِ اللَّهُ مِنَ الذَّهَبْ أَنْ يُحْسِنَ اسْتِعْمَالَهُ وَيُرْضِيَ مَنْ وَهَبْ
فَلَا يُبَذِّرُهُ تَبْذِيرًا وَلَا يَحْبِسُهُ فِي خَزَائِنِهِ وَلَا يَسْتَعْلِي عَلَى الْخَلْقِ لِيَرْفَعَ مِنْ شَأْنِهِ
وَيَسْتَعْمِلُهُ كَمَا الشَّرْعُ قَرَّرَ وَأَمَرَ وَلْيَحْذَرِ اللَّهَ فِيمَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **" لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ "**(مصابيح السنة ج ٣ ص ٤٢٨)

الْاِعْتِدَالُ هُوَ دَوَاءٌ وَمِقْيَاسٌ شَافٍ وَلَا يَتَذَوَّقُ ذَلِكَ إِلَّا مُرِيدٌ صَادِقٌ صَافٍ

قَالَ ﷺ: **" كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ "**.(١)

التَّصَوُّفُ مِنَ التَّنَعُّمِ الْمُعْتَدِلِ لَا يَمْنَعْ أَمَّا مَنْ تَنَعَّمَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ شَبِعْ
وَامْتَلَأَ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ وَالْمَعَانِي وَتَمَكَّنَ وَتَيَقَّنَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فَانِي
فَيَغْلِبُ نَعِيمُ إِيمَانِهِ عَلَى نَعِيمِ دُنْيَاهُ فَيَعِيشُ مُتَنَعِّمًا مَسْرُورًا حَسَبَ مُسْتَوَاهُ
فَتَظْهَرُ نِعَمُ اللَّهِ عَلَى ظَاهِرِهِ بَرَّاقَةْ فَيُضِيءُ وَجْهُهُ كَأَنَّ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَرْدِ بَاقَةْ

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٢٥٢

لَا مَانِعَ أَنْ يَلْبسَ ٱلْمُرِيدُ لِبَاسًا مُحْتَرَمَا فَإِنَّ ٱللهَ بِهَذِهِ ٱلنِّعْمَةِ قَدْ تَكَرَّمَا

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى ١١)

إِنْ كَانَ قَلْبُ ٱلْمُرِيدِ مَعَ ٱللهِ فَلَا يُبَالِي بِلِبَاسٍ مُزَخْرَفٍ وَبِثَمَنٍ غَالِي

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْمُزَنِيُّ: " ٱلْبِسُوا ثِيَابَ ٱلْمُلُوكِ وَأَمِيتُوا قُلُوبَكُمْ بِٱلْخَشْيَةِ".

مَنْ أَكَلَ لِلهِ وَلَبِسَ لِلهِ وَلِلهِ عَمِلْ فَلَا يُبَالِي مَا يَلْفِظُهُ عَدُوُّهُ مِنْ جُمَلْ

فَإِنْ لَمْ يُخَالِطْهُ سُمْعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ وَسَرَفُ وَلَا رِيَاءٌ وَمُبَاهَاةٌ فِي ذَلِكَ أَوْ تَرَفُ

فَفِيهِ ٱلْخَيْرُ ٱلْعَظِيمُ وَٱلِاطْمِئْنَانُ ٱلْمُسَكِّنْ وَٱلْعَمَلُ بِعَكْسِ ذَلِكَ سُرُورُهُ غَيْرُ مُمْكِنْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ "إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ".[1] (الفتح الكبير ج١ ص ٣٥٥)

فَلَا مَقَامَ وَلَا رِفْعَةَ إِلَّا بِٱلِاقْتِدَاءِ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ وَٱلْمُخَالِفُ لِجَنَابِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ فَهُوَ غَبِيّ

فَٱلْإِنْسَانُ خَلَقَهُ ٱللهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى دِينِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَ ثُبُورًا

إِنَّ لِلْمُرِيدِ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَظًّا فَلْيَأْخُذْ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ وَلَا يَكُنْ فَظًّا

فَلْيَأْخُذْ مِنَ ٱلْمَلْبَسِ وَٱلْمَطْعَمِ وَٱلْمَشْرَبْ وَٱلْمَنْكَحِ وَلَا يَجْعَلْهَا لَهُ ٱلْمُسْتَقَرَّ وَٱلْمَطْرَبْ

وَلَا يَسْعَى لِيَمْلِكَ قُلُوبَ ٱلنَّاسِ وَيَغْرِسَ فِيهَا خَوْفَهُ وَٱلتَّعْظِيمَ وَبَعْضُهُمْ لِيَحْرُسَ

أَمْلَاكَهُ وَثَرَوَاتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ بِقُوَّةِ بَطْشِهِ وَٱلْمُتَمَنِّعُ مِنْهُمْ يُخَوِّفُهُ بِقُوَّةِ سُلْطَتِهِ

وَيَجْعَلُهُمْ عَبِيدًا لَهُ كَمَا فِي ٱلْأَزْمِنَةِ ٱلْمَاضِيَةْ فَٱسْتِعْبَادُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدِّينِ ضَرْبَةٌ قَاضِيَةْ

وَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُشْغِلُ ٱلْقَلْبَا ٱلْقُوتُ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱلْبَطْنَ خَرِبَا

قَالَ شَقِيقُ ٱلْبَلْخِيُّ: "إِنَّ ٱلْعِبَادَةَ حِرْفَةٌ حَانُوتُهَا ٱلْخَلْوَةُ وَآلَاتُهَا ٱلْجُوعُ " .

مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ ٱلشُّكْرِ وَٱلنِّعَمْ سَلَبَهَا مَوْلَاهُ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (النحل ١٨)

(١) أَفْضَلُ ٱلنِّعَمِ نِعْمَةُ ٱلْإِيمَانِ وَٱلتَّوْحِيدْ فَٱلَّذِي نَالَهَا عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ ٱللهَ وَيَزِيدْ

السَّالِكُ وَالزَّوَاجُ الْفَاسِدُ

إِذَا لَمْ يَتَوَفَّقِ الْمُرِيدُ بِزَوَاجِهِ ... بِامْرَأَةٍ صَالِحَةٍ فَقَدْ يَزْدَادُ اعْوِجَاجُهُ

عَنْ بَرْنَامِجِ سُلُوكِهِ وَأَوْرَادِهِ الْقَلْبِيَّةْ ... وَتَتَرَاكَمُ عَلَيْهِ الْمَشَاكِلُ وَالْعَكْسِيَّاتُ الزَّوْجِيَّةْ

فَتَتَعَطَّلُ الْمُجَاهَدَةُ عِنْدَهُ وَتُؤْذِيهِ ... فَيَنْشَغِلُ قَلْبُهُ وَلَطَائِفُهُ بِمَا هُوَ فِيهِ

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ زَوْجَتُهُ كَأَحْوَالِهِ ... بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَسَائِرِ تَجْوَالِهِ

لِتُنَاسِبَ أَحْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ بِالْإِحْسَاسِ ... لِأَنَّهُ لَا يُنَاسِبُهُ أَيَّةُ زَوْجَةٍ مِنَ النَّاسِ

يَجِبُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِزَوْجَةٍ زَاهِدَةٍ تَقِيَّةٍ صَابِرَةٍ ... شُعُورُهَا رَاقٍ بِهَذِهِ الدُّنْيَا الْعَابِرَةِ

تَسْعَى بِالطَّاعَاتِ لِلْجَنَّاتِ الْخَالِدَةْ ... فَلَا يَصْلُحُ لِلْمُرِيدِ وَالسَّالِكِ إِلَّا زَوْجَةٌ عَابِدَةْ

لِأَنَّ الْأَضْرَارَ تَحْصُلُ عِنْدَ الْتِقَاءِ الصُّدُورِ ... فَيَنْكَشِفُ لَهُ مَا فِيهَا مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شُرُورِ

لِأَنَّ قَلْبَهُ كَالْمِرْآةِ مُهَيَّأٌ لِلْمُكَاشَفَاتِ ... فَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ يَنْكَشِفُ مَا فِيهِ مِنْ صِفَاتِ

إِذَا انْقَلَبَتْ شَهْوَتُهُ إِلَى حَالَةٍ رُوحِيَّةٍ ... وَشَعَرَتْ لَطَائِفُهُ بِسَعَادَاتٍ قَلْبِيَّةٍ

فَتِلْكَ إِشَارَةُ قَبُولٍ لِمَا اخْتَارَ ... فَتَزْدَادُ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُمَا مَوَدَّةً وَأَسْرَارَ

قال ﷻ ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم ٢١) ... أَمَّا الزَّوْجَةُ السَّيِّئَةُ فَتَزِيدُهُ تَعَبًا وَزَحْمَةْ

فَيَكْتَمِلُ الدِّينُ بِامْرَأَةٍ مُلْتَزِمَةٍ ... وَقَدْ يَنْقُصُ بِالزَّوَاجِ مِنِ امْرَأَةٍ مُجْرِمَةٍ

كَالْعَاصِيَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَزَوْجِهَا التَّقِيِّ ... الَّتِي لَا تَأْتَمِرُ إِلَّا بِأَمْرِ إِبْلِيسَ الشَّقِيِّ

لِذَلِكَ صَرَّحَ السَّادَةُ الْكِرَامُ النَّقْشَبَنْدِيَّةْ ﵃ ... لِلسَّالِكِ بِضَرُورَةِ اخْتِيَارِ زَوْجَةٍ مِثَالِيَّةْ

وَقَالَ صَاحِبُ الْوَجْهِ الْبَاسِمِ الْمُنِيرْ ... نَبِيُّنَا ﷺ النَّاصِحُ الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ الْبَشِيرْ ﷺ

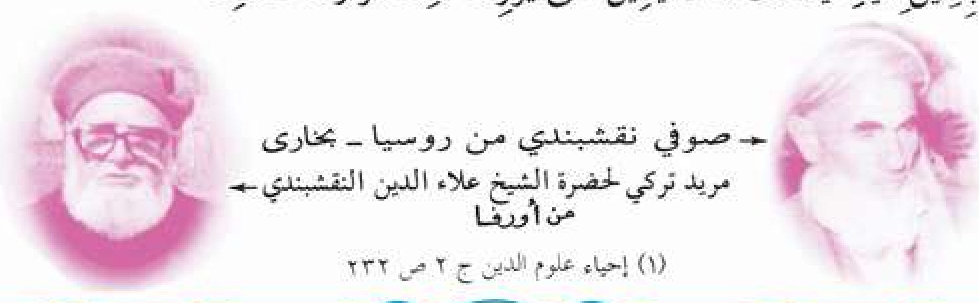
" **فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ** "[1]. ... فَلَا تُطِعْ بِزَوَاجِكَ شَهْوَةَ هَوَاكَ

إِذَا كَانَتِ الزَّوْجَةُ غَيْرَ مَرْضِيَّةٍ ... تُصِيبُ بَاطِنَ زَوْجِهَا بِوَسَاوِسَ رُوحِيَّةٍ

(١) صحيح الإمام مسلم ﵀ ح ١٠ ص ٥١

نَاهِيكَ عَنِ ٱلِاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ وَٱلْفَسَادِ ... وَمُتَطَلَّبَاتِهَا ٱلدُّنْيَوِيَّةِ فِي ٱتِّبَاعِ مُوضَةِ ٱلْبِلَادِ
وَمُسَانَدَةِ أَوْلَادِهَا بِٱلْمُخَالَفَاتِ ٱلشَّرْعِيَّةْ ... وَإِذَا نَصَحْتَهَا تَقُولُ تِلْكَ أُمُورٌ فَرْعِيَّةْ
تُرَغِّبُهُمْ بِٱلْمُوضَةِ ٱلدَّارِجَةِ وَجَمْعِ ٱلْحُطَامِ ... وَلَا تُشَجِّعُهُمْ عَلَى ٱلصَّلَاةِ وَٱلذِّكْرِ وَٱلصِّيَامِ
يَظَلُّ ٱلْمُرِيدُ مَعَهُمْ بِتَنَاحُرٍ وَجِدَالِ ... يَشْغَلُونَ قَلْبَهُ بِٱلضِّيقِ وَٱلْقَالِ
فَيَتَرَاكَمُ عَلَيْهِ ٱلْغَضَبُ ٱلْمُضِرُّ وَيُؤْذِيهِ ... فَيُعْطِيهِ ٱللهُ صَبْرًا وَبَعْدَهَا يَجْزِيهِ
كَثِيرٌ مِنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ هَجَرُوا ٱلزَّوَاجْ ... بَعْدَمَا نَفَدَ صَبْرُهُمْ وَتَعَكَّرَ ٱلْمِزَاجْ
فَعَلَى ٱلزَّوْجَةِ تَوْفِيرُ وَسَائِلِ ٱلرَّاحَةِ ... لِزَوْجِهَا ٱلْمُرِيدِ ٱلسَّالِكِ وَتَنْظِيفُ ٱلسَّاحَةِ
وَتَتَحَمَّلُ مَعَهُ ٱلْمَصَائِبَ وَمَا ٱللهُ قَدَّرْ ... فَٱلدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِٱلْجِهَادِ وَٱلْقَهْرْ
حَتَّى تَنَالَ مِنْ رَبِّهَا أَجْرًا عَلَى صَبْرِهَا ... تَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِذَا دَخَلَتْ إِلَى قَبْرِهَا

عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ: **"سَيَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ كَالثَّعْلَبِ ٱلَّذِي يَرُوغُ"** قِيلَ لَهُ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ؟ قَالَ: **"إِذَا لَمْ تُنَلِ ٱلْمَعِيشَةُ إِلَّا بِمَعَاصِي ٱللهِ تَعَالَى فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ٱلزَّمَانُ حَلَّتِ ٱلْعُزُوبَةُ"** قَالُوا: وَكَيْفَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ وَقَدْ أَمَرْتَنَا بِٱلتَّزْوِيجِ؟ قَالَ ﷺ: **"إِذَا كَانَ ذَلِكَ ٱلزَّمَانُ كَانَ هَلَاكُ ٱلرَّجُلِ عَلَى يَدِ أَبَوَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ"**، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ؟ قَالَ ﷺ: **"يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ ٱلْيَدِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ حَتَّى يُورِدَهُ ذَلِكَ مَوَارِدَ ٱلْهَلَكَةِ"**(1).



(1) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٣٢

عِلَاجُ الْمُرِيدِ قَبْلَ الزَّوَاجِ

الْمُرِيدُ يَتَزَوَّجُ لِلهِ كَتَجَرُّدِهِ لِرَبِّهِ ﷻ … لَكِنْ لَا يُقْدِمُ عَلَى التَّزَوُّجِ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِحَرْبِهِ

مَعَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْهَوَى … حَتَّى إِذَا أَلْجَمَهُمْ هَيَّأَ لِنَفْسِهِ مَأْوَى

لَا يَسْتَعْجِلُهُ طَبْعُهُ لِلزَّوَاجِ بِدُونِ إِصْلَاحِ … قَلْبِهِ وَلَطَائِفِهِ وَنَفْسِهِ . بَعْدَهُ يَعْزِمُ بِانْشِرَاحِ

لِأَنَّ نَفْسَهُ صَارَتْ مُنْقَادَةً مِطْوَاعَةْ … مُجِيبَةً إِلَى مَا يُرِيدُهُ اللهُ مَعَ الْقَنَاعَةْ

فَيَنْتَخِبُ لَهُ زَوْجَةً صَالِحَةً انْتِخَابًا … وَيُهَيِّئُ لَهُ رَبُّهُ ﷻ أَعْوَانًا وَأَسْبَابًا

وَيُنْعِمُ عَلَيْهِ بِرَفِيقٍ وَشَرِيكٍ لِحَيَاتِهِ … وَيُسَاقُ إِلَيْهِ الرِّزْقُ وَسَائِرُ آلَاتِهِ

وَمَتَى اسْتَعْجَلَ الْمُرِيدُ الزَّوَاجَ وَارْتَبَطْ … غَلَبَهُ دُخَانُ الشَّهْوَةِ وَتَمَلَّكَهُ الْغَلَطْ

وَانْحَطَّ مِنْ أَوْجِ الْعَزِيمَةِ إِلَى النُّقْصَانْ … وَشَهِدَ لَهُ بِالِاسْتِعْجَالِ الضِّيقُ وَالْحِرْمَانْ

مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ رُوحِيَّةٍ وَبَاطِنِيَّةٍ … كَانَتْ تُقَدَّمُ لَهُ حِينَ سُلُوكِهِ كَهَدِيَّةٍ

ذَرَّةٌ مِنْهَا تُسَاوِي كُلَّ لَذَّةِ الشَّهَوَاتِ … كَانَتْ تَأْتِيهِ بِعَجَائِبَ مَحْجُوبَةٍ فِي الْحَيَاةِ

فَالشَّرْعُ لَا يَمْنَعُ الزَّوَاجَ لِكُلِّ طَالِبْ … وَلَكِنَّ الْمُرِيدَ مَرَضُهُ عَلَيْهِ غَالِبْ

فَالْعِنِّينُ[1] عَلَيْهِ مُدَاوَاةُ نَفْسِهِ قَبْلَ الزَّوَاجِ … وَكَذَلِكَ الْمُرِيدُ عَلَيْهِ إِخْضَاعُ نَفْسِهِ لِلْعِلَاجِ

الْمُرِيدُونَ فِي الزَّوَاجِ أَحْوَالُهُمْ مُتَنَوِّعَةْ … الْبَعْضُ يَرْتَقِي مَقَامَاتٍ بِالزَّوَاجِ وَيَزْدَادُ رِفْعَةْ

لِأَنَّ الْكَمَالَ دَخَلَ فِي فُؤَادِهِ … وَالْبَعْضُ يَزِيدُ زَوَاجُهُ فِي غَفْلَتِهِ وَاعْوِجَاجِهِ

فَمَحْوُ الْعَوَائِقِ وَقَطْعُ الْمُرِيدِ لِلْعَلَائِقْ … يُسَرِّعُ قَدَمَ الْمُرِيدِ لِنَيْلِ بَرَكَةِ الطَّرَائِقْ

التَّصَوُّفُ لَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةْ … بَلْ يُقَدِّمُ كُلَّ مَا فِيهِ إِصْلَاحٌ لِلْأُمَّةْ

فَالْمُرْشِدُ يَخَافُ عَلَى كُلِّ مُرِيدْ … عِنْدَمَا يَكُونُ قَلْبُهُ مَفْتُوحًا وَيَسْتَفِيدْ

مِنْ أَنْ تَبْلَعَهُ الدُّنْيَا بَعْدَ الزُّهْدِ … وَتُغَيِّرَ حَالَهُ وَسُلُوكَهُ بَعْدَ الْجُهْدِ

مَا رَأَيْنَا أَحَدًا تَزَوَّجَ إِلَّا طَبِيعَتُهُ تَغَيَّرَتْ … وَإِذَا لَمْ يُلَبِّ مَطَالِبَ زَوْجَتِهِ اسْتَنْفَرَتْ

(١) الْعِنَّةُ: عِلَّةٌ تَقْطَعُ الشَّهْوَةَ وَتَمْنَعُ مِنَ الْجِمَاعِ.

فَإِنْ كَانَ قَلْبُهُ مَشْغُولًا بِالْأَذْكَارِ ... فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَ أَعْبَاءِ الزَّوْجِيَّةِ وَالْأَخْطَارِ

إِلَّا بَعْدَ انْتِهَائِهِ مِنْ رِحْلَتِهِ الْقَلْبِيَّةِ ... وَإِغْلَاقِ قَلْبِهِ وَلَطَائِفِهِ النُّورَانِيَّةِ

لَا يَفْهَمُ مَا نَقُولُ إِلَّا رَجُلٌ كَامِلْ ... كَانَ بِالسُّلُوكِ وَالتَّصَوُّفِ عَامِلْ

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : **"أَصَابَتْكُمْ فِتْنَةُ الضَّرَّاءِ فَصَبَرْتُمْ ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِتْنَةَ السَّرَّاءِ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ ، إِذَا تَسَوَّرْنَ الذَّهَبَ ، وَلَبِسْنَ رِيَطَ**[1] **الشَّامِ ، وَعُصَبَ الْيَمَنِ ، وَأَتْعَبْنَ الْغَنِيَّ ، وَكَلَّفْنَ الْفَقِيرَ مَا لَا يَجِدُ"**[2].

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعُقُولِ مِنَ الْحُكَمَاءِ ... مُعَالَجَةُ الْعُزُوبَةِ خَيْرٌ مِنْ مُعَالَجَةِ النِّسَاءِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :**"تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"** (صحيح الإمام مسلم ﷺ ج١٠ ص٥١)

قَالَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ ﷺ : "وَاللهِ مَا أَصْبَحَ رَجُلٌ يُطِيعُ امْرَأَتَهُ فِيمَا تَهْوَى إِلَّا كَبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ" . (إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٤٤)

تَنْطَلِقُ النَّفْسُ بِهَذَا التَّكَلُّفِ عَنْ حَدِّ الْاِعْتِدَالِ ... وَتَبْقَى مَشْغُولَةً بِتَحْصِيلِهِ إِلَى حَدِّ الْاِسْتِرْسَالِ

فَتَسْتَوْلِي عَلَى الْقَلْبِ بِتِلْكَ الْغَفْلَةِ ... فَيَقِلُّ عَلَيْهِ الْوَارِدُ فِي تِلْكَ الْمُهْلَةِ

الْمُرِيدُ الْيَقِظُ لَهُ عَيْنٌ بَاطِنَةٌ تُرَاقِبْ ... أُمُورَهُ الْحَيَاتِيَّةَ حَتَّى لَا يَرْتَدَّ عَلَى الْعَقِبْ

وَإِذَا تَسَاهَلَ أَوْرَثَهُ تَسَاهُلُهُ بِالْمُرَاقَبَةِ ... بَلَادَةً فِي الرُّوحِ لِغَلَبَةِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا الْمُتْعِبَةِ

وَفِتْنَةُ الْأَعْزَبِ مُرُورُ النِّسَاءِ بِخَوَاطِرِهِ ... وَعُبُورُ صُوَرِهِنَّ وَتَصَوُّرِهِنَّ فِي مُخَيِّلَتِهِ

فَمَنْ تَزَكَّتْ نَفْسُهُ تَوَلَّدَتْ فِيهِ الطَّهَارَةْ ... فَلَا تُلَوِّثُ بَاطِنَهُ شَهْوَةٌ وَلْيَهْرُبْ بِمَهَارَةْ

وَقَدْ قِيلَ : مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ يُرَبِّيهِ الْقَلْبْ ... حَيْثُ تَأْتِي صُوَرُ الْخَوَاطِرِ لِلْبَاطِنِ كَالْجَلْبْ

نَظَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْقُلُوبِ لِحَالِ الْمُرَاقِبْ ... وَكَانَ مُتَخَفِّيًا بِسُجُودِهِ صَابِرًا عَلَى دِينِهِ كَاتِبْ

قَالَ : إِنِّي أَرَاكَ نَحِيلًا كَعُودِ الْقَلَمِ ... وَعَلَى جَبِينِكَ سِمَاتٌ لَوَّاحَةٌ كَالْعَلَمِ

وَلَكَ لِسَانٌ كَاتِمٌ صَابِرٌ عَلَى الْأَلَمِ ... وَعَيْنَانِ تَذْرِفَانِ مِنَ الْحُزْنِ وَالنَّدَمِ

(١) الرِّيَطُ : الْمُلَاءَةُ إِذَا كَانَتْ قِطْعَةً وَاحِدَةً.

(٢) الجامع الصغير ج ١ ص ٧٠

إِنْ قَدِرَ ٱلْمُرِيدُ عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱلْمُقَاوِمَةِ   وَعَالَجَ ٱلشَّهْوَةَ ٱلْحَادَّةَ بِحُسْنِ ٱلْمُعَامَلَةِ

وَٱسْتَعْمَلَ ٱلْعَقْلَ ٱلسَّلِيمَ وَٱلْفِكْرَةَ ٱلْحَسَنَةْ   وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى ٱلْمُجَاهَدَةِ لِمُتَابَعَةِ ٱلْمَلْحَمَةْ

فَقَدْ حَازَ عَلَى ٱلْفَضْلِ بِٱمْتِيَازِ   لِأَنَّهُ صَارَ مَشْغُولًا بِٱللهِ خَفِيفَ ٱلْحَاذِ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : "خَيْرُ ٱلنَّاسِ بَعْدَ ٱلْمِائَتَيْنِ ٱلْخَفِيفُ ٱلْحَاذِ ٱلَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ"[1] .

وَسُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ عَنِ ٱلنِّسَاءِ فَقَالَ :

" اَلصَّبْرُ عَنْهُنَّ خَيْرٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ عَلَيْهِنَّ وَٱلصَّبْرُ عَلَيْهِنَّ خَيْرٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلنَّارِ".

اَلْمُرِيدُ ٱلصُّوفِيُّ مُبْتَلًى بِٱلنَّفْسِ وَمَطَالِبِهَا   فَٱلشَّيْطَانُ بِوَسْوَسَتِهِ يُشْغِلُهَا وَلَا يَتْرُكُهَا

فَهَلْ يَقْدِرُ أَنْ يُضِيفَ فَوْقَهَا مُطَالَبَاتْ   كَزَوْجَةٍ لَهَا حَاجَاتٌ وَلَوَازِمُ وَمُتَطَلَّبَاتْ ؟

فَلَا بُدَّ عِنْدَهَا أَنْ يَتْرُكَ مَا هُوَ فِيهِ وَيَرْحَلْ   لِيَبْحَثَ عَنْ مَطَالِبِهَا حَتَّى لَا تَزْعَلْ

فَيَضْعُفُ سُلُوكُهُ وَتَكِلُّ إِرَادَتُهُ وَتَفْتُرُ عَزِيمَتُهُ   فَيَقِلُّ عِنْدَ ٱلرُّوحَانِيِّينَ قَدْرُهُ وَقِيمَتُهُ

فَهُوَ عَامِلٌ لِقَمْعِ ٱلنَّفْسِ وَقَهْرِهَا   وَيَسْعَى كُلَّ جَهْدِهِ لِعِلَاجِ جَهْلِهَا

اَلْمُرِيدُ إِذَا أَدَّبَ نَفْسَهُ بِٱلْعِبَادَةْ   وَٱلصَّوْمِ تَقِلُّ ٱلْخَوَاطِرُ ٱلزَّائِدَةْ

وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُمَكِّنَ خَوَاطِرَ ٱلنِّسَاءِ   مِنْ بَاطِنِهِ وَكُلَّمَا خَطَرَتْ لَهُ يَفِرُّ مِنَ ٱلْوَبَاءِ

إِلَى رَبِّهِ ﷻ بِحُسْنِ ٱلْإِنَابَةِ فَيَتَدَارَكُهُ   وَيُقَوِّي عَزِيمَتَهُ بِٱلصَّبْرِ وَبِنَفَحَاتِهِ يُؤَيِّدُهُ

فَتَسْكُنُ نَفْسُهُ عَنِ ٱلْمُطَالَبَةِ بِرَغَبَاتِهَا   وَتَنْضَبِطُ خَوَاطِرُهُ ٱلْمُتْلِفَةُ عَنْ سَيِّئَاتِهَا

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ : " مَنْ تَعَوَّدَ أَفْخَاذَ ٱلنِّسَاءِ لَا يُفْلِحُ " .

لِأَنَّهُ يُفَرِّغُ وَقْتَهُ لِلرَّفَاهِيَةِ وَٱلدَّعَةِ   وَتَمْنَعُهُ مُصَاحَبَتُهَا مِنَ ٱلْأَذْكَارِ ٱلنَّافِعَةِ

وَيَتَسَلَّطُ عَلَى ٱلْبَاطِنِ مَحَبَّةُ ٱلْإِدِّخَارِ   وَٱلْقُرْبُ مِنْهَا لَيْلًا وَفِي ٱلنَّهَارِ

قَالَ ﷻ: ﴿... إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن ١٤)

مِنَ ٱلْمُرِيدِينَ ٱلْكَامِلِينَ مَنْ هُوَ مِزْوَاجْ   يَتَزَوَّجُ ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا خَوْفًا مِنَ ٱلِاعْوِجَاجْ

يُفَرِّغُ مَا فِي صُلْبِهِ مِنْ شَهَوَاتٍ   خَوْفًا مِنْ خَوَاطِرِ ٱلنِّكَاحِ وَٱلْمَلَذَّاتِ

(١) كشف الخفاء ج ١ ص ٣٨٦

يُحِبُّ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ ﷻ الْعِبَادِ ... نَظِيفَ الْبَاطِنِ مِنْ خَوَاطِرِ الشَّهَوَاتِ بِالْبِلَادِ

لَا يَرْضَى أَنْ يَشْغَلَهُ عَنْ رَبِّهِ ﷻ خَاطِرْ ... فَيُفَرِّغُ مَا يَشْغَلُهُ مِنْ تِلْكَ الْخَوَاطِرْ

شَرْحُ ذَلِكَ يَطُولُ عَلَى الْعُقُولِ ... لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْكَمَالِ مِنَ الْفُحُولِ

لَهُمْ حَالٌ مَعَ النَّفْسِ لِإِصْلَاحِ هَوَاهَا ... يَجْعَلُونَ مِنْ دَاءِ النَّفْسِ دَوَاءَهَا

فَهَذِهِ أَحْوَالُ الْأَقْوِيَاءِ وَتَخْتَصُّ بِهِمْ ... يُسَخِّرُونَ شَهْوَتَهُمْ لِطَاعَةِ رَبِّهِمْ ﷻ وَكَذَا لَذَّاتِهِمْ

حَتَّى أَصْبَحَتِ الشَّهَوَاتُ لَا تَضُرُّهُمْ ... فَهِيَ مُفِيدَةٌ لِتَرَقِّي أَحْوَالِهِمْ

حَيْثُ تَبَدَّلَتْ شَهَوَاتُهُمْ إِلَى طَاعَةِ ... بَارَكَ اللهُ بِتِلْكَ التِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ

مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرُ الذَّاتِ عَنِ الْمَلَذَّاتِ ... لَا يَلْتَفِتُ بِنَفْسِهِ إِلَى سَائِرِ الشَّهَوَاتِ

لِأَنَّ نَفْسَهُ عَنْ طَيْشِهَا وَشَرَاسَتِهَا ابْتَعَدَتْ ... وَعَنْ رُعُونَتِهَا وَحَمَاقَتِهَا قَدْ تَخَلَّتْ

وَبَدَأَتْ تُؤَدِّي مَا عَلَيْهَا مِنْ حَقٍّ بِاقْتِنَاعِ ... وَأَخَذَتْ مَا قُسِمَ لَهَا وَتَخَلَّتْ عَنِ الْخِدَاعِ

وَتَوَافَقَتِ النَّفْسُ مَعَ الْخَوَاطِرِ وَالْقَلْبْ ... وَاتَّحَدَتْ مَعَهُمَا فِي طَرْدِ مَا يُسَبِّبُ السَّلْبْ

وَوَصَلَتْ إِلَى شَاطِئِ الْأَمَانِ وَالطُّمَأْنِينَةِ ... وَازْدَادَتْ مَعَ الْقَلْبِ وَاللَّطَائِفِ بِالسَّكِينَةِ

وَأَصْبَحَتْ مَعَهُمْ كَالْجَارِ الْمُحْسِنِ الشَّفِيقِ ... وَذَاقَتْ نَفَحَاتِ رَبِّهَا ﷻ الْمُنَجِّي مِنَ الْحَرِيقِ

مَنْ وَصَلَ إِلَى تِلْكَ الْمَوَاجِيدِ الشَّافِيَةْ ... قَادَتْهُ إِلَى جَنَّةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةْ

الْكَامِلُ مَنْ يَأْخُذُ مِنَ الْأَشْيَاءِ ... دُونَ أَنْ يَذْهَبَ مِنْهُ مَا مَعَهُ مِنْ عَطَاءِ

يَتَزَوَّجُ وَيَتَزَوَّدُ مِنَ الدُّنْيَا بِحَاجَاتِ ... وَلَا يُؤَثِّرُ بِقَلْبِهِ وَنَفْسِهِ شَيْءٌ مِنَ الرُّعُونَاتِ

لَا يَدْخُلُ حُبُّهَا فِي قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهْ ... يَأْخُذُ مِنْهَا قَدْرَ حَاجَاتِهِ وَالْبَاقِي يَطْرَحُهْ

لَا تَصْلُحُ هَذِهِ الْحَوَادِثُ إِلَّا لِلْكَامِلْ ... فَهُوَ ذَاكِرٌ رَاكِعٌ سَاجِدٌ مُرَاقِبٌ عَامِلْ

كَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : " كَثْرَةُ النِّسَاءِ لَيْسَتْ مِنَ الدُّنْيَا لِأَنَّ عَلِيًّا ؓ كَانَ أَزْهَدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ لَهُ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ وَسَبْعَ عَشْرَةَ سُرِّيَّةً "[1].

عَلَى الْمُرِيدِ عَدَمُ الْإِفْرَاطِ بِمُخَالَطَةِ ... وَمُعَاشَرَةِ الزَّوْجَةِ الْغَافِلَةِ الْمُرْتَبِطَةِ

بِحُبِّ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَزِينَةِ الْحَيَاةِ ... حَتَّى لَا يَنْقَطِعَ عَنْ مُرَاقَبَتِهِ وَيَخْسَرَ حِينَ الْمَمَاتِ

(١) فَعَلِيٌّ ؓ انْقَلَبَتْ شَهْوَتُهُ إِلَى طَاعَةِ ... الْكَثِيرُ يَجْهَلُ بَاطِنَ تِلْكَ الْبِضَاعَةِ



فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ سُلُوكَهُ مِنَ ٱللهِ نِعْمَةْ — وَٱلْغَفْلَةُ مُسَبِّبَةٌ لِلْمَعْصِيَةِ وَٱلنِّقْمَةْ

وَكَثْرَةُ ٱلْغَفْلَةِ مِنَ ٱلتَّعَلُّقِ بِٱلأَعْيَانِ — وَقِلَّةُ ٱلذِّكْرِ مِنْ هُجُومِ ٱلنَّفْسِ عَلَى ٱلأَكْوَانِ

مَنْ وَقَى نَفْسَهُ مِنْ شَرِّ ٱلْغِيبَةِ — كَانَ سُرُورُهُ بِٱلنِّعْمَةِ كَسُرُورِهِ بِٱلْمُصِيبَةِ

فَٱلأَسْبَابُ ٱلدُّنْيَوِيَّةُ مُخْتَلِطَةٌ خَيْرُهَا بِشَرِّهَا — فَفِيهَا ضَرَرٌ وَمَنْفَعَةٌ بِحَسَبِ كَسْبِهَا

لَا يُصْبِحُ ٱلسَّالِكُ عَارِفًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ مَا يَضُرُّ — فَيَأْخُذُ مِنَ ٱلْخَيْرِ قَدْرَ حَاجَتِهِ وَيَفِرُّ

اِتَّصَلَ بِٱلطُّمَأْنِينَةِ وَٱتَّصَلَتْ فِيهِ مَرْتَبَةْ — فَهَٰذَا فَضْلُ ٱللهِ وَمِنْهُ مَوْهِبَةْ

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام : " مَنْ جَلَسَ عَلَى بِسَاطِ ٱلرِّضَا لَمْ يَنَلْهُ مِنَ ٱللهِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا، وَمَنْ جَلَسَ عَلَى بِسَاطِ ٱلسُّؤَالِ لَمْ يَرْضَ عَنِ ٱللهِ فِي كُلِّ حَالٍ " .

اَلرَّاضِي مَنْ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى فَائِتْ — وَعَلَى ٱلْبَلَاءِ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ صَامِتْ

يَقُولُ : إِذَا أَعْطَيْتَنِي رَبِّي قَبِلْتُ — وَإِنْ مَنَعْتَنِي عَمَّا تَهْوَاهُ نَفْسِي رَضِيتُ

وَإِنْ تَرَكْتَنِي لِنَفْسِي جَاهَدْتُ وَعَبَدْتُ — وَإِنْ دَعَوْتَنِي إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ أَجَبْتُ

اِنْشِرَاحُ ٱلْقَلْبِ وَٱنْفِسَاحُهُ مِنَ ٱلرِّضَا — وَعَلَامَةُ ٱلنُّورِ بِٱلصَّدْرِ ٱلرِّضَى بِٱلْقَضَا

قَالَ ﷻ : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (الزمر ٢٢)

فَإِذَا تَمَكَّنَ ٱلنُّورُ مِنَ ٱلْبَاطِنِ ٱتَّسَعْ — ٱلصَّدْرُ وَٱنْفَتَحَتْ عَيْنُ ٱلْبَصِيرَةِ وَلَمْ يَتَزَعْزَعْ

وَٱلْبَعْضُ إِذَا أَصَابَهُ ٱلشَّرُّ أَحَسَّ بِٱلتَّأْثِيرِ — هَٰذَا قَرِيبٌ وُصُولُهُ إِلَى مَرْتَبَةِ خَبِيرِ

فَكُلُّ هَٰذِهِ ٱلْأُمُورِ هِيَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةْ — يَكْتَسِبُهَا ٱلْمُرِيدُ ٱلسَّالِكُ بِتَدَرُّجَاتٍ كَرِيمَةْ

اَلْبَعْضُ يَغْرِفُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَلَا يُبَالِي — بِمَا ٱخْتَلَطَ فِيهَا مِنَ ٱلْخَيْرِ أَوِ ٱلشَّرِّ ٱلْبَالِي

فَيَقَعُ فِي ٱلْبَلَاءِ وَٱلنِّقْمَةِ بِسَبَبِ غَفْلَتِهِ — يَشْتَغِلُ بِٱللَّذِيذِ مُنْكَبًّا عَلَى شَهْوَتِهِ

لَا يَتْبَعُ ٱلشَّرْعَ وَلَا يَذْكُرُ إِلَّا قَلِيلًا فَمِثْلُ هَذَا ٱلشَّخْصِ يَكُونُ قَلْبُهُ عَلِيلًا

وَمَنْ لَا يَسْعَ لِإِحْيَاءِ بَاطِنِهِ فَهُوَ عَلِيل فَإِنْ مَاتَ بِغَفْلَتِهِ فَهُوَ بِٱلآخِرَةِ ذَلِيل

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (مريم ٣٩)

ٱلطُّيُورُ وَٱلْحَيَوَانَاتُ وَٱلدِّيدَانُ وَٱلْحَشَرَاتُ تُشَارِكُ ٱلْإِنسَانَ بِٱللَّذَّاتِ وَٱلشَّهَوَاتْ

يَنْكِحُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيَسْرَحُونَ لِمَعَايِشِهِمْ فَمَنْ تَجَاوَزَ هَذَا كُلَّهُ عَلَا عَنْ مَرَاتِبِهِمْ

وَمَنْ أَبَى كَانَ أَدْنَى مِنهُمْ وَأَضَلَّ ﴿ **أُوْلَٰئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** ﴾ (الأعراف ١٧٩)

لِأَنَّ كُلَّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ تُسَبِّحُ ٱلْخَالِقْ وَهَذَا ٱلْعَبْدُ نَسِيَ ٱللهَ وَبِغَفْلَتِهِ غَارِقْ

قال ﷻ: ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ (الإسراء ٤٤)

ٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلْمُتَلَذِّذِ بِٱلشَّهَوَاتِ ٱلْبَدَنِيَّةِ وَٱلْمُتَلَذِّذِ بِذِكْرِ ٱللهِ وَٱلْمَعَارِفِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ

ٱلْأَوَّلُ لَذَّتُهُ مَصْحُوبَةٌ بِمَرَضٍ وَعِلَلٍ وَٱلثَّانِي يَتَزَيَّنُ بِأَذْوَاقٍ جَلِيلَةٍ وَحُلَلٍ

فَيَزْدَادُ كُلٌّ مِنهُمَا بِمَا هُوَ فِيهِ طُولًا حَتَّى يَقْضِيَ ٱللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا

ٱلدُّنيَا مِرْآةٌ تَعْكِسُ حَالَ ٱلْمُؤْمِنِ بِٱلآخِرَةْ فَكَيْفَ كَانَ عَمَلُهُ بَانَ مَقَامُهُ مُبَاشَرَةْ

فَيَعْرِفُ صُورَةَ عَمَلِهِ وَنَتِيجَتَهُ بِٱلْانْعِكَاسِ وَيَظْهَرُ مَقَامُهُ فَإِمَّا إِلَى سَعَادَةٍ أَوِ ٱنْتِكَاسِ

فَلْيُحْسِنِ ٱلْإِنسَانُ تَنْظِيفَ غُبَارِ مِرْآتِهِ يَظْهَرْ لَهُ بِوُضُوحٍ نَتِيجَةُ عَمَلِهِ وَكُلُّ صِفَاتِهِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "**ٱللَّهُمَّ إِنَّ ٱلْعَيْشَ عَيْشُ ٱلْآخِرَةْ**" (صحيح الإمام مسلم ﵀ ج١٢ ص١٧٢)

ٱلْغَافِلُ كَسَاعٍ لِلْجِهَادِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ وَكَٱلرَّاغِبِ بِطَيَرَانٍ بِلَا جَنَاحٍ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ** ﴾ (الرعد ١٦) وَقَالَ ﷻ : ﴿ **وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ** ﴾ (الأنبياء ٩٧)

الْمُرَاقَبَةُ وَالْمُحَاسَبَةُ النَّفْسِيَّةُ

اللهُ هُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ وَمَا كَسَبَتْ وَالرَّقِيبُ عَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ بِمَا اجْتَرَحَتْ
وَالْمُطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِ الْقُلُوبِ وَمَا هَجَسَتْ وَعَلَى خَوَاطِرِ عِبَادِهِ إِذَا اخْتَلَجَتْ
فَهُوَ الْمُحَاسِبُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَمَا خَفِيَ مِنْ أَعْمَالٍ بِقَدْرِ النَّقِيرِ
وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ بِقَبُولِ الطَّاعَاتِ وَإِنْ صَغُرَتْ وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّلَّاتِ وَإِنْ كَثُرَتْ
وَيُحَاسِبُ النَّاسَ لِتَعْلَمَ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَحْضَرَتْ وَتَنْظُرَ فِيمَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ
فَسُبْحَانَ مَنْ فِي الْعِبَادِ نِعْمَتُهُ عَجَّتْ فَاتَّسَعَتِ الْقُلُوبُ بِالْإِيمَانِ وَانْشَرَحَتْ
وَبِتَوْفِيقِهِ وَفَضْلِهِ الْجَوَارِحُ تَأَدَّبَتْ وَبِتَأْيِيدِهِ النَّفْسُ عَلَى الشَّيْطَانِ انْتَصَرَتْ
فَمِنْهُ الْعَطَاءُ وَالْمَنْعُ وَالْقُرْبُ وَالْإِبْعَادْ وَمِنْهُ سُبْحَانَهُ الْفَضْلُ وَكَمَالُ الْإِسْعَادْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف ٤٩) .

فَعَلَيْنَا مُرَاقَبَةُ أَعْمَالِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَقْوَالِنَا وَنَوَايَانَا وَمُعَامَلَاتِنَا وَمَكَاسِبِنَا
فَمَنْ كَانَ إِحْسَاسُهُ بِاللهِ قَوِيًّا شَعَرَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ وَحَسَّنَ النِّيَّةْ
وَالْخَوَاطِرُ بِالنَّفْسِ كَدَبِيبِ النَّمْلِ لَا تُكْشَفُ تِلْكَ الْمَصَائِبُ إِلَّا بِالْعَمَلِ
بِشِدَّةِ الْمُرَاقَبَةِ وَالتَّفَقُّدِ وَالتَّفْتِيشْ هَكَذَا كَانَ كُلُّ صَالِحٍ مَعَ اللهِ يَعِيشْ
يَبْحَثُونَ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةْ حَتَّى تُصْبِحَ نُفُوسُهُمْ لَهُمْ أَسِيرَةْ
فَتَرِقُّ قُلُوبُهُمْ بِذَلِكَ وَتَخْشَعُ مِنْ ذَا كَانَتْ نُفُوسُهُمْ تَشْرَبُ وَتَرْضَعُ
فَيَتَوَلَّدُ فِيهِمْ خَوْفُ اللهِ وَالْخُشُوعُ وَتُمْنَعُ عَنْهُمُ الْغَفْلَةُ وَيَتَمَلَّكُهُمُ الْخُضُوعُ

فَيَقْوَى فِيهِمْ حُبُّ ٱلْقِيَامِ وَٱلتَّطَوُّعِ وَيَفِرُّونَ مِنَ ٱلرِّيَاءِ وَحُبِّ ٱلتَّصَنُّعِ
يَخَافُونَ مِنْ عَدَمِ كَمَالِ فَرَائِضِهِمْ رَحْمَةُ ٱللهِ وَعَفْوُهُ رَأْسُ أَغْرَاضِهِمْ

رَوَى تَمِيمٌ ٱلدَّارِيُّ ﷺ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " **يُحَاسَبُ ٱلعَبْدُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَإِنْ نَقَصَ فَرْضُهُ قِيلَ: ٱنْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أُكْمِلَ بِهِ فَرْضُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَوُّعٌ أُخِذَ بِطَرَفَيْهِ فَأُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ** ". (احياء علوم الدين ج ٣ ص ٣٣٢ – ٣٣٣)

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يُحَسِّنَ أَعْمَالَهُ يُرَاقِبَ نَظَرَاتِهِ وَيُرَاعِيَ أَقْوَالَهُ
وَيَتَبَصَّرَ أَنَّ ٱللهَ لَهُ بِٱلْمِرْصَادِ وَأَنَّهُ سَيُنَاقِشُهُ بِٱلْحِسَابِ مَعَ ٱلعِبَادِ
وَلَا يُنَجِّيهِ مِنْ هَذِهِ ٱلْأَخْطَارِ ٱلْمُرْعِبَةِ إِلَّا ٱلصِّدْقُ بِمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَٱلْمُرَاقَبَةِ
مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ حُضُورِ حِسَابِهْ يَسَّرَ ٱللهُ لَهُ عِنْدَ ٱلسُّؤَالِ جَوَابَهْ
وَحَسَّنَ ٱللهُ مُنْقَلَبَهُ وَمَآبَهُ وَٱسْتَبْشَرَ بِٱلْمَوْتِ لِأَنَّ إِلَى ٱللهِ ذَهَابَهُ
وَمَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ دَامَتْ حَسَرَاتُهْ وَطَالَتْ بِهَوْلِ ٱلْقِيَامَةِ شِدَّةُ وَقَفَاتِهْ
وَقَادَتْهُ إِلَى ٱلْخِزْيِ وَٱلْمَقْتِ سَيِّئَاتُهْ فَيُقَبِّحُ ٱللهُ وَجْهَهُ وَسَائِرَ صِفَاتِهْ
فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنْ لَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِٱلطَّاعَةِ وَلَا خَلَاصَ إِلَّا بِقَبُولِ ٱلْأَوَامِرِ مَعَ ٱلْقَنَاعَةِ
وَمُحَاسَبَةُ ٱلْمُرِيدِ لِنَفْسِهِ فِيهَا شِفَاؤُهُ تُذْهِبُ ٱلْوَسَاوِسَ إِنِ ٱسْتَحْكَمَ دَاؤُهُ
مَنْ رَاقَبَ نَفْسَهُ فَلْيَتَرَقَّبِ ٱلْإِحْسَانْ وَمَنْ غَذَّاهَا بِٱلْمَعَاصِي فَلَهُ ٱلْخِذْلَانْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾ (الشمس ٩ ـ ١٠)

فَفَلَاحُهَا يَكُونُ بِمَنْعِهَا مِنَ ٱلْمَعَاصِي وَقَدْ خَابَ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ قَاسِي
فَيَشْرُطُ عَلَيْهَا ٱلشَّرَائِطَ وَٱلْوَظَائِفَ ٱلشَّرْعِيَّةْ وَيُرْشِدُهَا لِكُلِّ فَلَاحٍ وَطُرُقٍ دِينِيَّةْ
وَلَا يَغْفَلُ عَنْ مُرَاقَبَتِهَا وَٱلصِّيَانَةْ فَإِنْ أَهْمَلَهَا لَمْ يَرَ مِنْهَا إِلَّا ٱلْخِيَانَةْ
فَتَدْقِيقُ ٱلْحِسَابِ مَعَ ٱلنَّفْسِ ٱلْبَشَرِيَّةِ أَهَمُّ مِنَ ٱلتَّدْقِيقِ بِٱلْأَرْبَاحِ ٱلتِّجَارِيَّةِ

ٱلأَيَّـامُ إِذا ذَهَبَـتْ لا تُعَـوَّضْ يَنجُو مَنْ كَانَ قَلْبُهُ خَالِيًا مِنَ ٱلْمَرَضْ

مَنْ كَانَ إِحْسَاسُهُ بِٱللهِ خَفَّتْ مَعَاصِيهِ وَمَنْ كَانَ لَا إِحْسَاسَ لَهُ ٱلْبَحْرُ لَا يَرْوِيهِ

ٱلْمُرَاقَبَةُ هِيَ أُخْتُ ٱلْمُرَابَطَةِ لِلْمُرِيدْ وَهِيَ ٱلَّتِي بِٱلإِحْسَاسِ ٱلرُّوحَانِيِّ تَزِيدْ

سَئَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام رَسُولَ ٱللهِ ﷺ عَنِ ٱلإِحْسَانِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ :

"أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (صحيح مسلم ج١ص١٥٧- ١٥٨)

لَيْسَ ٱلْمَقْصُودُ مُشَاهَدَةَ رَبِّ ٱلْبَرِيَّةِ تَنَزَّهَ عَنِ ٱلْمُشَاهَدَةِ بِصِفَاتِهِ ٱلْعَلِيَّةِ

فَٱلإِحْسَاسُ بِوُجُودِ ٱللهِ يُؤَدِّبُ ٱلنُّفُوسْ فَيَكُونُ ٱلاقْتِرَابُ مِنَ ٱلْمَعْصِيَةِ كَضَرْبِ ٱلْفُؤُوسْ

زَجْرُ ٱلنَّفْسِ عَنِ ٱلْمَعْصِيَةِ وَٱلرَّذَائِلِ وَٱلابْتِعَادُ عَنِ ٱلْمُحَرَّمَاتِ بِسَائِرِ ٱلْمَسَائِلِ

هُوَ دَلِيلُ ٱسْتِشْعَارِ ٱلْمُرِيدِ بِٱلْخَوْفِ مِنَ ٱللهِ فَٱلْمَوَاعِظُ مَلأَتْ سَائِرَ ٱلْجَوْفِ

كُلَّمَا مَالَتِ ٱلنَّفْسُ لِلْقَبَائِحِ ٱلنَّتِنَةِ أَتَاهُ زَاجِرٌ بَاطِنِيٌّ بِمَوَاعِظَ مُؤْلِمَةِ

هَذَا لِمَنْ سَكَنَ قَلْبَهُ خَوْفُ ٱللهْ فَيُقَالُ عَنْهُ : كَأَنَّهُ يَرَى مَوْلَاهْ

فَذِكْرُ ٱللهِ وَذِكْرُ عَذَابِهِ ٱلأَلِيمْ يُقَالُ عَنْهُ كَأَنَّكَ تَرَى ٱللهَ ٱلْكَرِيمْ

فَيُحِسُّ بِشُعُورٍ بَاطِنِيٍّ عَجِيبْ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ دَائِمًا عَلَيْنَا رَقِيبْ

وَيُقَالُ عَنْ هَذَا: مُرَاقِبٌ للهِ تَعَالَى جَلَّ أَنْ يُرَى بِٱلدُّنْيَا صَاحِبُ ٱلْجَلَالَةْ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مَا فِي ٱلطَّاعَاتِ مُرَاقَبَةُ ٱلْحَقِّ عَلَى دَوَامِ ٱلأَوْقَاتِ

عَلَى مَنْ يَعْمَلُ بِٱلْمُرَاقَبَةِ وَٱلْمُحَاسَبَةْ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ٱلأَمَّارَةَ بِٱلسُّوءِ لَهُ مُحَارِبَةْ

مَيَّالَةٌ إِلَى ٱلشَّرِّ فَرَّارَةٌ مِنَ ٱلْخَيْرِ فَلْيَحْذَرْ مِنْهَا أَهْلُ ٱلسُّلُوكِ وَٱلسَّيْرِ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنبياء ١- ٣)

ٱلْبَطَرُ أَلْهَى ٱلنَّاسَ عَنْ أَلِيمِ ٱلْعَذَابْ مَا أَتْعَسَ مَنْ يَأْخُذُ بِيَسَارِهِ ٱلْكِتَابْ

فَلْيَتَذَكَّرُوا حَرَّ جَهَنَّمَ وَأَغْلَالَهَا وَزَقُّومَهَا وَمَقَامِعَهَا وَصَدِيدَهَا وَأَنْكَالَهَا

مَا أَعْظَمَ جَهْلَهُمْ وَشِدَّةَ إِعْرَاضِهِمْ وَخِفَّةَ عُقُولِهِمْ وَقِلَّةَ أَعْمَالِهِمْ

الطَّاعَةُ أَعْظَمُ أَثَرًا فِي زَمَنِ الشَّبَابِ مِنْهَا فِي زَمَنِ الْمَشِيبِ عِنْدَ اقْتِرَابِ الإِيَابِ

فَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ مَنْ فِي شَبَابِهِ عَصَى وَمَنْ لَا يَفْهَمْ لَا يَصْلُحْ مَعَهُ إِلَّا الْعَصَا

لَا تَغُرَّكَ الدُّنْيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ الْمَغْرُورْ وَلَا يَغُرَّنَّكَ بِاللهِ طَامَّةُ الْغُرُورْ

لَا تُضَيِّعْ أَوْقَاتَكَ فَالأَنْفَاسُ مَعْدُودَةْ وَتَذَكَّرْ حَرَّ النَّارِ وَمَا فِي الزَّمْهَرِيرِ مِنْ بُرُودَةْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت ٤٦) .

فَعَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا يَجْهَلُهُ فَالْمَوْتُ مَوْعِدُهُ وَالْقَبْرُ بَيْتُهُ

وَالتُّرَابُ فِرَاشُهُ وَالدُّودُ أَنِيسُهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَ الْكَلَامَ وَيَقِيسَهُ

وَيَنْظُرَ إِلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ بِاعْتِبَارٍ وَيَسْعَى فِيهَا إِلَى الْكَسْبِ بِاضْطِرَارٍ

وَيَرْفُضَ زِينَتَهَا وَشَهَوَاتِهَا اخْتِيَارًا وَيَطْلُبَ بِصِدْقِ النِّيَّةِ الآخِرَةَ ابْتِدَارًا

وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلدِّينِ مِنْ عِوَضٍ يَمُوتُ الإِنْسَانُ وَهُوَ سَلِيمٌ أَوْ فِي مَرَضٍ

فَلْيَسْتَعِنْ عَلَى الدَّوَامِ بِالتَّهَجُّدِ وَالْقِيَامِ وَالْمُوَاظَبَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ

وَلْيَتْرُكِ الْمُخَالَطَةَ بِالْجِدَالِ وَالْكَلَامِ وَيَصِلِ الأَرْحَامَ وَيَتَلَطَّفْ بِالأَيْتَامِ

وَيَلْتَجِئْ إِلَى رَبِّهِ ﷻ مَعَ الرَّجَاءِ وَيُوَاظِبْ عَلَى النَّدَمِ وَالتَّوْبَةِ وَالْبُكَاءِ

عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ نَاقِدًا عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَقَوِيَّ الإِرَادَةِ لِدَفْعِ سَائِرِ الشَّهَوَاتِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **"إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ"**[1].

فَكَشْفُ الْحَقَائِقِ عَنْ خَفِيِّ الشُّبُهَاتِ لَا يَتَحَسَّسُهَا إِلَّا ذُو قَلْبٍ عَارِفٍ بِالآيَاتِ



(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١١ ص ٢٧ - ٢٨

فَـإِذَا ٱسْـتَبَانَ لَـهُ رُشْـدُهُ تَبِعَـهُ   وَإِذَا ٱسْـتَبَانَ لَـهُ غَـيْرُ ذَلِـكَ ٱجْتَنَبَـهُ

فَـأَعْظَمُ نِعْمَـةٍ يَصِـلُ لَهَـا ٱلْمُرِيـدْ   نِعْمَـةُ كَشْـفِ ٱلْحَقِّ بَـيْنَ ٱلْعَبِيـدْ

فَتِلْكَ لِأَهْلِ ٱلْقُلُوبِ ٱلصَّادِقَةِ ٱلذَّاكِرَةِ   أَهْلِ ٱلْمُرَاقَبَةِ وَٱلْمُحَاسَبَةِ وَٱلْمُرَابَطَةِ ٱلْمُتَفَكِّرَةِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء ٧)

إِنَّمَـا لَـكَ مَـا فِي حَيَـاةِ دُنْيَـاكَ   مَـا يُصْـلِحُ آخِرَتَـكَ عِنْـدَ مَثْـوَاكَ

لَـكَ رِزْقٌ تَطْلُبُـهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُـكَ   فَرَاقِبْ وَتَوَكَّلْ تَغْلِبِ ٱلْهَوَى وَلَا يَغْلِبْكَ

فَمَا جَاءَكَ مِنْهُ لَا تُكْثِرْ فِيهِ فَرَحًا   وَمَا فَاتَكَ فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسُكَ أَسَفًا

وَلْيَكُنْ أَكْبَرُ هَمِّكَ مَا بَعْدَ ٱلْمَوْتْ   حِينَمَا تَتْرُكُ ٱلْأَمْوَالَ وَيَخْتَفِي ٱلصَّوْتْ

وَمِنَ ٱلتَّوْفِيقِ ٱلتَّوَقُّفُ عِنْدَ ٱلْحَيْرَةْ   ٱلْمُوَفَّقُ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلصَّغِيرَةْ

فَتِلْكَ هِيَ ٱلْمُرَاقَبَةُ ٱلْمَطْلُوبَةُ لِلْقُلُوبِ   هَنِيئًا لِمَنْ وَفَّقَهُ لَهَا عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ﷻ

قَدْ يَصِلُ ٱلْمُرَاقِبُ لِمُشَاهَدَةِ آثَارِ ٱلْمُنْعِمِ   فِي نِعْمَةِ ٱلْإِلَٰهِ ٱلرَّزَّاقِ ٱلْمُكْرِمِ ﷻ

وَهِيَ نَصِيبُهُ مِنَ ٱللهِ عَلَى مُجَاهَدَاتِهِ   حَيْثُ قَدْ أَخْبَرَنَا عَنْ إِحْسَانِهِ بِآيَاتِهِ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ: " . . . **وَعَلَى ٱلْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ ٱللهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ ٱلْمَطْعَمِ وَٱلْمَشْرَبِ**"[1].

مَنْ كَانَ بِتِلْكَ ٱلصِّفَاتِ ٱلسَّعِيدَةْ   تَرَقَّى لِلْقُرْبِ وَقَطَعَ ٱلْأَشْوَاطَ ٱلْبَعِيدَةْ

بِسَبَبِ ذَلِكَ تُفَتَّحُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ ٱلْمَعْرِفَةِ   وَهِيَ أَعْلَى ٱلْمَقَامَاتِ ٱلرَّاقِيَةِ ٱلْمُشَرِّفَةِ

ٱلْمُرَاقَبَةُ وَٱلْمُحَاسَبَةُ ٱلصَّادِقَةُ ٱلدَّقِيقَةُ   تَنْفَعُ عِنْدَ ٱقْتِرَابِ سَاعَةِ ٱلْحَقِيقَةِ

فَنَفْسُ ٱلْمُرَاقِبِ يَزْدَادُ إِحْسَاسُهَا بِٱلْخَلَّاقِ   فَتَعِيشُ حَيَاةً مُتَأَثِّرَةً شَدِيدَةَ ٱلْاشْتِيَاقِ

قَالَ ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (الحشر ١٨)

(١) رواه ابن حبان في صحيحه .

هَذِهِ ٱلمُحَاسَبَةُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِ   تَمَسَّكَ بِجَوْهَرِهَا أَوْلِيَاءُ ٱلكَمَالِ
ٱسْتَهْتَرَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ بِمُلَاقَاةِ ٱلأَهْوَالِ   وَظَنَّ أَنَّهَا مُجَرَّدُ تَحْذِيرٍ وَأَقْوَالِ
لَقَدِ ٱعْتَكَفُوا عَلَى حُظُوظِ أَنْفُسِهِمْ   وَنَسُوا حَظَّهُمُ ٱلأَكْبَرَ مِنْ رَبِّهِمْ

ضَلَّ قَوْمٌ ٱلطَّرِيقَ فَسَأَلُوا عَابِدًا: " أَخْطَأْنَا ٱلطَّرِيقَ، فَكَيْفَ وُجْهَتُهُ؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى فَوْقَ ".

أَيْ: أَطِيعُوا مَا أَنْزَلَهُ ٱللهُ ﷻ مَعْ جِبْرِيلْ   عَلَى قَلْبِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَبِيبِ ٱلجَلِيلْ
ٱلمُرِيدُ مَنْ عَظَّمَ ٱللهَ فِي كِبْرِيَائِهِ   وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِهِ وَرَضِيَ بِقَضَائِهِ
ٱلعَاقِلُ مَنْ رَمَى ٱلدُّنْيَا عَنْ قَلْبِهِ   وَتَابَ إِلَى ٱللهِ مِنْ ذَنْبِهِ
وَأَقْبَلَ عَلَى مَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ   وَبِٱلطَّاعَاتِ وَٱلمُجَاهَدَاتِ زَيَّنَ دَرْبَهُ
مَنْ تَعِبَ قَلِيلًا تَنَعَّمَ طَوِيلًا   وَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْ رَبِّهِ ﷻ جَزَاءً جَمِيلًا
هَنِيئًا لِمَنِ ٱسْتَشْعَرَ بِٱلجَنَّةِ تَتَزَيَّنُ فَوْقَهُ   وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَتِ ٱلنَّارُ تُسَعَّرُ تَحْتَهُ
إِنَّ لِلهِ عِبَادًا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فَعَرَفُوهُ   وَشَرَحَ بِٱلنُّورِ صُدُورَهُمْ فَأَطَاعُوهُ
كَيْفَ يَضْحَكُ مَنْ ذَهَبَتْ بِٱلغَفْلَةِ أَيَّامُهُ   وَمَا زَالَ يَرْتَعُ فِي مَعَاصِيهِ وَآثَامِهُ
عَلَى ٱلمُرِيدِ ٱلإِبْتِعَادُ عَنِ ٱلبَطَّالِينَ   وَٱلهُرُوبُ مِنْ صُحْبَةِ ضَرَرِ ٱلغَافِلِينَ
وَعَلَيْهِ صُحْبَةُ ٱلأَوْلِيَاءِ ﷺ ٱلعَارِفِينَ   وَمُلَازَمَةُ ٱلجُلُوسِ مَعَ ٱلخَاشِعِينَ ٱلخَائِفِينَ
وَهَذَا أَوَّلُ ٱلإِنْطِلَاقِ فِي طَرِيقِ ٱلصَّالِحِينَ ﷺ   وَبِدَايَةُ سُلُوكِ ٱلنَّاجِينَ مِنَ ٱلسَّالِكِينَ
مَنْ خَافَ عَلَى فَوَاتِ حُظُوظِهِ   رَاقَبَ نَفْسَهُ وَصَحَّحَ مَا فَسَدَ مِنْ عُيُوبِهِ
وَقَرَّبَ ٱلقَلْبَ مِنْ طَاعَةِ رَبِّ ٱلعِزَّةِ ﷻ   كُلَّمَا ٱنْحَرَفَ ٱلقَلْبُ أَصَابَتْهُ هِزَّةْ
هَذَا مِمَّا يُقَالُ: كَأَنَّكَ تَرَاهُ   نَفْسُ ٱلمُؤْمِنِ وَقَلْبُهُ رَبُّنَا ﷻ ٱشْتَرَاهُ
وَٱنْتِظَارُ ٱلمَوْتِ وَٱلتَّأَهُّبِ لَهُ   هَذِهِ مُرَاقَبَةُ ٱلسَّالِكِ وَدَوْمًا شُغْلُهُ

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَوْمًا : لَا تَقُلْ ... خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ... وَلَا تَظُنَّ أَنَّ مَا تُخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أَسْرَعُ ذَاهِبْ ... وَأَنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبْ

قِيلَ : عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُرِيدُ بِالْمُرَاقَبَةِ الصَّافِيَةْ ... مِمَّنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ بِالْكَوْنِ خَافِيَةْ

كَمْ مِنْ عَاصٍ قَبْلَ مَعْصِيَتِهِ الدَّنِيَّةِ ... يُرَاقِبُ خُلُوَّ الْمَكَانِ مِنَ النَّوَاظِرِ الْإِنْسِيَّةِ

قَدْ رَاقَبَ الْخَلَائِقَ وَنَسِيَ الْخَلَّاقْ ... وَا وَيْلَاهُ مِنْ عَذَابٍ فِيهِ احْتِرَاقْ

مَنِ انْصَرَفَ بِجَوَارِحِهِ لِلهِ بِالْمُرَاقَبَةِ ... صَرَفَ اللهُ إِلَيْهِ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ

وَالْمُرَاقَبَةُ تَخْتَلِفُ عِنْدَ أَهْلِ الْقُلُوبْ ... بَعْضُهُمْ يُرَاقِبُ أَفْعَالَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرَاقِبُ الْمَحْبُوبْ

وَأَعْظَمُ الْمُرَاقَبَةِ هِيَ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالْ ... فَيُصْبِحُ الْقَلْبُ مُسْتَغْرِقًا بِذِي الْجَلَالْ

وَمُنْكَسِرًا تَحْتَ الْهَيْبَةِ ذَلِيلًا لِمَوْلَاهُ ﷻ ... لَيْسَ فِيهِ مُتَّسَعٌ لِلِالْتِفَاتِ لِأَحَدٍ بِدُنْيَاهُ

مَنْ وَقَعَتْ هَيْبَةُ اللهِ بِقَلْبِهِ ... فَقَدْ صَدَقَ مَعْ رَبِّهِ ﷻ فِي حُبِّهِ

قِيلَ : صَاحِبْ مَنْ يَعِظُكَ بِلِسَانِ فِعْلِهِ ... وَلَا تُصَاحِبْ مَنْ يَعِظُكَ بِلِسَانِ قَوْلِهِ

كَالَّذِي يَدَّعِي الْقُرْبَ مِنْ ذِي الْجَلَالِ ... وَلَيْسَ فِيهِ ذَرَّةٌ مِنَ الْاعْتِدَالِ

يُحْسِنُ التَّعْرِيفَ بِالْأَقْوَالِ لَا بِالْأَعْمَالِ ... يَهْتَمُّ بِالنَّاسِ وَيُمَثِّلُ عَلَيْهِمْ بِالْأَحْوَالِ

فَهَذَا مِمَّنْ يَرْتَكِبُ التَّخْرِيبَ وَالْجَهْلْ ... وَيَظُنُّ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا عَلَى مَهْلْ

فَهَؤُلَاءِ أَسْكَرَتْهُمُ الشُّهْرَةُ عَنِ التَّحْقِيقِ ... هُمْ أَتْبَاعُ الشَّيْطَانِ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ

فَلْيَكُنْ هَمُّ الْمُرِيدِ التَّمَسُّكُ بِعِلْمِ الشَّرِيعَةْ ... لِيُمَيِّزَ الدَّسَائِسَ وَالشَّعْوَذَاتِ الْمُضِلَّةَ الْمُرِيعَةْ

← الصوفي الزاهد الشيخ كاظم ـ ديار بكر تركيا

الشيخ محمد سعيد البرهاني ـ سوريا ←

اَلنِّيَّةُ وَالْعَمَلُ

يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِيَّةْ … فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُهُ بِنَفْسٍ مَرْضِيَّةْ

أَكْلُهُ يَكُونُ لِلّٰهِ وَشَرَابُهُ وَمَلْبُوسُهُ … وَنَوْمُهُ وَنِكَاحُهُ وَمُعَامَلَاتُهُ وَعُرُوسُهُ

إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلّٰهِ فَلَنْ تَسْتَعْصِيَ النَّفْسْ … فَتُصْبِحُ مُطِيعَةً لِلّٰهِ طَرِيَّةً كَالْخَسّ

وَلَكِنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُرِيدِينَ مَنْ يَقُولْ … نَوَيْتُ أَنْ آكُلَ نَوْعًا مِنَ الْبُقُولْ

تَقْوِيَةً عَلَى النَّوَافِلِ وَازْدِيَادًا بِالْعِبَادَةْ … فَيَأْكُلُ فَوْقَ حَاجَتِهِ وَزِيَادَةْ

فَلَا تَرَاهُ صَلَّى إِلَّا فَرْضَهُ وَاكْتَفَى … وَلَا ازْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَلَا بِنِيَّتِهِ وَفَى

مِثْلُ هَذَا يَظُنُّ أَنَّ تِلْكَ النِّيَّةَ طَيِّبَةْ … فَيَمْلَأُ بَطْنَهُ طَعَامًا وَيَنْسَى جُوعَ سَاكِنِ طَيْبَةْ ﷺ

إِنَّ هَذِهِ النِّيَّةَ هِيَ حَدِيثُ نَفْسٍ وَمَنْفَعَةْ … لَيْسَ لَهَا دَخْلٌ بِالْمُجَاهَدَاتِ الْمُرْتَفِعَةْ

هِيَ نِيَّةُ حَشْوِ بَطْنٍ وَطَعَامٍ بِلَا مَنْفَعَةِ … تُثْقِلُ الْجِسْمَ فَلَا يَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ

قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ صَفَا صُفِّيَ لَهْ … وَمَنْ خَلَطَ فَقَدْ خُلِطَ عَلَيْهْ

أَمْثَالُ هَذَا أَعْمَالُهُ بِحَسَبِ نِيَّاتِهِ … وَلَا بُدَّ أَنْ تَظْهَرَ عَلَيْهِ آثَارُ عِلَّاتِهِ

فَالصِّدْقُ وَالْكَذِبُ يَظْهَرُ إِلَى الْعِيَانِ … بِحَسَبِ مَا يَنْوِي بِفِكْرِهِ كُلُّ إِنْسَانِ

اَلنِّيَّةُ لَهَا أَثَرٌ مُهِمٌّ لِلْحُصُولِ عَلَى دَرَجَةْ … فَبَعْضُهُمْ نِيَّتُهُ سَلِيمَةٌ وَبَعْضُهُمْ نِيَّتُهُ مُعْوَجَّةْ

وَمَنْ لَا يَثْبُتُ عَلَى نِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بِأَفْكَارِهِ … وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَتَبَدَّلُ نِيَّتُهُ بِحَسَبِ أَخْبَارِهِ

يَنْوِي الصِّدْقَ وَيَكْذِبُ بِلِسَانِهِ … وَيُعَكِّرُ أَعْمَالَ وَأَقْوَالَ أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ

وَيَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ … فَهَذَا مُخَادِعٌ مُضِرٌّ مَذْكُورٌ أَمْرُهُ بِالْآيَاتِ

فَلْيَعْلَمِ الْمُرِيدُ أَنَّ الْعَمَلَ بِغَيْرِ نِيَّةٍ عَنَاءٌ … وَالنِّيَّةُ بِغَيْرِ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ رِيَاءٌ

فَكَمَا يَطْلُبُ الْمَرِيضُ لِعِلَّتِهِ الشِّفَاءْ … فَعَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَجْعَلَ نِيَّتَهُ دَوَاءْ

أَعْظَمُ دَوَاءٍ لِلنِّيَّةِ تَنْظِيفُ ٱلطَّوِيَّةِ وَغَرْبَلَةُ ٱلنَّفْسِ مِنَ ٱلرَّذَائِلِ ٱلْمُرْدِيَةِ

ٱلْوَظِيفَةُ ٱلأُولَى لِلْمُرِيدِ ٱلسَّاعِي ٱلصِّدْقُ وَٱلإِخْلَاصُ فِي كُلِّ ٱلْمَسَاعِي

فَٱلنِّيَّةُ هِيَ سَبَبُ ٱلتَّوْفِيقِ بِٱلسُّلُوكِ وَهِيَ ٱلَّتِي تُوصِلُهُ إِلَى رُتْبَةِ ٱلْمُلُوكِ

فَإِذَا كَانَ مَا فَعَلَهُ لِغَيْرِ ٱللهِ تَعَالَى صَارَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَبَالًا وَزِلْزَالًا

قَدْ وَرَدَ فِي ٱلْخَبَرِ : **" مَنْ تَطَيَّبَ لِلهِ تَعَالَى جَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ ٱلْمِسْكِ ٱلأَذْفَرِ وَمَنْ تَطَيَّبَ لِغَيْرِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ جَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَنْتَنُ مِنَ ٱلْجِيفَةِ "**[1] .

فَٱلأَعْمَالُ تَكُونُ بِحَسَبِ ٱلنِّيَّاتْ كَمَا وَرَدَ فِيهَا أَحَادِيثُ وَآيَاتْ

عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **"إِنَّمَا ٱلأَعْمَالُ بِٱلنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"** . (رواه أبو داود في سننه)

وَفِي حَدِيثِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : **" مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئًا فَهُوَ لَهُ "** . فَهَاجَرَ رَجُلٌ فَتَزَوَّجَ ٱمْرَأَةً مِنَّا فَكَانَ يُسَمَّى مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ . (إحياء علوم الدين ج٤ ص ٣٦٣)

إِنَّ ٱلعَبْدَ لَيَتَأَثَّرُ بِخَاطِرِ ٱلنِّيَّةِ فَلَا يَسْتَهِنْ ٱلْمُرِيدُ بِهَذِهِ ٱلقَضِيَّةِ

وَٱلإِسْلَامُ خَالٍ مِنْ كُلِّ ٱلْمَظَالِمْ فَمَنْ وَاصَلَ ٱلنِّيَّةَ ٱلسَّلِيمَةَ فَهُوَ سَالِمْ

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : **" مَنْ تَزَوَّجَ ٱمْرَأَةً عَلَى صَدَاقٍ وَهُوَ لَا يَنْوِي أَدَاءَهُ فَهُوَ زَانٍ ، وَمَنِ ٱدَّانَ دَيْنًا وَهُوَ لَا يَنْوِي قَضَاءَهُ فَهُوَ سَارِقٌ "**[2] .

وَٱلبَرَكَةُ تَأْتِي لِلْمُرِيدِ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ فَمَنْ سَلِمَتْ نِيَّتُهُ ٱسْتَعَانَ بِٱللهِ عَلَى قَضِيَّتِهِ

وَعِمَادُ ٱلأَعْمَالِ ٱلنِّيَّاتُ عِنْدَ ٱلبَرِيَّةْ بِحَسَبِ صِدْقِ ٱلنِّيَّةِ تَكُونُ ٱلتَّرْقِيَةْ

ٱلنِّيَّةُ هِيَ حَالَةٌ وَصِفَةٌ لِلْقَلْبِ وَهِيَ ٱلْمُحَرِّكَةُ لِلسُّلُوكِ إِلَى مَدَارِجِ ٱلقُرْبِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٦٤

(٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٦٤

لَوْ نَوَى أَنَّهُ يُرِيدُ أَكْلَ ٱلطَّعَامْ   فَقُدِّمَ إِلَيْهِ ثُمَّ نَوَى ٱلصِّيَامْ

فَقَدْ تَغَلَّبَ بِنِيَّتِهِ عَلَى نَفْسِهِ   وَلَهُ ٱلْأَجْرُ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ وَكَسْبِهِ

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُ ٱلْقَلْبِ ٱلسَّارِحِ   أَكْثَرَ مِنْ أَعْمَالِ سَائِرِ لَطَائِفِ ٱلْجَوَارِحِ

لِكَيْ يَبْقَى ٱلْقَلْبُ مُعَلَّقًا بِـٱللهْ   ذَاكِرًا شَاكِرًا عَابِدًا طَائِعًا مَوْلَاهْ

طَلَبُ ٱلْأَجْرِ وَٱلثَّوَابِ مِنْ غَيْرِ ٱللهِ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَسْعَى لِقَضَاءِ حَوَائِجْ   ٱلنَّاسِ كَمَا هُوَ عِنْدَ ٱلصَّالِحِينَ رَائِجْ

يَنْبَغِي أَلَّا يَطْلُبَ مِنْهُمْ ثَوَابَ فِعْلَتِهْ   فَغَرَضُهُ إِدْخَالُ ٱلسُّرُورِ عَلَى مَنْ قَضَى حَاجَتَهْ

دُونَ تَوَقُّعِ شُكْرٍ وَمُكَافَأَةٍ وَثَنَاءٍ وَحَمْدِ   فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْبِطُ أَجْرَ ٱلْعَبْدِ

فَيَجِبُ عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يُلْزِمَ قَلْبَهُ ٱلطَّلَبْ   مِنَ ٱللهِ وَحْدَهُ وَبِهَذَا يَكُونُ ٱهْتِدَاءُ ٱلْقَلْبْ

بَعْضُ ٱلنَّاسِ بِغَيْرِ ٱللهِ لَا يَرْغَبْ   لَا يَطْلُبُ ثَنَاءً وَلَا نَيَاشِينَ وَلَا رُتَبْ

فَلَا يَلْتَفِتُ ٱلْمُرِيدُ إِلَى ٱلْخَلْقِ   وَلْيَكُنْ كُلُّ هَمِّهِ رِضَى ٱللهِ ٱلْحَقِّ

وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَمْلَاكِ ٱلْأَغْنِيَاءِ ٱلْوَافِرَةِ   بَلْ يَنْظُرُ إِلَى ٱلْفُقَرَاءِ لِيَزْدَادَ رَغْبَةً بِٱلْآخِرَةِ

فَمَكَايِدُ ٱلنَّفْسِ وَخَفَايَاهَا بِهَذَا لَا تَنْحَصِرُ   فَإِذَا أَخْرَجْتَ مِنْ قَلْبِكَ سِوَى ٱللهِ تَنْتَصِرُ

وَتَجَرَّدْ بِٱلشَّفَقَةِ عَلَيْهَا بَاقِي عُمْرِكَ   وَلَا تَرْضَ لَهَا شَهَوَاتٍ مُنَغِّصَةً تُؤْذِيكَ بِقَبْرِكَ

فَٱلشَّهْوَةُ فِيهَا لَذَّةٌ حُلْوَةٌ لِلنَّفْسِ   وَتَرْكُهَا مُؤْلِمٌ مَرِيرٌ وَٱلْعَكْسُ بِٱلْعَكْسِ

لَا بُدَّ لِمَنْ أَرَادَ ٱلشِّفَاءَ مِنْ مَرَضِهِ   أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَرَارَةِ ٱلدَّوَاءِ بِصِفَتِهِ

فَحَتَّى يَصِيرَ بِبَدَنٍ صَحِيحٍ وَقَلْبٍ سَلِيمْ   لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِسَائِرِ ٱلتَّعَالِيمْ

فَلْيَحْمِ نَفْسَهُ عَنْ كُلِّ مُهْلِكٍ ضَارّْ   وَلْيَتْرُكِ ٱلْأُنْسَ بِٱلْخَلْقِ لَيْلًا نَهَارْ

إِنَّ مَنْ يَرْزُقُهُ ٱللهُ بِٱللَّيْلِ مُنَاجَاتَهْ   يَهْجُرُ مَا فِي ٱلدُّنْيَا وَسَائِرَ شَهَوَاتِهْ

ٱلْخَوْفُ ٱلظَّاهِرِيُّ وَٱلْبَاطِنِيُّ

كَانَ خَوْفُ ٱلْإِمَامِ عَلِيٍّ ﷺ خَوْفًا عَمِيقْ
يُرَاقِبُ رَبَّهُ ﷻ بِقَلْبٍ مُنَوَّرٍ رَقِيقْ

فَلَا يَفْتُرُ عَنِ ٱلْمَوَاعِظِ وَٱلْحِكَمْ
يُعْطِي لِلْقَلْبِ مَا هُوَ أَنْفَعُ وَأَسْلَمْ

رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ ٱللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ لِبَعْضِ وَلَدِهِ: " يَا بُنَيَّ خَفِ ٱللَّهَ خَوْفًا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِحَسَنَاتِ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ لَمْ يَتَقَبَّلْهَا مِنْكَ وَٱرْجُ ٱللَّهَ رَجَاءً تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتِ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ غَفَرَهَا لَكَ ".

مَنْ يَرْغَبْ فِي حُصُولِ ٱلْخَوْفِ بِقَلْبِهِ
فَعَلَيْهِ تَنْظِيفُهُ وَتَطْهِيرُهُ مِنْ عَيْبِهِ

وَيَسْتَغِيثُ بِٱللَّهِ خَائِفًا ذَلِيلًا
مُتَفَكِّرًا بِٱلْآخِرَةِ مُتَّخِذًا ٱلتَّوْبَةَ دَلِيلًا

قَالَ ﷻ: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (السجدة ١٦)
وَقَالَ ٱللَّهُ ﷻ: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (الأنبياء ٩٠)

مَنْ خَافَ مِنْ مَحْبُوبِهِ ٱزْدَادَ سُرُورُهُ
وَمَنْ خَانَ مَحْبُوبَهُ ٱزْدَادَتْ شُرُورُهُ

وَإِشَارَةُ ٱلْخَائِفِ مِنَ ٱلْمَوْلَى ٱلْكَرِيمْ
عِبَادَتُهُ بِإِحْسَانٍ وَكَأَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ ﷻ ٱلْعَظِيمْ

وَٱعْلَمُوا يَا أَحْبَابُ أَنَّ ٱلْخَوْفَ عِنْدَ ٱلْعَامَّةِ
يَخْتَلِفُ عَنْ خَوْفِ ٱلْخَوَاصِّ مِنَ ٱلْأُمَّةِ

فَخَوْفُ ٱلْعُمُومِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينْ
كَٱلْخَوْفِ مِنَ ٱلنَّارِ، أَجَارَنَا ٱللَّهُ آمِينْ

وَخَوْفُ ٱلْخُصُوصِ هُوَ خَوْفُ مَعْرِفَةْ
بِجَلَالِ ٱلْإِلَهِ وَجَبَرُوتِهِ مِنْ كُلِّ ٱسْمٍ لَهُ وَصِفَةْ

وَأَهْلُ ٱلْمُشَاهَدَةِ لَهُمْ قُوَّةٌ لِكَشْفِ ٱلْأَخْبَارِ
فَيَعْلَمُونَ ٱلْخَائِفَ ٱلصَّادِقَ مِنَ ٱلثَّرْثَارِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْعَارِفِينَ أَكْثَرُ آيَاتِ ٱلْقُرْآنْ
فِيهَا فَزَعٌ وَتَهْدِيدٌ وَخَوْفٌ وَوَعِيدٌ وَأَحْزَانْ

قَالَ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ (الحج ١ ـ ٢)

اَلْخَـوْفُ مِـنَ ٱللهِ بِـدُنْيَا ٱلــزَّوَالِ يَحْمِي ٱلْمُؤْمِنَ مِنَ ٱلسَّلَاسِلِ وَٱلأَغْلَالِ

وَمَنْ يَقْرَأْ آيَاتِ ٱلْوَعِيدِ يَتَلَاشَ قَلْبُهُ فَزَعًا وَلَوِ ٱنْكَشَفَ ٱلغِطَاءُ لَذَابَ خَوْفًا وَهَلَعًا

اَلْخَـوْفُ فِيـهِ هَيْبَـةٌ وَرُعْـبٌ شَـدِيدُ فَٱلعَبْدُ لَا يَدْرِي إِنْ كَانَ عَنِ ٱلنَّارِ يَحِيدُ

وَكَذَلِكَ ٱلْخَوْفُ مِنْ سُؤَالِ مُنْكَرٍ عليه السلام وَنَكِيرٍ عليه السلام وَعَذَابِ ٱلقَبْرِ وَٱلسُّؤَالِ عَنِ ٱلفَتِيلِ وَٱلْقِطْمِيرِ[1]

اَلْخَوْفُ مِنْ هَيْبَةِ ٱلْمَوْقِفِ وَهَوْلِ ٱلْمَطْلَعْ بَيْنَ يَدَي ٱللهِ ﷻ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُطَّلِعْ

وَٱلْخَوْفُ مِـنَ ٱلصِّـرَاطِ وَحِدَّتِـهِ ٱلرَّهِيبَـةِ وَٱلْعُبُورِ عَلَيْـهِ فِي تِلْـكَ ٱلسَّـاعَةِ ٱلْمَهِيبَـةِ

وَٱلْخَـوْفُ مِـنَ ٱلنَّـارِ وَأَغْلَالِهَـا وَأَهْوَالِهَـا وَٱلْحِرْمَانِ مِـنَ ٱلْجَنَّـةِ وَنَعِيمِهَـا وَأَحْوَالِهَـا

وَٱلْخَوْفُ مِـنْ نُقْصَـانِ ٱلـدَّرَجَاتِ ٱلْمُهِمَّـةِ وَٱلْخَوْفُ مِنَ ٱللهِ وَحُجَّتِـهِ عَلَـى بَعْـضِ ٱلأُمَّـةِ

لَا وُصُـولَ لِسَعَادَةِ لِقَـاءِ ٱللهِ بِـٱلآخِرَةِ إِلَّا بِتَحْصِيلِ ٱلأُنْسِ بِمَحَبَّتِهِ فِي ٱلـدُّنْيَا ٱلْحَقِرَةِ

وَلَا يَحْصُـلُ ٱلأُنْسُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْخَوْفِ ٱلرَّاقِي وَقَطْعِ أَشْوَاطٍ مَعْ دَوَامِ ذِكْرِ ٱلْحَيِّ ﷻ ٱلْبَاقِي

قَالَ ٱلإِمَامُ ٱلشِّبْلِيُّ رضي الله عنه : " مَا خِفْتُ ٱللهَ يَوْمًا إِلَّا رَأَيْتُ لَهُ بَابًا مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْعِبْرَةِ مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ " .

وَآيَاتُ ٱلْخَوْفِ بِـٱلقُرْآنِ كَـثِيرَةٌ مُتَعَدِّدَةْ سَنَعْرِضُ بَعْضَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ شِدَّةْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٤) .

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (الإسراء ١٠٩)

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (المؤمنون ٦٠) .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن ٤٦) .

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم ٥٨) .

كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه بْنُ ٱلْخَطَّابِ مِنْ أَوَّلِ ٱلْخَائِفِينْ مَـعْ رِفْعَـةِ مَقَامِـهِ وَوَرَعِـهِ فِي ٱلـدِّينْ

(١) القِطْمِيرُ : كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِـهَا عَنِ ٱلشَّيْءِ ٱلخَفِيفِ ٱلحَقِيرِ ٱلوَزْنِ .

كَانَ يَعُدُّ نَفْسَهُ هَالِكًا غَيْرَ صَالِحٍ لِكَثْرَةِ تَوَاضُعِهِ وَخَوْفِهِ ٱلصَّادِقِ ٱلنَّاجِحِ

قَالَ ﷺ : " لَوْ نُودِيَ لِيَدْخُلِ ٱلنَّارَ كُلُّ ٱلنَّاسِ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ ٱلرَّجُلَ " .

كَانَ فِي "بَيَارَةَ ٱلشَّرِيفَةِ" بِٱلْعِرَاقْ صُوفِيٌّ يَبْكِي بُكَاءً فِيهِ إِحْرَاقْ

ٱسْمُهُ صُوفِي مُحَمَّدٌ نَادِرْ كَانَ فِي بُكَاءٍ مُتَوَاصِلٍ هَادِرْ

مَنْ رَآهُ يَظُنُّ أَنَّهُ مَجْنُونٌ لَكِنَّ ٱلْبُكَاءَ فِيهِ خَوْفٌ وَفُنُونٌ

فَهَذَا مِمَّنْ تُعْرَضُ عَلَيْهِ صُوَرُ ٱلْقِيَامَةْ فَيَبْكِي وَيَحْزَنُ فِي سَائِرِ أَيَّامِهْ

فَمَنْ وَصَلَ لِتِلْكَ ٱلْحَالَةِ ٱلْعِرْفَانِيَّةْ لَا يَهْدَأُ قَلْبُهُ حَتَّى يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ ٱلْعَلِيَّةْ

لَيْسَ ٱلْخَائِفُ مَنْ يَخَافُ وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَلَكِنَّ ٱلْخَائِفَ ٱلتَّارِكُ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَيْهِ

أَيُّهَا ٱلْمُرِيدُ هُنَاكَ سِيَاطُ تَخْوِيفْ لِمَنْ عَصَى وَعَانَدَ فَفِيهَا زَجْرٌ مُخِيفْ

وَهُنَالِكَ خَوْفُ أَلَمٍ وَفَزَعٍ وَخَوْفُ فَرَحٍ خَالٍ مِنَ ٱلْجَزَعِ

وَخَوْفُ جَلَالٍ وَوَقَارٍ وَوَرَعٍ وَخَوْفُ مُشَاهَدَةٍ مَعْ تَسَلُّحٍ بِدِرْعٍ

وَٱلرَّجَاءُ وَٱلْخَوْفُ هُمَا جَنَاحَانِ يُحَلِّقُ بِهِمَا ٱلْمُقَرَّبُونَ بِطَاعَةِ ٱلدَّيَّانِ

فَلَا يَصِلُ ٱلْمُرِيدُ إِلَيْهِمَا بِسُهُولَةِ ٱلْمَطْلَبْ لَا بُدَّ مِنْ مُجَاهَدَاتٍ مِنْهَا ٱلْمُرِيدُ يَشْرَبْ

مَنْ نَالَ تِلْكَ ٱلرُّتْبَةَ وَٱلْمَقَامْ فَهُوَ مِنَ ٱلسَّالِكِينَ ٱلْكِبَارِ ٱلْعِظَامْ

وَٱلْخَوْفُ هُوَ دَوَاءٌ لِلنَّفْسِ مُفِيدْ يَرُدُّ لِلْجَادَّةِ ٱلسَّلِيمَةِ كُلَّ عَنِيدْ

بَعْضُ ٱلْقُلُوبِ تَخْضَعُ فَيَكُونُ لَهَا بِذَلِكَ دَوَاءُ وَبَعْضُهَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ ٱلْخُشُوعُ وَيَحْصُلُ ٱلشِّفَاءُ

ٱلْمُرْشِدُ ٱلطَّبِيبُ ٱلْحَاذِقُ يُعَيِّنُ ٱلْوَصْفَةْ حَسَبَ ٱلْعِلَّةِ وَٱلْمَرَضِ بِٱلْآيَاتِ ٱلْمُنْصِفَةْ

أَكْثَرُ مَا تَتَأَثَّرُ بِهِ ٱلنَّفْسُ بِعَيْنِ ٱلْاعْتِبَارِ هُوَ ٱلْخَوْفُ ٱلْمُسَبِّبُ لِلْخُشُوعِ وَٱلِاخْتِيَارِ

وَٱلْخَوْفُ يَدْخُلُ إِلَى ٱلْقَلْبِ كَمَا يَدْخُلُ ٱلْمَدَدْ فَيَمْلَأُ سَائِرَ ٱلْأَعْضَاءِ حَتَّى ٱلْكَبِدْ

فَيُخَيِّمُ كَغَيْمَةٍ عَلَى كُلِّ ٱلْأَفْكَارِ   وَيَتَحَوَّلُ إِلَى خَوْفٍ مِنَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْجَبَّارِ ﷻ

يَكْثُرُ ٱلْبُكَاءُ فَتَأْتِيهِ صُوَرٌ مَاضِيَةٌ   وَيَظُنُّ أَنَّهُ جَاءَتْ عَلَيْهِ ٱلْقَاضِيَةُ

فَيُحِبُّ ٱلْمَوْتَ وَيَصِيرُ لَهُ فِيهِ رَغْبَةٌ   وَيَتَحَوَّلُ خَوْفُهُ إِلَى جَلَالٍ وَرَهْبَةٍ

وَتَظْهَرُ آثَارُ ٱلْخَوْفِ فِي ٱلْأَعْمَالِ   فَتَنْصَرِفُ أَفْكَارُهُ عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ حَسَبَ ٱلْكَمَالِ

فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ٱلْخَوْفُ وَتَسْكُنُ ٱلْحَرَكَةُ   وَيَحِلُّ مَكَانَهَا ٱلْأَنْوَارُ وَٱلرَّحْمَةُ وَٱلْبَرَكَةُ

فَٱلْخَوْفُ مُؤَثِّرٌ شَدِيدٌ بِٱلْجَوَارِحْ   كَأَنَّهُ سِكِّينٌ مِنْ نَارٍ لِلشَّهَوَاتِ جَارِحْ

قِيلَ هَذَا خَوْفٌ مَحْمُودٌ مُفِيدْ   يَأْتِي بِفَضْلِ ٱللهِ إِلَى ٱلسَّالِكِ ٱلْمُرِيدْ

وَقِيلَ ٱلْخَوْفُ سَوْطُ ٱللهِ ٱلْجَبَّارِ ﷻ   يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ لِلْمُوَاظَبَةِ عَلَى ٱلْاِسْتِغْفَارِ

لِيَنَالُوا بِهِ ٱلْقُرْبَ وَٱلْإِحْسَانَ ٱلْجَزِيلْ   كَمْ عَبْدٍ تَحَوَّلَ بِٱلْخَوْفِ لِلتُّقَى وَكَانَ رَذِيلْ

وَقِيلَ هُنَاكَ خَوْفٌ يَحْصُلُ مِنَ ٱلرِّقَّةْ   بَعْدَ مُشَاهَدَةِ حَوَادِثَ فِيهَا مَشَقَّةْ

ٱلْخَوْفُ ٱلْمُسَبِّبُ لِلْقُنُوطِ هُوَ ٱلْمَذْمُومْ   حَيْثُ يَمْنَعُ مِنَ ٱلْعَمَلِ وَفِيهِ سُمُومْ

وَتَكُونُ فِيهِ ٱلدَّهْشَةُ وَزَوَالُ ٱلْعَقْلِ   وَهَذَا ٱلضَّعْفُ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ وَقِلَّةِ ٱلْعَمَلِ

وَمِنَ ٱلْخَوْفِ مَا يَقْتُلُ صَاحِبَهُ وَيُرْدِيهِ   حَسَبَ ٱلصَّدْمَةِ ٱلَّتِي تَبْتَدِئُ فِيهِ

فَٱلْعَارِفُونَ ٱلْأَوْلِيَاءُ أَحْوَالُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ   فَمَخَاوِفُهُمْ فِيهَا لَذَّةٌ وَأَذْوَاقٌ مُتَفَاوِتَةٌ

فَٱلْخَوْفُ ٱلْمَحْمُودُ يُورِثُ ٱلْحَذَرَ وَٱلْوَرَعْ   وَٱلتَّقْوَى وَٱلْمُجَاهَدَةَ وَٱلْعِبَادَةَ وَيَكُونُ كَمَاءِ ٱلزَّرْعْ

وَكَذَا سَائِرُ ٱلْأَسْبَابِ ٱلْمُوصِلَةِ لِرِضَى مَوْلَاهُ ﷻ   وَمَنْ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْخَوْفُ لَا قَلْبَ لَهُ

وَيَكُونُ قَلْبُهُ مِنْ أَقْسَى ٱلْقُلُوبِ ٱلَّتِي تُصَابْ   يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِأَشَدِّ وَأَقْبَحِ عَذَابْ

قَالَ ٱلشَّيْخُ عُثْمَانُ سِرَاجُ ٱلدِّينِ ٱلثَّانِي بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ رِحْلَتِهِ ٱلْإِرْشَادِيَّةِ فِي أُورُوبَّا: "إِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ أَغْلَقَتْ قُلُوبَهَا بِظَلَامٍ مُعْتِمٍ حَتَّى أَصْبَحَ ٱلْعَارِفُ لَا يَقْدِرُ عَلَى فَتْحِ نَافِذَةٍ فِيهَا لِيَدْعُوَ لَهُمْ وَيَعْمَلَ لِلْإِصْلَاحِ، فَقَدْ تَمَلَّكَ ٱلشَّيْطَانُ كُلَّ مَنَافِذِ قُلُوبِهِمْ".

مِثْلُ هَذِهِ ٱلْقُلُوبِ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهَا ٱلدَّيَّانْ ﷻ ... وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِحُجُبِ ٱلرَّانْ

قَالَ ﷻ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين ١٤) .

وَهَذِهِ أَتْعَسُ ٱلْقُلُوبِ رُتْبَةً وَمَهَانَةْ ... أَجَارَنَا ٱللهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحَالَةِ ٱلْمُشِينَةْ

وَمَنْ خَافَ ٱللهَ لِصِفَاتِهِ وَجَلَالِهْ ... ٱلَّتِي تَقْتَضِي ٱلْهَيْبَةَ ٱلْعَظِيمَةَ لَا مَحَالَةْ

فَهَذِهِ رُتْبَةٌ عَالِيَةٌ لِأَهْلِ ٱلْوِلَايَةِ ... ٱخْتَصَّهُمُ ٱللهُ بِهَا بِرَحْمَةٍ وَعِنَايَةِ

فَٱلْخَوْفُ مِنَ ٱللهِ خَوْفُ ٱلصَّالِحِينَ ... وَٱلْخَوْفُ مِنَ ٱللهِ خَوْفُ ٱلْمُوَحِّدِينَ

وَهَذِهِ ثَمَرَةُ ٱلْمَعْرِفَةِ فَلَا يَخَافُونَ غَيْرَهُ ... فَلْيُتَابِعِ ٱلْمُرِيدُ بِهَذَا سُلُوكَهُ وَسَيْرَهُ

فَمَخَاوِفُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ مَخَاوِفِ ٱلدُّنْيَا ... لِأَنَّ مَخَاوِفَ ٱلدُّنْيَا تُعَالَجُ عِنْدَنَا

أَمَّا مَخَاوِفُ ٱلْآخِرَةِ بِيَدِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابْ ﷻ ... يُصِيبُ بِهَا مَنْ كَفَرَ وَخَابْ

وَٱلْخَوْفُ مِنْ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَشِدَّتِهِ ... يَنْقُلُ ٱلْإِنْسَانَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَى آخِرَتِهِ

اَلسُّلُوكُ بِٱلْخَوْفِ يَقْوَى وَيَزِيدْ ... وَٱللهُ يُخَوِّفُ بِنَارِهِ سَائِرَ ٱلْعَبِيدْ

لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلسُّوءِ أَمَّارَةْ ... لَا يُخَوِّفُهَا إِلَّا نَارٌ شَدِيدَةُ ٱلْحَرَارَةْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ (الزمر ١٦) .

لَقَدْ رَدَّتِ ٱلْآيَاتُ ٱلْمُذْنِبِينَ إِلَى ٱلْاعْتِدَالِ ... وَنَقَلَتْهُمْ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَأَصْبَحُوا رِجَالَ أَحْوَالِ

فَكَانَ ٱلْخَوْفُ وَٱلْوَعْدُ لَهُمْ خَيْرَ مُعَالَجَةٍ ... مَرُّوا فِيهِ بِلَا جِدَالٍ وَلَا مُحَارَجَةٍ

فَكُلٌّ يَأْخُذُ نَصِيبَهُ مِنَ ٱلْخَوْفِ بِأَيَّامِهِ ... حَسَبَ ٱلْحَاجَةِ لِسُلُوكِهِ وَدَرَجَةِ مَقَامِهِ

لَا بُدَّ مِنْ عَارِفٍ بِعِلَلِ بَاطِنِهِ ٱلْخَفِيِّ ... لِيُبَيِّنَ لَهُ قَدْرَ حَاجَتِهِ وَمَا يَكْفِي

كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ تَأَلَّمَ قَلْبُهُ وَٱحْتَرَقَ ... مِنْ شِدَّةِ ٱلْخَوْفِ ٱلَّذِي بِهِ تَعَلَّقَ

وَٱلْبَعْضُ قَطَعَ مَقَامَاتِ ٱلْخَوْفِ ٱلْمُتْعِبَةْ ... فَصَارَ حَالُهُ أَعْلَى مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ ٱلْمُرْعِبَةْ

وَٱنْتَقَلَ مِنْ خَوْفٍ مُؤْلِمٍ لِخَوْفٍ مُؤْنِسْ وَهَـٰذَا لِأَنَّـهُ عَلَـى ٱلتَّقْوَى مُؤَسَّـسْ

وَٱلْخَـوْفُ أَشْـكَالٌ وَأَنْـوَاعٌ وَأَحْـوَالْ يَتَحَـوَّلُ إِلَى لَـذَّةٍ بِحَسَـبِ هِمَـمِ ٱلرِّجَـالْ

وَأَرْقَى ٱلْخَلْـقِ فِي هَـٰذِهِ ٱلْمَرَاتِـبِ ٱلرَّاقِيَـةِ هُوَ رَسُولُنَا ٱلْأَعْظَمُ ﷺ صَاحِبُ ٱلرُّتَـبِ ٱلْعَالِيَـةِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "**أَمَا وَٱللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**"(البخاري ، الحديث : ٥٠٦٣)

كُلَّمَـا ٱزْدَادَتِ ٱلْمَعْرِفَـةُ أَوْرَثَـتْ جَـلَالْ ٱلْخَـوْفِ وَأَحْـرَقَ قُلُـوبَ ٱلرِّجَـالِ

وَيُـرَى فِي ٱلْبَـدَنِ وَٱلْجَـوَارِحِ وَٱلْجِهَـاتِ فَيَفُورُ ٱلْبُكَاءُ مُسْتَبْدِلًا صِفَاتِهِ بِأَحْسَنِ ٱلصِّفَاتِ

لَيْسَ ٱلْخَائِفُ مَـنْ يَبْكِـي وَيَمْسَـحُ عَيْنَيْـهِ بَلْ مَنْ يَتْرُكُ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَيْـهِ

مَـنْ خَـافَ شَـيْئًا هَـرَبَ مِنْـهُ وَمَـنْ خَـافَ ٱللهَ هَـرَبَ إِلَيْـهْ

وَإِشَارَةُ صِحَّةِ ٱلْخَوْفِ أَنَّ ٱلْمَعَاصِيَ ٱلْمَحْبُوبَةَ تُصْبِحُ عِنْدَ ٱلْخَائِفِ ذَلِيلَـةً مَطْرُودَةً مَكْرُوهَـةَ

حَيْثُ تَحْتَرِقُ ٱلشَّهَوَاتُ وَتَتَأَدَّبُ ٱلْجَوَارِحْ بِٱلْخَوْفِ ٱلْحَقِيقِيِّ وَيَلْتَزِمُ ٱلْقَلْبُ بِٱلنَّصَائِحْ

وَيَصِيرُ فِيهِ ذُبُولٌ وَخُشُوعٌ وَذِلَّةٌ وَٱسْتِكَانَةُ وَيُفَارِقُهُ ٱلْكِبْرُ وَٱلْحِقْدُ وَٱلْحَسَدُ وَٱلْإِهَانَـةُ

فَيَسْتَوْعِبُ هُمُومَ ٱلْآخِرَةِ وَخَطَرَ عَاقِبَتِـهِ وَيَفْزَعُ لِنَفْسِهِ بِٱلْمُحَاسَبَةِ عَلَى هَفَوَاتِ حَيَاتِهِ

وَتَنْشَغِلُ ٱلنَّفْسُ بِٱلْخَطَرَاتِ وَيُحَاسِبُ ٱلْخُطُوَاتِ وَيُرَاقِبُ كُلَّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ مِنَ ٱلْكَلِمَاتِ

فَيَغْلِبُ عَلَى بَاطِنِهِ ٱلْخَوْفُ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ كُلَّمَـا ٱزْدَادَ مَعْرِفَـةً بِـٱللهِ وَتَقَـرَّبَ إِلَيْـهِ

إِنَّ خَـوْفَ ٱلْمَلَائِكَـةِ عليهم السلام مِـنْ رَبِّهِـمْ خَـوْفٌ مُمَيَّزٌ وَهُـوَ أَشَـدُّ مِـنْ غَيْرِهِـمْ

قَالَ ﷺ :"**مَا جَاءَنِي جِبْرِيلُ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ يُرْعَدُ فَرَقًا**[1] **مِنَ ٱلْجَبَّارِ**"[2]

إِنَّ لِلْأَوْلِيَـاءِ رضي الله عنهم أَحْـوَالًا بِـٱلْخَـوْفِ رَهِيبَـةْ وَلِلصَّالِحِينَ ٱلْكُمَّلِ حَوَادِثُ فِيهَا كُلُّ عَجِيبَـةْ

مِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ٱلْخَوْفُ كَبِدَهُ وَأَضْنَاهُ وَمِـنْهُمْ مَـنْ أَحْـرَقَ قَلْبَـهُ وَأَفْنَـاهُ

رُوِيَ أَنَّ زُرَارَةَ بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه صَلَّى بِٱلنَّاسِ ٱلْغَدَاةَ فَلَمَّا قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ (المدثر ٨) خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَحُمِلَ مَيِّتًا .

(١) فَرَقًا : أَيْ خَوْفًا.

(٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٨١

إِنَّ ٱلْخَوْفَ أَنْسَاهُمُ ٱلضَّحِكَ وَٱلطَّعَامْ وَغَابُوا عَنْ إِحْسَاسِهِمْ بِٱلْهُيَامْ
كَأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِجَهَنَّمَ وَقَدْ سُعِّرَتْ وَيَتَفَكَّرُونَ بِٱلأَغْلَالِ وَقَدْ نُصِبَتْ
أَرْوَاحُهُمْ تَرْجُفُ مِنَ ٱلزَّبَانِيَةِ ٱلَّتِي أُعِدَّتْ وَيَخَافُونَ إِذَا أَدْعِيَتُهُمْ عَلَيْهِمْ رُدَّتْ
طَيَّرَ ذِكْرُ جَهَنَّمَ نَوْمَ ٱلْخَائِفِينَ وَأَرْعَدَ فَرَائِصَ نُخْبَةِ ٱلْمُتَّقِينَ
وَهٰذَا ٱلْخَوْفُ لَيْسَ مِنْ كَثْرَةِ ٱلذُّنُوبِ بَلْ مِنْ كَمَالِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَصَفَاءِ ٱلْقُلُوبِ
قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَأْمَنُ لِقِلَّةِ ذُنُوبِنَا وَكَثْرَةِ طَاعَتِنَا بَلْ غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا
وَصَدَّتْنَا عَنْ مُلَاحَظَةِ أَحْوَالِ غَفْلَتِنَا نَسْأَلُ ٱللهَ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ يُصْلِحُنَا
إِنَّ ٱلْقَلْبَ ٱلصَّافِي تُحَرِّكُهُ أَدْنَى مَخَافَةٍ وَٱلْقَلْبُ ٱلْقَاسِي مَحْجُوبٌ مَعْ كُلِّ آفَةٍ

ٱلْبُكَاءُ

لِيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلْبُكَاءَ سِرٌّ عَمِيقْ فَهُوَ مَرْبُوطٌ بِٱلْفِكْرِ وَٱلْقَلْبِ ٱلدَّقِيقْ
قَدْ ذَكَرَهُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ وَٱلْبُكَاءُ ٱلصَّادِقُ إِشَارَةُ سِرِّ أَحْبَابِهِ
قَالَ تَعَالَى عَمَّنْ كَانَ كَافِرًا حَقِيرًا ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ (التوبة ٨٢)
وَوَصَفَ ٱللهُ حَالَ ٱلتَّائِبِينَ جَزَعًا ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (الإسراء ١٠٩)
وَٱلْبُكَاءُ عَلَى أَنْوَاعٍ وَلَهُ أَسْبَابٌ عِنْدَ ٱلْبَشَرِ مِنْهُمْ مَنْ يُبْكِيهِ فُقْدَانُ دِرْهَمٍ وَحَجَرِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْكِي عَلَى خَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْكِي عَلَى فِرَاقِ مَحْبُوبِهِ

قَالَ ﷺ : " **ٱللَّهُمَّ ٱرْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ تَشْفِيَانِ ٱلْقَلْبَ بِذُرُوفِ ٱلدَّمْعِ مَعْ خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ ٱلدُّمُوعُ دَمًا وَٱلأَضْرَاسُ جَمْرًا** "[1].

ٱلْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ فِيهِ لَذَّةْ كَمْ مِنْ ذَاكِرٍ بِبُكَائِهِ وَصَلَ إِلَى ٱلْعِزَّةْ
أَكْثَرُ أَهْلِ ٱلسُّلُوكِ دُمُوعُهُمْ حَاضِرَةْ تَذْرِفُ عُيُونُهُمْ قَطْرَةً بَعْدَ قَطْرَةْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٣

لِأَنَّ عُيُونَهُمْ تَرْجُمَانُ أَكْثَرِ ٱلْمَشَاهِدِ مِنْ كُشُوفَاتٍ وَعِرْفَانٍ لِلْكَامِلِ ٱلْعَابِدِ

فَمُشَاهَدَةُ ٱلْعُلُومِ تُبْكِي ٱلْقُلُوبْ لِأَنَّهَا أَتَتْهُ مِنْ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبْ ﷻ

قَالَ دَاوُدُ عليه السلام : " دَعُونِي أَبْكِي قَبْلَ خُرُوجِ يَوْمِ ٱلْبُكَاءِ "[1] .

خَطَبَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "... وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً"[2]

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "ٱبْكُوا. فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا". (رواه ابن ماجه)

ٱلْبُكَاءُ ثِمَارُهُ عَدِيدَةْ وَحَالَاتُهُ مُفِيدَةْ وَٱلْبُكَاءُ دَلِيلُ رِقَّةِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْجَيِّدَةْ

وَهُوَ دَوَاءٌ لِمَنْ يَجِدُ فِي قَلْبِهِ قَسَاوَةْ فَٱلْبُكَاءُ يُؤَثِّرُ عَلَى قَلْبِهِ فِي ٱلنِّهَايَةْ

ٱلْكَافِرُ يَبْكِي عَلَى فُقْدَانِ مَالِهِ وَٱلْمُؤْمِنُ يَبْكِي عَلَى ضَعْفِ أَحْوَالِهِ

قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ٱلْعَزِيزِ :

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (الإسراء ١٠٩)



ٱلصَّبْرُ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر ١٠)

قَوِيُّ ٱلْإِيمَانِ مَعْ صَبْرِهِ يَصْرَعُ ٱلضَّعِيفْ حَيْثُ ٱلْبَاطِلُ لَا إِيمَانَ فِيهِ وَعُودُهُ خَفِيفْ

مَعَ ٱلذِّكْرِ وَٱلْجُهْدِ وَعَرَقِ ٱلْجَبِينِ يَتَوَلَّدُ ٱلصَّبْرُ وَيَشِعُّ فِيهِ نُورُ ٱلْيَقِينِ

فَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْبَلَايَا وَٱلْمَصَائِبِ وَٱلْمَحْظُورَاتِ وَعَلَى ٱلْمَكَارِهِ وَٱلْأَذَى مِنَ ٱلضَّرُورَاتِ

قال ﷻ (محمد ٣١)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾

وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلنِّعْمَةِ أَقْوَى وَأَشَدّ حَتَّى لَا تَمِيلَ نَفْسُهُ إِلَى ٱللَّعِبِ وَٱللَّهْوِ ٱلْمُعَدّ

وَيَسْتَعْمِلَ نِعْمَةَ ٱلْمَالِ بِٱلشَّهَوَاتِ ٱلْقَاتِلَةْ وَيَشْتَرِيَ بِمَالِهِ مَا تُرِيدُ نَفْسُهُ ٱلْفَاشِلَةْ

يَجِبُ أَنْ يُرَاعِيَ حُقُوقَ ٱللهِ عِنْدَ إِنْفَاقِ مَالِهِ فَٱلصَّبْرُ عَلَى ذَلِكَ طَاعَةٌ بِسَائِرِ أَحْوَالِهِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٨٢

(٢) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١٥ ص ١١١

وَأَشَدُّ ٱلصَّبْرِ ٱلصَّبْرُ عَنِ ٱلْمَعَاصِي ... ٱلَّتِي أَصْبَحَتْ مَأْلُوفَةً لِكُلِّ قَلْبٍ قَاسِي

فَقَمْعُهَا صَعْبٌ لِمَا فِيهَا مِنْ ثِقَلٍ ظُلْمَانِيّ ... إِلَّا عَلَى مَنْ كَانَ صَابِرًا مُجَاهِدًا رَبَّانِيّ

كَٱلصَّبْرِ عَنْ مَعَاصِي ٱللِّسَانِ وَٱلْغِيبَةِ ... وَٱلْمُرَاءَاةِ وَٱلْكَذِبِ وَٱلْأَذَى وَٱلنَّمِيمَةِ

وَٱلْمُزَاحِ ٱلْمُؤْذِي ٱلْجَارِحِ لِلْقُلُوبْ ... ٱلَّذِي فِيهِ نَقْصٌ وَٱسْتِحْقَارٌ وَعُيُوبْ

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى حِفْظِ لِسَانِهِ وَضَبْطِهْ ... عَلَيْهِ ٱلِٱنْفِرَادُ وَٱلْعُزْلَةُ مَهْمَا طَالَ وَقْتُهْ

أَكْثَرُ ٱلْجَهَلَةِ يُؤْذُونَ ٱلنَّاسَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ... بِتَجْرِيحِ عِرْضِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ بِشَرَفِهِمْ

لَا يَعُدُّونَ ذَلِكَ نَمِيمَةً وَلَا غِيبَةْ ... وَيَقُولُونَ نُحَذِّرُ ٱلنَّاسَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمُصِيبَةْ

لَا بُدَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ عَلَى تِلْكَ ٱلْفِرَقْ ... وَأَكْثَرُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ مِنَ ٱلدِّينِ قَدْ مَرَقْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب ٤٨) .

وَقَالَ ﷻ : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل ١٠)

بَعْضُ ٱلْمُرِيدِينَ يَضِيقُ صَدْرُهُ عِنْدَ ٱلِٱسْتِمَاعِ ... إِلَى مَنْ يَنْقُلُ إِلَيْهِ أَخْبَارَهُمْ كَٱلْمِذْيَاعِ

يَجِبُ أَلَّا نَقْبَلَ هَذَا ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي يَضُرُّ بِنَا ... بَلْ نَلْجَأُ إِلَى ٱللهِ وَنَدْعُوهُ فَهُوَ حَسْبُنَا

لَقَدْ وَصَفَ لَنَا ٱلْقُرْآنُ ٱلْكَرِيمُ عِلَاجَ ذَلِكْ ... وَطَلَبَ ٱلتَّسْبِيحَ ٱلْمُنْجِيَ مِنْ كُلِّ ٱلْمَهَالِكْ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (الحجر ٩٧ – ٩٨) .

ٱلصَّبْرُ عَلَى بَلَاءِ ٱللهِ مُخَصَّصٌ لِلْأَنْبِيَاءْ ... فَهُوَ رُتْبَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهَا ٱلضُّعَفَاءْ

وَٱلصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ ٱلْفَرَائِضِ فِيهِ مَرَاتِبُ ... فَلَهُ ثَلَاثُمِائَةِ دَرَجَةٍ يَكْتُبُهَا ٱلْكَاتِبُ

وَسِتُّمِائَةِ دَرَجَةٍ لِمَنْ صَبَرَ عَنِ ٱلْمَحَارِمْ ... فَذَلِكَ مِنَ ٱلرَّحِيمِ إِحْسَانٌ وَمَكَارِمْ

وَتِسْعُمِائَةٍ لِمَنْ صَبَرَ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ ... عِنْدَ ٱلصَّدْمَةِ ٱلْأُولَى ٱلْعَجِيبَةِ ٱلْمَهِيبَةِ



قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ، زَوْجَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ :"**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ٱللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا،إِلاَّ أَجَرَهُ ٱللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ. وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا**" (صحيح مسلم ج٦ ص٢٢١)

عَلَى ٱلْمُرِيدِ مَعْرِفَةُ أَنَّ غِذَاءَ ٱلسُّلُوكِ ٱلصَّبْرْ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمَقَامَاتِ كَمَا جَاءَ فِي ٱلْخَبَرْ

وَقَالَ ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ٢٠٠)

وَٱلصَّبْرُ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ مَنَازِلِ ٱلسَّالِكِينْ بِهِ يَدْفَعُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهَوَاتِ وَٱلشَّيَاطِينْ

فَٱلْقِتَالُ قَائِمٌ بَيْنَ ٱلنَّفْسِ وَٱلْفِكْرِ وَٱلصَّبْرُ مُجَاهَدَةٌ تَنْفَعُ ٱلْإِنْسَانَ فِي ٱلْقَبْرْ

فَإِنْ ثَبَتَ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهَا وَحَطَّمَهَا فَقَدْ نَصَرَ دِينَهُ وَنَجَا مِنْ أَذَاهَا

وَإِنْ قَهَرَتْهُ بِشَهْوَةٍ وَعَلَيْهِ ٱنْتَصَرَتْ فَقَدْ أَضْعَفَتْ تَقْوَاهُ وَأَغْوَتْهُ وَفَجَرَتْ

فَيَجِبُ أَلَّا يَسْتَسْلِمَ،وَلْيَتَذَكَّرِ ٱلْحِسَابْ وَيُخَوِّفْهَا بِوَعِيدِ ٱللهِ وَنَارِ ٱلْعَذَابْ

وَيُغَيِّرْ طَعَامَهُ وَأَصْحَابَهُ وَجِيرَانَهْ فَرُبَّمَا أَصَابَهُ ظَلَامُهَا أَوْ ظَلَامُ أَحَدِ خِلَّانِهْ

فَأَضْعَفَ صَبْرَهُ وَمُجَاهَدَاتِهِ ٱلْقَلْبِيَّةْ وَغَيَّرَ أَفْكَارَهُ وَأَوْقَعَهُ بِحَالَةٍ رَدِيَّةْ

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱلْمَعْصِيَةَ وَٱلرُّكُونَ إِلَيْهَا ضَارٌّ وَطَاعَةُ ٱللهِ نَافِعَةٌ لِلْقَلْبِ وَفِيهَا أَسْرَارٌ

وَلْيَدْفَعِ ٱلْمَعْصِيَةَ بِقُوَّةِ ٱلصَّبْرِ ٱلْعَظِيمَةِ وَيَقْهَرْ بَاعِثَ ٱلْهَوَى وَٱلْكَسَلِ بِٱلْعَزِيمَةِ

فَيَجِدُ حَلَاوَةَ ٱلِٱنْدِفَاعِ إِلَى مَا يَنْفَعُهُ بِدِينِهْ فَيَبْتَعِدُ عَنِ ٱلْبَاعِثِ ٱلَّذِي يَضُرُّهُ وَيُهِينُهْ

وَعِنْدَمَا يَتَبَيَّنُ لَهُ ضَرَرُ ٱلِٱخْتِلَاطِ ٱلْفَاسِدِ يَعُودُ تَدْرِيجِيًّا إِلَى جَمِيلِ ٱلْمَقَاصِدِ

مَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَشْكُرْ رَبَّهُ ٱلْكَرِيمْ لِأَنَّهُ أَعَانَهُ عَلَى ٱلطَّاعَةِ بِفَضْلِهِ ٱلْعَظِيمْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ :"**ٱلْإِيمَانُ نِصْفَانِ فَنِصْفٌ فِي ٱلصَّبْرِ وَنِصْفٌ فِي ٱلشُّكْرِ**"[1].

وَٱلصَّبْرُ يَكُونُ بِٱلْبَدَنِ وَٱلْجَوَارِحِ كَٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلْعِبَادَاتِ وَحِفْظِهَا مِنَ ٱلْقَبَائِحِ

(١) الفتح الكبير ج ١ ص ٥١٠

وَمِنَ ٱلصَّبْرِ تَحَمُّلُ ٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْآلَامِ   عِنْدَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلرِّجَالِ وَتَحَمُّلُ أَذِيَّةِ ٱلْكَلَامِ

وَٱلصَّبْرُ ٱلنَّفْسِيُّ عَنِ ٱلْمُشْتَهَيَاتِ مِنَ ٱلْمُحَرَّمَاتِ   وَٱلْهَوَى وَعَلَى فُقْدَانِ كُلِّ عَزِيزٍ قَدْ مَاتَ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٧٧)

وَقَالَ ﷻ : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١٣٤)

ٱلَّذِي يَسْلُكُ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمُسْتَقِيمَ بِنُورِ ٱلرَّحْمَٰنِ   يُلَاحِظُ لَذَّةً فِي ٱلصَّبْرِ وَحَلَاوَةَ ٱلْإِحْسَانِ

وَقَدْ يَمُرُّ مَعَ ٱلصَّبْرِ إِشَارَاتُ قُنُوطْ   وَيَأْسٍ وَيَشْعُرُ كَأَنَّهُ يَلُفُّهُ أَخْطَبُوطْ

فَكُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلصَّبْرُ خَفَّ مِنَ ٱلْيَأْسِ شَرَرُهُ   وَتَحَلَّلَتْ خُيُوطُهُ إِلَى أَنْ يَخْتَفِيَ أَثَرُهُ

لَا بُدَّ مِنْ مُتَابَعَةِ ٱلْمُحَارَبَةِ ٱلْمُتَوَاصِلَةِ   لِفَصْلِ ٱلْحَقِّ عَنِ ٱلْبَاطِلِ بِطَرِيقَةٍ مُزَلْزِلَةِ

وَٱلتَّيْسِيرُ مِنَ ٱللهِ عَلَى قَدْرِ ٱلْإِخْلَاصِ   ذَلِكَ فَضْلُ ٱللهِ حَسَبَ ٱلْإِخْتِصَاصِ

وَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ ٱلسَّالِكُ فِي دُرُوبِ ٱلْآخِرَةِ   أَنَّ مِنْ كَمَالِ ٱلصَّبْرِ كِتْمَانُ ٱلْمَصَائِبِ ٱلْمُبَعْثَرَةِ

كَٱلْفَقْرِ وَٱلْمَصَائِبِ وَٱلْأَوْجَاعِ ٱلْمُحْدِقَةِ   وَٱلصَّبْرُ عَلَيْهَا وَلَوْ كَانَ فِي مُحْرِقَةِ

لِلشَّيْطَانِ جُنْدَانِ: جُنْدُ وَسْوَاسٍ يَطِيرُ   وَجُنْدٌ لِلشَّهْوَةِ بِحَرَكَةِ ٱلشَّيْطَانِ يَسِيرُ

فَٱشْغَلْ قَلْبَكَ بِٱلصَّبْرِ عِنْدَ ٱلْمُصِيبَةْ   لِتُفَوِّتَ عَلَيْهِ غَرَضَهُ وَقَلْبُكَ لَا يُعِيبُهُ

وَقَالَ ﷻ : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال ٤٦)

لَا تَخَفْ مِنَ ٱلْعِلَّةِ فَتَضِجَّ وَتَضْطَرِبْ   فَٱللهُ هُوَ ٱلشَّافِي وَمِنْ ذِكْرِهِ ٱقْتَرِبْ

إِنَّ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلدَّاءَ أَنْزَلَ ٱلدَّوَاءَ   فَإِنْ صَبَرْتَ وَذَكَرْتَ ٱللهَ يَسَّرَ ٱلشِّفَاءَ

لَا بُدَّ أَنْ يَغْلِبَ أَحَدُهُمَا ٱلْآخَرْ   سَتَنْتَصِرُ بِصَبْرِكَ وَلَوْ جَاءَ ٱلنَّصْرُ مُتَأَخِّرْ

وَمِنْ عَوَامِلِ ٱلنَّصْرِ ٱلْإِقْتِنَاعُ بِٱلْيَسِيرْ   فَٱلْقَنَاعَةُ صَبْرٌ وَلَوْ كَانَ ٱلْأَمْرُ عَسِيرْ

ٱلشُّكْرُ عَلَى ٱلصَّبْرِ فِيهِ طَاعَةٌ مُرِيحَةٌ   وَٱلشَّكْوَى مِنَ ٱلْبَلْوَى لِغَيْرِ ٱللهِ قَبِيحَةٌ

كَيْفَ تَشْكُو إِلَى غَيْرِ مَالِكِ ٱلْمُلُوكْ ۞ إِلَى عَبْدٍ ضَعِيفٍ لِلهِ مَمْلُوكْ
لَا يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ بِٱلْوُجُودْ ۞ وَٱلْمُتَصَرِّفُ فِي ٱلْكُلِّ هُوَ ٱللهُ ٱلْمَعْبُودْ
ذُلُّ ٱلْعَبْدِ ٱلصَّابِرِ لِمَوْلَاهُ عِزٌّ مُبِينٌ ۞ وَٱلشَّكْوَى لِغَيْرِ ٱللهِ ذُلٌّ مُهِينٌ

قَالَ ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (الأعراف ١٩٤)

ٱلصُّوفِيَّةُ كَتَمُوا ٱلشَّكْوَى فَثَبَّتَتْ أَنْفُسَهُمْ ۞ وَهَـٰذِهِ أَقْوَالُهُمْ تُعْرِبُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ
وَنَالُوا مَرْتَبَةَ: يُحِبُّهُمُ ٱللهُ وَيُحِبُّونَهُ ۞ مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ يَشْكُرُونَهُ عَلَيْهَا وَيَحْمَدُونَهُ
فَلَا يَرَوْنَ غَيْرَ ٱللهِ مُؤَثِّرًا فِي ٱلْوُجُودِ ۞ وَهَـٰذَا بِفَضْلِ رَبِّهِمُ ٱلْوَاحِدِ ٱلْمَعْبُودِ
وَعَبَّرُوا عَنْهُ بِأَنَّهُ فَنَاءُ نُفُوسِهِمْ بِرَبِّهِمْ ۞ فَٱكْتَسَبُوا مِنْ ذَٰلِكَ ٱلصِّدْقَ فِي حُبِّهِمْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم ٧) .

فَٱلسُّلُوكُ إِلَى مَرْضَاةِ ٱللهِ فِيهِ عَقَبَاتٌ شَدِيدَةْ ۞ وَلَا تُزَالُ ٱلْعَقَبَاتُ إِلَّا بِٱلصَّبْرِ وَٱلنِّيَّةِ ٱلْأَكِيدَةْ
فَإِنْ أَكَدْتَ عَلَى ٱلْبَعْضِ بِٱلصَّبْرِ وَٱلْمُجَاهَدَةِ ۞ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ ٱلْمُكَابَدَةِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ "(صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١٦ ص ١٩٨)

إِنَّ حَرَكَةَ ٱللَّطَائِفِ فِي ٱلسُّلُوكِ وَٱلْوُصُولْ ۞ هِيَ مِنْ أَفْعَالِ ٱللهِ يُحَرِّكُ بِهَا ٱلْمُجِدَّ وَٱلْكَسُولْ
عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْإِسْتِعَانَةُ بِمَا خَلَقَ ٱلْإِلَـٰهْ ۞ لِلْوُصُولِ إِلَى ٱلْجَنَّةِ بِمَقَامِ: صَابِرٍ أَوَّاهْ
وَٱلتَّجَافِي عَنْ دَارِ ٱلْغُرُورِ مَعَ ٱلذِّكْرِ ۞ وَدَوَامِ ٱلصَّبْرِ ٱلْمَرِيرِ وَٱلشُّكْرِ وَٱلْفِكْرِ
وَٱلسَّاهِرُ عَلَى جَمْعِ حُطَامِهَا مَعْكُوسٌ ۞ وَتَارِكُ ٱلصَّبْرِ عَلَى عِبَادَةِ ٱللهِ مَنْكُوسٌ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٢) .

← الشيخ الصوفي والمؤلف الكبير الفقيه يوسف النبهاني

بلغ حضرة الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي الأول في الطريقة العراق

الشيخ الصوفي إسماعيل الرمضاني ـ العراق الرماني ←



ٱلإِخْلَاصُ

ٱلإِخْلَاصُ أَنْ يَكُونَ سُكُونُ ٱلعَبْدِ   وَحَرَكَاتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى ٱلفَرْدِ ٱلصَّمَدِ

وَخَالِصُ ٱلإِخْلَاصِ مَا صَفَا   عَنْ جَمِيعِ ٱلآفَاتِ وَٱلهَوَى

وَٱلإِخْلَاصُ هُوَ صِدْقُ ٱلنِّيَّةِ   وَتَزْكِيَةُ ٱلنَّفْسِ وَصَلَاحُ ٱلطَّوِيَّةِ

مَنْ أَخْلَصَ بِعَمَلِهِ لِيَدْخُلَ ٱلجَنَّةْ   أَوْ لِيَنْجُوَ مِنَ ٱلنَّارِ ٱلمُسْتَعِرَةِ ٱلمُهِينَةْ

فَإِخْلَاصُهُ مَخْلُوطٌ بِٱلحُظُوظِ ٱلنَّفْسِيَّةِ   فَلَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ صَافِيًا بِتِلْكَ ٱلنِّيَّةِ

وَٱلإِخْلَاصُ أَنْ لَا يَطْلُبَ بِذَلِكَ عِوَضْ   بَلْ يَكُونُ طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى وَبِلَا غَرَضْ

فَإِذَا كَانَ عَمَلُهُ مَحَبَّةً لِلَّهِ فِي ٱلأَسَاسْ   وَنَظَرُهُ إِلَى ٱلأَجْرِ تَابِعٌ فَلَا بَأْسْ

قَالَ ٱلحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى عليه السلام: " مَا ٱلخَالِصُ مِنَ ٱلأَعْمَالِ، فَقَالَ: ٱلَّذِي يَعْمَلُ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيهِ أَحَدٌ "[1].

وَقِيلَ ٱلإِخْلَاصُ دَوَامُ ٱلمُرَاقَبَةِ   وَنِسْيَانُ ٱلحُظُوظِ كُلِّهَا مَعَ ٱلمُحَاسَبَةِ

قَدْ يُعَطِّلُ أَحَدُهُمْ ثَوَابَ إِخْلَاصِهِ وَيُعَكِّرُهُ   فَيَعْمَلُ بِجِدٍّ حَتَّى ٱلنَّاسُ تُوَقِّرُهُ

كَأَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ لِيَنْظُرَ إِلَيهِ ٱلحَاضِرْ   أَوْ يُكْثِرَ ٱلذِّكْرَ أَمَامَ غَيْرِهِ كَٱلمُتَفَاخِرْ

فَعَلَى ٱلمُرِيدِ أَنْ يَحْذَرَ تِلْكَ ٱلعِلَلِ   وَيُخْلِصَ بِطَاعَتِهِ لِلَّهِ بِلَا مَلَلِ

وَيَتَحَفَّظُ وَيَحْذَرُ مِنْ مَكَائِدِ ٱلشَّيْطَانْ   فِي خَلْوَتِهِ وَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانْ

وَلَا يُظْهِرُ ٱلخُشُوعَ لِيُشَاهِدَ ٱلخَلْقُ عِبَادَتَهْ   فَلْيُحَارِبْ نَفْسَهُ وَيُحْسِنْ نِيَّةَ إِرَادَتِهْ

وَإِلَّا كَانَ شُغْلُهُ مَصْرُوفًا لِلْخَلْقِ   وَأَذْهَبَ ثَوَابَهُ فَلَيْسَ عَمَلُهُ طَاعَةً لِلْحَقّ

وَهَذَا مِنْ مَكَائِدِ ٱلشَّيْطَانِ ٱلخَفِيَّةِ   وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ ٱلنَّمْلَةِ ٱلذَّكِيَّةِ

فَلَا يَسْلَمُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ إِلَّا ٱلمُوَفَّقْ   ٱلَّذِي فِي كَمَالَاتِهِ مِنْ رَبِّهِ تَحَقَّقْ

(١) إحياء علوم الدين ج٤ ص ٣٨٢

وَكُلُّ شَيْءٍ يُعْرَضُ لِأَنْظَارِ الْخَلَائِقِ فَفِيهِ حَظٌّ لِجَرْحِ الْإِخْلَاصِ بِالطَّرَائِقِ
فَلَا تَغُشَّ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُرِيدْ وَتَعْمَلْ أَعْمَالَ كُلِّ عَلِيلٍ وَمَرِيضْ
مَنْ لَا يَعْلَمُ قِيمَةَ الْوَعْظِ وَالتَّعْلِيم فَلَا يُفِيدُهُ طُولُ الشَّرْحِ أَوِ التَّفْهِيم
إِذَا اجْتَمَعَ بِالْقَلْبِ النِّيَّةُ وَالْإِخْلَاصْ ازْدَادَ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ الْاِخْتِصَاصْ
فَلَا يَصِحُّ الْعَمَلُ الْمَصْحُوبُ بِالشَّوَائِبِ عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا لَا كَالْغَائِبِ
فَإِنْ غَابَ فَلْيَغِبْ بِحَيْرَةِ الْإِخْلَاصْ لَا بِغَيْبَةٍ مَعَ وَسْوَاسٍ وَخَوَاسْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف ١١٠)

الْعَمَلُ الْمَغْلُولُ فِي إِخْلَاصِهِ كَمَنْ تَصَدَّقَ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ
فَيَتَصَدَّقُ بِالْقَدِيمِ الَّذِي لَا يَصْلُحُ وَيَقُولُ هَذَا لِلهِ وَبِظَنِّهِ أَنَّهُ سَيُفْلِحُ
يَتَصَدَّقُ عَلَى جَائِعٍ بِدِرْهَمٍ أَوْ رَغِيفٍ يَابِسٍ وَهُوَ عَلَى سُفْرَتِهِ يَأْكُلُ الْأَخْضَرَ مَعَ الْيَابِسِ
عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يُنْفِقَ مِمَّا يَشْتَهِي وَيُحِبّ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالْمُخْلِصِ الْمُحِبّ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[1] ﴾ (الحشر ٩)

إِنَّ الْعَمَلَ الْخَالِصَ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى هُوَ سَبَبُ الثَّوَابِ كَمَا عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**[2] ".

فَإِنَارَةُ الْقَلْبِ بِحَسَبِ الْإِخْلَاصِ بِالْأَعْمَالِ وَالْحَسَنَةُ الْخَالِصَةُ تَغْلِبُ السَّيِّئَةَ وَلَوْ بِالْأَحْوَالِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا** ". (رواه الترمذي)

وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُحْمَدَ عَلَى الْإِخْلَاصِ فَهُوَ مُعَرَّضٌ لِمُصِيبَةِ الْمَقْتِ وَالْإِفْلَاسِ
لِيَحْذَرْ مَنْ يَتَبَرَّعُ مِنْ مَالِهِ لِيَرَاهُ الْعِبَادْ وَيُنْشَرَ اسْمُهُ فِي الصُّحُفِ لِيَسِيرَ فِي الْبِلَادْ
كَالَّذِي يَبْنِي شَيْئًا لِيَظْهَرَ لِلْعِيَانِ وَيَقُولُ هَذَا لِوَجْهِ رَبِّنَا الدَّيَّانِ ﷻ

(١) خَصَاصَةٌ : فَقْرٌ.
(٢) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ٢ ص ١٦

ثُـمَّ يَـنقُشُ ٱسْمَـهُ عَلَـى لَوْحَـةِ رُخَـامٍ   وَيَضَـعُهَا فِيهِ ذَاكِـرًا إِحْسَـانَهُ بِٱلأَرْقَـامِ
كَأَنْ يَقُولَ شَيَّدَ ٱلْمُحْسِنُ فُـلَانُ ٱبْـنُ فُـلَانٍ   هَذَا ٱلْبِنَاءَ . فَإِنَّهُ بِذَلِكَ وَضَعَ عَلَى قَلْبِهِ ٱلرَّانْ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : " **يُقَالُ لِمَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ خُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ عَمِلْتَ لَهُ** "[1] (أَيْ:يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ) .

وَكَالَّذِي يُحِبُّ الِاسْتِشْهَادَ لِتَظْهَرَ صُورَتُهْ   لِلْعِيَـانِ لِـيَعْلَمَ ٱلنَّـاسُ مَـدَى قُوَّتِـهْ
فَيَمُـوتُ مَقْتُـولًا عَلَـى هَـذِهِ ٱلنِّيَّـةْ   فَلَمْ يُقَاتِلْ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعَلِيَّةْ
ٱلشَّهِيدُ يُعْتَبَرُ شَهِيدًا بِحَسَبِ ٱلْقَصْدْ   فَمَـا زَرَعَ فِي نَفْسِـهِ مِـنْ نِيَّـةٍ حَصَـدْ

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ ﷺ :" تَقُولُونَ فُلَانٌ شَهِيدٌ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَلَأَ دُفَّتَيْ رَاحِلَتِهِ وَرِقًا".

رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ ٱلنَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " **إِنَّ أَوَّلَ ٱلنَّاسِ يُقْضَى يَـوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ ٱسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ: قَـاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى ٱسْتُشْهِدْتُ . قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ . وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ ٱلْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا . قَـالَ : تَعَلَّمْتُ ٱلْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ ٱلْقُرْآنَ . قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ ٱلْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَـى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ ٱلْمَالِ كُلِّـهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا . قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَـبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ . قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ** "[2] .

(١) رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده   (٢)رواه مسلم ج١٣ص٥٠-٥١

اَلتَّوْبَةُ ٱلصَّادِقَةُ لِلْمُرِيدِ

تَـأْتِي ٱلْمُرِيـدَ فِي مَبَـادِئِ سُـلُوكِهِ — خَـوَاطِرُ مِـنْ مَاضِـيهِ وَمَـا فِي سِـلْكِهِ
وَذَلِـكَ مِـنْ أَوَّلِ يَـوْمٍ بَلَـغَ فِيـهِ بِٱلسِّـنِّ — فَيُعْـرَضُ عَلَيْـهِ كُـلُّ فِعْـلٍ آسِـنِ
فَيَظْهَرُ لَهُ مَا قَصَّرَ وَمَا عَمِلَ مِنْ مَعَاصِي — فَيَشْعُرُ بِٱلنَّدَمِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْقَلْبِ ٱلْقَاسِي
فَـلَا يَظُـنُّ أَنَّ ذَلِـكَ وَسْـوَاسْ — فَهَـذَا لَا يَكُـونُ لِسَـائِرِ ٱلنَّـاسْ
بَلْ هُوَ شُعُورٌ صُورِيٌّ يُفِيدُهُ بِٱلتَّوْبَـةْ — يُظْهِـرُ لَـهُ فِعْلَـهُ فَيَنْدَمُ تَوْبَـةً فَتَوْبَـةْ
يُصْبِحُ بَعْدَهَا خَائِفًا عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ — فَيُحَافِظُ عَلَى خَوَاطِرِهِ وَسَائِرِ جَوَارِحِهِ
وَيَزْدَادُ بِعَمَلِ ٱلطَّاعَاتِ وَفِعْلِ ٱلْحَسَنَاتِ — بَعْدَ مَا تَيَقَّنَ بِمَا فِي سِجِلِّهِ مِنْ آفَاتِ
فَتَخْتَفِي صُوَرُ ٱلْمَاضِي بِحَسَبِ مَا يَنْزِلُ — ٱلنُّورُ عَلَيْهَا وَعَنْ فِكْرِ ٱلسُّوءِ يَنْعَزِلُ
فَكُـلُّ مَـرَضٍ بَـاطِنِيٍّ يُعَـالَجُ بِضِـدِّهِ — فَـٱلنُّورُ عِـلَاجٌ لِلظَّـلَامِ فِي مَهْـدِهِ
وَكُـلُّ حَسَـنَةٍ تَمْحُـو سَـيِّئَةً وَتُبِيـدُهَا — هَذَا عِلَاجُ ٱلنَّفْسِ وَهُوَ ٱلَّذِي يُفِيدُهَا
أَمَّـا إِذَا لَمْ يَكُـنْ لِلْمُرِيـدِ أَعْمَـالْ — تُخَلِّصُهُ مِـنْ مَعَاصِـي ٱلْأَقْوَالِ وَٱلْأَفْعَالْ
فَتَـذْهَبُ مَعَاصِـيهِ بِـٱلْهُمُومِ ٱلثَّقِيلَـةِ — ٱلَّـتِي يُنْزِلُهَـا ٱللهُ عَلَيْـهِ فِي كُـلِّ لَيْلَـةِ
فَسَـاعَةً يَبْتَلِيـهِ بِمَالِـهِ وَأَهْلِـهِ وَمَعَاشِـهِ — وَسَاعَةً فِي جَسَدِهِ وَقَلْبِهِ وَهُوَ بِفِرَاشِهِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (هود ١١٤)

وَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **" مِنَ ٱلذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا ٱلْهُمُومُ "** (١)

وَهُنَـاكَ ذُنُـوبٌ وَأَعْمَـالٌ مُتَنَوِّعَـةْ — يَقَـعُ فِيهَـا وَهِـيَ حَـرَامٌ مَمْنُوعَـةْ
لَهَـا قِصَـاصٌ وَدِيَـاتٌ وَأَحْكَـامٌ مُتَنَوِّعَـةْ — فَلْيَطَّلِعْ عَلَيْهَا بِٱلْكُتُبِ ٱلشَّرْعِيَّةِ لِلْمَنْفَعَةْ
وَٱلصُّوفِيَّةُ يَعْلَمُونَ أَهَمِّيَّةَ إِقَامَةِ ٱلْحُدُودْ — ٱلشَّرْعِيَّةِ بِٱلْمُجَاهَدَةِ فَيَضَعُونَ أَمَامَ ٱلنَّفْسِ ٱلسُّدُودْ
وَلْـيَعْلَمِ ٱلْمُرِيـدُ أَنَّ بَـابَ ٱلِٱسْـتِغْفَارِ — هُوَ وَسِيلَةٌ عُظْمَى لِكَسْبِ رِضَا ٱلْغَفَّارِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٦

فَيَثْبُتُ عَلَى ٱلتَّوْبَةِ مَعَ حُرْقَةِ ٱلنَّدَمْ   فَيَجِدُ فِيهَا لَذَّةً رُوحِيَّةً مَصْحُوبَةً بِأَلَمْ
ٱلْمُسْتَغْفِرُ يُبْعِدُ لَحْمَهُ عَنِ ٱلنَّارْ   كَمَا أَخْبَرَنَا بِكِتَابِهِ رَبُّنَا ٱلْغَفَّارْ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال ٣٣)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ : " **إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَالَ : وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. قَالَ ٱلرَّبُّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا ٱسْتَغْفَرُونِي**". (رواه أحمد في مسنده)

ٱلِٱسْتِغْفَارُ بِٱللِّسَانِ لَا يَكْفِي لِإِزَالَةِ ٱلْأَلَمْ   بَلْ لَا بُدَّ مِنَ ٱشْتِرَاكِ ٱلْقَلْبِ مَعَ ٱلنَّدَمْ
وَمِنَ ٱلْمَطْلُوبِ أَيْضًا تَنْظِيفُ ٱلْإِحْسَاسِ   لِتَمَسَّ ٱلْمَوَاعِظُ قَلْبَهُ فَيَفِرَّ مِنَ ٱلْخَنَّاسِ
كَمَا أَنَّ ٱلْمَعْصِيَةَ دَخَلَتْ ذَرَّةً فَذَرَّةً لِلْقَلْبِ   فَٱلتَّنْظِيفُ يَكُونُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَبِٱلْحَرْبِ
تَقَعُ حُرُوبٌ نَفْسِيَّةٌ مَعَ ٱلْأَفْكَارِ وَٱلْخَوَاطِرِ   فَلَا بُدَّ مِنْ مُجَاهَدَاتٍ يَصُومُ فِيهَا بِٱلْهَوَاجِرِ(١)
فَأَدْوِيَةُ ٱلْأَمْرَاضِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ عِلْمٌ نَفِيسْ   لِكُلِّ عِلَّةٍ تَسْبِيحَةٌ وَٱسْتِغْفَارٌ بِهِ يَقِيسْ
وَٱلْمُرْشِدُ ٱلْمُرَبِّي يَصِفُ ٱلْأَدْوِيَةَ ٱلْمُنَاسِبَةْ   كَأَنَّهَا مَحْسُوبَةٌ بِٱلْآلَةِ ٱلْحَاسِبَةْ
مَرَضُ ٱلْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ مَرَضِ ٱلْأَبْدَانِ   وَقَدْ كَثُرَتْ عِلَلُهَا بِهَذَا ٱلزَّمَانِ
ٱلْمُتَنَطِّعُ بِٱلطِّبِّ يَأْمُرُ بِٱلْعِلَاجِ لِلْمَرِيضِ   وَيَنْسَى أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ بِٱلْخَطِّ ٱلْعَرِيضِ
وَبِهَذَا يَزِيدُ ٱلدَّاءُ وَيَعْظُمُ ٱلْوَبَاءْ   بَعْدَمَا تَدَخَّلَ ٱلْجَاهِلُ بِٱلْإِرْشَادِ وَٱلْإِغْوَاءْ
قِيلَ مَنْ يَرْحَمْ يُرْحَمْ وَمَنْ يَصْمُتْ يَسْلَمْ   وَمَنْ يَقُلِ ٱلْخَيْرَ يَنْعَمْ وَمَنْ يَقُلِ ٱلشَّرَّ يَأْثَمْ
وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ يَنْدَمْ   فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْعَاقِلِ أَنْ يَفْهَمَ وَيَعْلَمْ
وَمَنْ كَانَ تَأَثُّرُهُ بِٱلْمَوْعُودِ ضَعِيفٌ   فَقَلْبُهُ مَحْجُوبٌ وَإِحْسَاسُهُ خَفِيفٌ
ٱلْبَعْضُ يَتَأَثَّرُ بِحَوَادِثِ ٱلْحَاضِرْ   لِأَنَّهُ يُشَاهِدُ مَا هُوَ عَلَيْهِ قَادِرْ
وَمَنِ ٱزْدَادَ عِنْدَهُ ٱلْإِيمَانُ وَٱلْيَقِينُ وَٱلْعِرْفَانْ   قَوِيَتْ عِنْدَهُ ٱلْإِحْسَاسَاتُ بِوَعْدِ ٱلرَّحْمَنْ

(١) ٱلْهَوَاجِرُ : نِصْفُ ٱلنَّهَارِ عِنْدَ ٱشْتِدَادِ ٱلْحَرِّ .

فَتَرَاهُ يَتَأَثَّرُ عِنْدَ سَمَاعِ ٱلْآيَاتِ وَٱلْأَحَادِيثِ   لِكَثْرَةِ رِقَّتِهِ وَصَفَاءِ قَلْبِهِ ٱلنَّفِيسِ

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ لِلتَّوْبَةِ عِدَّةَ أَبْوَابْ   وَٱلتَّائِبُ مِنَ ٱلذَّنْبِ لَهُ أَجْرٌ وَثَوَابْ

فَٱللَّهُ غَافِرٌ لِلذُّنُوبِ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ   أَجَارَنَا رَبُّنَا ﷻ مِنْ يَوْمِ ٱلْعَرْضِ وَٱلْحِسَابِ

ٱلتَّوْبَةُ ٱلصَّادِقَةُ لِلْعَبْدِ مِنَ ٱلذُّنُوبِ   بِٱلرُّجُوعِ إِلَى سَتَّارِ ٱلْعُيُوبِ وَعَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ ﷻ

فَهِيَ مَبْدَأُ طَرِيقِ كِبَارِ ٱلسَّالِكِينَ   وَثَرْوَةُ ٱلْفَائِزِينَ وَأَوَّلُ سُلُوكِ ٱلْمُرِيدِينَ

مَا أَرْوَعَ قِصَّةَ أَبِي ٱلْبَشَرِ آدَمْ ﷺ   فَٱلْحَادِثَةُ كُلُّهَا كَانَتْ زَلَّةَ قَدَمْ

ٱلنَّادِمُ مِنَ ٱلذَّنْبِ قَدَّمَ عَلَى صَفَائِهِ ٱلْبُرْهَانْ   وَٱلرَّافِضُ لِلتَّوْبَةِ مُصِرٌّ عَلَى ٱلطُّغْيَانْ

فَلْنُسْرِعْ قَبْلَ أَنْ يُطْوَى بِسَاطُ ٱلْاِخْتِيَارِ   وَنُسَاقَ إِمَّا إِلَى ٱلْجَنَّةِ أَوْ إِلَى ٱلنَّارِ

ٱلتَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ فِي جَمِيعِ ٱلْأَحْوَالِ   وَإِذَا صَحَّتْ كَانَتْ مَقْبُولَةً بِٱلْحَالِ

وَٱلذُّنُوبُ سُمُومٌ مُهْلِكَةٌ مُضِرَّةٌ لِلْمُرِيدِ   وَلَا بُدَّ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ وَٱلنَّدَمِ لِسَائِرِ ٱلْعَبِيدِ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : " **ٱلنَّدَمُ تَوْبَةٌ** " (رواه الإمام أحمد ﵁ في مسنده)

يَتَعَرَّضُ صَاحِبُ ٱلتَّوْبَةِ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَلَمْ   حِينَمَا يُقْدِمُ ٱلتَّائِبُ عَلَيْهَا بِحَزْمٍ فَيَسْلَمْ

عَلَى قَدْرِ كُلِّ طَاعَةٍ تَذُوبُ ٱلْمَعَاصِي وَتَحْتَرِقْ   وَيُلَاحِقُهُ ٱلْأَلَمُ لِغَايَةِ ٱلْمَعَاصِي عَنْهُ تَفْتَرِقْ

وَيَبْقَى ٱلْعِلَاجُ بِهَذَا ٱلشَّكْلِ حَتَّى يَبْيَضَّ قَلْبُهُ   بِٱلطَّاعَاتِ وَيَزُولُ رَانُ ٱلْمَعَاصِي وَغَشَبُهُ

وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِٱلطَّاعَاتِ وَٱلْاِسْتِغْفَارِ   وَأَكْلِ ٱلْحَلَالِ كَمَا وَرَدَ بِٱلْكِتَابِ وَٱلْأَخْبَارِ

يَقْطَعُ ٱلْمُرِيدُ فِيهَا عَقَبَاتٍ مُتْعِبَةٍ مَرِيرَةْ   وَيَهْرُبُ مِنَ ٱلنَّوَايَا وَٱلْأَعْمَالِ ٱلشِّرِّيرَةْ

وَيَقْطَعُ عَلَاقَةَ ٱلْقَلْبِ بِزَخَارِفِ ٱلْبَشَرْ   وَيُقْبِلُ عَلَى ٱلْمَرْضِيَّاتِ وَذِكْرِ ٱللَّهِ كَمَا أَمَرْ

قَالَ ٱللَّهُ ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (التحريم ٨)

فَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِ تَرْكُ ٱلْمَعَاصِي بِٱلْحَالِ   وَتَدَارُكُ مَا سَبَقَ مِنَ ٱلتَّقْصِيرِ بِٱلْأَحْوَالِ

ٱلتَّوْبَةُ تَكُونُ بِٱلنَّدَمِ وَٱلتَّرْكِ عَلَى ٱلْفَوْرِ   قَبْلَ ظُهُورِ ٱلدَّجَّالِ وَمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ دَوْرِ

قِيلَ لِمُكَابِرٍ عَلَيْكَ بِٱلتَّوْبَةِ وَٱلصَّلَاحْ   فَقَالَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱللَّهِ عَامِرٌ وَمُرْتَاحْ

يَقُولُ ٱلشَّاعِرُ : "سَوْفَ تَرَى إِذَا ٱنْجَلَى ٱلْغُبَارُ ... أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ"

يَجِبُ أَنْ يَعْمَلَ ٱلْمُؤْمِنُ قَبْلَ ٱلْخَاتِمَةْ ... وَمُقَدِّمَاتِهَا ٱلْهَائِلَةِ ٱلَّتِي تَلِيهَا ٱلطَّامَّةْ

لَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عِنْدَ ٱلسُّؤَالِ إِلَّا أَهْلَ ٱلصَّلَاحِ ... وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ رَبِّنَا ٱلْغَفُورِ ٱلْفَتَّاحِ

ٱلْمَعَاصِي لِلْمُؤْمِنِ كَٱلْمَأْكُولَاتِ ٱلْمُضِرَّةِ لِلْأَبْدَانِ ... تَجْتَمِعُ فِي ٱلْبَاطِنِ فَتُغَيِّرُ قَلْبَ ٱلْإِنْسَانِ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ مِنْ سُمُومِهَا ٱلِٱحْتِمَاءْ ... قَبْلَ ٱلْوُقُوعِ فِي أَمْوَاجِ ٱلْإِغْمَاءْ

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلتَّوْبَةَ عِلَاجٌ مُفِيدْ ... لِطَرْدِ ٱلْهُمُومِ وَٱلْخَوَاطِرِ مِنْ قَلْبِهِ ٱلْفَرِيدْ

فَلَا يَخْلُو ٱلْمُرِيدُ مِنْ هَفَوَاتِ ٱلْحَيَاةِ ... فَلَا يَقُلْ لَسْتُ بِحَاجَةٍ لِلتَّوْبَةِ قَبْلَ ٱلْوَفَاةِ

فَإِنَّ كُلَّ سَيِّئَةٍ وَهَفْوَةٍ يَتْبَعُهَا ظُلْمَةْ ... تَمْتَدُّ مِنْ قَلْبِهِ لِوَجْهِهِ بِطَرِيقَةٍ مُعْتِمَةْ

فَإِذَا تَابَ مِنْهَا وَلَزِمَ ٱلطَّاعَاتِ ... ٱنْقَلَبَتِ ٱلظُّلْمَةُ نُورًا بِمَا يَتْلُو مِنْ آيَاتِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " **وَأَتْبِعِ ٱلسَّيِّئَةَ ٱلْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ...**"[1] .

حَتَّى يَعُودَ ٱلْقَلْبُ إِلَى صَفَائِهِ وَجِلَائِهِ ... فَلَا يَتَمَادَ ٱلْمَرْءُ بِٱلتَّعَامِي عَنْ دَائِهِ

مُتَابَعَةُ ٱلْعَمَلِ بِهَذَا ٱلشَّكْلِ تَطُولُ أَوْقَاتُهْ ... لِإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنَ ٱلْقَلْبِ بِبَاطِنِهِ وَصِفَاتِهْ

فَإِنَّ طَرِيقَ ٱلْآخِرَةِ مَمْلُوءٌ بِأَخْطَارٍ وَمَهَالِكْ ... لَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ وَٱلْكَامِلُ ٱلسَّالِكْ

حَيْثُ مَكَامِنُ ٱلْغُرُورِ عَلَى ٱلْجَانِبَيْنْ ... وَمَكْرُ ٱللهِ يَتَرَصَّدُ ٱلْقَلْبَ وَٱلنَّفْسَ وَٱلْعَيْنْ

مَنْ لَمْ يَسْتَنْشِقْ رَوَائِحَ ٱلتَّجَلِّيَاتِ ... لَا يَفْهَمُ مَا نَعْرِضُ مِنْ قِصَصٍ وَحِكَايَاتِ

فَضَيَاعُ ٱلْوَقْتِ بِلَا سُلُوكٍ لِطَرِيقِ ٱلْآخِرَةِ ... كَضَيَاعِ جَوْهَرَةٍ نَادِرَةٍ ثَمِينَةٍ فَاخِرَةِ

لِأَنَّ ٱلْمُرَادَ ٱلْوُصُولُ إِلَى ٱلسَّعَادَةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ ... وَإِنْقَاذِ ٱلنَّفْسِ مِنْ شَقَاوَةِ ٱلْآخِرَةِ ٱلْمُرْدِيَةِ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْإِسْرَاعُ بِٱلتَّوْبَةِ ٱلنَّصُوحْ ... قَبْلَ أَنْ تَفْنَى ٱلْأَيَّامُ وَٱلسَّاعَةُ تَلُوحْ

فَإِذَا كُشِفَ ٱلْغِطَاءُ تَجَرَّعَ غُصَّةَ ٱلْيَأْسِ ... وَأَدْرَكَ ٱلْحَسْرَةَ وَٱلنَّدَامَةَ وَهَوْلَ ٱلْبَأْسِ

فَيَضْطَرِبُ ٱضْطِرَابًا لَا مَثِيلَ لَهُ مِنْ قَبْلْ ... فَٱلْأَمْرُ شَدِيدٌ كَطَعْنِ ٱلسُّيُوفِ وَضَرْبِ ٱلنَّبْلْ

ٱلْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً وَيَخْطَفُ ٱلرُّوحَ بِأَلَمْ ... فَلَا يَنْجُو[2] إِلَّا ذُو قَلْبٍ سَلِيمٍ تَعَوَّدَ ٱلنَّدَمْ

(١) رواه الترمذي في سنن

(٢) فلا ينجو من عذاب الانتقام

فَٱبْتَعِدْ عَنْ غَبْرَةِ ٱلذُّنُوبِ وَغَبَاشِ ٱلمَعَاصِي وَلَيِّنْ قَلْبَكَ بِٱلتَّوْبَةِ وَلَا تَجْعَلْهُ قَاسِي
مَنْ مَاتَ قَبْلَ ٱلتَّوْبَةِ خَسِرَ حَيَاتَهُ وَٱلخَيْرُ ٱلعَظِيمُ وَٱلنَّعِيمُ قَدْ فَاتَهُ
اَللهُ لَا يَقْبَلُ ٱلقَلْبَ ٱلغَافِلَ ٱلمُظْلِمْ لَا بُدَّ مِنْ غَسْلِهِ وَتَنْظِيفِهِ لِكُلِّ مُسْلِمْ
قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٩-١٠)
إِسْتِعْمَالُ ٱلقَلْبِ بِٱلمَعَاصِي تُوَسِّخُهُ وَبِمَاءِ ٱلدُّمُوعِ وَدَوَاءِ ٱلنَّدَمِ تَغْسِلُهُ
لِأَنَّ ٱلقَلْبَ يَتَأَثَّرُ بِٱلمَعَاصِي وَبِٱلطَّاعَاتِ تَنْطَبِعُ عَلَيْهِ صُوَرُ ٱلخَيْرِ وَٱلشَّرِّ بِٱلحَيَاةِ
قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال ٣٨)
قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : " **لَوْ عَمِلْتُمُ ٱلخَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ ٱلسَّمَاءَ ثُمَّ نَدِمْتُمْ لَتَابَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ** "[1].
عَلَى ٱلمُرِيدِ أَلَّا يَفْتَحَ لِلشَّيْطَانِ بَابًا فَإِذَا وَقَعَ بِمَعْصِيَةٍ فَلْيَتَذَكَّرِ ٱلحِسَابَا
وَلَا يُطِعْ وَسَاوِسَ ٱلشَّيْطَانِ وَيَقُولْ ٱمْتَلَأَ ٱلقَلْبُ بِٱلمَعَاصِي فَلَا حُلُولْ
هَذِهِ خَوَاطِرُ ٱلضُّعَفَاءِ مِنْ مُرِيدِي ٱلطَّرِيقِ يُلْقِي بِهَا ٱلمُرِيدُ نَفْسَهُ إِلَى عَذَابِ ٱلحَرِيقِ
قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه : " مَنْ ذَكَرَ خَطِيئَةً أَلَمَّ بِهَا فَوَجِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ مُحِيَتْ عَنْهُ فِي أُمِّ ٱلكِتَابِ ".
فَسُلَّمُ ٱلتَّوْبَةِ يَسْهُلُ ٱلوُصُولُ إِلَيْهِ بِكَلِمَةٍ صَادِقَةٍ يَقُولُهَا مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ
وَهُوَ يُوصِلُ إِلَى مَيْدَانِ ٱلمَغْفِرَةِ لِكُلِّ مُتَمَسِّكٍ بِحَبْلِ ٱلنَّجَاةِ وَٱلعُرْوَةِ ٱلمُيَسَّرَةِ
فَلَا يَشُكُّ تَائِبٌ للهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ فَمَنْ عَادَ نَادِمًا يَبْكِي مُتَّجِهًا لِكَعْبَتِهِ
يُصَلِّي كَمَا كَانَ سَابِقًا خَائِفًا وَجِلًا تِلْكَ إِشَارَةُ ٱلمَغْفِرَةِ فَكُنْ مُتَأَمِّلًا
قَالَ ﷻ ﴿ **وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (النور ٣١)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "**إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتُوبُ إِلَيهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**". (رواه الإمام أحمد رضي الله عنه)

(١) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٣

قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠١)

فَتَرْكُ ٱلذَّنْبِ مَعَ ٱلتَّوْبَةِ إِشَارَةُ فَلَاحْ ... يَجْعَلُ بِٱلْقَلْبِ وَٱلنَّفْسِ ٱلسَّكِينَةَ وَٱلْإِرْتِيَاحْ

وَٱلذَّنْبُ هُوَ كُلُّ مُخَالَفَةٍ لِأَمْرِ ٱللَّهْ ... كَقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ لَا يُرْضِي خَالِقَهُ وَمَوْلَاهْ

وَٱسْتِعْمَالُ ٱلْعَقْلِ لِلْخِدَاعِ وَٱلْمَكْرِ وَٱلْحِيلَةِ ... هِيَ ٱلصِّفَةُ ٱلشَّيْطَانِيَّةُ لِكُلِّ ذَلِيلٍ وَذَلِيلَةِ

بِقَصْدِ ٱلْإِسْتِيلَاءِ عَلَى مَصْلَحَةٍ أَوْ مَالٍ ... أَوِ ٱلْحُصُولِ عَلَى ٱمْرَأَةٍ ذَاتِ ثَرْوَةٍ وَجَمَالٍ

تِلْكَ مِنْ أُمَّهَاتِ ٱلذُّنُوبِ ٱلَّتِي تُصِيبُ ... بَاقِي ٱلْجَوَارِحِ كَٱلْقَلْبِ وَٱلدِّمَاغِ وَتَعِيبُ

ٱلْعَيْنَ وَٱلْأُذُنَ وَٱلْيَدَ وَٱلرِّجْلَ وَٱللِّسَانْ ... وَيُصْبِحُ عِفْرِيتًا مُخَاوِيًا لِأَعْوَانِ ٱلشَّيْطَانْ

فَتُصْبِحُ ٱلْجَرِيمَةُ وَعَمَلُ ٱلْمَعْصِيَةِ وَٱلْحَرَامُ ... وَٱلتَّكَلُّمُ عَلَى ٱلنَّاسِ وَٱلسَّرِقَةُ لَهُ شَيْءٌ مُرَامُ

لَا تَقُلْ فِي ٱلْمَعْصِيَةِ هَذِهِ صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةْ ... فَٱلْإِصْرَارُ وَٱلْمُوَاظَبَةُ عَلَى ٱلصَّغِيرَةِ كَبِيرَةْ

ٱلصَّغِيرَةُ تَكْبُرُ وَتُصْبِحُ أَصْلَ بَلَاءِ صَاحِبِهَا ... وَيُغَذِّيهَا ٱلشَّيْطَانُ وَيُصْبِحُ لِلْمَعْصِيَةِ نَائِبَهَا

لَا صَغِيرَةَ مَعَ ٱلْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ ٱلْإِسْتِغْفَارْ ... فَٱنْظُرْ مَنْ تَعْصِي تَعْرِفْ أَنَّهُ إِلَهٌ جَبَّارْ

سُئِلَ حَسَنٌ ٱلْمَغَازِلِيُّ عَنِ ٱلتَّوْبَةِ فَقَالَ : تَسْأَلُنِي عَنْ تَوْبَةِ ٱلْإِنَابَةِ أَوْ عَنْ تَوْبَةِ ٱلْإِسْتِجَابَةِ . فَقَالَ ٱلسَّائِلُ : مَا تَوْبَةُ ٱلْإِنَابَةِ ؟ فَقَالَ : أَنْ تَخَافَ مِنَ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ. قَالَ : فَمَا تَوْبَةُ ٱلْإِسْتِجَابَةِ ؟ قَالَ : أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ ٱللَّهِ لِقُرْبِهِ مِنْكَ.

يُوَسْوِسُ ٱلشَّيْطَانُ لِلتَّائِبِ صُوَرَ مَعَاصِيهِ ... وَيُورِدُهَا عَلَى قَلْبِهِ لِيَقْنَطَ مِمَّا هُوَ فِيهِ

فَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا ٱللُّجُوءُ إِلَى مَوْلَاهُ ... يَشْكُو حَالَهُ وَيَدْعُو لِلْخَلَاصِ مِنْ بَلَاهُ

وَيُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَنَفْسِهِ وَيَدْعُو ٱلْغَفَّارْ ... أَنْ يُنْسِيَهُ ذَلِكَ وَلَا يَشْغَلُهُ بِغَيْرِهِ لَيْلَ نَهَارْ

مِنْ مُرَاقَبَةٍ وَذِكْرٍ وَطَاعَةٍ وَصَلَوَاتٍ وَٱسْتِغْفَارِ ... فَتَبْدَأُ حَلَاوَةُ ٱلْقَبُولِ فِي قَلْبِهِ بِٱلْإِنْتِشَارِ

إِنَّ تَوْبَةَ ٱلْعَوَامِّ مِنَ ٱلذُّنُوبِ ... وَتَوْبَةُ ٱلْخَوَاصِّ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ عَنْ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ

تَقْبِيلُ يَدِ ٱلْمُرْشِدِ

يَسْتَغْرِبُ ٱلْكَثِيرُ مَسْأَلَةَ تَقْبِيلِ ٱلْيَدِ   وَيُقَابِلُونَ ٱلْحَدِيثَ عَنْهَا بِٱلْعُنْفِ وَٱلرَّدِ

يَرْفُضُونَ قَبُولَ حُكْمِ تَقْبِيلِ ٱلْيَدْ   فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَضَعَ لَهُمْ وَلِعِنَادِهِمْ حَدّ

إِنَّ ٱلْمُرِيدَ مُسْلِمٌ مُهَذَّبٌ وَأَدِيبْ   يَحْتَرِمُ ٱلْكَبِيرَ وَٱلصَّغِيرَ وَٱلْفَقِيرَ وَٱلنَّجِيبْ

مُتَوَاضِعٌ لِسَائِرِ ٱلْخَلْقِ ذَلِيلٌ لِرَبِّهْ   سَاعٍ إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ يَقْصِدُ مِنَ ٱللهِ قُرْبَهْ

يُقَبِّلُ أَيَادِي ٱلصَّالِحِينَ بِقَصْدِ ٱلْبَرَكَةْ   وَسَائِرُ ٱلْمُسْلِمِينَ بِتِلْكَ ٱلْحَالَةِ مُشْتَرِكَةْ

وَقَدْ صَدَرَ عَنِ ٱلصَّحَابَةِ ٱلتَّقْبِيلْ   فَهَلْ هُمْ مُخَالِفُونَ لِشَرْعِ ٱلْجَلِيلْ

كَمَا يَدَّعِي ٱلْمُعَانِدُ ٱلْمُنْكِرُ ٱلْجَاهِلْ   ظُهُورُ صِحَّةِ ٱلْحُكْمِ شَدِيدٌ عَلَيْهِ فَلَا يَتَسَاهَلْ

رُوِيَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ ﵁ بْنَ ٱلْجَرَّاحِ قَبَّلَ يَدَ عُمَرَ ﵁ عِنْدَ قُدُومِهِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ ٱلْغَنَوِيِّ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَنَزَلْتُ إِلَيْهِ وَقَبَّلْتُ يَدَهُ.

لَقَدْ سَأَلْنَا ٱلْمُنْكِرَ ٱلْمُعَانِدَ وَقْتَهَا   هَلْ قَبَّلْتَ يَدَ زَوْجَتِكَ يَوْمَ عُرْسِهَا

وَقَدْ تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ بِكَثِيرِ   فَلْتَخْجَلْ مِنْ نَفْسِكَ بِذَلِكَ ٱلتَّعْبِيرِ

فَمَا تَقَبُّلُهُ وَتُقَبِّلُهُ لِنَفْسِكَ ٱلْمُعَانِدَةِ   لَيْسَ بِأَفْضَلَ مِنَ ٱلْأَيَادِي ٱلْعَابِدَةِ

خِدْمَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ تُسَاعِدُ فِي ٱلسُّلُوكِ

خِدْمَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ هِيَ ٱلْأَسَاسُ ٱلْمَتِينْ   لِلْاِسْتِفَادَةِ مِنْ نُورِ ٱلسُّلُوكِ ٱلْمُبِينْ

فِيهَا تَفْرِيجُ كُرُبَاتٍ وَمُسَاعَدَةُ ٱلْقُلُوبِ   وَإِحْسَانٌ لَهُمْ مُوصِلٌ لِلرِّضَى ٱلْمَطْلُوبِ

وَتَزْوِيجُ ٱلْمُرِيدِ فِيهِ أَجْرٌ عَظِيمْ   وَمُدَارَاتُهُ وَمُسَاعَدَتُهُ فِيهِ رِضَى ٱللهِ ٱلرَّحِيمْ

فَآدَابُ ٱلتَّسْلِيكِ وَٱلسُّلُوكِ كَثِيرَةٌ   فِيهَا مُجَاهَدَاتٌ عَلَى ٱلنَّفْسِ مَرِيرَةٌ

وَٱلْخِدْمَةُ مِنَ ٱلْمُرِيدِ هِيَ إِشَارَةٌ   فِيهَا نَوْعِيَّةٌ مِنَ ٱلرَّابِطَةِ وَبِشَارَةٌ

وَسَائِرُ ٱلطَّاعَاتِ وَٱلْعِبَادَاتِ وَٱلْإِحْسَانِ   تُسَاعِدُ ٱلسَّالِكَ ٱلصَّادِقَ لِمَحَبَّةِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﷻ

الخادم في الطريقة

الخادم يدخل للخدمة راغبا في الثواب ويسعى لإيصال الراحة للمريدين والأحباب
يجبر خاطر المقبلين على الله الرحمن الذين تركوا الدنيا في سبيل الإحسان
الخادم يخدم بحسب صدقه ونيته وإذا حظي بمرشد فهي فرصته
إن خدم السالكين والمجاذيب والمريدين نال مرتبة عظيمة في الدين
فإذا رأى الشيخ بنفوذ البصيرة أن الخادم قد كثر تقصيره
فيمده بالدعاء طالبا له العافية فيعطيه الله قدرات نورانية صافية
لأن الشيخ يريد الخادم المخلص ليمكنه من أكثر أسراره . فيجلس
في خدمة المسلمين سنين طويلة وينال مقامات محيرة وجليلة
لقد شاهدنا بعضهم في دورود الشريفة من قرى إيران بتلك البلاد الظريفة
عند شيخ عظيم هو سيد المرشدين حضرة الشيخ محمد عثمان سراج الدين
كان في خدمته توبة خان خدمت كل حياتها بصدق وأمان
فنجحت وفازت بدرجة راقية عجيبة وظهرت عليها خوارق ومشاهدات غريبة
لا تكون إلا لأصحاب الولاية الأرقى فوصلت مع زملائها للمقام الأبقى
من أراد الخدمة يلتزم بنظافة النية ويخلصها من الشوائب والمكائد الخفية
كي تصح خدمته للمريدين والسالكين والفقراء والذاكرين والزهاد والمساكين

← الحافظ الكبير لكتاب الله الشيخ محمد رفعت ـ مصر
المحدث صوفي بابا ـ تركمان صحراء إيران →



مُجَاهَدَاتُ ٱلْمُرِيدِ ٱللَّيْلِيَّةُ

إِذَا أَضَاءَ سِرَاجُ ٱلْمَحَبَّةِ ٱلْقَلْبْ   يُمِدُّهُ بِٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْبَرَكَاتِ ٱلْإِلَٰهُ ٱلرَّبّْ ﷻ

وَيُزْهِرُ بِكَثْرَةِ زَيْتِ ٱلْعَمَلِ بِسَائِرِ ٱلْأَنْحَاءْ   فَيَزْدَادُ ٱلْمِصْبَاحُ إِشْرَاقًا وَنُورًا وَضِيَاءْ

ٱلْقَلْبُ كَٱلْوِعَاءِ إِذَا صُبَّ فِيهِ ٱلزَّيْتْ   يَكُونُ فَتِيلُ ٱلْاِعْتِقَادِ فِيهِ كَٱلْخَيْطْ

وَيُوضَعُ لَهُ زُجَاجَةٌ تَحْمِي ٱلْعَقِيدَةَ ٱلرَّاسِخَةْ   وَيَشْتَعِلُ بِنُورِ كِبْرِيتِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْمُتَشَوِّقَةْ

فَيَغْلِي زَيْتُ ٱلْعَمَلِ بِعُرُوقِ ٱلْاِسْتِعْدَادِ   فَتَشْتَعِلُ آلَةُ ٱللَّطَائِفِ حَسَبَ ٱلْمُرَادِ

فَتُصْبِحُ ٱلزُّجَاجَةُ كَٱلْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ   وَتَنْعَكِسُ عَلَى مِشْكَاةِ ٱلْقَلْبِ ٱلسِّرِّيِّ

فَيَلِينُ ٱلْقَلْبُ ٱلْقَاسِي مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهِ   وَيَعْمَلُ بِحَسَبِ ٱلْأَمْرِ وَلَيْسَ بِإِرَادَتِهِ

وَتُشْرِقُ أَرْضُ ٱلْقَلْبِ بِنُورِ رَبِّهَا ﷻ   فَتُضِيءُ كَشَمْسٍ تُشْعِلُ ٱللَّيْلَ بِضَوْئِهَا

فَتَعْتَادُ قُلُوبُ ٱلْعَاشِقِينَ عَلَى سِرِّهَا   وَلِذَٰلِكَ لَا يُحِبُّونَ مِنَ ٱلْأَيَّامِ نَهَارَهَا

فَتَلْتَجِمُ ٱلنَّفْسُ عَنْ كُلِّ حَدِيثْ   وَلَا يُسْمَعُ وَقْتَذَاكَ لِلْهَاجِسِ حَسِيسْ

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْعَظِيمُ مِنْ رَبِّنَا ﷻ   وَٱلْوُصُولُ إِلَى ذَٰلِكَ رَمْزُنَا وَعِزُّنَا

وَلَا يُنَالُ هَٰذَا إِلَّا بِكَثْرَةِ ٱلْاِسْتِغْفَارِ   وَٱلْمُرَاقَبَةِ وَٱلرَّابِطَةِ وَٱلتَّسْبِيحِ وَٱلْأَذْكَارِ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (غافر ٥٥)

يَنْغَسِلُ بِذَٰلِكَ ٱلْقَلْبُ مِنَ ٱلْأَكْدَارِ   مِمَّا ٱكْتَسَبَهُ مِنْ صُوَرِ ٱلْخَلْقِ بِٱلنَّهَارِ

وَمِنْ سَمَاعِ كَلَامِهِمْ وَمُخَالَطَةِ ٱلْأَغْيَارِ   فَظُلْمَةُ ٱلْقُلُوبِ قَاسِيَةٌ مَلِيئَةٌ بِٱلْأَخْطَارِ

مِنْ شِدَّةِ مُكَاشَفَةِ قَلْبِهِ وَسُوءِ ٱلْأَنْظَارْ   فَٱلْقَلْبُ كَٱلْعَيْنِ يَضُرُّهَا وَيُؤْذِيهَا ٱلْغُبَارْ

مَنْ تَعَوَّدَ عَلَى ٱلذِّكْرِ وَٱلْمُرَاقَبَةِ ٱلْقَلْبِيَّةْ   تَتَيَسَّرُ لَهُ ٱلطَّاعَاتُ صَبَاحًا وَعَشِيَّةْ

لَكِنَّ ٱلْمُدَاوَمَةَ عَلَى ذَلِكَ مُهِمَّةٌ صَعْبَةٌ   لِأَنَّ ٱلْمُجَاهَدَةَ ٱلْيَوْمِيَّةَ بِهَذَا ٱلشَّكْلِ مُتْعِبَةٌ

إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ ٱلْخَالِقُ رَبُّهُ ٱلْعَظِيمْ ﷻ   وَأَمَدَّهُ بِأَمْدَادِ أَسْرَارِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمْ

فَيُزْعِجُ نَفْسَهُ بِصِدْقِ سَلَامَةِ ٱلْعَزِيمَةْ   وَيَحْرِمُهَا لَذَّةَ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ قِيمَةْ

وَيُلَقِّنُهَا دَرْسَ ٱلتَّجَافِي عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ   وَيُخَوِّفُهَا بِٱلْعَذَابِ وَٱلْهَوْلِ وَٱلْمَفَازِعِ

فَتَلِينُ لِتَعْوِيضِهَا بِٱللَّذَّاتِ ٱلْعُلْوِيَّةِ   وَتَهْوَى عِنْدَئِذٍ تَذَوُّقَ ٱلْأَمْدَادِ ٱلْمَعْنَوِيَّةِ

كَانَ ٱلسَّالِكُونَ يَكْرَهُونَ رُؤْيَةَ ٱلْوِسَادَةِ   وَيَتَأَلَّمُونَ بِمُشَاهَدَةِ فُرُشِ ٱلزُّعَمَاءِ وَٱلْقَادَةِ

لِأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ وَكَأَنَّهَا تَدْعُوهُمْ لِلنَّوْمِ   وَقُلُوبُهُمْ كَذَلِكَ تُكَاشِفُ غَفَلَاتِ ٱلْقَوْمِ

هَذِهِ أَحْوَالُ أَهْلِ ٱلْعَزَائِمِ ٱلْقَوِيَّةِ   ٱكْتَسَبُوهَا بِأَمْدَادِ وَأَفْضَالِ رَبِّ ﷻ ٱلْبَرِيَّةِ

وَمَنْ كَانَتْ مَعِدَتُهُ بِٱلطَّعَامِ مَلْآنَةْ   وَأَرَادَ قِيَامَ ٱللَّيْلِ مَعْ نَفْسِهِ ٱلنَّعْسَانَةْ

فَعَلَيْهِ تَفْرِيغُ ٱلْبَطْنِ مِنْ ثِقْلِهَا   وَهِجْرَانُ مَا يُضَيِّقُ عَلَى ٱلْمُرَاقَبَةِ حِمْلَهَا

وَيُذَوِّبُ ٱلْأَطْعِمَةَ بِحَرَارَةِ ٱلذِّكْرِ ٱلْخَفِيِّ   بِذَلِكَ يَسْتَرِيحُ وَيُصْبِحُ لِقِيَامِ ٱللَّيْلِ وَفِيّ

لِأَنَّ ٱلذِّكْرَ يُذْهِبُ مِنْ بَطْنِهِ ٱلدَّاءْ   وَٱلْمُوَاظَبَةُ عَلَى ٱلذِّكْرِ هُوَ ٱلدَّوَاءْ

فَيَنْتَقِشُ بِقَلْبِهِ مِنْ عَجَائِبِ ٱلْإِلْهَامْ   وَيَكُونُ نَوْمُهُ صَحْوًا عَلَى ٱلدَّوَامْ

قَدْ يَظُنُّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ ٱلتَّعَبَ ٱلَّذِي   يُعَانِي مِنْهُ ٱلْمُرِيدُ فِي أَيَّامِهِ وَٱللَّيَالِي

فِي مُجَاهَدَةِ وَمُكَابَدَةِ ٱلنَّفْسِ وَإِرْهَاقِهَا   وَرَدْعِهَا بِقِلَّةِ ٱلطَّعَامِ وَتَجْوِيعِهَا

قَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ بِهِمَّتِهِ وَقُدُرَاتِهِ ٱلذَّاتِيَّةِ   ٱلْمُتَوَلِّدَةِ فِي لَطَائِفِهِ وَأَفْكَارِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ

ٱلْإِنْسَانُ خُلِقَ ضَعِيفًا بِهَذِهِ ٱلْبِنْيَةْ   وَٱللهُ هُوَ مَنْ يَقْذِفُ بِٱلْقُلُوبِ حَرَارَةً نُورَانِيَّةْ

تُغَذِّي وَتُسَاعِدُ قُدُرَاتِهِ وَتُقَوِّيهَا   وَتَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْمُجَاهَدَاتِ ٱلرُّوحِيَّةَ فَتَشْتَهِيهَا

فَتَعْمَلُ سَائِرُ ٱللَّطَائِفِ مِنْ تِلْكَ ٱلتَّغْذِيَةِ   وَتَتَحَرَّكُ بِٱلْعَمَلِ ٱلرُّوحِيِّ بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ

كُلَّمَا نَفِدَتْ حَرَارَةُ ٱلتَّغْذِيَةِ تَخِفُّ ٱلْحَرَكَةْ   حَتَّى يَنْفَحُهَا ٱللهُ مِنْ جَدِيدٍ بِٱلْبَرَكَةْ

لَوْلَا تِلْكَ ٱلرَّحَمَاتُ لَبَقِيَ ٱلْقَلْبُ نَائِمًا ... وَٱلْفِكْرُ بِٱلشَّهَوَاتِ مُسْتَرْسِلًا وَبِٱلْغَفْلَةِ عَائِمًا

فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مَنِ ٱشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَقْوَالْ ... أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ ضَعِيفٌ جِدًّا بِكُلِّ مَجَالْ

وَلَوْلَا لُطْفُ ٱللهِ وَفَضْلُهُ ٱلْعَظِيمْ ... مَا ٱسْتَطَاعَ عَابِدٌ بِٱلْأَرْضِ أَنْ يَسْتَقِيمْ

فَٱلْإِنْسَانُ إِذَا تَرَكَ ٱلنَّوْمَ يَضْطَرِبُ ... بِعَكْسِ ٱلذَّاكِرِ ٱلَّذِي لِرَبِّهِ ﷻ يَسْجُدُ وَيَقْتَرِبُ

كُلَّمَا فَقَدَ ٱلْمُرِيدُ غِذَاءَهُ بِٱلسَّهَرْ ... يُشَاهِدُ إِسْعَافَاتٍ رُوحِيَّةٍ عَلَيْهِ تَظْهَرْ

فَتَدْخُلُ إِلَى لَطِيفَةِ ٱلنَّوْمِ وَتُغَذِّيهَا ... بِمَا تَحْتَاجُ مِنْ رَاحَةٍ وَسَكِينَةٍ وَتُعْطِيهَا

فَلَا يَفْقِدُ ٱلْمُجَاهِدُ أَيَّ قُدْرَةٍ بَشَرِيَّةٍ ... لِأَنَّ ٱلْأَمْدَادَ تُلَاحِقُ رُوحَهُ بِٱلتَّغْذِيَةِ

وَكَذَلِكَ إِذَا جَاعَ أَثْنَاءَ ٱلْمُجَاهَدَةْ ... يَمْلَأُ ٱللهُ بَطْنَهُ بِٱلرَّحْمَةِ فَيَزْدَادُ عِبَادَةْ

فَتَدْخُلُ إِلَى مَكَانِ ٱلْإِحْتِيَاجِ ٱلذَّاتِيِّ وَتَفِيضُ ... وَتُفَرِّغُ فِيهِ مَا يَسُرُّهُ وَتَزِيدُ

عَلَى قَدْرِ مَا يَحْتَاجُ إِذَا نَامَ شُهُورًا ... فَيُبَدِّلُ لَهُ ٱللهُ نَوْمَهُ نَشَاطًا وَسُرُورًا

لَوْلَا ذَلِكَ لَصَعُبَتِ ٱلْحَيَاةُ عَلَى ٱلْمُرِيدِ ... وَظَهَرَ ضَعْفٌ بِٱلدِّمَاغِ وَٱضْطَرَبَ عَلَى ٱلتَّأْكِيدِ

هَكَذَا يَحْصُلُ مَعَ ٱلْمُتَصَوِّفِ ٱلْجَاهِلْ ... ٱلَّذِي يَتَصَوَّفُ وَهُوَ فِي ٱلشَّرْعِ مُتَسَاهِلْ

ٱلْعَاقِلُ قِلَّةُ ٱلنَّوْمِ وَٱلْجُوعُ لَا يَضُرُّ بُنْيَانَهُ ... إِذَا مَا أَمَدَّهُ بِمُرْشِدٍ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ

يَتَضَايَقُ ٱلسَّاهِرُ عِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ ... لِأَنَّهُ وَجَدَ فِي سَهَرِهِ أَعْظَمَ ٱلْأَجْرِ

فَيَرَى وَجْهَ ٱلنَّهَارِ فَيَنْصَرِفُ عَنْ مُشَاهَدَتِهِ ... وَيَجِدُ بِضَوْئِهِ تَجْرِيحًا لِمَخْزَنِ بَصِيرَتِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ : "**يَعْقِدُ ٱلشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ. بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا. فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ ٱللهَ، ٱنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. وَإِذَا تَوَضَّأَ، ٱنْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ. فَإِذَا صَلَّى ٱنْحَلَّتِ ٱلْعُقَدُ. فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ. وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ ٱلنَّفْسِ كَسْلَانَ**". (صحيح الإمام مسلم ﵀ ج ٦ ص ٦٥ – ٦٦)

عَنْ أَبِي مَالِكٍ ٱلأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "**إِنَّ فِي ٱلْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا ٱللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ ٱلطَّعَامَ ، وَأَلَانَ ٱلْكَلَامَ ، وَتَابَعَ ٱلصِّيَامَ ، وَصَلَّى وَٱلنَّاسُ نِيَامٌ**" . (رواه الإمام أحمد ﷺ)

قُلْ لِمَنْ أَنْكَرَ ٱلْجِهَادَ فِي ٱلسَّهَرِ ... مَا فَائِدَةُ ٱلْعُيُونِ ٱلْمَحْرُومَةِ ٱلنَّظَرِ

اَلسَّهَرُ فِيهِ جِهَادٌ لِلنَّفْسِ وَتَأْدِيبٌ وَقَهْرٌ ... مِنَ ٱلأَنْعَامِ مَا لَا يَنَامُ فَكَيْفَ يَنَامُ ٱلْبَشَرُ؟

لَوْلَا طَاعَةُ ٱللهِ لَذُقْنَا حَرَّ سَقَرْ ... فَٱرْزُقْنَا قِيَامَ ٱللَّيْلِ ، وَٱغْفِرْ يَا خَيْرَ مَنْ غَفَرْ

كَمْ مِنْ سَاهِرٍ بِذِكْرِ رَبِّهِ ﷻ أَحْنَى ٱلظَّهْرَ ... وَبَيْنَ مَلَائِكَةِ ٱلرَّحْمَٰنِ قَلْبُهُ ٱشْتَهَرَ

فَلْيَقْرَإِ ٱلْقُرْآنَ وَلْيَتَصَفَّحْ مَا فِي ٱلْخَبَرْ ... يَرَى ٱلنَّائِمِينَ فِي هُمُومٍ وَكَدَرْ

فَقُلْ لِمَنْ قَلْبُهُ مَالَ لِلضَّجَرِ ... لِيَعْمَلْ بِذِكْرِ رَبِّهِ ﷻ قَبْلَ يَوْمِ ٱلْخَطَرِ

إِلَٰهِي إِنَّنِي ذَلِيلٌ وَإِنِّي مُحْتَقَرْ ... أَكْثَرْتُ مِنْ شَهَوَاتِي وَكُنْتُ كَٱلأَنْعَامِ وَٱلْبَقَرْ

رَاعَيْتُ بِفَضْلِكَ كَوْكَبًا قَدْ ظَهَرْ ... فِي سَمَاءِ ٱللَّيْلِ خُصَّ لِأَهْلِ ٱلسَّهَرْ

تَحْمِلُهُ مَلَائِكَتُكَ ﷺ تُغِيثُ مَنْ شَكَرَ ... مِنْ عَابِدَةٍ أَوْ عَابِدٍ بِفَضْلِكَ قَدْ ذَكَرَ

اَلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ مَنْ سَبَّحَ وَذَكَرَ ... وَبَيْنَ عَدُوٍّ لِلهِ جَاحِدٍ قَدْ كَفَرَ

إِيَّاكَ أَنْ تَحْكُمَ عَلَى ٱلْعَبْدِ بِٱلظُّنُونْ ... فَلَا تَدْرِي مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﷻ وَمَاذَا يَكُونْ

اَلظَّنُّ بَعْضُهُ يُصِيبُ وَبَعْضُهُ يَخِيبْ ... فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ تَنَلْ خَيْرًا مِنَ ٱلْحَبِيبْ

مَنْ عَانَدَ ٱلنُّصْحَ وَأَبَى فَهُوَ مَجْنُونْ ... فَٱحْذَرِ ٱللهَ وَكُنْ لِلنَّاصِحِ شَاكِرًا وَمَمْنُونْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (البقرة ١٥٣)

فَلْيَسْتَعِنِ ٱلْمُرِيدُ بِصَلَاةِ ٱللَّيْلِ ... عَلَى مُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ عَنْ كُلِّ مَيْلٍ

إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ : "**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ ٱللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ ٱلصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ ٱللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى ٱللهِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ ٱلإِثْمِ وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ ٱلْجَسَدِ**"[1] .

(١) رواه الترمذي في سننه

مِنَ ٱلْمُرِيدِينَ مَنْ يَغْلِبُهُ ٱلنُّعَاسْ   فَمَنْ غَلَبَهُ ٱلنُّعَاسُ كَانَ بِٱنْتِقَاصْ

عَنِ ٱلْكَمَالَاتِ ، وَمَنْ غَلَبَ ٱلنَّوْمْ   يَدْخُلُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْقَوْمْ

وَلَا يَلِيقُ بِٱلْمُرِيدِ أَنْ يَطْلُعَ ٱلْفَجْرْ   وَهُوَ خَالِي ٱلْيَدَيْنِ مِنَ ٱلْقِيَامِ وَٱلْأَجْرْ

وَٱلْقِيَامُ لِلزُّهَّادِ عَلَى عِدَّةِ أَنْوَاعْ   مِنْهُمْ مَنْ يَقُومُ ثُلُثَيْهِ أَوْ ثُلُثَهُ كَمَا شَاعْ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُومُ أَوَّلَهُ وَمِنْهُمْ آخِرَهُ   وَمِنْهُمْ وَسَطَهُ بِحَسَبِ قَلْبِهِ وَمَا يَزْجُرُهُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْمِلُ ٱلْوُضُوءَ لِإِيقَاظِ عَقْلِهِ   وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْحُو بِفِكْرِهِ وَيَذْكُرُ بِقَلْبِهِ

وَلَوْ سَبَقَ ٱلْمُرِيدُ ٱلْفَجْرَ بِسَاعَةْ   وَصَلَّى ٱلْقِيَامَ كَانَ لَهُ شَفَاعَةْ

قَالَ بَعْضُهُمْ : ٱلْحُبُّ وَٱلْقِيَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنِي   إِنْ نَامَ قَلْبِي لَمْ تَنَمْ عَيْنِي

لَوْ قَامَ مِنَ ٱللَّيْلِ قَدْرَ حَلْبِ شَاةْ   يَكُونُ ذَلِكَ قِيَامًا بِأَرْبَعِ رَكَعَاتْ

وَمَنْ حُرِمَ قِيَامَ ٱللَّيْلِ كَسَلًا   فَقَدْ ضَيَّعَ ٱلْأَجْرَ وَٱلْإِحْسَانَ وَٱلْأَمَلَا

ٱلْأَقْوِيَاءُ لَا يَتَحَكَّمُ فِيهِمْ نَوْمُ ٱلْحَالِ   يَصْرِفُونَ عَنْهُمُ ٱلْحَالَ بِمُجَاهَدَةِ ٱلْأَعْمَالِ

فَهُمْ مُتَصَرِّفُونَ بِٱلْحَالِ حِينَ إِتْيَانِهِ   وَلَيْسَ ٱلْحَالُ مُتَصَرِّفًا فِيهِمْ بِأَوَانِهِ

فَلْيَحْذَرِ ٱلْمُرِيدُ مِنْ تَعْكِيرِ قِيَامِهِ   وَلْيَبْتَعِدْ عَنِ ٱلنَّمِيمَةِ وَيُحَسِّنْ مِنْ إِسْلَامِهِ

إِذَا أَصَابَتْهُ مَعْصِيَةٌ فِي يَوْمِهْ   تَوَقَّفَ قِيَامُهُ وَضَعُفَتْ طَاعَتُهُ وَصَوْمُهْ

كَمْ رَجُلٍ حُرِمَ ٱلْقِيَامَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ   فَأَدَّبَهُ ٱللهُ لِيُصَلِّحَ مِنْ عُيُوبِهِ

ٱلذَّاكِرُ يَنَالُ بِنَوْمِهِ مُكَالَمَةً أَوْ مُحَادَثَةْ   رُوحِيَّةً تُعَرِّفُهُ عَلَى مَوَاقِعِ ٱلْمَعْرِفَةْ

وَيَنْهَاهُ ٱلْإِلْهَامُ وَيُفْهِمُهُ فِي ٱلْمَنَامِ   أَمَّا مَنْ كَانَ غَافِلًا فَمَنَامُهُ أَضْغَاثُ أَحْلَامِ

لَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلَى يَقْظَةِ ٱلْقَلْبِ   وَصَحْوَةِ ٱلْعَقْلِ بِمُرَاقَبَةِ عَطَاءِ ٱلرَّبِّ ﷻ

بَعْضُ ٱلذَّاكِرِينَ يَنْقَلِبُ نَوْمُهُ يَقْظَةً تَامَّةْ   فَيَغِيبُ ٱلنَّوْمُ عَنْ لَطَائِفِهِ ٱلْعَامَّةْ

لَا يَتَحَمَّلُ كُلُّ ٱلنَّاسِ مِثْلَ هَذِهِ ٱلْحَالِ   فَهِيَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلنَّادِرَةِ بَيْنَ ٱلْعُمَّالِ

لَا يَكُونُ ذَلِكَ الْعَطَاءُ إِلَّا لِمَنْ تَدَرَّبَ   عَلَى قِتَالِ النَّفْسِ وَلِلْمَوْتِ قَدْ جَرَّبَ

حَيْثُ فِيهِ هَوْلٌ كَالرَّمْيِ مِنَ الْأَعَالِي   لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَنْ نَالَ بِقَلْبِهِ هِمَّةَ الرِّجَالِ

وَلَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ بِمُجَاهَدَاتِهِ اللَّيْلِيَّةِ الصَّعْبَةِ   مِنْ فُتُورٍ وَكَسَلٍ وَمُعَاكَسَاتٍ شَيْطَانِيَّةٍ مُرْعِبَةٍ

فِي تَقَلُّبَاتِهِ وَانْتِبَاهَاتِهِ وَسَائِرِ مُجَاهَدَاتِهِ   فَيَلْجَأُ إِلَى رَبِّهِ وَبِالصَّلَاةِ يَمْلَأُ كُلَّ أَوْقَاتِهِ

وَيُتَابِعُ مَا فَاتَهُ أَثْنَاءَ فُتُورِهِ   فَيُسَهِّلُ اللهُ لَهُ كُلَّ مَقَامٍ ضَيِّقٍ فِي عُبُورِهِ

كَثِيرٌ مِنَ الْمُبْتَدِئِينَ كَسَرَ ظُهُورَهُمْ ذَلِكَ   وَتَرَكُوا الْمُجَاهَدَاتِ فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ

وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ الضِّيقَ تَوْقِيفٌ   وَجَهِلُوا أَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ مَقَامَاتِ التَّخْوِيفِ

لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى إِيقَافِ   أَحْوَالِ الْأَوْلِيَاءِ ﵃ وَالذَّاكِرِينَ الْأَشْرَافِ

مَهْمَا بَلَغَ الرَّجُلُ فِي الْكَمَالَاتِ الرُّوحِيَّةِ   يَبْقَى تَحْتَ سُلْطَةِ رَبِّنَا قَاهِرِ الْبَشَرِيَّةِ

عَلَى الْمُرِيدِ الْحَذَرُ مِنْ مَكْرِ السُّلُوكِ   فَكَمْ وَقَعَ بِسَبَبِهِ أُمَرَاءُ وَعُلَمَاءُ وَمُلُوكُ

فَالنَّجَاحُ يَكُونُ عَلَى حَسَبِ النِّيَّةِ   وَالسَّاقِطُ مَنْ يَكُونُ سَيِّئًا بِبَاطِنِهِ وَالطَّوِيَّةِ

اللَّهُمَّ لَا تُؤَمِّنِّي مِنْ مَكْرِكَ   وَلَا تُوَلِّ عَلَيَّ يَا رَبِّ بِفَضْلِكَ أَحَدًا غَيْرَكَ

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَى عَمَّنْ يَتَهَجَّدُونَ   بِاللَّيْلِ يَقْطَعُونَهُ بِالصَّلَاةِ وَبِالذِّكْرِ يَسْهَرُونَ

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة ١٦)   هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْجُونَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمَقَامِعِ

فَلَا يُصْبِحُ الْمُرِيدُ مُرْشِدًا قَوِيًّا   حَتَّى يَرُدَّ بِقَلْبِهِ الصَّوَاعِقَ السَّمَاوِيَّةَ

قَالَ الْإِمَامُ الشِّبْلِيُّ ﵁ :

يَا أَيُّهَا الرَّبُّ الْكَرِيمُ   حُبُّكَ بَيْنَ الْحَشَا مُقِيمُ

يَا رَافِعَ النَّوْمِ عَنْ جُفُونِي   أَنْتَ بِمَا مَرَّ بِي عَلِيمُ

صاحب السر الخفي والكرامات الكراره الخائض لبحر العرفان والفائز بتجليات ربنا الرحمن بدر الحقيقة وعاشق صاحب أسرار الطريقة ﷺ شيخ الكمالات والواصلين لكشف أنوار أسرار الآيات الشيخ عمر العمري الطرابلسي ﵁

تَدَرُّجُ ٱلْمُرِيدِ بِرِيَاضَةِ ٱلْجُوعِ

مِنْ فَوَائِدِ ٱلْجُوعِ ٱلْإِنْكِسَارُ وَٱلذُّلُّ وَزَوَالْ ٱلْبَطَرِ ٱلَّذِي هُوَ مَبْدَأُ ٱلطُّغْيَانِ بِذَا ٱلْمَجَالْ
فَلَا تَنْكَسِرُ ٱلنَّفْسُ ٱلْبَشَرِيَّةُ إِلَّا بِٱلْجُوعِ لِأَنَّهُ يُوقِفُ شَرَارَةَ قُوَّتِهَا بِذَا ٱلْمَوْضُوعِ
فَتَسْكُنُ إِلَى رَبِّهَا وَتَخْشَعُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَقِفُ عَلَى عَجْزِهَا وَذُلِّهَا لِعُلُوِّ شَأْنِهْ
بِٱلْجُوعِ يَتَذَكَّرُ بَلَاءَ ٱللهِ وَعَذَابَهْ وَٱلشِّبَعُ يُنْسِي ٱلْحِسَابَ وَشِدَّةَ نِيرَانِهْ
فَٱلْعَطَشُ وَٱلْجُوعُ يُذَكِّرُ بِأَهْلِ ٱلْجَحِيمْ كَيْفَ يَجُوعُونَ وَيَأْكُلُونَ ٱلزَّقُّومَ ٱلْأَلِيمْ
وَيُسْقَوْنَ ٱلْحَمِيمَ وَٱلْمُهْلَ وَٱلضَّرِيعْ فَيُذَكِّرُ بِعَذَابِ ٱلْآخِرَةِ وَأَلَمِهَا ٱلْمُرِيعْ
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ بِبَلَاءٍ أَوْ عِلَّةٍ أَوْ قِلَّةْ نَسِيَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ وَآلَامَهَا ٱلْمُذِلَّةْ
وَٱلْجُوعُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ إِعَانَةِ ٱلسَّالِكِينَ يُفَرِّغُ مَعِدَتَهُ وَيَمْلَأُ قَلْبَهُ ٱلْحَزِينَ
فَتَقْلِيلُ ٱلطَّعَامِ يُضْعِفُ قُوَّةَ ٱلشَّهْوَةِ ٱلضَّارَّةِ وَيَسْتَوْلِي عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱلشِّرِّيرَةِ ٱلْأَمَّارَةِ

قَالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: "أَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلشِّبَعُ"[1].

فَمَنْ تَدَرَّجَ بِرِيَاضَةِ ٱلْجُوعِ وَتَدَرَّبْ فَقُوَّةُ شَيْطَانِهِ تَضْعُفُ وَتَتَخَرَّبْ
وَجَمِيعُ مَعَاصِي ٱلْحَوَاسِّ وَٱلْأَعْضَاءِ ٱلتَّابِعَةِ سَبَبُهَا ٱلْقُوَّةُ ٱلْحَاصِلَةُ مِنَ ٱلْأَطْعِمَةِ ٱلْمُشْبِعَةِ
فَكَثْرَةُ ٱلطَّعَامِ تُسَبِّبُ لِلسَّالِكِ ٱلنَّوْمَ ٱلْعَمِيقْ وَقِلَّةُ ٱلطَّعَامِ تُوقِظُ ٱلْقَلْبَ إِلَى سُلُوكِ ٱلطَّرِيقْ
وَٱلسَّهَرُ يَجْلُو ٱلْقَلْبَ وَيُصَفِّيهِ وَيُنَوِّرُهُ فَيُصْبِحُ كَٱلدُّرِّ وَٱلْمِرْآةِ ٱلْمَجْلُوَّةِ وَيُطَوِّرُهُ
وَقِيلَ: ٱلنَّوْمُ مَنْبَعُ ٱلْآفَاتِ فِي غَفْلَتِهِ وَٱلشِّبَعُ هُوَ سَبَبُ ٱلْاِحْتِلَامِ وَعِلَّتِهِ
وَمَنْ شَبِعَ وَأَكَلَ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ كَأَنَّهُ ٱتَّكَأَ عَلَى شِمَالِهِ
وَٱنْتَبِهْ مِنْ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ وَٱلْيَتِيمِ وَٱلْأَرْمَلَةِ فَإِنَّهُ خَطِيرٌ وَهُوَ أَصْعَبُ مِنْ أَيَّةِ مَرْحَلَةٍ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٨٦

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء ١٠)

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : " يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي ٱلْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ ٱلْحَلَالِ أَمْ مِنَ ٱلْحَرَامِ " (رواه البخاري ، الحديث ٢٠٥٩)

عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْمُتَدَرِّجِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ ٱلْحَلَالِ ... وَيُخَفِّفَ شِبَعَهُ بِٱلتَّدْرِيجِ وَٱلْإِقْلَالِ
وَلَا يَزِيدُ بِطَعَامِهِ ٱلْأَنْوَاعَ ٱلدَّسِمَةْ ... وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْفَاكِهَةِ ٱلثَّمِينَةِ ٱلْفَخْمَةْ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : "مَا مَلَأَ ٱبْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ ٱبْنِ آدَمَ أُكُلَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ طَعَامٌ وَثُلُثٌ شَرَابٌ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ" (رواه أحمد)

كَانَ أَبُو ذَرٍّ ٱلْغِفَارِيُّ ؓ يَقُولُ فِي إِنْكَارِهِ عَلَى بَعْضِ ٱلصَّحَابَةِ ؓ : " قَدْ غَيَّرْتُمْ ، يُنْخَلُ لَكُمُ ٱلشَّعِيرُ وَلَمْ يَكُنْ يُنْخَلُ ، وَخَبَزْتُمُ ٱلْمُرَقَّقَ وَجَمَعْتُمْ بَيْنَ إِدَامَيْنِ وَٱخْتُلِفَ عَلَيْكُمْ بِأَلْوَانِ ٱلطَّعَامِ وَغَدَا أَحَدُكُمْ فِي ثَوْبٍ وَرَاحَ فِي آخَرَ "[1]. وَلَمْ يَكُونُوا هَكَذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ قُوتُ أَهْلِ ٱلصُّفَّةِ مُدًّا مِنْ تَمْرٍ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

وَعَلَيْهِ بِطَاعَةِ ٱللَّهِ وَلْيَنْتَهِ عَنْ نَوَاهِيهِ ... وَلْيُوَاظِبْ عَلَى طَاعَتِهِ وَيَنْزَجِرْ عَنْ مَعَاصِيهِ
وَيَبْتَعِدْ عَنْ شَهْوَةِ ٱلْبَطْنِ ٱلْمُفْرِطَةِ ... ٱلْمُسَبِّبَةِ لِلشَّهَوَاتِ وَٱلْمَعَاصِي ٱلْمُنَشِّطَةِ
لِأَنَّ ٱلشِّبَعَ يُسَبِّبُ ٱلْبَطَرَ وَٱلْعِلَلَ ٱلْمُتَنَوِّعَةْ ... وَٱلِٱنْهِمَاكَ فِي ٱلْآفَاتِ وَٱلْأَضْرَارِ ٱلْمُتَتَابِعَةْ
فَتَقْوَى شَهْوَةُ ٱلنَّظَرِ وَٱلْفَرْجِ وَٱلنَّفْسِ ٱلدَّسَّاسَةِ ... ٱلطَّعَامُ ٱلْمُعْتَدِلُ يُسَاعِدُ فِي ٱلسُّلُوكِ وَٱلدِّرَاسَةِ
لَا بُدَّ مِنْ تَدَرُّجِ ٱلْمُرِيدِ بِقِلَّةِ ٱلطَّعَامِ ... لِمُحَارَبَةِ ٱلشَّيَاطِينِ ٱلْمَكَّارَةِ ٱلْفَجَرَةِ ٱللِّئَامِ

قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : " يَا بُنَيَّ إِذَا ٱمْتَلَأَتِ ٱلْمَعِدَةُ نَامَتِ ٱلْفِكْرَةُ وَخَرِسَتِ ٱلْحِكْمَةُ وَقَعَدَتِ ٱلْأَعْضَاءُ عَنِ ٱلْعِبَادَةِ " (إحياء علوم الدين ج٣ ص٨٢) .

قِيلَ مَنْ جَوَّعَ نَفْسَهُ ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ ٱلْوَسَاوِسْ ... كَأَنَّهُ جَعَلَ عَلَى شَهَوَاتِهِ حَارِسًا فَارِسْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٩٠

وَمَنْ أَبَى فَقَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَهَلَكْ حَيْثُ خَسِرَ نُورًا وَبِهِ لَمْ يَتَمَسَّكْ

فَجَفَّتْ لَطَائِفُهُ ٱلرُّوحِيَّةُ وَلَمْ تُثْمِرْ وَأَضَاعَ فُرْصَتَهُ وَلَيْلَهُ ٱلصَّافِي ٱلْمُقْمِرْ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ فِي وِرْدِهِ وَصَدْرِهِ عَدَمُ مُخَالَفَةِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلسَّاعِي لِنَصْرِهِ

وَعَلَيْهِ بِٱلصَّمْتِ وَٱلْجُوعِ وَٱلسَّهَرِ ٱلشَّاقْ وَهَذَا تَحَصُّنٌ لِيَبْقَى عِنْدَهُ لِلذِّكْرِ ٱشْتِيَاقْ

فَإِنَّ مَقْصُودَ ٱلْمُرِيدِ ٱلْوُصُولُ بِقَلْبِهِ إِلَى ٱلْفَلَاحِ لِيُشَاهِدَ حَقَائِقَ وَعَجَائِبَ رَحْمَةِ ٱلْفَتَّاحِ

فَٱلْجُوعُ يَسُدُّ مَنَافِذَ شَهَوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ وَهَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ لَهُ ٱلتَّجْرِبَةُ فِي ٱلْأَوْطَانِ

وَفَرَاغُ ٱلْمَعِدَةِ يَجْعَلُ بِٱلْقَلْبِ رِقَّةً وَبِٱلْفِكْرِ فَتَسْكُنُ ٱلنَّفْسُ فَيَقُومُ ٱلْمُرِيدُ بِوَاجِبِ ٱلشُّكْرِ

فَٱلْغَايَةُ مِنَ ٱلْجُوعِ قَدْ مَدَحَهَا ٱلشَّرْعُ وَغَايَةُ مَلْءِ ٱلْبَطْنِ يَطْلُبُهُ ٱلطَّبْعُ

عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ : " **ٱلْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَٱلْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ** ". (صحيح مسلم ج١٤ ص٢٥)

فَٱلْمُرِيدُ ٱلْمُتَدَرِّجُ يُقَاوِمُ ٱلْمُخَالَفَاتِ وَٱلنَّفْسُ تَهْوَى كَثْرَةَ وَتَنَوُّعَ ٱلشَّهَوَاتِ

فَٱلطَّبْعُ يَمِيلُ إِلَى ٱلشَّهَوَاتِ وَهُوَ بِهَا رَاتِعْ وَٱلشَّرْعُ يَمْنَعُهُ مِنَ ٱلْإِفْرَاطِ فِيهَا بِكُلِّ مَانِعْ

فَيَتَعَارَكَانِ فَيَحْصُلُ بَعْدَهَا ٱلِاعْتِدَالُ ٱلْقَامِعُ لِلطَّبْعِ ٱلْمُتَلَهِّفِ عَلَى ٱلشِّبَعِ ٱلَّذِي بِهِ طَامِعْ

فَيَأْكُلُ بِقَدْرٍ لَا يُحِسُّ فِيهِ بِثِقَلِ ٱلْمَعِدَةِ وَلَا يُحِسُّ بِآلَامِ ٱلْجُوعِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ

ٱلْمَقْصُودُ مِنَ ٱلْأَكْلِ بَقَاءُ ٱلْحَيَاةِ وَٱلتَّزَوُّدُ بِقُوَّةٍ عَلَى ٱلْعِبَادَةِ وَٱلْقِيَامِ بِٱلطَّاعَاتِ

حَيْثُ أَلَمُ ٱلْجُوعِ يَشْغَلُ ٱلْقَلْبْ وَٱلشِّبَعُ ٱلْمُفْرِطُ لَيْسَ لِلسَّالِكِ فِيهِ مَطْلَبْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (الأعراف ٣١) .

وَقَالَ ﷺ : "**مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ[1] لَهُ ٱلدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا** "[2] .

فَإِنْ لَمْ يَشْعُرِ ٱلْمُرِيدُ بِجُوعٍ وَلَا شِبَعٍ تَيَسَّرَتْ لَهُ ٱلْعِبَادَةُ بِلَا وَجَعٍ

(١) حِيزَتْ : أَيْ جُمِعَتْ .

(٢) مصابيح السنة ج ٣ ص ٤٢٦

وَخَـفَّ فِي نَفْسِـهِ وَقَـوِيَ عَلَـى ٱلعَمَـلِ ... فَبَعْدَ ٱعْتِدَالِ ٱلطَّبْعِ يَحْصُلُ عَلَـى ٱلأَمَـلِ

ٱلكَامِـلُ لَا تَجْـرِي عَلَيْـهِ هَـٰذِهِ ٱلمَقَـايِيسُ ... فَإِنَّ قَلْبَهُ يَحْـرِقُ ٱلأَطْعِمَـةَ وَحَالُـهُ نَفِيسٌ

كَانَ حَضْرَةُ مَعْرُوفٍ ٱلكَرْخِيِّ ﷺ يَأْكُلُ مَـا جَاءَهُ ... يَطْلُـبُ ٱلتَّقَـوِّيَ بِـهِ وَمِـنَ ٱللهِ رِضَـاءَهُ

سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ هَذَا ٱلفِعْلِ : " قَالَ أَنَا ضَيْفٌ فِي دَارِ مَوْلَايَ فَإِذَا أَطْعَمَنِي أَكَلْتُ وَإِذَا جَوَّعَنِي صَبَرْتُ " .

فَهَـٰذَا مِمَّـنْ يَكُـونُ عَـامِلًا لِلهِ فِي أَكْلِـهِ ... وَمُتَزَوِّدًا لِلْقُوَّةِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَإِفْطَارِهِ

هَـٰذَا ٱلٱخْتِصَـارُ مُفِيـدٌ فِي رِيَاضَـةِ ٱلمُرِيـدِ ... حَتَّى يَصِلَ بِٱلتَّدْرِيجِ إِلَى ٱلسُّلُوكِ ٱلنَّاجِحِ ٱلمُفِيدِ

آدَابُ ٱلطَّعَامِ

لِكُلِّ شَيْءٍ أَدَبٌ كَآدَابِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلطَّعَامِ وَٱلنَّوْمِ ... وَلِلْمُكَالَمَةِ وَٱلصُّحْبَةِ مَعَ ٱلأَصْحَابِ وَٱلقَوْمِ

مِـنْ آدَابِ ٱلطَّعَـامِ أَنْ يُصَـغِّرَ لُقْمَتَـهُ ... وَلَا يَنْظُرَ بِوُجُوهِ ٱلَّـذِينَ يَـأْكُلُونَ مِنْ سُفْرَتِهِ

وَيَجْلِـسَ جِلْسَـةَ تَوَاضُـعٍ وَأَدَبْ ... وَلَا يُعَارِضَ ٱلضَّيْفَ إِذَا طَعَامًا سَكَبْ

وَلَا يَبْتَدِئَ بِٱلطَّعَامِ حَتَّى تَبْتَدِئَ ٱلجَمْعِيَّةُ ... وَيَأْكُلَ بِيَمِينِهِ مَعَ ٱلتَّسْمِيَةِ ٱلشَّرْعِيَّةِ

وَلَا يَرْمِيَ بَقَايَا ٱلفَاكِهَةِ عَلَى ٱلطَّبَقِ ... وَلَا يَأْكُلَ مِـنْ وَسَـطِ ٱلطَّعَـامِ ٱلمُطَبَّـقِ

وَلَا يَقْطَـعُ ٱلمَـوْزَ وَٱلخُبْـزَ بِٱلسِّكِينْ ... وَلَا يَتَبَاهَى بَيْنَهُمْ أَنَّهُ يُطْعِمُ ٱلمِسْكِينْ

وَلَا يَكُفَّ يَدَهُ عَنِ ٱلطَّعَامِ حَتَّى لَا يَتَـأَثَّرُوا ... فَيَخْجَلُـوا مِنْـهُ وَلِطَعَـامِهِمْ يَخْتَصِـرُوا

وَلَا يَقُومَ عَنِ ٱلسُّفْرَةِ حَتَّى تُرْفَعَ ٱلمَائِدَةْ ... فَتِلْـكَ بِـآدَابِ ٱلطَّعَـامِ أَفْضَـلُ قَاعِـدَةْ

يَأْخُذُ طَعَامَـهُ مِـنْ حَاشِـيَتِهِ بِلُطْـفْ ... وَلَا يَعِيبُ طَعَـامَ ٱلنَّـاسِ وَبِـهِ يَسْتَخِفّ

وَإِنْ وَقَعَـتْ لُقْمَـةٌ يُزِيـلُ عَنْهَـا ٱلأَذَى ... وَيَأْكُلُـهَا مُخَالِفًـا لِلشَّيْطَانِ لِيَنَـالَ ٱلجَزَا

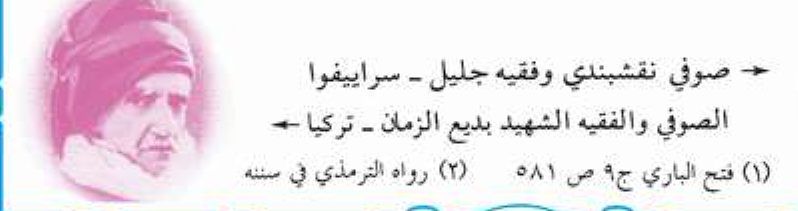
وَيَلْعَـقُ أَصَابِعَهُ بِنِهَايَـةِ ٱلطَّعَـامِ ... أَيْ يَمْتَصُّـهَا كَمَـا فَعَـلَ خَيْـرُ ٱلأَنَـامِ ﷺ

وَلَا يَسْكُبُ بِقَصْعَتِهِ (صَحْنِهِ) فَوْقَ طَاقَتِهِ ... وَيَمْسَحُ قَصْعَتَهُ بَعْدَ إِتْمَامِ نِهَايَتِهِ
وَمِنَ ٱلْأَدَبِ أَنْ لَا يَنْفُخَ فِي ٱلطَّعَامِ ... وَيُسَمِّي بِٱلْبِدَايَةِ وَيَحْمَدُ بِنِهَايَتِهِ عَلَى ٱلتَّمَامِ
وَلَا يَصْمُتَ كُلِّيًا عَلَى ٱلطَّعَامِ مَعَ ضُيُوفِهِ ... فَيَخْجَلُونَ مِمَّا يُشَاهِدُونَ مِنْ مَعْرُوفِهِ
بِلُطْفِ ٱلْكَلَامِ وَبِٱلْأَدَبِ يَدْفَعُهُمْ ... لِتَنَاوُلِ كُلِّ طَيِّبٍ ثُمَّ يَأْكُلُ مَعَهُمْ
وَمِنْ أَحْسَنِ ٱلْأَدَبِ عِنْدَنَا وَأَهَمِّهْ ... أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا بَعْدَ جُوعٍ قَدْ أَهَمَّهْ
وَيُمْسِكَ عَنِ ٱلطَّعَامِ قَبْلَ ٱلشِّبَعِ بِقَلِيلِ ... حَتَّى لَا يَضُرَّهُ بَطْنُهُ وَيُصْبِحَ كَٱلْعَلِيلِ
وَأَنْ لَا يُقَدِّمَ ٱلصَّحْنَ ٱلْمُحْتَقَرَ لِرَفِيقِهْ ... وَيَدْفَعُهُ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَوْ يُعِيقَهْ
وَأَنْ يُنَاوِلَ خَادِمَهُ أَوْ سَائِقَهُ مِنْ أَكْلَتِهِ ... يُطْفِئُ بِهَا حَرَارَةَ نَارِ عِلَّتِهِ
وَأَنْ يَغْسِلَ يَدَيْهِ قَبْلَ وَبَعْدَ ٱلطَّعَامْ ... فَتِلْكَ آدَابُ ٱلْمُرِيدِ فِيهَا تَعْلِيمٌ وَنِظَامْ
مَعَ ٱلدُّعَاءِ ٱلْمَشْهُورِ فِي ٱلنِّهَايَةْ ... لِكَسْبِ ٱلْأَجْرِ وَمِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلْحِمَايَةْ

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا قَالَ: " **ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ** "[1]. وَقَالَ ﷺ مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: " **ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنِي هٰذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ. غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** "[2].

وَيُكْرَهُ طَعَامُ ٱلْمُبَاهَاةِ كَطَعَامِ ٱلْقَيَاصِرَةِ ... وَمَا تُكُلِّفَ بِهِ لِلتَّعَازِي وَٱلْأَعْرَاسِ ٱلْفَاخِرَةِ
وَمِنْ أَدَبِ ٱلْمُرِيدِ بِٱلتَّصَوُّفِ إِنْ أَكَلْ ... عِنْدَ جَمَاعَةٍ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ بِمَا فِيهِ أَمَلْ

يَقُولُ: " أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ " ﷺ.
وَرُوِيَ أَيْضًا: " عَلَيْكُمْ صَلَاةُ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، لَيْسُوا آثِمِينَ وَلَا فُجَّارٍ، يُصَلُّونَ بِٱللَّيْلِ وَيَصُومُونَ بِٱلنَّهَارِ " ، كَانَ بَعْضُ ٱلصَّحَابَةِ يَقُولُ ذٰلِكَ ﷺ. (إحياء علوم الدين ٥/ ١٧٨)


← صوفي نقشبندي وفقيه جليل ـ سراييفوا
الصوفي والفقيه الشهيد بديع الزمان ـ تركيا ←

(١) فتح الباري ج٩ ص ٥٨١ (٢) رواه الترمذي في سننه

سَرِقَةُ ٱلْمَعْلُومَاتِ مِنَ ٱلْأَفْكَارِ

قَدْ يَتَعَجَّبُ ٱلْبَعْضُ كَيْفَ يَنْجَحُ ٱلْكَسُولُ
وَهُوَ لَا يَدْرُسُ دُرُوسَهُ وَبِٱلنَّجَاحِ يَجُولُ

إِنَّ لِلْعُيُونِ شَرَارَةً بَاطِنِيَّةً مُذْهِلَةً
تَرْبِطُهُ بِأَفْكَارِ ٱلْغَيْرِ بِتَخَاطُرَاتٍ مُؤَهِّلَةً

لِتَسْرِقَ ٱلْعُلُومَ وَتَطْبَعَهَا بِصَحِيفَةِ ٱلْأَفْكَارِ
وَقَدْ تَصِلُ إِلَى ٱخْتِرَاعَاتٍ بَعِيدَةٍ عَنِ ٱلْأَنْظَارِ

كَمْ مِنْ بُنُوكٍ بِٱلتَّخَاطُرِ سُرِقَتْ
وَكَمْ مِنْ خَزَائِنَ أَرْقَامُهَا فُتِحَتْ

وَكَمِ ٱسْتَعْمَلَ ٱللُّصُوصُ وَٱلْجَوَاسِيسُ ٱلتَّخَاطُرْ
فَوَصَلُوا إِلَى مَا يُرِيدُونَ مِمَّا وَرَاءَ ٱلْجُدُرْ

فَيَحْصُلُونَ عَلَى عُلُومٍ وَرُمُوزٍ سِرِّيَّةٍ
فَيَحُلُّونَ بِهَا عَجَائِبَ ٱلْاَخْتِرَاعَاتِ ٱلْخَفِيَّةِ

بَرَعَ بِذَلِكَ بِٱلْمَطَارَاتِ ٱلْهُنُودُ وَٱلْبُوذِيَّةْ
ٱسْتَعَانَ بِهِمُ ٱلْأَمْنُ لِمَصْلَحَةٍ شَخْصِيَّةْ

ٱسْتَخْدَمُوهُمْ لِحِمَايَتِهِمْ بِٱلْمَرَافِئِ وَٱلْمَطَارَاتِ
وَعَلَى أَبْوَابِ ٱلدَّوَائِرِ وَأَمْنِ ٱلْقِطَارَاتِ

اِسْتَعْمَلَ إِبْلِيسُ ٱلْعِلْمَ لِأَذَى ٱلْإِنْسَانِ
وَلِإِبْعَادِ ٱلنَّاسِ عَنْ عِبَادَةِ ٱلدَّيَّانِ ﷻ

قَالَ ﷻ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ (البقرة ١٠٢)

إِنْ كَانَ إِبْلِيسُ بِعِلْمِهِ يُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلزَّوْجَيْنِ
فَلَا غَرَابَةَ أَنْ يَسْرِقَ عُلُومًا بَيْنَ حَائِطَيْنِ

اَلْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ خَيْرٍ وَنُورٍ
وَعِلْمُ أَذًى وَضَرَرٍ وَتَخْرِيبٍ وَشُرُورٍ

فَٱلْاِخْتِرَاعَاتُ ٱلْحَرْبِيَّةُ ٱلْمُهْلِكَةُ لِلْبَشَرِ
أَمَدَّهُمْ بِهَا إِبْلِيسُ بِعِلْمٍ مُخْتَصَرِ

فَلَا يَسْتَطِيعُ بِٱلْاِسْتِقْلَالِ عَقْلُ ٱلْإِنْسَانِ
أَنْ يَكْسِبَ تِلْكَ ٱلْعُلُومِ ٱلْمُحَيِّرَةِ لِلْأَذْهَانِ

بَلْ يُمِدُّهُ إِبْلِيسُ بِهَا مِنْ حَيْثُ لَا يُحِسّ
إِذَا عَصَى ٱلرَّحْمَٰنَ ﷻ شَيْخٌ أَوْ قِسّ

لِأَنَّ ٱلْاِخْتِرَاعَاتِ لِضَرْبِ ٱلْإِنْسَانِ
وَتَزِيدُهُ بُعْدًا عَنْ تَطْبِيقِ شَرْعِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﷻ

← الشيخ عبد الله الحمصي ـ بيروت
له و قائع مع الكاتب من سنة 1953 حيث كان يلازم مقهى غال الكاتب محمد الربعة في المعرض
← الشيخ محمد بهاء الدين ـ العراق السليمانية

اَلصُّوفِيُّ وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ

اَلْخُلُقُ الْحَسَنُ صِفَةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ ... وَهُوَ ثِمَارُ أَعْمَالِ الصِّدِّيقِينَ

يُجَمِّلُ خَصَائِلَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالصِّدِّيقِينَ ... وَهُوَ رَمْزٌ عَظِيمٌ مِنْ شَطْرِ الدِّينِ

وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَدُلُّ عَلَى بَاطِنِ الْعَبِيدِ ... وَيَدُلُّ عَلَى خَفَايَا وَنَوَايَا أَصْحَابِ الْمَوَاجِيدِ

اَلْخُلُقُ الْحَسَنُ يُسَاعِدُ عَلَى تَحْصِيلِ الْمَنَافِعِ ... وَيُوقِفُ الْحُرُوبَ وَضَرْبَ الْمَدَافِعِ

قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْكَرِيمِ ... ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٤)

بِهَذَا الْخُلُقِ يُسَاعِدُ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ ... وَبِهِ يَسْتَشْعِرُ بِالْخَجَلِ وَشِدَّةِ الْإِحْسَاسِ

فَهُوَ مِيزَانٌ وَقِيَاسُ كُمَّلِ الرِّجَالِ ... وَيَزِيدُ جَمَالًا وَكَمَالًا صُورَةَ الْأَحْوَالِ

وَهُوَ كَالْعُنْوَانِ الْمَقْرُوءِ عَلَى الْوُجُوهْ ... فَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَتَحَلَّى بِهِ وَيَرْجُوهْ

فَالصُّوفِيَّةُ تُرَبِّي فِي طَالِبِهَا الْأَخْلَاقْ ... فَتَتَحَلَّى بِهَا اللَّطَائِفُ وَتَتَزَيَّنُ بِهَا الْأَذْوَاقْ

لِأَنَّ انْصِبَابَ الْأَنْوَارِ وَالْفَيْضِ وَالرَّحَمَاتِ ... يُصِيبُ الْحَوَاسَّ وَالْعَقْلَ وَيُعَالِجُهَا بِالْوَارِدَاتِ

فَتَتَزَكَّى وَتَتَطَهَّرُ مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُ وَلَا يُفِيدْ ... لَوِ اشْتَغَلَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِهَا لَذَاقُوا الْمَوَاجِيدْ

حُسْنُ الْخُلُقِ وَعَلَامَاتُهُ

حُسْنُ الْخُلُقِ مِنَ اعْتِدَالِ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ ... فَيَتَحَمَّلُ الْمَصَائِبَ حِينَ الشِّدَّةِ وَالزَّحْمَةِ

وَهُوَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَةِ جُودِهِ ... وَيَحْصُلُ بِالِاكْتِسَابِ بِحَسَبِ قُوَّةِ جُهُودِهِ

وَمُخَالَطَةُ الْمُتَأَدِّبِينَ تَنْعَكِسُ عَلَى الْأَخْلَاقِ ... فَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا وَيَبْقَى لِلْمَزِيدِ فِي اشْتِيَاقِ

هَذِهِ الِاسْتِفَادَةُ دَائِمَةٌ بِكُلِّ مَرَاحِلِ عُمْرِهِ ... وَتَزْدَادُ ثَبَاتًا وَرُسُوخًا فِي كُلِّ أَمْرِهِ

فَحُسْنُ الْخُلُقِ بِشَارَةٌ طَيِّبَةٌ لِلْإِنْسَانِ ... فَبَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ مِنَ الْإِيمَانِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ"[1].

عَرَفَ الصَّالِحُونَ ثِمَارَ حُسْنِ الْخُلُقِ ... فَوَصَفُوهُ بِتَفَاصِيلِهِ بِعِدَّةِ طُرُقِ

(١) رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده

قِيلَ : حُسْنُ ٱلْخُلُقِ بَسْطُ ٱلْوَجْهِ بِٱلْبَسْمَةِ   وَكَفُّ ٱلْأَذَى وَٱلتَّعَامُلُ مَعَ ٱلنَّاسِ بِحِكْمَةِ

وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَهْلًا وَقَرِيبًا   وَقِيلَ : يَكُونَ بَيْنَهُمْ رَجُلًا غَرِيبًا

وَإِكْرَامُ ٱلْخَلْقِ بِٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءْ   وَٱلرِّضَا عَنِ ٱللهِ فِي كُلِّ مَا جَاءْ

وَأَنْ لَا يَتَّهِمَ ٱلْحَقَّ سُبْحَانَهُ بِٱلرِّزْقِ   وَيَثِقَ بِهِ ﷻ وَيَسْكُنَ وَيَعْمَلَ بِرِفْقِ

وَيَجْتَنِبَ ٱلْمَحَارِمَ وَيَطْلُبَ ٱلْحَلَالْ   وَيُسَاعِدَ ٱلْفُقَرَاءَ وَيُوَسِّعَ بِٱلنَّفَقَةِ عَلَى ٱلْعِيَالْ

وَيَجِبُ أَلَّا يُؤَثِّرَ فِيهِ جَفَاءُ ٱلْخَلْقِ   بَعْدَ مُطَالَعَتِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ لِلْحَقِّ

وَيَجِبُ أَلَّا يَكُونَ لَهُ هَمٌّ غَيْرُ ٱللهْ   وَيُطِيعَ ٱلرَّسُولَ ﷺ وَلَا يَعْصِيَ مَوْلَاهْ

وَمِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ خُلُقِ ٱلْمُسْلِمْ   أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ ٱلْحَيَاءِ وَبِهَذَا نُسَلِّمْ

بَعِيدًا عَنِ ٱلْأَذَى صَالِحًا صَدُوقَ ٱللِّسَانِ   قَلِيلَ ٱلْكَلَامِ كَثِيرَ ٱلْعَمَلِ بِسَائِرِ ٱلْأَزْمَانِ

قَلِيلَ ٱلزَّلَلِ قَلِيلَ ٱلْفُضُولِ رَاجِيًا صَبُورًا   وَصُولًا وَقُورًا حَلِيمًا رَاضِيًا شَكُورًا

رَفِيقًا عَفِيفًا شَفِيقًا لَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا   وَلَا نَمَّامًا وَلَا عَجُولًا وَلَا مُغْتَابًا

وَلَا بَخِيلًا ، بَشَّاشًا هَشَّاشًا غَيْرَ حَقُودِ   يُحِبُّ بِٱللهِ وَيَغْضَبُ لِلهِ غَيْرَ حَسُودِ

ٱلرِّضَى بِقَضَاءِ ٱللهِ عَلَامَةُ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ   فَلْنَتَقَيَّدْ بِكُلِّ أَدَبٍ فِي سُلُوكِ ٱلطُّرُقِ

وَمِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلَى أَخِيكَ   نَظْرَةَ ٱحْتِقَارٍ فَقَدْ يُعَافِيهِ ٱللهُ وَيَبْتَلِيكَ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **" لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَخِيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذِيهِ "**[1] .

قَالَ حَاتِمٌ ٱلْأَصَمّ : ٱلْمُؤْمِنُ مَشْغُولٌ بِٱلْفِكْرِ وَٱلصَّبْرِ   وَٱلْمُنَافِقُ مَشْغُولٌ بِٱلْحِرْصِ وَٱلْأَمَلِ (وَٱلْبَطَرِ)

عَلَامَةُ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ عِنْدَ ٱلصَّالِحِينَ بِلَا خِلَافِ   حُسْنُ ٱلْإِنْصَافِ وَٱلْتِمَاسُ ٱلْمَعْذِرَةِ وَقِلَّةُ ٱلْخِلَافِ

وَٱحْتِمَالُ ٱلْأَذَى وَطَلَاقَةُ ٱلْوَجْهِ لِلصَّغِيرْ   وَٱلْكَبِيرِ وَٱلْإِحْسَانُ وَلُطْفُ ٱلْكَلَامِ كَمَا نُشِيرْ

هَذِهِ ٱلْأَحْوَالُ لِلْعَابِدِينَ تُذَلِّلُ نُفُوسَهُمْ   وَتُنَقِّي مِنَ ٱلْغِشِّ وَٱلْغِلِّ وَٱلْحِقْدِ بَوَاطِنَهُمْ

فَٱلَّذِينَ ظَهَرَتْ هَذِهِ ٱلْعَلَامَاتُ عَلَيْهِمْ   هُمُ ٱلَّذِينَ تَزَكَّتْ بِٱلْأَنْوَارِ أَنْفَاسُهُمْ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ لِتِلْكَ ٱلْعَلَامَاتِ أَثَرْ   يَنْبَغِي أَنْ يَشْتَغِلَ بِٱلرِّيَاضَةِ وَبِسُنَّةِ خَيْرِ ٱلْبَشَرْ ﷺ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٧٠

نَصِيحَةٌ لِلْخَلَاصِ مِنَ ٱلِٱعْوِجَاجِ ٱلْبَاطِنِيِّ

كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يَدَّعُونَ عِلْمَ ٱلْبَاطِنِ ... وَيُخَرِّبُونَ عَقَائِدَ أَفْكَارِ ٱلْمُوَاطِنِ

يَتَكَلَّمُونَ بِـأَحْوَالٍ مُخَالِفَـةٍ لِلشَّرِيعَةْ ... فِيهَا خُزَعْبَلَاتٌ وَدَجَلٌ وَقِصَصٌ مُرِيعَةْ

ذَلِكَ فِعْلُ مَنْ بَاطِنُهُ فَاسِدٌ نَتِنْ ... مَمْلُوءٌ بِـٱلْغَفَلَاتِ وَٱلضَّلَالِ ٱلْعَفِنْ

فَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِ عَمَّا فِي أَحْوَالِهِ ... فَيُخْبِرُ عَنْ تَجْوَالِهِ فِي أَوْحَالِهِ

ٱلْمُسْتَمِعُ لِتِلْكَ ٱلْمُخَالَفَاتِ قَدْ عَصَىٰ ... فَأَفْكَارُهُ ضُرِبَتْ وَقَلْبُهُ قَدْ قَسَى

فَمِيزَانُ شَرْعِنَا ٱلْكِتَابُ وَٱلسُّنَّةْ ... وَمَا أَجَازَ ٱلسَّمَاحَ بِهِ ٱلْأَئِمَّةْ

وَكُلُّ مُخَالِفٍ لِلسُّنَّةِ ٱلْمُبَارَكَةِ وَٱلْكِتَابِ ... مُغْلَقٌ عَلَيْهِ ٱلْعِرْفَانُ بِسَائِرِ ٱلْأَبْوَابِ

وَقَوْلُهُ وَأَحْوَالُهُ فَسَادٌ فِي فَسَادِ ... قَصْدُهُ ٱلِٱسْتِعْلَاءُ وَإِضْلَالُ ٱلْعِبَادِ

وَلَوِ ٱدَّعَى أَنَّهُ بِكَلَامِهِ يَقْصِدُ ٱلْإِصْلَاحَ ... لَمْ يُثْمِرِ ٱلْكَذِبُ يَوْمًا وَلَمْ يَدُرَّ ٱلْأَرْبَاحَ

فَتِلْكَ أَقْوَالٌ تُؤَدِّي لِلْمَخَاطِرِ ٱلْمُهْلِكَةِ ... وَتُدْخِلُ ٱلْعَقْلَ بِوَسَاوِسَ مُشْتَرَكَةِ

حَتَّى تُوصِلَهُ إِلَى خَطَرَاتِ ٱلْكُفْرِ ٱلْفِكْرِيّ ... فَيَصِيرُ مَجْنُونًا وَهَذَيَانُهُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَيَانِ ٱلسُّكْرِ

فَمِثْلُ هَذِهِ ٱلْأَقْوَالِ ٱلَّتِي نَسْمَعُهَا ... مِنْ مُدَّعِي ٱلتَّصَوُّفِ عَلَيْنَا أَنْ نَرْفُضَهَا وَنَرْدَعَهَا

وَمِنْ أَخْطَرِ مَا سَمِعْنَاهُ مِنْ بَعْضِ هَؤُلَاءِ ٱلْمُدَّعِينَ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ ٱلْعُصَاةِ يَتَعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ وَدَخَلَ إِلَى ٱلْحَضْرَةِ ٱلْإِلَهِيَّةِ وَطَلَبَ ٱلْعَفْوَ عَنْهُ فَأَوْقَفَ عَنْهُ ٱلْعَذَابَ فِي ٱلْقَبْرِ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَهَذَا زَعْمٌ بَاطِلٌ.

فَهَذِهِ أَحْوَالٌ صَادِرَةٌ مِنْ بَاطِنٍ خَرْبَانٍ ... غَارِقٌ بِٱدِّعَاءٍ فَاسِدٍ ضَالٍّ وَجَرْبَانٍ

فَحِفْظًا عَلَى سَلَامَةِ ٱلْعُقُولِ وَٱلنُّفُوسِ ... نَصَحْنَا بِتَرْكِ ٱلِٱسْتِمَاعِ إِلَى ذَلِكَ ٱلْمَلْبُوسِ

فَقَالَ : مَنْ نَصَحَكُمْ بِٱلِٱبْتِعَادِ عَنِّي
فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَكُمْ وَيُبْعِدَكُمْ مِنِّي

وَهُوَ يُكَلِّمُكُمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِكُمُ ٱلْبَسِيطَةْ
وَيَعْلَمُ أَنَّ أَفْعَالِي بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللهِ وَسِيطَةْ

كَانَ يُغْلِقُ سَائِرَ أَبْوَابِ ٱلنَّصَائِحِ بِسُدُودْ
حَتَّى يَصِيرَ قَوْلُ ٱلنَّاصِحِ بِٱلْعَقْلِ مَرْدُودْ

فَمَا زَعَمَهُ فِيهِ أَخْطَارٌ لِلْقَلْبِ مُدَمِّرَةْ
ضَارَّةٌ مُضِرَّةٌ خَطِيرَةٌ غَيْرُ مُثْمِرَةْ

اَلشَّرِيعَةُ وَٱلْبَاطِنُ ٱلسَّنِيُّ ضَرَّتَانِ لَا تَسْتَوِيَانِ
فَبِأَيِّ آلَاءِ ٱللهِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ يُكَذِّبَانِ

فَٱعْلَمُوا أَنْ لَا بَاطِنَ إِلَّا بَعْدَ طَهَارَةِ ٱلْقَلْبِ
وَسَلَامَةِ ٱللَّطَائِفِ وَٱلْجَوَارِحِ مِنْ كُلِّ عَيْبِ

يَكُونُ ٱلْعَمَلُ ٱلْبَاطِنِيُّ فِي ٱلطَّرِيقَةِ
لِلتَّطْهِيرِ مِنْ كُلِّ فَسَادٍ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ

إِذَا طَهُرَ ٱلْقَلْبُ مِنَ ٱلْأَدْرَانِ ٱلْمُضِرَّةْ
وَٱنْقَشَعَتِ ٱلْغُيُومُ صَارَ بِٱلرُّوحِ مَسَرَّةْ

فَعِنْدَهَا يَتَوَقَّفُ فَسَادُ ٱللِّسَانِ عَنْ حَرَكَاتِهِ
لِأَنَّ ٱللهَ صَبَّ عَلَيْهِ مِنْ نُورِ بَرَكَاتِهِ

فَيَجْعَلُ ٱللهُ خَوْفَهُ فِي أَعْمَالِهِ
فَتَرَاهُ مُحَافِظًا عَلَى سَائِرِ أَقْوَالِهِ

لِأَنَّهُ صَارَ ذَا رَصِيدٍ نُورَانِيٍّ ثَمِينِ
يَخَافُ أَنْ يَخْسَرَهُ بِقَوْلٍ مُهِينِ

إِذَا خَالَفَ ظَاهِرَ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلْمُطَهَّرَةِ
أَوْ قَالَ خِلَافَ أَقْوَالِ ٱلْعَارِفِينَ ٱلْبَرَرَةِ

فَيُشْغِلُهُ ٱللهُ بِذِكْرِهِ وَبِٱلطَّاعَاتِ
فَيَهْجُرُ ٱلصُّحْبَةَ وَيَنْشَغِلُ بِسَائِرِ ٱلْعِبَادَاتِ

فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ يَلْفِظُهُ
فَيَصْمُتُ عَمَّا لَا يَعْلَمُهُ أَوْ يَجْهَلُهُ

فَإِذَا نَطَقَ نَطَقَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةْ
فَيُصْلِحُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلنُّفُوسَ ٱلْمُزَعْزَعَةْ

وَيُلَازِمُهُ ٱلْخَوْفُ وَٱلرَّجَاءْ
وَيَنْشَغِلُ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ وَٱلدُّعَاءْ

لِأَنَّهُ تَحَقَّقَ أَنَّ ٱلْمُتَصَرِّفَ بِٱلْكَوْنِ ٱلْمَوْجُودْ
هُوَ ٱللهُ ﷻ وَحْدَهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْمَعْبُودْ

إِذَا حَافَظَ ٱلْمُرِيدُ عَلَى سَلَامَةِ بَاطِنِهِ ٱلنَّظِيفِ
وَكَانَ حَسَنَ ٱلِٱنْقِيَادِ لِلْإِسْلَامِ ٱلشَّرِيفِ

وَلَمْ يَحُكْ فِي صَدْرِهِ شَيْءٌ فَهُوَ سَالِمْ
بِشَرْطِ أَنْ يَدْفَعَ كُلَّ خَاطِرِ سُوءٍ وَيُقَاوِمْ

مُلَخَّصٌ وَنَصِيحَةٌ مِنْ أَلْسُنٍ فَصِيحَةٍ

النَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَى بُكَاءٍ وَخُشُوعٍ   وَذِكْرِ قَلْبٍ وَتَزْكِيَةِ نَفْسٍ وَدُمُوعٍ

وَتَرْكِ سَرَطَانِ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَهِجْرَانِهِ   وَإِصْلَاحِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ وَجِيرَانِهِ

وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْخَلَوَاتِ وَالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ   لِيَزُولَ مِنَ الْبَاطِنِ كُلُّ حِجَابٍ وَشَنَاعَةٍ

وَاسْتِئْصَالِ الْتِهَابِ الضَّغِينَةِ الْمُرْدِيَةِ   وَإِزَالَةِ عِلَّةِ سَوَادِ سُوءِ النِّيَّةِ

وَإِجْرَاءِ عَمَلِيَّةِ تَجْمِيلٍ لِلنِّيَّةِ وَاللِّسَانِ   لِتَرْمِيمِ مَا تَصَدَّعَ مِنْ كَثْرَةِ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ

فَوَعْدُ الْإِلَهِ بِالْعَذَابِ مُزَلْزِلٌ لِلْقُلُوبِ   عَلَى الْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ

عَلَى الْمُصَابِ جَرْعُ مَاءِ كَوْثَرِ النَّدَمِ   قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْعَذَابُ وَيُقَاسِي أَشَدَّ أَلَمٍ

وَيَمْسَحُ أَطْرَافَهُ وَأَعْضَاءَهُ بِمَرَاهِمِ التَّوْبَةِ   وَيُرَاقِبُ خَوَاطِرَهُ وَأَنْفَاسَهُ نَوْبَةً بِنَوْبَةٍ

وَيَسْتَعْمِلُ وَصْفَةَ عَسَلِ شِفَاءِ الْعِلَلِ   وَيَتَضَرَّعُ لِرَبِّهِ ﷻ وَيَهْجُرُ سَبَبَ الْمَلَلِ

وَيَدْخُلُ مِنْ بَابِ الذُّلِّ عَلَى مَوْلَاهْ   وَيُسَلِّمُ بِعَطَائِهِ لِلطَّائِعِينَ وَكُلٌّ أَوَّاهْ

وَيَتَحَلَّى بِسُكَّرِ نَبَاتِ التَّوَاضُعِ وَيَشْرَبُهُ   وَيَتُوبُ وَيَتَنَدَّمُ، عِنْدَهَا الْوَسَاوِسُ لَا تَقْرَبُهُ

مَعَ الْمَضْمَضَةِ بِبَابُونَجِ التَّفَكُّرِ وَالْعِبَرِ   وَالتَّيَقُّظِ وَالْحَذَرِ لِمَا بَعْدَ الْقَبْرْ

وَيَجْعَلُ بِقَلْبِهِ الْإِجْلَالَ وَالْعَظَمَةَ لِمَوْلَاهْ ﷻ   فَهُوَ يَعْلَمُ النِّيَّةَ قَبْلَ تَحْرِيكِ الشِّفَاهْ

قَبْلَ ظُهُورِ مَلَكِ الْمَوْتِ بِالْمُوَاجَهَةِ   فَلَا مَفَرَّ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ سُدَّتْ كُلُّ جِهَةٍ

لَعَلَّ قَلْبَهُ يَلِينُ وَتَخْشَعُ رُوحُهُ وَيَهْدَأُ   وَيَرْتَاحُ ضَمِيرُهُ بِتِلْكَ الْوَصْفَةِ وَيَهْنَأُ

فَمَنْ أَرَادَ الْفَوْزَ فِي الدَّارَيْنْ   فَلْيُجَرِّبْ وَصْفَتَنَا بِصِدْقِ نِيَّةٍ يَوْمَيْنْ

فَيَهُونُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ نُورِ الْكَرَامَاتْ   وَيَرِقُّ فُؤَادُهُ وَتُفْتَحُ عَلَيْهِ الْكُشُوفَاتْ

فَيَغْرَقُ بِأَمْطَارِ دُمُوعِهِ وَيَنْدَمُ عَلَى إِنْكَارِهِ   بَعْدَمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةَ أَسْرَارِهِ

أَمَّا الْجَاهِلُ فَيُنْكِرُ عَطَاءَ الْخَالِقِ ﷻ لِلْمَخْلُوقْ   فَهُوَ أَعْمَى الْقَلْبِ مِنْ أَوْلَادِ السُّوقْ

الصَّمْتُ الْمُفِيدُ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " مَنْ صَمَتَ نَجَا "[1]

عَلَى الْمُرِيدِ تَرْكُ الْكَلَامِ الْمُضِرِّ ... وَتَقْلِيلُ الْكَلَامِ غَيْرِ الْمُسِرِّ
لِأَنَّ الْكَلَامَ يَتَخَلَّلُهُ آفَاتٌ وَمَهَالِكُ ... تَضُرُّ بِنَفْسٍ وَقَلْبٍ وَسُلُوكِ السَّالِكْ
كُنْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ مِمَّنْ تَكَلَّمَ وَغَنِمَ ... وَمِمَّنِ اخْتَلَى وَسَكَتَ فَسَلِمَ
فَعَلَى الْمُتَدَرِّجِ السَّالِكِ حِفْظُ الْكَلَامِ ... وَعَدَمُ الْخَوْضِ بِالْبَاطِلِ وَالْجِدَالِ مَعَ اللِّئَامِ
وَالسَّبِّ وَاللَّعْنِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ ... وَعَدَمُ التَّكَلُّمِ بِكُلِّ نَمِيمَةٍ مُعِيبَةِ
وَعَلَى الْمُتَدَرِّجِ بِالسُّلُوكِ الصَّمْتُ الْمُفِيدْ ... وَلَا يَسْتَعْمِلْ لِسَانَهُ ضِدَّ مُسْلِمٍ أَوْ مُرِيدْ

قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ﷺ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : " **أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ** "[2].

فَاللِّسَانُ يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ لِلْخَيْرِ فَيَهْدِيهِ ... وَقَدْ يَسْلُكُ بِهِ نَحْوَ السُّوءِ فَيُرْدِيهِ
فَالصَّمْتُ يُرِيحُ قَلْبَ السَّالِكِ الْمُتَدَرِّجْ ... وَحَبْسُ اللِّسَانِ بِالْفَمِ يُجَمِّدُ الْمُهَرِّجْ
إِنَّ اللِّسَانَ فِيهِ آفَاتٌ مُتَنَوِّعَةْ ... تُؤَدِّي إِلَى نَارٍ مُلْتَهِبَةٍ مُحْرِقَةٍ مُفْزِعَةْ
بِتَحَرُّكِهِ السَّيِّءِ هَتْكٌ لِعَوْرَاتِ النَّاسِ وَإِيذَاءْ ... وَفِي سُكُوتِهِ سَلَامَةٌ يَنَالُ بِهَا خَيْرَ الْجَزَاءْ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ (ق ١٨) .

تَحْرِيكُ اللِّسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ مَنْفَعَةْ ... ضَيَاعُ زَمَانٍ وَخُسْرَانٌ لِأَهْلِ كُلِّ صَنْعَةْ
فَالْكَلَامُ الطَّيِّبُ يَنْفَعُكَ وَالسَّفِيهُ يُؤْذِيكَ ... وَاللهُ عَلَى هَذَا وَذَاكَ يُجَازِيكَ
الصَّمْتُ لِلْإِنْسَانِ خَيْرُ رَأْسِ مَالِهِ ... فَإِنْ ضَيَّعَهُ السَّفِيهُ بِالْكَلَامِ فَمِنْ إِهْمَالِهِ
إِنَّ عَلَيْنَا حَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ... وَاللِّسَانُ سَبَبُ هَلَاكِ الْمُذْنِبِينَ

(١) رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده
(٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٠٩

حِفظُ اللِّسانِ

اَللِّسَانُ رَمْزُ ٱلسَّالِكِ ٱلْمُتَدَرِّجِ لِلإِحْسَانِ ... مِنْهُ نَسْتَبِينُ إِنْ كَانَ عَلَى ٱلطَّاعَةِ أَوِ ٱلعِصْيَانِ
هُوَ مَظْهَرٌ فَعَّالٌ يَنْطِقُ أَشْكَالًا وَأَلْوَانْ ... وَهُوَ مِقْيَاسُ ٱلإِنْسَانِ فِي ٱلْمَيْدَانْ
لَا يَنْجُو مِنْ شَرِّهِ إِلَّا مَنْ قَيَّدَهُ بِلِجَامِ ٱلشَّرْعِ ... فَيَصُونُ نَفْسَهُ كَمَا يَفْعَلُ فِي ٱلْوَرَعِ
اَلْمَطْلُوبُ هُوَ ٱلِاحْتِرَازُ عَنْ آفَاتِهِ وَغَوَائِلِهِ[1] ... وَٱلْحَذَرُ مِنْ مَصَائِدِهِ وَمَجَامِعِ حَبَائِلِهِ
فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُفَّ لِسَانَهُ ... عَنْ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ فَيَزْدَادُ إِحْسَانُهُ
فَإِذَا رَأَى مُبْتَدِعًا تَلَطَّفَ فِي نُصْحِهِ بِحِكْمَةٍ ... فِي قَوْلِهِ حَتَّى لَا يَتَسَبَّبَ بِمُخَاصَمَةٍ وَنِقْمَةٍ
لَا يَعِيشُ ٱلإِنْسَانُ وَحْدَهُ فِي سَيْرِهِ ... بَلْ يَضْطَرُّ إِلَى ٱلِاسْتِمَاعِ وَٱلِاجْتِمَاعِ مَعَ غَيْرِهِ
فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ وَٱلْمُرِيدَةِ ٱلِانْتِبَاهُ لِأُمُورٍ عَدِيدَةْ ... وَٱلْمُحَافَظَةُ عَلَى ٱللِّسَانِ مِنَ ٱلْغِيبَةِ فَإِنَّهَا شَدِيدَةْ
وَتَرْكُ ٱلِاشْتِغَالِ بِعُيُوبِ ٱلنَّاسِ وَعَدَمُ ٱحْتِقَارِهِمْ ... بِٱللِّسَانِ وَٱلْقَلْبِ وَٱلْفِكْرِ وَعَدَمُ بُغْضِهِمْ
أَكْثَرُ مَا يَجْرِي مِنَ ٱلنِّسَاءِ ٱلتَّنْقِيصُ ... بِمَنْ هِيَ أَجْمَلُ مِنْهُنَّ فَبِذَا لَا نَقِيصُ
أَوْ سَلْبُ ٱلأَحْوَالِ بِٱللَّفْظِ وَٱللِّسَانْ ... كَأَنْ تَقُولَ : فُلَانَةٌ لَيْسَ عِنْدَهَا إِيمَانْ
جَمِيلَةُ ٱلْمَنْظَرِ بِلَا طَعْمَةٍ وَلَا قِيمَةْ ... فَتِلْكَ عِلَّةٌ لِلنَّفْسِ وَلِلْقَلْبِ مُشِينَةْ

(١) الغوائل : الشرور

الوَفَاءُ بِالوُعُودِ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَفِيَ بِٱلْوُعُودِ ... إِنْ كَانَ أَمْرُهُ فِي نُزُولٍ أَوْ صُعُودِ
فَلَا يَسْتَعْمِلُ لِسَانَهُ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ... فَيَرْبِطُ وَعْدَهُ لِلنَّاسِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ
فَإِذَا أَخْلَفَ بِوَعْدِهِ عَامِدًا مُصِرًّا ... فَيُعَدُّ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ ٱلأَخْطَارِ ٱلْمُضِرَّةْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ (المائدة ١) .

عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ صَادِقَ ٱلْوَعْدْ ... وَيَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَقْضِهِ بُعْدْ

كُـلُّ ٱلْأَنْبِيَـاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَـانُوا يَفُـونَ بِـالْوُعُودِ مُحَافِظِينَ عَلَى ٱلْكَلِمَـةِ صَـائِنِينَ لِلْعُهُـودِ
لَقَدْ أَثْنَى ٱللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيـلْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْـدِ وَعَنِ ٱلْحَقِّ لَا يَمِيـلْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ... ﴾ (مريم ٥٤) .

فَـلَا بُـدَّ لِمَـنْ وَعَـدَ أَنْ يَقُـومَ بِٱلْوَفَـاءْ إِلَّا إِنْ تَعَـذَّرَ عَلَيْـهِ لِأَمْـرٍ جَـاءْ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ : **"أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا. وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ. حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَـدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"**. (صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ٢ ص ٤٦)

فَعَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَجْعَلَ نَفْسَهُ مَعْذُورًا لِلْخَـلَاصِ مِـنَ ٱلْوَعْـدِ بِـلَا ضَـرُورَةْ

اَلصِّـــدْقُ

اَلصِّدْقُ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلنَّجَاحْ عَلَـى ٱلْمُرِيـدِ ٱلتَّعَامُـلُ بِـهِ لِيَرْتَـاحْ
مَـنْ يَصْدُقْ مَـعَ ٱلنَّاسِ فَقَـدْ جَـازَ وَمَـنْ يَصْـدُقْ مَـعَ ٱللَّهِ فَقَـدْ فَـازَ

قَالَ ﷺ : **"عَلَيْكُمْ بِٱلصِّدْقِ فَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ وَإِنَّ ٱلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى ٱلصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللَّهِ صِدِّيقًا..."**[1]

وَأَطْيَبُ ٱلصِّدْقِ ٱلصِّدْقُ فِي ٱلْأَعْمَالِ وَٱلصِّـدْقُ فِي ٱلْأَحْـوَالِ وَٱلْأَقْـوَالِ
فَٱلْعَبْدُ ٱلصَّادِقُ هُوَ ٱلَّذِي وُجُودُهُ لِمَوْلَاهُ وَلَيْسَ لِنَفْسِهِ ٱلَّتِي تَقُودُهُ
مَنِ ٱسْتَوَتْ عِنْدَهُ ٱلسَّرِيرَةُ وَٱلْعَلَانِيَةْ وَأَصْبَحَ بَاطِنُهُ مِثْلَ ظَاهِرِهِ لِلْبَرِيَّـةْ
فَقَـدْ أَثْمَرَ ٱلصِّـدْقُ عِنْـدَهُ وَفَـازَ وَعَلَـى مُبَاهَـاةِ ٱلْمَلَائِكَـةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَـازَ

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ رَبِحَ ، اَلصِّدْقُ وَٱلْحَيَاءُ وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ وَٱلشُّكْرُ ".

اَلصِّـدْقُ مَقَـامٌ مِـنْ مَقَامَـاتِ ٱلدِّيـنْ وَهُـوَ إِشَـارَةُ رَمْـزِ مَقَـامِ ٱلصِّـدِّيقِينْ
لَا يَتَكَلَّمُ ٱلْمُرِيدُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ رَضِيَ أَوْ غَضِبْ وَيَكُونُ ٱهْتِمَامُهُ بِكُلِّ مَا يُرْضِي ٱلرَّبَّ ﷻ

(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١٦ ص ١٦٠

كَظْمُ ٱلغَيْظِ وَٱلحِلْمُ ٱلرَّاقِي

عَلَى ٱلْمُرِيدِ كَظْمُ غَيْظِهِ لِلهْ   وَمَنْ فَعَلَ فَرَبُّنَا ﷻ بِفَضْلِهِ هَدَاهْ

وَكَظْمُ ٱلغَيْظِ هِيَ إِشَارَةُ ٱلكَمَالْ   تَزِيدُ ٱلوَجْهَ نُورًا وَرَحْمَةً وَجَمَالْ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ١٣٤) .

قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **" مَا جَرَعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ تَعَالَى "** (إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧٥)

وَٱلَّذِي يُجَاهِدُ غَضَبَهُ لَا يَهِيجْ   وَإِنْ هَاجَ لَا يُتْعِبُهُ كَحَامِدٍ أَوْ بَهِيجْ

قَالَ مُعَاوِيَةُ ﷺ لِعَمْرِو بْنِ ٱلأَهْتَمِ : أَيُّ ٱلرِّجَالِ أَشْجَعُ ؟ قَالَ:مَنْ رَدَّ جَهْلَهُ بِحِلْمِهِ قَالَ:أَيُّ ٱلرِّجَالِ أَسْخَى؟ قَالَ:مَنْ بَذَلَ دُنْيَاهُ لِصَلَاحِ دِينِهِ .

إِنَّ حِلْمَ أَهْلِ ٱلبَيْتِ ٱلكِرَامِ ﷺ وَعَفْوَهُمْ   كَانَ يُحَيِّرُ أَلْبَابَ ٱلنَّاسِ وَعُقُولَهُمْ

كَانُوا يَصْفَحُونَ وَيُجَازُونَ ٱلسَّيِّئَةَ بِٱلحَسَنَةْ   هَكَذَا هِيَ ٱلقُلُوبُ ٱلكَامِلَةُ ٱلمُحْسِنَةْ

سَبَّ رَجُلٌ ٱبْنَ عَبَّاسٍ ﷺ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : " يَا عِكْرِمَةُ هَلْ لِلرَّجُلِ حَاجَةٌ فَنَقْضِيَهَا ، فَنَكَّسَ ٱلرَّجُلُ رَأْسَهُ وَٱسْتَحَى " .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ ٱلحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ سَبَّهُ رَجُلٌ فَرَمَى لَهُ بِخَمِيصَةٍ[1] كَانَتْ عَلَيْهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

قَالَ أَصْحَابُ ٱلحِكَمِ وَٱلعُقُولْ   كَلَامُ ٱللِّسَانِ مِنَ ٱلبَاطِنِ مَنْقُولْ

مَنْ ظَهَرَ بِكَلَامِهِ سُوءٌ وَتَفَحُّشٌ   كَانَ فِي بَاطِنِهِ خَرَابٌ وَظَلَامٌ مُوحِشٌ

وَمَنْ ظَهَرَ عَلَى لِسَانِهِ حُسْنُ ٱلكَلَامْ   كَانَ بَاطِنُهُ مُعَمَّرًا بِرَحْمَةِ ٱلعَلَّامْ ﷻ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **" إِنِ ٱمْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِمَا فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا فِيهِ "**[2].

(١) الخَمِيصَةُ : كِسَاءٌ أَسْوَدُ مُرَبَّعٌ.

(٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧٩

وَكَانَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ ﷺ مُعَمَّرًا بَاطِنُهُ بِٱلأَنْوَارْ فَمَنْ يَسْمَعْ حِكْمَتَهُ يَتَعَجَّبُ وَيَحْتَارْ

مَرَّ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﷺ بِقَوْمٍ مِنَ ٱلْيَهُودِ فَقَالُوا لَهُ شَرًّا فَقَالَ لَهُمْ خَيْرًا فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَرًّا وَأَنْتَ تَقُولُ خَيْرًا؟ فَقَالَ: " كُلٌّ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ "[1].

ٱلْحَلِيمُ يُعْرَفُ بِٱلشِّدَّةِ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ وَٱلشُّجَاعُ تَظْهَرُ قُوَّتُهُ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ

أَهْلُ ٱلْقُلُوبِ لَا يُقَابِلُونَ ٱلسَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا وَلَا ٱلْغِيبَةَ بِمِثْلِهَا لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ حُكْمَهَا

هَكَذَا عَلَى طَالِبِ ٱلسُّلُوكِ أَنْ يَمْتَثِلَ حَتَّى بِصَبْرِهِ يَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ وَيَكْتَمِلَ

ٱلتَّوَاضُعُ لِلَّهِ عَزَّ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: " **مَا زَادَ ٱللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ ٱللهُ** "[2].

ٱلتَّوَاضُعُ وَٱلإِيمَانُ رَمْزُ صَفَاءِ ٱلْمُحِبِّينَ بِهِمَا يَحْصُلُ ٱلتَّقَرُّبُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

فَيَزِيدُ ٱلتَّوَاضُعُ ٱلْعَبْدَ بِٱلْمَقَامِ رِفْعَةً لِأَنَّهُ صِفَةُ ٱلصَّالِحِينَ بِتِلْكَ ٱلصَّنْعَةْ

مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ ٱلْجُلُوسُ مَعَ ٱلْفُقَرَاءِ وَتَنَاوُلُ ٱلطَّعَامِ مَعَ ٱلْجَمَاعَاتِ وَٱلْبُسَطَاءِ

وَٱلصَّلَاةُ فِي ٱلْمَسَاجِدِ جُمُعَةً وَجَمَاعَةْ وَخِدْمَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَٱلرِّضَى وَٱلْقَنَاعَةْ

مَنْ تَوَاضَعَ أَذَاقَهُ ٱللهُ حَلَاوَةَ ٱلْعِبَادَةْ فَٱلنَّاسُ مِنْ تَوَاضُعِهِ وَتَقْوَاهُ تَهَابُهْ

وَٱلْمُتَوَاضِعُ يَخْضَعُ لِلْحَقِّ وَيُسَانِدُهُ وَلَا يُطِيعُ ٱلْمُتَكَبِّرَ بِمَعْصِيَةٍ وَيُعَانِدُهُ

وَلَا يَرْفَعُ ٱلْمُتَوَاضِعُ نَفْسَهُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ وَلَا يَتَبَاهَى بِثِيَابٍ وَلَا بِكَثْرَةِ ٱلزَّادِ

ٱلتَّوَاضُعُ وَٱلْخَوْفُ مِنَ ٱللهِ حَاجِبْ مِنْ دُخُولِ ٱلأَمْرَاضِ عَلَى تِلْكَ ٱلْمَوَاهِبْ

قَالَ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ: " رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى ٱلسُّوقِ وَبِيَدِهِ ٱلدِّرَّةُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ فِيهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ رُقْعَةً بَعْضُهَا مِنْ أَدَمٍ ".

وَعُوتِبَ ٱلإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ فِي إِزَارٍ مَرْقُوعٍ فَقَالَ: " يَقْتَدِي بِهِ ٱلْمُؤْمِنُ وَيَخْشَعُ لَهُ ٱلْقَلْبُ ".

(١) إحياء علوم الدين ج٣ ص ١٧٩

(٢) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١٦ ص ١٤١

ٱلتَّوَاضُعُ رِدَاءٌ يَرْتَدِيهِ ٱلْمُرِيدُ ٱلتَّقِيّ وَمَنْ رُزِقَ ذَلِكَ فَقَدْ فَازَ لِلرُّقِيّ

عَنْ عِيَاضٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ : " **إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا وَلَا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ** "(الفتح الكبير ج١ص ٣٢٧)

وَٱلتَّوَاضُعُ نَابِعٌ عَنْ ذِلَّةِ ٱلنَّفْسِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَٱلرَّهْبَةِ وَٱلْأُنْسِ

كَانَ ٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ خَيْرُ ٱلْبَشَرِيَّةْ يُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدِ وَيَقْبَلُ ٱلْهَدِيَّةْ

وَلَوْ كَانَتْ جُرْعَةَ لَبَنٍ وَلَا يَسْتَكْبِرْ عَنْ إِجَابَةِ ٱلْأَمَةِ وَٱلْمِسْكِينِ لِيَجْبُرْ

قُلُوبَ أَهْلِ ٱلْإِيمَانِ ، وَيَبْدَأُ بِٱلسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيَ بِدَرْبِهِ مِنَ ٱلْأَنَامِ

ٱلتَّوَاضُعُ يَكُونُ بِخَفْضِ ٱلْجَنَاحِ وَلِينِ ٱلْجَانِبْ وَٱلْخُضُوعِ لِلْحَقِّ وَيَكُونُ بِهِ ٱلرَّاغِبْ

وَمِنَ ٱلتَّوَاضُعِ صُحْبَةُ ٱلصَّالِحِينَ ﷺ وَٱلْجُلُوسُ مَعَ ٱلْفُقَرَاءِ ٱلْمُرَاقِبِينَ

قِيلَ : غَايَةُ ٱلتَّوَاضُعِ أَنْ تَعْتَقِدْ بِأَنَّ كُلَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْكَ وَلَا تَنْتَقِدْ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلصَّادِقِ ٱلْانْسِلَاخُ عَنِ ٱلتَّكَبُّرِ وَٱلْابْتِعَادُ عَنْ مَرَضِ ٱلتَّجَبُّرِ

ٱلتَّوَاضُعُ فِي خُلُقِ ٱلْمُرِيدِينَ حَسَنٌ وَلَوِ ٱمْتَثَلَ لَهُ ٱلْأَغْنِيَاءُ فَهُوَ أَحْسَنُ

مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ حِينَ ظُهُورِ ٱلْحَالِ فَقَدْ تَرَكَ ٱلتَّوَاضُعَ بِهَذَا ٱلْمَجَالِ

كَمْ مِنْ وَارِدٍ نَزَلَ عَلَى ٱلْقَلْبِ تَوَاضَعَ صَاحِبُهُ خَوْفًا مِنَ ٱلضَّرْبِ

وَٱلتَّوَاضُعُ هُوَ إِطَاعَةُ ٱلْعَبْدِ لِأَمْرِ ٱلْخَالِقِ فِي نَهْيِهِ وَتَزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِ مِنَ ٱلْعَوَالِقِ

كَٱلْاسْتِعْلَاءِ وَٱلْكِبْرِ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْأَحْكَامْ وَتَرْكِ إِطَاعَةِ ٱلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامْ

وَٱلتَّوَاضُعُ يَتَوَلَّدُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُرَاقِبِينَ بَعْدَ لَمَعَانِ نُورِ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﷺ

وَظُهُورِ تَجَلِّيَاتٍ عَلَى ٱلْمُرِيدِ حَارِقَةٍ خَارِقَةْ تُذَوِّبُ كِبْرِيَاءَ ٱلنَّفْسِ فَتُصْبِحُ مُشْرِقَةْ

فَتَلِينُ وَتُطِيعُ كَأَنَّهَا ضُرِبَتْ بِمِطْرَقَةِ لِعِلْمِهَا بِأَنَّ ٱلْكِبْرَ يُعَرِّضُهَا لِلْمَحْرَقَةِ

فَتَمْحُو آثَارَ كِبْرِيَائِهَا وَغُبَارَ وَهَجِهَا وَتَسْتَغْفِرُ ٱللهَ عَمَّا كَانَ مِنْهَا فِي مَاضِيهَا

مَنْ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ بِٱلتَّوَاضُعِ ٱلْخَاصِّ فَقَدْ حُرِمَ مِنَ ٱلْمُشَاهَدَةِ وَٱلْاخْتِصَاصِ

وَدَلِيلُ ٱلتَّوَاضُعِ فِي هَٰذَا ٱلْوُجُودِ — إِطَاعَةُ ٱللهِ وَخُضُوعُ ٱلْجِبَاهِ لَهُ بِٱلسُّجُودِ

وَفِيهِ سَعَادَةٌ تَرِدُ مِنْ نُورِ ٱلْأَمْدَادِ — لِمَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ إِلَى رَبِّ ٱلْعِبَادِ ﷻ

مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ حِينَ ٱلْمَشْيِ بِٱلطُّرُقَاتِ — ٱلنَّظَرُ إِلَى ٱلْأَرْضِ حِفْظًا لَهُ مِنَ ٱلْمُحَرَّمَاتِ

مَنْ تَطَاوَلَ بِنَظَرِهِ أَشْغَلَ نَفْسَهُ بِٱلْمَوْجُودْ — فَيَضْطَرِبُ تَوَاضُعُهُ وَيَعْصِي ٱلْمَعْبُودْ

فَلْيَبْتَعِدْ بِنَظَرِهِ عَنِ ٱلْحَرَامِ كَٱلْبَرْقِ ٱلْخَاطِفِ — خَوْفًا مِنْ إِصَابَةِ قَلْبِهِ وَٱللَّطَائِفِ

فَفِي ذَٰلِكَ غَايَةُ ٱلْأَدَبِ مَعَ ٱلْخَالِقِ ﷻ — وَإِلَّا كَانَ ٱلنَّظَرُ لِلْأَحْوَالِ حَالِقْ

فِي ٱلنَّظَرِ مُخَالَفَةٌ لِبَاطِنِهِ وَسِرِّهِ — فَإِذَا نَظَرَ إِلَى ٱلْأَرْضِ حَفِظَهُ مِنْ كَدَرِهِ

ٱلْمُرِيدُ ٱلْمُتَوَاضِعُ لَا يَذُمُّ بِبَاطِنِهِ طَعَامًا — وَلَا يَتَكَبَّرُ وَلَا يَنْهَرُ بِظَاهِرِهِ خَادِمًا

مُدَارَاةُ ٱلْأَهْلِ وَٱلْجِيرَانِ وَٱلْأَوْلَادِ — وَتَحَمُّلُ ٱلْأَذَى مِنْ سَائِرِ ٱلْعِبَادِ

مَظْهَرُ جَوْهَرِ ٱلنَّفْسِ وَرَمْزُ ٱلْمَرَاتِبْ — وَفِيهِ صَبْرٌ جَمِيلٌ يُعْجِبُ ٱلْمَلَكَ ٱلْكَاتِبْ

ٱلْقَنَاعَةُ بِٱلْيَسِيرِ وَأَكْلُ ٱلْخُبْزِ ٱلْكَسِيرِ — يَكُونُ بِٱلتَّوَاضُعِ وَٱلنَّوْمِ عَلَى ٱلْحَصِيرِ

مَنْ زَهِدَ بِٱلدُّنْيَا وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى ٱلْأَذَى — وَقَبِلَ بِٱلرَّدِيِّ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ يُجْزَى

وَهُوَ مُلْتَزِمٌ بِشُرُوطِ أَهْلِ ٱلطَّرِيقِ — وَسَيَظْفَرُ بِتَوَاضُعِهِ بِٱلرِّضَى عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ

مَنْ لَا يَقْنَعُ وَلَا يَرْضَى بِوَعْظٍ وَنَصِيحَةْ — فَهُوَ غَيْرُ مُتَوَاضِعٍ وَنَفْسُهُ جَرِيحَةْ

فَنَفْسُ ٱلْمُرِيدِ بِٱلتَّوَاضُعِ تَتَبَدَّلُ — وَصِفَاتُهَا مِنْ نُورِ ٱلذِّكْرِ تَتَعَدَّلُ

مَنْ تَوَاضَعَ لِأَخِيهِ غَلَبَ ٱلشَّيْطَانْ — وَمَنِ ٱسْتَعْلَى عَلَيْهِ بَاتَ فِي حِرْمَانْ

مَنْ تَوَاضَعَ خَشِيَ ٱللهَ بِٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَنِ — وَمَنْ رَضِيَ بِٱلْفَقْرِ ذَاقَ نُورَ ٱلْأَمْنِ

أَرْقَى ٱلْمُتَوَاضِعِينَ هُمْ أَرْضَاهُمْ بِٱلْمَقْدُورِ — عَلِمَ بِأَنَّ ٱللهَ غَالِبٌ فَفَازَ بِٱلسُّرُورِ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْمُرَاقِبِ ٱلتَّوَدُّدُ وَٱلتَّآلُفْ — وَٱلْمُوَافَقَةُ مَعَ ٱلْإِخْوَانِ وَتَرْكُ ٱلتَّخَالُفْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران ١٠٣)

قَالَ ٱلْحَبِيبُ ٱلْأَعْظَمُ ﷺ : "ٱلْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ".[1]

(١) كشف الخفاء ج٢ ص ٢٩٥

وَمِنَ ٱلتَّوَاضُعِ ٱلشُّكْرُ عَلَى ٱلْإِحْسَانِ ... وَٱلتَّذَلُّلُ بِٱلسُّجُودِ لِرَبِّنَا ٱلرَّحْمَٰنِ ﷻ

وَقَضَاءُ حَوَائِجِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ ... وَإِصْلَاحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ حِينَ مُشَاحَنَتِهِمْ

وَهَٰذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِمُرِيدٍ مُسْتَفِيدِ ... طُبِعَ بِقَلْبِهِ عَجَائِبُ يَوْمِ ٱلْوَعِيدِ

فَذَلَّتِ ٱلنَّفْسُ بِٱلْمُشَاهَدَةِ وَتَوَاضَعَتْ ... وَرَجَفَتِ ٱلْأَطْرَافُ رُعْبًا وَتَزَلْزَلَتْ

وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ لِعَبْدٍ لَيْسَ لَهُ طَمَعٌ ... بِشَيْءٍ مِنْ هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا وَلَا وَلَعٌ

لَا فِي وِلَايَةٍ وَلَا جَاهٍ وَلَا مَالْ ... مَهْمَا رَفَعَهُ رَبُّهُ ﷻ مَا تَكَبَّرَ وَلَا ٱسْتَطَالْ

هَٰؤُلَاءِ يَنْسَلِخُونَ عَنْ إِرَادَتِهِمْ وَٱخْتِيَارِهِمْ ... هَٰؤُلَاءِ مَاتَتْ أَنْفُسُهُمْ تَوَاضُعًا لِرَبِّهِمْ

ٱلطَّرِيقُ ٱلْمُوصِلُ بِسُرْعَةٍ لِلْقُرْبِ ٱلْمَعْنَوِيِّ

أَسْرَعُ طَرِيقَةٍ لِلْوُصُولِ وَٱلْقُرْبِ ... ٱلْعَمَلُ بِنَشْرِ ٱلشَّرِيعَةِ بِهَذَا ٱلدَّرْبِ

وَبَثُّ ٱلْعَقِيدَةِ ٱلسَّلِيمَةِ وَخِدْمَةُ ٱلْإِسْلَامِ ... وَٱلْمُسْلِمِينَ وَخِدْمَةُ ٱلدِّينِ وَسُنَّةُ خَيْرِ ٱلْأَنَامِ ﷺ

وَحُبُّ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَآلِهِ ٱلْبَرَرَةِ ... وَحُبُّ أَصْحَابِهِ وَٱلِابْتِعَادُ عَنِ ٱلسَّحَرَةِ

وَهَجْرُ ٱلْقَالِ وَٱلْقِيلِ وَٱلْجِدَالِ ... وَعَدَمُ ٱلتَّكَلُّمِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَجَالِ

وَٱلْبُعْدُ عَنِ ٱلْفِتَنِ وَٱلِاسْتِهْزَاءِ بِٱلنَّاسِ ... وَٱحْتِرَامُ ٱلْعِبَادِ وَٱلْعَجَائِزِ بِهَذَا ٱلْقِيَاسِ

وَتِلَاوَةُ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ عَلَى ٱلدَّوَامْ ... وَٱلصِّيَامُ وَٱلذِّكْرُ وَٱلصَّلَاةُ وَٱلنَّاسُ نِيَامْ

وَٱلِابْتِعَادُ عَنْ تَنَاوُلِ ٱلْحَرَامِ وَٱسْتِعْمَالِهِ ... وَعَدَمُ ٱلتَّعَامُلِ مَعَ ٱلْكَافِرِ بِأَمْوَالِهِ

لِأَنَّ ٱلْكُفَّارَ يَتَعَامَلُونَ بِٱلرِّبَا وَٱلْحَرَامِ ... لَهُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلْخِزْيُ فِي أَسْوَأِ مَقَامِ

وَٱلسَّعْيُ لِتَعْلِيمِ ٱلنَّاسِ ٱلدِّينَ وَإِرْشَادِهِمْ ... وَٱلتَّوْعِيَةُ ٱلْأَخْلَاقِيَّةُ بِسَائِرِ بِلَادِهِمْ

وَحِفْظُ ٱلنَّظَرِ مِنَ ٱلْمُحَرَّمَاتِ وَٱلْمَعَاصِي ... وَتَرْكُ ٱلرَّذَائِلِ وَهَجْرُ ٱلْقَلْبِ ٱلْقَاسِي

وَزِيَارَةُ ٱلْمَرْضَى لِجَبْرِ كَسْرِ قُلُوبِهِمْ ... وَحُضُورُ ٱلْجَنَائِزِ وَٱلسَّيْرُ مَعَهُمْ إِلَى قُبُورِهِمْ

وَحُضُورُ صَلَاةِ ٱلْجُمُعَةِ وَٱلْجَمَاعَةِ وَٱلْأَعْيَادِ ... وَٱلْعَطْفُ عَلَى ٱلْمِسْكِينِ وَتَفْرِيحُ ٱلْأَوْلَادِ

وَٱلِٱبْتِعَادُ عَنِ ٱللَّذَّاتِ ٱلْمُبَاحَةِ ٱلْمُفْرِطَةِ   وَأَذَى ٱلْعِبَادِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلسُّلْطَةِ

وَٱلْبُعْدُ عَنِ ٱلْقَتْلِ وَٱلزِّنَا وَٱلسَّرِقَةِ   وَعَدَمُ هِجْرَانِ ٱلْأَهْلِ وَبَثِّ ٱلْفُرْقَةِ

وَإِطَاعَةُ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَٱلْوَالِدَيْنِ   وَٱلتَّحَلِّي بِأَخْلَاقِ ٱلصَّالِحِينَ ؓ بِٱلْحَالَتَيْنِ

وَقَبُولُ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلتَّأَثُّرُ بِٱلْمَوْعِظَةِ وَٱلصَّبْرْ   وَٱلْبَقَاءُ عَلَى ذَٰلِكَ حَتَّى ٱلْوُصُولِ إِلَى ٱلْقَبْرْ

وَٱلْمُدَاوَمَةُ عَلَى ٱلذِّكْرِ بِلَا غَفْلَةِ   لِيَطِيبَ وَلَا يَكُونَ قَلْبُهُ كَٱلْبَصَلَةِ

وَحِفْظُ ٱللِّسَانِ عَنْ فُحْشِ ٱلْكَلَامِ   وَتَوْقِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْفُقَرَاءِ بِٱحْتِرَامِ

وَعَدَمُ سَمَاعِ مَا لَا يُرْضِي مَوْلَانَا ﷺ   وَلُزُومُ ٱلْخِدْمَةِ وَٱلطَّاعَةِ وَتَرْكُ هَوَانَا

وَعَدَمُ ٱلْهُجُومِ عَلَى ٱلدُّنْيَا وَٱلشَّهَوَاتِ   وَٱلتَّفَكُّرُ بِأَحْوَالِ ٱلْقَبْرِ فِي كُلِّ ٱلصِّفَاتِ

وَعَدَمُ ٱلنَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ   وَتَرْكُ ظُلْمِ ٱلْعِبَادِ وَمَا لَيْسَ لَهُ

وَٱلْبُعْدُ عَنِ ٱلْغِشِّ وَٱلْكَذِبِ وَٱلرِّيَاءِ   وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ وَٱلْبَلَاءِ

وَرَفْعُ ٱلْأَذَى عَنِ ٱلطَّرِيقِ وَٱلْمَمَرَّاتِ   وَعَدَمُ سَرِقَةِ مَا يَزْرَعُهُ ٱلْفَلَّاحُ مِنْ ثَمَرَاتِ

وَٱلِٱسْتِئْذَانُ عِنْدَ ٱلدُّخُولِ لِلْمَنَازِلِ   مَعَ ٱلدُّعَاءِ لَهُمْ بِرَفْعِ ٱلْبَلَاءِ ٱلنَّازِلِ

وَٱلدُّعَاءُ بِٱلْهِدَايَةِ لِعَامَّةِ ٱلْبَشَرِ   وَعَدَمُ ٱلشَّمَاتَةِ بِمَنْ وَقَعَ فِي خَطَرِ

وَعَدَمُ ٱلِٱسْتِمَاعِ لِلْمَعَازِفِ وَٱلطَّرَبِ   وَتَجَنُّبُ مَا بِٱلتِّلْفَازِ مِنْ مَعَاصِي ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ

وَعَدَمُ ٱلتَّعَاطِي بِٱلرِّبَا وَٱلْقِمَارِ ٱلْمُشِينِ   وَتَرْكُ ٱلزِّنَا وَشُرْبِ ٱلْخَمْرِ ٱلْمُهِينِ

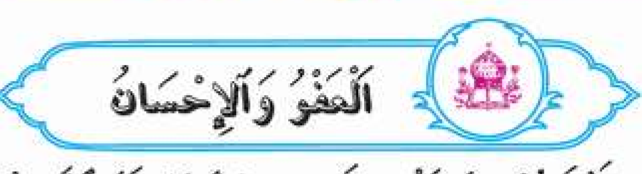
وَعَدَمُ ٱلتَّكَلُّمِ بِٱلْأَحْوَالِ بِلَا مَعْرِفَةْ   لِأَنَّهُ يَجْهَلُ تِلْكَ ٱلْأَسْرَارَ ٱلْمُشَرَّفَةْ

وَعَدَمُ ٱلِٱخْتِلَاطِ بِغَيْرِ ٱلْمَحَارِمِ   وَعَدَمُ تَعَاطِي ٱلسِّحْرِ لِتَحْضِيرِ ٱلْعَوَالِمِ

فَهَٰذِهِ نَصَائِحُ مُهِمَّةٌ طَيِّبَةٌ وَمُفِيدَةٌ   مَنْ عَمِلَ بِهَا فَسُرْعَةُ وُصُولِهِ أَكِيدَةٌ

إِلَى أَنْ يُؤَيِّدَهُ ٱللهُ بِنَصْرِهِ   فَيُصْبِحُ مُرْشِدَ أَوَانِهِ وَعَصْرِهِ

وَيُصْبِحُ مُنِيرًا بِٱلْخَيْرَاتِ مُعَطَّرًا   مُضِيئًا بَيْنَ ٱلْخَلَائِقِ دُرَرًا وَجَوَاهِرًا



ٱلْعَفْوُ وَٱلْإِحْسَانُ

عَلَىٰ ٱلْمُرِيدِ أَنْ لَا يُضْمِرَ بِقَلْبِهِ لِأَخِيهِ ... شَرًّا وَمَهْلَكَةً أَوْ مَكْرًا فَذَلِكَ يُرْدِيهِ

فَمَنْ عَفَا عَنْ مُؤْمِنٍ فَلَهُ إِحْسَانْ ... وَنَالَ مَرْتَبَةً مُمَيَّزَةً فِي ٱلْجِنَانْ

وَٱلْعَفْوُ أَنْ يُسْقِطَ حَقًّا يَسْتَحِقُّ لَهْ ... وَيَبْرَأَ عَنْهُ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ غَرَامَةٍ عَلَيْهْ

مَا لَمْ يَنْتَهِكْ مِنْ مَحَارِمِ ٱللهِ ﷻ أَيَّ شَيْءْ ... فَحُكْمُهُ إِلَى مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءْ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (البقرة ٢٣٧)

ٱلْعَفْوُ هُوَ مِنَ ٱلرِّفْقِ بِٱلْقُلُوبِ ... وَيَزْدَادُ حَسَبَ مَحَبَّتِهِ لِعَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ ﷻ

مَنْ أَرَادَ ٱللهُ بِهِ خَيْرًا وَنِعْمَةْ ... زَادَهُ رِفْقًا وَعَفْوًا وَحِلْمًا وَحِكْمَةْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "مَنْ حُرِمَ ٱلرِّفْقَ حُرِمَ ٱلْخَيْرَ" (صحيح مسلم ج١٦ ص١٤٦)

ٱلْمُرِيدُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ قَرِيبْ ... مِنَ ٱلْقُلُوبِ بَيْنَ أَحْبَابِهِ وَكُلِّ غَرِيبْ

إِذَا دَخَلَ ٱلرِّفْقُ بِٱلْقَلْبِ زَانَهُ ... وَإِذَا دَخَلَ ٱلْعُنْفُ فِيهِ شَانَهُ

مَنْ لَا تَنْفَعُهُ ٱلتَّجَارِبُ لَا يُدْرِكُ ٱلْمَعَالِي ... كَٱلتَّاجِرِ ٱلَّذِي يَخْلِطُ ٱلرَّخِيصَ بِٱلْغَالِي

ٱلْكَامِلُ مَنْ يُمَيِّزُ ٱلرِّفْقَ مِنَ ٱلْعُنْفْ ... وَنَرَاهُ قَلِيلًا بِعَصْرِنَا هَذَا ٱلصِّنْفْ

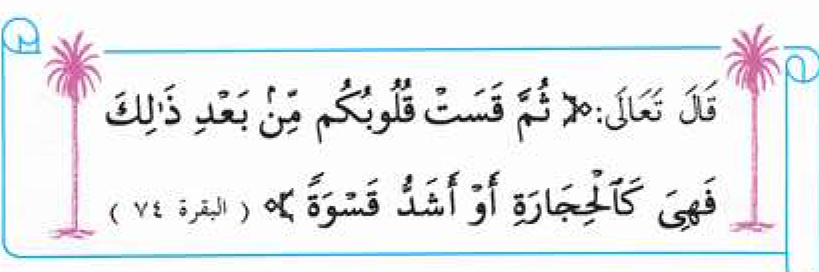
ٱعْتِذَارُ ٱلْأَخِ مَقْبُولُ

إِنَّ بَعْضَ ٱلْمُرِيدِينَ يَرْفُضُ ٱلصُّلْحَ وَٱلْٱعْتِذَارَا ... إِذَا قَبِلَ وَجْنَتَيْهِ ٱلْمُعْتَذِرُ يَعُدُّهُ إِنْذَارَا

يَجِبُ عَلَيْهِ ٱلْقَبُولُ مَعَ ٱلْٱسْتِغْفَارْ ... لَهُ وَقَبُولِ تَوْبَتِهِ لَيْلَ نَهَارْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " مَنِ ٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْخَطِيئَةِ مِثْلُ صَاحِبِ مَكْسٍ"(١). وَرَوَى جَابِرٌ رضي الله عنه أَيْضًا عَنْ سَيِّدِ ٱلْخَلَائِقِ ﷺ قَالَ : "وَمَنْ تُنُصِّلَ(٢) إِلَيْهِ فَلَمْ يَقْبَلْ فَلَنْ يَرِدَ عَلَيَّ ٱلْحَوْضَ"(٣).

(١) الفتح الكبير ج٣ ص ١٦٤ — (٢) تنصل : تبرأ — (٣) الفتح الكبير ج٢ ص ٤



ٱلرَّذَائِلُ ٱلْقَلْبِيَّةُ

ضغينة
نوايا شريرة
عقوق الوالدين والأقارب
ذنوب
كيد
ظلم
علل نفسية
عداء للمجتمع
كبرياء
خواطر سيئة
ضيق
غيرة
معاصي
غفلات
فتن
خداع
استغلال
هموم
حرام
بغضاء
غيبة
مكر
كذب
حسد

إِزَالَةُ ٱلْأَدْرَانِ ٱلْقَلْبِيَّةِ بِرِيَاضَةِ ٱلتَّأَمُّلَاتِ ٱلنُّورَانِيَّةِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : "تُعْرَضُ ٱلْفِتَنُ عَلَى ٱلْقُلُوبِ كَٱلْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ" . .

(صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ٢ ص ١٧١ – ١٧٢)

أَمْرَاضٌ لِلسَّالِكِ تُسَبِّبُ ٱلْمَهَالِكَ

هُنَالِكَ إِصَابَاتٌ لِلسَّالِكِ قَدْ تُصِيبْ ... قَلْبَهُ وَفِكْرَهُ بِأَلَمٍ وَوَسْوَاسٍ عَجِيبْ

وَتَعُودُ إِلَى ٱلْغَفْلَةِ وَكَثْرَةِ ٱلشَّهَوَاتْ ... وَكَذَلِكَ مِنْ صُحْبَةِ ٱلْعُصَاةِ تِلْكَ ٱلْعَكْسِيَّاتْ

وَقَدْ تَكُونُ مِنْ أَكْلِ ٱلْحَرَامِ أَوْ نَظْرَةٍ ... لَا تَحِلُّ لَهُ فَيُصَابُ بِعَوَارِضَ خَطِرَةٍ

وَقَدْ تَرْجِعُ إِلَى كَثْرَةِ ٱلظُّلْمِ وَٱلتَّكَبُّرِ ... وَبَعْضُ ٱلْإِصَابَاتِ مِنَ ٱللَّجَاجَةِ وَقِلَّةِ ٱلصَّبْرِ

وَلَا نَنْسَى أَثَرَ ٱلْكَذِبِ ٱلْقَبِيحْ ... فَلَا يَهْنَأُ بِهِ وَلَا قَلْبُهُ وَفِكْرُهُ يَسْتَرِيحْ

وَمِنَ ٱلْأَمْرَاضِ ٱلصُّحْبَةُ غَيْرُ ٱلصَّالِحَةْ ... ٱلَّتِي لِلْقَلْبِ وَٱللَّطَائِفِ جَارِحَةْ

وَمِنْهَا عَدَمُ ٱلتَّفَقُّهِ بِٱلشَّرِيعَةْ ... فَتُصْبِحُ أَحْوَالُهُ مَقْبُوضَةً مُرِيعَةْ

وَمِنْهَا كَثْرَةُ ٱلْمُخَالَفَاتِ وَٱلْأَعْمَالِ ٱلْفَاسِدَةْ ... تُورِثُ ٱلضِّيقَ وَتُصْبِحُ لَطَائِفُهُ كَاسِدَةْ

وَٱلْحُصُولُ عَلَى أَمْوَالٍ خَالِيَةٍ مِنَ ٱلْحَلَالِ ... فَتَأْتِيهِ ٱلضَّرَبَاتُ مُؤْلِمَةً كَٱلشَّلَّالِ

وَمِنْهُ ٱلْخَلْوَةُ بِٱلْأَجْنَبِيَّةِ ٱلْمُحَرَّمَةِ عَلَيْهِ ... فَتَمِيلُ صُوَرُ ٱلْمَعَاصِي بِسُرْعَةٍ إِلَيْهِ

فَيُصَابُ بِٱلْهَمِّ وَٱلْقَبْضِ وَٱلْٱنْحِطَاطِ ... بِسَبَبِ ٱقْتِرَابِهِ مِنَ ٱلْمَعَاصِي أَوِ ٱلْٱخْتِلَاطِ

فَمَنْ يَصِلْ حَالُهُ إِلَى حَدِّ ٱلْخَطَرْ ... فَلَطَائِفُهُ ٱنْعَدَمَتْ وَحَالُ قَلْبِهِ ٱنْشَطَرْ

لَيْسَ سَهْلًا ٱلْخَلَاصُ مِنْ عَذَابِ سَقَرْ ... فَٱلسُّلُوكُ فِيهِ تَحْضِيرٌ لِمَا بَعْدَ ٱلْقَبْرْ

مَنِ ٱزْدَادَ بِٱلتَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ ٱلْغَفَّارِ ﷻ ... خَفَّتْ أَمْرَاضُهُ وَمَا جَرَحَ بِٱلنَّهَارِ

وَمَنْ تَمَسَّكَ بِٱلنَّفْسِ وَتَرَكَ ٱلْفَرَائِضَ ... ٱمْتَلَأَ قَلْبُهُ بِأَمْرَاضٍ وَعِلَلٍ وَعَوَارِضَ

مَنْ يَزْعُمْ أَنَّهُ أَطَاعَ ٱلشَّيْخَ وَلَمْ يُطِعِ ٱلْإِلَٰهَ ﷻ ... حِفَاظًا عَلَى دُنْيَا وَسُلْطَةٍ وَجَاهْ

فَقَدْ غَرِقَ بِٱلْأَمْرَاضِ وَوَقَعَ مِنْ شَاهِقٍ ... لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ

ٱلْمُرْشِدُ يَمْشِي كَمَا ٱللهُ يَأْمُرُ وَيُرِيدْ ... وَلَيْسَ كَمَا تَرْغَبُ نُفُوسُ ٱلْعَبِيدْ

سُوءُ ٱلْخُلُقِ

سُوءُ ٱلْخُلُقِ يُفْسِدُ ٱلْقَلْبَ بِشَرَارَتِهِ ... وَيَضُرُّ ٱلنَّفْسَ لِشِدَّةِ نَارِهِ وَحَرَارَتِهِ
لِأَنَّهُ رُبَّمَا تَلَفَّظَ بِأَقْوَالٍ مُهْلِكَةٍ ... تُؤَدِّي بِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ بِأَسْفَلِ دَرَكَةٍ
فَعَلَيْنَا ٱلِٱنْتِبَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَٱلْيَقَظَةْ ... وَٱلْمُلَاحَظَةُ ٱلدَّقِيقَةُ لِهَذِهِ ٱلْمَوْعِظَةْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: **"إِنَّ ٱلْعَبْدَ لَيَبْلُغُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرْكِ جَهَنَّمَ"**[1].

وَصَحِبَ ٱبْنُ ٱلْمُبَارَكِ ﷺ رَجُلًا سَيِّئَ ٱلْخُلُقِ فِي سَفَرٍ، فَكَانَ يَحْتَمِلُ مِنْهُ وَيُدَارِيهِ، فَلَمَّا فَارَقَهُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: بَكَيْتُ رَحْمَةً لَهُ، فَارَقْتُهُ وَخُلُقُهُ مَعَهُ لَمْ يُفَارِقْهُ.

فَٱلْأَوْلِيَاءُ ٱلْمُرْشِدُونَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَعْرِفَةِ ... يُوصُونَ ٱلسَّالِكِينَ بِتَرْكِ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلسَّيِّئَةِ
لِأَنَّ فِي ٱلْأَخْلَاقِ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلدَّمَارْ ... وَكَسْرَ ٱلْقُلُوبِ وَٱسْتِعْلَاءً وَأَذَى ٱلْجَارْ
قِيلَ هِيَ مِنَ ٱلسُّمُومِ ٱلْقَاتِلَةِ ٱلْمُدَمِّرَةِ ... وَٱلْمُهْلِكَاتِ ٱلدَّامِغَةِ وَٱلْمَخَازِي غَيْرِ ٱلْمُثْمِرَةِ
وَتُسْلِكُ صَاحِبَهَا بِسِلْكِ ٱلشَّيَاطِينْ ... وَلَهَا أَبْوَابٌ مُغْلَقَةٌ دُونَ رِضَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينْ
لِأَنَّهَا تُوصِلُ صَاحِبَهَا إِلَى مَرَضِ ٱلْعِنَادِ ... وَتُسَبِّبُ لَهُ رَفْضَ ٱلْحَقِّ بِٱلْبِلَادِ
وَهِيَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَعِلَلِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْمَرِيضَةِ ... وَأَسْقَامٍ وَعِلَلِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْبَغِيضَةِ
سُوءُ ٱلْخُلُقِ وَشِدَّتُهُ مِنْ قِلَّةِ ٱلْعَقْلِ ... لِأَنَّهُ يَرْفُضُ ٱلصَّبْرَ وَتَحَمُّلَ أَيِّ ثِقْلِ
لَا أَقْبَحَ وَلَا أَخَسَّ مِنَ ٱلْخُلُقِ بِٱلْفَسَادْ ... فَسُوءُ أَخْلَاقِهِ يَتَصَلَّبُ بِٱلْإِصْرَارِ وَيَزْدَادْ

تَحْسِينُ ٱلْخُلُقِ بِمُجَاهَدَةِ ٱلنَّفْسِ

يُمْكِنُ تَغْيِيرُ ٱلْأَخْلَاقِ بِمُجَاهَدَةِ ٱلنُّفُوسِ ... كَمْ إِنْسَانٍ أَسْلَمَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنَ ٱلْمَجُوسِ
فَعِلَاجُ ٱلْأَخْلَاقِ بِٱلتَّخَلِّي عَنِ ٱلرَّذَائِلِ ٱلرَّدِيئَةِ ... وَٱلتَّحَلِّي بِٱلْفَضَائِلِ وَٱلْأَخْلَاقِ ٱلْجَمِيلَةِ ٱلْمُضِيئَةِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٢

مِثْلُ عِلَاجِ ٱلْبَدَنِ لِتَخْلِيصِهِ مِنَ ٱلعِلَلِ ... نَسْتَعْمِلُ أَدْوِيَةً وَنُدَاوِمُ عَلَيْهَا بِدُونِ مَلَلِ

وَلِتَظْهَرَ عَلَيْهِ إِشَارَاتُ ٱلشِّفَاءِ ٱلكَثِيرَةْ ... لَا بُدَّ مِنَ ٱحْتِمَالِ مُجَاهَدَةِ ٱلنَّفْسِ ٱلمَرِيرَةْ

قَالَ ﷺ لِقَوْمٍ قَدِمُوا مِنَ ٱلْجِهَادِ: **"مَرْحَبًا بِكُمْ قَدِمْتُمْ مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلأَصْغَرِ إِلَى ٱلْجِهَادِ ٱلأَكْبَرِ"**. قِيلَ: يَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَمَا ٱلْجِهَادُ ٱلأَكْبَرُ؟ قَالَ: **"جِهَادُ ٱلنَّفْسِ"**[1].

ٱلْجِهَادُ يَزِيدُ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ وَٱلْفُؤَادِ ... وَبِٱلْمُجَاهَدَةِ تَصْطَلِحُ قُلُوبُ وَنُفُوسُ ٱلعِبَادِ

فَٱعْمَلْ بِٱلذِّكْرِ وَٱلطَّاعَةِ وَٱلتَّقْوَى ... فَهِيَ ٱلسَّنَدُ بِٱلقِيَامَةِ وَٱلسِّلَاحُ ٱلأَقْوَى

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: **"ٱلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ"**[2].

قَالَ بَعْضُ ٱلزَّاهِدِينَ:

مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ تَرْتَعُ بِظُلْمَةِ ٱلشَّهَوَاتِ ... فَقَدْ غَرَسَ بِقَلْبِهِ أَنْوَاعًا مِنَ ٱلآفَاتِ

ٱلَّذِي يَفْرَحُ بِٱلْمَالِ أَوِ ٱلْجَاهِ ٱلفَانِي ... أَوِ ٱلأَتْبَاعِ فَهُوَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلجَانِي

ٱلوَاجِبُ أَلَّا يَحْزَنَ عَلَى أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ فَاتْ ... وَلَا يَفْرَحَ بِإِقْبَالِ ٱلدُّنْيَا عَلَيْهِ فِي ٱلحَيَاةْ

قَالَ ﷻ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد ٢٣)

هَذِهِ إِشَارَةُ أَصْحَابِ ٱلقُلُوبِ ٱلثَّابِتَةِ ... لَا يَهُزُّهُمْ ثِمَارُ شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا ٱلنَّابِتَةِ

ٱلغَافِلُ لَا يَصْلُحُ لِسُلُوكِ طَرِيقِ ٱلآخِرَةْ ... طَالَمَا كَانَتْ لَطَائِفُهُ عَنِ ٱلذِّكْرِ مُتَنَافِرَةْ

وَقَالَ عَارِفٌ بِٱللهِ يَسْأَلُ ٱلإِمَامَ ٱلْجُنَيْدَ ؓ:

قَالَ: فَمَتَى يَصِيرُ دَاءُ ٱلنَّفْسِ دَوَاءَهَا ... قَالَ: إِذَا خَالَفَتِ ٱلنَّفْسُ هَوَاهَا

إِنَّ ٱلنَّفْسَ تَفْرَحُ بِزِينَةِ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا وَعِلَلُهَا يَنْدُرُ مَنْ يَعْرِفُهَا

مَنْ لَمْ يُعَوِّدْهَا ٱلاكْتِفَاءَ بِقَدْرِ ٱلضَّرُورَةْ ... غَلَبَتْهُ وَتَصِيرُ سَكْرَانَةً بِٱلشَّهَوَاتِ مَغْرُورَةْ

وَتُسَبِّبُ لَهُ نِسْيَانَ ذِكْرِ ٱلمَوْتْ ... مِنْ قَلْبِهِ، فَمَهْمَا وَعَظْتَهُ لَا يَسْمَعُ ٱلصَّوْتْ

وَيَغِيبُ عَنْ ذِكْرِ أَهْوَالِ يَوْمِ ٱلقِيَامَةْ ... وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَوْتِ ٱلقَلْبِ وَعَلَامَةْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٦

(٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٦

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾ (يونس ٧) .

أُنْظُرْ كَيْفَ يَذُمُّ اللهُ تِلْكَ الزِّينَةْ فَأَسْرِعْ بِالتَّوْبَةِ وَلَا تَجْعَلْ آخِرَتَكَ حَزِينَةْ

أَيُّهَا الْقُرَّاءُ لَا تُهْمِلُوا جِهَادَ النُّفُوسِ وَجَاهِدُوهَا حَتَّى تُصْبِحَ جَمِيلَةً كَالْعَرُوسِ

وَافْطِمُوا أَنْفُسَكُمْ وَالصَّبْرَ عَلِّمُوهَا فَإِنَّ حَلَالَهَا حِسَابٌ وَعَذَابٌ حَرَامُهَا

قَالَ سَيِّدُنَا يُوسُفُ الصِّدِّيقُ عليه السلام كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ :

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٩٠)

فَخَلِّصُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمُقِيمِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَبِّنَا الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﷻ

أَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ وَاعْمَلْ بِذِكْرِ مَوْلَاكَ وَلَا تُفَارِقْهُ

فَالْعُمْرُ قَصِيرٌ وَالسَّفَرُ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَطَوِيلٌ وَفِي التَّوْبَةِ النَّصُوحِ الْحَقُّ وَخَيْرُ تَحْوِيلٌ

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه :

" فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى وَتَذْهَبُ عَنْهُمْ عَمَايَاتُ الْكَرَى[1] "

التَّوْبَةُ عِلَاجُ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ

هُنَاكَ مَنْ يَسْتَهِينُ بِإِصْلَاحِ أَخْلَاقِهِ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ فَجْأَةً وَيَرْحَلُ بِلَا خَلَاقِهِ

يَخْتَطِفُهُ بَغْتَةً وَهُوَ مُتَرَاكِمٌ بِالظُّلْمَةِ الْقَاسِيَةِ وَيُصْبِحُ مُقَيَّدًا بِسَلَاسِلَ مِنَ الْأَقْدَامِ إِلَى النَّاصِيَةِ

وَمِنْهُمْ مَنْ تَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ لِكَثْرَةِ مَعَاصِيهِ فَيَصْعُبُ تَخْلِيصُهُ مِنْ مَخَالِبِ الشَّهَوَاتِ فَتُرْدِيهِ

فَإِذَا اكْتَمَلَ سَوَادُ الْقَلْبِ أَغْلَقَهُ وَسَدَّهُ وَصَارَ الشَّيْطَانُ سَيِّدَهُ وَمَدَدَهُ وَسَنَدَهُ

لِكُلِّ عَمَلٍ دَرَجَةٌ بِالْقُرْبِ أَوِ الْبُعْدِ فِي رِحْلَتِهِ فَبِالْقِيَامَةِ تَظْهَرُ أَفْعَالُهُ بِحَسَبِ صُورَتِهِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة ٧ – ٨) .

فَعَلَى الْخَائِفِ مِنْ رَبِّهِ الْهَرْوَلَةُ لِلْإِصْلَاحِ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ عَنِ الْخَسَارَةِ وَالْأَرْبَاحِ

(١) الكرى : النُّعاس .

وَلْيُتَمِّمْ أَخْلَاقَهُ بِحُبِّ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ … وَيُعَالِجْ نَفْسَهُ بِٱلْقُرْآنِ عَلَى أُصُولِهِ

قَالَ ﷺ " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقْ " … فَحُسْنُ ٱلْمُعَامَلَةِ هُوَ ٱلتِّرْيَاقْ

فَمَنْ أَرَادَ تَبْدِيلَ سُوءِ أَعْمَالِهِ بِٱلْخَيْرِ … فَعَلَيْهِ ٱلْعَمَلُ لِتَحْسِينِ سُلُوكِهِ وَٱلسَّيْرِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ "وَأَتْبِعِ ٱلسَّيِّئَةَ ٱلْحَسَنَةَ تَمْحُهَا " (أخرجه الترمذي).

وَمَهْمَا ٱشْتَدَّتْ عِنَايَةُ ٱلْأَطِبَّاءِ ٱلْمَهَرَةْ … بِضَبْطِ قَوَانِينِ عِلَاجِ ٱلْعِلَّةِ ٱلْمُشْتَهَرَةْ

تَعْجَزُ عَنْ مُدَاوَاةِ ٱلْخُلُقِ ٱلسَّيِّءِ ٱلْبَغِيضْ … إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَى ٱللهِ وَيَعْلَمَ أَنَّهُ مَرِيضْ

وَمِثْلُ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ ٱلنُّفُوسِ ٱلشَّنِيعَةِ … وَلَا تَسْتَقِيمُ إِلَّا بِٱلتَّوْبَةِ وَٱلرِّيَاضَةِ ٱلْبَدِيعَةِ

لِتَتَبَدَّلَ عَلَاقَةُ ٱلْقَلْبِ بِمَمْلَكَةِ ٱلْجَوَارِحْ … فَيَصِيرُ ٱلْقَلْبُ بِذِكْرِ ٱللهِ مُطْمَئِنًّا وَسَارِحْ

وَهَذَا ٱلتَّأْثِيرُ لَا يَحْصُلُ بِلَيْلَةٍ وَاحِدَةْ … لَا بُدَّ مِنْ تَكْرَارِ ٱلْمُجَاهَدَةِ أَيَّامًا مُتَعَدِّدَةْ

وَهَذَا مِثْلُ نُمُوِّ ٱلْجِسْمِ وَٱرْتِفَاعِ ٱلْقَامَةِ … فَمَعَ ٱلْأَيَّامِ يَصِيرُ ٱلْجِسْمُ مُتَوَازِنًا كَٱلنَّعَامَةِ

فَعَلَى ٱلْمَرْءِ تَسْلِيمُ قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ لِمَوْلَاهُ بِذَا ٱلْمَسِيرْ … فَٱللهُ هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلْعَالِمُ ٱلْخَبِيرْ

ٱلْغَالِبُ عِلْمُهُ فَوْقَ كُلِّ طِبِّ … وَٱلشَّافِي لِكُلِّ نَفْسٍ وَكُلِّ لُبِّ

لَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا بِٱخْتِصَارٍ لِتَقْرِيبِهِ لِلْأَفْهَامِ … فَلْنُسْرِعْ بِٱلتَّوْبَةِ وَٱلْإِخْلَاصِ وَزِيَارَةِ خَيْرِ ٱلْأَنَامِ ﷺ

دَوْرُ ٱلْأَوْلِيَاءِ فِي عِلَاجِ ٱلْأَخْلَاقِ

لَا تَخْلُو قُلُوبُ ٱلْعِبَادِ مِنَ ٱلْأَسْقَامِ … وَٱلْعِلَلِ وَٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْآفَاتِ ٱلْعِظَامِ

وَمَعْرِفَةُ تِلْكَ ٱلْبَلَايَا ٱلْخَفِيَّةِ لِلْعِبَادْ … يَلْزَمُهَا وَلِيٌّ عَارِفٌ بِٱللهِ مُرَادْ

وَلَوْ أُهْمِلَتْ وَتَرَاكَمَتْ تِلْكَ ٱلْعِلَلُ ٱلْبَغِيضَةْ … لَأَوْصَلَتْ صَاحِبَهَا إِلَى بَلَايَا عَرِيضَةْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٩-١٠)

فَلْنَعْمَلْ بِٱلْعِبَادَاتِ لِتَهْذِيبِ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلنَّفْسِيَّةِ … بِرِعَايَةِ ٱلْمُخْتَصِّينَ بِٱلْعِلَاجَاتِ ٱلرُّوحِيَّةِ

بِهِمْ يَصْلُحُ ٱلْخُلُقُ وَيَتَهَذَّبُ مِنْ شُرُورِهِ … وَيَتَحَلَّى بِٱلْحُسْنِ إِنْ تَمَّ ٱلنُّورُ فِي مُرُورِهِ

وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَرْهَمٍ بِمِقْدَارِ مِعْيَارِ ٱلعِلَّةِ وَهَـذَا يَعْلَمُهُ ٱلعَارِفُ ٱلمُرَبِّي لِلْمِلَّةِ
فَلْيَجْلِسِ ٱلمَرْءُ بَيْنَ يَدَيْ بَصِيرٍ بِـٱلعُيُوبِ عِنْدَ شَيْخٍ مُرْشِدٍ عَارِفٍ بِٱللهِ مَحْبُوبِ
مُطَّلِعٍ عَلَى خَفَايَا ٱلآفَاتِ وَحَكِيمْ فَيُعَرِّفُهُ بِإِشَارَاتِهِ طَرِيقَ عِلَاجِهِ ٱلمُسْتَقِيمْ
فَيُعَيِّنُ لَهُ ٱلدَّوَاءَ بِحَسَبِ مِزَاجِهِ وَبِنْيَتِهِ وَأَمَّا ٱلمُدَّعِي لِلْإِرْشَادِ فَيَقْتُلُ ٱلمَرِيضَ بِعِلَّتِهِ
لِأَنَّهُ يَجْهَلُ مَرَضَهُ وَحُدُودَ قُدْرَتِهِ فَيُعْطِيهِ فَوْقَ سَعَةِ بَاطِنِهِ وَطَاقَتِهِ
كَمْ مِنْ فَاشِلٍ مُتَلَبِّسٍ بِٱلإِرْشَادِ أَصَابَ ٱلمُرِيدِينَ بِٱلوَسَاوِسِ ٱلقَاتِلَةِ لِلْعِبَادِ
ٱلمُرْشِدُ ٱلصَّالِحُ ٱلمَأْذُونُ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ دَوَاءَ كُلِّ مَرِيضٍ وَمَا يَمِيلُ إِلَيْهِ
فَتَتَيَسَّرُ أَسْبَابُ ٱلشِّفَاءِ وَٱلخَلَاصِ مِنَ ٱلعِلَّةِ وَيَطْرَحُ مُؤَثِّرَاتِهَا وَبَقَايَاهَا فِي ٱلسَّلَّةِ
كَمَا كُنَّا نُشَاهِدُ عِنْدَ سَيِّدِ ٱلمُرْشِدِينَ ٱلوَلِيِّ ٱلعَارِفِ سَيِّدِي عُثْمَانَ سِرَاجِ ٱلدِّينْ
يُطْلِعُهُ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ (المريد) بِقَدْرِ ٱلعِلْمِ وَٱلحِكْمَةِ وَٱلمَعْرِفَةِ ٱلَّتِي بِفِكْرِهِ
وَأَكْثَرُ مُعَالَجَاتِهِ كَانَتْ بِٱلطَّاعَةِ وَٱلذِّكْرِ لِإِزَالَةِ ٱلأَمْرَاضِ ٱلمُسْتَعْصِيَةِ مِنَ ٱلفِكْرِ
كَانَ يَهْتَمُّ بِإِيقَاظِ ٱلقَلْبِ وَإِصْلَاحِ ٱلنُّفُوسِ وَيُلَيِّنُ ٱلقَلْبَ بِٱلذِّكْرِ ٱلخَفِيِّ ٱلمَخْصُوصِ
وَيُعَيِّنُ أَذْكَارًا مِنَ ٱلأَسْمَاءِ وَٱلصِّفَاتِ لِيُوصِلَ ٱلطَّالِبَ إِلَى مَعْرِفَةِ ٱلنِّهَايَاتِ
فَلَا خَلَاصَ إِلَّا بِٱلطَّاعَةِ وَٱلعِبَادَةِ وَٱلأَذْكَارْ هَكَذَا أَمَرَ ٱللهُ رَبُّنَا ٱلغَفَّارْ ﷻ

قَالَ ٱللهُ ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦)

وَهَذَا عَزَّ وَنَدَرَ بِٱلزَّمَانِ وُجُودُهُ أَعَادَ ٱللهُ ٱلمَجْدَ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَ كُلِّ مَوْعُودِهْ
فَلَا تُصَاحِبْ مَنْ يَجْهَلُ عُيُوبَكَ فَيُرْدِيكَ وَٱلْزَمْ مَنْ بِآيَاتِ ٱلقُرْآنِ يَشْفِيكَ
ٱلخَبِيرُ بِعُيُوبِ ٱلنَّفْسِ يَعْرِفُ ٱلعِلَاجْ وَٱلمُتَعَدِّي عَلَى ٱلمَعْرِفَةِ حَالُهُ بِٱرْتِجَاجْ
صَارَ ٱلنَّاصِحُ بِعَصْرِنَا وَٱلعَارِفُ بِٱلعُيُوبِ مَكْرُوهًا مُتَّهَمًا وَغَيْرَ مَرْغُوبِ
بِسَبَبِ قَسْوَةِ قُلُوبِ ٱلعِبَادِ وَٱلذُّنُوبْ وَضَعْفِ ٱلإِيمَانِ وَيُفَضِّلُونَ عَلَى ٱلمُجَاهَدَةِ ٱلهُرُوبْ
مَنْ فَقَدَ شَيْخًا مُدَاوِيًا ٱزْدَادَتْ عِلَلُهُ وَمَنْ وَجَدَهُ وَتَعَامَلَ مَعَهُ ٱزْدَادَ أَمَلُهُ

تَرْكُ ٱلْكَلَامِ ٱلْمُضِرِّ وَٱلْجَدَلِ

آفَةُ ٱللِّسَانِ ٱلْكَلَامُ بِٱلْمَعَاصِي ٱلْمُحَرَّمَةِ وَٱلْكَلَامُ بِٱلْبَاطِلِ وَٱلْاِتِّهَامَاتِ ٱلْمُؤْلِمَةِ

قَالَ سَلْمَانُ ﷺ : " أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ذُنُوبًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِي مَعْصِيَةِ ٱللهِ " .

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ عَدَمُ ٱلْاِنْخِرَاطِ بِٱلْجِدَالِ فَيُعَكِّرُ قَلْبَهُ وَيُشَوِّشُ أَحْوَالَ ٱلرِّجَالِ

اَلْجِدَالُ عِبَارَةٌ عَنْ قَصْدِ إِفْحَامِ ٱلْغَيْرِ وَتَعْجِيزِهِ لِيُنْسَبَ إِلَى ٱلْقُصُورِ بِكَلَامِهِ بُغْيَةَ تَحْقِيرِهِ

فَهَذَا مِنْ شَهَوَاتِ ٱللِّسَانِ عِنْدَ ٱلْإِنْسَانِ وَٱلْمُصَابُ بِذَلِكَ عَلَامَةٌ عَلَى ٱلنُّقْصَانِ

لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُبْطِلَ كَلَامَ غَيْرِهِ وَيَقْصِمَهُ إِنَّ هَذَا ٱلْوَصْفَ مَذْمُومٌ لِلْمُسْلِمِ وَيَشِينُهُ

مَنِ ٱعْتَادَ ٱلْمُجَادَلَةَ وَأَثْنَى ٱلنَّاسُ عَلَيْهِ وَوَجَدَ لِنَفْسِهِ عِزًّا فَٱلْمُهْلِكَاتُ مَالَتْ إِلَيْهِ

فَٱلْجِدَالُ صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ مُعِيبَةْ تُورِثُ ٱلنِّفَاقَ فَلْيَبْتَعِدْ عَنْهَا كُلُّ لَبِيبٍ وَلَبِيبَةْ

رُوِيَ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ ﷺ قَالَ لِدَاوُدَ ٱلطَّائِيِّ : لِمَ آثَرْتَ ٱلْاِنْزِوَاءَ ، قَالَ : لِأُجَاهِدَ نَفْسِي بِتَرْكِ ٱلْجِدَالِ ...

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلسَّالِكِ تَرْكُ ٱلْمِرَاءِ وَٱلطَّعْنِ بِكَلَامِ ٱلْغَيْرِ لِلتَّحْقِيرِ وَٱلْاِزْدِرَاءِ

وَتَرْكُ ٱلْخُصُومَةِ ٱلْمُشْغِلَةِ لِلْقَلْبِ وَٱلْوَسْوَاسْ فَتَطْبَعُ صُوَرَهَا بِٱلْقَلْبِ وَتُتْعِبُ ٱلْحَوَاسّ

لِمَا فِيهَا مِنْ كَلِمَاتٍ مُؤْذِيَةٍ مُتْعِبَةٍ وَٱسْتِحْقَارٍ وَشَتَائِمَ وَٱتِّهَامَاتٍ بَاطِلَةٍ

تَزْرَعُ ٱلضِّيقَ بِٱلْقَلْبِ وَتُهَيِّجُ ٱلْغَضَبَ وَتُسَبِّبُ لِلْعَقْلِ وَٱلْفِكْرِ ٱلْعَطَبَ

فَٱلْمَظْلُومُ يَنْتَصِرُ بِحُجَّتِهِ عَنْ طَرِيقِ ٱلشَّرْعِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَٱفْتِرَاءٍ وَإِيذَاءٍ مُتَّبَعِ

فَشَرْعُنَا ٱلْحَنِيفُ يُعَلِّمُ ٱلصِّدْقَ وَٱلْخَيْرْ وَفِيهِ كُلُّ مَنْفَعَةٍ لِأَهْلِ ٱلسُّلُوكِ وَٱلسَّيْرْ

قَالَ رَبُّنَا ﷻ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة ٨٣) .

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " وَٱلْكَلِمَةُ ٱلطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ " (صحيح مسلم ج٧ ص٩٥)

نُقِلَ عَنْ بَعْضِ ٱلْبَحَّاثَةِ ٱلْحُكَمَاءْ حِكْمَةٌ مُفِيدَةٌ تَرْفَعُ مِنَ ٱلصُّدُورِ ٱلضَّغْنَاءْ

" اَلْكَلَامُ ٱللَّيِّنُ يَغْسِلُ ٱلضَّغَائِنَ ٱلْمُسْتَكِنَّةَ فِي ٱلْجَوَارِحِ " .

فَالكَلامُ المُوحِشُ مُنَغِّصٌ لِلعَيْشِ مُهَيِّجٌ لِلغَضَبِ وَهُوَ صِفَةُ أَهْلِ الطَّيْشِ
عَلَى المُرِيدِ عَدَمُ التَّنَطُّعِ بِكَلامٍ مَذْمُومٍ فِيهِ تَعَمُّقٌ وَاسْتِقْصَاءٌ لِمَجْهُولٍ وَمَعْلُومٍ
وَإِنْ سَمِعَ السَّالِكُ مِنْ جَاهِلٍ سَبًّا فَلْيَمْلِكْ نَفْسَهُ وَلا يَنْتَصِرْ لَهَا غَضَبًا
بَلْ يَتْرُكُ المَجْلِسَ وَيَهْجُرُهُ فِي الحَالْ حَتَّى لا يَجْعَلَ لِتَبَادُلِ السَّبِّ مَجَالْ

قَالَ عِيَاضُ بْنُ حِمَارٍ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ قَوْمِي يَسُبُّنِي وَهُوَ دُونِي، هَلْ عَلَيَّ مِنْ بَأْسٍ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"المُتَسَابَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَعَاوَيَانِ وَيَتَهَارَجَانِ"**. (إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٢)

وَقَالَ أَحَدُ الأَوْلِيَاءِ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ فُلانًا يَسُبُّهُ وَيَشْتُمُهُ:

"إِذَا سَبَّ عِرْضِي نَاقِصُ القَدْرِ جَاهِلٌ فَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ السُّكُوتِ جَوَابُ
فَإِنَّ اللَّيْثَ لَيْسَ يُهِمُّهُ إِذَا نَبَحَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ كِلابُ"
فَعَلَى المُرِيدِ الابْتِعَادُ عَنِ الرَّدِّ عَلَى مَنْ سَبَّهُ مَادَامَ اللهُ العَزِيزُ هُوَ وَكِيلُهُ وَحَسْبُهُ

احْذَرْ صَاحِبَ الوَجْهَيْنِ

احْذَرْ أَيُّهَا المُرِيدُ مِنْ ذِي الوَجْهَيْنِ يَأْتِي كُلَّ وَاحِدٍ بِوَجْهٍ فَهُوَ مَعَ الطَّائِفَتَيْنِ
يَظْهَرُ بِوَجْهٍ حِينَمَا يَنْقُلُ الكَلامْ وَلا يَكْشِفُ أَمْثَالَهُ إِلَّا أَهْلُ الأَفْهَامْ
فَلْيَحْذَرِ المُرِيدُ مِنْهُ حَذَرًا تَامًّا لِأَنَّهُ يُرَوِّجُ لِلنَّمِيمَةِ تَرْوِيجًا عَامًّا
يُكَلِّمُ وَاحِدًا بِلِسَانٍ يُوَافِقُ صِفَتَهْ وَاللِّسَانُ الثَّانِي يَلْدَغُ بِهِ بِحَسَبِ قُدْرَتِهْ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ"**.[1]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ"**. (صحيح مسلم ج ١٦ ص ١٥٧)

ذُو الوَجْهَيْنِ يَنْقُلُ الكَلامَ إِلَى الجَانِبَيْنِ وَيَسْتَعْمِلُ فِي كَلامِهِ أَسْوَأَ مَا فِي اللِّسَانَيْنِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٥٨



اَلغِيبَةُ ٱلمُسَبِّبَةُ لِلأَضْرَارِ

اَلغِيبَـةُ أَنْ تَـذْكُرَ أَخَـاكَ بِمَـا يَكْـرَهْ إِنْ ذَكَرْتَـهُ بِنَقْصٍ فِي بَدَنِـهِ أَوْ دَارِهْ

أَوْ نَسَبِهِ أَوْ خُلُقِـهِ أَوْ فِعْلِـهِ أَوْ قَوْلِـهِ أَوْ دِينِـهِ أَوْ دُنْيَـاهُ أَوْ ثَوْبِـهِ أَوْ دَابَّتِـهِ

كَـذَلِكَ بِـٱلعَمَشِ أَوِ ٱلحَوَلِ أَوِ ٱلقَـرَعِ أَوْ ٱلقِصَرِ أَوِ ٱلسَّوَادِ وَكَذَا ٱلصِّغَرِ بِٱلمُجْتَمَعِ

وَجَمِيعِ مَـا تَتَصَوَّرُ بِبَالِكَ أَنَّـهُ يَكْرَهُـهُ كَيْفَمَـا كَـانَ ، وَأَمَّـا ٱلنَّسَبُ فَسَنَشْرَحُهُ

بِأَنْ تَقُولَ فَاسِقٌ أَوْ هِنْدِيٌّ أَوْ كَلْبُ ٱلعَرَبْ أَوْ أَبْلَهٌ أَوْ سَكَّافٌ أَوْ زَبَّالٌ أَوْ كُلُّهُ جَرَبْ

فَهَذَا لَا يَجُوزُ وَلَوْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ ٱلمِزَاحْ فَبِذَلِكَ يَكُونُ إِبْلِيسُ نَالَ مِنْكَ وَٱسْتَرَاحْ

رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ : " دَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ بِيَدِي : هَكَذَا أَيْ أَنَّهَا قَصِيرَةٌ ، فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **"قَدِ ٱغْتَبْتِهَا "** [1] .

وَقَـالَ قَـوْمٌ لَا غِيبَـةَ فِي ٱلـدِّينِ كَمَا لَوْ كَانَ لَا يُحَافِظُ عَلَى مَعَانِي ٱلدِّينِ

فَيَذُمُّ مَـا ذَمَّـهُ ٱللهُ تَعَـالَى مِنَ ٱلمَعَاصِي فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ لِلتَّحْذِيرِ مِنْهُ وَمِنْ قَلْبِهِ ٱلقَاسِي

رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ ذُكِرَتْ لَـهُ ٱمْرَأَةٌ وَكَثْرَةُ صَلَاحِهَا وَصَوْمِهَا وَلَكِنَّهَـا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا فَقَالَ : " **هِيَ فِي ٱلنَّارِ** " (إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٤٤)

اَلغِيبَـةُ خَطِيرَةٌ عَلَـى قَلْـبِ ٱلمُرِيـدْ تَجْعَـلُ فِي سُلُوكِهِ تَعَرُّجَـاتٍ وَتَجَاعِيـدْ

فَإِنَّهَـا تَأْكُـلُ مِـنْ هِمَّتِـهِ وَمَقَامِـهِ وَتَأْكُلُ ٱلنَّارَ بِٱلقِيَامَةِ مِنْ لَحْمِـهِ وَعِظَامِـهِ

كَـمْ مِنْ رَجُلٍ ٱليَـوْمَ يَتَبَاهَى بِٱلغِيبَـةِ يَظُنُّ أَنَّهُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ صَاحِبُ أَقْوَالٍ مُفِيدَةِ

يَطْعَنُ وَيَشْتِمُ وَيَسُبُّ وَيَجْرَحُ وَيَفْتَرِي وَلَا يَنْجُو مِنْهُ فَقِيرٌ وَلَا مِسْكِينٌ وَلَا ثَـرِي

فَيُصْبِحُ خَـالِيَ ٱلرَّصِيدِ يَـوْمَ ٱلقِيَامَـةْ وَفِي قَبْرِهِ تَنْخَرُهُ ٱلدِّيدَانُ وَفِي لَحْمِهِ سَائِمَةْ

فَٱلغِيبَـةُ أَنْ تَقُـولَ عَـنِ ٱلمُؤْمِنِ مَـا فِيـهِ وَٱلبُهْتَـانُ أَنْ تَقُـولَ عَنْـهُ مَـا لَـيْسَ فِيـهِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣٥٢

وَٱلإِفْكُ أَنْ تَقُولَ مَا بَلَغَكَ عَنْهُ ظُلْمًا ... إِنَّهُ خَطِيرٌ جِدًّا وَيَرَى فِيهِ مِنَ ٱللهِ نِقَمًا
وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي ٱلْغِيبَةِ ٱلْمَذْمُومَةْ ... ٱلْغَمْزُ وَٱلْهَمْزُ وَٱلإِيمَاءُ وَٱلإِشَارَةُ ٱلْمَعْلُومَةْ
كُلُّ ذَلِكَ يُوقِعُ فَاعِلَهُ بِٱلْحَرَامِ ... وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ٱلْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ كِرَامِ
أَمَّا مَنْ يَقُولُ قَوْمٌ كَذَا جَاؤُوا وَفَعَلُوا ... غَيْرَ مُتَعَرِّضٍ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ مِمَّا فَعَلُوا
فَهَذِهِ لَيْسَتْ غِيبَةً مَا لَمْ يُفْهَمْ عَيْنُ ٱلشَّخْصِ ... فَلْيَضَعْ كُلٌّ مِنَّا لِسَانَهُ تَحْتَ ٱلْفَحْصِ

كَانَ ﷺ إِذَا كَرِهَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْئًا قَالَ : **"مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا"**[1]

وَأَخْبَثُ أَنْوَاعِ ٱلْغِيبَةِ غِيبَةُ ٱلْقُرَّاءْ ... يُعَرِّضُونَ بِٱلْمُغْتَابِ بِبَعْضِ ٱلآيَاتِ كَأَنَّهُمْ عُلَمَاءْ
لِيُظْهِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِٱلتَّعَفُّفِ عَنِ ٱلْغِيبَةِ ... مَعْ أَنَّهُمْ فِي صَمِيمِهَا فَيَقَعُونَ فِي ٱلْمُصِيبَةِ
إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُمْ إِنْسَانٌ مَثَلًا يَقُولُونَ : ... ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي لَمْ يَبْتَلِنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا
يُبْدُونَ بِذَلِكَ لِلسَّامِعِ عَيْبَ ٱلْغَيْرِ ... فَلْيَتْرُكِ ٱلْمُرِيدُ ذَلِكَ وَلْيَعْمَلْ بِٱلسُّلُوكِ وَٱلسَّيْرِ
ٱلْمُسْتَمِعُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ زَمْهَرِيرِ ٱلْغِيبَةِ ... إِلَّا إِذَا أَنْكَرَ عِنْدَ سَمَاعِهِ لِتِلْكَ ٱلْمُصِيبَةِ

قَالَ ﷺ : **"مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِٱلْغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى ٱللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ ٱلنَّارِ"**[2].

ٱلْمَطْلُوبُ نُصْرَةُ مَنِ ٱغْتِيبَ ظُلْمًا بِشَخْصِهِ ... وَذَلِكَ عَلَى مَنْ كَانَتِ ٱلْغِيبَةُ بِدَارِهِ
عَلَى صَاحِبِ ٱلدَّارِ ٱلَّذِي ٱغْتِيبَ فِيهَا ٱلْمُؤْمِنْ ... أَنْ يَنْصُرَهُ وَيُفْهِمَ ٱلنَّاسَ حَقَّهُ وَيُعْلِنْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **" مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ أَذَلَّهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْخَلَائِقِ "**[3]

وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ ٱلإِنْسَانُ ٱلْغِيبَةَ مِنَ ٱحْتِقَانِ ... ٱلْغَضَبِ بِٱلْبَاطِنِ ٱلْمُدَمِّرِ لِلْقَلْبِ وَٱلْمُصْرَانِ
فَيُصْبِحُ حِقْدًا ثَابِتًا مَشْحُونًا بِٱلانْتِقَامِ ... فَيَظْهَرُ عَلَى ٱللِّسَانِ أَنْوَاعَ مَسَاوِئِ ٱلْكَلَامِ
وَٱلْحَسَدُ يُوَلِّدُ ٱلْغِيبَةَ وَيُرَبِّيهَا كَمَا وَصَفُوهُ ... وَبِخَاصَّةٍ إِذَا أَحَبَّ ٱلنَّاسُ خَصْمَهُ وَأَكْرَمُوهُ
فَيُرِيدُ زَوَالَ تِلْكَ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلْخَلَاصَ مِنْهُ ... فَلَا يَجِدُ سَبِيلًا إِلَّا بِٱلْقَدْحِ لِيَأْخُذَ ثَأْرَهُ مِنْهُ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٤٥ (٢) رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده . (٣) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٤٦

وَأَكْثَرُ مَا يَحْصُلُ ذَلِكَ بَيْنَ ٱلْأَصْدِقَاءِ ٱلْخُسْنُ يُصَابُ مِنْ صَدِيقِهِ بِهَذَا ٱلدَّاءِ

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أُمُورِ ٱلْغِيبَةِ مُحْبِطٌ لِلْحَسَنَاتِ وَيُعَرِّضُهُ لِلسُّخْطِ وَٱلْمَصِيبَةِ

وَتَنْتَقِلُ حَسَنَاتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لِمَنِ ٱغْتَابَهُ بَدَلًا عَمَّا ٱسْتَبَاحَهُ مِنْ عِرْضِهِ فِي شَبَابِهِ

لَوِ ٱطَّلَعَ ٱلْمُرِيدُ عَلَى فِقْدَانِ حَسَنَاتِهِ لَهَوْلٍ يَرْجُفُ وَيَصِيحُ مِنْ سُوءِ سَيِّئَاتِهِ

ٱلْبَعْضُ يَسْتَعْمِلُ ٱلْغِيبَةَ ضِدَّ خَصْمِهِ كَسِلَاحْ لِيَشْفِيَ غَيْظَ صَدْرِهِ ٱلنَّارِيِّ وَيَرْتَاحْ

لَوْ تَرَكَ أَمْرَهُ لِلَّهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لَنَالَ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ ظَاهِرَةِ ٱلْعَلَامَةِ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : **"مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ"** . (رواه الإمام أحمد ﷺ)

قَالَ صُوفِيٌّ : خُذْ نَصِيبَكَ وَٱتْرُكْ مَا يُصِيبُكَ فَٱلْحَسَدُ وَٱلْغِيبَةُ وَٱلنَّمِيمَةُ تُعِيبُكَ

فَلَا تَجْعَلِ ٱلْحَسَدَ وَٱلْغِيبَةَ تُصِيبُكَ بِمَا رَزَقَكَ ٱللَّهُ بِهِ وَكَانَ مِنْ نَصِيبِكَ

لِكَثْرَةِ ٱعْتِيَادِ ٱلنَّاسِ عَلَى ٱلْغِيبَةِ تَسَاهَلُوا فِي سَمَاعِ حَوَادِثِهَا ٱلرَّهِيبَةِ

وَلَمْ يَكْتَرِثُوا بِتَنَاوُلِ أَعْرَاضِ ٱلْخَلْقِ فَنَالُوا جَزَاءَ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ ٱلْحَقِّ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : **"لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ ٱلنَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ"**. (رواه الإمام أحمد ﷺ)

إِذَا عَرَفْتَ هَفْوَةً مِنْ مُسْلِمٍ فَٱنْصَحْهُ بِٱلسِّتْرِ وَعِظْهُ بِٱلْآيَاتِ وَلَا تَفْضَحْهُ

وَلَا تَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ٱلْاحْتِقَارِ وَتَتَرَفَّعْ عَلَيْهِ بِوَعْظِهِ عَلَانِيَةً قَصْدَ ٱلْإِشْتِهَارِ

وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ خَلْعَهُ عَنِ ٱلْإِثْمِ بَدَلَ أَنْ تَأْكُلَ بِٱلْغِيبَةِ لَحْمَ ٱلْجِسْمِ

فَتَكْسِبَ بِذَلِكَ ٱلْأَجْرَ وَٱلثَّوَابْ وَتُعِينَهُ عَلَى دِينِهِ بِٱلْحُضُورِ وَٱلْغِيَابْ

قَالَ مُجَاهِدٌ : كَفَّارَةُ أَكْلِكَ لَحْمَ أَخِيكَ أَنْ تُثْنِيَ عَلَيْهِ وَتَدْعُوَ لَهُ بِخَيْرٍ[1].

ٱلتَّحْلِيلُ ٱلْمُرَادُ بِهِ ٱلْعَفْوُ عَنِ ٱلْمَظْلَمَةِ وَلَيْسَ تَحْلِيلَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلْمَأْكُولَةِ ٱلْمُحَرَّمَةِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٥٣

الْغِيبَةُ وَالْكَذِبُ صِنْوَانِ[1]

عَلَى الْمُرِيدِ عَدَمُ الْكَذِبِ وَغِيبَةِ الْإِخْوَانِ فَقَدْ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا بِهَذَا الزَّمَانِ

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ الْغِيبَةَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ وَشَبَّهَ صَاحِبَهَا بِآكِلِ لَحْمِ الْمَيِّتِ السَّقِيمِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (الحجرات ١٢) .

لَقَدْ وَقَعَ الْكَثِيرُ بَيْنَ الْأَصْحَابِ بَعْدَ الْمُخَاصَمَةْ جَرَحُوا الشَّرَفَ وَأَفْنَوْا لِصَاحِبِهِمْ مَعَالِمَهْ

وَطَعَنُوا وَلَفَّقُوا وَكَذَّبُوا وَاتَّهَمُوا مَا يَنْفَعُ الْمَالُ وَالْجَاهُ غَدًا فِيمَا وَهِمُوا

أَوْقَعُوا نُفُوسَهُمْ بِالشَّرِّ وَالْمَقْتِ وَالْغَضَبِ حَتَّى أَوْصَلُوهَا لِأَشَدِّ الْبَلَاءِ وَالْعَطَبِ

تِلْكَ الرَّذَائِلُ تُوقِفُ سُلُوكَ الْمُرِيدِ وَتَحْجُبُ الْمَنَافِعَ الرُّوحِيَّةَ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ

فَالسَّالِكُ حَالُهُ حَسَّاسٌ وَدَقِيقْ أَيُّ كَلِمَةٍ تُؤَثِّرُ بِقَلْبِهِ الصَّافِي الرَّقِيقْ

فَالْغِيبَةُ مَرَضٌ وَعِلَّةٌ صَارَتْ عَادَةْ عِنْدَ بَعْضِ الْغَافِلِينَ عَنِ الْعِبَادَةْ

يَقْصِدُونَ بِهَا التَّلَهِّي وَهِيَ شَرّ كَمْ مِنْ تَقِيٍّ حِينَ سَمَاعِهِ لَهَا فَرّ

تُسَوِّدُ وُجُوهَ أَصْحَابِهَا وَتَقْسُو قُلُوبُهُمْ اسْتَعْمَلُوهَا لِلْكَسْبِ وَمَلْءِ جُيُوبِهِمْ

قَالَ ﷺ : " **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ** "[2]

وَالْغِيبَةُ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مُفْلِسًا فِي أَحْوَالِهِ وَتُشَوِّهُ سُمْعَتَهُ وَكَأَنَّهُ تَاجِرٌ خَسِرَ كُلَّ مَالِهِ

قَالَ جَابِرٌ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ فَأَتَى عَلَى قَبْرَيْنِ يُعَذَّبُ صَاحِبُهُمَا فَقَالَ : **"إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ ...** "[3] .

فَعَلَى الْوَاقِعِ بِالْغِيبَةِ التَّوْبَةُ لِخَالِقِهِ وَطَلَبُ السَّمَاحِ مِمَّنْ بَدَّلَ زُورًا كُلَّ حَقَائِقِهِ

(١) صنوان : من أصل واحد . (٢) صحيح مسلم ﷺ ج ١٦ ص ١٢١ (٣) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٤٢

قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَتَسْتَقْبِلُهُ ٱلنَّارْ   وَيَذُوقَ أَلَمَ وَغَضَبَ رَبِّنَا ٱلْجَبَّارْ ﷻ
فَهَذِهِ أُمُورٌ فِيهَا إِيذَاءُ ٱلْغَيْرِ   وَتُهَيِّجُ ٱلْغَضَبَ عَلَى أَهْلِ ٱلسُّلُوكِ وَٱلسَّيْرِ
وَتُسَبِّبُ ٱلشِّجَارَ وَثَوَرَانَ فِكْرِهِ وَنَفْسِهِ   وَغَفْلَةَ قَلْبِهِ وَفِقْدَانَ شُعُورِهِ وَحِسِّهِ

ٱلْكَذِبُ يُثِيرُ غَضَبَ ٱلرَّبِّ

إِنَّ أَقْبَحَ ٱلْأَفْعَالِ ٱلْكَذِبُ ٱلْقَبِيحُ   إِذَا تَرَكَهُ ٱلْمَرْءُ قَلْبُهُ وَفِكْرُهُ يَسْتَرِيحُ
لَقَدْ حَذَّرَ مِنْهُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ وَوَعَدَ عَلَيْهِ بِٱلْوَيْلِ   فَٱلْعَاقِلُ يَتَجَنَّبُهُ وَلَا يَكُونُ لَهُ إِلَيْهِ مَيْلُ

قَالَ ﷺ : "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ ٱلْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ"[1] (أخرجه أبو داود)

وَعَلَى ٱلْمُرِيدِ عَدَمُ ٱلتَّعَامُلِ بِٱلْكَذِبْ   لِأَجْلِ ٱلْمَالِ فَيَعْتَادُ عَلَيْهِ وَيَنْجَذِبْ
وَأَكْثَرُ مَنْ يَلْجَأُ إِلَى ٱلْكَذِبِ ٱلسَّارِقُ وَٱلتَّاجِرْ   وَيُعَدُّ ٱلْكَاذِبُ فِي شَرْعِنَا فَاجِرْ
يَكْذِبُ ٱللِّصُّ لِيَنْجُوَ مِنَ ٱلْعِقَابِ   وَيَكْذِبُ ٱلتَّاجِرُ وَهُوَ غَافِلٌ عَنِ ٱلْحِسَابِ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : " إِنَّ ٱلتُّجَّارَ هُمُ ٱلْفُجَّارُ... ". فَقِيلَ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ . قَالَ ﷺ : " نَعَم،وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ "[2] .

فَٱلتَّاجِرُ يَسْتَعْمِلُ ٱلْكَذِبَ وَلَا يُبَالِي بِٱلْإِثْمِ   فَيُصَابُ بِكَذِبِهِ فِي رُوحِهِ وَبِكُلِّ ٱلْجِسْمِ
وَلَا يَخْفَى وَعِيدُ ٱللَّهِ تَعَالَى لِلْكَذَّابِ   فَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ أَيَّ بَابِ
إِلَّا أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ وَفَاتِهِ   فَقَدْ حَذَّرَ مِنَ ٱلْكَذِبِ بِأَكْثَرِ آيَاتِهِ

قَالَ ﷻ : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (النحل ١٠٥)

وَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : " ... وَإِيَّاكُمْ وَٱلْكَذِبَ فَإِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ وَإِنَّ ٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى ٱلْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللَّهِ كَذَّابًا " . (صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ١٦ ص ١٦٠ – ١٦١)

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٣٤   (٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٣٤

وَٱلْكَذَّابُ لَهُ رَائِحَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ نَتِنَةْ لَاسِعَةٌ تَأْثِيرُهَا أَشَدُّ مِنَ ٱلْمِيَاهِ ٱلسَّاخِنَةْ

وَتِلْكَ ٱلرَّائِحَةُ تَضُرُّ قُلُوبَ ٱلسَّالِكِينَ وَنَتْنُهَا يَقْبِضُ صُدُورَ ٱلْمُتَّقِينَ

قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ ﷺ قَالَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ : **" إِنَّ ٱلْعَبْدَ لَيَكْذِبُ ٱلْكِذْبَةَ ليتباعد ٱلْمَلَكُ عَنْهُ مَسِيرَةَ مِيلٍ مِنْ نَتَنِ مَا جَاءَ بِهِ "**[1] (أخرجه الترمذي) .

ٱلشَّيْطَانُ يُدَرِّسُ مَادَّةَ ٱلْكَذِبِ لِأَعْوَانِهِ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْعُصَاةِ وَٱلْفُجَّارِ مِنْ خِلَّانِهِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : **﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾** (النحل ١٠٥)

بَعْضُهُمْ يَكْذِبُ لِخَوْفِهِ مِنَ ٱلسُّلْطَانْ يَرْجُفُ وَتَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ وَيَفْقِدُ ٱلْأَمَانْ

فَيَنْقَلِبُ أُنْسُهُ إِلَىٰ وَحْشَةٍ مُزْعِجَةٍ وَيَعِيشُ فِي أَفْكَارٍ مُرْعِبَةٍ

قَالَ تَعَالَىٰ : **﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾** (المائدة ٤٤)

لَوْ خَافَ ٱللهَ وَلَمْ يَخَفِ ٱلنَّاسْ وَصَدَقَ بِلِسَانِهِ مَعْ سَائِرِ ٱلْأَجْنَاسْ

لَفَازَ بِمَرْتَبَةٍ رَفِيعَةِ ٱلْمِقْدَارِ وَٱلْمُسْتَوَىٰ وَعُدَّ صَادِقَ ٱلْعَزْمِ شَدِيدَ ٱلْقُوَىٰ

وَأَعْظَمُ ٱلْكَذِبِ ٱلْكَذِبُ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ مُدَمِّرٌ مُهْلِكٌ يَقْطَعُ كُلَّ مَحْصُولِهِ

قَالَ ﷻ: **﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾** (الزمر ٦٠)

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **" مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ "**[2]

ٱلْكَذِبُ بِٱلْأَلْقَابِ وَٱلْمَقَامَاتِ

وَأَكْذَبُ ٱلْكَذِبِ مَنْ يُلَقِّبُ ٱلْإِنْسَانْ بِأَلْقَابٍ وَمَرَاتِبَ وَمَقَامَاتٍ تُسَبِّبُ ٱلْخُسْرَانْ

كَفُلَانٍ قُطْبِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ وَٱلْآخَرِ سُلْطَانِ أَوْلِيَاءِ ٱلْمَعَارِفِ ٱلرَّبَّانِيَّةْ

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأَلْقَابِ ٱلْمُصْطَنَعَةْ ٱلَّتِي تُسَبِّبُ لِلْقَلْبِ زَلَازِلَ مُرَوِّعَةْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٣٥ (٢) صحيح مسلم ﷺ ج١ ص ٦٧ - ٦٨

فَـإِذَا لَقِـيَ ٱللهَ عَلَـى غَـيْرِ ذَلِـكْ   فَمَـنْ يُنَجِّيـهِ مِـنْ شِـدَّةِ ٱلْمَهَالِـكْ ؟

فَـٱللهُ هُـوَ مَـنْ يُلَقِّـبُ بِكِتَابِـهِ   مَـنْ شَـاءَ مِـنْ أَنْبِيَائِـهِ وَأَحْبَابِـهِ

وَلَـيْسَ ٱلإِنْسَـانُ هُـوَ ٱلَّـذِي يَخْتَـارْ   لَقَبًـا وَمَقَامًـا لَمْ يَصْـدُرْ عَـنِ ٱلْمُخْتَـارْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ : "**مَا رَأَيْتُ مِثْلَ ٱلنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلاَ مِثْلَ ٱلْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا**"[1] .

ٱلتَّحْقِيـقُ فِي هَـذِهِ ٱلأُمُـورِ ٱلثَّمِينَـةْ   عَزِيـزٌ جِـدًّا فَـلَا تَجْعَـلْ نَفْسَـكَ رَهِينَـةْ

وَلَا تُسَمِّ ٱلإِنْسَانَ بِأَلْقَابٍ نَفْسِيَّةٍ مُحَيِّرَةْ   فَـٱللهُ تَعَـالَى أَعْلَـمُ بِحَظِّـهِ فِي ٱلآخِـرَةْ

فَـلَا يَعْلَـمُ أَحَـدٌ حَـالَ مَـنْ لَقَبُـوهُ   هَـلْ رَحِـمَ ؟ أَمِ ٱلْمَلَائِكَـةُ عَـذَّبُوهُ

هَـذِهِ أُمُـورٌ مِـنْ غَيْـبِ ٱلـرَّحْمَٰنْ   كَيْـفَ يَتَجَـرَّأُ عَلَـى ٱللهِ ٱلإِنْسَـانْ ؟

ٱلكُـلُّ يَقِـفُ بَـيْنَ يَـدَيِ ٱللهِ ذَلِيـلْ   فَٱنْظُرُوا خَوْفَ مُحَمَّـدٍ ﷺ وَعِيسَـى عليه السلام وَٱلْخَلِيـلْ عليه السلام

قَالَ ﷻ : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ (مريم ٩٣)

وَقَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ** ﴾ (الأنبياء ٧٢)

وَقَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (المائدة ١٠٩)

ٱلأَنْبِيَاءُ عليهم السلام أَخْوَفُ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى ، وَخَوْفُهُمْ هَـذَا يَحْجُبُ عِرْفَانَهُمْ فِي ٱلْمَوْقِفِ ٱلْعَظِيمِ فَيَتَبَرَّأُونَ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ وَمِنْ عِلْمِهِمْ فَيَقُولُونَ : لَا عِلْمَ لَنَا . فَكَيْفَ يَجْرُؤُ إِنْسَانٌ عَلَى تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ بِلَقَبٍ أَوْ بِمَقَامٍ !

عَلَى ٱلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مَعَ رَبِّهِ ﷻ ذَلِيلًا يَحْمِلُ بِقَلْبِهِ ٱلْخَوْفَ لَا ٱلأَلْقَابَ ٱلْمُصْطَنَعَةَ ٱلَّتِي مِنْ تَأْلِيفِ نَفْسِهِ .

ٱللهُ هُـوَ ٱلَّـذِي يُعْطِـي مِنْحَـةَ ٱلأَلْقَـابْ   قَـالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِنَّـهُ حَلِيمٌ أَوَّابْ

(١) رواه الإمام الترمذي ﷺ في مسنده .

وَمَنَحَ يُوسُفَ عليه السلام مَقَامَ ٱلصِّدِّيقِيَّةِ ٱلعَظِيمِ فَنُودِيَ بِيُوسُفَ ٱلصِّدِّيقِ فِي ٱلقُرْآنِ ٱلكَرِيمِ



ٱلكَذِبُ ٱلمَحْمُودُ

هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ ٱلكَذِبِ ٱلمَحْمُودِ هُوَ وَسِيلَةٌ لِلْمَقَاصِدِ ٱلحَسَنَةِ بِٱلوُجُودِ

فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ ٱلتَّوَصُّلُ إِلَيْهِ بِٱلكَذِبِ مُبَاحٌ لِخَلَاصِ إِنْسَانٍ ٱفْتُرِيَ عَلَيْهِ

قَالَ ثَوْبَانُ : ٱلكَذِبُ كُلُّهُ إِثْمٌ إِلَّا مَا نَفَعَ بِهِ مُسْلِمًا أَوْ دَفَعَ عَنْهُ ضَرَرًا .

فَٱلكَذِبُ لِخَلَاصِ ٱلعَبْدِ ٱلمَظْلُومِ مُبَاحٌ وَٱسْتِعْمَالُ ٱلكَذِبِ لِإِيقَافِ ٱلحُرُوبِ فِيهِ فَلَاحٌ

وَٱسْتِعْمَالُهُ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مُبَاحٌ لِلْإِصْلَاحِ وَكَذَا كُلُّ قَوْلٍ فِيهِ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **" لَيْسَ ٱلكَذَّابُ ٱلَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا "**. (رواه الإمام مسلم ج ١٦ ص ١٥٧)

ٱللَّعْنُ

ٱلمُرِيدُ لَا يَلْعَنُ أَيَّ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ فَٱللَّعْنُ لَيْسَ مِنْ صِفَةِ صَاحِبِ ٱلإِيمَانِ

قَالَ ﷺ : **" لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ ٱللهِ وَلَا بِغَضَبِهِ وَلَا بِٱلنَّارِ "** (الفتح الكبير ج٣ص٣٣٩)

فَقَدْ يُصَابُ ٱلإِنْسَانُ بِٱللَّعْنِ فَيُؤْذِيهِ وَيُسَبِّبُ لَهُ ٱلمَقْتَ ٱلمُؤْلِمَ فَيُخْزِيهِ

فَعَلَى ٱلمُرِيدِ ٱلدُّعَاءُ لِلنَّاسِ بِٱلهِدَايَةْ إِنَّ ٱللهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ وَمِنْهُ تَأْتِي ٱلعِنَايَةْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **"لَا يَكُونُ ٱللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ"**[1].

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **"لَا يَكُونُ ٱلمُؤْمِنُ لَعَّانًا"** (رواه الترمذي)



← الصوفي الشيخ إبراهيم الغلاييني - سوريا

الشيخ الصالح الأديب خليل حيمور ـ الأردن →

(١) صحيح مسلم ﷺ ج ١٦ ص ١٤٩



التَّجَسُّس

وَلْيَتَجَنَّبِ الْمُرِيدُ التَّجَسُّسَ الْقَبِيحْ ... فَهُوَ مِنْ ثِمَارِ سُوءِ الظَّنِّ غَيْرِ الْمُرِيحْ

فَيَسْعَى لِكَشْفِ سَتْرِ اللهِ لِعِبَادِهِ ... سَوَاءٌ أَكَانَ فِي سَفَرٍ أَمْ كَانَ فِي بِلَادِهِ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (الحجرات ١٢)

فَعَلَى السَّاعِي وَرَاءَ ذَلِكَ الْفَسَادِ ... أَنْ يَنْدَمَ وَيَتُوبَ وَيَتَأَسَّفَ لِمَا فَعَلَ بِالْعِبَادِ

لِيَخْرُجَ بِذَلِكَ مِنْ حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهْ ... وَيَسْتَحِلَّ الْمُغْتَابَ لِيُحِلَّهُ وَيَخْرُجَ مِنْ مَظْلَمَتِهْ

النَّمِيمَة

عَلَى الْمُرِيدِ السَّالِكِ تَرْكُ النَّمِيمَةِ ... لِمَا فِيهَا مِنْ بَلَايَا وَأَهْوَالٍ عَظِيمَةِ

وَقَدْ وَعَدَ اللهُ النَّمَّامَ بِالْوَيْلْ ... إِنَّ وَعْدَهُ يَقْصِمُ الظَّهْرَ وَيَقْطَعُ الْحَيْلْ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (الهمزة ١) (قِيلَ: الْهُمَزَةُ: النَّمَّامُ) .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ "[1]

كَمْ مِنْ نَمَّامٍ يَسْعَى لِتَفْرِيقِ الْأَحِبَّةْ ... وَإِيقَاعِ الْفِتَنِ وَالْبُغْضِ لِتَحْقِيقِ مَطْلَبِهْ

قَالَ الْحَسَنُ ؓ : " مَنْ نَمَّ لَكَ نَمَّ عَلَيْكَ " ... فَالنَّمَّامُ غَدَّارٌ خَائِنٌ يُفْسِدُ بِمَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكَ

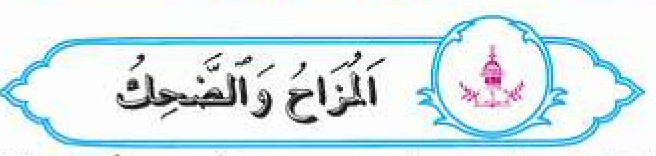
فَلَا تُصَدِّقِ النَّمَّامَ الْحَسُودَ بِمَا قَالْ ... لِأَنَّهُ يَهْوَى وَيُحِبُّ قَطْعَ الْوِصَالْ

الْمَوْتُ يَعُمُّنَا وَالْقَبْرُ يَضُمُّنَا وَالْقِيَامَةُ ... تَجْمَعُنَا وَوَيْلٌ لِلنَّمَّامِ إِنْ لَمْ تَحُفَّهُ السَّلَامَةُ

فَعَلَيْنَا هِجْرَانُ السُّوءِ وَكُلِّ عَيْبِ ... وَلْنَعْلَمْ أَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى الْغَيْبِ

إِنَّ شَرَّ النَّمَّامِ عَظِيمٌ ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَقَّاهُ ... فَمَنْ سَمِعَ لِنَمَّامٍ فَقَدْ شَرِبَ مِنْهُ وَسَقَاهُ

(١) صحيح مسلم ﵀ ج٢ ص ١١٢



عَلَى ٱلْمُرِيدِ عَدَمَ ٱلْمُزَاحِ ٱلْمُفْرِطِ لِمَا فِيهِ مِنْ تَكْدِيرٍ لِلْأَحْوَالِ ٱلْقَلْبِيَّةِ فَتُطْغِيهِ

حَيْثُ تَسْقُطُ ٱلْمَهَابَةُ وَٱلْوَقَارْ لِيُضْحِكَ ٱلنَّاسَ بِأَكَاذِيبَ وَأَخْبَارْ

ٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ مُزَاحُهُ يُدَاعِبُ ٱلْقُلُوبْ لَا يَمْزَحُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ أَوْ وَعْظٍ مَطْلُوبْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا "[1].

فَمِثْلُهُ يَقْدِرُ أَنْ يَمْزَحَ دُونَ إِزْعَاجِ ٱلنُّفُوسْ حَيْثُ مُزَاحُهُ دَوَاءٌ وَتَخْفِيفُ أَلَمٍ مَحْسُوسْ

وَمِثْلُهُ يَقْدِرُ أَنْ يَمْزَحَ وَيُفَرِّجْ ٱلْهُمُومَ بِأُسْلُوبٍ شَرْعِيٍّ غَيْرِ مُتَعَرِّجْ

فَمَزْحُهُ دَوَاءٌ شَافٍ لِلْأَرْوَاحِ ٱلْمُتَعَطِّشَةْ وَلِسَمَاعِهِ ٱلْقُلُوبُ تُصْبِحُ مَسْرُورَةً مُنْتَعِشَةْ

أَمَّا غَيْرُهُ إِذَا فَتَحَ بَابَ ٱلْمُزَاحْ بِتَهْرِيجٍ وَأَكَاذِيبَ تَدُرُّ لَهُ أَرْبَاحْ

لِأَنَّ هَمَّهُ إِضْحَاكُ ٱلنَّاسِ أَيْنَمَا كَانْ كَمَا نُشَاهِدُ أَكْثَرَهُمْ بِهَذَا ٱلزَّمَانْ

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : " مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَهُوَ يَضْحَكُ دَخَلَ ٱلنَّارَ وَهُوَ يَبْكِي "[2].

مَذْمُومُ ٱلضَّحِكِ ٱلْاِسْتِغْرَاقُ ٱلْمُتَوَاصِلُ فِيهِ وَمَحْمُودُهُ ٱلتَّبَسُّمُ بِأَنْ لَا يَسْمَعَ صَوْتًا فِيهِ

دَاءُ ٱلْمُزَاحِ يُؤَدِّي إِلَى سُقُوطِ ٱلْوَقَارِ وَقَدْ فَسَّرَهُ عُمَرُ ﷺ صَاحِبُ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُخْتَارِ

قَالَ : " أَتَدْرُونَ لِمَ سُمِّيَ ٱلْمُزَاحُ مُزَاحًا ؟ ، قَالُوا: لَا ، قَالَ: لِأَنَّهُ أَزَاحَ صَاحِبَهُ عَنِ ٱلْحَقِّ ".

فَكَثْرَةُ ٱلْكَذِبِ وَتَكْرَارُهُ بِٱلْمُزَاحِ ٱلْمَذْمُومْ يُسَبِّبُ لِلْقَلْبِ ٱلْمَقْتَ وَلِلنَّفْسِ ٱلْهُمُومْ

ٱلْمُرِيدُ إِذَا شَعَرَ بِتِلْكَ ٱلْأَحَاسِيسْ فَلْيَفِرَّ مِنْهَا سَرِيعًا وَبَعْدَهَا يَقِيسْ

كَانَ مُزَاحُهُ ﷺ مَمْزُوجًا بِٱلْجِدِّ ٱلسَّلِيمِ لَيْسَ كَسَائِرِ ٱلْعَوَامِّ فِي مَزْحِهِمُ ٱلسَّقِيمِ

جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ٱحْمِلْنِي عَلَى بَعِيرٍ ، فَقَالَ : " **بَلْ نَحْمِلُكِ عَلَى ٱبْنِ ٱلْبَعِيرِ** " . فَقَالَتْ: مَا أَصْنَعُ بِهِ إِنَّهُ لَا يَحْمِلُنِي . فَقَالَ ﷺ :" **مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا وَهُوَ ٱبْنُ بَعِيرٍ** "[3].

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٨ (٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٨ (٣) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٩

فَمَنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ بِمَزْحِهِ كَالنَّبِيِّ ﷺ الصَّادِقْ مُعَالَجَةَ قُلُوبِ النَّاسِ فَلْيَفْعَلْ بِلَا فَوَارِقْ

الاسْتِهْزَاءُ وَالسُّخْرِيَةُ

عَلَى الْمُرِيدِ عَدَمُ الاسْتِهْزَاءِ بِالنَّاسِ وَعَدَمُ السُّخْرِيَةِ الْمُحَقِّرَةِ الْمُهِينَةِ لِلإِحْسَاسِ
وَالسُّخْرِيَةُ هِيَ الاسْتِهَانَةُ بِالشَّخْصِ وَالتَّحْقِيرْ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى عُيُوبٍ وَنَقَائِصِ هَذَا الْفَقِيرْ
عَلَى وَجْهٍ يُضْحِكُ مِنْهُ بِطَرِيقَةِ الإِشَارَةِ وَقَدْ يُحَاكِيهِ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ بِجَسَارَةِ
وَبَسْمَةُ الاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِ هِيَ حَقِيرَةٌ وَالْقَهْقَهَةُ اسْتِهْزَاءً بِالْمُؤْمِنِ مَرِيرَةٌ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ (الحجرات ١١)

فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَحْقِرَ غَيْرَهُ أَوْ يَضْحَكَ مِنْهُ اسْتِهَانَةً فَيُعَطِّلَ سَيْرَهُ

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ "[1]

وَالاحْتِقَارُ يَكُونُ إِمَّا بِالْقَلْبِ سِرًّا أَوْ بِاللِّسَانِ فَيَعِيبُ الْخِلْقَةَ أَوْ حُسْنَ فِعَالِ الإِنْسَانِ
إِذَا كَانَ قَصِيرًا أَوْ نَاقِصًا بِعَيْبٍ مِنَ الْكَلَامِ فَالسُّخْرِيَةُ مِنْهُ أَذِيَّةٌ وَلَيْسَ مِنَ الإِسْلَامِ
عَلَى الْمُرِيدِ تَرْكُ شُرُورِ الاسْتِهْزَاءْ فَإِنَّهُ خِزْيٌ وَهُوَ فِي عُرْفِ النَّاسِ اسْتِعْلَاءْ
لَوْ تَفَكَّرَ الْمُسْتَهْزِئُ بِالْحَسْرَةِ وَالْجِنَايَةِ يَوْمَ يَحْمِلُ سَيِّئَاتِ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِهِ بِلَا عِنَايَةِ
وَيُسَاقُ بِهَا إِلَى النَّارِ مُفْلِسًا عِنْدَ الْحِسَابِ بَعْدَ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ غِيبَتُهُ لِلنَّاسِ فِي كِتَابِ
فَيَنْدَمُ وَيَبْكِي وَيَحْزَنُ عَلَى ضَيَاعِ حَسَنَاتِهِ وَذَهَابِ أَجْرِهِ وَعَمَلِهِ وَمَا حَمَلَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه ١١١)



(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٣١

اَلْحَسَدُ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْهُرُوبُ مِنَ ٱلْحَسَدِ ٱلَّذِي يُسَبِّبُ لِلسَّالِكِ ٱلْعِلَلَ فِي ٱلْجَسَدِ
لَا يَنْجُو مِنْ ذَلِكَ ٱلْبَلَاءِ إِلَّا ٱلْقَلِيلُ فَكَثِيرٌ بِهِ مُصَابٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُ عَلِيلُ
فَثِمَارُ ٱلْحَسَدِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا ٱلْبُغْضُ وَٱلظَّنّ وَٱلْكَرَاهِيَةُ وَهَذَا بَعْضُ دَاءِ ٱلْأُمَمِ فَٱفْطَنْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : **" ٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ "**(1)

قَدْ يَقَعُ حَسَدٌ مُتَنَوِّعٌ بَيْنَ ٱلْمُرِيدِينْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُضْمِرُ ٱلشَّرَّ لِلْغَيْرِ فِي كُلِّ حِينْ
حَسَدًا عَلَى مَا أَعْطَى ٱللهُ ٱلْبَعْضَ مِنْ فَضْلِهِ مِنْ مَالٍ وَمَقَامَاتٍ أَوْ جَمَالِ أَهْلِهِ
فَذَلِكَ نَعِيمٌ قَدْ يَتَحَاسَدُ عَلَيْهِ ٱلْكَثِيرْ وَيَزْدَادُ ٱلْحَسَدُ إِذَا أَغْنَى ٱللهُ ٱلْفَقِيرْ

قَالَ ﷺ : **" أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَكْثُرَ فِيهِمُ ٱلْمَالُ فَيَتَحَاسَدُونَ وَيَقْتَتِلُونَ "**(2)

أَوَّلُ خَطِيئَةٍ لِإِبْلِيسَ هُوَ ٱلْحَسَدْ إِنَّهُ أَبَى ٱلطَّاعَةَ لِرَبِّهِ وَلِآدَمَ ﷺ مَا سَجَدْ
وَقَتَلَ ٱبْنُ آدَمَ أَخَاهُ حِينَ حَسَدَهُ فَوَقَعَ بِعَذَابِ ٱللهِ ٱلشَّدِيدِ ٱلَّذِي وَعَدَهُ
كُلُّ ٱلْعَدَاوَاتِ يُمْكِنُ مُدَاوَاتُهَا ٱلْيَوْمَ أَوِ ٱلْغَدْ إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدْ
اَلْحَسَدُ جُرْحٌ صَعْبٌ بِٱلْحَسُودِ يَنْزِفُ بِتَكْرَارِ يَتَمَنَّى لِذِي ٱلنِّعْمَةِ أَنْ يُصَابَ بِسَيْفٍ بَتَّارِ
اَلْحَسَدُ : هُوَ كُرْهُ ٱلنِّعْمَةِ لِأَخِيكَ بِنِيَّةِ زَوَالِهَا وَٱلْغِبْطَةُ : تَتَمَنَّى مِثْلَهَا وَتَبْقَى لَهُ يَتَمَتَّعُ بِهَا

قَالَ ﷻ : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ (آل عمران ١٢٠)

أَعْظَمُ ٱلْحَسَدِ حُبُّ ٱلرِّيَاسَةِ وَٱلزَّعَامَةْ وَٱلتَّسَلُّطُ عَلَى صَاحِبِ نِعْمَةٍ وَٱلْجُلُوسُ مَكَانَهْ
وَٱلتَّشَاحُنُ عَلَى مُبَاحَاتِ ٱلدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةِ وَٱلْمُزَاحَمَةُ عَلَى ٱلْمَنَاصِبِ وَٱلْكَرَاسِي ٱلْبَالِيَةِ
فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ ٱلْمُنَافَسَةُ بِٱلْأَعْمَالِ ٱلدِّينِيَّةِ وَٱلتَّسَابُقُ عَلَى حُبِّ ٱللهِ وَطَاعَتِهِ ٱلشَّرْعِيَّةِ
اَلْخَالِيَةِ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْبَغْضَاءِ ٱلشَّنِيعَةِ وَٱلْمُفَاخَرَةِ وَٱلتَّكَبُّرِ وَفَوْتِ ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْبَدِيعَةِ

(1) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨٧

(2) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨٨

عَلَى ٱلْمُرِيدِ تَرْكُ خُبْثِ ٱلنَّفْسِ وَشُحِّهَا	وَرَذَالَةِ ٱلطَّبْعِ وَٱلْاسْتِحْقَارِ وَٱلضَّغِينَةِ وَضَرَرِهَا

ٱلْحَسَدُ مُتَنَوِّعُ ٱلدَّرَجَاتِ وَأَكْثَرُهُ بِٱلْعَائِلَاتِ	ٱلْأَخُ يَحْسُدُ أَخَاهُ وَٱبْنَ عَمِّهِ مِنَ ٱلذَّوَاتِ

وَٱلْمَرْأَةُ تَحْسُدُ ضَرَّتَهَا مُزَاحَمَةً لِلْمَقَاصِدْ	وَٱلْجَارُ يَحْسُدُ ٱلْجَارَ هَكَذَا أَصْبَحَتِ ٱلْقَوَاعِدْ

فَأَصْلُ هَذِهِ ٱلْعَدَاوَاتِ ٱلتَّزَاحُمُ بَيْنَ ٱثْنَيْنْ	عَلَى مَقْصُودٍ وَاحِدٍ لَا يَقْبَلُ ٱلشَّرِكَةَ وَلَا ٱلْبَيْنْ

وَلَا يَكُونُ بَيْنَ ٱلْأَوْلِيَاءِ مُحَاسَدَةْ	لِأَنَّ قَصْدَهُمْ مَعْرِفَةُ ٱللهِ بِٱلْمُجَاهَدَةْ

فَمَعْرِفَةُ ٱللهِ بَحْرٌ وَاسِعٌ لَا يَضِيقْ	وَغَرَضُهُمْ رَحْمَةُ ٱللهِ فِي نِهَايَةِ ٱلطَّرِيقْ

فَلَذَّةُ نَعِيمِ لِقَائِهِ لَيْسَتْ فِيهَا مُمَانَعَةْ	بَلْ يَزِيدُ ٱلْأُنْسُ بِكَثْرَةِ ٱلْأَوْلِيَاءِ ٱلْمُجْتَمِعَةْ

لَا يَحْسُدُهُمْ إِلَّا عَلِيلُ ٱلنَّفْسِ مَرِيضْ	أَضَلَّهُ ٱللهُ عَلَى عِلْمٍ بِٱلْخَطِّ ٱلْعَرِيضْ

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (الجاثية ٢٣)

مَنِ ٱسْتَغْرَقَ فِي جَلَالِ عَظَمَةِ ٱلْخَالِقْ	فَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ مُشَاهَدَتِهِ مُزَاحِمٌ وَلَا مَارِقْ

فَمَنْ عَرَفَ وَذَاقَ وَٱسْتَغْرَقَ بِنَفَحَاتِهِ	فَلَا يَنْقُصُ أَحَدٌ مِنْ لَذَّتِهِ وَمُؤَانَسَتِهِ

فَهِيَ مَقَامَاتٌ غَيْرُ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةْ	خُصِّصَتْ لِلطَّائِعِينَ وَلِقُلُوبِهِمْ مَصْنُوعَةْ

ٱلْحَسَدُ لَا يَقْرَبُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ ٱلْعَارِفِينْ	فَٱلْحَسَدُ مِنْ صِفَاتِ ٱلْمُبْعَدِينَ كَٱلشَّيَاطِينْ

لَا تَرَى ٱلنَّاسَ يَتَحَاسَدُونَ عَلَى ٱلنَّظَرِ	إِلَى زِينَةِ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا وَٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ

فَهِيَ لِجَمِيعِ ٱلْخَلْقِ بِسَائِرِ ٱلْأَقْطَارِ	مَكْشُوفَةٌ فِي مُشَاهَدَتِهَا لِجَمِيعِ ٱلْأَبْصَارِ

وَٱلْحَسَدُ هُوَ مُشَارَكَةٌ لِإِبْلِيسَ فِي صَنْعَتِهِ	يَتَأَلَّمُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ يَرَاهَا مَعَ فِرْقَتِهِ

فَيَبْقَى مَغْمُومًا مَحْرُومًا ضَيِّقَ ٱلصَّدْرْ	وَهُوَ مُتَأَلِّمُ ٱلْقَلْبِ يَنْوِي ٱلْغَدْرْ

فَٱلنِّعْمَةُ ٱلْقَلْبِيَّةُ ٱلْعِرْفَانِيَّةُ لَا تَزُولُ بِحَسَدْ	مَهْمَا طَغَى ٱلْحَسُودُ وَٱحْتَالَ وَأَفْسَدْ

فَهَذَا ٱلْمَرَضُ مِنْ شَهْوَةِ ٱلشَّيَاطِينِ ٱلْمَكَّارَةِ	وَأَتْبَاعِهِمُ ٱلْكَفَرَةِ أَهْلِ ٱلشَّرِّ وَٱلْخَسَارَةِ

فَمِنْهُمْ مَنْ يَحْسُدُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِيمَانِهِمْ	فَيَسْعَوْنَ بِٱلنَّمِيمَةِ وَٱلْفِتَنِ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ

قَصْدُهُمْ رَدُّهُمْ إِلَى ٱلْكُفْرِ ٱلشَّنِيعْ ... بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُمْ عَطَاءُ رَبِّنَا ٱلْبَدِيعْ

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة ١٠٩)

ٱلْحَاسِدُ فِي غَايَةِ ٱلْجَهْلِ وَٱلْغَبَاوَةِ ٱلْمَعْلُولَةِ ... وَبِخَاصَّةٍ إِذَا حَسَدَ عَارِفًا بِطَرِيقَةٍ مَهُولَةِ

فَمَهْمَا هَتَكَ سَتْرَ ٱلْمَحْسُودِ وَجَرَحْ ... وَٱغْتَابَهُ وَٱفْتَرَى عَلَيْهِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَقَدَحْ

فَنِعْمَةُ ٱلْعِرْفَانِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِزَالَتِهَا إِنْسَانْ ... فَهِيَ ثَابِتَةٌ بِٱلْقَلْبِ بِعَظَمَةِ ٱلرَّحْمَٰنْ

قَالَ بَعْضُهُمْ : لَا مَاتَ أَعْدَاؤُكَ بَلْ خُلِّدُوا ... حَتَّى يَرَوْا فِيكَ ٱلَّذِي جَحَدُوا

لَا زِلْتَ مَحْسُودًا عَلَى نِعْمَةٍ ... فَإِنَّمَا ٱلْكَامِلُ يَحْسُدُهُ أَهْلُ ٱلنِّقْمَةِ

مَنْ أَحَبَّ ٱلْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ كَانَ شَرِيكًا بِٱلْخَيْرِ ... وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ خَالَفَهُمْ وَسَعَى لِخَرَابِ ٱلسَّيْرِ

وَأَكْثَرُ مَا نَجِدُ ٱلْحَاسِدِينَ عِنْدَ زُوَّارِ ٱلْمُرْشِدِينَ ... يُظْهِرُونَ ٱلْوَرَعَ وَهُمْ رَأْسُ ٱلشَّيَاطِينْ

تَسْتَخْدِمُهُمُ ٱلْأَجْهِزَةُ لِقَلْبِ أَجْوَاءِ ٱلْحُضُورْ ... وَيَجْعَلُونَهُمْ عَيْنًا لَهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ بِٱلْمَالِ مَغْرُورْ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر ٤٣)

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ لَا يَكُونَ حَقُودَا ... وَلَا يَكُونَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَدُوًّا لَدُودَا

فَيَقَعُ فِي سُلُوكِهِ خَلَلٌ وَجُمُودْ ... وَضَرَرٌ بَالِغٌ وَبِذَا يُخَالِفُ ٱلْعُهُودْ

قَالَ ﷺ : " ٱلْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ "[1] .

ٱلْحِقْدُ يُوَلِّدُ ٱلْحَسَدَ ٱلشَّنِيعَ بِٱلْبَاطِنِ ... فَيَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ سُلُوكِ ٱلْمُوَاطِنِ

فَمَنْ حَارَبَ ٱلْحَسَدَ بِطَاعَتِهِ وَتَقْوَاهُ ... رَضِيَ عَنْهُ مَوْلَاهُ لِأَنَّهُ ٱنْتَصَرَ عَلَى هَوَاهُ

فَيَنَالُ أَجْرًا عَظِيمًا وَثَوَابًا جَزِيلًا ... وَيَكُونُ بَعِيدًا عَنِ ٱلنَّارِ وَبِٱلْجَنَّةِ نَزِيلًا

هَٰذِهِ ٱلْمُحَارَبَةُ مَرْبُوطَةٌ بِمُجَاهَدَةِ ٱلنُّفُوسِ ... لِطَرْدِ أَرْذَلِ ٱلضَّغَائِنِ وَمَحْوِ ٱلْكَابُوسِ

ٱلْحَسَدُ يُسَبِّبُ أَضْرَارًا لِجِهَازِ ٱلرَّابِطَةْ ... يُصَابُ قَلْبُ ٱلْمُرِيدِ وَتُصْبِحُ أَحْوَالُهُ سَاقِطَةْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨١

اَلْحَاسِدُ يَضِيقُ صَدْرُهُ مِنْ فَلَاحِ ٱلسَّالِكِ

اَلْحَاسِدُ يَضِيقُ صَدْرُهُ إِنْ أَصَابَكَ سُرُورْ   وَيَخْتَنِقُ إِذَا لَاحَتْ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ فِي ظُهُورْ

لَا يُحِبُّ خَيْرًا يُصِيبُ فُؤَادَكَ   وَيُحِبُّ وُقُوعَكَ دَوْمًا لِيَدُوسَكَ جَوَادُكَ

بَسْمَتُهُ لَكَ صَفْرَاءُ مُضِرَّةٌ مُكْرِبَةٌ   وَنَظْرَتُهُ كَئِيبَةٌ مَكَّارَةٌ لَعُوبَةٌ مُخَرِّبَةٌ

يُنَافِقُ وَيَقْلِبُ لَكَ ٱلْأُمُورْ   حَسُودٌ بَغِيضٌ مَمْلُوءٌ بِٱلشُّرُورْ

لَا يَثْبُتُ وَجْهُهُ ٱلْكَئِيبُ عَلَى صُورَةْ   وَيَحْفُرُ لَكَ بِحِقْدِهِ حُفْرَةً خَطِيرَةً مَشْهُورَةْ

يَتَمَنَّى إِزَالَةَ ٱلنِّعْمَةِ عَنْكَ   وَحُلُولَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلْفَقْرِ وَٱلضَّعْفِ عَلَيْكَ

يَرْغَبُ فِي إِزَاحَتِكَ عَنِ ٱلنِّعْمَةِ   وَٱلْحُصُولِ عَلَيْهَا بِأُسْلُوبِ ٱلضَّرَرِ وَٱلنِّقْمَةِ

يُجَاهِدُ لِقَلْبِ حَالِكَ وَٱلْإِبْتِلَاءْ   لِتَبْقَى مَعَ أَحْبَابِكَ بِضَيْمٍ أَذِلَّاءْ

لَهُ قَلْبٌ أَسْوَدُ غَلِيظٌ قَاسِي   وَنَفْسٌ شِرِّيرَةٌ مِنْهَا ٱلنَّاسُ تُقَاسِي

وَعَيْنٌ تَقْدَحُ نَارًا تُصِيبُ   بِشَظَايَا حَارِقَةٍ مَنْ مَسَّتْهُ مِنْهَا لَا يَطِيبُ

يَتَمَنَّى أَنْ يَسْقِيَكَ ٱلسُّمَّ ٱلْمُمِيتْ   وَيُرْدِيكَ بِحُفْرَةٍ نَتِنَةٍ ذَائِعَةِ ٱلصِّيتْ

لَا يُحِبُّ ٱلْخَيْرَ وَٱلْفَضْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ   وَيَتَمَنَّى أَسْوَأَ ٱلْأَحْوَالِ أَنْ تَكْوِيَكَ

يَسْعَى لِيُغْلِقَ عَلَيْكَ كُلَّ بَابِ   وَيَسُدَّ ٱلْمَنَافِعَ عَلَيْكَ بِأَغْلَظِ حِجَابِ

شَاهَدْنَا مِثْلَ ذَلِكَ بِخَانِقَاهِ ٱلْمُرْشِدِينَ   بِلِحْيَةٍ وَسُبْحَةٍ وَلَفَّةٍ وَبِالْآدَابِ مُتَسَتِّرِينَ

إِذَا أَصَابَتْكَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ   ٱسْوَدَّ قَلْبُهُ وَتَطَوَّرَتْ أَحْقَادُهُ ٱللَّئِيمَةُ

عَلَى أَعْمَالِكَ حَسَدُهُ مُسْتَمِرٌّ   فِي سَائِرِ أَنْظَارِهِ وَأَقْوَالِهِ شَرٌّ مُضِرٌّ

لِسَانُهُ كَلِسَانِ ثُعْبَانٍ طَوِيلٍ لَسَّاعِ   مَنْ أَصَابَهُ بِهِ صَارَ فِي ضَيَاعِ

لَهُ نَفْسٌ دَنِيَّةٌ خَبِيثَةٌ شِرِّيرَةْ   كَذُوبٌ خَدَّاعٌ مُنَافِقٌ سَيِّئُ ٱلسَّرِيرَةْ

إِحْذَرْهُ فِي كُلِّ جَلَسَاتِهِ ٱلْمُضْنِيَةْ ... كَمْ أَصَابَ بِحَسَدِهِ ٱلْأَجْهِزَةَ ٱلصَّدْرِيَّةْ

إِذَا رَزَقَكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ ... يَتَقَلَّبُ ضِيقًا مَخْنُوقًا بِٱلْحَسَرَاتِ

لَا يُسَلِّمُ وَلَا يَرْضَى بِمَا جَاءَ بِٱلْقَضَاءْ ... حِقْدُهُ وَحَسَدُهُ قَدْ لَوَّثَ ٱلْفَضَاءْ

وَلَا تَسْتَغْرِبْ مَا نَقُولُهُ أَيُّهَا ٱلسَّامِعْ ... لَقَدْ أُصِبْنَا بِهِ وَلِضَرَرِنَا ٱجْتَازَ كُلَّ ٱلْمَوَانِعْ

يَكْرَهُ ٱلْحَقَّ وَيُحِبُّ ٱلنِّفَاقَ وَٱلْبَاطِلْ ... لَا يَمَلُّ مِنَ ٱلْأَذَى وَفِكْرُهُ قَاتِلْ

أَعُوذُ بِٱللهِ تَعَالَى رَبِّ ٱلْفَلَقْ ... مِنْ شُرُورِ أَنْظَارِهِ وَشَرِّ مَا خَلَقْ

أَسْتَغِيثُ مِنْهُ بِإِلَٰهٍ وَاحِدٍ أَحَدْ ... مِنْ شَرِّهِ وَحَسَدِهِ أَلَّا يُصِيبَ أَحَدْ

كَأَمْثَالِ فُلَانٍ سَارِقِ ٱسْمِ ٱلْخِلَافَةِ ... ٱلَّذِي دَمَّرَ ٱلطَّرِيقَةَ وَحَطَّمَهَا بِٱلْخُرَافَةِ

نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ٱللهُ بِقَدَرْ ... وَلَوْ ذُقْنَا مِنَ ٱلْحَاسِدِ مَسَّ سَقَرْ

فَإِنَّهُ يُحِبُّ لَكَ ٱلْوُقُوعَ بِٱلْفُخُوخِ ... وَٱلضَّرْبَ عَلَى ٱلْقَلْبِ وَٱلنَّافُوخِ

وَيَتَمَنَّى لَكَ سُوءَ ٱلْحَظِّ وَٱلْخَسَارَةْ ... وَأَنْ تُحْشَرَ مَعَ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَى

وَهُنَالِكَ أُمُورٌ أَخْطَرُ مِنْ ذَلِكْ ... قَدْ سَبَّبَتْ إِزْعَاجًا وَتَعَبًا كَثِيرًا لِلسَّالِكْ

كَأَنْ يَأْتِيَ ٱلْمُرِيدُ وَيَضَعَ قَلْبَهُ ... فِي مُوَاجَهَتِهِ، يَقْصِدُ ضَرْبَهُ وَسَلْبَهُ

فَيُخَاطِرُ ٱلْمُرِيدُ بِخَوَاطِرَ مُؤْذِيَةْ ... وَيُسَبِّبُ لَهُ تَشْوِيشًا وَصُوَرًا مُعَادِيَةْ

كَظُهُورِ وَسَاوِسَ وَخَيَالَاتٍ مُرْعِبَةِ ... تُعَكِّرُ صَفْوَ قَلْبِهِ بِطَرِيقَةٍ مُتْعِبَةِ

كَأَنَّمَا يُكَهْرِبُ لَهُ قَلْبَهُ وَأَعْصَابَهُ ... وَيَظُنُّ أَنَّهُ بِأَذِيَّتِهِ قَدْ أَصَابَهُ

فَتَتَبَدَّلُ صُورَةُ رَابِطَةِ ٱلسَّالِكِ بِغَيْرِهَا ... وَتَظْهَرُ لَهُ صُورَةٌ غَرِيبَةٌ فِي سَيْرِهَا

فَيَسْتَجِيرُ بِٱللهِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْأَلَمْ ... وَيَفِرُّ إِلَى مُرْشِدِهِ فَيَتَعَالَجُ بِدُونِ أَنْ يَتَكَلَّمْ

فَتَظْهَرُ لِلْمُرْشِدِ عِلَّتُهُ مِنْ آثَارِ عُيُونِهِ ... وَتَظْهَرُ لَهُ صُورَةُ ٱلْمُؤْذِي بِكُلِّ فُنُونِهِ

فَيَسْتَجِيرُ ٱلْمُرْشِدُ بِٱللهِ بِطَرِيقَةِ ٱلْأَمْدَادِ ... وَيُسَلِّطُ عَلَى ٱلصُّورَةِ نُورًا بِهِمَّةِ ٱلْأَسْيَادِ

وَيُذَوِّبُهَا كَمَا يُذَوَّبُ ٱلْمِلْحُ بِٱلْمَاءِ ... فَتَعُودُ حَالَةُ ٱلسَّالِكِ إِلَى ٱلصَّفَاءِ

وَبَعْضُهُمْ يُؤْذِي ٱلْمُرِيدَ بِطَرِيقَةٍ عَجِيبَةْ فَيُرْسِلُ لِقَلْبِ ٱلسَّالِكِ إِشَارَاتٍ رَهِيبَةْ
كَأَنَّمَا يَسْحَبُ لَهُ قَلْبَهُ بِحَبْلِ فَيُؤْلِمُهُ بِشِدَّةٍ كَضَرَبَاتِ ٱلرُّمْحِ وَٱلنَّبْلِ
وَذَلِكَ لِيَطَّلِعَ عَلَى مَعْنَوِيَّاتِ حَالَتِهِ وَلَا يَهْتَمُّ لِمَا فَعَلَ لِشِدَّةِ حَمَاقَتِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَلِّطُ أَنْظَارَهُ ٱلْخَارِقَةَ خَلْفَ رَأْسِهِ لِيَرَى عَلَامَاتِهِ ٱلْفَارِقَةَ
فَيَشْعُرُ ٱلسَّالِكُ بِحَرَارَةٍ شَدِيدَةٍ فِي أَعْلَاهُ وَيَظُنُّ بِدَايَةً حُمَّى أَصَابَتْهُ مِنْ مَوْلَاهُ
فَيَضِيقُ صَدْرُهُ كَأَنَّهُ سَيَنْفَجِرُ قَبْضًا وَتَزْدَادُ دَقَّاتُ قَلْبِهِ حَرَارَةً وَنَبْضًا
هُنَالِكَ أَضْرَارٌ أُخْرَى مُتْعِبَةْ مِنْ تِلْكَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلْبَاطِلَةِ مُتَشَعِّبَةْ
مُقَابِلَ ٱلسَّالِكِ يَجْلِسُ ٱلْحَسُودُ ٱلْمُتَخَاطِرْ وَيَصُبُّ عَلَيْهِ ذَبْذَبَاتٍ مَمْلُوءَةً بِٱلْخَوَاطِرْ
إِلَى أَنْ يُوقِفَ ذِكْرَ قَلْبِهِ ٱلْمُطَّلِعُ فَيَدْخُلُ عَلَى عَقْلِهِ وَفِكْرِهِ وَيَطَّلِعُ
وَيَقْرَأُ لَهُ مَا فِي صَدْرِهِ وَيَطُوفْ كَأَنَّهُ يَقْرَأُ صَحِيفَةً مِنْ حُرُوفْ
فَيُصِيبُهُ بِأَلَمٍ فِي صَدْرِهِ وَكَبِدِهِ وَيَشْعُرُ كَأَنَّ تَصَدُّعًا أَصَابَهُ فِي جَسَدِهِ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " **ٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ** "[1].

وَهُنَالِكَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ لِلْغَايَةِ كَذَلِكَ يَسْتَعْمِلُ ٱلْمُكَاشِفُ عَصَا أَذِيَّتِهِ لِيُوقِعَ ٱلْمَهَالِكَ
يَضَعُهَا عَلَى قَلْبِ ٱلسَّالِكِ أَوْ أَكْتَافِهِ فَيَعْلَمُ حَالَاتِ سُلُوكِهِ بِسَائِرِ أَصْنَافِهِ
وَإِنْ شَاءَ يَضَعُ أَطْرَافَ أَصَابِعِهْ فَيُشَاهِدُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لِلسَّالِكِ مَنَابِعُهْ
فَمَنْ يُصَبْ بِتِلْكَ ٱلْأَحْوَالِ ٱلضَّارَّةِ فَلَنْ يُزِيلَهَا إِلَّا بِأَذْكَارِ ٱللهِ ٱلْحَارَّةِ
وَهُنَالِكَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ مِنَ ٱلْعُلُومِ ٱلْكَشْفِيَّةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا ٱلسَّادَةُ أَصْحَابُ ٱلطُّرُقِ ٱلْعَلِيَّةِ

ٱلْأَعْدَاءُ وَٱلْحَاسِدُونَ يَمْكُرُونَ عَلَى ٱلزَّاهِدِينَ

قَدْ يُرْسِلُ ٱلْأَعْدَاءُ جَوَاسِيسَ لِيَخْتَرِقُوا أَجْوَاءَ ٱلذَّاكِرِينَ وَبَيْنَهُمْ يَخْتَفُونَ لِيَبُثُّوا
بَيْنَهُمْ سُمُومَ ٱلِاخْتِلَافِ لِلْإِفْسَادِ وَإِيقَاعَ ٱلْفِتَنِ وَبَثَّ ٱلْأَضْرَارِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨٧

يَرْمُونَ أَلْفَ كِذْبَةٍ عَلَى السَّالِكِ   وَقَصْدُهُمْ إِيقَافُهُ عَنِ الذِّكْرِ وَالْمَسَالِكِ

وَيُرَوِّجُونَ أَقَاوِيلَ لَا صِحَّةَ لَهَا   وَيَمْزُجُونَ الْفَسَادَ وَالْافْتِرَاءَ ضِمْنَهَا

وَيَضَعُونَ عَلَيْهَا بَهَارَاتٍ كَاذِبَةً هِنْدِيَّةْ   وَيُقَدِّمُونَهَا لِمُرْشِدِهِ لِيَطْرُدَهُ بِتِلْكَ الْقَضِيَّةْ

فَيَنْظُرُ الْمُرْشِدُ لِقَلْبِهِ بِعَيْنِ الْمُكَاشَفَةِ   فَيَجِدُهُ صَادِقًا نَظِيفًا مِنَ الْمُخَالَفَةِ

وَيَنْشُرُونَ أَقْوَالًا وَمَفَاسِدَ مُضِرَّةً حَدِيثَةْ   وَأَقْوَالًا لَا صِحَّةَ لَهَا ظُلْمَانِيَّةً خَبِيثَةْ

وَبِكَثِيرٍ مِنَ السَّرِقَاتِ وَالْخِيَانَةِ يَتَّهِمُونَهُ   وَلِلْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَلِلْفِسْقِ يَنْسِبُونَهُ

يَقُولُونَ إِنَّهُ يَدَّعِي الطَّيَرَانَ بِالْهَوَاءْ   وَيَتَوَجَّهُ عَلَى قَلْبِ مَنْ لَهُ جَاءْ

اِدَّعَى ذَلِكَ بَعْضُ الْمُخَادِعِينَ وَفِرْقَتُهُ الْعَمِيلَةْ   الَّذِي خَانَ الدِّينَ وَالصُّحْبَةَ بِدَنَانِيرَ عَلِيلَةْ

قَصْدُهُمْ فَضُّ النَّاسِ بِذَلِكَ عَنْهُ   خَوْفًا مِنَ انْتِشَارِ دَعْوَتِهِ وَتَخَلُّصًا مِنْهُ

فَلَا يُفْلِحُونَ بِكُلِّ مَا فَعَلُوهُ وَلَهُ نَسَبُوهُ   فَيَطْلُبُونَ مِمَّنْ حَوْلَهُ أَنْ يُسَمِّمُوهُ

فَيَشْرَبُ السُّمَّ وَلَا يَضُرُّهُ بِإِذْنِ مَوْلَاهُ ﷻ   فَيُلَغِّمُونَ بَابَ دَارِهِ لِيَنْسِفُوهُ وَمَا حَوَاهُ

فَلَا يَنْفَجِرُ اللُّغْمُ وَيَبْدُو كَأَنَّهُ صَامِتْ   هَذَا فِعْلُ الْحَسُودِ الضَّالِّ السَّاقِطْ

هَذَا مَا حَصَلَ مَعَ كَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ   وَلَوْ كَانَتْ عِنْدَهُمُ الْجُرْأَةُ لَقَتَلُوهُ بِالسَّاطُورِ

اِتَّهَمُوهُ بِالْجَاسُوسِيَّةِ وَنَقْلِ الْأَخْبَارْ   وَأَنَّهُ يَجْمَعُ صُوَرَ الْمَوَاقِعِ وَالْأَسْرَارْ

فَأَدْخَلُوهُ بِسِجْنِ بَغْدَادَ "أَبُو غُرَيْبْ"[1]   وَسَلَّطُوا عَلَيْهِ مَا يَجْعَلُ الرَّأْسَ يَشِيبْ

وَأَدْخَلُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِأُوفِينْ[2] مِنْ سُجُونِ إِيرَانَ   وَلَمْ يُوَفِّرُوا سَنَنْدَجَ وَعَابِدَانَ وَطَهْرَانَ

وَأُخْلِيَ سَبِيلُهُ بِخُطَّةٍ مَدْرُوسَةِ   بِصَحْرَاءَ مَا بَيْنَ عَابِدَانَ وَالْبَصْرَةِ الْمَحْرُوسَةِ

ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ الْقَبْضَ حَرَسُ الْحُدُودِ   حَيْثُ الضِّبَاعُ الْمُفْتَرِسَةُ وَآلَافُ الْجُنُودِ

ثُمَّ أُخْلِيَ سَبِيلُهُ بَعْدَمَا عَلِمُوا   أَنَّهُ مَظْلُومٌ وَحَزِنُوا عَلَيْهِ وَتَأَلَّمُوا

فَنَجَى بِأُعْجُوبَةٍ وَقَطَعَ خَلِيجَ فَارِسْ   وَنَجَّاهُ اللهُ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْكَوَارِثْ

لَمْ يُفْلِحُوا بِسِحْرِهِمْ وَمَا عَلَيْهِ افْتَرَوْا   فَرَوَّجُوا افْتِرَاءَاتِهِمْ وَلِضَلَالِهِمْ نَشَرُوا

(١) أَبُو غُرَيْب : سِجْنٌ فِي بَغْدَادَ .

(٢) سِجْنُ أُوفِين : مِنْ أَخْطَرِ سُجُونِ إِيرَانَ فِي طَهْرَانَ .



مِنَ ٱلْحَسَدِ ٱلْقَلْبُ فَسَدْ

لِلَّهِ ٱلْمُشْتَكَى مِمَّا حَلَّ بِٱلْبَلَدْ ... حِقْدٌ وَتَكْفِيرٌ وَمَكْرٌ وَحَسَدْ

اِسْوَدَّ وَجْهُ صَاحِبِهِ وَقَلْبُهُ فَسَدْ ... وَمِنْ قُبْحِ أَعْمَالِهِ أَزْهَقَ ٱلْجَسَدْ

اِسْتَعْلَتِ ٱلنَّفْسُ كِبْرًا وَتَنَطَّعَ ٱلْوَلَدْ ... وَتَفَتَّتَ غَيْرَةً وَكَانَ فِي كَبَدْ

تَدَمَّرَ ٱلصَّوَّانُ بِشَرِّهِ بَعْدَ جَمَدْ ... وَطَرَحَ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَحْلَ ٱلْأَسَدْ

لَوْ آمَنَ حَقًّا وَرَبَّهُ ﷻ عَبَدْ ... مَا كَانَ قَلْبُهُ بِٱلْحَسَدِ تَلَبَّدْ

إِنْ حَلَّ بِكَ نِعْمَةٌ أَصَابَهُ كَمَدْ ... وَإِنْ أَصَابَكَ مَكْرُوهٌ ٱنْسَرَّ وَحَمَدْ

وَإِنْ مُتَّ ٱرْتَاحَ صَدْرُهُ وَهَمَدْ ... أَجَارَنَا مِنْ أَذَاهُ ٱلْفَرْدُ ٱلصَّمَدْ ﷻ

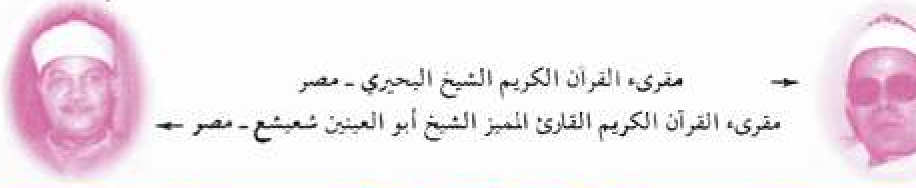
وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدُنَا ٱللَّهَ وَتَعَبَّدْ ... يُطْعَنُ وَيُجَرَّحُ وَيُتَّهَمُ إِلَى ٱلْأَبَدْ

كَأَنَّهُ مِنَ ٱلطَّعْنِ ٱسْتَشْهَدْ ... لَا نَجَاةَ وَلَوْ كُنْتَ بِمَسْجِدِ ٱلْبَلَدْ

تَحَصَّنْتُ بِقُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدْ ... وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدْ

فَخُذْ تِلْكَ ٱلْوَصْفَةَ لَكَ سَنَدْ ... وَٱلْتَجِئْ لِإِلَٰهٍ رَفَعَ سَمَاءً بِلَا عَمَدْ

وَصَلِّ بَعْدَهَا عَلَى مُحَمَّدْ ﷺ ... وَٱنْتَظِرْ فَرَجًا بِظُهُورِ ٱلْمَسِيحِ ﷺ ٱلْأَمْجَدْ



مقرىء القرآن الكريم الشيخ البحيري ـ مصر ←

مقرىء القرآن الكريم القارئ المميز الشيخ أبو العينين شعيشع ـ مصر ←

ٱلْغُرُورُ يُبْعِدُ عَنْ عِبَادَةِ ٱلرَّبِّ ٱلْغَفُورِ

ٱلْغُرُورُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْجَهْلِ وَهُوَ ... سُكُونُ ٱلنَّفْسِ ٱلْعَلِيلَةِ إِلَى مَا يُوَافِقُ ٱلْهَوَى
وَيَمِيلُ إِلَيْهِ ٱلطَّبْعُ مِنْ شُبْهَةٍ وَخُدْعَةٍ ... يَحُوكُهَا ٱلشَّيْطَانُ ضِمْنَ مَفَاسِدِهِ ٱلْمُرَوِّعَةِ
فَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ بِمَأْمَنٍ مَمْكُورٌ ... بِهِ وَمَغْرُورٌ عَلَى مَدَى ٱلْأَيَّامِ وَٱلشُّهُورْ
كَمْ مِنْ عَاشِقٍ لِلدُّنْيَا بِزِينَتِهَا أَغْرَتْهُ ... وَكَمْ مِنْ تَابِعٍ لِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ أَفْسَدَتْهُ
قال الشاعر
طَفِحَ ٱلسُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّنِي ... مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي
لِلْعُصَاةِ بِٱلدُّنْيَا غُرُورٌ مُرْعِبٌ مُشِينٌ ... يَرْزُقُهُمُ ٱللهُ كُنُوزًا وَهُوَ لَهُمْ مُهِينٌ
يَقِيسُونَ حَالَهُمْ بِمِقْيَاسِ إِبْلِيسَ ٱللَّعِينْ ... وَيَقُولُونَ هَذَا ٱلنَّعِيمُ رِضًى مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينْ
يَنْظُرُونَ إِلَى نِعَمِ ٱللهِ بِٱلدُّنْيَا عَلَيهِمْ ... وَيَظُنُّونَ أَنَّهَا رَاجِعَةٌ بِٱلآخِرَةِ إِلَيهِمْ

قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ حَدِيقَةٍ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (الكهف ٣٥ - ٣٦)

قَالُوا قَدْ أَحْسَنَ ٱللهُ بِٱلدُّنْيَا إِلَيْنَا ... وَنَحْنُ لَا صَلَّيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا زَكَّيْنَا
وَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّنَا عَلَى حَقٍّ وَلِذَلِكَ أَكْرَمَنَا ... فَوَقَعُوا بِغُرُورِ ٱلتَّلْبِيسِ ٱلَّذِي شَرَحْنَا
كَانَ أَرْبَابُ ٱلْبَصَائِرِ إِذَا أَقْبَلَتْ ... عَلَيْهِمُ ٱلدُّنْيَا حَزِنُوا وَقَالُوا ذَنْبٌ عُجِّلَتْ
عُقُوبَتُهُ وَرَأَوْا ذَلِكَ عَلَامَةَ ٱلْمَقْتِ ... وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْفَقْرُ بِذَلِكَ ٱلْوَقْتِ
قَالُوا مَرْحَبًا بِشِعَارِ ٱلصَّالِحِينْ ... وَٱلْمَغْرُورُ إِقْبَالُ ٱلدُّنْيَا عَلَيهِ صَيَّرَهُ كَٱلْمَجَانِينْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: "**إِذَا رَأَيْتَ ٱللهَ تَعَالَى يُعْطِي ٱلْعَبْدَ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ ٱسْتِدْرَاجٌ**". (الفتح الكبير ج١ ص ١١٢)

عَلَيْنَا أَنْ لَا نُهْمِلَ تَفَقُّدَ ٱلْجَوَارِحِ وَحِفْظَهَا ... مِنَ ٱلْمَعَاصِي وَإِلْزَامَهَا بِٱلطَّاعَاتِ وَتَزْكِيَتَهَا

لِيَحْذَرِ الْمُرِيدُ مِنْ مَرَضِ الْغُرُورْ
الَّذِي يُسَبِّبُ لِلنَّفْسِ الْعِلَلَ وَالشُّرُورْ

مِنْ مَفَاتِيحِ السَّعَادَةِ التَّيَقُّظُ وَالْفِطْنَةْ
مِنَ الْغُرُورِ وَالْغَفْلَةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالنِّقْمَةْ

فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ شَرَحَ بِالْهِدَايَةِ صَدْرَهُ
وَكَانَ لَهُ مِشْكَاةُ نُورٍ تُضِيءُ قَبْرَهُ

الْمُغْتَرُّونَ الْمُعَانِدُونَ للهِ قُلُوبُهُمْ مُسْوَدَّةْ
كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ لِشِدَّةِ الرِّدَّةْ

فَجَعَلَ اللهُ صَدْرَهُمْ ضَيِّقًا حَرَجًا
وَالْمُؤْمِنُ مَنْ جَعَلَ اللهُ لَهُ فَرَجًا

فَالضَّالُّ اتَّخَذَ الْهَوَى لَهُ قَائِدًا
وَالْمُؤْمِنُ اتَّخَذَ الْإِسْلَامَ دَلِيلًا رَائِدًا

قِيلَ الْغُرُورُ هُوَ أُمُّ الشَّقَاوَاتِ
يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِ الْمُهْلِكَاتِ

قَالَ ﷻ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان ٣٣)

كَمْ مِنْ رَاكِبٍ لِلسُّفُنِ فِي الْبِحَارِ
يَسْعَى فِي تِجَارَتِهِ بِالْبُلْدَانِ وَالْأَسْفَارِ

غَرَّتْهُ الدُّنْيَا فَمَاتَ وَمَا تَعَبَّدَ لِلْغَفَّارِ
فَأَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ عَذَابَ النَّارِ

فَمَنْ يُضَيِّعْ حَقَّ اللهِ فَهُوَ مَغْرُورْ
يَعْصِي بِاللِّسَانِ وَالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ كُلَّ الشُّهُورْ

الْمَغْفِرَةُ مَنُوطَةٌ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ
وَلَيْسَ بِالْمَعْصِيَةِ وَالتَّمَادِي بِالْأَمَلِ

الْمُطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا عَلَى سِكَّةِ الْغُرُورْ
لَمْ يَعْمَلْ لِيَسْهُلَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ وَالْمُرُورْ

غُرُورُ الْكَافِرِ

كَمْ مِنْ كَافِرٍ مَغْرُورٍ بِعِبَادَتِهِ الْفَاسِدَةْ
وَكَمْ مِنْ مُشْرِكٍ مُوبِقَاتُهُ عَلَيْهِ عَائِدَةْ

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران ١٨٥)

وَإِذَا أَرْشَدْتَهُمْ إِلَى خَيْرِ الْإِسْلَامْ
يَضْحَكُونَ بِاسْتِهْزَاءٍ قَائِلِينَ مَا هَذَا الْكَلَامْ

وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ
فَهَذَا مَحْضُ غُرُورٍ وَكِبْرٍ مَالُوا إِلَيْهِ

كُلَّمَا أَحْدَثَ الْكَافِرُ ذَنْبًا أَحْدَثَ اللهُ لَهُ نِعْمَةْ
لِيَزِيدَهُ غُرُورًا وَيَنَالَ أَشَدَّ نِقْمَةْ

ظَنَّ أَنَّهَا كَرَامَةٌ مِنَ اللهِ وَإِذَا صُرِفَتْ عَنْهُ
ظَنَّ أَنَّهَا هَوَانٌ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ

قَالَ ٱللَّهُ ﷻ: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ (الأنعام ٤٤)

كَمْ أَعْطَى ٱللَّهُ فِرْعَونَ وهَامَانْ ... وَهُمَا عَلَى كُفْرِهِمَا وَضَلَالِهِمَا شَقِيَّانْ

ثُمَّ دَمَّرَهُمَا تَدْمِيرًا فَٱلْمَقْصُودُ ... أَلَّا يَأْمَنَ ٱلْعَبْدُ مَا ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَجُودُ

قَالَ ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف ١٨٢)

ٱلْمَغْرُورُ وَٱلْعِلْمُ

يَجِبُ عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَلَّا يَغْتَرَّ بِعِلْمِهِ ... بَلْ يُرَكِّزُ عَلَى ٱلطَّاعَةِ فَوْقَ فَهْمِهِ

غُرُورُهُ قَدْ يَدْفَعُهُ إِلَى هَجْرِ ٱلْفَرَائِضِ ... فَيُهْمِلُ تَفَقُّدَ ٱلْجَوَارِحِ مِنْ كُلِّ عَارِضِ

وَلْيَتَجَنَّبِ ٱلْمَعَاصِي وَلْيُلْزِمْ نَفْسَهُ بِٱلطَّاعَاتِ ... وَلَا يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ مَكَانًا بِٱلْعِلْمِ وَٱلْعِبَادَاتِ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَزْدَادَ عِلْمًا وَهُدَى ... حَتَّى يَنْجُوَ عَلَى طُولِ ٱلْمَدَى

وَلَا يَقُولُ: ٱلْبَاطِنُ هُوَ لُبُّ ٱلشَّرِيعَةِ ... فَتِلْكَ أَقْوَالٌ يَسْتَعْمِلُهَا ٱلْبَعْضُ كَذَرِيعَةِ

فَٱلطَّرِيقَةُ مِنَ ٱلشَّرِيعَةِ وَٱلشَّرِيعَةُ مِنْهَا فَهُمَا ... لُبُّ ٱلإِسْلَامِ فَلَا تُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا

قَالَ ﷺ: "مَنِ ٱزْدَادَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ فِي ٱلدُّنْيَا زُهْداً لَمْ يَزْدَدْ مِنَ ٱللهِ إِلاَّ بُعْداً"[1].

وَقَالَ أَيْضًا ﷺ: "عُلَمَاءُ ٱلسُّوءِ جُسُورُ جَهَنَّمَ"[2].

ٱلْعِلْمُ يُورِثُ ٱلْخَوْفَ وَٱلْهَيْبَةَ وَٱلْخُشُوعْ ... وَيَحْمِلُ عَلَى ٱلتَّقْوَى وَتَرْكِ كُلِّ مَمْنُوعْ

فَلَا تَمِلْ بِقَلْبِكَ إِلَى مَا ٱلشَّيْطَانُ يَهْوَاهُ ... قَلَّ وَنَدَرَ مَنْ فَهِمَ لِقَوْلِنَا مَعْنَاهُ

فَمَنْ خَافَ ٱللهَ كَخَوْفِهِ مِنَ ٱلأُسُودْ ... فَهَذَا ٱلنَّاجِي مِنْ غُرُورِ عِلْمِهِ وَيَسُودْ

مَنْ تَفَقَّدَ قَلْبَهُ مِنَ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَذْمُومَةْ ... فَهَذَا قَدْ دَفَعَ لِلنَّجَاةِ عَرْبُونَهْ

وَمَنْ زَيَّنَ ٱلْبَاطِنَ وَٱلظَّاهِرَ بِٱلْعِلْمِ وَٱلطَّرِيقَةْ ... فَهُوَ ٱلْمَعْدُودُ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَقِيقَةْ

فَلَا تَكُنْ كَقُبُورِ ٱلْمَوْتَى ظَاهِرُهَا ... مُزَيَّنٌ وَجِيفَةٌ نَتِنَةٌ فِي عُمْقِ بَاطِنِهَا

(١) الفتح الكبير ج ٣ ص ١٥٦

(٢) كشف الخفاء ج٢ ص ٦٤

ٱلْغَضَبُ وَإِطْفَاءُ لَهَبِهِ

لِيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ ٱلْغَضَبَ شُعْلَةُ نَارْ — فَمَنْ غَضِبَ لِغَيْرِ ٱللهِ لَظَى ٱلنَّارِ ٱسْتَعَارْ

ٱلْغَضَبُ يُسَبِّبُ حَرَكَةً سَيِّئَةً وَٱضْطِرَابْ — يُضَيِّعُ لِصَاحِبِهِ ٱلْوَقَارَ وَيُسَبِّبُ ٱلْخَرَابْ

فَقَدْ يَسُوقُ ٱلنَّفْسَ لِمَيْدَانِ ٱلْعَطَبِ — يَجْرَحُهَا كَمَا يَجْرَحُ ٱلْيَدَ شُرُوخُ ٱلْقَصَبِ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَحْذَرَهُ وَيَتَّقِيَهُ — وَيُمِيطَهُ عَنْ قَلْبِهِ وَعَنْ نَفْسِهِ يَنْفِيَهُ

وَيُعَالِجَهُ بِذِكْرِ ٱلْقَلْبِ وَبِٱلطَّاعَةِ يُدَاوِيَهْ — وَمَنْ لَا يَتَّقِي ٱلشَّرَّ وَٱلْغَضَبَ يَقَعُ فِيهْ

يُمْكِنُ كَسْرُ ٱلْغَضَبِ بِٱلتَّقْوَى وَإِضْعَافُهُ — وَمَا لَا يُمْكِنُ مَحْوُهُ يُمْكِنُ بِٱلطَّاعَةِ تَخْفِيفُهُ

وَٱلْغَضَبُ مَصْيَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ يَسْتَأْنِسُ بِهْ — يَضَعُ سُمُومَهُ لِلْمُرِيدِ حِينَ ٱلْغَضَبِ لِيُرْدِيَهْ

فَلْيَرُدَّ ٱلْغَضَبَ بِٱلْكَظْمِ وَيُسَكِّنْهُ بِٱلتُّؤَدَةِ(1) — فَٱلْحِدَّةُ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ هِيَ أَسْوَأُ عُدَّةٍ

عِنْدَ حِدَّةِ ٱلْغَضَبِ يُقَلِّبُ ٱلشَّيْطَانُ — أَحْوَالَ ٱلْإِنْسَانِ كَمَا يُقَلِّبُ ٱلْكُرَةَ ٱلصِّبْيَانُ

ٱلْغَضَبُ فِيهِ مِفْتَاحُ ٱلشَّرِّ ٱلْقَبِيحْ — وَٱلْحِلْمُ فِيهِ عِلَاجٌ لِلْقَلْبِ لِيَسْتَرِيحْ

إِذَا غَضِبَ ٱلْإِنْسَانُ قَالَ مَا لَا يَعْلَمُ — وَحِينَ ٱلْحِدَّةِ يَعْمَلُ بِٱلَّذِي عَلَيْهِ يَنْدَمُ

ٱلْغَضَبُ يَقُودُ ٱلنَّاسَ إِلَى مَذَلَّةِ ٱلِٱعْتِذَارِ — لِأَنَّهُ إِذَا غَضِبَ يَفْعَلُ فِعْلَ ٱلْأَشْرَارِ

حِينَ ٱلْغَضَبِ ٱلشَّدِيدِ ٱلْعَقْلُ يَتَقَهْقَرُ — وَبِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْحِلْمِ ٱلْعَقْلُ مِنْهُ يَتَحَرَّرُ

إِنِ ٱشْتَعَلَ ٱلْغَضَبُ فَٱلدَّمُ يَغْلِي وَيَثُورْ — أَجَارَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ يَوْمِ ٱلنُّشُورْ

فَتَتَوَجَّهُ قُوَّةُ ٱلْغَضَبِ لِلِٱنْتِقَامِ — وَتَسْكُنُ بَعْدَ تَنْفِيذِ أُمُورٍ عِظَامِ

فِي ٱلْغَضَبِ سَيْفٌ يَقْطَعُ وَلَا يَنْفَعُ — يُذِلُّ صَاحِبَهُ وَحِدَّتُهُ لَا تَشْفَعُ

يُخْرِجُ ٱلْغَضَبُ ٱلْبَعْضَ عَنِ ٱلدِّينِ فَيَشْتُمُ ٱلْجَبَّارْ — وَلَا يُبْقِي مَعَهُ بَصِيرَةً وَلَا نَظَرًا وَلَا ٱخْتِيَارْ

لِأَنَّهُ يُصِمُّ أُذُنَهُ عَنْ قَبُولِ ٱلْمَوْعِظَةِ — وَيُسَيْطِرُ عَلَى ٱلْحَوَاسِّ بِطَرِيقَةٍ مُرَوِّعَةِ

(1) ٱلتُّؤَدَةُ: ٱلتَّأَنِّي وَٱلتَّمَهُّلُ.

فَتَسْـوَدُّ بِنَظَـرِهِ ٱلـدُّنْيَا بِأَسْـرِهَا   وَتَتَقَلَّـبُ ٱلـنَّفْسُ غَيْظًـا فِي هَوَاهَـا
يَصِيرُ ٱلْغَضْبَانُ بِصُورَةٍ مُفْزِعَةٍ قَبِيحَةٍ   فَيَشْـتُمُ شَـتَائِمَ بَذِيئَـةً وَغَيْرَ مُرِيحَـةٍ
وَيَقَعُ مِنْهُ تَهَجُّمٌ قَدْ يَصِلُ إِلَى ٱلْقَتْلِ   وَرُبَّمَـا وَقَـعَ ٱلْغَضْـبَانُ مِـنَ ٱلثِّقَـلِ
عَلَـى ٱلْأَرْضِ يَتَخَـبَّطُ غَيْظًـا وَيَتَـأَلَّمْ   وَقَـدْ يَضْـرِبُ ٱلْمَائِـدَةَ بِشِـدَّةٍ إِذَا تَكَلَّـمْ
فَيَفْعَـلُ فِعْـلَ ٱلْمَجَانِينَ ٱلْكِبَـارْ   وَيَضْـرِبُ ٱلْحَيَوَانَـاتِ ٱلْكِبَارَ وَٱلصِّغَارْ
مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهْ   وَبَعْضُـهُمْ يَضْـبِطُهَا مَـعَ ٱلْأَلَمِ فَيُنَفِّسُـهْ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ ٱلْحِقْـدَ مُلَازِمًـا أَفْكَارَهُ   حَتَّى يَنْتَقِمَ مِنْ خَصْـمِهِ وَإِنْ كَـانَ جَارَهُ
وَبَعْضُهُمْ سَرِيعُ ٱلْوَقُـودِ سَرِيعُ ٱلْخُمُـودِ   وَبَعْضُهُمْ سَرِيعُ ٱلْوَقُـودِ بَطِيءُ ٱلْخُمُـودِ

وَفِي ٱلْخَبَرِ: " **ٱلْمُؤْمِنُ سَرِيعُ ٱلْغَضَبِ سَرِيعُ ٱلرِّضَى فَهَذِهِ بِتِلْكَ** "[1].

فَٱلْغَضَـبُ يُهَيِّجُ عَقْـلَ كُـلِّ إِنْسَـانِ   وَلِكُلِّ عَقْلٍ قُدْرَةٌ عَلَى تَحَمُّلِ هَذِهِ ٱلْأَوْزَانِ
لَا يَخْلُو ٱلْإِنْسَانُ مِـنَ ٱلْغَـيْظِ وَٱلْغَضَـبْ   مِنْهُ ٱلْبَسِـيطُ وَمِنْـهُ مَـا يُسَـبِّبُ ٱلْعَطَـبْ
فَإِنْ مَالَتْ قُوَّةُ ٱلْغَضَـبِ عَـنِ ٱلِٱعْتِـدَالْ   إِلَى طَرَفِ ٱلزِّيَادَةِ سُمِّيَتْ تَهَوُّرًا وَٱسْتِرْسَالْ
وَبِٱلرِّيَاضَةِ يُخَفِّفُ ٱلْمُرِيدُ مِنْ تَأْثِيرِ ٱلْغَضَبِ   لِأَنَّهُ لَا يَسْـتَطِيعُ مَنْعَ نَفْسِهِ مِـنَ ٱلشَّـغَبِ
أَمَّـا ٱلْكَـامِلُونَ فَـلَا يَغْضَـبُونَ لِٱشْـتِغَالِ   قُلُـوبِهِمْ بِمُهِمَّـاتِ دِيـنِ رَبِّهِـمُ ٱلْمُتَعَـالِ
فَٱشْـتَغَلُوا بِمَـا هُـوَ ٱلْأَغْلَـبْ   فَمَنَعُوا هَيَجَانَ ٱلْغَضَبِ حِينَ وُجُودِ ٱلسَّبَبْ
فَحُبُّهُمُ ٱلشَّـدِيدُ لِرَبِّهِمْ يُطْفِئُ حَرَارَةْ   ٱلْغَضَـبِ وَيُـذِيبُ مَـا فِيـهِ مِـنْ مَـرَارَةْ

سَبَّ رَجُلٌ ٱلشَّعْبِيَّ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ ٱللهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ ٱللهُ لَكَ.

فِي هَـذَا دَلَالَـةُ قُـوَّةِ ٱلْعَقْـلِ وَٱسْـتِيلَائِهِ   لِأَنَّهُ جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ ٱبْتِدَائِهِ
وَٱلَّذِي يُهَيِّجُ نَـارَ ٱلْغَضَـبِ هُـوَ ٱلتَّكَبُّرُ   وَٱلَّـذِي يَزِيـدُ ٱشْـتِعَالَهُ هُـوَ ٱلتَّجَبُّرُ
وَعَلَـى ٱلْمُرِيـدِ تَخْفِيـفُ غَضَـبِهِ وَشِـدَّتِهِ   بِتَخْوِيفِ نَفْسِهِ مِـنْ عِقَـابِ ٱللهِ وَقُدْرَتِـهِ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨٠

إِذَا تَفَكَّرَ بِغَضَبِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةْ   يَرْتَعِدُ قَلْبُهُ وَتَرْتَجِفُ قُوَّتُهُ أَمَامَهْ
فَتَذِلُّ نَفْسُهُ لِاحْتِيَاجِهِ إِلَى عَفْوِ خَالِقِهِ ﷻ   فَيَهْدَأُ غَضَبُهُ وَيَسْكُنُ كُلُّ أَلَمِهِ
وَيَكْظِمُ غَيْظَهُ مَخَافَةَ عَذَابِ اللهِ الْأَلِيمِ   وَيَتَذَكَّرُ هَوْلَ أَوْدِيَةِ نَارِ الْجَحِيمِ

قَالَ ﷺ : " **إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي الْقَلْبِ** "[1]

بِالطَّاعَةِ تُطْفَأُ وَتُخْمَدُ تِلْكَ الْجَمْرَةْ   فَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ وَلَا يَتْرُكُهَا مُسْتَعِرَةْ
الصَّالِحُ حِينَ الْغَضَبِ يَنَامُ أَوْ يَغْتَسِلُ   بِالْمَاءِ الْبَارِدِ ثُمَّ إِنَّهُ لِلشَّرْعِ يَمْتَثِلُ
وَالْبَعْضُ إِذَا غَضِبَ وَكَانَ وَاقِفًا جَلَسْ   وَإِذَا كَانَ جَالِسًا اضْطَجَعَ بِأَوْسَعِ نَفَسْ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ بِالْمَاءِ فَإِنَّمَا الْغَضَبُ مِنَ النَّارِ** "[2] .

الْغَضَبُ تَتَدَخَّلُ فِيهِ نَارُ الشَّيْطَانِ   فَتُهَيِّجُ أَعْصَابًا وَحَوَاسًّا دَاخِلَ الْإِنْسَانِ
مَنْ أَصَابَهُ مِنْ شَرَارَةِ نَارِهِ   فَلْيَتَفَكَّرْ بِعَظَمَةِ رَبِّهِ ﷻ وَأَسْرَارِهِ
كَأَنْ يَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ وَيَتَفَكَّرَ   ثُمَّ يَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَيَتَدَبَّرَ
وَيَقِيسَ غَضَبَهُ بِغَضَبِ رَبِّهِ ﷻ الْمُدَمِّرْ   فَغَضَبُ الْإِنْسَانِ يُدَمِّرُ وَلَا يُعَمِّرْ

الْغَضَبُ الْمَحْمُودُ

هُنَالِكَ غَضَبٌ مِنْ لُبِّ الشَّرْعِ   وَيَسْتَحْسِنُهُ الْمُؤْمِنُ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنْ وَرَعِ
كَأَنْ غَضِبَ مِنْ عَمَلِ الْحَرَامِ عِنْدَ جَارِهْ   فَيَعِظُهُ فَيَرْفُضُ وَعْظَهُ وَيُحَاوِلُ احْتِقَارَهْ
وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ لِحِكْمَةٍ شَرْعِيَّةِ   كَانَ غَضَبُهُ لَا يُخْرِجُهُ عَنِ الْحَقِّ فِي أَيَّةِ قَضِيَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه : " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَغْضَبُ لِلدُّنْيَا فَإِذَا أَغْضَبَهُ الْحَقُّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ "[3].

قَلْبُهُ الشَّرِيفُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِلدُّنْيَا غَضَبْ   مُسْتَغْرِقٌ بِحُبِّ مَوْلَاهُ ﷻ ، غَيْرَ رِضَاهُ مَا طَلَبْ
الْغَضَبُ لِغَيْرِ اللهِ يَغْلِبُ الْقُلُوبْ   وَالْغَضَبُ لِلهِ مَمْدُوحٌ وَالضَّرَرُ مِنْهُ مَسْلُوبْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧٤   (٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧٤   (٣) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧١

حُبُّ ٱلْمَدْحِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ

مَنْ أَحَبَّ ٱلْمَنْزِلَةَ بِقُلُوبِ ٱلنَّاسْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ وَأَصَابَهُ ٱلْوَسْوَاسْ

فَمَنْ قَنِعَ ٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلنَّاسِ وَمَنِ ٱسْتَغْنَى ٱرْتَاحَ بِسَائِرِ ٱلْحَوَاسِّ

قِيلَ: ٱلْمُؤْمِنُ لَا يَخْلُو مِنْ زَلَّةٍ وَٱلْمُنْتَقِدُ لَا يَخْلُو مِنْ قِلَّةٍ وَعِلَّةٍ

ٱلْبَعْضُ مِنْ خَوْفِ مَذَمَّةِ ٱلنَّاسِ هَلَكْ وَتَمَلَّكَ بِقَلْبِهِ حُبُّ ٱلْغِنَى بِمَا مَلَكْ

فَصَارَتْ أَعْمَالُهُمْ مَوْقُوفَةٌ عَلَى رِضَاهُمْ رَجَاءَ ٱلْمَدْحِ وَخَوْفًا مِنْ ذَمِّ هَوَاهُمْ

عَلَى ٱلْمُرِيدِ عَدَمُ ٱلْفَرَحِ بِعُرُوضِ ٱلدُّنْيَا لِأَنَّ ٱلْخَاتِمَةَ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ لَدَيْنَا

فَخَطَرُ ٱلْخَاتِمَةِ بَاقٍ وَيَشْغَلُ عَنِ ٱلْفَرَحْ بِكُلِّ مَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا إِبْلِيسُ قَدْ طَرَحْ

فَلْيَغُمَّكَ مَدْحُ ٱلْمَادِحِ وَٱكْرَهْهُ وَٱغْضَبْ فَآفَةُ ٱلْمَدْحِ فِي فِعْلِهَا كَعَقْصَةِ ٱلْعَقْرَبْ

قَالَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ: "مَنْ فَرِحَ بِمَدْحٍ فَقَدْ مَكَّنَ ٱلشَّيْطَانَ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَهُ".

لِأَنَّ قَبُولَ ٱلْمَدْحِ قَاصِمٌ لِلظُّهُورْ ٱلْعَلِيلُ مَنْ سَمِعَ مَدْحَهُ وَبَقِيَ مَسْرُورْ

قَالَ ﷺ لَمَّا سَمِعَ مَادِحًا **"وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ"** مِرَارًا. (رواه مسلم ج ١٨ ص ١٢٧)

كَانَ ٱلصَّحَابَةُ ﷺ عَلَى وَجَلٍ عَظِيمْ مِنَ ٱلْفِتْنَةِ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْكَرِيمْ

فَكَمْ مِنْ مَمْدُوحٍ ذَمَّهُ ٱللهُ وَسَقَطْ وَكَمْ مِنْ مَشْتُومٍ نَجَّاهُ ٱللهُ بِكُلِّ وَقْتْ

مَنْ أَهْدَى إِلَيْكَ عُيُوبَكَ فَقَدْ أَرْشَدَكَ إِلَى صَلَاحِكَ حَتَّى تَتَّقِيَهَا وَلَا تَهْلَكَ

ٱلْبَعْضُ يَفْرَحُ بِٱلْمَادِحِ فَيَزِيدُهُ ذَهَبًا وَيَغْضَبُ مِنَ ٱلذَّمِّ وَيَشْتَعِلُ مِنْهُ لَهَبًا

وَٱلْكَامِلُ يَسْتَوِي عِنْدَهُ ذَامُّهُ وَمَادِحُهُ فَلَا تَغُمُّهُ ٱلْمَذَمَّةُ وَٱلْمَدْحُ لَا يَسُرُّهُ

مِنَ ٱلْمُرِيدِينَ مَنْ يُحِبُّ ٱنْتِشَارَ صِيتِهِ لِيَسْتَمِيلَ قُلُوبَ ٱلنَّاسِ بِكَثْرَةِ مَدْحِهِ

تَرَاهُ يُرَائِي بِٱلْعِبَادَاتِ وَلَا يُبَالِي وَبِمُفَارَقَتِهِ لِلْمَحْظُورَاتِ قَلْبُهُ خَالِي

فَهَذَا وَاقِعٌ بِٱلْمَهَالِكِ وَٱلْمَخَاطِرُ ٱلْمَرِيرَةْ ٱلَّتِي قَدْ يَعُدُّهَا ٱلْعَاصِي مَعْصِيَةً صَغِيرَةْ

وَعَلَى ٱلْمُرِيدِ تَرْكُ مَدْحِ ٱلنَّاسِ مَخَافَةً أَنْ يَمْدَحَهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ فَهُوَ آفَةٌ
وَرِيَاءٌ وَكَذِبٌ وَنِفَاقٌ مُسَبِّبٌ لِلْمَقْتْ فَكَمْ مِنْ مَادِحٍ مَدَحَ ٱلْكُفَّارَ وَسَقَطْ

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : " إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسَبُ فُلَانًا ، إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى ٱللهِ أَحَدًا "[1].

يَنْبَغِي أَنْ لَا تَفْرَحَ ٱلْمَمْدُوحَ وَهُوَ ظَالِمْ فَمَدْحُ ٱلظَّالِمِ فِسْقٌ فَٱسْأَلْ بِهِ عَالِمْ

قَالَ ٱلْحَسَنُ : " مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِطُولِ ٱلْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى ٱللهُ تَعَالَى فِي أَرْضِهِ وَٱلظَّالِمُ ٱلْفَاسِقُ يَنْبَغِي أَنْ يُذَمَّ لِيَغْتَمَّ وَلَا يُمْدَحَ لِيَفْرَحَ "[2].

حَذَّرَتْ شَرِيعَةُ ٱلْإِسْلَامِ مِنَ ٱلْمَدْحْ وَٱخْتَصَرْنَا ٱلْقَلِيلَ لِئَلَّا يَطُولَ ٱلشَّرْحْ
قَدْ يَرْضَى ٱلْمَمْدُوحُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَفْرَحُ وَهُوَ فِي عِلَلٍ نَفْسِيَّةٍ يَسْرَحُ وَيَمْرَحُ

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ ﷺ : " ٱلْمَدْحُ هُوَ ٱلذَّبْحُ وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْمَذْبُوحَ هُوَ ٱلَّذِي يَفْتُرُ عَنِ ٱلْعَمَلِ كَٱلذَّبْحِ " .

لَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَدْحِ إِلَّا ٱلْخَوَاصْ أَهْلُ ٱلْقُلُوبِ ٱلْكَامِلَةِ أَصْحَابُ ٱلْاِخْتِصَاصْ
قَدْ ذَبُلَتْ عِنْدَهُمْ آفَةُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْاِفْتِخَارِ وَٱنْقَطَعَ عَنْهُمُ ٱلْعُجْبُ بِتَجَلِّي رَبِّهِمُ ٱلْغَفَّارِ
فَقَدْ أَثْنَى ٱلنَّبِيُّ ﷺ عَلَى ٱلصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرْ فَلَمْ يَسْتَعْلِ بَلْ زَادَ حَمْدُهُ لِلهِ وَٱلشُّكْرْ

قَالَ ﷺ "لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ ٱلنَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ" (كشف الخفاء ج٢ص١٦٥)

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : لَا يَضُرُّ ٱلْمَدْحُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ .

فَمَنْ تَزَكَّتْ نَفْسُهُ وَقَلْبُهُ ٱرْتَقَى لَا يَهُمُّهُ مَدْحُ ٱلتَّقِيِّ أَوِ ٱلْأَشْقَى
وَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَلَّا يَقْبَلَ ٱلْمَدْحَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلتَّزْكِيَةْ حَيْثُ يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلتَّرْقِيَةْ
فَيَظُنُّ ٱلْوُصُولَ لِمَدَارِجِ ٱلْقُطْبِيَّةِ وَٱلْوِلَايَةِ فَيَفْرَحُ وَيَتَخَيَّلُ نَفْسَهُ أَنَّهُ صَارَ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِنَايَةِ
فَلَيْسَ ٱلْمَدْحُ دَلِيلًا عَلَى ٱلصِّدْقِ وَٱلْيَقِينِ بَلْ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ فَقْرِ ٱلْبَاطِنِ ٱلْمُشِينِ

(١) صحيح مسلم ﷺ ج١٨ ص١٢٧ (٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٦٠

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ أَنَّ حُبَّ ٱلْمَدْحِ وَٱلتَّلَذُّذُ فِيهِ
مَرَضٌ عُضَالٌ ، ٱللهُ فِيهِ يَبْتَلِيهِ

فَمَهْمَا شَعَرَتْ نَفْسُ ٱلْمُرِيدِ بِكَمَالِهَا
فَعَلَى صَاحِبِهَا عَدَمُ ٱلْاطْمِئْنَانِ إِلَيْهَا

فَٱلْمَادِحُ يَقْصِدُ بِمَدْحِهِ ٱصْطِيَادَ ٱلْقَلْبِ
فَإِنْ أَصَابَهُ مَالَ إِلَيْهِ بِهَذَا ٱلسَّبَبِ

وَبِخَاصَةٍ إِذَا كَانَ ٱلْمَادِحُ كَاذِبًا مُبَالِغًا
فَإِذَا ٱلْتَفَتَ ٱلْمَمْدُوحُ إِلَى قَلْبِهِ يَجِدُهُ فَارِغًا

مَنْ وَقَعَ بِشِبَاكِ ٱلْمَادِحِ ٱلْقَاصِدْ
حُوصِرَ بِٱسْتِيلَاءٍ وَخَجَلٍ يَرْمِيهِ بِمَفَاسِدْ

مَنْ أَرَادَ ٱلْخُرُوجَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمُصِيبَةْ
فَعَلَيْهِ أَنْ يُنْكِرَ صَنْعَتَهُ ٱلْخَسِيسَةْ

فَعِلَاجُ مِثْلِ هَذَا ٱلْمَرَضِ ٱلْحَاصِلِ
ٱلْهُرُوبُ مِنَ ٱلْمَدْحِ وَٱلشُّهْرَةِ بِسَائِرِ ٱلْفَوَاصِلِ

فَحُبُّ ٱلْجَاهِ وَٱلْاشْتِهَارِ مِنَ ٱلْمُهْلِكَاتِ
يَجِبُ عِلَاجُهُ وَإِزَالَتُهُ بِسَائِرِ ٱلطَّاعَاتِ

وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ ٱلْبَاقِيَاتِ ٱلصَّالِحَاتِ
فَٱسْتِحْقَارُ ٱلْجَاهِ وَٱلشُّهْرَةِ مِنَ ٱلْمُنْجِيَاتِ

قَالَ ﷻ : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (الأعلى ١٦-١٧)

عَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ٱلْأَخْطَارْ
ٱلَّتِي يَسْتَهْدِفُهَا فِي قَلْبِهِ ٱلشَّيْطَانُ ٱلْمَكَّارْ

فَكُلُّ صَاحِبِ جَاهٍ وَشُهْرَةٍ مَحْسُودْ
فَإِنْ كَانَ غَنِيًّا أَوْ تَقِيًّا فَٱلْإِيذَاءُ مَقْصُودْ

وَيَبْقَى خَائِفًا أَنْ تَنْقُصَ مَنْزِلَتُهُ فِي ٱلْقُلُوبِ
وَهِيَ عَلَى بَحْرِ أَمْوَاجِ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ ﷻ

فَلَا ثَبَاتَ لَهَا بِتَقَلُّبِ ٱلْأَمْوَاجِ
تُبَدِّلُهَا ٱلْأَكْدَارُ وَٱلْغُمُومُ وَكَثْرَةُ ٱلْإِزْعَاجِ

مَنْ سَقَطَ مِنْ قُلُوبِ ٱلنَّاسِ لِحِكْمَةْ
عَلَيْهِ تَحَمُّلُ تِلْكَ ٱلْبَلِيَّةِ وَٱللَّكْمَةْ

وَيَقْنَعُ مَعَ ٱلْقَبُولِ بِقَضَاءِ ٱلْخَالِقْ ﷻ
وَٱلرَّافِضُ لِلْقَضَاءِ فَهُوَ بِٱلْمَخَاطِرِ عَالِقْ

فَلَا يَجُوزُ لِلْمُرِيدِ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى مَحْظُورِ
خَوْفًا مِنْ سُقُوطِ قَدْرِهِ ٱلْمَنْظُورِ

بَلْ قَدْ يَلْجَأُ إِلَى مَا يُنَافِي ٱلْهُوِيَّةْ
كَمَا يَفْعَلُ بِأَنْفُسِهِمْ بَعْضُ ٱلصُّوفِيَّةْ

لِذَهَابِ ٱلْاشْتِهَارِ وَٱلْجَاهِ عَنْهُمْ
كَمَا فَعَلَ رَجُلٌ لِلْخَلَاصِ مِنْهُمْ

فَدَخَلَ حَمَّامًا وَلَبِسَ ثِيَابَ غَيْرِهِ لِيَأْخُذُوهُ
وَخَرَجَ لِلطَّرِيقِ فَعَرَفُوهُ وَضَرَبُوهْ

وَٱسْتَرَدُّوا مِنْهُ ٱلثِّيَابَ وَكَرِهُوا
جُلَسَائِهِ وَمُصَاحَبَتَهُ فَشَكَرَ ٱللهَ عَلَى مَا فَعَلُوا

قِيلَ: أَقوَى ٱلطُّرُقِ لِقَطعِ ٱلجَاهِ وَٱلشُّهرَةِ … ٱعتِزَالُ ٱلنَّاسِ وَٱلبُعدُ عَنِ ٱلمَضَرَّةِ

وَقَطعُ ٱلطَّمَعِ فَٱلقَنَاعَةُ قَاطِعَةٌ لِلجَاهْ … وَٱلتَّمَسُّكُ بِأَوَامِرِ وَطَاعَةِ مَولَاهْ

الهُرُوبُ مِن داءِ الشُّهرَةِ

لِيَعلَمِ ٱلمُرِيدُ أَنَّ هُنَالِكَ أَمرَاضًا خَاسِرَةْ … مِنهَا ٱلرِّيَاءُ ٱلبَغِيضُ وَمَرَضُ ٱلشُّهرَةْ

وَهِيَ مِنْ أَمرَاضِ ٱلنَّفسِ وَمَكَايِدِهَا … تُلَازِمُ ٱلسَّالِكِينَ فِي طُرُقِ ٱلمُجَاهَدَةِ كُلِّهَا

تُغرِيهِمْ بِزِينَةِ ٱلدُّنيَا وَٱلشُّبُهَاتِ … وَتَزرَعُ فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ ٱلآفَاتِ

قَدْ يَقَعُ ٱلبَعضُ وَيَنزَلِقُ بِطَرِيقِهِ … لِأَنَّهُ لَمْ يَثبُتْ فِي مَقَامِ تَحقِيقِهِ

فَيَلدَغُهُ عَقرَبُ حَمدِ ٱلنَّاسِ لَهُ فَيُصِيبُهُ … تَوقِيرُ وَتَعظِيمُ ٱلخَلَائِقِ لَهُ وَيُعِيبُهُ

يُبَالِغُونَ بِٱلمَدحِ وَٱلثَّنَاءِ وَيَتَبَرَّكُونَ بِمُشَاهَدَتِهْ … وَيَتَمَسَّحُونَ بِجَسَدِهِ وَيَتَمَنَّونَ دُعَاءَهْ

فَتَحلُو لَهُ تِلكَ ٱلمُبَالَغَةُ ٱلمَرَضِيَّةْ … لِنَفسِهِ ٱلعَلِيلَةِ ٱلمُصَابَةِ بِعِلَلٍ قَوِيَّةْ

فَيَظُنُّ أَنَّهُ وَصَلَ أَعلَى مَنَازِلِ ٱلوَقَارِ … فَيَقَعُ بِمَكِيدَةِ ٱلنَّفسِ وَمَهوَى ٱلأَخطَارِ

هَذَا هُوَ ٱلدَّاءُ ٱلخَفِيُّ ٱلدَّفِينْ … يُوقِعُ مُحِبِّي ٱلرِّيَاسَةِ بِشَبَكَةِ ٱلشَّيَاطِينْ

فَعَلَى ٱلمُرِيدِ ٱلهُرُوبُ مِنْ دَاءِ ٱلشُّهرَةِ … وَٱنتِشَارِ ٱلصِّيتِ وَٱلإِشَارَةِ عَلَيهِ بِٱلأَصَابِعِ ٱلعَشَرَةِ

أَمَّا وُجُودُهَا مِنْ غَيرِ تَكَلُّفٍ مِنَ ٱلعَبدِ … فَلَيسَ مَذمُومًا لِلصَّالِحِينَ وَٱلخُلَفَاءِ أَهلِ ٱلسَّعدِ

فَوُجُودُهَا مِنْ فَضلِ ٱللهِ سُبحَانَهْ … مِنْ غَيرِ تَكَلُّفٍ مِنَ ٱلعَبدِ فِي عُلُوِّ شَأنِهْ

وَلَيسَ بِمَذمُومٍ لِأَنَّ ٱلشُّهرَةَ ٱلمَذمُومَةْ … فِيهَا فِتنَةٌ عَلَى فِئَةِ ٱلضُّعَفَاءِ ٱلمَحرُومَةْ

ٱلِٱشتِهَارُ وَٱلجَاهُ يَملِكُ ٱلقُلُوبَ ٱلعَلِيلَةْ … وَٱلذَّهَبُ وَٱلفِضَّةُ تُسَيطِرُ عَلَى ٱلنُّفُوسِ ٱلذَّلِيلَةْ

فَٱلِٱشتِهَارُ يُعَرِّضُ ٱلمُرِيدَ لِلبَلوَى وَٱلتَّلَفْ … وَإِلَى أَخطَارٍ خَطِيرَةٍ أَخبَرَ عَنهَا ٱلسَّلَفْ

وَأَهلُ ٱلسُّلُوكِ وَٱلمُرَاقَبَةِ يَفِرُّونَ مِنهَا … وَأَهلُ ٱلدُّنيَا وَٱلجَاهِ لَا يَبرَحُونَ عَنهَا

قِيلَ عَن عَاشِقِ ٱلشُّهرَةِ: "قَنَّاصُ ٱلقُلُوبِ" … فَٱلمُعتَقِدُ فِيهِ يُنَمِّيهِ بِٱلعُيُوبِ

فَيَسْرِي مِنْ غَافِلٍ إِلَى غَافِلٍ وَيَتَزَايَدْ حَتَّى يُصْبِحَ مَرَضًا يُعْدِي كَمَا ٱلْكَاتِبُ شَاهَدْ

اَلرِّيَاءُ

لِيَحْذَرِ ٱلْمُرِيدُ مِنْ مَرَضِ ٱلرِّيَاءْ لَقَدْ أَصْبَحَ مُوضَةً سَائِدَةً عَوْجَاءْ

أَثَّرَتْ بِٱلْمُصَلِّينَ وَٱلْمُحْسِنِينَ وَجَرَحَتْهُمْ وَعَنِ ٱلْأَجْرِ ٱلْعَظِيمِ قَدْ أَبْعَدَتْهُمْ

ٱلَّذِينَ يُصَلُّونَ لِمَصْلَحَةٍ وَيُحِبُّونَ لِلشُّهْرَةْ يَطْلُبُونَ مِنْ غَيْرِ رَبِّهِمْ ﷺ ٱلْأُجْرَةْ

قَالَ ٱللّٰهُ ﷻ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ (الماعون ٤-٧)

كَٱلَّذِي يُصَلِّي لِيُقَالَ عَنْهُ: وَلِيٌّ وَٱلَّذِي يُحْسِنُ لِيُقَالَ: مُحْسِنٌ سَخِيٌّ

وَٱلَّذِي يَقْرَأُ لِيُقَالَ عَنْهُ: حَافِظٌ عَظِيمٌ وَٱلَّذِي يُطْعِمُ لِيُقَالَ عَنْهُ: كَرِيمٌ

وَكَٱلَّذِي يُقَاتِلُ لِيُقَالَ: إِنَّهُ شُجَاعْ وَٱلَّذِي يَكْتُبُ ٱسْمَهُ عَلَى صَنَادِيقِ ٱلْجِيَاعْ

فِي ٱلْأَخْبَارِ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ ٱللّٰهِ ﷺ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ فِيمَ ٱلنَّجَاةُ فَقَالَ : " **أَنْ لَا يَعْمَلَ ٱلْعَبْدُ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ يُرِيدُ بِهَا ٱلنَّاسَ** "[1] .

مِنَ ٱلْمُرِيدِينَ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُ لِوَجْهِ ٱلنَّاسِ يُرِيدُ أَنْ يَرَوْا عَمَلَهُ بِكُلِّ ٱلْأَنْفَاسِ

فَعَلَى ٱلْمُرِيدِ أَنْ يَعْمَلَ وَيَتَخَفَّى وَلَا يُظْهِرَ مَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ فِيهِ أَخْفَى

فَإِظْهَارُ ٱلْعَمَلِ لِجَلْبِ قُلُوبِ ٱلْعِبَادْ هُوَ أَضَرُّ وَأَفْسَدُ مَا جَمَعَ ٱلْعَبْدُ مِنْ زَادْ

حَيْثُ يَدْخُلُ بِأَخْطَارِ ٱلشِّرْكِ ٱلْأَصْغَرْ كَٱلَّذِي يَقْرَأُ لِيَنْجَحَ بِمُرَاءَاتِهِ فَيَخْسَرْ

قَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ ﷺ : " **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱلشِّرْكُ ٱلْأَصْغَرُ** " ، قَالُوا وَمَا ٱلشِّرْكُ ٱلْأَصْغَرُ ، قَالَ : " **ٱلرِّيَاءُ** "[2] .

وَقَدْ نَصَحَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ أَقْوَامًا عِدَّةْ لِيُخْفُوا طَاعَاتِهِمْ وَأَعْمَالَهُمْ كُلَّ ٱلْمُدَّةْ

خَوْفًا أَنْ يَمْلِكَ ٱلرِّيَاءُ قُلُوبَهُمْ وَحِفْظًا لَهُمْ مِنَ ٱزْدِيَادِ عُيُوبِهِمْ

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٩٣

(٢) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٩٤

فَقَالَ صَاحِبُ ٱللِّسَانِ ٱلْفَصِيحْ   سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱلْمَسِيحْ ﷺ

" إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلْيَدْهَنْ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ وَيَمْسَحْ شَفَتَيْهِ لِئَلَّا يَرَى ٱلنَّاسُ أَنَّهُ صَائِمٌ. وَإِذَا أَعْطَى بِيَمِينِهِ فَلْيُخْفِ عَنْ شِمَالِهِ. وَإِذَا صَلَّى فَلْيُرْخِ سِتْرَ بَابِهِ. فَإِنَّ ٱللَّهَ يَقْسِمُ ٱلثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ ٱلرِّزْقَ " .

قَالَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ : **" أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱلرِّيَاءُ وَٱلشَّهْوَةُ ٱلْخَفِيَّةُ "**[1] .

قِيلَ: ٱلرِّيَاءُ سَبَبُ مَقْتِ ٱللَّهِ وَغَضَبِهِ   وَإِنَّهُ مِنْ كَبَائِرِ ٱلْمُهْلِكَاتِ فِي سَبَبِهِ

وَٱلرِّيَاءُ مُشْتَقٌّ مِنَ ٱلرُّؤْيَةِ كَمَا لَنَا جَاءْ   وَٱلسُّمْعَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ ٱلسَّمَاعِ. وَإِنَّمَا ٱلرِّيَاءْ

أَصْلُهُ طَلَبُ ٱلْمَنْزِلَةِ بِقُلُوبِ ٱلْعِبَادْ   مَنْ أَطَاعَ أَمْرَ رَبِّهِ ﷻ فَقَدِ ٱسْتَفَادْ

وَٱلرِّيَاءُ عَلَى نَوْعَيْنِ جَهْرِيٌّ وَخَفِيٌّ   وَٱلثَّانِي لَا يَقْدِرُ[2] عَلَيْهِ إِلَّا صِدِّيقٌ وَفِيٌّ

ٱلصَّالِحُونَ ﷺ يَخَافُونَ ٱلْخَفِيَّ مِنَ ٱلرِّيَاءِ   أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ ٱلْفَوَاحِشِ مَعَ ٱلرُّذَلَاءِ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **" العَمَلُ كَالوِعَاءِ إِذَا طَابَ آخِرُهُ طَابَ أَوَّلُهُ "**(احياء علوم الدين ج٣ ص ٣٠٨)

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى ﷻ : **﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾** (الزلزلة ٧-٨)

وَٱلرِّيَاءُ حَاصِلٌ عِنْدَ غَيْرِ ٱلْمُرِيدِينَ   فِي ٱلزِّيِّ وَٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ عِنْدَ ٱلْمُبْغِضِينَ

وَمِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَتَظَاهَرُ بِرِيَائِهْ   فِي نُحُولِ جَسَدِهِ وَنُعَاسِهِ لِيُوهِمَ أَصْدِقَاءَهْ

بِشِدَّةِ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَخَوْفِهِ ٱلْآخِرَةْ   وَيُشِيرُ إِلَى قِلَّةِ أَكْلِهِ وَسَهَرَاتِهِ ٱلْمُسْتَمِرَّةْ

وَيَتْرُكُ شَعْرَهُ أَشْعَثَ لِيَدُلّْ   بِهِ عَلَى ٱسْتِغْرَاقِهِ فِي حَالِهِ ٱلْمُسْتَقِلّْ

وَيُخَفِّضُ مِنْ صَوْتِهِ مَعَ ذُبُولِ ٱلشَّفَتَيْنِ   وَيُوهِمُ ٱلنَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَغَوْرِ ٱلْعَيْنَيْنِ

أَنَّهُ مُوَاظِبٌ عَلَى ٱلصَّوْمِ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ   وَأَصْبَحَ قَرِيبًا مِنْ مَقَامِ ٱلْإِمَامِ ٱلْبُخَارِيِّ ﷺ

وَيُخْبِرُ ٱلْحُضُورَ بِإِشَارَاتٍ مَعَ بُكَاءِ   لِيُوهِمَ أَنَّهُ وَاصِلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلصَّفَاءِ

(١) إحياء علوم الدين ج٣ ص ٢٩٤

(٢) أَيْ عَلَى دَفْعِهِ وَعَدَمِ تَقَبُّلِ قَلْبِهِ ٱلنُّورَانِيِّ لَهُ .

وَيَلْبَسُ ثِيَابًا مُتَمَيِّزَةً عَنِ ٱلعِبَادِ   لِيُوهِمَ أَنَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ٱلزُّهَّادِ

كَمَا يَحْصُلُ ٱليَوْمَ بِلُبْسِ طَاقِيَةٍ خَضْرَاءْ   وَعَلَى ٱلأَكْتَافِ غُطْرَةٌ بَيْضَاءُ وَصَفْرَاءْ

وَوَضْعَ ٱلجَهَلَةُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ عِمَامَةً رَقِيقَةْ   مَعَ طَرْحِ مَشَالِحِ ٱلصُّوفِ ٱلثَّمِينَةِ ٱلدَّقِيقَةْ

فَأَهْلُ ٱلدُّنْيَا مُرَاءَاتُهُمْ بِٱلثِّيَابِ ٱلنَّفِيسَةْ   وَٱلمَرَاكِبِ وَٱلسَّيَّارَاتِ يَرْكَبُونَهَا دَسِيسَةْ

وَأَثَاثِ ٱلبَيْتِ ٱلمُمَيَّزِ وَٱلثِّيَابِ ٱلمُصَبَّغَةِ   وَيَشْتَغِلُونَ بِدَفْعِ صُوَرِهِمْ بَيْنَ آلَاتِ ٱلمَطْبَعَةِ

إِنْ حَفِظَ أَحَدُهُمُ ٱلشَّرْعَ وَٱلأَمْرَ بِٱلمَعْرُوف   وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلمُنْكَرِ كَمَا هُوَ مَعْرُوف

بِنِيَّةِ رَفْعِ شَأْنِهِ بَيْنَ ٱلنَّاسْ   وَٱلمُجَادَلَةِ مَعَ ٱلخَصْمِ لِيُشْغِلَ ٱلإِحْسَاسْ

فَهَذَا حَالُهُ مُهَزْوِلٌ إِلَى ٱلزَّوَالْ   فَلَا يَهْتَمُّ بِهِ إِلَّا ٱلغَفَلَةُ وَٱلجُهَّالْ

إِنَّ ٱلرِّيَاءَ مُتَشَعِّبٌ فِي أَخْطَارِهِ   لِمَنْ يَطْلُبُ مَنْزِلَةً بِحُضُورِهِ وَأَسْفَارِهِ

فِي قُلُوبِ ٱلنَّاسِ وَسَائِرِ أَصْحَابِهْ   حَيْثُ ٱلرِّيَاءُ يُلْهِيهِ وَيُنْسِيهِ حِسَابَهْ

فَنَتَائِجُهُ خَطِيرَةٌ وَٱلدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكْ   أَنَّ ٱلنَّتِيجَةَ تَكُونُ فِي ٱلذُّلِّ وَٱلمَهَالِكْ

مِنْ مَكَائِدِ ٱلنَّفْسِ ٱلمُوصِلَةِ لِلرِّيَاءِ وَفِيهِ ٱلطَّامَّةُ   عِنْدَمَا يَتَمَكَّنُ ٱلمَرْءُ مِنْ مَرْكَزٍ فِيهِ خِدْمَةٌ عَامَّةُ

كَٱلقَضَاءِ وَٱلأَوْقَافِ وَٱلصَّدَقَاتِ وَٱلوَصَايَا   وَأَمْوَالِ ٱلأَيْتَامِ وَٱلزَّكَاةِ ٱلَّتِي تَطِيشُ بِهَا ٱلنَّوَايَا

فَيَسْتَأْثِرُ بِمَا قَدِرَ عَلَيْهِ مِنْهَا   أَوْ يُودِعُهَا ٱلبُنُوكَ بِٱسْمِهِ ثُمَّ يَجْحَدُهَا

وَتُسَلَّمُ إِلَيْهِ مُسَاعَدَاتٌ لِلْعُلَمَاءِ فَيَأْكُلُهَا   وَعَلَى أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ يَصْرِفُهَا وَيَسْتَعْمِلُهَا

وَٱلبَعْضُ يَتَكَلَّفُ ٱلوَعْظَ وَيُظْهِرُ ٱلخُشُوعْ   وَقَصْدُهُ ٱلتَّحَبُّبُ لِٱمْرَأَةٍ بِهَذَا ٱلمَشْرُوعْ

فَيُكْثِرُ مِنْ حُضُورِ مِثْلِ هَذِهِ ٱلجَلْسَةْ   وَغَرَضُهُ مُلَاحَظَةُ ٱلنِّسَاءِ وَٱلفَتَيَاتِ خِلْسَةْ

وَقَدْ يَذْهَبُ لِلْحَجِّ لِيَظْفَرَ بِٱمْرَأَةٍ أَوْ مَكَاسِبْ   وَيَدَّعِي أَنَّهُ يَخَافُ ٱللهَ، وَنَفْسَهُ يُحَاسِبْ

وَقَدْ يَكُونُ غَرَضُهُ بِذَلِكَ نَيْلَ حَظٍّ مُبَاحِ   مِنْ حُظُوظِ ٱلدُّنْيَا مِنْ مَالٍ أَوْ نِكَاحِ

وَقَدْ يَتَكَلَّفُ ٱلبُكَاءَ وَٱلحُزْنَ وَٱلذُّلَّ لِإِظْهَارِ   نَفْسِهِ بِأَنَّهُ زَاهِدٌ وَيُكْثِرُ مِنَ ٱلِٱسْتِغْفَارِ

وَأَنَّهُ مَشْغُولٌ بِالْخَوْفِ مِنْ رَبِّهِ الْغَفَّارِ ﷻ لِئَلَّا يَنْظُرَ إِلَيْهِ النَّاسُ بِعَيْنِ الْاحْتِقَارِ
هَؤُلَاءِ أَبْغَضُ الْمُرَائِينَ فِي الْأَعْمَالِ جَعَلُوا طَاعَةَ رَبِّهِمْ ﷻ بِلَا وَزْنٍ وَلَا مِثْقَالِ

الْكِبْرُ مُضِرٌّ لِلسَّالِكِ

أَيُّهَا الْمُرِيدُ: التَّعَاظُمُ وَالْكِبْرُ دَاءٌ مُهْلِكٌ وَصَاحِبُهُ فِي بَلَاءٍ
فَهُوَ مَرَضٌ يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْمَقْتْ لِأَنَّهُ مِنْ قَبَائِحِ الْمُرْدِيَاتِ لِمَنْ فِيهِ سَقَطْ
أَكْثَرُ مَا يَكُونُ امْتِحَانُ النَّفْسِ فِيهِ فَبِالْمُعَالَجَةِ يَنْبَغِي التَّرْكِيزُ عَلَيْهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئاً مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ"**. (رواه الإمام أحمد ﷺ)

إِنَّ اللَّهَ ﷻ ذَمَّ الْكِبْرَ فِي كِتَابِهْ وَسَنُبَيِّنُ طَرِيقَةَ عِلَاجِهِ وَأَسْبَابِهْ
الْكِبْرُ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ مُبِينِ يُسَمِّمُ الْمُرِيدَ كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الثَّعَابِينِ
وَالْكِبْرُ عِلَّةٌ بَغِيضَةٌ تَضُرُّ بِالْقُلُوبْ وَتُوقِفُ الْفَتْحَ وَالسُّلُوكَ الْمَرْغُوبْ
لِأَنَّ فِيهِ كَسْرَ خَوَاطِرِ قُلُوبِ الْخَلِيقَةْ وَالْمُتَكَبِّرُ لَا تَصْدُرُ مِنْهُ كَلِمَةٌ رَقِيقَةْ
اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَطَائِفِهْ فَأَوْقَعَهُ فِي شِبَاكِهِ وَخَرَّبَ صَحَائِفَهْ
وَالْكِبْرُ هُوَ إِنْزَالُ النَّفْسِ فَوْقَ مَنْزِلَتِهَا لِأَنَّهَا جَاهِلَةٌ بِمَقَامِهَا وَفِي مَعْرِفَتِهَا
وَالْمُتَكَبِّرُ مَبْغُوضٌ مِنَ النَّاسِ مَكْرُوهُ الْمَنْظَرْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ بِاسْتِعْلَاءٍ وَتَكَبُّرْ
كَمْ مِنْ مُتَكَبِّرٍ تَجَبَّرَ وَاسْتَعْلَى وَاخْتَالْ قَصَمَهُ وَانْتَقَمَ مِنْهُ بِالتَّدْمِيرِ رَبُّنَا الْمُتَعَالْ ﷻ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل ٢٣).

كَمْ مِنْ مُتَكَبِّرٍ حَرَمَهُ اللَّهُ النَّعِيمْ وَأَصْبَحَ مِنْ عِدَادِ أَهْلِ النَّارِ وَالْجَحِيمْ
أَوَّلُهُمْ إِبْلِيسُ كَانَ الْكِبْرُ شِيمَتَهُ فَأَذَلَّ اللَّهُ قَدْرَهُ وَأَهَانَ قِيمَتَهُ
فَالتَّكَبُّرُ تَسَبَّبَ فِي حِرْمَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ فَلْيَحْذَرِ الْمُرِيدُ مِنْ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ الْمُهِمَّةِ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر ٦٠)

نَرَى ٱلْمُتَكَبِّرَ مَنْفُوخًا مُرْتَفِعَ ٱلْأَيَادِي ... يَنْظُرُ بِٱحْتِقَارٍ لِلنَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَعَادِي

إِنْ مَسَّ طَرَفَهُ بَعْضُ ٱلْعِبَادِ ٱلْفُقَرَاءِ ... شَتَمَهُ وَدَفَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِٱسْتِعْلَاءِ

لَا يُعْجِبُهُ أَقْوَالُ وَأَفْعَالُ ٱلْخَلَائِقِ ... وَإِنْ حَكَمَ أَفْحَشَ بِسَائِرِ ٱلْمَسَالِكِ

لَقَدْ حَذَّرَ ٱللهُ هُوَاةَ ٱلْكِبْرِ ... فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ وَفِي ٱلْخَبَرِ

قَالَ ٱللهُ ﷻ : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (إبراهيم ١٥) .

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ٱلْكَرِيمُ ﷺ : " **مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَٱخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ ٱللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ** " (الفتح الكبير ج ٣ ص ١٧٩)

ٱلِٱسْتِعْلَاءُ عَلَى ٱلْمُرِيدِينَ مَرَضٌ وَكِبْرِيَاءْ ... وَيُعَالَجُ بِإِذْلَالِ ٱلنَّفْسِ لَهُمْ فَهَذَا هُوَ ٱلدَّوَاءْ

فَمَنْ يُحِبُّ ٱلتَّظَاهُرَ بِمَا عَلَيْهِ وَرَدْ ... يُسَبِّبُ لَهُ حُبُّهُ هَذَا ٱلدَّاءَ وَٱلْمَرَضْ

عَلَى ٱلْمُصَابِ أَنْ يُدَاوِيَ بِسُرْعَةٍ عِلَّتَهُ ... وَيُوقِفُ نَفْسَهُ عَنِ ٱسْتِعْلَائِهَا وَإِلَّا قَتَلَتْهُ

فَٱلْكِبْرُ يَتَوَلَّدُ مِنْ عِلَّةِ ٱلِٱسْتِعْلَاءْ ... وَعَدَمُ ٱلتَّوَاضُعِ لِلْمُرِيدِينَ شَرٌّ وَوَبَاءْ

وَٱلْمُتَكَبِّرُ يَمْشِي مُسْتَعْلِيًا شَامِخَ ٱلْأَنْفِ ... مَنْفُوخَ ٱلصَّدْرِ يُرَقِّصُ عَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ ٱلدَّنَفِ[1]

يَخْتَلِجُ كَٱلْمَجْنُونِ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهْ ... نَاسِيًا عَظَمَةَ ٱللهِ وَقَهْرَهُ وَقَضَاءَهْ

لَا بُدَّ لِهَؤُلَاءِ مِنَ ٱلْعَمَلِ لِإِصْلَاحِ قُلُوبِهِمْ ... وَتَزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِ لِإِصْلَاحِهَا مِنْ عِلَلِ عُيُوبِهِمْ

فَلْيَعْلَمِ ٱلْمُرِيدُ مَهْمَا بَلَغَ فَعَلَيْهِ بِٱلتَّوَاضُعْ ... فَمَنْ أَبَى لَا بُدَّ أَنْ يُرْدِيَهُ ٱلتَّصَدُّعْ

كَفَقْرِ ٱلْحَالِ وَٱلْمَالِ أَوْ فُقْدَانِ وَلَدْ ... أَوْ إِصَابَتِهِ بِعِلَّةٍ تُوقِفُ لَهُ ٱلْكَبِدْ

وَٱلْمُتَكَبِّرُ يَرَى لِنَفْسِهِ مَرْتَبَةً مُعَيَّنَةْ ... ثُمَّ يَرَاهَا فَوْقَ مَرْتَبَةِ غَيْرِهِ ٱلْمُهِينَةْ

فَيَحْصُلُ فِيهِ خُلُقُ ٱلْكِبْرِ فَيَنْفُخُ فِيهْ ... فَيَهْتَزُّ قَلْبُهُ فَرَحًا وَبِنَفْسِهِ يَتِيهْ

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ ﷺ لِأَحَدِهِمْ : " أَخْشَى أَنْ تَنْتَفِخَ حَتَّى تَبْلُغَ ٱلثُّرَيَّا " .

وَٱلْمُتَكَبِّرُ بِنَظَرِ ٱلنَّاسِ عِنْدَهُمْ حَقِيرْ ... وَقِيلَ: ٱلتَّوَاضُعُ عِبَادَةُ كُلِّ فَقِيرْ

(١) الدنف : المرض .

كَمْ مِنْ مُتَكَبِّرٍ ٱسْتَعْلَى بِجَمَالِهْ   وَكَمْ مِنْ مُتَجَبِّرٍ تَسَبَّبَ بِعَذَابِهِ مَالُهْ

إِذَا ٱرْتَحَلَ ٱلتَّوَاضُعُ مِنْ بَاطِنِ ٱلْمُرِيدِ   ٱنْتَشَرَ ٱلْكِبْرُ بِٱلْجَوَارِحِ وَكَانَ عَلَى مَزِيدِ

وَٱلْعَبْدُ مِسْكِينٌ مَهْمَا بَلَغَ مَالًا وَجَمَالْ   وَعَلَيْهِ مُصَاحَبَةُ ٱلْمَسَاكِينِ فَهُمْ أَهْلُ ٱلْأَحْوَالْ

ٱلْغَنِيُّ يَتَبَاهَى بِثِيَابِهِ ٱلْحَرِيرِيَّةِ ٱلْمُرْتَفِعَةِ   وَٱلْفَقِيرُ يَعْلُو بِتَقْوَاهُ وَثِيَابِهِ ٱلْمُرَقَّعَةِ

ٱلزَّاهِدُ بِلَا تَوَاضُعٍ كَشَجَرَةٍ لَا ثِمَارَ فِيهَا   ٱلْمُتَكَبِّرُ يُحِبُّ ٱلرِّيَاسَةَ وَلَا يُفْلِحُ فِيهَا

مَنْ يَرَى لِنَفْسِهِ قَدْرًا وَقِيمَةً   فَهِيَ مَا زَالَتْ عَلِيلَةً غَافِلَةً لَئِيمَةً

وَمَنْ يَرَى لِنَفْسِهِ مَقَامًا وَحَالًا   فَهُوَ مَعْتُوهٌ وَفِيهِ كِبْرٌ مَا زَالَا

فَمَنْ هَاجَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ دَاءُ ٱلْكِبْرِ   فَعَلَيْهِ تَرْوِيضُهَا وَنَخْسُهَا بِرُؤُوسِ ٱلْإِبَرِ

فَمَنْ خَفَّتْ بِٱلْقِيَامَةِ مَوَازِينُهُ(١) فَهُوَ لَئِيمٌ   وَمَنْ ثَقُلَتْ يَوْمَئِذٍ مَوَازِينُهُ(٢) فَهُوَ كَرِيمٌ

وَذَلِكَ بِحَسَبِ أَعْمَالِ ٱلْجَوَارِحِ وَمَا أَثْمَرَتْ   كَمْ مِنْ مُتَكَبِّرٍ وَغَنِيٍّ بِهِ ٱلْقُبُورُ عُمِّرَتْ

ٱسْتَعْلَى عَلَى أَهْلِ ٱلضَّعْفِ بِٱلْأَتْبَاعِ   وَٱلتَّلَامِذَةِ وَٱلْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْأَشْيَاعِ

كَٱلْعَشِيرَةِ وَٱلْأَقَارِبِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْجُنُودْ   وَبِكُلِّ مَا هُوَ عَلَى ٱلْأَرْضِ مَوْجُودْ

وَمِنَ ٱلْكِبْرِ دَفْعُ ٱلنَّاسِ لِيَمُرَّ زَعِيمٌ   وَلَطْمُهُمْ وَشَتْمُهُمْ فَهَذَا فِعْلٌ ذَمِيمٌ

وَٱحْتِقَارُ ٱلْمَارَّةِ لِتَمْرِيرِ زَائِرٍ   بِسَيَّارَاتٍ فَخْمَةٍ تُهَمْدِرُ بِصَوْتٍ جَائِرٍ

نَسْأَلُ ٱللهَ ٱللُّطْفَ وَٱلْعِنَايَةَ ٱلْكَامِلَةْ   لِنَجَاتِنَا مِنَ ٱلْكِبْرِ وَٱلْغِيبَةِ ٱلشَّامِلَةْ

ٱلتَّكَبُّرُ مِنْ خَفَايَا ٱلْبَاطِنِ غَيْرِ ٱلْمُنَوَّرَةْ   فَتَظْهَرُ عَلَى جَوَارِحِهِ ٱلْأَفْعَالُ ٱلْمُتَهَوِّرَةْ

مِنِ ٱسْتِعْظَامِ ٱلنَّفْسِ وَرُؤْيَةِ قَدْرِهَا   فَوْقَ قَدْرِ ٱلْغَيْرِ فَيَزْدَادُ شَرُّهَا

وَهَذَا نَابِعٌ مِنَ ٱلْغِلِّ وَٱلْحَسَدِ وَٱلْعُجْبِ   وَٱلرِّيَاءِ وَٱلْحِقْدِ ٱلْمُلَوَّثِ بِٱلْغَضَبِ

هَذِهِ أُمُورٌ تُثْمِرُ ٱلْإِيذَاءَ لِلْمُؤْمِنِينَ   وَتَمْنَعُ صَاحِبَهَا عَنْ قَبُولِ نَصِيحَةِ ٱلْمُفْلِحِينَ

إِنَّهَا أَمْرَاضٌ وَعِلَلٌ صَعْبٌ عِلَاجُهَا   لِأَنَّهَا مُعَلَّقَةٌ بِأَعْمَاقِ ٱلْقَلْبِ بِأَذْيَالِهَا

(١) قِلَّةُ حَسَنَاتِهِ.

(٢) كَثْرَةُ سَيِّئَاتِهِ.

ذَرَّةٌ مِنْهَا تُزَلْزِلُ ٱلْقَلْبَ حِينَ هُجُومِهَا وَتَهُزُّ أَرْكَانَ ٱلْأَعْصَابِ حِينَ رَحِيلِهَا

فَمَا بَالُكُمْ إِذَا ٱمْتَلأَ ٱلْقَلْبُ بِسَوَادِهَا وَأَصْبَحَتْ قَرِينَةَ ٱلنَّفْسِ بِفِعَالِهَا

وَٱلْمُتَكَبِّرُ يَرَى نَفْسَهُ بِعَيْنِ ٱلِاسْتِعْظَامِ وَٱلْعِزَّةْ فَتَجْعَلُ فِي لَطَائِفِهِ تَكَبُّرًا وَهَزَّةْ

فَيَسْتَعْلِي عَلَى كُلِّ مَنْ دُونَهُ مِنْ بَشَرْ وَيُبْعِدُهُمْ عَنْ مُجَالَسَتِهِ وَمُؤَاكَلَتِهِ وَيَحْتَقِرْ

كُلَّ مَنْ يَجْتَمِعُ بِهِ فِي ٱلْمَحَافِلِ وَٱلدَّوَائِرْ وَيَتَعَمَّدُ عَدَمَ قَضَاءِ حَوَائِجِهِ جَالِسًا أَوْ سَائِرْ

وَيَأْنَفُ أَنْ يَرُدَّ ٱلسَّلَامَ وَيَسْتَذِلُّ ٱلزُّوَّارْ وَيَنْظُرُ لِلْعَامَّةِ نَظْرَةَ ٱسْتِجْهَالٍ وَٱحْتِقَارْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ (الإسراء ٣٧)

وَآفَةُ ٱلْكِبْرِ عَظِيمَةٌ وَغَائِلَتُهُ هَائِلَةْ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ لِلْخَلَاصِ مِنْهُ غَيْرُ سَائِلَةْ

وَٱلرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ : " **لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** "[1].

ٱلْكِبْرُ حِجَابٌ غَلِيظٌ مُؤْلِمْ يُزْعِجُ ٱلْمُرِيدَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمْ

وَيَكُونُ ٱلْكِبْرُ بِرَفْضِ ٱلنَّصِيحَةِ وَعَدَمِ قَبُولِ ٱلْحَقِّ وَٱلِانْقِيَادِ لَهُ قَبْلَ ٱلنَّدَمِ

قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ٱلْعَزِيزِ ﷻ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (الأعراف ١٤٦)

ٱلتَّكَبُّرُ وَٱلتَّجَبُّرُ أَنْوَاعٌ وَصِفَاتٌ كِبْرٌ وَبَغْيٌ وَبَطْشٌ وَعِنَادٌ وَآفَاتٌ

وَهَٰذِهِ أَنْوَاعٌ مُؤْذِيَةٌ خَطِيرَةْ وَهِيَ مُتَنَوِّعَةٌ وَسَنَذْكُرُ مِنْهَا ٱلشَّهِيرَةْ

كَٱلتَّكَبُّرِ عَلَى ٱلْخَالِقِ وَٱلرُّسُلِ ﷺ وَٱلْخَلْقْ وَبَيْنَ كُلِّ تَكَبُّرٍ وَآخَرَ مُمَيِّزَاتٌ وَفَرْقْ

فَٱلتَّكَبُّرُ عَلَى ٱللهِ أَفْحَشُ أَنْوَاعِ ٱلْأَخْطَارِ وَهُوَ مَحْضُ جَهْلٍ وَطُغْيَانٍ بِٱسْتِمْرَارِ

كَٱلَّذِي يَأْبَى ٱلسُّجُودَ لِلرَّحْمَٰنِ ﷻ وَٱلْعِبَادَةْ فَحَرَمَهُمُ ٱللهُ نَعِيمَ بَرَكَاتِ ٱلشَّهَادَةْ

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر ٦٠)

(١) صحيح مسلم ﷺ ج ٢ ص ٨٩

وَمِنَ ٱلْكِبْرِ عَدَمُ ٱلتَّسْلِيمِ لِلرُّسُلِ وَٱلْأَنْبِيَاءْ   وَيَرْفُضُونَ مِنْهُمْ سَائِرَ مَا قَدْ جَاءْ

وَيَمْتَنِعُونَ عَنِ ٱلِانْقِيَادِ وَيَرْفُضُونَهُ بِغَضَبْ   فَيُسَبِّبُونَ لِنُفُوسِهِمُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ وَٱلْعَطَبْ

كَمَا أَخْبَرَنَا ٱلْقُرْآنُ ٱلْكَرِيمُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ (المؤمنون ٤٧)

اَلْكِبْرُ أَشَدُّ حَمَاقَةً وَغَبَاوَةً وَعُجْبًا   يَقُولُ ٱلصَّالِحُونَ: لَا تَكُنْ رَأْسًا بَلْ كُنْ ذَنَبًا

يَجِبُ أَلَّا نَعْتَقِدَ أَنَّنَا فَوْقَ ٱلْعِبَادِ   فَٱلْجَهْلُ أَفْحَشُ ٱلْمَعَاصِي وَآكَلُ لِلزَّادِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف ٩٩)

فَتِلْكَ آفَةٌ لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا ٱلْمُتَكَبِّرُ   إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُدَبِّرُ

مَنْ زَرَعَ بِقَلْبِهِ شَجَرَةَ ٱلْكِبْرِ   أَثْمَرَ بِقَلْبِهِ ٱلظُّلْمَ لِلْبَشَرِ

أَيُّهَا ٱلْعُلَمَاءُ لَا تَمُنُّوا بِعِلْمِكُمْ عَلَى ٱلنَّاسْ   فَتَجْرَحُوا قُلُوبَهُمْ وَتُفْسِدُوا ٱلْحَوَاسْ

قَالَ ٱلْحَارِثُ ٱلزُّبَيْدِيُّ رضي الله عنه صَاحِبُ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: "فَأَمَّا ٱلَّذِي تَلْقَاهُ بِبِشْرٍ وَيَلْقَاكَ بِعُبُوسٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِعِلْمِهِ فَلَا أَكْثَرَ ٱللَّهُ فِي ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ".

ٱلْعِلْمُ مَيْدَانٌ وَاسِعٌ لِلْمُبَاهَاةِ وَٱلْمُفَاخَرَةِ   نَرَى كَثِيرًا بَيْنَ ٱلْمُتَعَالِينَ هَذِهِ ٱلظَّاهِرَةِ

يُصَغِّرُ أَحَدُهُمُ ٱلنَّاسَ وَيُعَظِّمُ نَفْسَهُ وَيُزَكِّيهَا   وَيَدَّعِي أَنَّ عُلُومَهُ لَا أَحَدٌ يُدَانِيهَا

فَإِذَا فَهِمَ مَسْأَلَةً يَعُدُّ نَفْسَهُ نَبِيَّهَا   وَلَا يَرَى إِلَّا فَضْلَهُ وَنُقْصَانَ أَقْرَانِهِ فِيهَا

مَنْ لَمْ يَرَ لِنَفْسِهِ قَدْرًا بِٱلْمُجْتَمَعْ   زَادَهُ ٱللَّهُ قَدْرًا بِٱلْعِلْمِ وَمُتَّسَعْ

وَمَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ قَدْرًا وَقِيمَةْ   كَانَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ نَاقِصًا كَٱلْبَهِيمَةْ

ٱعْتَادَ ٱلنَّاسُ ٱلتَّفَاخُرَ فِي ٱلنَّسَبْ   يَسْتَحْقِرُ بَعْضُهُمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَسَبْ

وَإِنْ كَانَ أَرْفَعَ مِنْهُ عَمَلًا وَعِلْمًا   يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ بِٱلرِّفْعَةِ وَٱلْعَظَمَةْ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: **"ٱفْتَخَرَ رَجُلَانِ عِنْدَ مُوسَى عليه السلام فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً فَأَوْحَى ٱللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عليه السلام: قُلْ لِلَّذِي ٱفْتَخَرَ بَلِ ٱلتِّسْعَةُ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ وَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ"**. (إحياء علوم الدين ج٣ ص ٣٥٢)

صَارَ ٱلتَّنَابُزُ بِٱلأَلْقَابِ مُتَدَاوَلاً كَالنَّقْدْ ... عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا تَزْرَعُ بَيْنَهُمُ ٱلْحِقْدْ
لَقَدْ حَذَّرَ ٱلإِسْلَامُ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْمُصِيبَةْ ... هِيَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ بَسِيطَةٌ وَفِي ٱلْقِيَامَةِ مَهِيبَةْ

وَقَالَ ٱلإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ :

أَحْمَدُ رَبِّي عَلَى خِصَالٍ ... خَصَّ بِهَا سَادَةَ ٱلرِّجَالِ
لُزُومُ صَبْرٍ وَخَلْعُ كِبْرٍ ... وَصَوْنُ عِرْضٍ وَبَذْلُ مَالِ

سُوءُ ٱلظَّنِّ

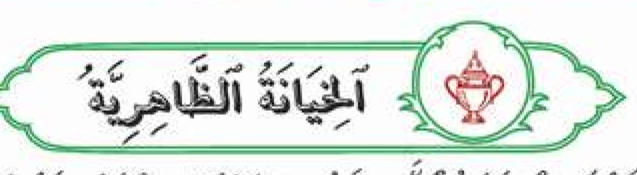
عَلَى ٱلْمُرِيدِ تَرْكُ سُوءِ ٱلظَّنِّ بِأَخِيهِ ... رُبَّمَا يَشْفِي ٱللهُ ٱلْمُصَابَ وَٱلْمُرِيدُ يَبْتَلِيهِ
وَسُوءُ ٱلظَّنِّ هُوَ عَقْدٌ بِٱلْقَلْبِ وَنِيَّةْ ... بِٱلسُّوءِ وَٱلإِضْرَارِ فَفِيهِ فَسَادُ طَوِيَّةْ
فَإِبْلِيسُ مُتَخَصِّصٌ بِإِلْقَاءِ ٱلْهَوَاجِسِ بِٱلنُّفُوسْ ... فَيُشْغِلُ ٱلْخَوَاطِرَ بِٱلسُّوءِ وَلَا يَسْتَرِيحُ ٱلْمَنْحُوسْ
إِسَاءَةُ ٱلظَّنِّ بِٱلْمُسْلِمِ فِيهَا حُرْمَةٌ ظَاهِرِيَّةْ ... وَتُسَبِّبُ ٱلإِثْمَ بِحَسَبِ ٱلآيَاتِ ٱلْقُرْآنِيَّةْ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات ١٢)

أَسْرَارُ ٱلْقُلُوبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ﷻ ... فَكَمْ ظَانٍّ يَبْغِي بِعَمَلِهِ مَلْءَ ٱلْجُيُوبِ
كَٱتِّهَامِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ بَعْضِ ٱلأَجْهِزَةِ ... لِنَيْلِ رَاتِبٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ عُلُوِّ مَرْتَبَةِ
فَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يُحَقِّقَ سُوءَ ظَنِّهْ ... بِعَقْدٍ وَلَا فِعْلٍ مَهْمَا وَسْوَسَ لَهُ جِنُّهْ
قَدْ يُخَيِّلُ لَهُ جِنُّهُ مَسَاوِئَ ٱلنَّاسْ ... وَيُلْقِي إِلَيْهِ أَنَّهُ فَطِنٌ ذَكِيٌّ حَسَّاسْ
وَذُو فِرَاسَةٍ وَيَنْظُرُ بِنُورِ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ ... بَلْ هُوَ ذُو شَرَاسَةٍ وَيَنْظُرُ بِمِنْظَارِ ٱلرَّجِيمِ



→ الصوفي العارف الكبير الشيخ محمد الحراني الملقب بالديري ـ تركيا
الصوفي مفسر القرآن الكريم الشيخ محمد بدرالدين التلّوي ـ تركيا ←



ٱلخِيَانَةُ ٱلظَّاهِرِيَّةُ

مِـنْ أَشَـدِّ الأَخْطَـارِ ٱلخِيانَـةُ ٱلظَّاهِرِيَّـةْ ... وَإِشارَةُ مَوْتِ ٱلقَلْبِ تَكُونُ بِٱلخِيانَةِ ٱلباطِنِيَّةْ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ : "ثُمَّ كانَ مِنْ دُعاءِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ : "... **وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ ٱلبِطَانَةُ**"[1].

ٱلخِيَانَةُ ٱلظَّاهِرِيَّةُ أَنْ يَبِيعَ وِجْدانَـهُ بِالمـالِ ... كَأَنْ يَبِيعَ أَخْبارًا فِيها تَجَسُّسٌ عَلى ٱلرِّجالِ

وَيَتَظاهَرَ بِٱلتَّصَـوُّفِ وَٱلأَحْـوالِ ٱلكاذِبَـةْ ... وَٱلجَذَباتِ وَيُطَوِّلُ لِحْيَتَـهُ وَيُقَصِّـرُ شارِبَـهْ

وَيَنامُ مَـعَ ٱلفُقَـراءِ فِي مَكَـانِ ٱلأَذْكَـارْ ... وَيَتَرَصَّـدُ ٱلأَحادِيـثَ وَيَنْقُـلُ ٱلأَخْبَـارْ

وَيَخُونُ ٱللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ لِأَجْلِ دَراهِمَ مَعْدُودَةْ ... فَسَـائِرُ أَحْوالِـهِ عَلَيْـهِ مَقْلُوبَـةٌ وَمَرْدُودَةْ

قَالَ تَعالَى ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال ٢٧)

وَعَلَيْنَـا أَنْ لَا نُعامِـلَ ٱلنَّـاسَ بِٱلخِيَانَـةِ ... وَنُعَامِـلَ ٱللهَ سُـبْحَانَهُ بِٱلأَمَانَـةِ

فَٱلخَائِنُ صِدْقُهُ مَصْدُوعٌ وَمَغْلُولٌ بِٱلمُعَامَلَةْ ... وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا إِذا صَحَّحَ ٱلنِّيَّةَ كامِلَةْ

ٱلخِيَانَةُ ٱلبَاطِنِيَّةُ

يَظُنُّ ٱلمُرِيدُ بِنَفْسِهِ ٱلوُصُولَ لِأَعْلَى ٱلمَراتِبْ ... فَهُوَ فَـوْقَ مَقَامِ مُرْشِـدِهِ وَلَـهُ غالِـبْ

وَيَعْمَـلُ بِـأَذْكَـارٍ هُـوَ فِيهَـا غَيْرُ مُجَازْ ... وَيَـدَّعِي أَنَّـهُ مَوْصُـولٌ بِـنَبِيِّ ﷺ ٱلحِجَـازْ

وَيَكْتُـبُ أَدْعِيَـةً وَيَرْقِـي ٱلمُصَـابِينْ ... وَيَـدَّعِي عِـلَاجَ ٱلوَسَـاوِسِ وَٱلمَجَانِينْ

وَيُلَقِّنُ ٱلطَّرِيقَةَ وَٱلِاسْتِمْدادَ بِأَوامِرِ ٱلخَنَّـاسِ ... إِلَى أَنْ يَفْقِـدَ عَقْلَـهُ وَسَـائِرَ ٱلحَـوَاسِّ

وَيَسْتَعْلِي عَلَى أُسْتَاذِهِ وَيَرْفُضُ أَوامِرَهُ ... وَيَظْهَرُ قَبْلَ أَوانِهِ فَيُفْسِـدُ نَفْسَـهُ وَغَيْرَهُ

(١) رواه أبو داود في سننه .

هَذِهِ أَحْوَالٌ لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا ٱلْقَلِيلْ ... كَمْ مُدَّعٍ أَصْبَحَ بِفِعْلَتِهِ ذَلِيلْ

وَيَدَّعِي ٱلْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ بَعْدَ رَحِيلِ ٱلْمُرْشِدْ ... وَهَذَا فِعْلٌ مُضِرٌّ لِلْقُلُوبِ وَمُفْسِدْ

وَيُعْطِي ٱلرَّابِطَةَ ٱلْقَلْبِيَّةَ لِلْمُبْتَدِئِينْ ... وَيَظُنُّ بِنَفْسِهِ أَصْبَحَ كَٱلشَّيْخِ سِرَاجِ ٱلدِّينْ

وَٱلرَّابِطَةُ يُرَادُ لَهَا شَرْحٌ طَوِيلٌ لَا قَصِيرْ ... وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهَا ٱلْمُرِيدُ إِلَّا بِجِهَادٍ مَرِيرْ

وَقَدْ يَظُنُّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ صُوفِيٌّ مَاهِرْ ... وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ سَائِرِ وَظَائِفِ ٱلظَّاهِرْ

سَائِرُ لَطَائِفِهِ ٱلسَّبْعَةُ غَيْرُ مُتَحَرِّكَةْ ... وَلَمْ يُرْزَقْ وَلَمْ يُشَاهِدِ ٱلرَّحْمَةَ وَٱلْبَرَكَةْ

يَدَّعِي أَحْوَالًا لَهَا أَهْلُهَا وَذَاتَ قِيمَةٍ ... يَقُولُ إِنَّهُ خَلِيفَةٌ وَهُوَ وَاقِعٌ بِجَرِيمَةٍ

فَهُوَ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ بِسَائِرِ لُبْسِهِ ... بِحِذَائِهِ وَسِرْوَالِهِ وَقَمِيصِهِ وَأَمْرَاضِ نَفْسِهِ

وَشَعْرُهُ وَسَوَالِفُهُ يَتَشَبَّهُ فِيهَا بِٱلْإِفْرِنْجِ ... وَفُرْشَاةُ أَسْنَانِهِ مَصْنُوعَةٌ عِنْدَ ٱلْعِلْجِ

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : **"لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"** قُلْنَا يَا رَسُولَ ٱللهِ : ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَى.قَالَ : **"فَمَنْ"**[1].

لَا يَسْتَطِيعُ رَدَّ أَنْظَارِهِ عَنِ ٱلْمَحَارِمْ ... وَيَقْضِي لَيْلَهُ بِٱلشَّخِيرِ وَهُوَ نَائِمْ

يَتَنَاوَلُ مَا لَذَّ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ ... لَا يَتَحَرَّى ٱلْحَلَالَ مِنَ ٱلْحَرَامِ كَٱلْغُرَابِ

وَبَعْدَ ذَلِكَ يُقَالُ إِنَّهُ خَلِيفَةٌ لِلصُّوفِيَّةْ ... ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةُ بَرِيئَةٌ مِنْهُ وَٱلْقَادِرِيَّةُ وَٱلرِّفَاعِيَّةْ

لَا سُلُوكَ إِلَّا بِكَمَالِ ٱلتَّفَقُّهِ فِي ٱلدِّينِ ... هَذَا مَا قَالَهُ ٱلشَّيْخُ مُحْيِي ٱلدِّينِ

خِيَانَةُ بَعْضِ ٱلْمُرِيدِينَ

بَعْضُ ٱلْمُرِيدِينَ يَقَعُ فِي خِيَانَةْ ... تُسَبِّبُ لَهُ ٱلْمَذَلَّةَ وَٱلضَّلَالَ وَٱلْإِهَانَةْ

فَيَخُونُ ٱلْمُرْشِدَ وَخَلِيفَتَهُ لِمَالِ ... فَيُطْغِيهِ ٱلشَّيْطَانُ فِي كُلِّ مَجَالِ

كَٱلتَّعَامُلِ مَعْ أَجْهِزَةٍ سِيَاسِيَّةٍ ... لِٱخْتِرَاقِ ٱلْمُرْشِدِ وَمُرِيدِي ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْعَلِيَّةِ

وَنَقْلِ أَخْبَارِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ ... بِحُجَّةِ خِدْمَةِ ٱلْوَطَنِ مِنْ أَخْطَارِهِمْ

(١) رواه الإمام البخاري ، الحديث : (٣٤٥٦)

فَيَغُوصُ بِالْجَاسُوسِيَّةِ إِلَى أَعْمَاقِ الْجَحِيمِ ... فَيَسْوَدُّ قَلْبُهُ وَتَتَوَقَّفُ عَنْهُ أَمْدَادُ الْكَرِيمِ ﷻ

فَيُصْبِحُ فِي ذُلٍّ وَاحْتِقَارٍ وَمَرَضٍ ... لِأَنَّهُ اتَّخَذَ الطَّرِيقَةَ لِنَفْسٍ وَغَرَضٍ

وَكَثِيرٌ أَمْثَالُهُ أَصَابَهُمُ اللهُ بِعِلَلٍ مُضْنِيَةْ ... وَابْتَلَاهُمُ الْمَوْلَى بِالْبَاطِنِ وَالظَّوَاهِرِ الْبَالِيَةْ

فَوَقَعُوا بِحَرْبٍ مَعَ اللهِ بِالدِّينِ ... لِأَنَّهُمْ أَطَاعُوا أَوَامِرَ رُؤَسَاءِ الشَّيَاطِينِ

هَؤُلَاءِ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ إِشَارَةُ الْعُدْوَانِ ... فَيَتَلَفَّظُونَ أَقْوَالًا مِنْ شِدَّةِ الْحِرْمَانِ

فَيَقُولُونَ مَثَلًا : نُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ لَا غَيْرَ ... لَقَدْ تَرَكْنَا الْمُرِيدِينَ وَالسُّلُوكَ وَالسَّيْرَ

لِرَاحَةِ قُلُوبِنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمُتْعِبَةْ ... وَيَتَكَلَّمُونَ أَقْوَالًا مُضِلَّةً وَمُرْعِبَةْ

فَهُمْ لَمْ يَنْجَحُوا بِمُجَاهَدَةِ الرُّوحِ ... وَالْخِيَانَةُ أَغْلَقَتْ عَلَيْهِمْ سَائِرَ الْفُتُوحِ

فَيَنْقَلِبُ عِرْفَانُهُمْ إِلَى مَكْرٍ فِيهِ خَطَرْ ... لِأَنَّ مُرْشِدَهُمْ صَارَ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ الْمُحْتَقَرْ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **"يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ[1] كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ"**. (رواه أحمد)

(١) الخلال = الخصال

خِيَانَةُ بَعْضِ الْخَدَمِ

مَنْ كَانَتْ خِدْمَتُهُ لِغَرَضٍ عِنْدَ الْقَوْمِ ... فَقَدْ مَزَجَ مَعَهَا الْهَوَى وَوَقَعَ بِاللَّوْمِ

فَيَخُصُّ بِخِدْمَتِهِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ... وَيَتَعَمَّدُ إِيقَاعَ الضَّرَرِ بِالطَّرِيقَةِ وَسُمْعَتِهَا

لَا يَسْلَمُ الْمُرِيدُ الْمُخْلِصُ مِنْ مَكَائِدِهِ ... فَالْهَوَى يَنْخُرُ فِي أَعْضَائِهِ وَفُؤَادِهِ

فَهُوَ لِذَلِكَ مُتَخَادِمٌ وَلَيْسَ بِخَادِمْ ... وَلِمَآرِبَ نَفْسِيَّةٍ خَسِيسَةٍ خَفِيَّةٍ قَادِمْ

كَبَعْضِ الْخَدَمِ مِنَ الرِّجَالِ الذُّكُورْ ... كَانَ وَجْهُهُ كَالِحًا يُذْهِبُ السُّرُورْ

شَاهَدْنَا مِثْلَهُمْ فِي مَدِينَةِ الْإِرْشَادِ بِدُورُودْ ... بِكُرْدِسْتَانَ وَكَانَتْ عُيُونُنَا عَلَيْهِمْ شُهُودْ

أُصِيبَ الْخَادِمُ وَرَفِيقُهُ الْحَمَامْجِي بِمَرَضٍ ... قَضَى عَلَى حَيَاتِهِمْ لِأَجْلِ غَرَضٍ

جَاءَهُمْ دَاءُ السَّرَطَانِ فَكَّكَ قِوَاهُمْ ... تَأْدِيبًا عَلَى مَا فَعَلُوا بِأَذَاهُمْ

فَبَعْضُ الْخَدَمِ يَخْدُمُ لِمَنْفَعَةٍ شَخْصِيَّةٍ وَمَآرِبْ ... وَمَلْءِ الْجُيُوبِ مِنَ الْعُيُوبِ وَالْمَصَائِبْ

وَكَانَ يَمْلَأُ ٱلزَّاوِيَةَ بِٱلْفِتَنِ وَٱلْقَلَاقِلِ
وَيَشْتَغِلُ بَيْنَ ٱلْمُرِيدِينَ لِإِيقَاعِ ٱلْمَشَاكِلِ

وَيَسْرِقُ طَعَامَ ٱلزُّوَّارِ لِنَفْسِهِ ٱلْعَلِيلَةْ
وَلَمْ نُشَاهِدْ عَلَيْهِ أَعْمَالًا جَلِيلَةْ

وَمَا يَضَعُهُ عِنْدَهُ ٱلْمُرْشِدُ مِنْ أَمَانَةٍ
يَنْهَبُهُ بِخِفَّةٍ وَحِيلَةٍ بِكُلِّ خِيَانَةٍ

فَٱلْبَعْضُ يَخْدُمُ لِمَنْفَعَةٍ قَدْ تُدْرِكُهُ وَتُصِيبُهُ
وَحَظٍّ عَاجِلٍ وَلَا يُبَالِي بِدِينِهِ وَمَا يَعِيبُهُ

فَهُوَ فِي ٱلْخِدْمَةِ لِنَفْسِهِ لَا لِغَيْرِهِ
وَقَدْ شَاهَدْنَا مِثْلَهُ فِي سُلُوكِهِ وَسَيْرِهِ

وَصَارَتْ لَهُ شُهْرَةٌ وَصِيتُهُ شَاعْ
وَٱلْتَفَّ حَوْلَهُ قَلِيلُ ٱلْعَقْلِ مِنَ ٱلْأَتْبَاعْ

فَٱزْدَادَ بِخِدْمَةِ هَوَاهُ وَمَطَالِبِ دُنْيَاهُ
وَٱتَّسَعَ بِٱلدُّنْيَا وَلُبْسِ مَا يُرِيدُهُ هَوَاهُ

وَٱسْتَوْلَى عَلَيْهِ حُبُّ ٱلرِّيَاسَةِ وَٱلْحُظُوظْ
وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَا لَا يَجُوزْ

وَٱسْتَطَالَ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ بِٱلتُّهَمِ
وَأَوْقَعَ ٱلسَّالِكِينَ بِٱلسُّجُونِ وَٱلْأَلَمِ

وَبَعْدَ غِيَابِ ٱلْمُرْشِدِ وَرَحِيلِهِ لِلْآخِرَةِ
ٱسْتَوْلَى عَلَى عُقُولِ ٱلْأَثْرِيَاءِ بِقَصْدِ ٱلْمُفَاخَرَةِ

وَأَوْقَعَ ٱلْكَثِيرَ بِفُخُوخِ ٱلضَّلَالِ
وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ فَرَّ مِنْهُ وَنَجَا مِنَ ٱلِٱحْتِيَالِ

قَرَأْنَا بِرَسَائِلِ ٱلشَّيْخِ خَالِدٍ ذِي ٱلْجَنَاحَيْنِ
أَنَّهُ طَرَدَ خَائِنًا وَتَبَرَّأَ مِنْهُ لِفِعْلِهِ ٱلشَّيْنِ

بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا
وَكَانَ بِخِدْمَتِهِ لِلطَّرِيقَةِ مُخَادِعًا مَاهِرًا

مِنْ جَهْلِ بَعْضِ ٱلنَّاسِ وَغَفْلَتِهِمْ
ٱتَّبَعُوهُ وَسَلَّمُوا لَهُ خَوَاطِرَ أَنْفُسِهِمْ

فَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ طُرُقَ كَسْبِ ٱلْحَرَامْ
ٱلْمُخَالِفَةَ لِشَرْعِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامْ

مَنْ يَعْرِفْ ذَوْقَ ثِمَارِ ٱلْعَارِفِينْ
لَا يَرْضَى بِأَتْبَاعِ ٱلْخُدَّامِ ٱلْخَائِنِينْ

فَٱلشَّيْخُ كَٱلسِّرَاجِ يَقْتَبِسُ مِنْهُ ٱلْمُرِيدْ
وَٱلْخَادِمُ ٱلْكَاذِبُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُفِيدْ

وَيَنْتَقِلُ مِنَ ٱلشَّيْخِ لِلْمُرِيدِ ٱلْحَالِ
بِوَاسِطَةِ ٱلصُّحْبَةِ وَٱلْقَلْبِ ٱلنَّقَّالِ

عَكْسَ ٱلْخَادِمِ ٱلْعَامِلِ بِٱلْمَقَالِ
ٱلْمُدَّعِي لِلْإِرْشَادِ ٱلْمُقَلِّدِ لِلْأَحْوَالِ

ٱلشَّيْخُ لَا يَتَصَرَّفُ بِٱلْمُرِيدِ عَلَى هَوَاهُ
فَهُوَ أَمَانَةٌ عِنْدَهُ مِنْ مَوْلَاهُ ﷻ

وَيَسْتَغِيثُ بِٱللهِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ ٱلْمُرِيدِ
فَيُمِدُّهُ ٱلْمَوْلَى ﷻ إِنْ شَاءَ بِكُلِّ مُفِيدِ

أَصْحَابُ ٱلْأَلْسُنِ ٱلْغَشَّاشَةِ

هُنَالِكَ أَصْحَابُ أَلْسُنٍ قَدْ أَوْقَعُوا ٱلنَّاسَ بِخَزَعْبَلَاتٍ مُغْرِضَةٍ يُعْطُونَ رَأْيَهُمْ بِمَقَامَاتِ ٱلنَّاسِ بِلَا دَلِيلٍ وَمَعْرِفَةٍ قَلْبِيَّةٍ مِنَ ٱلْجَلِيلِ ﷻ . وَهَذَا ٱلْغِشُّ ٱللِّسَانِيُّ ٱلْخَاطِئُ فِي تَشْخِيصِ مَرَاتِبِ ٱلنُّفُوسِ صَارَ مُوضَةً دَارِجَةً فِي ٱلطُّرُقَاتِ . فَيَقُولُونَ مَثَلًا: فُلَانٌ قُطْبٌ ، وَفُلَانٌ وَلِيٌّ وَهُوَ شَيْخُ مَشَايِخِ ٱلصُّوفِيَّةِ فِي ٱلْعَالَمِ. وَنَحْنُ نَعْرِفُهُ لَمْ يُبَلِّلْ قَلْبَهُ فِي عِلْمِ ٱلْمَعْرِفَةِ ، وَيَجْهَلُ طَبَقَاتِ ذِكْرِ ٱلْقُلُوبِ ، وَأَنْوَاعَ مَدَارِجِ ٱلتَّسْلِيكِ . وَلِجَهْلِ ٱلنَّاسِ بِهَذِهِ ٱلْبِلَادِ أَخَذُوا بِرَأْيِهِ وَغَرِقُوا فِي تَشْخِيصَاتِهِ ٱلْمُرَقَّعَةِ ٱلسَّاقِطَةِ عِرْفَانِيًّا ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا مَكَانٌ فِي دُسْتُورِ ٱلتَّصَوُّفِ .

اِحْذَرُوا تَشَابُهَ ٱلْعُلُومِ

قَدْ تَتَشَابَهُ ٱلْعُلُومُ عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ، مِمَّنْ لَيْسُوا عَلَى ٱلْإِيمَانِ ، فِي بِدَايَةِ ٱنْطِلَاقَةِ ٱلْمُبْتَدِئِينَ ٱلرُّوحِيَّةِ . وَلَكِنْ يَظْهَرُ ٱلِٱخْتِلَافُ وَاضِحًا حِينَ خُرُوجِ ٱلصُّوفِيِّ إِلَى طَبَقَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ ٱلْمَقَامَاتِ ، فَتَصِيرُ عُلُومُهُ مُخْتَلِفَةً تَمَامًا عَمَّنْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ ٱلتَّوْحِيدِ ، وَلَا تَشَابُهَ فِيهَا . لِأَنَّ ٱلْآخَرَ يُحَاوِلُ ٱخْتِرَاقَ تِلْكَ ٱلطَّبَقَاتِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ بِعِلْمِهِ ٱلشَّيْطَانِيِّ فَيُصِيبُهُ شِهَابٌ فَيُرْدِيهِ ، قَالَ ٱللهُ ﷻ حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ ٱلْجِنِّ : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ (الجن ٨ - ٩) .

أَمَّا ٱلْمُؤْمِنُ فَقَدْ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ (الرحمن ٣٣)
(والسلطان هنا هو الإيمان والعلم).

وَنَعْرِضُ بَعْضَ ٱلصُّوَرِ ٱلْمَوْجُودَةِ فِي أَرْشِيفِ (مَلَفَّاتِ) دَارِ مَرْكَزِ ٱلْكِتَابَاتِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ لِبَعْضِ ٱلْعُلُومِ ٱلَّتِي يُظْهِرُهَا مَنْ هُوَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ ٱلتَّوْحِيدِ ؛ وَٱلَّتِي يَنَالُهَا بِسُهُولَةٍ



ٱلطَّلَبِ وَبِلاَ مُجَاهَدَاتٍ إِيمَانِيَّةٍ قَاسِيَةٍ ، وَيَرْغَبُ بِهَا كُلُّ صَاحِبِ قَلْبٍ كَسُولٍ غَيْرِ مُوَفَّقٍ لِسُلُوكِ ٱلتَّصَوُّفِ ٱلإِيمَانِيِّ . وَقَدْ ذَكَرَ ٱلسَّادَةُ ٱلأَوْلِيَاءُ ٱلمُرْشِدُونَ ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةُ قَدَّسَ ٱللهُ أَسْرَارَهُمْ أَنَّهَا عُلُومٌ ظُلْمَانِيَّةٌ يَعْكِسُهَا ٱلشَّيْطَانُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ يُطِيعُهُ وَيَسْجُدُ لَهُ وَيَعْبُدُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يس ٦٠) وَسُمِّيَتْ عُلُومًا ظُلْمَانِيَّةً عَلَى حَسَبِ ظُلْمَانِيَّةِ مُرَوِّجِهَا ، لِأَنَّ ٱلعُلُومَ كُلَّهَا نُورَانِيَّةٌ مِنَ ٱللهِ ، وَلَكِنَّ ٱلشَّيْطَانَ ٱسْتَعْمَلَهَا لِإِيقَاعِ ٱلشُّرُورِ وَبَثِّ ٱلخُبْثِ فِي ٱلمُجْتَمَعِ . فَٱلسَّادَةُ ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةُ يُحَذِّرُونَ طُلَّابَهُمْ مِنْ قَبُولِ تِلْكَ ٱلعُلُومِ إِذَا عُرِضَتْ عَلَى صَفَحَاتِ مُخَيِّلَاتِهِمْ بِٱلرَّابِطَةِ وَيَمْنَعُونَ ٱلتَّظَاهُرَ بِهَا وَتَعَاطِيَهَا لِأَنَّهَا نَاتِجَةٌ مِنَ ٱلِٱسْتِدْرَاجِ ٱلَّذِي يَعْرِضُ لِلْمُرِيدِ ٱلصُّوفِيِّ ٱلمُبْتَدِئِ ٱمْتِحَانًا لَهُ ، فَإِذَا ٱنْسَاقَ مَعَهُ تَبَدَّلَ هَدَفُهُ ٱلإِيمَانِيُّ ، فَرَأَيْنَا مِنْ وَاجِبِنَا إِظْهَارَ تِلْكَ ٱلصُّوَرِ حَتَّى لَا يَقَعَ ٱلمُؤْمِنُ بِٱلغِشِّ وَٱلخِدَاعِ مَعَ هَؤُلَاءِ ٱلجُوكِيَّةِ ٱلمُدَّعِينَ لِلتَّصَوُّفِ .

وَطَعَّمْنَا ٱلكِتَابَ بِبَعْضِ صُوَرِ ٱلعَجَائِبِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ لِنُبَيِّنَ لِمَنْ يُنْكِرُ نَقْشَ ٱسْمِ ٱللهِ فِي ٱلقُلُوبِ أَنَّ ٱللهَ قَدْ نَقَشَهُ عَلَى ٱلثِّمَارِ وَٱلأَشْجَارِ وَٱلحُبُوبِ بِخُيُوطٍ نُورَانِيَّةٍ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ ٱلنَّقْشَبَنْدِيَّةُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ لِأَنَّ ٱسْمَ " ٱللهِ " يُنْقَشُ فِي قَلْبِ مَنْ وَفَّقَهُ ٱللهُ تَعَالَى لِذِكْرِهِ ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت ٥٣) .

وَوَضَعْنَا صُوَرَ بَعْضِ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلقَادِرِيَّةِ فِي بَعْلَبَكَّ قَدِيمًا لِيُشَاهِدَ ٱلقَارِئُ تَشَابُهَ ٱلعُلُومِ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا وَيُفَرِّقَ بَيْنَهَا ، فَإِنْ كَانَ ضَرْبُ ٱلشِّيشِ عِنْدَ ٱلمُؤْمِنِ لِعِلَّةٍ شَرْعِيَّةٍ فَهُوَ مَأْجُورٌ ، وَٱلكَافِرُ مَهْمَا أَظْهَرَ فَهُوَ فِي فُجُورٍ .







١- طُلَّابٌ مَجُوسٌ يَعْرِضُونَ قُدُرَاتِهِمُ ٱلسِّحْرِيَّةَ فِي إِدْخَالِ قَسْطَلٍ فِي خُدُودِهِمْ . ٢- رِيَاضِيٌّ يَسْتَعْرِضُ بَعْضَ أَنْوَاعِ سِحْرِهِ مَعَ ثُعْبَانِهِ أَمَامَ ٱلْجُمْهُورِ . ٣- رَجُلٌ مَجُوسِيٌّ فِي فَمِهِ بِتْرُولٌ يَنْفُثُهُ نَاراً مُلْتَهِبَةً . ٤- اَلْجُمْهُورُ فِي خَوْفٍ وَتَعَجُّبٍ .

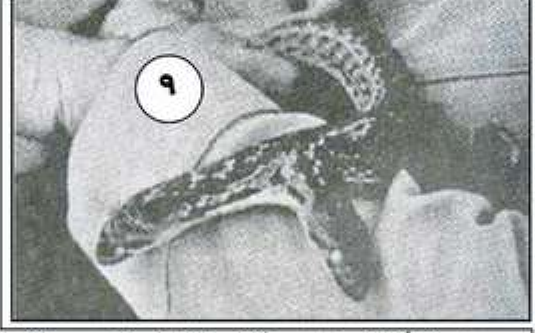




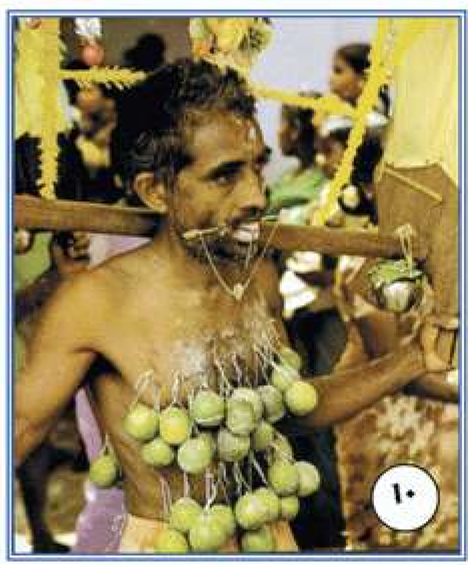




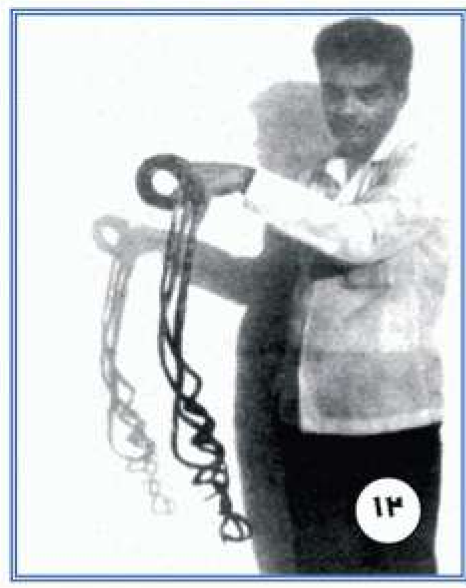
٥- تَاجِرُ ثَعَابِينَ يَغْرِفُهَا كَمَا يَغْرِفُ ٱلإِنْسَانُ ٱلْحِنْطَةَ. ٦- بُوذِيٌّ يُرَقِّصُ عَلَى أَنْغَامِ مِزْمَارِهِ ثُعْبَانَيْنِ مِنَ ٱلْكُوبْرَا فَيَتَمَايَلَانِ طَرَبًا.

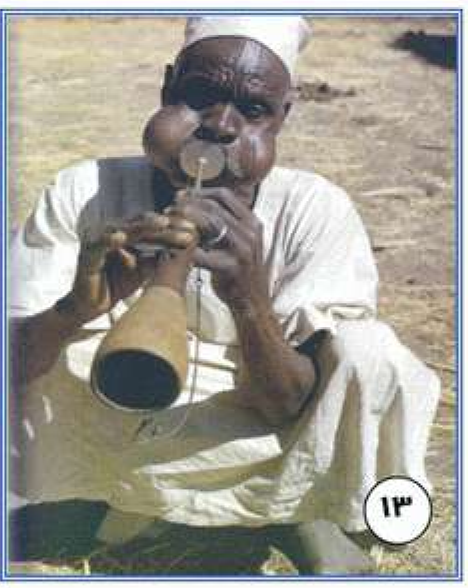


٧- بُوذِيَّةٌ تَمُصُّ رَأسَ ثُعْبَانِ كُوبْرَا خَطِيرٍ مِثْلَمَا تَمُصُّ بُونبُونَةً. ٨- فَتَاةٌ تُدَاعِبُ ثُعْبَانًا لَهَا وَتَسْتَغْرِقُ بِٱلتَّأَمُّلِ فِيهِ. ٩- أَفْعَى ذَاتُ رَأْسَيْنِ.





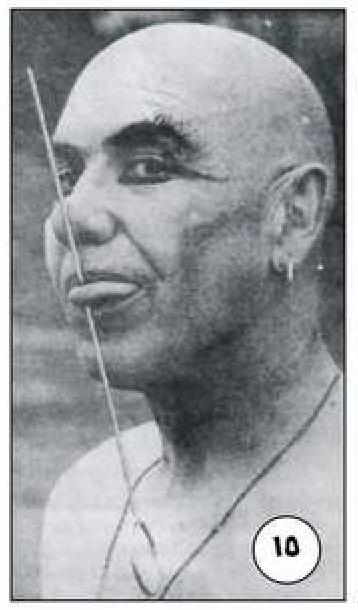




١٠- بُوذِيٌّ فِي مَهْرَجَانِ تَايْبُوسَامْ بِمَالِيزْيَا يَغْرِزُ فِي فَمِهِ وَجَسَدِهِ عَشَرَاتِ ٱلْكَلَالِيبِ وَقَدْ عَلَّقَ فِي كُلٍّ مِنْهَا حَبَّةَ لَيْمُونٍ حَامِضٍ . ١١- طِفْلَةٌ صِينِيَّةٌ تَعْرِضُ قُدُرَاتِهَا وَتَحْمِلُ بِأُذُنَيْهَا بَعْدَ شَقِّهَا حُلًى ثَقِيلَةً . ١٢- رَجُلٌ بُوذِيٌّ يَعْرِضُ طُولَ أَظَافِرِهِ فِي مَهَارَاتٍ عَالَمِيَّةٍ. ١٣- رَجُلٌ يَنْفُخُ خَدَّيْهِ بِطَرِيقَةٍ عَجِيبَةٍ كَٱلطَّبْلِ .









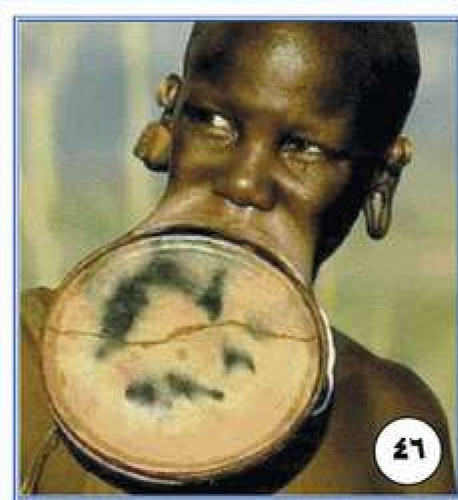


١٤- رَجُلٌ مِنَ ٱلسِّيخِ يَقْطَعُ لِسَانَهُ بِٱلسَّيْفِ ثُمَّ يُلْصِقُهُ بِدُونِ أَثَرٍ لِلدَّمِ . ١٥- بُوذِيٌّ يَتَجَوَّلُ فِي شَوَارِعِ لُنْدُنَ يُدْخِلُ سِيخًا فِي لِسَانِهِ . ١٦- فَتَاةٌ سُوَيْدِيَّةٌ عُمْرُهَا خَمْسُ سَنَوَاتٍ تَحْمِلُ ثُعْبَانًا وَزْنُهُ ٢٠ كِيلُو لِعَرْضِهِ فِي مَعْرِضِ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْمُدَلَّلَةِ بِٱسْتُوكْهُولْمْ . ١٧- شَابٌّ مَهَارِيشِيٌّ يَطِيرُ فِي ٱلْهَوَاءِ وَيُسَمُّونَ ٱلطَّيَرَانَ عِنْدَهُمُ ٱلْخُرُوجَ عَنِ ٱلْجَاذِبِيَّةِ







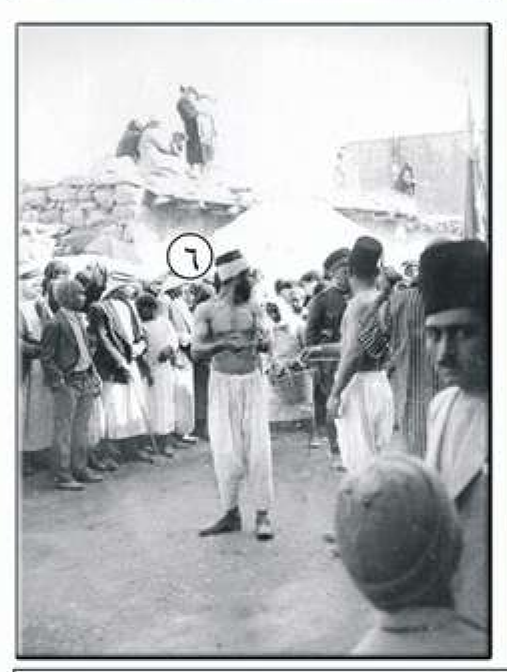


٤٥- رَجُلٌ بُوذِيٌّ لَمْ يَكْتَفِ بِضَرْبِ ٱلشِّيشِ، فَتَطَوَّرَ إِلَى ثَقْبِ خَدِّهِ بِـبُورِي ٱلعَجَلَةِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ ٱلعَجَلَةَ لِإِظْهَارِ مَا عِنْدَهُ مِنْ عُلُومٍ . ٤٦ - اِمْرَأَةٌ عَلَى غَيْرِ ٱلإِسْلَامِ تَفْتَحُ فَمَهَا بِحَجْمٍ تَسْتَطِيعُ فِيهِ أَنْ تَبْلَعَ دَجَاجَةً . ٤٧- رَجُلٌ بُوذِيٌّ أَرَادَ أَنْ يَتَحَدَّى سَائِرَ أَصْحَابِ ٱلعُلُومِ فَأَدْخَلَ فِي خَدِّهِ قِطْعَةً مِنْ مِفْتَاحِ رِنْشٍ كَبِيرٍ وَأَدْخَلَ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلشِّيشِ فِي خَدِّهِ وَرَقَبَتِهِ وَظَهْرِهِ وَأُذُنِهِ.









١- اَلشَّيْخُ عَبْدُ ٱلْغَفَّارِ عَرَفَاتِ ٱلْقَادِرِيُّ فِي يَوْمِ ٱلدَّعْسَةِ ٢- اَلشَّيْخُ ٱلصَّالِحُ مُحَمَّد يَاسِين مِنْ حَماه (سُورِيَا) يَمْدَحُ ٱلنَّبِيَّ وَيُهَلِّلُ وَيُكَبِّرُ ٣- عَبْدُ ٱللهِ ٱلرِّفَاعِيُّ، بَعَلْبَكَّ سَنَةَ ١٩٤٨م ٤- اَلشَّيْخُ مُحَمَّدُ ٱلْحَمَوِيُّ يَضْرِبُ ٱلشِّيش فِي خَمِيسِ ٱلدَّعْسَةِ ٥- اَلشَّيْخُ مُحَمَّد صَالِح وَأَوْلَادُهُ يَضْرِبُونَ ٱلشِّيش ٦- اَلشَّيْخُ مُحَمَّد صَالِح وَرُفَقَاؤُهُ يَضْرِبُونَ ٱلشِّيش

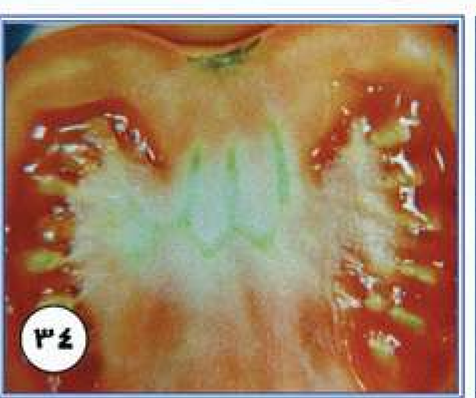




٧- صُورَةٌ تُمَثِّلُ ٱلتَّسَامُحَ وَ ٱنْهِدَامَ ٱلتَّعَصُّبِ ٱلشَّنِيعِ فِي زَمَنِ صَفَاءِ ٱلقُلُوبِ،يَظْهَرُ فِيهَا فِي خَمِيسِ ٱلدَّعْسَةِ ٱلأُسْتَاذُ جُوزِيف ٱلجُلَيْلَاتِي، مِنْ بَعْلَبَكَّ، ٱلَّذِي كَانَ مِنَ ٱلمُدَاوِمِينَ عَلَى حُضُورِ ٱلِاحْتِفَالَاتِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ وَ خَمِيسِ ٱلدَّعْسَةِ. ٨- يَوْمُ ٱلِاحْتِفَالِ ٱلكَبِيرِ فِي بَعْلَبَكَّ يَوْمُ خَمِيسِ ٱلدَّعْسَةِ فِي ٱلثَّلَاثِينِيَّاتِ،يَظْهَرُ فِيهِ فِرْقَةٌ مِنَ ٱلقَادِرِيَّةِ يَضْرِبُونَ ٱلشِّيشَ وَ يَظْهَرُ ٱلدَّرَكُ ٱللُّبْنَانِيُّ يَقُومُونَ بِوَاجِبَاتِهِمُ ٱلوَطَنِيَّةِ وَتَظْهَرُ ٱلنِّسَاءُ فِي ٱلحِجَابِ ٱلشَّرْعِيِّ ٱلقَدِيمِ، وَفِي ٱلصَّفِّ ٱلثَّانِي مِنَ ٱلحُضُورِ مَجَاذِيبُ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ وَتَهْتَزُّ بِجَذَبَاتٍ رُوحِيَّةٍ مِنْ شِدَّةِ ٱلفَرَحِ وَٱلسُّرُورِ وَبَاقِي ٱلنَّاسِ تَقُومُ بِتَوْزِيعِ ٱلحَلْوَى وَٱلمَأْكُولَاتِ مَجَّاناً لِوَجْهِ ٱللهِ تَعَالَى، يَا لَهَا مِنْ أَيَّامٍ نُورَانِيَّةٍ ... لَوْ تَعُودُ!

هَذَا ٱلضَّرْبُ وَ ٱلتَّشَابُهُ بِٱلعُلُومِ	لَا يَجْرَحُ إِيمَانَ ٱلمُؤْمِنِ بِٱلحَيِّ ٱلقَيُّومِ
فَقَدْ ظَهَرَ مِثْلُ ذَلِكَ لِغَيْرِ ٱلمُسْلِمِينَ	فِي ٱلهِنْدِ وَ لُنْدُنَ وَٱليَابَانِ وَٱلصِّينِ

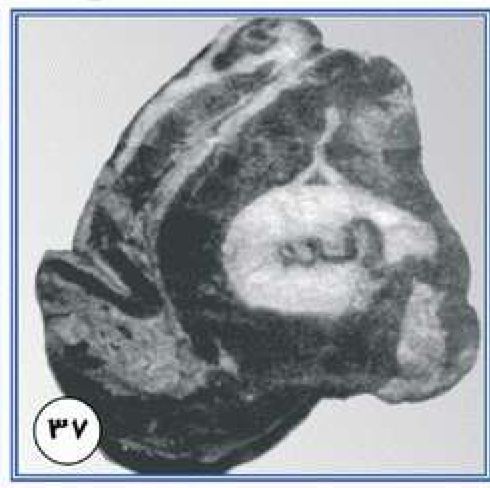


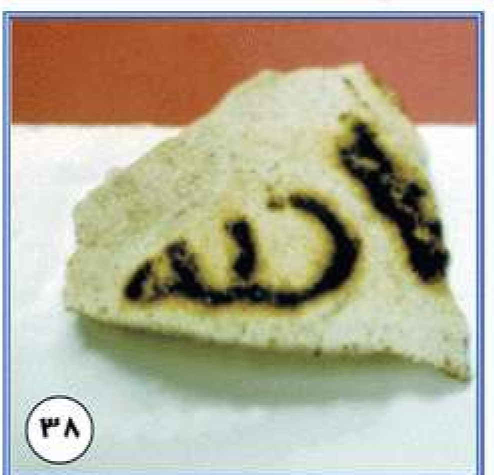






٣٣- قِطعَةُ خُبزٍ وُجِدَ عَلَيهَا ٱسْمُ ٱلجَلالَةِ ٱلمُعَظَّمُ مَنقُوشًا . ٣٤- قِطْعَةُ بَنَدُورَةٍ نُقِشَ عَلَيْهَا بِخُيُوطٍ بَيْضَاءَ ٱسْمُ ٱللهِ ﷻ . ٣٥- قَفِيرُ مَـعَ ٱلعَسَلِ نُقِشَ عَلَيْهِ ٱسْمُ ٱللهِ ﷻ ٱلمُقَدَّسُ . ٣٦- حَجَرٌ كَرِيمٌ مَنقُوشٌ عَلَيْهِ ٱسْمُ ٱللهِ ﷻ وَلَيْسَ ٱلنَّقْشُ مِنْ عَمَلِ ٱلإِنْسَانِ... قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ (النور ٤١) . صدق الله العظيم و صدق رسوله الكريم ﷺ









٣٧- قِطْعَةٌ مِنْ لَحْمِ ٱلْبَقَرِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا ٱسْمُ خَالِقِهَا عَلَى دُهْنِهَا . ٣٨- قِطْعَة خُبْزٍ نُقِشَ عَلَيْهَا ٱسْمُ ٱللهِ ﷻ . ٣٩- قِطْعَةٌ مِنْ حَجَرِ ٱلْعَقِيقِ كُتِبَ عَلَيْهَا ٱسْمُ سَيِّدِ ٱلْكَائِنَاتِ (مُحَمَّدٍ ﷺ) . ٤٠- شَجَرَةٌ فِي حَوْشِ ٱلْحَرِيمِيّ ـ ٱلْبِقَاع، يَضُمُّهَا شَابٌ كَنَدِيٌّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا ٱسْمُ ٱللهِ ﷻ . ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأحقاف ٣٣)

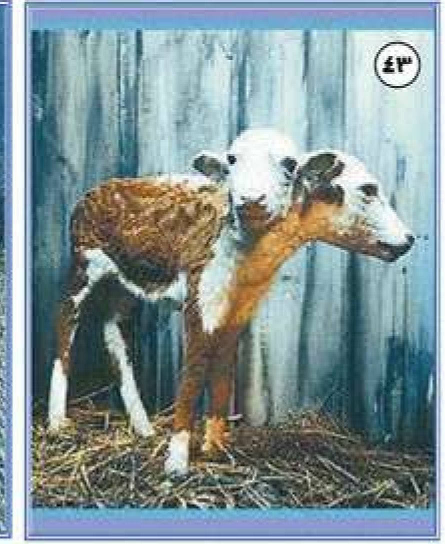
من أرشيف مركز الكتابات الإسلامية بيروت ص.ب: ١١٣/٥٧٤٣











٤١- شَجَرَةٌ عَجِيبَةٌ خَلَقَهَا ٱللهُ ﷻ مُجَوَّفَةٌ وَمُقَطَّعَةٌ كَقِطَعِ ٱلبَقْلَاوَةِ . ٤٢- ٱلغُيُومُ تَعْتَرِفُ بِٱسْمِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَتُسَبِّحُ بِٱسْمِهِ . ٤٣- مِنْ عَظِيمِ خَلْقِ ٱللهِ : عِجْلٌ صَغِيرٌ بِرَأْسَيْنِ . ٤٤- حَتَّىٰ ٱلبَحْرَ جَعَلَ ٱللهُ فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِهِ، وُجِدَ فِي أَحَدِ ٱلبِحَارِ إِشَارَةُ هِلَالٍ وَنَجْمَةٍ تَرْمُزُ إِلَىٰ عَلَمِ ٱلإِسْلَامِ مَنْحُوتَةً بِصُنْعِ ٱللهِ ﷻ .

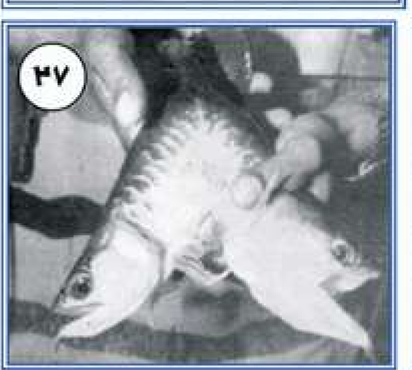
﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (القصص ٦٨)







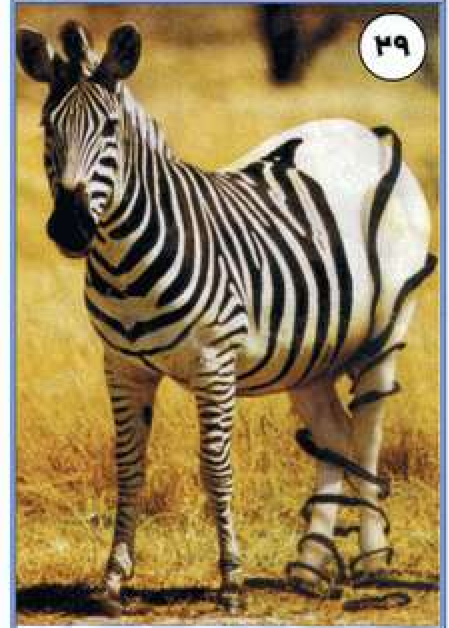


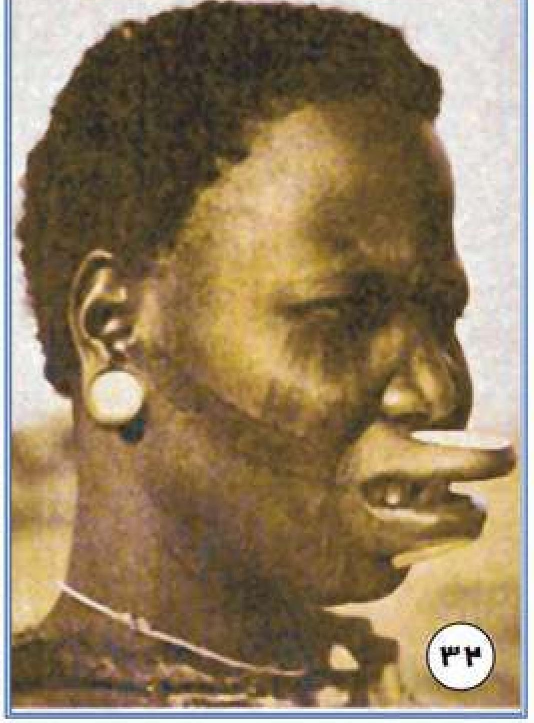




٢٤- طِفْلٌ لَهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ فِي جَبِينِهِ . ٢٥- فَتَاةٌ بِرَأْسَيْنِ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا تَفْكِيرٌ مُخْتَلِفٌ. ٢٦- طِفْلٌ خَلَقَهُ اللهُ ﷻ بِجَوَانِحَ مِنْ رِيشٍ . ٢٧ سَمَكَةٌ لَهَا رَأْسَيْنِ ، قَالَ اللهُ ﷻ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (القصص ٦٨) . ٢٨- سَمَكَةٌ لَهَا رِجْلَيْنِ كَالْبَشَرِ وُجِدَتْ عَلَى شَوَاطِئِ أَمِيرْكَا .









٢٩- حِمَارٌ بَرِّيٌّ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَخْلَعُ زِنَارَهُ الْمُخَطَّطَ عَلَى جَسَدِهِ بِقُدْرَةِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ. ٣٠- حَتَّى الْفَرَاشَةَ قَدِ اخْتَصَّهَا اللهُ بِعَظَمَتِهِ وَجَعَلَ رَقْماً عَلَى جَانِحِهَا. ٣١- شَجَرَةٌ رَاكِعَةٌ. قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن ٦). ٣٢- قَدْ خَلَقَ اللهُ لِهَذَا الرَّجُلِ فَماً كَالطَّيْرِ. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص ٦٨)













١٨- أَطْوَلَ لِسَانٍ فِي ٱلْعَالَمِ ،وَلَكِنْ لَا يَسْتَعْمِلُهُ لِلنَّمِيمَةِ . ١٩-سَمَكَةٌ فِي ٱلسِّنِغَالِ نُقِشَ عَلَيْهَا ٱسْمُ ٱللهِ جلاله. ٢٠- خَلْقُ ٱللهِ ٱلْعَجِيبُ فِي عُيُونِ هَذَا ٱلرَّجُلِ . ٢١- حَشَرَةٌ مِثْلُ وَرَقِ ٱلْأَشْجَارِ . ٢٢- وَلَدٌ خَلَقَهُ ٱللهُ وَلَهُ قُرُونٌ فِي رَأْسِهِ .٢٣- مَوْلُودٌ لَهُ أَرْبَعُ أَيَادٍ .

قَالَ ٱللهُ ﷻ: ۞ **هَذَا خَلْقُ ٱللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ** ۞ (لقمان ١١)

من أرشيف مركز الكتابات الإسلامية بيروت ص.ب: ١١٣/٥٧٤٣

دعاء وزوكالة لإزالة ملك إيران

طلبت من الكاتب أن يعرض حدثاً روحياً مهماً حتى لا تراود الشكوك بعض القرّاء في ما قدّمه من وقائع عرفانية، وحوادث روحية وتشخيصات صوفية في موسوعته، وأردت بذلك أن يبيّن للحاسد المنكر ما أعطى الله مرشده من إمدادات وقدرات لهمّته، وأنواع الاستجابات الربانية الراقية المميزة التي يتفتّت منها صوّان الصخور، وهي على الأولياء ألين من عود البخور. وطلبت من الكاتب أن يبرز وثيقة مهمّة لتلك الحادثة مدموغة بالأختام القانونية لإظهار الخيط الأبيض من الخيط الأسود. فقد تعرّض الكاتب لسجون ومضايقات متكررة في إيران زمن الشاه الميت فنفي الكاتب ورمي بصحراء خرّم شهر من قبل المخابرات الإيرانية السافاك ظلماً وعدواناً. وطلبوا منه أن يعبر الحدود ويقطع تلك المسافة الخطيرة الطويلة على الأقدام . فطلب مرشد الكاتب في الثاني عشر من حزيران سنة ١٩٧٨ أن يزوّده بتوكيل من لبنان لرفع شكوى ضدّ شاه إيران بعدما تشاجر المرشد وأهان مأمور جهاز السافاك الذي يتّهم الكاتب بالتعاون مع خصمه العراقي وقال المرشد برسالته للكاتب : "دعونا على الملك وننتظر الاستجابة من الله وفعله فيه". فذهب إلى كاتب عدل ببيروت وسجّل التوكيل المذكور حسب الأصول القانونية المتبعة، ولما أرسل التوكيل إلى مرشده حرّك الله الثورات والمظاهرات في خلال ثمانية شهور تقريباً، ثم ظهر بعدها لمعان أنوار الاستجابة الربانية، ففرّ الملك هارباً من مملكته، وعاد الكاتب إلى جامعة التصوّف والعرفان فرحاً مسرور القلب. وعند لقائه بمرشده قال له: "لخاطر عيونك حصل ما ترى من بركات الدعاء". وكان لهذه الحادثة أثر كبير في ازدياد اعتقاد الكاتب بهمّة مرشده العظيمة التي بإذن الله كانت تحرّك الجبال بمدد الربّ المتعال

فلا يعجبنّ الفتى مما نقول وله وصل لله رجال إذا قالوا لشيء بسم الله حصل

الساعي لنشر الرسالة
الشيخ محمد منير العجوز

(تحضير رسالة ماجستير)

مكتب
الاستاذ خالد عيتاني
الكاتب العدل في بيروت
شارع رياض الصلح - بناية بنك مصر لبنان
تلفون { المكتب ٢٣٩٦٦٨
المنزل ٣٠٢٤٦٩



سند توكيل خاص رقم «١٠٢٨٤»

١٢ حزيران ١٩٧٨

يوم الاثنين الواقع في الثاني عشر من شهر حزيران سنة الف وتسعماية وثمانية وسبعون حضر امامي

انا خالد محمد عيتاني المجاز في الحقوق الكاتب العدل في بيروت والمقيم في مكتبي الكائن بشارع رياض الصلح السيد

عدنان توفيق ياسين لبناني تولد بيروت سنة ١٩٤٢ سجل هويته رقم ١١١٧ المزرعة رسمه على هويته مقيم ببيروت الحائز على الاهلية القانونية والمدنية معروف بموجب هو

المعرف عن هويته ومحل اقامته واهليته المدنية بالشاهدين المعرفين السيدين

هامش

الحائزين على الشروط المنصوص عنها في المادة ٨ من المرسوم الاشتراعي رقم (L.E.) ١٧٦ الصادر بتاريخ ٧ كانون الاول ١٩٤٠ وبحضوري وحضورهما صرح طائعاً مختاراً بما يلي : قد وكلت

الاستاذ المحامي عبد المجيد السجادي - طهران - ايران .

المرافعة والمدافعة عني بالدعاوى المتكونة فيما بيني وبين الامن الايراني والحق العام وذلك امام كافة المحاكم والدوائر والمراجع على اختلاف انواعها ودرجاتها في ايران . من مدنية وعسكرية وشرعية .

وما يتفرع عنها وكالة عامة بهذا الخصوص مفوضة لرأيه وفعله مجيزاً له تقديم الاستدعاءات واللوائح الخطية واستلام واسترجاع كافة الاوراق اين واني كانت والتحليف والتحكيم والتبليغ وتسمية الخبراء وردهم وقبول تقاريرهم والاعتراض عليها وطلب الحجز وتثبيته ورفعه والاستحصال على الاحكام والقرارات الادارية وتنفيذها بجميع الطرق القانونية وطلب وضع التامين الاجباري وبيع اموال المديون المنقولة وغير المنقولة بالمزاد العلني وملاحقة جميع المعاملات في الدوائر العقارية وطلب شهر الافلاس والتصفية القضائية وتصديق الكونكورداتو وتثبيت الديون والاعتراض عليها وتقديم الشكاوي وطلب الحقوق الشخصية في الدعاوي الجزائية ومراجعة جميع المحاكم بجميع طرق المراجعة العادية والاستثنائية استئنافاً وتمييزاً وتصحيحاً واعادة محاكمة واعتراض الغير والاعتراض على الاحكام الغيابية ورد الحكام والشكوى منهم وتسمية الشهود وردهم واختيار محل الاقامة مع حق ارسال الانذارات والاخطارات وطلب اخلاء السبيل والتوقيع عليه مع حق القبض والدفع واستلام وتسليم وتوقيع كافة الاوراق والمعاملات اللازمة لما ذكر اعلاه .

وتوكيل من يشاء بكل ما وكلته به او ببعضه وعزل من يوكله واجراء جميع ما تقتضيه مصلحته شرعاً وقانوناً وبعد تلاوة هذا السند علي علناً ومصادقتي على مضمونه امضي مني ومنه

الكاتب العدل في بيروت

الموكل



الرقم المتسلسل ١٠٢٨٤
رقم المالية
الرسم





République Libanaise
Ministère des Affaires Etrangères
No. 3306
Vu pour légalisation de la signature
de Mr : C. Fawwaz
Signant pour La Justice
Taxe perçue P. L.
Beyrouth, le 13 JUIN 1978
le Chef Section des Légalisations

(X)



شعبه امور کنسولی سفارت شاهنشاهی در بیروت صحت
مهر وامضای وزارت خارجه لبنان
را که در این برگ بعلامت (X) مشخص
شده بدون توجه بمندرجات متن گواهی میکند
شماره ۴۰۹ تاریخ ۳/۲۴ ۲۵۳۷

متصدی امور کنسولی. علی اجتهادی







صور للأضرحة المباركة أخذت حين زيارة الكاتب وتشرفه بأضوائها النورانية أثناء سلوكه الروحي في زمن شبابه، وكان قصده التبرك وجمع القدر الكافي من المعلومات لمعرفة خفايا الحوادث الصوفية والوقائع الروحية ليخرج منها مواضيع شيقة تخص التصوف وزيارة أهل القبور ونوعية التعامل مع أصحابها عند الزوار لترميم ما تصدع بسبب المعارضة الحرجة والمعقدة من بعض المنكرين على الزوار.

ملاحظة: وقد يحصل تغيير لأقفاص الأضرحة.

القارئ
عبد الباسط محمد عبد الصمد
٥ ش عبد العظيم راشد ـ الدقي
ت : ٨٠٠٣٦٤

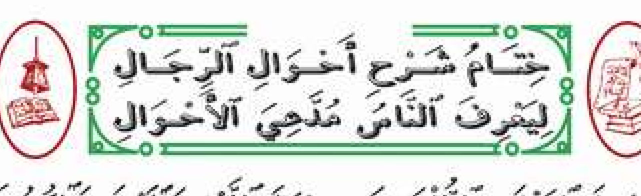
بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الأخ الأستاذ عدنان ياسين
تحية طيبة مباركة من عند الله ورسوله
راجيا لكم كل ما أتمناه لكم من صحة وعافية
كذا جميع الأسرة الكريمة والإخوان والأحباب وبعد
أستلمت رسالتكم الكريمة مع رسالة مولانا الكبير العارف بالله
فضيلة الشيخ عثمان سراج الدين نسأل الله أن يجمعنا بكم على خير
وعلى مائدة العلم والقرآن وفي رحاب مولانا الشيخ عثمان
الذي طالما تمنينا لقاءه نسأل الله أن يجمع القلوب ويوحد الصفوف
حتى نسعد بلقائكم إن شاء الله ونحن شاكرين لكم
فضلكم وشعوركم النبيل مع تحياتي وقبلاتي لكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٧/١/٩٧٩

أخوكم
عبد الباسط عبد الصمد

رِسَالَةٌ مِنْ قَارِيءِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْكَبِيرِ فَضِيلَةِ ٱلشَّيْخِ عَبْدِ ٱلْبَاسِطِ عَبْدِ ٱلصَّمَدِ.. صَاحِبَ ٱلْفَضِيلَةِ ٱلْأَخَ ٱلْأُسْتَاذَ عَدْنَانَ يَاسِينَ تَحِيَّةٌ طَيِّبَةٌ مُبَارَكَةٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ رَاجِيًا لَكُمْ كُلَّ مَا أَتَمَنَّاهُ لَكُمْ مِنْ صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ كَذَا جَمِيعِ ٱلْأُسْرَةِ ٱلْكَرِيمَةِ وَٱلْإِخْوَانِ وَٱلْأَحْبَابِ وَبَعْدُ، أَسْتَلَمْتُ رِسَالَتَكُمُ ٱلْكَرِيمَةَ مَعْ رِسَالَةِ مَوْلَانَا ٱلْكَبِيرِ ٱلْعَارِفِ بِٱللهِ فَضِيلَةِ ٱلشَّيْخِ عُثْمَانَ سِرَاجِ ٱلدِّينِ، نَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكُمْ عَلَى خَيْرٍ وَ عَلَى مَائِدَةِ ٱلْعِلْمِ وَ ٱلْقُرْآنِ وَفِي رِحَابِ مَوْلَانَا ٱلشَّيْخِ عُثْمَانَ ٱلَّذِي طَالَمَا تَمَنَّيْنَا لِقَاءَهُ، نَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يَجْمَعَ ٱلْقُلُوبَ وَيُوَحِّدَ ٱلصُّفُوفَ حَتَّى نَسْعَدَ بِلِقَائِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ. وَنَحْنُ شَاكِرِينَ لَكُمْ فَضْلَكُمْ وَشُعُورَكُمُ ٱلنَّبِيلَ مَعْ تَحِيَّاتِي وَقُبْلَاتِي لَكُمْ وَ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ. أَخُوكُمْ عَبْدُ ٱلْبَاسِطِ . (كَانَ رَحِمَهُ ٱللهُ يَتَمَنَّى بِشَوْقٍ لِلتَّعَرُّفِ عَلَى حَقِيقَةِ ٱلتَّصَوُّفِ وَٱلْمَعْرِفَةِ وَلَكِنْ قَدَرُ ٱللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ).



الِانْتِقَالُ مِنْ عَالَمِ الْغَفْلَةِ الظُّلْمَانِيَّةِ ... لِعَالَمِ الذَّوْقِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْكُشُوفَاتِ النُّورَانِيَّةِ

لَهَا إِشَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَى صَاحِبِهَا ... وَبِالتَّعَامُلِ مَعَهُ يَظْهَرُ لِلْحَقِيقَةِ قَلْبُهَا

تَجْعَلُ بِنَفْسِ السَّالِكِ أَثْقَالًا مُفَاجِئَةً ... يَقْطَعُ بِعِنَايَةِ اللهِ ﷻ ظُرُوفَهَا الْمُحْرِجَةَ

كَانْتِقَالِ الرُّوحِ مِنْ دَارٍ لِدَارِ ... لَا تَعُودُ الرُّوحُ بَعْدَ النَّوْمِ إِلَّا بِأَمْرِ الْغَفَّارِ

فَلَوْ كَانَ فِي حُلُمٍ مُزْعِجٍ لِلْأَرْوَاحِ ... يَصْحُو النَّائِمُ وَكَأَنَّهُ يَتَأَلَّمُ مِنَ الْجِرَاحِ

أَمَّا الِانْتِقَالُ فِي السُّلُوكِ الصُّوفِيِّ النُّورَانِيِّ ... فَلَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْ هَوْلِهِ الرُّوحَانِيِّ

إِلَّا بَعْدَ قَطْعِهِ شَوْطَ الْمَقَامِ الْمَقْسُومِ ... فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ وَالرُّسُومِ

فَتَكُونُ الرُّوحُ وَكَأَنَّهَا فِي حُفَرٍ مُظْلِمَةٍ ... فَتُصْعَقُ مِمَّا تُشَاهِدُ مِنْ أَهْوَالٍ مُؤْلِمَةٍ

لَمْ تَتَعَوَّدْ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلُ الرُّوحْ ... فَلَا تَهْدَأُ وَلَا تَرْتَاحُ إِلَّا بِالْفُتُوحْ

وَإِلَّا تَبْقَى مُضْطَرِبَةً بِأَلَمٍ دَائِمْ ... كَمَا لَوْ كَانَ بِحُلُمٍ مُزْعِجٍ النَّائِمْ

لَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِيقَاظِ مِنْ حُلُمِهِ ... أَمَّا السَّالِكُ فَيَخُوضُ الْمَخَاطِرَ فِعْلًا بِعِلْمِهِ

وَبِالصَّلَاةِ وَالطَّاعَاتِ وَطَرْحِ سَائِرِ شَوَاغِلِ ... الدُّنْيَا وَعَوَائِقِ الْجِسْمِ لِيَفُوزَ بِأَرْقَى مَسَائِلِ

هَٰذَا السُّلُوكُ مِنَ النَّوْعِ الثَّقِيلِ ... يَقْطَعُهُ السَّالِكُ وَكَأَنَّهُ مِلْيُونُ مِيلِ

مَنْ يَعْجَزُ عَنْ رَفْعِ هُمُومِ الْأَثْقَالِ ... فَلَا يُدَوَّنُ اسْمُهُ بِقَامُوسِ الرِّجَالِ

قَالَ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ (المزمل ٥)، قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: لَهُ عِدَّةُ وُجُوهٍ مِنْهَا: ثَقِيلًا عَظِيمًا قَدْرَ جَلَالِهِ. قَالَ ﷺ: "**إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا**"[1]. وَرُوِيَ أَنَّ الْوَحْيَ الْمُبَارَكَ نَزَلَ عَلَيْهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، فَثَقُلَ عَلَيْهَا حَتَّى وَضَعَتْ جِرَانَهَا[2] فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَحَرَّكَ.

(١) كشف الخفاء ج ١ ص ٢٣١

(٢) جِرَانُ الْبَعِيرِ مُقَدَّمُ عُنُقِهِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ.

فَإِنْ لَمْ يَذُقِ ٱلْمُدَّعِي أَسْرَارَ ٱلنَّفَحَاتِ ... يُقَلِّدِ ٱلْجَذْبَ وَٱلتَّرْبِيَةَ حَتَّى ٱلشَّطَحَاتِ
وَيَعْجَزْ عَنْ إِلْقَاءِ مَا عِنْدَهُ لِقَلْبِ ٱلْمُرِيدْ ... لِأَنَّهُ فَارِغٌ وَعَنْ خَطِّ ٱلتَّصَوُّفِ وَٱلتَّرْبِيَةِ بَعِيدْ
اَلصُّوفِيُّ ٱلسَّالِكُ يَصْعَدُ وَيَعْبُرُ ٱلطَّبَقَاتْ ... بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمُدَّعِي بُعْدٌ وَفُرُوقَاتْ
لَا يَنَالُ مَقَامَاتِ ٱلْعُبُورِ رُوحِيًّا إِلَّا ٱلْقَوِيُّ ... ٱلْمُرْشِدُ ٱلْمُسَلِّكُ ٱلْمُرَبِّي ٱلْعَارِفُ ٱلْوَلِيُّ
بِدَايَةُ ٱلصُّوفِيِّ كَأَلَمِ قَطْعِ ٱلسُّيُوفِ لِلْجَسَدِ ... لَا يَنَالُهَا إِلَّا ذُو قَلْبٍ شَدِيدٍ كَٱلْأَسَدِ
ذَلِكَ ٱخْتِصَاصٌ مِنْ رَبِّنَا ٱلرَّحْمَٰنِ ... مَنْ وَفَّقَهُ ٱللهُ ﷻ لَهَا صَارَ بِأَمَانِ
فَلْيَقِسْ بِنَفْسِهِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ مُرَبِّي ... هَلْ رَزَقَهُ رَبُّنَا مِثْلَ مَا شَرَحْتُ بِدَرْبِي
هَلْ تَحَمَّلَ فِي سُلُوكِهِ تِلْكَ ٱلْأَثْقَالْ ... وَذَوَّقَهَا لِقُلُوبِ أَتْبَاعِهِ مِنْ نِسَاءٍ وَرِجَالْ
هَذِهِ مَقَايِيسُ تَفْضَحُ ٱلْمَغْشُوشَ ٱلْمَوْهُومْ ... ٱلَّذِي يُعْطِي أَوْرَادًا مِنَ ٱلْغُيُومْ
وَهُوَ جَاهِلٌ غَيْرُ مُتَخَصِّصٍ وَلَا عَارِفٍ رَبَّانِيّ ... تَصَدَّى زُورًا لِلتَّسْلِيكِ وَٱلطِّبِّ ٱلرُّوحَانِيّ
فَلْيَفْهَمُوا : ٱلتَّرْبِيَةُ لَهَا أَسْرَارٌ وَعُدَّةٌ ... وَمَفَاتِيحُ لِلْقُلُوبِ تَوَجُّهَاتُهَا حَامِيَةٌ مُهِدَّةٌ
اَلدَّجَّالُ يُضَيِّعُ ٱلْفُرَصَ وَٱلزَّمَنَ عَلَى ٱلنَّاسْ ... فَيَخْرُجُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَا شُعُورَ وَلَا إِحْسَاسْ
وَبَعْضُهُمْ يَظُنُّ أَنَّ ٱلسُّلُوكَ سَهْلٌ مُيَسَّرٌ ... إِذَا حَفِظَ كِتَابًا تَفْسِيرُهُ مُعَسَّرٌ
يَعْتَقِدُ أَنَّهُ ذُو وِلَايَةٍ مُقَدَّرَةْ ... وَأَحْوَالُهُ ٱلْبَاطِنِيَّةُ نَائِمَةٌ مُدَمَّرَةْ
فَعَلَى ٱلْمَغْشُوشِ فِيهِ تَرْكُهُ وَهِجْرَانُهْ ... وَلْيَبْحَثْ عَمَّنْ يَكْسِرُ لَهُ حُجُبَ جُدْرَانِهِ
أَخْبَرَنَا ٱللهُ عَنْ صُعُوبَةِ ٱلصُّعُودِ بِٱلسَّمَاءِ ... وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ مِنَ ٱلْمَاءِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الأنعام ١٢٥)

أَصْحَابُ ٱلصُّدُورِ ٱلضَّيِّقَةِ لَا تَدْخُلُهَا ٱلْمَعَارِفْ ... وَيَشُقُّ عَلَيْهَا ٱلصُّعُودُ لِمَقَامَاتِ ٱلْعَارِفْ
قَدْ يَظُنُّ ٱلْجَاهِلُ أَنَّ قَطْعَ ٱلْمَقَامَاتِ ... مِنَ ٱلْأَرْضِ رُوحِيًّا وَٱلْعُرُوجَ فِي ٱلسَّمَوَاتِ
سَهْلُ ٱلْمَنَالِ وَهَيِّنٌ فِي ٱلْحُصُولِ وَٱلْوُصُولِ ... وَبِٱلْحَقِيقَةِ لَا يُفْتَحُ لَهُ إِلَّا بِإِيمَانٍ قَوِيٍّ مَوْصُولِ

مَنْ كَانَ بِٱلْغَفْلَةِ مَجْرُوحَ عَرْشِ ٱلْقَلْبِ   يَجْهَلُ سُلُوكَ طُرُقِ ذَلِكَ ٱلدَّرْبِ

كَمْ مِنْ رَاوٍ لِقِصَصِ تَسْلِيكِ ٱلْأَوْلِيَاءِ   يَجْهَلُ تَزْكِيَةَ مَا يُفِيدُ ٱلْقَلْبَ مِنْ دَوَاءِ

وَيَدَّعِي أَنَّهُ سَالِكٌ لِلّٰهِ وَهُوَ مِنْهُمْ   وَقَدْ أَخَذَ ٱلتَّسْلِيكَ وَٱلْأَسْرَارَ عَنْهُمْ

فَيَقْضِي ٱلْمُرِيدُ حَيَاتَهُ مَعَهُ خَالِي   لَا يَذُوقُ ذَرَّةً مِنْ مَعَارِفِ ٱلْأَحْوَالِ

يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَطَعَ أَشْوَاطًا بَعِيدَةْ   وَأَحْوَالُهُ طَيِّبَةٌ وَٱسْتِشْعَارَاتِهِ رَفِيعَةٌ سَعِيدَةْ

وَحِينَ ٱلتَّنْفِيذِ عَلَى أَرْضِيَّةِ ٱلْعَمَلِ   تَرَاهَا يَابِسَةً جَافَّةً مَقْطُوعَةَ ٱلْأَمَلِ

نَنْصَحُ كُلَّ مُتَوَهِّمٍ مَسْرُوقٍ مِنْهُ ٱلْفُؤَادْ   أَنْ يَخْتَارَ لِتَرْبِيَةِ قَلْبِهِ ٱلْأَوْلِيَاءَ ٱلْأَسْيَادْ

فِي كِتَابِنَا ٱلْبَسِيطِ قَدْ شَرَحْنَا   وَبَيَّنَّا ٱلْبُطْلَانَ ، وَٱلصَّادِقَ مِنْهُمْ عَرَّفْنَا

قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ ٱلزَّمَنُ بِلَا مَنْفَعَةٍ   وَيَبْقَى فِي أَوْهَامٍ وَخَيَالَاتٍ مُرَقَّعَةٍ

مَا نَرَاهُ مِنْ تَجَمُّعَاتٍ صُوفِيَّةٍ مُدَّعِيَةٍ لِلْأَحْوَالِ   مَا هِيَ إِلَّا لِكَسْبِ ٱلْجَاهِ وَٱلْأَمْوَالِ

لَمْ يُرْزَقُوا مِنْ ثِمَارِ مَعَارِفِ ٱلْبَاطِنِ   مَا زَالَتْ أَحْوَالُهُمْ كَأَيِّ غَافِلٍ مُوَاطِنِ

وَلَمْ يَمُرُّوا بِٱلسُّلُوكِ بِمَقَامَاتِ ٱلْأَذْكَارِ   وَلَمْ يَذْكُرُوا ٱلْأَسْمَاءَ لِرَبِّنَا ٱلْقَهَّارِ

فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ ٱسْمٍ مِفْتَاحْ   نُورَانِيًّا يُضِيءُ ٱلطَّرِيقَ لِمَحَبَّةِ ٱلْفَتَّاحْ

فَلَا تُنَالُ تِلْكَ ٱلْجَوَاهِرُ إِلَّا بِٱلْغَطْسِ   ٱلْقَلْبِيِّ ، ٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلْغَطْسِ وَٱلرَّقْصِ

فَٱلْمُتَعَدِّي يَبْقَى عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ   تُصِيبُهُ بِدُوَارِهَا ٱلرُّوحِيِّ شَمْسُ ٱلسَّمَاءِ

ٱلِٱلْتِزَامُ بِٱلشَّعَائِرِ وَٱلْقِيَامُ بِٱلطَّاعَاتْ   لَا يُرَادُ لَهَا رُخَصٌ وَإِجَازَاتْ

مَنْ يَجِدْ بِنَفْسِهِ ٱلْقُدْرَةَ عَلَى ٱلْعِبَادَةْ   فَلْيُتَابِعْ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَزِيَادَةْ

أَمَّا مَنْ يَرْغَبْ بِٱلسُّلُوكِ وَكَشْفِ ٱلْمَعْرِفَةِ   فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَاحِبِ أَحْوَالٍ مُشْرِقَةِ

فَشَعَائِرُ ٱلْإِسْلَامِ وَشُؤُونُ ٱلدِّينِ بَيْنَ ٱلْبَرِيَّةْ   جَعَلَهَا ٱللهُ لِسَائِرِ ٱلْعِبَادِ لَهُمْ فِيهَا ٱلْحُرِّيَّةْ

لَمْ يُصْدِرْ أَمْرًا بِٱلتَّقَيُّدِ لِدَارٍ رُوحَانِيِّ   فَشَعَائِرُ ٱللهِ مُسْتَقِلَّةٌ كَامِلَةُ ٱلْمَعَانِي

لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقْ   مَا يَجْرِي ٱلْآنَ يُخَالِفُ ٱلشَّرْعَ وَٱلطَّرَائِقْ

يُشتَمُ اللهُ ورسولُه ﷺ ويُطعَنُ بالقرآنْ ... وتُهدَرُ أموالُ الزكاةِ ، ويُرقَصُ برمضانْ

ويَدفعُ المؤمنُ ضريبةَ انتقالٍ على المسلمِ ... وصارَ بقضاياهُ إلى وضعٍ مؤلمِ

يتحكّمُ بأحوالِه قاضٍ من غيرِ ملّتِه ... فازدادَ المرضُ وانشغلَ كبيرُنا بعلّتِه

لا يسألُ عن الفقيرِ والأراملِ والضعيفِ ... وصارَ المسلمُ لا يملكُ قيمةَ الرغيفِ

تجاوزتْ قيمةُ القبرِ ألوفَ الدولاراتِ ... فلا تهتمُّ قلوبُهم إلّا بالمناصبِ والسياراتِ

وتفشّى التخاصمُ على الإرثِ والمطالبْ ... وتعدّدتِ المذاهبُ وتنوّعتِ المشاربْ

يُكفَّرُ الدعاةُ والعلماءُ أهلُ المنابرِ ... ولم ينجُ من التكفيرِ أهلُ المقابرِ

والرأسُ الكبيرُ نائمٌ *بالكوما* لا يهمُّه ذلكْ ... ولو أصبحنا جميعُنا معرّضينَ للمهالكْ

وأخذَ الغريبُ يأمرُنا بمذهبٍ جديدِ ... نتبعُه وإلّا نُضربُ ونُكبّلُ بالحديدِ

وتُقفلُ المساجدُ وتُختمُ بالشمعِ الأحمرِ ... إهانةً للداعيةِ حتّى يهجرَه بالقهرِ

بدعمٍ معلومٍ ومساندةٍ مفضوحةِ النوايا ... أصبحَ مذهبُنا يُلعبُ بأحكامِه كهوايةْ

الشعوذةُ والسحرُ والتبصيرُ والعرافةُ منتشرةْ ... والمرأةُ ترتعُ بالفجورِ ومن ثيابِها متحرّرةْ

يُدعى رؤساءُ الشركِ لحفلاتِ الموالدِ ... ويأكلونَ أطعمةَ الزكاةِ على الموائدِ

ويهتفُ البعضُ ليساندَ المشركينَ الكفّارْ ... قائلًا : بالروحِ والدمِ نفديكَ يا حاميَ الدارْ

قالوا:نعملُ ذلكَ للمصلحةِ الإسلاميّةِ كمداراةِ ... فلماذا لا يدارونَ المؤمنَ بتلكَ العباراتِ

قال ﷻ ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران ١٦٧)

فكلُّ المخالفاتِ الحاصلةِ بهذهِ الدارْ ... يرفضُها السيّدُ النبيُّ العربيُّ المختارْ ﷺ



كانتِ الطريقةُ مشحونةً بالطاعاتِ فانهدمتْ ... ومن عللٍ ومعاصي المزوّرينَ انعدمتْ

فبعدَ رحيلِ مرشدِها الشيخِ عثمانْ ﵁ ... أُغلقَ عليها بابُ خطِّ العرفانْ

ذَهَبَ وَذَهَبَتْ مَعَهُ ثَرْوَتُهُ ٱلرُّوحِيَّةْ وَغَادَرَتْ قُلُوبَ أَتْبَاعٍ وَنُفُوسِ ٱلنَّفْشِيَّةْ

كَمَا شَرَحْنَا سَابِقًا عَنْ رَابِطَةِ ٱلْإِسْتِعَارَةِ تَنْحَجِبُ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ إِطْفَاءِ ٱلْمَنَارَةِ

وَيَزْدَادُ ٱلْإِنْغِلَاقُ وَٱلْحِجَابُ ٱلشَّدِيدْ لِكَثْرَةِ قَلَاقِلِ وَخِيَانَةِ وَفَسَادِ ٱلْمُرِيدْ

لِأَنَّ أَحْوَالَ ٱلطَّرِيقَةِ كَآلَاتِ ٱلسَّاعَةْ أَيُّ غُبَارٍ يُوقِفُهَا وَتُعَطِّلُهَا ٱلشَّنَاعَةْ

قَالَ ٱلشَّاعِرُ يَصِفُ أَحَدَ عُظَمَاءِ ٱلرَّاحِلِينْ ٱلْمُرْشِدَ ٱلْمُرَبِّيَ ٱلْوَلِيَّ عَلَاءَ ٱلدِّينْ:

هَوَى ٱلْكَوْكَبُ ٱلدُّرِّيُّ وَٱللَّيْلُ سَرْمَدُ وَأَظْلَمَتِ ٱلدُّنْيَا وَأَشْرَقَ مَرْقَدُ

فَلَا تَعُودُ ٱلْإِشْرَاقَاتُ إِلَّا بِٱلتَّجْدِيدِ بِنَشْرِ ٱلشَّرِيعَةِ وَٱلْعِبَادَاتِ وَٱلتَّوْبَةِ لِلْمَجِيدِ

إِلَى أَنْ يُولَدَ وَجْهٌ بَرَّاقٌ وَيَنْمُو مَمْلُوءٌ بِٱلتَّجَلِّيَاتِ ٱلْبَرَّاقَةِ وَبِٱلنُّورِ يَسْمُو

وَعِنْدَمَا يَكْتَمِلُ ذَلِكَ ٱلْبَدْرُ بِسَمَاءِ ٱلْمَعْرِفَةْ تَظْهَرُ عَلَى ٱلْقُلُوبِ بِشَارَاتٌ رُوحِيَّةٌ مُشَرِّفَةْ

يَظْهَرُ كَٱلْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ وَٱلشَّمْسِ ٱلْمُشْرِقَةِ مَحْفُوفًا بِٱلْعِنَايَةِ وَٱلتَّوَجُّهَاتِ ٱلْقَلْبِيَّةِ ٱلْمُحْرِقَةِ

مُؤَيَّدًا لَا تُغَادِرُ ٱلْأَحْكَامُ لَوْحَ أَفْكَارِهِ وَلَا تَغِيبُ شَمْسُ ٱلْمَعَارِفِ عَنْ أَنْظَارِهِ

فَإِذَا وَضَعَ قَدَمَهُ بِأَرْضِيَّةِ ٱلْعَمَلْ تَنْفَجِرُ ٱلْجَذَبَاتُ وَٱلْإِشْرَاقَاتُ وَيَعُودُ ٱلْأَمَلْ

وَتَبْرُقُ وَتَلْمَعُ بِأُفُقِ ٱلْمَعْرِفَةِ ٱلْكَمَالَاتْ مِنْ نَفَحَاتِ وَأَسْرَارِ نُورِ ٱلْآيَاتْ

وَهَذَا مِنْ إِشَارَاتِ فَتْحِ ٱلْأَبْوَابِ ٱلْمُغْلَقَةْ بَعْدَمَا كَانَتْ أَحْوَالُ ٱلطَّرِيقَةِ مُعَلَّقَةْ

وَتَشِعُّ أَنْوَارُ ٱلْفَرَجِ وَتَنْفَرِجُ ٱلْأَسْتَارْ فَتَنْهَضُ ٱلْقُلُوبُ لِلْعَمَلِ بِرَحْمَةٍ مِنَ ٱلْغَفَّارْ

فَيَتُوبُ ٱللهُ عَلَى مَنْ قَدْ تَابْ وَكُلُّ خَائِنٍ عَنِيدٍ لَهُ حِسَابْ

تِلْكَ كَانَتْ مِنْ مَرَاحِلِ ٱلتَّأْدِيبِ لِيَعُودَ مَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ إِلَى ٱلْحَبِيبِ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة ٣٩).



← الصوفي المجذوب نادر ـ كردستان العراق

الشيخ أمين كفتارو ـ سوريا ←



ٱلطَّرَائِقُ مُتَعَدِّدَةٌ وَٱلقَصْدُ وَاحِدٌ

مَـا ٱلطَّرَائِـقُ إِلَّا مُوحِّـدَةٌ لِلْبَـارِي ... تُوصِـلُ ٱلسَّالِكِينَ إِلَى ٱلْوَاحِـدِ ٱلْغَفَّارِ

مَهْمَا تَنَوَّعَتْ بِٱلأَسْمَاءِ وَطُرُقِ ٱلإِرْشَادِ ... فَهِـيَ تَهْـدِي إِلَى رَبِّ ٱلْعِبَـادِ

هَـذَا رِفَـاعِيٌّ وَذَاكَ بَـدَوِيٌّ ٱلْقِيَـادِ ... ٱنْتَسَبُوا بِٱلْمَحَبَّـةِ إِلَى أَسْمَاءِ ٱلأَسْيَادِ

بَعْضُهُمْ نَقْشَبَنْدِيُّ ٱلْمَشْرَبِ وَآخَرُ بِمَسْلَكِهِ قَادِرِي ... هُـمْ بِـٱللهِ إِخْوَةٌ وَلَيْسُـوا بِأَعَـادِي

كُلُّـهُمْ نُـورُ ٱللهِ فِـيهِمْ بَـادِي ... بِحُبِّ ٱللهِ وَرَسُولِهِ مُتَشَابِكُو ٱلأَيَادِي

هَمُّهُـمْ إِصْلَاحُ ٱلـنَّفْسِ وَٱلْفُـؤَادِ ... يَفِـرُّونَ بِـدِينِهِمْ مِـنْ سَـهْلٍ إِلَى وَادِ

أَحَبُّوا رَبَّهُمْ وَتَمَسَّكُوا بِسَلِيمِ ٱلِاعْتِقَادِ ... يَـا لَيْتَنِي كُنْـتُ مَعَهُـمْ فَـذَاكَ مُـرَادِي

كَمْ هَيَّجُوا ٱلأَرْوَاحَ بِتَوَجُّهَاتِهِمْ إِلَى ٱلأَكْبَادِ ... لَهُمْ حَظٌّ عَظِيمٌ مِنْ نُورِ ٱلتَّجَلِّي وَٱلأَمْدَادِ

إِنْ نَظَرُوا إِلَى قَلْبٍ ٱبْيَضَّ بَعْدَ سَوَادِ ... تَرْقُصُ ٱلْجِبَالُ ٱلصُّمُّ مِـنْ كَـلَامِ ٱلأَوْتَـادِ

يَـا فَـائِزًا بِرُؤْيَـةِ وَجْـهِ ٱلْهَـادِي ... قُـلْ لِجَنَابِـهِ صَـارَ قَلْـبِي صَـادِي

ٱلـرُّوحُ سَبَقَتْنِي عَلَـى ظَهْـرِ جَـوَادِ ... تَرْجُـو شَـفَاعَتَهُ يَـوْمَ هَـوْلِ ٱلْمِيعَـادِ

سَلَامِي لِقَمَـرِ ٱلْمَدِينَـةِ بِتِلْـكَ ٱلْـبِلَادِ ... وَلِأَهْـلِ ٱلْبَقِيـعِ وَٱلزَّهْـرَاءِ وَٱلأَجْدَادِ

بِـٱللهِ عَلَيْـكَ أَخْبِرِ ٱلْمُخْتَـارَ يَـا حَـادِي ... مَـا زَالَ قَلْـبِي فِي حُـزْنٍ وَحِـدَادِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ وَ أَصْـحَابِهِ ٱلأَمْجَادِ ... مَـا ذَكَـرَ ٱللهَ مُـؤْمِنٌ وَغَفَلَـتِ ٱلأَعَـادِي

أَسْبَابُ ٱنْقِلَابِ ٱلْمُبْتَدِئِ

بَعْدَمَا يَجِدُ ٱلْمُبْتَدِئُ بِالطَّرِيقَةِ أَنَّهُ فَاشِلْ ... يَغْتَاظُ وَيَحْقِدُ عَلَى رَفِيقِهِ ٱلْوَاصِلْ

فَيَمِيلُ إِلَى تَعَلُّمِ ٱلشَّعْوَذَةِ وَٱلسِّحْرِ وَٱلطَّلَاسِمْ ... فَيَتَّبِعُ كُتُبَ ٱلْأَبْرَاجِ وَٱلتَّحْضِيرَ وَٱلتَّمَائِمْ

وَيَدَّعِي أَنَّهَا مِنْ عَالَمِ ٱلرُّوحَانِيَّاتِ ... وَٱكْتَسَبَ مِنْهَا ٱسْمَ ٱللهِ ٱلْأَعْظَمِ وَٱلْآيَاتِ

فَيَظُنُّ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَتَغَلَّبُ عَلَى صَدِيقِهِ ... وَيَسْبِقُ بِٱلسُّلُوكِ رَفِيقَ طَرِيقِهِ

يُرِيدُ ٱلْوُصُولَ بِلَا مُجَاهَدَةِ ... فَيَتَلَهَّى بِشَعْوَذَتِهِ وَغَفَلَاتِهِ ٱلشَّارِدَةِ

بَعْدَمَا يَنْقَلِبُ بَاطِنُهُ وَبِٱلشَّرِّ يُصَابْ ... يُحَاوِلُ ٱلْحُصُولَ عَلَى رِسَالَةِ خِلَافَةٍ بِٱلِاغْتِصَابْ

فَيَقُومُ بِتَقْلِيدِ ٱلْمَجَاذِيبِ وَٱلْأَحْوَالِ ... بِٱلِاهْتِزَازِ وَٱلصَّيْحَاتِ وَزُهْدِ ٱلرِّجَالِ

فَيَنْشَغِلُ بِأَذَى رُفَقَائِهِ وَيَكُونُ خَطِيرًا ... وَيَصِيرُ بِعَدَائِهِ مُدْمِنًا شَهِيرًا

وَبَعْضُهُمْ إِذَا ٱسْتَخْدَمَهُ مُرْشِدُهُ بِٱلْحَيَاةِ ... كَٱلرَّدِّ عَلَى ٱلرَّسَائِلِ وَلِبَعْضِ ٱلْخَدَمَاتِ

أَوْ أَحْسَنَ بِبَعْضِ ٱلْمَالِ لِزَاوِيَةِ ٱلصُّوفِيَّةِ ... يَظُنُّ أَنَّهُ أَنْهَى ٱلْمَقَامَاتِ ٱلرُّوحِيَّةِ

فَإِذَا لَمْ يُعْطِهِ مُرْشِدُهُ إِجَازَاتٍ خَطِّيَّةْ ... يَنْقَلِبُ قَلْبُهُ لِلْمُحَارَبَاتِ ٱلْخَفِيَّةْ

وَبَعْضُهُمْ بِحَسَدِهِ يَهْوَى ٱلِاعْتِرَاضَ ٱلْمَشْؤُومْ ... عَلَى مَا يَنَالُهُ رَفِيقُهُ مِنَ ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومْ ﷻ

أَكْثَرُ مَنْ يُصَابُ قَلْبُهُ يَنْقَلِبُ ... وَيَصِيرُ كَذَّابًا بِمَا يَدَّعِي وَيَنْسَلِبُ

فَيُخْبِرُ أَنَّهُ وَلِيٌّ عَارِفٌ وَمُكَاشِفٌ ... وَإِذَا جَالَسْتَهُ تَشْعُرُ أَنَّهُ نَاشِفٌ

ٱلطَّالِبُ لِلْوِلَايَةِ يَكُونُ بِأَخْطَرِ ٱلْحَالَاتِ ... وَكَذَا ٱلسَّاعِي لِلْفِتَنِ بَيْنَ ٱلْمُرِيدِينَ وَٱلْمُرِيدَاتِ

كَمْ مِنْ مُرِيدٍ مُبْتَدِئٍ قَدِ ٱنْقَلَبَ ... نَالَ جَذْبًا وَأَحْوَالًا ثُمَّ ٱنْسَلَبَ

وَأَتْعَسُهُمْ حَظًّا ٱلْمُتَزَوِّجُ مِنْهُمْ وَٱلْعَازِبْ ... مَنْ يَسْتَعْمِلُ ٱلسُّمْعَةَ لِإِغْوَاءِ ٱلْبَنَاتِ ٱلْأَجَانِبْ

ٱلْكَثِيرُ مِنْهُمْ قَدْ وَقَعَ بِذَلِكَ ٱلْمَحْظُورْ ... أَمْثَالُ كُلِّ عَمِيلٍ خَائِنٍ مَأْجُورْ

وَبَعْضُهُمْ يَكْذِبُ عَلَى ٱلْمُرَبِّي ٱلْمُرْشِدِ
وَيَدَّعِي أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مُفْسِدِ

يَفْتَرِي بِأَنَّهُ أَجَازَ بِكِتَابَةِ ٱلشَّرِيعَةِ
بِٱلنَّجَاسَاتِ ٱلْغَلِيظَةِ وَٱلْمَائِعَاتِ ٱلشَّنِيعَةِ

وَبِأَنَّ أَيُّوبَ ﷺ أُصِيبَ وَٱمْتَلَأَ جَسَدُهُ بِٱلدُّودْ
فَهَذَا إِرْهَابِيٌّ وَمُخَرِّبٌ لِلشَّرِيعَةِ مَعْدُودْ

وَبَعْضُهُمْ يُخَالِفُ أَفْعَالَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِٱعْتِرَاضِ
فَيُصَابُ بِأَشَدِّ عِلَلِ ٱلرُّوحِ وَٱلْأَمْرَاضِ

وَكَذَا ٱلْمُسْتَهْتِرُ بِشَعَائِرِ ٱلدِّينِ ٱلْمُبَارَكْ
ٱلَّذِي مَعَ ٱلْكُفَّارِ بِرَمَضَانِ شَارَكْ

وَرَاقَصَهُمْ فِي خِيَامِ ٱلْغِنَاءِ وَٱلطَّرَبْ
يَدَّعِي أَنَّهُ بِذَلِكَ لِلدِّينِ يَتَقَرَّبْ

وَوَصَفَ بَعْضُ ٱلْمَشَايِخِ هَذَا بِلَهْوٍ خَفِيفِ
فَتِلْكَ صَرَعَاتٌ وَٱسْتِهْتَارٌ بِٱلدِّينِ ٱلشَّرِيفِ

مَنْ يُقَلِّدُ ٱلْكُفَّارَ بِٱلزِّينَةِ وَٱللِّبَاسِ
وَيَتَعَامَلُ بِٱلرِّبَا بِخِلَافِ شَرْعِ سَيِّدِ ٱلنَّاسِ ﷺ

يُدَمِّرُ حَالَهُ بِخَوَاطِرِهِ ٱلْفَاسِدَةْ
وَتُصْبِحُ بِضَاعَتُهُ مَغْشُوشَةَ ٱلنَّوْعِيَّةِ فَاسِدَةْ

فَسَادُ ٱلْمُبْتَدِئِ وَمَا بِهِ مِنْ ضَلَالِ
لَا يَكْشِفُ صُوَرَهُ إِلَّا كُمَّلُ ٱلرِّجَالِ

فَمِنْهُمْ مَنْ يُطِيعُ خَوَاطِرَ ٱلْعَقْلِ
فَيَقَعُ فِي غُيُومِ سَحَابِ بَاطِلِ ٱلْجَهْلِ

وَأَخْطَرُ ٱنْقِلَابَاتِ ٱلْقُلُوبِ بِتِلْكَ ٱلْقَضِيَّةْ
مَنْ يَجْعَلُ لِلهِ شَرِيكًا وَلِذَاتِهِ ٱلْكَيْفِيَّةْ

وَمَنْ تَعَاطَى أَنْوَاعَ ٱلْفُجُورِ وَٱلْمُحَرَّمَاتْ
فَذَلِكَ يَكُونُ قَلْبُهُ قَدْ مَاتْ

فَٱنْقِلَابُ قَلْبِ ٱلْمُبْتَدِئِ بِهَذَا ٱلزَّمَانِ
بِٱلرِّدَّةِ وَٱلْمَعْصِيَةِ وَٱلْغَفْلَةِ لِلْإِنْسَانِ

فَيَنْحَجِبُ عَنِ ٱلْأَنْوَارِ بَعْدَمَا كَانَ يَرَى
فَيَتَدَهْوَرُ بَاطِنُهُ مِمَّا قَدْ جَرَى

وَيَتَصَادَمُ مَعَ خَوَاطِرِ ٱلنَّفْسِ وَٱلْهَوَى
وَبِٱلْقَبْضِ وَٱلِانْقِطَاعِ قَدْ يُبْتَلَى

وَإِنْ عَلَى قَلْبِهِ بِٱلْمَعْصِيَةِ قَدْ حَكَمْ
فَأَحْوَالُ لَطَائِفِهِ عَنِ ٱلْإِتِّصَالِ تَنْقَطِعْ

وَإِنْ دَامَتْ نَفْسُهُ بِٱلْعِلَلِ مُتَّصِلَةً
تُصْبِحُ تَعَلُّقَاتُهُ ٱلرُّوحِيَّةُ بِٱلطَّرِيقَةِ مُنْفَصِلَةً

فَإِنْ تَابَ وَأَصْبَحَ لِلْقُرْآنِ تَالِ
عَادَتْ أَحْوَالُهُ مُتَدَرِّجَةَ ٱلِاتِّصَالِ

وَبَعْضُهُمْ قَدْ يَتَجَاوَزُ ٱلْحُدُودْ
وَلَا يُبَالِي بِٱلْعَوْدَةِ إِلَى ٱلطَّاعَةِ وَٱلْعُهُودْ

وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا ٱلْحَدِّ ٱلْخَطِيرِ وَوَقَعَا … وَعَمَلًا شَنِيعًا وَتَجَسُّسًا قَدْ صَنَعَا

تَجَاوَزَ ٱلْخَطَّ ٱلْأَحْمَرَ وَٱلنِّقَاطْ … وَمَعْ أَعْدَاءِ ٱلطَّرِيقَةِ بِٱلْعَمَالَةِ ٱرْتَبَطْ

فَمُسْتَعْمِلُ ٱلْعِدَاءِ وَٱلْخِيَانَةِ بِقَلْبِهِ يُوجَدُ … ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ تَتَوَقَّدُ

وَسَوَادٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي بُقَعٍ مُتَعَدِّدَةْ … وَتُصْبِحُ سَائِرُ ٱلْآلَاتِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ مُهَدَّدَةْ

فَٱنْقِلَابُ ٱلْقُلُوبِ قَدْ تَكُونُ جُزْئِيَّةْ … أَوْ حَالِقَةً تُرَى بِكُشُوفَاتٍ جَلِيَّةْ

اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ ٱلشِّرْكَ قَدْ حَرَّمَا … فَوَاجِبٌ عَلَى ٱلْمُبْتَدِئِ ٱلتَّوْحِيدَ أَنْ يَتَعَلَّمَا

لِيَنْجُوَ مِنْ ضَلَالِ أَلْفَاظِ ٱلْمَعَانِي … وَتَشْبِيهِ ٱلْإِلَهِ وَجَعْلِ صِفَاتِهِ بِنُقْصَانِ

فَٱلْمُبْتَدِئُ عَلَيْهِ بِٱلتَّوْحِيدِ أَنْ يَلْتَزِمْ … لِيَعْرِفَ دِينَهُ فِيمَا يَجُوزُ وَمَا يَلْزَمْ

فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْقَى مُتَزَلْزِلَ بَاطِنِ ٱلْوَضْعِ … حَيْثُ يَرْفُضُ ٱلنَّصِيحَةَ لِغَلَاظَةِ ٱلطَّبْعِ

وَلْيَحْفَظِ ٱلْمُرِيدُ ٱلْمُبْتَدِئُ قَلْبَهُ عَنِ ٱلْاِنْقِلَابْ … عَلَيْهِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِٱلشَّرِيعَةِ فَهِيَ ٱلْبَابْ

وَٱلتَّصْدِيقُ بِٱلْوَلِيِّ مِنْ صِفَاتِ ٱلْعُقَلَا … كَمْ مِنْ مُعْتَقِدٍ وَتَابِعٍ لَهُمْ وَصَلَا

وَٱلْمُكَذِّبُ لَهُ عَرَّضَ قَلْبَهُ لِإِصَابَةِ ٱلْاِنْقِلَابِ … لِأَنَّهُ كَابَرَ وَتَعَدَّى عَلَى ٱلْأَحْبَابِ

فَٱلْخَسَارَةُ لِمَنْ يُصْبِحُ ٱلْحَسَدُ سَالِبَهُ … وَٱلْأَذَى وَٱلْحِقْدُ ٱلشَّنِيعُ يَكُونُ عَائِبَهُ

فَأَمْرَاضُ ٱنْقِلَابِ ٱلْقُلُوبِ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةْ … مَكْتُوبَةٌ فِي ٱلْأَخْبَارِ وَسُطُورِ ٱلسِّيرَةْ

مَنْ تَرَكَ لِلهِ عِلَلَ ٱلْحُظُوظْ … وَٱعْتَصَمَ بِٱلصِّدْقِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفُوزْ

فَٱلْوَاصِلُ يُمَيِّزُ بَيْنَ ٱلْوَسْوَاسِ وَٱلْمُخَاطَبَةِ … وَيَفْرُزُ ٱلْخَوَاطِرَ ٱلصَّادِقَةَ مِنَ ٱلْكَاذِبَةِ

وَلَا يَدَّعِي مُشَاهَدَةَ وَرُؤْيَةَ ٱلذَّاتِ … فَتِلْكَ ٱلنَّصَائِحُ مِنْ أَوْلَى ٱلْمُقَدِّمَاتِ

صاحب الكرامات العالية الزاهد الكبير
فضيلة الشيخ عبد القادر الجزائري ؓ

الولي الشيخ عبد الفتاح زكريا مؤذن وإمام
وخطيب مسجد فنيدق الكبير-شمال لبنان ؓ

وَلْيُحْسِنِ ٱلْمُبْتَدِئُ طَلَبَ ٱلْمَقْصُودِ … بِنِيَّةٍ سَلِيمَةِ ٱلْقَلْبِ وَخَاطِرٍ مَحْمُودْ

وَلْيَكُنْ لِإِخْوَتِهِ وَأَصْحَابِهِ دَوْمًا مُسَامِحًا … وَلِلْإِصْلَاحِ سَاعِيًا صَادِقًا وَنَاصِحًا

كَمْ مِنْ جَاهِلٍ يَرَى ٱلْمُزَيَّفَ صَحِيحًا … وَبِٱلْحَقِيقَةِ يَكُونُ مُعْوَجًّا فَاسِدًا قَبِيحًا

أَجَارَنَا ٱلْمَوْلَى مِنْ تِلْكَ ٱلْفُنُونِ … وَمِنَ ٱلْجَهْلِ ٱلْقَبِيحِ وَكَثْرَةِ ٱلظُّنُونِ

قَدْ يُدْرِكُ ٱلصَّادِقُ شُمُوسَ ٱلْمَعْرِفَةْ … بِٱلتَّوْحِيدِ وَٱلطَّاعَةِ وَيَرَى ٱلْمَقَامَاتِ مُنْكَشِفَةْ

فَٱلنَّجَاةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى ٱلذِّكْرِ فَقَطْ … بَلْ تَحْصُلُ لِمَنْ بِشَرِيعَةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ ٱرْتَبَطْ

فَلَا بُدَّ مِنْ إِصْلَاحٍ وَسَلَامَةِ ٱلطَّوِيَّةِ … وَٱلْعَمَلِ بِٱلتَّصَوُّفِ وَٱلتَّشْرِيعِ بِٱلسَّوِيَّةِ

وَٱلتَّرَقِّي يَكُونُ بِٱلتَّدَرُّجِ وَٱلْاِنْدِرَاجْ … بِحَسَبِ ٱلصِّدْقِ وَٱلْإِخْلَاصِ يَظْهَرُ ٱلْإِنْتَاجْ

لَا تَسْقُطُ ٱلْحُجُبُ وَيَتَجَاوَزُ ٱلْأَسْوَارَ … إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ لِلهِ وَجَاهَدَ ٱلْأَغْيَارَ

وَٱطْلُبْ مِنَ ٱلْمُدَّعِي حُجَّةً نُورَانِيَّةْ … لِيُظْهِرَ لَكَ صِدْقَ إِرْشَادَاتِهِ ٱلْجَلِيَّةْ

فَإِنْ بَانَتْ فَقَدْ فُزْتَ بِٱلدَّلِيلِ … وَنَجَوْتَ مِنَ ٱلْمُدَّعِي ٱلْكَذَّابِ ٱلرَّذِيلِ

وَمَنْ يَبْتَعِدُ بِصِدْقٍ عَنِ ٱلْأَخْطَاءْ … يَكْشِفُ لَهُ رَبُّنَا ﷻ بِفَضْلِهِ ٱلْغِطَاءْ

ٱلْفَيْضُ بِحَسَبِ ٱلْهِمَّةِ وَٱلصِّدْقِ يَتَوَلَّدُ … فَٱللهُ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﷻ وَهُوَ ٱلْمُؤَيِّدُ

نَنْصَحُ ٱلْمُبْتَدِئَ أَنْ يَبْقَى صَابِرًا … وَيُقَاوِمَ عِنَادَ هَوَاهُ لِيَقْطَعَ ٱلْمَخَاطِرَا

وَيَتْلُوَ ٱلْقُرْآنَ وَيَعْتَبِرَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَقَابِرْ … وَيَذْكُرَ رَبَّهُ ﷻ لِأَنَّهُ بِٱلدُّنْيَا عَابِرْ

وَيَتَأَدَّبَ مَعَ ٱلْفُقَرَاءِ وَيَبْذُلَ لِمُرْشِدِهِ ٱلْوَقَارْ … وَيَمِيلَ لِلْمُجَاهَدَاتِ وَٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلْمُخْتَارْ ﷺ

وَأَرْجُو ٱلثَّبَاتَ فِي طَلَبِ جَنَّاتِ ٱلْعُلَا … فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مَنْ تَفَضَّلَا

وَنَحْمَدُ رَبَّنَا ﷻ عَلَى فَضْلِهِ بَيْنَ ٱلْأَنَامِ … عَلَى نِعْمَةِ ٱلتَّوْحِيدِ وَقِبْلَةِ ٱلْإِسْلَامِ

وَعَلَى مَا أَمَدَّنَا بِعَظِيمِ مَنْ قَدْ أَرْسَلَا … بِٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ٱلْفَائِزِ بِٱلْمَقَامَاتِ ٱلْعُلَا

وَآلِهِ ٱلْكِرَامِ وَصَحْبِهِ ذَوِي ٱلْهُدَى … أَهْلِ ٱلْمَقَامَاتِ ٱلرَّاقِيَةِ ٱلسُّعَدَا

وَقَدْ بَيَّنَّا تِلْكَ ٱلْعِلَلَ بِٱخْتِصَارِ … لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا عَلَى ٱلصِّغَارِ وَٱلْكِبَارِ

تَكَلُّمُ ٱلصُّوفِيِّ بِنِعْمَةِ ٱللهِ

ٱلْبَعْضُ يُحَاسِبُ ٱلصُّوفِيَّ عَلَى ٱلْكَلَامِ ... إِذَا أَحَبَّ إِظْهَارَ نِعْمَةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَلَّامِ ﷻ

حِينَمَا يُخْبِرُ بِمَا أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِ ... تَتَوَجَّهُ سِهَامُ أَلْسِنَةِ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ

يَقُولُونَ لَهُ ٱلصُّوفِيُّ لَا يُظْهِرُ أَحْوَالَهُ ... يَسْتَتِرُ وَيُخْفِي عِرْفَانَهُ وَنَوَالَهُ

وَسُرْعَانَ مَا يَتَّهِمُونَهُ بِحُبِّ ٱلظُّهُورِ ... وَٱدِّعَائِهِ لِلْإِرْشَادِ وَيَنْقُرُونَهُ كَٱلصُّقُورِ

حَسَدًا لِمَنْعِ ٱلصُّوفِيِّ مِنَ ٱلِافْتِخَارِ ... وَحَجْبِ عِرْفَانٍ تَقْوَاهُ مِنَ ٱلْإِظْهَارِ

يَفْتَخِرُ بِعَطَاءِ ٱللهِ وَمَا فِيهِ مِنْ نِعَمٍ ... فَيَنْجَذِبُ لِسَانُهُ بِٱلْكَلَامِ وَٱلتَّعْرِيفِ ٱلْمُحْتَرَمِ

هَذِهِ مِنْ دَسَائِسِ وَفُنُونِ ٱلْحُسَّادِ ... يُرِيدُونَ طَمْسَ عَطَاءِ رَبِّ ٱلْعِبَادِ ﷻ

ٱلْمُرْشِدُ يَمْنَعُ ٱلْمُبْتَدِئَ مِنْ إِظْهَارِ حَالِهِ فَيُخْفِيهِ ... لِأَنَّهُ لَا تَمْكِينَ عِنْدَهُ فَٱلْكَلَامُ قَدْ يُرْدِيهِ

بَعْدَمَا يُصْبِحُ صُوفِيًّا مُتَمَكِّنًا يُبْدِيهِ ... فَهُوَ كَٱلدَّاعِيَةِ بِعِرْفَانِهِ رَبُّنَا ﷻ يُجْزِيهِ

لَا نَقِيسُ ٱلْمُبْتَدِئَ بِحَالِ ٱلصُّوفِيِّ ٱلرَّائِعْ ... ٱلْمُنْصَبَّةِ عَلَيْهِ ٱلتَّجَلِّيَاتُ ٱلنُّورَانِيَّةُ وَٱلْمَنَافِعْ

فَمَنْ يَجْهَلِ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ ٱلْمُبْتَدِئِ وَٱلْمُرَبِّي ... فَلَا يَتَنَطَّعُ وَيُجَادِلُ بِعَطَاءِ رَبِّي ﷻ

لِمَاذَا لَا يُنْكِرُونَ عَلَى ظُهُورِ ٱلْمَحْظُورِ؟! ... مِنْ كُفْرٍ وَزِنًا وَرِبًا وَتَعَرٍّ جَسُورِ

لَا يُهَاجِمُونَ إِلَّا ٱلزَّاهِدَ ٱلصُّوفِيَّ ٱلْكَامِلْ ... ٱلَّذِي عَنْ دُنْيَا ٱلشَّهَوَاتِ رَاحِلْ

ٱلصُّوفِيُّ يَتَزَيَّنُ بِٱلْعِرْفَانِ وَيَحْتَقِنُ بِٱلْمُشَاهَدَاتِ ... لِشِدَّةِ حَرَارَتِهَا فَلِلتَّخْفِيفِ يُظْهِرُ ٱلْخَفِيَّاتِ

لَا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ عَنِ ٱلْأَدَبِ وَٱلْإِيمَانِ ... ٱلْمُعْتَرِضُ يَجْهَلُ تَبْرِيدَ غَلَيَانِ ٱلْعِرْفَانِ

مَاذَا نَقُولُ عَنْ "جَامِعِ كَرَامَاتِ ٱلْأَوْلِيَاءِ"؟! ... يُظْهِرُ ٱلنَّبْهَانِيُّ ﵀ فِيهِ كَشْفَ وَعِرْفَانَ ٱلنُّبَلَاءِ

جَمِيعُهُمْ تَكَلَّمُوا بِٱلْأَحْوَالِ وَسِرِّ ٱلْكَرَامَاتْ ... لَوْ عَاصَرَهُمُ ٱلْمُنْكِرُ مِنْ حَسَدِهِ لَمَاتْ

فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَجَائِبِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ ﵇ ... ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ ٱلْإِحْيَاءُ وَشِفَاءُ ٱلْجَرِيحِ

تَصْدِيقًا لِدَعْوَتِهِ لِتَتْبَعَهُ ٱلْعِبَادْ   لِنَجَاتِهِمْ مِنَ ٱلشِّرْكِ وَسُوءِ ٱلْفَسَادْ

وَظَهَرَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ عُرُوجٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتْ   لِلْعَرْشِ وَسِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى كَانَتِ ٱلْآيَاتْ

كُلُّهُ مِنْ بَابِ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى ١١)   فَٱلْمُنْكِرُ حَسُودٌ مِنْ جَهْلِهِ ٱلْكَلَامُ يُكَدِّسْ

فَٱلِٱتِّبَاعُ ٱلسَّلِيمُ يُظْهِرُ عَلَى ٱلْقَلْبِ ٱلْهِمَمْ   مِنْ كَشْفٍ وَعِرْفَانٍ فَٱلصُّوفِيُّ كَٱلْعَلَمْ

فَٱلصُّوفِيُّ دَعْوَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ لِدِينِ ٱللهْ   فَإِنْ صَمَتَ لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عَلَى فِعْلِهِ فَيَهْوَاهْ

تَأْتِيهِ إِشَارَاتٌ نُورَانِيَّةٌ تَهُزُّ قَلْبَهْ   فَيَنْتَفِضُ كَٱلطَّائِرِ فَيَنْفَضِحُ بِجَذْبِهْ

قَدْ يَعُدُّ ٱلْبَعْضُ ذَلِكَ لِلتَّبَاهِي   وَعَدَمُ ٱسْتِتَارِهِ فِي حَالِهِ لَيْسَ مِنَ ٱلنَّوَاهِي

هُوَ أَمْرٌ بِلَا ٱخْتِيَارٍ يُسْقِطُ عَلَيْهِ ٱلْحَالْ   فَيَرْتَعِدُ كَٱلصَّاعِقَةِ فَيُكْشَفُ بَيْنَ ٱلرِّجَالْ

بَعْضُهَا تَكُونُ لِلصُّوفِيِّ مِنَ ٱلْكَرَامَاتِ   يَسْتَقْبِلُهَا وَيَتَحَدَّى ٱلْعِدَى بِٱلْجَذَبَاتِ

كَمْ مِنْ كَافِرٍ وَعَاصٍ لِمُشَاهَدَتِهْ   ٱنْجَذَبَ لِلْإِيمَانِ وَهَجَرَ ضَلَالَهُ وَرِدَّتَهْ

هَكَذَا ٱلصُّوفِيُّ ٱلْكَامِلُ بِٱلْأَحْوَالِ   يَجْذِبُ لِلدِّينِ قُلُوبَ وَنُفُوسَ ٱلرِّجَالِ

نَرَى مِئَاتٍ مِنْ أَهْلِ ٱلتَّوْحِيدِ بِٱلْبِلَادْ   يَقُصُّونَ أَحْلَامَهُمُ ٱلشَّيِّقَةَ وَيَفْضَحُونَهَا لِلْعِبَادْ

مِنْهَا مَا لَا يَتَحَمَّلُهُ ٱلْمُسْتَمِعُ لِشِدَّةِ عَجَائِبِهَا   يَسْتَمِعُ ٱلْحَسُودُ لَهُمْ وَلَا يُنْكِرُهَا

وَأَكْثَرُهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ لَا تُفِيدْ   يَكُونُ بِٱلْمَنَامِ مَلِكًا فَيَصْحُو كَٱلْعَبِيدْ

ظُهُورُ عِرْفَانِ ٱلصُّوفِيِّ يَكُونُ لِلتَّذْكِيرِ   فَٱلْكَيْلَانِيُّ ﵁ وَٱلرِّفَاعِيُّ أَذَاعُوا نِعَمَ ٱلْخَبِيرِ

لَقَدْ أَذَاعَ ٱلرِّفَاعِيُّ ﵁ تَقْبِيلَ يَدِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ   وَفَضَحَ ذَلِكَ ٱلدُّرَّ ٱلْمَنْضُودَ ٱلْخَفِيَّ

لِتَهْيِيجِ قُلُوبِ ٱلنَّاسِ لِقَبُولِ ٱلْحَقِيقَةْ   وَتَرْغِيبِ نُفُوسِهِمْ لِمَسَالِكِ ٱلطَّرِيقَةْ

ٱلْجَاهِلُ يَرْغَبُ بِحَجْبِ عِرْفَانِ ٱلْأَحْبَابِ   فَكَلَامُهُ حَسَدٌ أَخَذَهُ مِنْ أَسْوَإِ كِتَابِ

مَمْلُوءٌ بِٱلدَّسَائِسِ وَٱلنَّعَرَاتِ ضِدَّ ٱلْمُؤْمِنِينْ   مَالَ إِلَى مَا فِيهِ ذَلِكَ ٱلْمُنْكِرُ ٱللَّعِينْ

يَقْرَأُ بِلَا مَعْرِفَةٍ وَيُرِيدُ ٱلتَّنْفِيذْ   وَيَظُنُّ أَنَّهُ تَفَوَّقَ عَلَى صَاحِبِ ٱلْإِبْرِيزْ

بِٱخْتِصَارٍ: إِظْهَارُ ٱلصُّوفِيِّ لِكَشْفِهِ وَٱلْعِرْفَانِ   لِيَدْعُوَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ فِي سَائِرِ ٱلْأَزْمَانِ

أَجَازَ ٱلْجِيلَانِيُّ بِعَصْرِهِ لِلِٱحْتِجَاجِ   إِظْهَارَ ضَرْبِ ٱلشِّيشِ وَأَكْلِ ٱلزُّجَاجِ

ٱلْمُنْكِرُ مَغْضُوبٌ خَالِي ٱلْقَلْبِ وَٱلْأَيَادِي   فَحِقْدُهُ وَحَسَدُهُ طَبْخَةُ ٱلْأَعَادِي

كَلَامُ ٱلْحَاسِدِ لَا يُوصِلُ لِحَلِّ مُشْكِلَةٍ   فَٱلتَّصَوُّفُ خَالٍ مِنَ ٱلْمُخَالَفَاتِ ٱلْمُتَخَلْخِلَةِ

مَا يُظْهِرُهُ ٱلصُّوفِيُّ مَا هُوَ إِلَّا دَلَالَةْ   كَمَا يَظْهَرُ ٱلْمِسْكُ ٱلْخَفِيُّ مِنَ ٱلْغَزَالَةْ

يَقُولُونَ ٱلْوَلِيُّ يَسْتُرُ كَرَامَاتِهِ وَيُخْفِيهَا   هِيَ لَيْسَتْ مِنْ صُنْعِهِ لِيَسْتُرَ مَعَانِيهَا

فَٱللهُ يُجْرِيهَا عَلَيْهِ بِدُونِ مَعْرِفَتِهِ   يَسْتَشْعِرُ بِهَا إِذَا ظَهَرَتْ بِسَاحَتِهِ

لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ حَتَّى فِيهَا يَتَحَكَّمْ   فَٱللهُ هُوَ مُبْدِيهَا وَبِذَلِكَ أَعْلَمْ

شَرَحْنَا عَنْ ذَلِكَ سَابِقًا بِٱلْكِتَابْ   وَجَعَلْنَا فِيهِ لِكُلِّ سُؤَالٍ جَوَابْ

ٱلْحَسُودُ يُطَالِبُ بِتَبْدِيلِ كَلَامِ ٱلْأَوْلِيَاءِ

بَعْضُ ٱلْمُغْرِضِينَ يَدُسُّونَ بِٱلْفِكْرِ ٱلسُّمُومْ   قَصْدُهُمْ ضَرْبُ قُلُوبٍ وَعَقَائِدِ ٱلْعُمُومْ

إِذَا وَجَدُوا مَصْلَحَةً تَخْدُمُ مَآرِبَهُمْ   يُبَدِّلُونَ مَعَانِيَ كَلَامِ ٱلْأَوْلِيَاءِ فِي رَسَائِلِهِمْ

يَبُثُّونَ أَقْوَالًا مُزَخْرَفَةً بِٱفْتِرَاءٍ وَخِدَعْ   مُدَّعِينَ أَنَّهُمْ وَاصِلُونَ وَقُوَّةُ رَدْعْ

لِمُجَرَّدِ خَدَمَاتٍ صَغِيرَةٍ وَدَرَاهِمَ قَدَّمُوهَا   ظَنُّوا أَنَّهُمْ وَرِثُوا ٱلطَّرِيقَةَ وَٱمْتَلَكُوهَا

فَإِذَا أَعْطَى ٱلْمُرْشِدُ إِجَازَةَ خِلَافَةْ   لِمُرِيدِهِ ٱلْوَاصِلِ كَمَا فَعَلَ أَسْلَافُهْ

كَأَنْ قَالَ فِيهَا رَفِيقِي "حَمُّو" فِي ٱلْجِنَانْ   وَوَلَدِي ٱلْمَعْنَوِيِّ وَخَلِيفَتِي ٱلْمُخْلِصِ فُلَانْ

وَجَدْنَا ٱلْحَسُودَ يَغْلِي قَلْبُهُ بِٱعْوِجَاجِ   وَيَبُثُّ ٱلدِّعَايَاتِ ٱلْفَاسِدَةَ مَعَ ٱلِٱحْتِجَاجِ

وَٱلْمَعْلُومُ أَنَّ كَلَامَ ٱلْمُرَبِّي ٱلْأَمْجَدِ   صَادِرٌ عَنْ إِلْهَامٍ وَكَشْفٍ مُعْتَمَدِ

لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ أَهْوَاءٍ وَخَيَالَاتٍ وَتَمْثِيلِ   بَلْ يَسْتَمِدُّ تَعَابِيرَهُ مِنَ ٱلْمَوْلَى ٱلْجَلِيلِ

ٱلْأَوْلِيَاءُ لَا يَلْعَبُونَ بِأَحْوَالِ قُلُوبِ ٱلطُّلَّابِ   يَوْمًا يُبَشِّرُونَهُمْ بِٱلنَّعِيمِ وَيَوْمًا بِٱلْعَذَابِ

هَٰذِهِ أَلَاعِيبُ أَعْوَانِ إِبْلِيسْ   مُزَوِّرِي رَسَائِلِ حَضْرَةِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلصَّادِقِ ٱلنَّفِيسْ

بِحَسَبِ وُصُولِ ٱلْمُرِيدِ تَصْدُرُ ٱلْأَوَامِرْ   مَنْ يُحَرِّفْ وَيُبَدِّلْ بِٱلْخَطَرِ يُغَامِرْ

وَمَعْ ذَلِكَ قَدْ يُبَدِّلُ ٱللهُ مَا يُرِيدْ   فَهُوَ ٱلْفَعَّالُ مَا يَشَاءُ بِٱلْخَلِيفَةِ وَٱلْمُرِيدْ

فَإِلْغَاءُ مَعْنَوِيَّاتِ وَظِيفَةِ رَسَائِلِ ٱلْمُرْشِدْ   سَعْيٌ لِتَخْرِيبِ ٱلطَّرِيقَةِ وَعَمَلٌ مُفْسِدْ

وَمَنْ يَقُلْ إِنَّهَا بَاطِلَةُ ٱلْمَفْعُولْ   فَهُوَ مِثْلُ ٱلْعَمِيلِ ٱلْخَائِنِ ٱلْجَهُولْ

مَا صَدَرَ لِلْمُرْشِدِ مِنْ رَسَائِلَ قَبْلَ أَعْوَامْ   سَارِيَةُ ٱلْمَفْعُولِ لَا يُلْغَى مِنْهَا ٱلْكَلَامْ

يُرِيدُونَ جَعْلَ ٱلطَّرِيقَةِ مَسْخَرَةً وَبَهْدَلَةْ   وَيَجْعَلُونَ إِشَارَاتِ ٱلْأَوْلِيَاءِ مَدْهُوسَةً بِٱلْجَدَلَةْ

كَيْفَ يُرَبِّي مُرِيدَهُ ٣٠ عَامًا بِٱلْبَاطِنِ   ثُمَّ يُخْرِجُهُ مَطْرُودًا كَأَفْسَدِ مُوَاطِنِ

هَذَا تَخْبِيصٌ وَٱفْتِرَاءٌ عَلَى ٱلْمُرَبِّي   حَاشَا ٱلْمُرْشِدَ أَنْ يَكُونَ كَٱلْغَبِي

عَالَجَ بَاطِنَهُ بِٱلْأَنْوَارِ أَعْوَامًا طَوِيلَةْ   كَيْفَ يُخْرِجُهُ مَطْرُودًا مُلَوَّثًا بِٱلرَّذِيلَةْ

فَذَلِكَ عَمَلٌ خِلَافُ حُكْمِ ٱلشَّرِيعَةْ   فَرَسَائِلُ ٱلطَّرْدِ ٱلْمُزَوَّرَةِ تَلْفِيقٌ وَذَرِيعَةْ

فَٱلطَّرْدُ إِسَاءَةٌ وَتَنْقِيصٌ بِهِمَّةِ ٱلْوَلِيِّ   أَتَفْشَلُ عِنْدَهُمُ ٱلتَّرْبِيَةُ بِأَنْوَارِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ

فَمَنْ كَانَ كَامِلَ ٱلْمَقَامِ وَٱلْعِرْفَانْ   لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْوَاحِدُ ٱلدَّيَّانْ

ٱلْخَلِيفَةُ يُعْزَلُ وَلَا يُطْرَدُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ   فَٱللهُ وَحْدَهُ عَلَى ٱلطَّرْدِ مُهَيْمِنٌ

مَا يُصَرِّحُ بِهِ ٱلْمُرَبِّي بِرَسَائِلِهِ مِنْ أَحْوَالْ   مِنْ بَابِ ٱلْكَرَامَةِ ٱلَّتِي تَهُزُّ ٱلْجِبَالْ

بَقَاءُ إِيمَانِ ٱلْمُرِيدِ يَحْمِيهِ مِنَ ٱلطَّرْدِ   مَا دَامَ ٱلْخَلِيفَةُ عَلَى ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْفَرْضِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام ٥٢)

مَنْ يَجْهَلْ قَوَاعِدَ ٱلتَّصَوُّفِ وَمَقَامَاتِهِ   فَتَشْخِيصُ "ذِكْرَتِهِ" بَاطِلٌ وَمَطْعُونٌ بِخُرَافَاتِهِ

فَشَرْحُ بَاطِنِ مَدَارِجِ مَقَامَاتِ ٱلصُّوفِيَّةِ   لِمَنْ وَصَلَ لِلَّهِ ﷻ بِتَجَلِّيَاتِهِ ٱلْقُدْسِيَّةِ

ٱلْأَحْوَالُ لَا تُشْرَحُ مِنَ ٱلسُّطُورِ وَٱلْحُرُوفِ   فَهِيَ لَيْسَتْ كَغِذَاءٍ يُغَلَّفُ بِهِ ٱلْخَرُوفُ

لَوْ صَدَرَ فَرَمَانٌ بِٱلْخَلِيفَةِ وَعَزْلِهِ   فَبَاطِنُهُ هُوَ مِقْيَاسُ عِرْفَانِهِ أَوْ جَهْلِهِ

إِنْ دَامَ ٱلْخَلِيفَةُ عَلَى إِيمَانِهِ وَتَعَبُّدَاتِهِ   فَمَعْنَوِيَّاتُ رَسَائِلِهِ سَارِيَةُ ٱلْمَفْعُولِ بِسَائِرِ أَوْقَاتِهِ

فَٱلرَّسَائِلُ مَا هِيَ إِلَّا حِبْرٌ عَلَى وَرَقْ   تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لِلْمَقَامَاتِ ٱخْتَرَقْ

لَوِ ٱحْتَرَقَتِ ٱلرَّسَائِلُ وَضَاعَتْ وَٱخْتَفَتْ   هَلْ تَلْتَغِي مَعْنَوِيَّاتُهُ وَنَقُولُ جَفَّتْ

ٱلرَّسَائِلُ لَا تَمُدُّهُ فِي كَمَالَاتِهِ وَعِرْفَانِهْ   فَٱلَّذِي يَمُدُّ قَلْبَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهْ

فَإِخْرَاجُ آدَمَ (عليه السلام) يَخْتَلِفُ عَنْ طَرْدِ إِبْلِيسْ   حَيْثُ كَانَ آدَمُ (عليه السلام) لِلتَّجَلِّي جَلِيسْ

أَبَى إِبْلِيسُ ٱلطَّاعَةَ ، وَٱعْتَرَضَ فَٱنْطَرَدْ   وَخَرَجَ آدَمُ (عليه السلام) بِإِيمَانٍ قَوِيٍّ أَبْيَضَ كَٱلْبَرَدْ

لَمْ تَغِبْ عَنْهُ مَقَامَاتُهُ وَتُنْتَزَعْ   بِعَكْسِ إِبْلِيسَ ٱلَّذِي بِطَرْدِهِ تَوَجَّعْ

وَإِبْلِيسُ مَعَ طَرْدِهِ مِنَ ٱلْجَنَّةْ   مَا زَالَ عِنْدَهُ عِلْمٌ يُؤْذِي بِهِ ٱلْأُمَّةْ

أَفْعَالُ ٱللَّهِ ﷻ لِحِكْمَةٍ فَلَا نَقِيسْ   أَفْعَالَهُ ﷻ بِأَفْعَالِ ٱلْمَخْلُوقِ كَمَا فَعَلَ إِبْلِيسْ

طَرْدُهُ وَأَبْقَى لَهُ بَعْضَ ٱلْعُلُومِ   حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ مِنَ ٱلْإِلَٰهِ ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﷻ

أَسْرَارُ ٱللَّهِ مَحْجُوبَةٌ عَنْ قُلُوبِ ٱلْحُسَّادِ   فَهُوَ ٱلْفَعَّالُ مَا يَشَاءُ بِقُلُوبِ ٱلْعِبَادِ

وَلَوْ وَقَعَ ٱلْخَلِيفَةُ بِأَمْرٍ خَطِيرٍ   يُصْلِحُهُ ٱللَّهُ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ

مَا زَالَ إِيمَانُهُ بَاقِيًا وَهُوَ مُوَحِّدْ   لَا يُقَاسُ حَالُهُ بِحَالِ ٱلْمُرْتَدِّ وَٱلْمُلْحِدْ

حُكْمُ ٱللَّهِ يُؤْخَذُ مِنَ ٱلشَّرِيعَةِ لَا مِنَ ٱلرَّسَائِلْ   فَحُكْمُهُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْحَدُّ ٱلْفَاصِلْ

فَسَبَبُ حُرُوبِ ٱلْفِرَقِ وَإِظْهَارِ ٱلزَّنْدَقَةِ   ٱلْأَخْذُ بِٱلرَّسَائِلِ ٱلْمُزَوَّرَةِ غَيْرِ ٱلْمُحَقَّقَةِ

لَوْ عُرِضَتْ عَلَى ٱلنَّقْدِ وَٱلتَّحْقِيقِ   لَبَانَ تَزْوِيرُهَا لِكُلِّ صَاحِبِ بَصَرٍ دَقِيقِ

ٱلرَّسَائِلُ وُضِعَتْ لِلتَّشْهِيرِ وَٱلْإِعْلَامِ   وَمَا ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِشَرِيعَةِ خَيْرِ ٱلْأَنَامِ ﷺ

ٱلطَّوَافُ حَوْلَ ٱلْقُبُورِ لِلْمَدَدِ

ظَهَرَتْ مُوضَةٌ عَنِ ٱلشَّرْعِ خَارِجَةْ ... وَصَارَتْ عِنْدَ مُشَوِّهِي ٱلتَّصَوُّفِ دَارِجَةْ

يَطْلُبُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْأَضْرِحَةِ ٱلْمَدَدْ ... بِقَصْدِ أَنْ تَحْمِلَ زَوْجَاتُهُنَّ وَلَدْ

وَيَطُوفُونَ حَوْلَ ٱلضَّرِيحِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ... يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا مَعَهُ بِٱرْتِبَاطٍ

وَيَذْبَحُونَ لَهُ ٱلطُّيُورَ وَٱلْأَنْعَامْ ... وَيَنْذُرُونَ لِلْقَبْرِ فِي كُلِّ عَامْ

وَيُضِيئُونَ مِنْ حَوْلِ ٱلْقَبْرِ ٱلشُّمُوعْ ... بِقَصْدِ ٱلْإِسْتِجَابَةِ بِلَا طَاعَةٍ وَلَا رُكُوعْ

تِلْكَ عِلَلٌ فَاسِدَةٌ قَدِ ٱبْتَدَعُوهَا ... لَطَّخُوا سُمْعَةَ ٱلتَّصَوُّفِ وَبِهَا أَلْصَقُوهَا

فَلْيُطْلَبْ مِنَ ٱللهِ شِفَاءُ ٱلْجَرِيحِ ... يَحْتَاجُ لِلهِ كُلُّ صَاحِبِ ضَرِيحِ

فَمَا زِيَارَةُ أَهْلِ ٱلْأَضْرِحَةِ إِلَّا ... لِلتَّعَارُفِ بَيْنَ ٱلْأَرْوَاحِ ٱلْمُوَظَّفَةِ بِٱلْمَلَا

نُعَظِّمُ مَا عَظَّمَهُ ٱللهُ مَعَ ٱلْوَقَارِ ... وَنَزُورُ بِٱلْأَدَبِ وَٱلْإِحْتِرَامِ ضَرِيحَ ٱلْمُخْتَارِ ﷺ

وَمَا يَجْرِي لِصَاحِبِ ٱلضَّرِيحِ مِنْ أُمُورِ ... كَظُهُورِ أَمْدَادٍ وَبَرَكَاتٍ وَنُورِ

فَذَلِكَ ٱلْعَطَاءُ مِنَ ٱللهِ وَٱلتَّأْثِيرْ ... كَمَا يُمِدُّ بِأَنْوَارِ صَلَوَاتِهِ ٱلنَّبِيَّ ٱلْبَشِيرْ ﷺ

ٱلتَّوَسُّلُ يَكُونُ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ لِلْغَفَّارِ ﷺ ... وَبِأَسْمَاءِ وَصِفَاتِ ٱللهِ رَبِّنَا ٱلسَّتَّارِ ﷺ

فَٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي يُضِيءُ ٱلنَّهَارَ ... وَهُوَ ٱلَّذِي يُمِدُّ بِفَضْلِهِ ٱلْأَخْيَارَ

فَدَفْعُ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلذَّبْحُ لِأَهْلِ ٱلْأَضْرِحَةْ ... أَصْبَحَتْ وَسِيلَةَ كَسْبٍ وَتِجَارَةً مُرْبِحَةْ

فَتِلْكَ ٱلْبِدَعُ خِلَافُ شَرِيعَةِ ٱلدَّيَّانِ ﷺ ... لَا يَنَالُ فَاعِلُهَا شَيْئاً مِنَ ٱلْإِحْسَانِ

مَا يَحْصُلُ لِبَعْضِ ٱلزُّوَّارِ مِنْ أَحْوَالِ ... نُسَلِّمُ أَمْرَنَا فِيهِمْ لِرَبِّنَا ٱلْمُتَعَالِي ﷺ





← الشيخ الكبير أحمد العزي- سوريا

الصوفي الكبير عروب العيتاني - بيروت ←

ٱلِٱسْتِشْعَارُ بِزِيَارَةِ ٱلْأَضْرِحَةِ

زِيَارَةُ ٱلْمُرِيدِ لِلْقُبُورِ وَٱلْأَضْرِحَةْ … قَدْ يَجِدُ فِيهَا قَبْضًا وَقَدْ يَجِدُ فَرْحَةْ

إِنْ كَانَ صَاحِبُهَا غَيْرَ مُتَنَعِّمٍ … يَشْعُرُ ٱلْمُرِيدُ ٱلصَّادِقُ بِقَبْضٍ مُؤْلِمٍ

كَضِيقٍ صَدْرِيٍّ وَأَلَمٍ فِي ٱلْقَلْبِ … وَتَنْزَعِجُ ٱلنَّفْسُ كَأَنَّهَا فِي تَعَبِ

فَيَشْعُرُ بِتَخَيُّلَاتٍ مُرْهِقَةٍ مُدْهِشَةٍ … وَيَسْتَشْعِرُ بِأَحْوَالٍ سَيِّئَةٍ وَمُوحِشَةٍ

وَإِنْ كَانَ ٱلْمَيِّتُ عَلَى غَيْرِ إِيمَانٍ … تَزْدَادُ ضَرَبَاتُ قَلْبِ ٱلرَّابِطَةِ كَإِعْلَانٍ

مَعْ حَالَةٍ مُؤْلِمَةٍ لَا رُوحَانِيَّةَ فِيهَا … وَلَا يَنْجُو إِلَّا فِي ٱلْهُرُوبِ مِنْ أَهَالِيهَا

وَقَدْ يُصَابُ ٱلْمُرِيدُ بِقَيْءٍ مُتْعِبٍ … وَتَخَيُّلٍ ثَقِيلٍ مُزْعِجٍ وَمُرْعِبِ

لِأَجْلِ ذَلِكَ أَمَرَنَا ٱلْإِسْلَامُ بِٱلْهَرْوَلَةِ … إِذَا مَرَرْنَا قُرْبَ قُبُورِ ٱلْكُفَّارِ ٱلْمُهَلْهَلَةِ

حِفْظًا عَلَى سَلَامَةِ ٱلْقُلُوبِ ٱلْعَامِرَةِ … مِنْ إِصَابَتِهَا بِتِلْكَ ٱلْحَالَاتِ ٱلْمُدَمِّرَةِ

إِنْ كَانَ صَاحِبُ ٱلضَّرِيحِ عَلَى إِيمَانٍ … فَيَسْتَشْعِرُ ٱلزَّائِرُ بِبَسْطٍ كَأَنَّهُ فِي ٱلْجِنَانِ

وَرَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ عَلَى نَفَحَاتِ مَشَاعِرِهِ … وَسُرُورٍ وَٱطْمِئْنَانٍ فِي سَائِرِ مَعَابِرِهِ

وَتَتَحَرَّكُ أَكْثَرُ لَطَائِفِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ كَإِشَارَاتٍ … فَيَتَعَرَّفُ مِنْهَا مَا عِنْدَهُ مِنْ بِشَارَاتٍ

فَيَلْمَعُ لِلْمُرَاقِبِ ٱلسَّالِكِ نُورٌ أَزْرَقْ … مُتَنَوِّعُ ٱلْأَحْوَالِ إِذَا ٱلسَّالِكُ أَطْرَقْ

بِرَأْسِهِ حِينَ تَحْضِيرِ رُوحَانِيَّةِ رَابِطَتِهِ … فَتَعَرَّفُهُ عَلَى بَاطِنِ مَقَامَاتِ صِفَاتِهِ

فَتَظْهَرُ لَهُ كَٱلْبَرْقِ صُورَةٌ تِلْوَ صُورَةٍ … فَيَسْتَشْعِرُهَا رُوحِيًّا وَلِغَيْرِهِ غَيْرُ مَنْظُورَةٍ

عَلَى حَسَبِ هِمَّةِ مُرْشِدِهِ تَظْهَرُ ٱلْحَقَائِقْ … وَيَكُونُ ٱلتَّعَامُلُ وَٱلِٱتِّصَالُ لِأَهْلِ ٱلطَّرَائِقْ

وَهَذَا ٱلتَّعَامُلُ لَيْسَ مَعَ ٱلْأَمْوَاتِ … بَلْ مَعْ رُوحَانِيَّاتِ نَعِيمِ صُوَرِ ٱلذَّاتِ

إِنْ كَانَ صَاحِبُ ٱلضَّرِيحِ عَالِي ٱلْمَرْتَبَةِ … تَكُونُ فُيُوضَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ مُمَيَّزَةً بِٱلْمُرَاقَبَةِ

فَتَحصَلُ ٱتِّصالاتٌ وتَعامُلاتٌ صُورِيَّةٌ مُتَنَوِّعَةْ ... وَمُشاهَداتٌ رَاقِيَةٌ مُفرِحَةٌ لِلقَلْبِ رَائِعَةْ

وَيَقَعُ تَبادُلٌ وَتَعارُفٌ رُوحَانِيٌّ مُتَطَوِّرْ ... بِقُــدْرَةِ ٱللهِ ٱلإِلَــهِ ٱلمُصَــوِّرْ ﷻ

إِنْ كَـانَ ٱلزَّائِــرُ ذَا سُــلُوكٍ كَـبِيرِ ... وَمُسْتَعِدًا لِاسْتِقبَالِ فُتُوحَاتِ ٱلإِلَـهِ ٱلمُجِيرِ

وَمَحْبُوبًـا عِنْـدَ أَوْلِيَـاءِ ٱلــرَّحْمَنْ ... يَلْتَقِطُ قَلْبُهُ مِمَّا يُفِيضُ بِهِ عَلَى ٱلضَّرِيحِ ٱلدَّيَّانْ ﷻ

وَتَهِيجُ لَطائِفُهُ لِسُرعَةِ ٱلتَّحَرُّكَاتِ ٱلنُّورانِيَّةِ ... وَتُصْبِحُ مُرتَفِعَةَ ٱلحَرَارَةِ بِٱلبَرَكَاتِ ٱلقُدْسِيَّةِ

تُلاحِقُ ٱلرَّابِطَةُ حَوادِثَ ٱلسَّعاداتِ ٱلبَاطِنِيَّةِ ... لِكَشْفِهَا لَهَا بِوَاسِطَةِ مَعَارِفَ خَفِيَّةِ

وَيَحْظَى مِنْ ذَلِكَ ٱلحَدَثِ ٱلكَبِيرْ ... بِٱلمُلاقَاتِ ٱلرُّوحِيَّةِ ٱلمُمَيَّزَةِ ٱلشَّيْءَ ٱلكَثِيرْ

ٱلمُنكِرُ لَا تُعجِبُهُ تِلْكَ ٱلتَّشْخِيصَاتُ ٱلغَرِيبَةْ ... فَيَعُـدُّهَا مُخَالِفَـةً لِلشَّـرْعِ وَمُصِـيبَةْ

ٱللهُ ﷻ يُكْـرِمُ ٱلمُـؤْمِنَ حِـينَ ٱلمَـوْتِ ... وَٱلمُنْكِـرُ يُرِيـدُ إِهَانَتَهُ وَإِخْفَـاءَ ٱلصَّوْتِ

إِنَّـهُ يَجْهَـلُ مَعَـانِيَ تَفْسِـيرِ ٱلقُـرْآنِ ... وَمَا قَالَـهُ ٱللهُ ﷻ لِحَبِيبِ ٱلمَلِكِ ٱلدَّيَّانِ ﷺ

تَقْوِيَةً لِمُعْجِزَاتِ عِرْفَانِهِ ٱلمُقَدَّسِ ٱلعَالِي ... جَمْعَـهُ بِمُوسَـى عليه السلام فِي سَمَـاءِ ٱلعَلالِـي

وَكَانَ مُوسَى عليه السلام فِي عَالَمِ بَـرْزَخِ ٱلأَرْوَاحِ ... ٱنْتَقَـلَ إِلَيْهَـا بِقُـدْرَةِ ٱلإِلَـهِ ٱلفَتَّـاحِ ﷻ

قَالَ ٱللهُ ﷻ لَهُ ﷺ : ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ (السجدة ٢٣) قِيلَ ، مَعْنَاهُ : " فَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ لِقَاءِ مُوسَى عليه السلام فَإِنَّكَ تَرَاهُ وَتَلْقَاهُ.وَقِيلَ:إِنَّهُ رَآهُ لَيْلَةَ ٱلمِعْرَاجِ " ٱنْتَهَى .

ٱلنَّبِيُّ ﷺ لَا يَقَعُ فِي شَكٍّ كَغَيْرِهِ مِنَ ٱلنَّاسِ ، ٱلشَّكُّ هُنَا بِمَعْنَى ٱلتَّسَاؤُلِ ٱلنَّفْسِيِّ .

فَٱلشَّـرْعُ قَـدْ سَمَـحَ بِٱلتَّعَامُـلِ وَٱلمُلاقَـاةِ ... بَيْنَ عُظَمَـاءِ ٱلأَحْيَـاءِ وَٱلسَّـادَةِ ٱلأَمْوَاتِ

مِمَّـنْ هُـمْ بِـبَرَازِخِ ٱلتَّكْـرِيمِ وَٱلتَّنْعِـيمِ ... فَتَسْقُطُ بِـذَلِكَ حُجَّـةُ كُـلِّ مُنْكِـرٍ لَئِـيمِ

وَفِي ٱلحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ : " . . . **حَتَّى ٱنْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ ٱلمَقْدِسِ فَأَوْثَقْتُهُ** (أَيِ ٱلبُرَاقَ) **بِٱلحَلْقَةِ ٱلَّتِي كَانَتِ ٱلأَنْبِيَاءُ تُوثِقُ بِهَا ، فَنُشِرَ لِي رَهْطٌ مِنَ ٱلأَنْبِيَاءِ فِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى** عليهم السلام **فَصَلَّيْتُ بِهِمْ وَكَلَّمْتُهُمْ** . . . "(عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير ج١ ص ١٧٤)

ٱلْمُفْسِدُ يُغْلِقُ قَلْبَ ٱلْمُرْشِدِ

إِنْ كَانَ قَلْبُ ٱلْمُرْشِدِ لِلتَّوَجُّهِ يَبُوحْ[1] ... وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلُ ٱلْأَذَى مِنْهُ يَفُوحْ

يَنْغَلِقُ قَلْبُهُ وَتَخْتَفِي رَابِطَةُ ٱلْأَمْدَادِ ... وَيَجْفِلُ قَلْبُهُ فَلَا يَجْتَمِعُ ٱلنُّورُ مَعَ ٱلْفَسَادِ

قَالَ ٱللَّهُ ﷻ : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ (فاطر ١٩-٢٠)

بِوُجُودِ ٱلْحَسَدِ وَٱلْمَكْرِ وَٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْخِدَاعِ ... وَٱلْكَذِبِ وَٱلْإِنْكَارِ وَٱلْفَسَادِ عَلَى أَنْوَاعِ

لَا يَنْفَتِحُ قَلْبُ ٱلْمُرْشِدِ بِأَيِّ مَجَالِ ... لِأَنَّهُ يُرَادُ لَهُ صَفَاءُ قُلُوبِ ٱلرِّجَالِ

عَلَى ٱلزَّائِرِ لِأَهْلِ ٱلْقُلُوبِ ٱلنُّورَانِيَّةْ ... إِصْلَاحُ أَحْوَالِهِ وَنَوَايَاهُ ٱلظَّاهِرِيَّةُ وَٱلْبَاطِنِيَّةْ

وَٱلتَّحَلِّي بِٱلطَّاعَاتِ وَٱلْأَذْكَارِ ٱلْقَلْبِيَّةْ ... وَيُحَافِظُ بِزِيَارَتِهِ عَلَى خَوَاطِرِهِ ٱلْمُضْنِيَةْ

لِأَنَّ ٱلصَّالِحَ يَشْعُرُ بِهَا كَوَخْزِ ٱلْإِبَرْ ... وَيَسْتَشْعِرُ بِقَلْبِهِ مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ ٱلْخَطَرْ

فَيَكْرَهُ رِفْقَةَ وَمُصَاحَبَةَ ذَلِكَ ٱلضَّارِّ ... وَيَمْتَنِعُ مِنْ مُجَالَسَةِ ذَلِكَ ٱلزَّائِرِ ٱلْغَدَّارِ

فَلْيَحْذَرْ وَلْيَتَيَقَّظْ كُلُّ مُرِيدٍ سَاعِ ... وَلْيَكُنْ بِصُحْبَتِهِ لِلصَّالِحِينَ مِثْلَ ٱلْأَدِيبِ ٱلْوَاعِي

لَا يَرْفَعُ ٱلْكُلْفَةَ مَعَ أُولَئِكَ ٱلْأَحْبَابِ ... وَيُمْلِي عَلَيْهِمْ خِلَافَ بَاطِنِ ٱلْآدَابِ

فَيُوقِعُهُ ذَلِكَ بِٱنْزِلَاقٍ سَيِّءٍ مُتَوَتِّرْ ... فَلْيُحَافِظْ بِصُحْبَتِهِم عَلَى قَلْبِهِ وَلَا يُفَكِّرْ

غِيَابُ شَهْوَةِ ٱلسَّالِكِ

حِينَمَا تَشْتَغِلُ سَائِرُ ٱللَّطَائِفِ ٱلْمُتَعَدِّدَةْ ... تَجْتَمِعُ ٱلْمُشَاهَدَاتُ وَٱلْأَذْوَاقُ وَتُصْبِحُ مُوَحَّدَةْ

فَتَنْصَبُّ عَلَى لَطَائِفِهِ بَرَكَةُ ٱلتَّجَلِّيَاتِ ... فَتَطْفِئُ لَهُ حَرَارَةَ شَهْوَةِ ٱلْمَلَذَّاتِ

فَيَشْعُرُ أَنَّهَا غَابَتْ عَنْهُ شَهْوَتُهْ ... فَيَظُنُّ أَنَّهُ حُرِمَ مِنْ لَذَّتِهْ

حِينَ عُبُورِهِ إِلَى مَقَامَاتٍ رَاقِيَةٍ شَرِيفَةْ ... تَصِيرُ سِجِلَّاتُ سُلُوكِ بَاطِنِهِ نَظِيفَةْ

(١) يَبُوحُ : يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَهُ لِإِظْهَارِ ٱلتَّوَجُّهَاتِ عَلَى ٱلْمُرِيدِينَ .

فَيَعُودُ إِلَى طَبِيعَتِهِ بَعْدَ بُرُودَةِ لَطَائِفِهِ   فَيُتَابِعُ حَيَاتَهُ ٱلدُّنْيَوِيَّةَ وَسَائِرَ وَظَائِفِهِ

وَقَدْ يَتَأَثَّرُ بَعْضُهُم مِنْ عَكْسِيَّاتِ ٱلصُّحْبَةِ   وَلَا تَعُودُ شَهْوَتُهُ إِلَّا بِمُعَالَجَاتٍ مُتْعِبَةِ

أَعْدَاءُ ٱلصُّوفِيَّةِ وَمُحَارَبَةُ طُرُقِهِمُ ٱلرُّوحِيَّةِ

لِلصُّوفِيَّةِ حُسَّادٌ وَأَعْدَاءٌ لِطُرُقِهِمُ ٱلرُّوحِيَّةِ   يُلَاحِقُونَهُمْ لِتَشْوِيهِ سُمْعَتِهِمْ بِطُرُقٍ عَدَائِيَّةِ

يَدُسُّونَ بَيْنَ حَلَقَاتِهِمْ مُخْبِرِينَ كَعُيُونْ   يَنْقُلُونَ تَقَارِيرَ مِمَّا بِذِكْرِهِمْ يَكُونْ

لَدَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمُضَايَقَاتِ ٱلْحَيَاتِيَّةِ   يُشَوِّشُونَ بِهَا عَلَى مَسَالِكِ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلرُّوحِيَّةِ

إِنْ رَحَلُوا إِلَى عَكَّارَ لِنَشْرِ ٱلتَّصَوُّفِ وَٱلدِّينْ   لَحِقَ بِهِمْ عُمَلَاءُ بِٱلْمَشْيَخَةِ مُتَسَتِّرِينْ

يُحَذِّرُونَ مِنْهُمْ حِينَمَا تَجْتَمِعُ ٱلنُّفُوسْ   وَيُسَخِّرُونَ لِمُرَاقَبَتِهِمْ أَلْفَ جَاسُوسْ

يَبُثُّونَ ضِدَّهُمُ ٱلسُّمُومَ وَقَلَاقِلَ مُتَطَوِّرَةْ   وَيُشَهِّرُونَ بِهِمْ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ دَجَاجِلَةٌ وَكَفَرَةْ

يُزَوِّرُونَ رَسَائِلَ مَمْلُوءَةً بِٱلْأَبَاطِيلِ   لِيُشَوِّهُوا سُمْعَةَ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْمُسَلِّكِ ٱلْوَكِيلِ

وَيَسْعَوْنَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُ بِشَتَّى ٱلْوَسَائِلْ   فَيُثِيرُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُرْشِدِهِ ٱلْمَشَاكِلْ

وَيُشْعِلُونَ بَيْنَهُمُ ٱلْفِتَنَ وَٱلْمَكَائِدَ ٱلْخَفِيَّةْ   لِيَنْفَضَّ ٱلْأَتْبَاعُ مِنْ حَوْلِ ٱلصُّوفِيَّةْ

وَيَطْعَنُونَ بِسَائِرِ مُرْشِدِي ٱلطَّرَائِقِ   وَيُحَاوِلُونَ قَتْلَهُمْ بِٱلْعُبُوَاتِ وَٱلْبَنَادِقِ

وَيُهَدِّدُونَ أَتْبَاعَهُمْ لِيَفْتَرِقُوا عَنْهُمْ   وَيُغْرُونَ بَعْضَ ٱلْمُرِيدِينَ لِيَخْتَرِقُوا طَرِيقَهُمْ

فَيَصِيرُ بِأَيْدِيهِمْ تَعْيِينُ خَلِيفَةِ ٱلزَّمَانْ   فَتَتَدَرَّجُ مَقَامَاتُ أَتْبَاعِهِمْ كَسِلْعَةٍ بِٱلدُّكَّانْ

تَمْثِيلُ ٱلْأَدْوَارِ عِنْدَهُمْ عَمَلٌ بَارِعْ   يُعْطُونَ زَعَامَةَ ٱلْإِدَارَةِ لِٱبْنِ ٱلشَّارِعْ

فَيُخَرِّبُونَ مَا أَصْلَحَهُ صَفْوَةُ ٱلْأَوْلِيَاءْ   وَيَزْرَعُونَ بِٱلطَّرِيقَةِ ٱلْفَوْضَى وَٱلْجَهْلَ وَٱلْغَبَاءْ

هَذَا مَا يَتَمَنَّاهُ أَعْدَاءُ تِلْكَ ٱلطَّائِفَةْ   لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ دَائِمًا مِنْهُمْ خَائِفَةْ

شَاهَدْنَا ذَلِكَ طِيلَةَ أَرْبَعِينَ عَامْ   حُرُوبًا وَفِتَنًا وَقَلَاقِلَ مِنْ شَرِّ ٱلْأَزْلَامْ

مُلَاحَقَةُ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلصَّالِحِينَ بِسَائِرِ ٱلدُّهُورْ ... مِنْ أَخْطَرِ عِلَلِ ٱلنُّفُوسِ وَصَاحِبُهُ مَمْكُورْ

فَٱلْعَدَاءُ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ لَا يَتَوَقَّفْ ... مِنْ قَتْلِ ٱلْإِمَامِ بِٱلنَّجَفِ ٱلْأَشْرَفْ !

مُجَابَهَةُ ٱلصُّوفِيَّةِ بِٱلْعُلُومِ ٱلْخَفِيَّةِ

أَخْصَامُ ٱلصُّوفِيَّةِ لَدَيْهِمْ أَسْلِحَةٌ قَوِيَّةْ ... وَمَقَامَاتٌ شَرِسَةٌ بِعُلُومِهِمُ ٱلْخَفِيَّةْ

مَمْلُوءَةٌ بِتَخْوِيفٍ وَخَيَالَاتٍ مُرْعِبَةٍ وَتَحَدِّ ... لِضَرْبِ حَوَاسِّ ٱلْمُرِيدِ بِهَوْلٍ مُرْدِ

اِكْتَسَبُوهَا مِنْ عِبَادَتِهِمُ ٱلضَّالَّةِ لِلشَّيْطَانِ ... فَيُسَيْطِرُونَ وَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى حَوَاسِّ ٱلْإِنْسَانِ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (سبأ ٤١) . وَقَالَ ﷻ : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يس ٦٠)

فَقَدْ أَبْقَى ٱللهُ لِلشَّيْطَانِ بَعْضَ ٱلْعُلُومِ ... لَكِنَّ تَأْثِيرَهَا بِحَسَبِ مَشِيئَةِ ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﷻ

يَحْمُونَ بِهَا نُفُوسَهُمُ ٱلْخَبِيثَةَ ٱلشِّرِّيرَةْ ... بِأَسَالِيبَ مَكَّارَةٍ وَمُجَابَهَاتٍ مُثِيرَةْ

كَدَائِرَةٍ ظُلْمَانِيَّةٍ تَلْتَفُّ حَوْلَهُمْ وَتُدَافِعْ ... بِوَجْهِ أَيِّ إِرْسَالٍ يَقْصِدُهُمْ فَتَكُونُ كَمَانِعْ

فَهِيَ كَٱلدِّرْعِ ٱلْوَاقِي قَدْ تَحْمِيهِمْ ... وَعَنْ أَنْظَارِ خَصْمِهِ قَدْ تُخْفِيهِمْ

يُرْسِلُونَ مِنْهَا إِلَى ٱلصُّوفِيِّ أَذًى وَجُرُوحْ ... لَا تُظْهِرُ دَمًا بَلْ يَشْعُرُ مِنْهَا بِأَلَمٍ كَٱلْمَذْبُوحْ

وَيُحِسُّ بِقَبْضِ صَدْرِيٍّ وَضِيقِ قَلْبٍ مُدَمِّرٍ ... وَقَطْعِ نَفَسٍ وَخَيَالٍ غَيْرِ مُثْمِرٍ

وَٱنْهِيَارِ أَعْصَابٍ وَشَلَلٍ بِٱلتَّفْكِيرِ ... وَرَجَفَانِ قَلْبٍ يُصِيبُ حَيَاتَهُ بِٱلتَّعْكِيرِ

فَيُعَانِي مِنْ حُرُوبٍ وَمَعَارِكَ رُوحِيَّةٍ كَثِيرَةْ ... مُحَمَّلَةٍ بِأَهْوَالٍ عَظِيمَةٍ وَنَوَايَا خَطِيرَةْ

لَا يَهْجُمُونَ عَلَى ٱلصُّوفِيِّ بِغَبَاوَةْ ... بَلْ يَتَحَسَّسُونَ قُدُرَاتِ عُلُومِهِ وَٱلْحِمَايَةْ

فَإِنَّ وُجُودَهَا خَطِيرٌ وَقَاتِلٌ لَهُمْ ... يَفِرُّونَ مِنْهَا هَارِبِينَ وَأَعْوَانُهُمْ مَعَهُمْ

وَأَكْثَرُ ضَرَبَاتِهِمْ تَكُونُ بِأَخْطَرِ ٱلْمَوَاقِعْ … بِٱلْعَقْلِ وَٱلْقَلْبِ لِيَنْشَلَّ فَلَا يُدَافِعْ

لَا يَقْدِرُ عَلَى مُجَابَهَتِهِمْ إِلَّا ٱلْأَنْبِيَاءْ ﷺ … وَٱلْقِدِّيسُونَ وَٱلصَّالِحُونَ ﵃ وَسَادَةُ ٱلْأَوْلِيَاءْ

وَنَحْنُ سَنَكْشِفُ لَكُمُ ٱلْخَصْمَ وَفِعْلَتَهُ … ٱلَّتِي يَسْتَحْضِرُ بِهَا شَيْطَانَهُ وَعُدَّتَهُ

يَمُدُّ يَدَهُ مِنْ خَلْفِ رَأْسِهِ عَلَى عَيْنِهْ … وَيَفْتَحُهَا بِأَصَابِعِهِ بِحَسَبِ مَا تَعَلَّمَ مِنْهْ

وَيَرْفَعُ نَظَرَهُ لِلْأَعْلَى ذَلِكَ ٱلْغَدَّارُ … يُرَاقِبُ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ ٱلْمَكَّارُ

سَبَبُ ضَعْفِ ٱلصُّوفِيَّةِ بِعَصْرِنَا

مِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ ٱلصُّوفِيَّةِ بِهَذِهِ ٱلْأَيَّامِ … إِبْلِيسُ وَأَعْوَانُهُ وَعَدَاوَتُهُمُ ٱلْقَدِيمَةُ لِلْأَنَامِ

وَأَفْعَالُ ٱلْمُدَّعِينَ ذَوِي ٱلْغَرَضِ غَيْرِ ٱلشَّرِيفْ … وَٱنْعِدَامُ مُرْشِدٍ يَتَحَمَّلُ ٱلتَّكْلِيفْ

وَتَحَجُّرُ عُقُولِ ٱلْأَتْبَاعِ بِٱلْجَهْلِ ٱلْعَمِيقِ … وَرَفْضُ ٱلنَّصِيحَةِ وَإِرْشَادِ ٱلطَّرِيقِ

وَٱلْهُجُومُ عَلَى ٱلْمَعَاصِي وَٱلرَّذَائِلْ … وَحُبُّ ٱلدُّنْيَا وَٱلْخِيَانَةُ وَٱلْمَالُ ٱلزَّائِلْ

وَٱلْأَخْذُ بِٱلرَّأْيِ وَعَدَمُ ٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلْخَبِيرْ … فَأَصْبَحْنَا بِحَالَةٍ مِنْهَا بِٱللهِ نَسْتَجِيرْ

وَبَعْضُهُمْ قَدِ ٱسْتَخْدَمَ ٱلزَّوَايَا كَسِتَارِ … يَخْتَفِي فِيهَا جَوَاسِيسُ وَعُمَلَاءُ ٱلِٱسْتِعْمَارِ

وَقَدْ وَقَعَ قَدِيمًا ذَلِكَ ٱلِٱخْتِرَاقْ … فِي تَكَايَا بَعْضِ ٱلطُّرُقِ عِنْدَ ٱلْأَتْرَاكْ

لِأَجْلِ ذَلِكَ صَارَتِ ٱلْحُكُومَاتُ تُرَاقِبْ … مَا عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ مِنْ حَقَائِبْ

كُلُّ طَرِيقَةٍ مَخْلُوطَةٌ بِسِيَاسَةِ ٱلْحُكَّامِ … مُعَرَّضَةٌ لِأَزْمَةٍ وَحَوْلَهَا عَلَامَةُ ٱسْتِفْهَامِ

لَا تَمِيلُ إِلَى ٱلتَّخْرِيبِ ٱلطُّرُقُ ٱلصُّوفِيَّةْ … بَلْ تَدْعُو ٱلْمُسْلِمِينَ لِلتَّوْحِيدِ وَٱلْمَحَبَّةِ ٱلرَّبَّانِيَّةْ





→ الشيخ رشيد الحبال ـ سوريا

الشيخ بدر الدين الحسني ـ سوريا ←

الحُجُبُ المُؤَقَّتَةُ لِلسَّالِكِ

يَعْتَرِضُ البَلَاءُ السَّالِكَ فَيَكُونُ لَهُ كَهَزَّةٍ   فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الغِشَاوَةِ المُؤْلِمَةِ المُهِمَّةِ

فَحِينَمَا يَقْطَعُ بِسُلُوكِهِ بَعْضَ المَقَامَاتِ   تَحْجُبُ الغُيُومُ مُشَاهَدَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ

فَلَا يَرَى بِعَيْنِ قَلْبِهِ بِوُضُوحٍ   فَيَتَأَلَّمُ لِعَدَمِ سَلَامَةِ مُشَاهَدَةِ الفُتُوحِ

فَيَظُنُّ أَنَّهُ أَخْطَأَ وَهَذَا عِقَابٌ كَلَكْمَةٍ   وَلَكِنَّهُ بِالحَقِيقَةِ يَكُونُ مِنَ اللهِ لِحِكْمَةٍ

حِفْظًا لَهُ لِمُتَابَعَتِهِ بِالآفَاقِ وَلِئَلَّا تَذُوبُ   قُدُرَاتُهُ فَيَنْقَطِعُ عَنِ الكَسْبِ المَطْلُوبِ

قَالَ جل جلاله ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي الآفَاقِ ﴾ (فصلت٥٣)   السَّالِكُ يَتَعَرَّضُ لِخَضَّاتٍ فِي الأَذْوَاقِ

فَعَجَائِبُ وَغَرَائِبُ أَسْرَارِ السُّلُوكِ   لَا يَعْلَمُ خَفَايَاهَا إِلَّا مَلِكُ المُلُوكِ

لِكَثْرَةِ صَفَاءِ السَّالِكِ وَرِقَّةِ حَالَتِهِ   يَشْعُرُ كَأَنَّهُ عَادَ بِالمُشَاهَدَةِ إِلَى بِدَايَتِهِ

لِأَنَّهَا صَارَتْ مَحْفُوفَةً بِالضَّبَابِ وَالغُيُومِ   وَلَكِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ الحَيِّ القَيُّومِ

لَوْ تَظْهَرُ الأَنْوَارُ لَهُ بِوُضُوحٍ جَلِيَّةْ   لَأَذَابَتْ مَا فِيهِ مِنْ عِلَلٍ وَبَلِيَّةْ

وَانْطَفَأَ مَقَامُ سُلُوكِهِ عَنِ الحَرَكَةِ   لِارْتِبَاطِ لَطَائِفِهِ بِالبَلَاءِ بِخُيُوطٍ مُشْتَرَكَةٍ

فَيَبْقَى سَالِكًا مَا دَامَ البَلَاءُ فِيهِ   فَمُشَاهَدَةُ الأَنْوَارِ بِوُضُوحٍ قَدْ تَشْفِيهِ

لَا يَتِمُّ خَلَاصُهُ مِنَ البَلَاءِ وَالعَنَاءْ   إِلَّا بِنِهَايَةِ سُلُوكِهِ فَيَكُونُ بِاللهِ البَقَاءْ

تِلْكَ الأَحْوَالُ رَفِيعَةُ المُسْتَوَى وَالمَدَارِجْ   لَا يَعِي مَا نَقُولُ إِلَّا مُرْشِدٌ وَلِيٌّ مُعَالِجْ

فَتِلْكَ مِنَحٌ رَبَّانِيَّةٌ يَنَالُهَا كَالاخْتِصَاصْ   فَحِجَابُ السَّالِكِ لِفَائِدَتِهِ وَلَيْسَ قِصَاصْ

فَهُوَ لَيْسَ كَالأَحْجِبَةِ السَّوْدَاءِ الظُّلْمَانِيَّةْ   بَلْ لِفَائِدَتِهِ فَوَرَاءَهَا بَوَارِقُ نُورَانِيَّةْ

لَا يَذُوقُ ذَلِكَ إِلَّا أَهْلُ الوِلَايَةْ   مِمَّنِ ابْتُلُوا وَأَدْرَكَتْهُمْ مِنَ اللهِ العِنَايَةْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ (البقرة ٢١٦)

الوُصُولُ لِعَالَمِ الأَصْوَاتِ البَهِيمِيّ

لِكُلِّ طَائِرٍ وَحَيَوَانٍ صَوْتٌ وَنَغْمَةٌ … فَمَعْرِفَةُ عَالَمِ الأَصْوَاتِ مِنْحَةٌ وَنِعْمَةٌ

كُلَّمَا نُفِحَ القَلْبُ وَالحَوَاسُّ بِالمَدَدْ … يَتَطَوَّرُ السَّالِكُ بِالمَعْرِفَةِ وَيَزْدَادُ العَدَدْ

المُرَوِّضُونَ يُكَلِّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ الطُّيُورْ … وَتُطِيعُهُمُ الحَيَوَانَاتُ المُفْتَرِسَةُ وَحِيتَانُ البُحُورْ

فَمَعْرِفَةُ طَبَائِعِهِمْ تَعْتَمِدُ عَلَى دِقَّةٍ وَحَسَاسِيَةٍ … وَازْدِيَادُ كَشْفِ أَسْرَارِهَا حَسَبَ التَّزْكِيَةِ

يَخْتَرِقُ بِذَلِكَ عَالَمَ الأَصْوَاتِ وَنَغَمَاتِهَا … أَخْبَرَ كَتِفُ الشَّاةِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ آفَاتِهَا

فَمَنِ اسْتَغْرَقَ بِصِفَاتِ اللهِ مَلِيًّا … صَارَ عِلْمُهُ بِصِفَاتِ اللهِ جَلِيًّا

يُوَجِّهُ فِكْرَهُ نَحْوَ الشَّيْءِ فَيُطِيعُهُ … فَيَكْتَشِفُ بِنُورَانِيَّتِهِ لِسَانَ الطَّيْرِ وَصَنِيعَهُ

يُغَذِّي المُرْشِدُ مُرِيدَهُ بِقُدُرَاتِ الإِحْسَاسِ … وَيَدْعَمُهُ بِالهِمَّةِ فَيَتَخَطَّى عُلُومَ النَّاسِ

فَخَوَارِقُ الكَرَامَاتِ لِلسَّالِكِ الوَلِيِّ … هِيَ مِنْ نُورِ مُعْجِزَةِ الحَبِيبِ النَّبِيِّ ﷺ

فَلِلْوُصُولِ لِمَعْرِفَةِ أَصْوَاتِ تِلْكَ الأُمَمِ … مِنَ الطُّيُورِ عَلَيْنَا مُصَاحَبَةُ أَهْلِ الهِمَمِ

قَالَ ﷻ ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الأنعام ٣٨)

لَا يَتَعَجَّبِ القَارِئُ مِمَّا نَقُولُهُ مِنْ جُمَلْ … عَلَّمَ اللهُ سُلَيْمَانَ عليه السلام مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَسَمِعَ النَّمْلْ

قَالَ ﷻ عَنْ لِسَانِ سُلَيْمَانَ عليه السلام ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النمل ١٦)

جَرَى بَيْنَ سُلَيْمَانَ عليه السلام وَالهُدْهُدِ حِوَارْ … أَخْبَرَهُ عَنِ امْرَأَةٍ تَعْبُدُ شَمْسَ النَّهَارْ

قَالَ ﷻ عَنْ لِسَانِ الهُدْهُدِ ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (النمل ٢٤)

أَعْطَى اللهُ الهُدْهُدَ الإِحْسَاسَ بِالإِيمَانِ … يُعْطِي رَبُّنَا ﷻ مَنْ يَشَاءُ عُلُومَ اللِّسَانِ

أَدْنَى الخَلْقِ نَالَ لِسَانًا وَعُلُومْ … فَالأَحَقُّ بِهَا مَنْ يَسْجُدُ لِلحَيِّ القَيُّومْ ﷻ

قَالَ الإِمَامُ الرَّازِيُّ عَنْ ذَلِكَ العِلْمِ الثَّمِينْ … إِنَّ هَذَا العِلْمَ حَاصِلٌ لِجَمِيعِ المُسْلِمِينْ[1]

فَعُلُومُ المُعْجِزَاتِ خُصِّصَتْ لِلأَنْبِيَاءِ عليهم السلام … وَعُلُومُ الخَوَارِقِ وَالكَرَامَاتِ مُنِحَتْ لِلأَوْلِيَاءِ

كُلُّ مَا نَالَهُ العُظَمَاءُ وَعَنْهُمْ قِيلَا … قَالَ ﷻ ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء ٨٥)

(١) (تفسير الفخر الرازي ص ١٨٥ ج ٢٤)

اجْتِهَادُ ٱلْمُرَبِّي لِكَشْفِ ٱلْحَقِيقَةِ

قَدْ يَخْفَى عَلَى ٱلْمُرَبِّي بَعْضُ ٱلْأُمُورْ ... لَا يَجِدُ إِلَيْهَا تَفْسِيرًا وَلَا عُبُورْ

تُعْرَضُ عَلَيْهِ عَلَامَةٌ لِمَقَامَاتِ ٱلْمُرِيدْ ... فَلَا يَجِدُ فِي تَفْسِيرِهَا مَا يُفِيدْ

وَفِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ رَبِّنَا ٱلْخَبِيرِ ﷻ ... لِيَعُودَ مُعْتَرِفًا مِنْ عِلْمِ ٱلْبَشِيرِ ﷺ

يُحْجَبُ كَمَا يُحْجَبُ ٱلْقَمَرُ بِغُيُومِ ٱلسَّمَاءْ ... قال ﷻ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة ٢٥٥)

مَهْمَا نَالَ ٱلْمُرَبِّي مِنْ أَحْوَالِ ... يَبْقَى بِحَاجَةٍ لِرَحْمَةِ رَبِّنَا ٱلْمُتَعَالِ ﷻ

قَدْ يُعْجِزُهُ سِرٌّ صَغِيرٌ فِي ٱلطَّرِيقَةِ ... عَمَّا بِقَلْبِ ٱلْمُرِيدِ مِنْ مَخْزُونٍ لِلْحَقِيقَةِ

قَدِ ٱخْتَفَى عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بَرَاءَةُ زَوْجَتِهِ ﵂ ... فَتِلْكَ مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ

ٱلْمُرَبِّي لَا يَسْتَطِيعُ فَتْحَ قَلْبِ ٱلْمُرِيدْ ... إِلَّا إِذَا شَاءَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَكَانَ يُرِيدْ

بَعْدَ ٱسْتِحْضَارِ قَلْبِهِ وَٱلِٱسْتِغَاثَةِ بِٱلْغَفَّارِ ﷻ ... يُظْهِرُ لَهُ مَوْلَاهُ نُورًا سَاطِعًا كَٱلنَّهَارِ ﷻ

قَالَ ﷻ ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (النور ٣٥) ... فَإِنْ شَاءَ يُخْفِي عَلَى ٱلْأَنْبِيَاءْ ﷺ

يَقُومُ بِٱسْتِحْضَارِ رَابِطَةِ صَاحِبِ ٱلْحَضْرَةْ ﷺ ... لِيَنَالَ مِنْ مَوْلَاهُ نَفْحَةً وَنَظْرَةْ

فَلَا يَسْتَطِيعُ تَفْسِيرَ تِلْكَ ٱلْعَلَامَةِ ... بَعْدَ ظُهُورِهَا إِلَّا بِإِلْهَامٍ وَكَرَامَةِ

إِنْ شَاءَ ٱللهُ يَحْجُبُ عَنْهُ أَسْرَارَهُ ... وَيُخْفِي عَنْهُ أَحْوَالَ ٱلْمُرِيدِ وَأَخْبَارَهُ

فَإِنْ ظَهَرَتْ لَوَائِحُ ٱلْعِرْفَانِ لِلْمُرَبِّي ... يُعَالِجُ مُرِيدَهُ بِأَنْوَارِ أَسْرَارِ رَبِّي ﷻ

فَٱدِّعَاءُ ٱلتَّرْبِيَةِ بِلَا عِلْمٍ إِغْوَاءُ ... وَٱدِّعَاءُ ٱلِٱجْتِهَادِ بِلَا فُتُوحٍ دَاءْ

فَكُلُّ مَا يَجْرِي بِٱلتَّرْبِيَةِ مِنْ أَفْعَالِ ... فَهِيَ تَسْخِيرٌ مِنْ رَبِّنَا ٱلْمُتَعَالِ ﷻ

قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ (الإسراء ـ ٨٦)

فضيلة الشيخ محمد عبد المتعال الرفاعي – ببنين شمال لبنان ←

فضيلة الشيخ أحمد علي الرفاعي – ببنين شمال لبنان ←

انغلاق جهاز التلقي

فِي بِدَايَـةِ سُـلُوكِ ٱلـذَّاكِرِ المُرِيـدِ بِتَدْرِيبِ وَتَوْجِيهَـاتِ مُرْشِدِهِ ٱلعَتِيـدِ
يَقُومُ ٱلمُرْشِدُ بِتَنْظِيفِ قَلْبِهِ مِنَ ٱلرُّسُومْ فَيُصَفِّيهِ مِنْ سَائِرِ مَا يَعُوقُ ٱلعُلُـومْ
فَيَنْغَلِقُ جِهَازُ تَلَقِّي ٱلعُلُومِ ٱلأَرْضِيَّةْ وَلَا يَبْقَى مِنْهَـا إِلَّا ٱلأُمُـورُ ٱلضَّـرُورِيَّةْ
فَهَذِهِ هِيَ طَرِيقَـةُ ٱلتَّنْظِيـفِ وَٱلتَّصْفِيَةِ لِتَجْهِيزِ ٱلقَلْبِ لِكَسْبِ طُرُقِ ٱلتَّزْكِيَةِ
فَيُصْبِحُ ٱلمُرِيـدُ كَيَـومِ وَلَدَتْـهُ أُمُّـهُ كَالطِّفْلِ ٱلرَّضِيعِ، ٱلَّـذِي هُـوَ هَمُّـهُ
صَفَحَاتُ خَزَّانِ فِكْـرِهِ مُهَيَّأٌ خَـالِي يَنْتَظِرُ عُلُـومَ ٱلفُيُوضَـاتِ مِنَ ٱلعَلَالِـي
يَغِيبُ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَمَا كَانَ بِٱلمَاضِي مِنْ رُسُومٍ عَنْهَـا كَانَ غَيْرَ رَاضِـي
فَـإِذَا وَصَـلَ لِـذَلِكَ ٱلحَـالِ ٱلرَّاقِـي يُصْبِحُ مُهَيَّأً لِاسْتِقْبَالِ ٱلعِلْـمِ ٱلبَـاقِي
بِطَرِيقَـةِ ٱلكَرَامَـةِ وَٱلإِلْهَامِ وَٱلِاسْتِمْدَادْ يَتَلَقَّـى غِـذَاءَهُ ٱلنُّـورَانِيَّ وَٱلإِسْـعَادْ
لَا يَدْخُـلُ ٱلنُّـورُ لِصَدْرٍ فِيـهِ ذَرَّةُ سَوَادِ إِلَّا بِتَنْظِيفِـهِ وَتَهْيِئَتِـهِ لِكَسْبِ ٱلأَمْـدَادِ
قَالَ ﷻ ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ لِئَلَّا يَقَعَ تَشْوِيشٌ بَيْنَ ٱلتَّعَاسَةِ وَٱلسُّرُورْ
قَـدْ شُـقَّ صَـدْرُ خَـيْرِ ٱلبَرِيَّـةِ ﷺ وَأُبْـدِلَ مَـا فِي قَلْبِـهِ بِرَحَمَـاتٍ نُورَانِيَّـةٍ
فَتِلْـكَ عِلَاجَـاتٌ مِـنَ ٱلحَـيِّ ٱلقَيُّـومِ ﷻ لِيَطْبَـعَ بِٱلقَلْـبِ أَسْـرَارَ ٱلعُلُـومِ

فِي حَدِيثِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "... **فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَشُقَّ مِنَ ٱلنَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ ٱلْبَطْنِ فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا**"[1].

كَـثِيرٌ مِـنَ ٱلسَّـالِكِينَ إِذَا سَـأَلْتَهُ لَـيْسَ عِنْدَهُ رَدُّ جَـوَابٍ عَمَّـا قُلْتَـهُ
لِأَنَّـهُ ٱنْشَـغَلَ بِـٱللَّهِ عَـنْ سَـائِرِ ٱلأُمُـورْ فَسُـؤَالُكَ بِعَقْلِـهِ وَقَلْبِـهِ لَا يَـدُورْ
يُقَالُ عَنْـهُ مَـأْخُـوذٌ بِـٱللَّهِ ﷻ عَنْ سِوَاهُ فَيَنْغَلِـقُ عَـنْ كُـلِّ مَـا فِي دُنْيَـاهُ
مَـنْ يَـدْخُـلُ ٱلجَنَّـةَ تَـزُولُ مِنْـهُ ٱلصُّـوَرْ وَلَا يَبْقَـى بِصَـدْرِهِ أَيُّ شَـيْءٍ مُحْتَقَـرْ

(١) صحيح الإمام مسلم ﷺ ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٦

أَقْوَالٌ فِي الأُمِّيَّةِ عِنْدَ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ

الأُمِّيُّ هُوَ الْبَاقِي عَلَى مَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ عَلَيْهِ ... أَيْ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ فَنُسِبَتِ الأُمِّيَّةُ إِلَيْهِ

هَكَذَا يَفْهَمُ الأُمِّيَّ أَهْلُ الرُّسُومِ ... فَأُمِّيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ تَخْتَلِفُ عِنْدَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ﷻ

فَأُمِّيَّتُهُ مِنْحَةٌ وَمَوْهِبَةُ رَبِّنَا الْبَارِي ... فِيهَا الأَمَانَةُ وَالإِمَامَةُ وَالأَمَانُ لِلْمُخْتَارِ ﷺ

وَبِمَعْنَى لَمْ يُخَالِطْ صَدْرَهُ الأَشْيَاءْ ... مِنْ رَذَائِلِ الدُّنْيَا وَمَعَاصِيهَا كَالْغَوْغَاءْ

الأُمِّيَّةُ عَلَى عِدَّةِ مَقَايِيسَ وَحَالَاتِ ... يُعَبَّرُ عَنْهَا بِحَسَبِ الرِّجَالِ وَالْمَقَامَاتِ

فَمِنْهَا بِسَبَبِ الْجَهْلِ وَمِنْهَا لِلرُّوحَانِيَّةِ ... الصُّوفِيُّ يَعُدُّ الأُمِّيَّةَ خَلَاءَ قَلْبٍ لِلْحُرِّيَّةِ

أُمِّيَّةُ الْجَهْلِ لَا تُوصِلُ إِلَى الازْدِهَارْ ... وَأُمِّيَّةُ التَّهْيِئَةِ نَالَهَا النَّبِيُّ الْمُخْتَارْ ﷺ

النَّبِيُّ ﷺ جَاءَ أُمِّيًّا أَيْ مُهَيَّئًا لِاسْتِقْبَالِ ... عَطَاءٍ وَأَنْوَارٍ وَعُلُومِ رَبِّهِ الْمُتَعَالِ ﷻ

أَلَمْ يَرَ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ بِفَضْلِ اللهِ جِبْرِيلْ عليه السلام ... وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مُحْكَمَ التَّنْزِيلْ

أَلَمْ يَغْسِلْ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام مَا فِي صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ... تِلْكَ عِلَاجَاتٌ لِتَفْرِيغِ مَا فِي قَلْبِهِ الشَّرِيفِ

فَأُمِّيَّتُهُ هِيَ مَقَامٌ وَجَلَالْ ... يَتَزَاحَمُ لِلْوُصُولِ لِذَرَّاتِهَا كُمَّلُ الرِّجَالْ

قَدْ جَهَّزَ اللهُ صَدْرَ نَبِيِّهِ ﷺ بِالأُمِّيَّةِ ... لِيَنْقُشَ فِيهِ مِنْ عُلُومِهِ اللَّدُنِّيَّةِ

فَصَدْرُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سِوَى مَوْلَاهُ خَالِي ... فَأُمِّيَّتُهُ هَيَّأَتْهُ لِمَلْئِهِ مِنْ عِلْمِ الْبَارِي ﷻ

فَسُمِّيَ أُمِّيًّا لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ إِلَّا مَوْلَاهُ ﷻ ... هَكَذَا يَكُونُ السَّالِكُ فِي دُنْيَاهُ

هَذَا مِنْ فَضْلِ وَمِنَحِ وَمَوَاهِبِ الرَّحْمَنْ ﷻ ... لِيَجْعَلَ بِفَرَاغِ الأُمِّيَّةِ دُرَرًا وَمَرْجَانْ

مَنْ شَرِبَ مِنْ أُمِّيَّةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ﷺ ... نَالَ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى أَعْظَمَ أُمْنِيَةِ

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ** ﴾ (الأعراف ١٥٧)

كُلُّ شَيْءٍ يَنَالُهُ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ مَقَامٌ ... كَالْعِتَابِ مِنَ اللهِ، وَالأُمِّيَّةِ لَهُ إِكْرَامٌ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ بَاطِنَ الْحَالِ ... وَمَا عِنْدَ رَبِّنَا ﷻ مِنْ أَسْرَارِ الرِّجَالِ

لِلْوُصُولِ إِلَى مَقَامَاتِ الْأُمِّيَّةِ الرَّاقِيَةِ ... لَا بُدَّ مِنْ هِمَّةٍ وَمُقَاوَمَةٍ رُوحِيَّةٍ عَالِيَةٍ
فَالسَّالِكُ يَتَخَلَّى عَمَّا اكْتَسَبَهُ بِعَالَمِ الرُّسُومْ ... فَيَقِفُ أُمِّيًّا بِبَابِ الْحَيِّ الْقَيُّومْ ﷻ
فَلَوْ أَرَادَ شَخْصٌ أَنْ يَمْلَأَ وِعَاءَهُ ... فَلْيُنَظِّفْهُ مِمَّا فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَمْلَأَهُ

إِنْ كَانَ الْقَلْبُ مَمْلُوءًا بِالْانْشِغَالِ ... فَلَا يَسْتَقْبِلُ عُلُومَ ذِي الْجَلَالِ ﷻ
إِلَّا إِذَا خَلَا الْبَاطِنُ مِنَ الرَّذَائِلِ الدَّنِيَّةِ ... وَهَذَا هُوَ مَقَامُ الْأُمِّيَّةِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الْأُمِّيَّةُ لَيْسَ لِصَاحِبِهَا لِسَانُ عِلْمْ ... وَإِذَا رَأَى كِتَابَةً صَعُبَ عَلَيْهِ الْفَهْمْ
إِلَّا إِذَا بِالنُّورِ أَمَدَّهُ مَوْلَاهُ ﷻ ... فَيَنْطِقُ عَنِ اللهِ فِيمَا إِلَيْهِ هَدَاهُ
لَوْ عُرِضَ لِلْأُمِّيِّ الْعِلْمُ عَلَى كِبَرْ ... يَصْعُبُ عَلَيْهِ الْفَهْمُ فَيَتَأَلَّمُ وَيَتَمَلَّكُهُ الضَّجَرْ
إِلَّا مَنْ شَاءَ لَهُ سُلُوكًا إِلَيْهِ ... فَيُقَرِّبُهُ مَوْلَاهُ ﷻ وَيُسْبِغُ رَحْمَتَهُ عَلَيْهِ
فَتَنْقَلِبُ أُمِّيَّتُهُ وَيَفُوزُ عَلَى غَيْرِهِ ... حَيْثُ كَسَبَ الْمَوَاهِبَ بِسُلُوكِهِ وَسَيْرِهِ

الْأُمِّيُّ الصُّوفِيُّ إِذَا بِنَفْسِهِ اخْتَلَى ... تَجْرِي عَلَيْهِ عُلُومٌ تُدْهِشُ الْمَلَا
وَإِذَا جَلَسَ مَعْ بَعْضِ الْغَافِلِينْ ... يَنْحَجِبُ عَنْ ذَاكِرَتِهِ فِي الْحِينْ
وَيَنْقَطِعُ عَنْ مُشَاهَدَةِ الْأَنْوَارِ بِالْعَيْنْ ... إِذَا وُجِدَ بِخَلْوَتِهِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ اثْنَيْنْ
فَلِذَلِكَ تَجِدُ الصُّوفِيَّ مُنْفَرِدًا بِعِبَادَتِهِ ... خَائِفًا مِنْ ضَيَاعِ وَحَجْبِ ثَرْوَتِهِ

الْأُمِّيَّةُ بِالسُّلُوكِ مِنَ الْعَلَامَاتِ النَّادِرَةْ ... تَصْدَعُ هَوَى النَّفْسِ عَنِ الْمُفَاخَرَةْ
حَتَّى لَا يَهْوِي السَّالِكُ وَيَضِيعُ بِالْأَنَا ... بِذَلِكَ يَحْمِيهِ مِنَ السُّقُوطِ إِلَهُنَا ﷻ
كَمْ مِنْ أُمِّيٍّ لَا يَعْرِفُ حُرُوفَ السُّطُورِ ... بِتَقْوَاهُ أَبْدَلَهُ مَوْلَاهُ ﷻ بِتَجَلِّي النُّورِ
لِأَنَّ الْقَلْبَ لَا يَتَحَمَّلُ عِلْمَانِ ... إِلَّا بَعْدَ تَوْسِعَتِهِ بِفَضْلِ الدَّيَّانِ ﷻ

يَتَوَلَّدُ عِرْفَانُ الْأُمِّيَّةِ بِقَدْرِ الْكَسْبْ ... فَيَكُونُ لَهُ مِنَ النُّورَانِيَّةِ مِمَّا اللهُ وَهَبْ
فَإِذَا نَالَ مِنَ الْأُمِّيَّةِ سَالِكٌ وَفَوْزْ ... يَحْفَظُهُ مَوْلَاهُ ﷻ بِأُمِّيَّةِ الْعِرْفَانِ مِنَ الْغُرُورْ
فَنُورُ الْأُمِّيَّةِ إِذَا انْكَشَفَ لِلذَّاكِرَةِ ... تُخَيِّمُ إِشْرَاقَاتُهُ وَتُغَطِّي سَاحَةَ الْمُفَكِّرَةِ

فَأُمِّيَّةُ ٱلسُّلُوكِ تُغَطِّي ٱلْحُرُوفَ ٱلْمَطْبُوعَةَ   مُؤَقَّتًا فَتُصْبِحُ عُلُومُهُ مَحْفُوظَةً مَرْفُوعَةً

بَعْدَ نِهَايَةِ ٱلسَّالِكِ مِنْ تِلْكَ ٱلْحَالَاتِ   تَعُودُ إِلَيْهِ عُلُومُهُ مُتَوَّجَةً بِٱلْمَقَامَاتِ

بِٱلْأُمِّيَّةِ تَجِدُ ٱلْآدَابَ وَٱلْبَسَاطَةَ ٱلشَّرْعِيَّةْ   وَٱلتَّوَاضُعَ وَٱلْقَنَاعَةَ وَنَفْسًا مَرْضِيَّةْ

وَخُلُقًا عَظِيمًا وَرَحْمَةً لِعَامَّةِ ٱلْبَشَرِيَّةْ   وَحِلْمًا وَكَمَالًا وَمَقَامَاتٍ سَاطِعَةً نُورَانِيَّةْ

وَشِدَّةَ خُشُوعٍ وَطَاعَةً وَتَحَمُّلَاتٍ رُوحِيَّةْ   وَجَمَالًا مُشْرِقًا وَرُوحًا بِٱللهِ غَنِيَّةْ

مَنْ مِثْلُ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرِ ٱلْخَلِيقَةِ وَٱلْبَشَرِيَّةْ   فَهُوَ ٱلْمُطَهَّرُ وَٱلْمُزَكَّى فَلَهُ ٱلضِّمْنِيَّةْ(1)

ٱلْأُمِّيَّةُ عَطَاءٌ مِنْ مَوْلَاهُ ﷻ   فَكُلُّ عَطَاءٍ فِيهِ مَقَامٌ لَهُ أَهْدَاهُ

لَمْ تَتَعَلَّمْ عُقُولُ ٱلنَّاسِ شَيْئًا لَوْلَاهُ ﷺ   مَا ٱلدَّرْسُ وَٱلْكِتَابَةُ إِلَّا مِنْ عُلَاهُ ﷻ

إِنْ شَاءَ تَرَكَ قَلْبَ ٱلْإِنْسَانِ بِعَمَاهُ   لَا يَرَى ٱلْحُرُوفَ وَلَوْ دَرَسَ فِي دُنْيَاهُ

إِنْ عَلَّمَ ٱلْأُمِّيَّ بِعِنَايَتِهِ يَرْعَاهُ   يَنَامُ أُمِّيًّا وَيَصْحُو وَٱلْعِلْمُ مَالِئٌ فَاهُ

تَغَذَّتْ أُمِّيَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلْعُلُومْ   ثُمَّ عَادَتْ إِلَيْهِ (يوم القيامة) بِجَوَابِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ﷺ لِلْقَيُّومْ

مِنْ عَظَمَةِ ٱلْبَوَارِقِ وَٱلتَّجَلِّيَاتِ ٱلرَّبَّانِيَّةْ   فَاقَتْ مَا عِنْدَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ﷺ مِنْ حَالَةٍ عِلْمِيَّةْ

فَكَانَ جَوَابُهُمْ لِرَبِّهِمْ ﷻ: لَا عِلْمَ لَنَا   فَعَظَمَةُ ٱلسُّؤَالِ حَجَبَتْ مَا وَهَبَهُمْ إِلَهُنَا ﷻ

قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (المائدة ١٠٩)

فَلْنَنْظُرْ كَيْفَ تَغِيبُ ثُمَّ تَعُودُ ٱلْأُمِّيَّةْ   لِكَثْرَةِ ٱلرَّهْبَةِ أَصْبَحَتِ ٱلْعُلُومُ خَفِيَّةْ

عِنْدَ وَفَاةِ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ٱلْمُنْتَظَرُ   غَابَتِ ٱلْعُلُومُ مِنْ صَدْرِ سَيِّدِنَا عُمَرُ رضي الله عنه

لَمْ تَتَقَبَّلْ إِحْسَاسَاتُهُ ذَلِكَ ٱلْخَبَرْ   لِأَنَّ صُورَةَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ مَا زَالَتْ بِٱلنَّظَرْ

مُتَعَلِّقَةً وَمُتَمَكِّنَةً بِبَاطِنِ عُمْقِ ٱلشُّعُورِ   تَفْصِلُ ٱلْإِحْسَاسَ عَنِ ٱلْحَدَثِ لِشِدَّةِ ٱلنُّورِ

فَسَيْطَرَتْ صُورَةُ ٱلْجَمَالِ عَلَى ٱلْعُلُومِ   فَصَارَ ٱلْخَبَرُ عِنْدَهُ بِصِفَةِ ٱلْمَعْدُومِ

لَمْ يَرْجِعْ عُمَرُ رضي الله عنه لِإِدْرَاكِ عُلُومِ ٱلْوَعْيِ   إِلَّا بَعْدَمَا أَخْبَرَهُ ٱلصِّدِّيقُ رضي الله عنه بِٱلنَّعْيِ

فَغَابَتْ صُورَةُ حَيَاةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ عَنِ ٱلنَّظَرْ   فَشَعَرَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَمَّا يَعْهَدُهُ قَدِ ٱسْتَتَرْ

فَتِلْكَ ٱلْحَالَةُ عِنْدَ ٱلسَّادَةِ ٱلصُّوفِيَّةْ   هِيَ غَيْبُوبَةُ تَحَيُّرٍ رُوحِيَّةٍ وَمَرْتَبَةٌ سَنِيَّةْ

(١) الضِّمْنِيَّةُ: مَقَامٌ عَظِيمٌ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلرُّقِيَّ إِلَيْهِ غَيْرُهُ.

حِكْمَةُ عَدَمِ زَوَاجِ الصُّوفِي

عَدَمُ زَوَاجِ بَعْضِ سَالِكِي الصُّوفِيَّةِ ... فِيهِ تَذْكِيرٌ لَهُمْ بِحَالَةِ الْمَسِيحِ ﵇ الرُّوحِيَّةِ

لِأَنَّ الزَّوَاجَ يُعَكِّرُ صَفَاءَ أَوْقَاتِهِمْ ... وَيُشْغِلُ نُفُوسَهُمْ عَنْ كَسْبِ مَرَاتِبِهِمْ

عَدُّوا الشَّهْوَةَ مِنَ الْمُعَوِّقَاتِ بِالطَّرِيقْ ... فَبِالزَّوَاجِ شَهْوَةُ الْجَوَارِحِ قَدْ تَسْتَفِيقْ

فَشُغْلُهُمْ هُوَ دَفْعُ الشَّهْوَةِ بِالْمُجَاهَدَاتِ ... وَيَنْفِرُونَ بِسُلُوكِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْمَلَذَّاتِ

تِلْكَ حَالَةٌ مُؤَقَّتَةٌ لَهُمْ كَتَنَاوُلِ الْعَقَاقِيرِ ... مَنْ يَقْرَبُ مِنْهَا تَجْرَحُهُ كَالدَّبَابِيرِ

الْخَضِرُ ﵇ وَالْمَسِيحُ ﵇ لَمْ يَرِدْ عَنْهُمُ الزَّوَاجْ ... فَتِلْكَ الْحَالَاتُ لِلصُّوفِيَّةِ هِيَ كَعِلَاجْ

فَدِينُنَا يَأْمُرُنَا بِالنِّكَاحِ لِلْإِنْتَاجْ ... وَلَكِنِ الصُّوفِيُّ فِي سُلُوكِهِ لَهَا لَا يَحْتَاجْ

إِلَّا بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ نِهَايَةِ الْفَنَاءِ ... يُعِيدُ اللهُ لَهُ الْقَبُولَ لِلنِّسَاءِ

اسْتِعَارَةُ ظِلِّ الْكَرَامَةِ بِالِانْعِكَاسِ

إِذَا أَرَادَ الْمُرْشِدُ حُصُولَ أَمْرٍ مُرَامْ ... فَيُحَمِّلُ مُرِيدَهُ انْعِكَاسًا حَتَّى لَا يُضَامْ

مِنْ حَرَارَةِ شُعَاعِ نُورَانِيَّةِ الْكَرَامَةِ ... فَيَسْبِقُ مُشَاهَدَتَهَا نُورٌ يَكُونُ لَهُ كَإِعَانَةِ

وَحِجَابٌ يَحْمِيهِ مِنْ عَدَمِ الِاحْتِرَاقْ ... وَنَادِرٌ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ التِّرْيَاقْ

فَيَظُنُّ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا مِنْ مَقَامِهِ الْحَسَّاسِ ... وَمَا هُوَ إِلَّا نَاقِلٌ لِظِلِّ الْكَرَامَةِ بِالِانْعِكَاسِ

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِلنَّاقِلِ هِمَّةٌ عَلِيَّةْ ... لِيَسْتَطِيعَ تَحَمُّلَ ثِقْلِ تِلْكَ الْهَدِيَّةْ

وَقَدْ يَشْتَرِكُ بِالْكَرَامَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ... السَّالِكُ مَعَ مُرْشِدِهِ صَاحِبِ الزَّمَانِ

وَهَذَا مِنَ التَّمْرِينِ عَلَى تَحَمُّلِ ثِقْلِ الْمَعْنَوِيَّاتِ ... يَحْتَاجُ إِلَيْهِ السَّالِكُ لِيَتَدَرَّجَ بِالْوِلَايَاتِ

لَا يَسْتَقِلُّ بِالْكَرَامَةِ وَيَنْفَرِدُ بِاحْتِوَائِهَا ... حَتَّى يَكُونَ لَهُ قَدَمٌ فِي مَعْرِفَتِهَا

تِلْكَ مِنْ أَرْقَى التَّرْبِيَةِ وَأَثْقَلِهَا ... لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا السَّالِكُ الْكَامِلُ تَحَمُّلَهَا

فَالِانْعِكَاسُ ظِلُّ الْكَرَامَةِ الرَّاقِيَةِ ... صُورَةٌ مَنْقُولَةٌ فِي مِرْآةٍ صَافِيَةِ

مِنْ أَقْوَالِ ٱلصُّوفِيَّةِ : ٱلْقَلْبُ مِرْآةٌ لِلْقَلْبِ وَهَـذَا مِـنْ عَجَائِـبِ صُنْـعِ ٱلـرَّبِّ ﷻ

هَلْ يُخْطِئُ ٱلْعَارِفُ بِٱلتَّشْخِيصِ

قَدْ يُخْطِئُ ٱلْعَارِفُ بِتَشْخِيصِهِ ٱلدُّنْيَوِيِّ إِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلْ بِٱلْمَعْرِفَةِ قَلْبَهُ ٱلْمَعْنَوِيَّ
أَمَّا بِٱلتَّشْخِيصِ ٱلْعِرْفَانِيِّ فَهُوَ مُصِيبٌ لِأَنَّهُ يَرَى بِنُورِ ٱلْفَرَاسَةِ ٱلَّذِي لَا يَخِيبُ
يَرْفُضُ ٱلْكَثِيرُ نِسْبَةَ ٱلْخَطَأِ لِشَيْخِهِ ٱلْكَبِيرِ فَيَعُدُّ كَلَامَنَا عَنْهُ نَوْعًا مِنَ ٱلتَّحْقِيرِ

قَالَ ٱلْإِمَامُ مَالِكٌ (رحمه الله) : مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ وَمَرْدُودٌ إِلَّا صَاحِبَ هَـذَا ٱلْقَبْرِ . (يَعْنِي ٱلنَّبِيَّ ﷺ) (تفسير الألوسي ص ١٨٢ ج ١١)

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ ﷺ : " أَصَابَتِ ٱمْرَأَةٌ وَأَخْطَأَ عُمَرُ ".

عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ ٱلْعِبَرْ وَلَا نَتَعَصَّبَ عَنْ جَهْلٍ فَنَتَسَبَّبَ بِٱلْخَطَرْ

أَسْبَابُ ضَعْفِ ٱلْقُدُرَاتِ بِٱلِانْعِكَاسِ

ٱلِانْعِكَاسُ ٱلصُّورِيُّ عِلَّةٌ وَمَرَضٌ يُؤْذِي يَنْقُلُ حَالَ ٱلْمُصَابِ كَٱلْمِرْآةِ فَيُعْدِي
فَيَنْفُذُ إِلَى قَلْبِ ٱلْمُرِيدِ مَا دَخَلَ مِنْ صُوَرٍ وَلَا يَعِي مَا أُصِيبَ فِيهِ مِنْ خَطَرٍ
لِأَنَّ ٱلطَّالِبَ حِينَ يُجَالِسُ أَهْلَ ٱلْغَفَلَاتِ يَنْسَى ذِكْرَ ٱللهِ فَيَقَعُ بِٱلْوَيْلَاتِ
مِنْ رَذَائِلَ وَعِلَلٍ وَمَعَاصٍ ظُلْمَانِيَّةٍ وَتُنْقَلُ إِلَى قَلْبِهِ صُوَرُ أَعْمَالِهِمُ ٱلضَّلَالِيَّةِ
فَيَنَالُ مِنْ أَذَاهُمْ بِقَدْرِ ٱلْمُصَاحَبَةِ فَيُصِيبُ نَشَاطَ قُدُرَاتِهِ بِطَرِيقَةٍ مُرْعِبَةٍ
وَتَذْبُلُ قُدُرَاتُ ٱلطَّالِبِ فَتُصْبِحُ عَلِيلَةْ مِنْ تَأْثِيرِ صُوَرِ ٱلْمَعَاصِي وَٱلذُّنُوبِ وَٱلرَّذِيلَةْ
وَتَصِيرُ عَاجِزَةً وَتَرْفُضُ أَوَامِرَ ٱلطَّاعَةِ وَتُقْبِلُ عَلَى ٱلْمُحَرَّمَاتِ وَكَأَنَّهَا فِي مَجَاعَةِ
تَمْتَدُّ تِلْكَ ٱلْعِلَلُ إِلَى سَائِرِ ٱلْقُدُرَاتِ وَتُسَيْطِرُ عَلَى ٱلْقَلْبِ وَٱلشُّعُورِ وَٱلذَّوْقِيَّاتِ

قَالَ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة ٧٤)

وَتُطْبَعُ تِلْكَ ٱلْمُخَالَفَاتُ بِصَفْحَةِ ٱلصُّدُورِ فَيَمْتَلِئُ ٱلْمَعْكُوسُ بِٱلرَّذَائِلِ وَٱلتُّرَّهَاتِ وَٱلْغُرُورِ

وَيَصِيرُ عُرْضَةً لِلشَّيْطَانِ فَيُخَرِّبُ شَبَابَهُ وَيُزَيِّنُ لَهُ ٱلْمَفَاسِدَ بِذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ
فَيُعَادِي إِخْوَانَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَحْكَامَ ٱلْمِلَّةِ وَتَرَاهُ مُصْفَرَّ ٱلْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةِ
يَغْرَقُ بِٱلنَّمِيمَةِ وَٱلأَذَى وَحُبِّ ٱلْفِتَنِ وَإِذَا جَالَسْتَهُ تَشْتَمُّ مِنْهُ رَائِحَةَ ٱلنَّتَنِ
قَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ (المجادلة ١٩)

لَا تَزُولُ تِلْكَ ٱلرَّذَائِلُ ٱلْمَعِيبَةْ إِلَّا بِٱلشَّهَادَتَيْنِ وَٱلتَّوْبَةِ وَٱلْعِبَادَاتِ ٱلْمَهِيبَةْ
كُلَّمَا جَاهَدَ بِٱلطَّاعَةِ ٱسْتَبْدَلَ بِهَا مِنْ جَدِيدِ رَحَمَاتٍ مِنْ رَبِّهِ تَحْرِقُ حَظَّ ٱلشَّيْطَانِ ٱلْعَنِيدِ
قال ﷻ (الفرقان ٧٠)
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾

حَالَةُ ٱلذَّاكِرِ بِٱلْقَلْبِ مَعَ ٱلنَّاسِ

اَلذَّاكِرُ ٱلصُّوفِيُّ مَنْ لِنَفْسِهِ قَدْ دَاسْ وَأَعْلَنَ فَقْرَهُ لِلْوَرَى وَٱلإِفْلَاسْ
وَٱسْتَوَى عِنْدَهُ ٱلْمَدَرُ وَٱلأَلْمَاسْ وَبِٱلتَّوْحِيدِ وَصَلَ وَزَكَّى ٱلأَنْفَاسْ
وَشَرِبَ مِنْ بَحْرِ حُبِّ ٱللهِ كَاسْ وَٱسْتَهْوَى خُشُونَةَ ٱلْحَيَاةِ بِٱلْمَأْكَلِ وَٱللِّبَاسْ
وَبِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ جَادَلَ ٱلنَّاسْ رَقِيقُ ٱلْقَلْبِ لَيِّنُ ٱلْوَعْظِ وَٱلإِحْسَاسْ
حَفِظَهُ مَوْلَاهُ ﷻ عَنِ ٱلظَّوَاهِرِ وَٱلْوَسْوَاسْ يُحِبُّ ٱلْهِدَايَةَ وَٱلْخَيْرَ لِسَائِرِ ٱلأَجْنَاسْ
قَوِيُّ ٱلإِيمَانِ شُجَاعٌ مُقَاوِمٌ لِلْخَنَّاسْ شَدِيدُ ٱلإِرَادَةِ بِٱلْحَقِّ قَوِيُّ ٱلْبَاسْ
وَصَلَ لِلْقُرْبِ ٱلْمَعْنَوِيِّ بِأَرْقَى قِيَاسْ مَشْغُولٌ بِٱلذِّكْرِ بِلَطَائِفِهِ وَسَائِرِ ٱلْحَوَاسْ
لَا يَخُونُ وَلَوْ عُرِضَتِ ٱلدَّرَاهِمُ عَلَيْهِ أَكْدَاسْ جَرِيءٌ طَاهِرُ ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلأَرْجَاسْ
سَرَاوِيلُهُ مِنْ خُشُونَةِ ٱلصُّوفِ وَٱلأَكْيَاسْ مَنْزِلُهُ ٱلْغَارُ وَفِرَاشُهُ ٱلأَرْضُ وَٱلآسْ
ٱلْمُتَنَطِّعُ لَا يَرَى طَرِيقَهُ فَيَقَعُ بِٱلِٱلْتِبَاسْ لَا يُفَارِقُهُ ٱلْبَلَاءُ وَلَوِ ٱتَّخَذَ ٱلصَّبْرَ مِتْرَاسْ
بِلَا مَعْرِفَةٍ يَذُوقُ شُوَاظًا مِنْ نُحَاسْ وَيَرْجِعُ مِنْ رِحْلَتِهِ فِي إِفْلَاسْ
لَا تُؤْخَذُ ٱلْمَعْرِفَةُ مِمَّا فِي ٱلْقِرْطَاسْ ٱلْقَدَمُ عِنْدَنَا لَيْسَ كَٱلرَّاسْ

محمد الغزالي

أخي الكريم الأستاذ عدنان توفيق ياسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وصلتني النسخة المجودة التي طبعتموها وحققتموها من كتاب المنقذ من الضلال في تنزيه الرب ذي الجلال لأبي حامد الغزالي

إن أبا حامد رضي الله عنه من قمم الفكر الإسلامي، ومن رجالات الله الذين أبلوا أحسن البلاء في خدمة المجد وتقريبه إلى الجاحدين، مع أنس بالله حقق إليه كل تبع الدنيا.. وقد تكون الظروف التي تمر بالإسلام الآن مغايرة لما عاصر الغزالي من محن وفتن، ومحتاجة إلى أدوات أخرى، لكن دراسة الغزالي - في تراثه الضخم - لابد منها لإحسان العقيدة وإجلاء النصر.. وليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه، جزاكم الله خيرا عما أعددتم أنفسكم له، وألهمكم الرشد وسدد الخطا

إنه يوجد الآن من يرجم الغزالي ويحقر تراثه، بل من يناوش علماء الإسلام كافة!! وهذه الناشئة البائسة تحركها الآن عناصر مريبة ويجب الحذر منها، لأن الذين يحركونها لا يألون الأمة خبالا..

والتزام الحذر والتيقظ مع هؤلاء واجب. جزاكم الله خيرا وأحسن عاقبتكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد الغزالي

١٩٩٤/٢/٢٧

رسالة من فضيلة الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي إلى الكاتب عدنان توفيق ياسين .





البدر الشمسي الشيخ النوراني والعالم الرباني عبد الفتاح بن الشيخ بدر الدين الزعبي توفي في ١٢ حزيران ١٩٣٣ م .
(كتاب الشيخ العمري)

السري الروحاني الكبير الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني كان صادقا في نصائحه مجاهدا في طاعته ورفيقا في إشارته قابله الكاتب في السفارة السودانية في بيروت ما يقارب ١٩٦٣ م

اِصْطِلَاحَاتُ ٱلصُّوفِيَّةِ وَمَعَانِيهَا

لِلْمُتَصَوِّفَةِ ٱصْطِلَاحَاتٌ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ ... فِيهَا مَعَانٍ وَخِبْرَاتٌ مُحَيِّرَةٌ رَائِعَةٌ

ٱلتَّصَوُّفُ: ٱلِٱنْتِقَالُ مِنَ ٱلْخَلْطِ وَغَفْلَةِ ٱلْخَلْقِ ... إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِ ٱلْأَبْرَارِ أَهْلِ ٱلْحَقِّ

وَٱلتَّفَكُّرُ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ وَٱلِٱسْتِعْدَادُ لَهُ ... وَٱلسَّعْيُ لِتَزْكِيَةِ ٱلنَّفْسِ وَمُحَارَبَةِ ٱلسَّهْوْ

وَٱلتَّضْيِيقُ عَلَى مَجَارِي شَهَوَاتِ ٱلنُّفُوسِ ... وَٱلْمُجَاهَدَةُ فِي مُفَارَقَةِ مَادِّيَّةِ عِشْقِ ٱلْفُلُوسِ

وَٱلْقِيَامُ بِٱلْمُنَازَلَاتِ ٱلرُّوحِيَّةِ ضِدَّ ٱلْهَوَى ... وَمُحَارَبَةُ مَا فِي عُنْفُوَانِ ٱلنَّفْسِ مِنْ قُوَى

ٱلتَّصَوُّفُ هُوَ مِفْتَاحُ سُلُوكٍ وَٱخْتِبَارْ ... لِنَوَايَا مَنْ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ ٱلِٱعْتِبَارْ

فَإِمَّا سُقُوطٌ وَإِمَّا نَجَاحٌ فِي تِلْكَ ٱلدَّارِ ... بَعْدَ مُرُورِهِ عَلَى ٱمْتِحَانَاتٍ مِنَ ٱلْقَهَّارِ

ٱلصُّوفِيَّةُ: لَمْ يَظْهَرْ بِٱلْقُرْآنِ هَـٰذَا ٱلِٱسْمْ ... وَقِيلَ: ٱسْتَعْمَلُوهُ لِكَثْرَةِ لُبْسِ ٱلصُّوفِ ٱلْمُحْتَشِمْ

ٱلْإِطْرَاقُ: هُوَ حَالَةٌ رُوحِيَّةٌ رَاقِيَةْ ... حِينَمَا تَلُوحُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْإِشَارَاتُ ٱلْوَاقِيَةْ

يَسْتَشْعِرُ ٱلصُّوفِيُّ بِحَالَةٍ تَشُدُّهُ لِلْإِطْرَاقِ ... فَيَعِيشُ بِلَذَّةٍ رُوحِيَّةٍ تَدْفَعُهُ لِلِٱخْتِرَاقِ

وَتَتَجَمَّعُ أَفْكَارُ ٱلصُّوفِيِّ بَعْدَ حَصْرِهَا ... وَتَتَّجِهُ نَحْوَ أَهْدَافٍ نُورَانِيَّةٍ وَاسِعٍ قُطْرُهَا

يَبْدَأُ ٱلسَّالِكُ بِتَغْمِيضِ ٱلْعُيُونِ عِنْدَ ٱلْإِطْرَاقِ ... وَيَحْنِي رَأْسَهُ لِلْوُصُولِ إِلَى ٱلِٱسْتِغْرَاقِ

فَتَنْطَفِئُ عَنْ قَلْبِهِ خَوَاطِرُ ٱلْمَشْغُولِيَّاتِ ... وَيَنْتَظِرُ بِٱلْإِطْرَاقِ تَلَقِّي أَمْدَادِ ٱلْمَعْنَوِيَّاتِ

وَبِٱلْإِطْرَاقِ تَتَجَمَّعُ ٱللَّطَائِفُ بَعْدَ ٱلشَّتَاتِ ... وَتَبْقَى مَشْغُوفَةً مُتَوَجِّهَةً نَحْوَ ٱلرُّوحَانِيَّاتِ

بِقُدُرَاتِ ٱلْإِطْرَاقِ يَشُدُّ ٱلْمُرِيدُ إِلَيْهِ كَٱلْمَغَانِطِيسِ ... أَمْدَادًا وَعُلُومًا وَيَجْلُبُ كُلَّ نَفِيسِ

بِحَسَبِ مَشِيئَةِ إِلَـٰهِنَا ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﷻ ... يُفْتَحُ عَلَى ٱلْمُسْتَغْرِقِ مِنْ أَسْرَارِ ٱلْعُلُومِ

كَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَاءَهُ جِبْرَائِيلْ عليه السلام ... يُطْرِقُ بِرَأْسِهِ ٱلْكَرِيمِ لِعَظَمَةِ ٱلتَّنْزِيلْ

فَإِطْرَاقُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ إِطْرَاقُ وَحْيِ ٱلنُّبُوَّةِ ... فِيهِ أَرْفَعُ ٱلْمَقَامَاتِ وَٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْقُوَّةِ

لَا يَسْتَقِرُّ ٱلْإِطْرَاقُ وَحَوْلَهُ ضَجِيجُ ٱلنَّاسِ   لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِ ٱلْقَلْبِ وَسَكِينَةٍ بِٱلرَّاسِ
وَٱلْإِطْـرَاقُ هُـوَ رَأْسُ مَمْلَكَـةِ ٱلْمُرَاقَبَـةِ   فَبِـهِ تَظْهَـرُ لِلسَّـالِكِ إِشَـارَاتُ ٱلْعَاقِبَـةِ
فَلِـذَلِكَ نَـرَى ٱلصُّـوفِيَّ يَلْتَجِـئُ لِلْغَـارِ   خَوْفًـا عَلَـى قَلْبِـهِ مِـنَ ٱلْأَغْيَـارِ
ٱلْكَرَامَةُ: قِيلَ: "ٱلْكَرَامَةُ مِنْ ثَمَرَاتِ ٱلْعِبَادَةْ   يُؤَيِّـدُ ٱللهُ بِهَـا مَـنْ شَـاءَ مِـنْ عِبَـادِهْ
فَلَا يَنَالُ عَابِـدٌ وُضُـوحَ حَـدَثِ ٱلْكَرَامَـةِ   حَتَّى يَتَزَكَّـى قَلْبُـهُ بِٱلشَّـرْعِ وَٱلِاسْـتِقَامَةِ
كُلَّمَا ٱزْدَادَ ظُهُورُ ٱلْكَرَامَاتِ عَلَى ٱلْـوَلِيِّ   كَانَ دَلِيلًا عَلَى قُرْبِـهِ مِنْ مَـوْلَاهُ ﷻ وَٱلـنَّبِيِّ ﷺ
فَٱلْكَرَامَـةُ تَـدُلُّ عَلَـى صِـدْقِ ٱلْمَقَـامِ   وَفِيهَا تَأْيِيدٌ لِوِلَايَتِهِ وَمَنْزِلَتِـهِ بَـيْنَ ٱلْأَنَـامِ
ٱلِاشْتِيَاقُ: بَارِقَةٌ نُورَانِيَّةٌ مُتَوَقِّدَةٌ بِٱلْحَرَارَةِ لَامِعَةٌ   فِيهَـا مِـنَ ٱلْأَحْـوَالِ حَـوَادِثُ سَـاطِعَةٌ
يَنْجَـذِبُ إِلَيْهَـا ٱلْبَـاطِنُ كُلَّمَـا لَاحَـتْ   وَيَسْتَغْرِقُ بِنَفَحَاتِهَا ٱلْقَلْبُ كُلَّمَا فَاحَـتْ
مَـنْ تَعَلَّـقَ بِنَفَحَـاتِ ٱلِاشْـتِيَاقِ حَرَقَتْـهُ   وَمَـنْ شَـاهَدَ نُـورَ تَجَلِّيَاتِهَـا صَـعَقَتْهُ
ٱلْإِلْهَامُ: مُرْسَلُ ٱلْقُلُوبِ تَتَلَقَّاهُ أَرْوَاحُ ٱلصُّوفِيَّةْ   فِيهِ إِشَارَاتٌ وَبِشَـارَاتٌ وَرُمُـوزٌ نُورَانِيَّـةْ
غَيْرُ قَابِلٍ لِلِانْدِمَاجِ مَعَ ٱلظُّلْمَةِ ٱلظَّلْمَاءْ   يَسْرِي بِٱلنَّفْسِ كَمَا يَسْرِي بِٱلشَّجَرِ ٱلْمَـاءْ
يُلْقِـي بَـوَارِقَ وَلَوَامِـعَ وَبِشَـارَاتٍ   يَفْهَمُ مِنْهَا ٱلسَّالِكُ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ إِشَارَاتٍ
ٱلْإِخْلَاصُ: هُوَ نَبْتَةُ صِدْقٍ تُوصِلُ إِلَى ٱلْخَلَاصِ   غُرِسَتْ بُذُورُهَا بِأَرْضِ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلِاخْتِصَاصِ
تَنْضُـجُ ثِمَارُهَـا حِـينَ نِهَايَـةِ ٱلْعَمَـلْ   بِصَـبْرِهِ عَلَـى ٱلْبَـلَاءِ ٱلَّـذِي لَا يُحْتَمَـلْ
دَلِيلُ ٱلْإِخْلَاصِ سَتْرُ ٱلْأَحْوَالِ عَنِ ٱلْخَلَائِقِ   وَإِتْقَانُ ٱلْعَمَلِ عَلَى مَرِّ ٱلسَّاعَاتِ وَٱلدَّقَائِقِ
وَلَا يَطْلُـبُ لِمُشَاهَدَةِ عَمَلِـهِ غَيْـرَ مَـوْلَاهُ   وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَى شَيْءٍ مَهْمَـا ٱللهُ ٱبْـتَلَاهُ
وَيَحْرِصُ عَلَى أَلَّا يَعْلَمَ بِعَمَلِهِ مَنْ يَحْسُدُهُ   وَلَا يَعْلَمَـهُ جِـنٌّ أَوْ شَـيْطَانٌ فَيُفْسِـدَهُ
ٱلِاسْتِقَامَةُ: هِيَ عُنْوَانُ إِشَارَةِ رُمُوزِ ٱلْكَرَامَةِ   وَمِيزَانُ وَاجِهَةِ ٱلسَّالِكِ فِي أَعْمَالِهِ ٱلْمُقَامَةِ
وَٱلـدَّوَامُ فِي ٱلثَّبَـاتِ عَلَـى مَـنْهَجِ ٱلْحَـقِّ   وَٱلْعَمَلُ بِٱلْكِتَابِ وَمُخَالَفَةُ سَائِرِ ٱلْفِرَقِ

ٱلضَّالَّةِ، وَأَنْ لَا يَخْتَارَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَهْ ... مَهْمَا وَجَدَ صُعُوبَةً بِسُلُوكِهِ وَسَيْرِهْ

لَا يَجِدُ ٱلشَّيْطَانُ لَهُ مَنْفَذًا فِيهِ ... فَيَبْقَى ثَابِتًا عَلَى مَا وَفَّقَهُ ٱللهُ إِلَيْهِ

ٱلْأَوْتَادُ: هُمْ رِجَالٌ أَقْوِيَاءُ بِقُدُرَاتِ بَوَاطِنِهِمْ ... أَشِدَّاءُ عَلَى دَفْعِ ٱلْبَاطِلِ بِهِمَّةِ دُعَائِهِمْ

يَحْمِلُونَ بِقُلُوبِهِمْ أَقْسَى ٱلْوَظَائِفِ ٱلْبَاطِنِيَّةْ ... يَدْفَعُونَ بِسِرٍّ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَوَارِضَ ٱلصَّعْبَةَ ٱلْمُؤْذِيَةْ

فِيهِمْ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ لِلْبَعِيدِ وَٱلْقَرِيبْ ... زُرِعُوا فِي كُلِّ ٱلْبِلَادِ وَلَهُمْ مِنَ ٱلتَّجَلِّي نَصِيبْ

سُمُّوا بِٱلْأَوْتَادِ لِوُقُوفِهِمْ بِثَبَاتٍ بِوَجْهِ ٱلْبَاطِلْ ... كَمَا يَسْنُدُ ٱلْوَتَدُ ٱلشَّيْءَ ٱلْهَائِلْ

كَيْ لَا يَزِيحَ عَنْ مَكَانِهِ وَيَزْحَفَا ... وَيُدَمِّرَ ٱلْمَسَاكِنَ وَٱلنَّوَادِيَ وَٱلْمُتْحَفَا

كَمَا لَا تَقِفُ ٱلْخَيْمَةُ إِلَّا بِعِدَّةِ أَوْتَادْ ... كَذَلِكَ جَعَلَ ٱللهُ ٱلْأَوْتَادَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ ٧)، ٱلْأَوْتَادُ جَمْعُ وَتِدٍ، وَهُوَ مَا يُدَقُّ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرْبَطَ بِهِ ٱلْحَبْلُ ٱلَّذِي تُشَدُّ بِهِ ٱلْخَيْمَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﷻ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أَيْ وَجَعَلْنَا ٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا لِلْأَرْضِ لِئَلَّا تَمِيدَ[1] بِكُمْ.[2]

ٱلْأَدَبُ: ٱلْأَدَبُ مَعَ ٱلشَّرِيعَةِ يَكُونُ بِخِدْمَتِهَا ... وَمُوَافَقَةِ ٱلْحَقِّ بِٱلْمَعْرِفَةِ فِي عَظَمَتِهَا

ٱلْبَدَلُ[3]: قِيَامُ وَاحِدٍ بَدَلًا مِنْ آخَرَ غَائِبِ ... فَيَقُومُ ٱلْبَدَلُ بِوَظِيفَةِ ٱلْوَلِيِّ ٱلذَّاهِبِ

لِأَنَّهُ يَتْرُكُ مَكَانَهُ بِٱلْمَوْتِ فَتَبْقَى رُوحَانِيَّتُهُ ... فَيَأْتِي ٱلْبَدَلُ فَيَسْتَلِمُ وَظِيفَتَهُ

بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ أَحَدٌ بِفُقْدَانِهِ وَٱلْغِيَابِ ... إِلَّا أَمْثَالُهُ ٱلْكُمَّلُ مِنَ ٱلْأَحْبَابِ

وَٱلْبَدَلُ مَنْ تَتَبَدَّلُ لَهُ عَوَارِضُ ٱلْوَظَائِفْ ... وَٱلْأَحْوَالِ وَمَوَارِدِ ٱلْمَقَامَاتِ وَهُوَ عَاكِفْ

يَبْقَى ثَابِتَ ٱلْقَدَمِ ٱلْمَعْنَوِيِّ لَا يَتَزَحْزَحْ ... لَا يُبَدِّلُ مَا عَاهَدَ ٱللهَ عَلَيْهِ مَهْمَا تَقَرَّحْ

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ: **"ٱلْأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِٱلشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ ٱللهُ مَكَانَهُ رَجُلًا، يُسْقَى بِهِمُ ٱلْغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ بِهِمُ ٱلْعَذَابُ"**. (رواه الإمام أحمد)

(١) تَمِيدُ: أَيْ تَتَحَرَّكُ. (٢) تفسير البشائر: للشيخ علي الشربجي، (دار البشائر-دمشق، ط ١/ ١٩٩٧م)، الجزء ٣، الصفحة ٦٥٥.
(٣) قَالَ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ: "إِنَّ ٱلْأَبْدَالَ رِجَالُ ٱلْغَيْبِ". (الموسوعة الصوفية، د.عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي-مصر، ط ١-٢٠٠٣م-ص٦٣٦)

ٱلْبَصِيرَةُ: هِيَ عَيْنُ مَعْرِفَةِ ٱلصُّوفِيِّ ٱلْمِثَالِيَّةُ[1] ٱلْمُشَاهِدَةُ تَسْتَمِدُّ بَوَارِقَ مُشَاهَدَاتِهَا بِوَسِيلَةِ ٱلْمُرَاقَبَةِ تَمْتَلِئُ بِٱلْإِشْرَاقَاتِ ٱلْبَرَّاقَةِ وَٱلْأَنْوَارِ ٱللَّامِعَةِ بِهَا يَرَى ٱلسَّالِكُ ٱلْمَعَارِفَ ٱلْمُتَجَمِّعَةَ وَيُمَيِّزُ بِنُورِهَا رُمُوزَ ٱلْحَقَائِقِ وَصُوَرَ ٱلْحَوَادِثِ ٱلْعِرْفَانِيَّةِ ٱلَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا فَيَنْجُو مِنَ ٱلْكَوَارِثِ ٱلَّتِي يَقْطَعُ مَخَاطِرَهَا بِعِنَايَةِ مَوْلَاهُ وَأَعْمَى ٱلْبَصِيرَةِ رَبُّنَا بِعَدْلِهِ قَدِ ٱبْتَلَاهُ

ٱلْبُعْدُ وَٱلْقُرْبُ: وَيَكُونَانِ بِٱلِٱسْتِدْلَالِ بِٱلْأَقْوَالِ وَٱلْأَعْمَالِ وَٱلْأَفْعَالِ وَٱلْأَحْوَالِ قَدْ يُفَصِّلُهُمَا أَهْلُ ٱلْمَعْرِفَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ مِنْ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ أَهْلِ مَقَامَاتِ ٱلْكَمَالِ

قال الله ﷻ عن سيدنا موسى ﷺ:

﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴾ (مريم ٥٢).

ٱلْبَارِقَةُ: هِيَ لَمْعَةٌ نُورَانِيَّةٌ تَلُوحُ وَحَدَثٌ رُوحِيٌّ وَعَارِضُ بَرْقٍ قَدْرَ حَبَّةِ ٱلْعَدَسْ يَأْتِي ضَوْؤُهَا سَرِيعًا وَيَخْتَفِي كَٱلْبَرْقْ فَتُضِيءُ لِلسَّالِكِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلظُّلْمَةِ فَرْقْ وَتَنَالُ رُوحُهُ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ بَاطِنُهْ يَحِنُّ إِلَيْهَا إِذَا تَأَخَّرَتْ كَحَنِينِهِ إِلَى مَوْطِنِهْ تَزُورُ قَلْبَهُ بِحَسَبِ مُتَابَعَتِهِ لِلْمُرَاقَبَةْ وَتَظْهَرُ عَلَى نَهْجٍ أَوْسَعَ وَتَكُونُ لِلنَّفْسِ مُرْطِبَةْ

ٱلْبُرْهَانُ: إِظْهَارُ عَجِيبَةٍ مِنَ ٱللهِ عَلَى يَدِ ٱلصُّوفِيِّ تُثْبِتُ صِحَّةَ صِدْقِهِ بَيْنَ ٱلضُّيُوفِ فَبُرْهَانُ ٱلْعِرْفَانِ فَيْضُ ٱللهِ عَلَى قَلْبِ ٱلْمُرِيدِ لِيَطْمَئِنَّ وَلِيَزْدَادَ مُثَابَرَةً بِسُلُوكِهِ وَٱلتَّجْرِيدِ وَلِيَسْتَدِلَّ بِٱلْبُرْهَانِ بِطَرِيقَةٍ بَاطِنِيَّةٍ أَنَّ مُرْشِدَهُ صَاحِبُ ٱلْوَقْتِ وَٱلرُّوحَانِيَّةِ

قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (النمل ٦٤)

وَٱلْبُرْهَانُ أَشْكَالٌ وَأَنْوَاعٌ مِنَ ٱلْمُشَاهَدَاتِ صَاحِبُهَا مُؤَيَّدٌ بِنُورِ أَسْرَارِ ٱلْآيَاتِ

ٱلْبِشَارَةُ: هِيَ إِشَارَةٌ نُورَانِيَّةٌ وَخَبَرٌ مَوْثُوقٌ يُفْرِحُ قَلْبَ ٱلْمُرَاقِبِ وَمِنَ ٱلسَّعَادَةِ يَذُوقُ يَسْتَدِلُّ بِٱلْبِشَارَةِ عَلَى صِحَّةِ سُلُوكِهِ بِٱلْمَقَامِ وَيُبَشَّرُ بِٱلْخَيْرِ، وَفِيهَا نَذِيرٌ لِأَعْدَائِهِ بِٱلِٱنْتِقَامِ

(١) ٱلْمِثَالِيَّةُ: صُورَةٌ غَيْرُ مَنْظُورَةٍ شَبِيهَةٌ بِٱلشَّخْصِيَّةِ ٱلْمَذْكُورَةِ. وَهِيَ ظِلُّ ٱللَّطَائِفِ عِنْدَ ٱلسَّالِكِ.

وَسُمِّيَتِ ٱلبِشَارَةُ كَذَلِكَ لِحَمْلِهَا ٱلخَبَرَ ٱلسَّارّ — إِمَّا بِٱلإِلْهَامِ أَوْ بِخَبَرِ أَوْلِيَاءِ ٱلغَفَّارْ

وَقَدْ تَظْهَرُ لِلْمُشَاهِدِ بِطُرُقِ ٱلمُكَاشَفَةْ — أَوِ ٱلاسْتِشْعَارِ ٱلذَّوْقِيِّ أَوْ بِإِشَارَاتٍ لَهُ فِيهَا مَعْرِفَةْ

ٱلتَّقْوَى : هِيَ لُبُّ ٱلوِقَايَةِ ٱلقَلْبِيَّةِ وَٱلجَوَارِحْ — تَحْفَظُ ٱلسَّالِكَ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ تُبَارِحْ

وَٱلاحْتِرَازُ مِنَ ٱلوُقُوعِ بِٱلمَعْصِيَةِ لِلصِّيَانَةْ — مِنَ ٱلانْحِرَافِ وَٱلبَقَاءُ بِخَطِّ ٱلسَّلَامَةْ

وَٱلتَّقْوَى لِلصُّوفِيِّ هِيَ ٱلسِّلَاحُ ٱلأَقْوَى — وَلِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنَ ٱلسَّالِكِينَ مَا نَوَى

ٱلتَّوَاجُدُ : هُوَ ٱسْتِدْعَاءُ ٱلوَجْدِ وَٱلتَّشَبُّهْ — بِٱلصَّادِقِينَ ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ لِسَفِيهْ

لَا يَأْتِي ٱلوَجْدُ بِٱلتَّكَلُّفِ وَٱلتَّشَبُّهِ ٱلمَذْمُومْ — يَأْتِي ٱلتَّوَاجُدُ تَارَةً وَتَارَةً لَا يَدُومْ

ٱلوَجْدُ لِمَنْ نَبَذَ ٱلدُّنْيَا فَوَجَدَ غَيْرَهَا — تَطْلُبُهُ بِسَعْيِهِ لِيَنَالَ بِٱلآخِرَةِ نَعِيمَهَا

قَالَ ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (النور ٣٩)

ٱلاعْتِكَافُ: تَفْرِيغُ ٱلصُّوفِي قَلْبَهُ مِنَ ٱلمَشَاغِلْ — وَتَسْلِيمُ نَفْسِهِ لِمَوْلَاهُ فِي كُلِّ مَا هُوَ عَامِلْ

ٱلتَّجَلِّي[1] : هُوَ مَا يَنْكَشِفُ لِقَلْبِ ٱلمُرَاقِبْ — مِنْ أَنْوَارٍ وَرَحَمَاتٍ وَعَجَائِبَ وَغَرَائِبْ

وَهُوَ مَوْرِدُ ظُهُورِ أَنْوَارٍ شَاسِعَةْ — نُورَانِيَّةِ ٱلحَالِ مُضِيئَةٍ لِلْقَلْبِ سَاطِعَةْ

إِذَا رَسَتْ بَرَكَاتُهَا عَلَى جَسَدْ — تُلَوِّنُ مَقَامَاتِهِ وَتُصْلِحُ لَهُ مَا فَسَدْ

تُعَانِقُ ٱلرُّوحُ ٱلتَّجَلِّيَ وَلَا تَرْغَبُ بِٱلانْفِكَاكْ — لِكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنْ عَظَمَةِ رَحْمَةِ ٱلاحْتِكَاكْ

فَإِذَا فَارَقَ ٱلتَّجَلِّي ٱلسَّالِكَ ٱلمَحْظُوظْ — يَزْدَادُ إِقْبَالًا عَلَى مَوْلَاهُ وَلِغَيْرِهِ لَا يَعُوزْ

وَيَصِيرُ مُؤَيَّدًا بِصِفَاتِ ٱلكَمَالْ — فَمَنْ يَرَاهُ يُصْعَقُ لِتَلَوُّنِهِ بِأَلْوَانِ ٱلجَمَالْ

ٱلتَّجَلِّي فِيهِ ٱلكَثِيرُ مِنَ ٱلمَقَامَاتِ وَٱلمَعَانِي — وَقَدْ يُصْعَقُ صَاحِبُهُ وَلَكِنَّهُ لَا يُعَانِي

قَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾ (الأعراف ١٤٣)

ٱلَّذِي لَا صَعْقَ فِيهِ فَهُوَ لِلْعِلَاجْ — يَأْتِي بِحَسَبِ حَالِ ٱلصُّوفِيِّ وَنَوْعِيَّةِ ٱلمِزَاجْ

---

(١) التَّجَلِّي: (مَا يَنْكَشِفُ لِلْقُلُوبِ) مِنْ نُورِ ٱلعَرْشِ.(لسان العرب : تأليف محمد بن مكرم المشهور بابن منظور ، دار لسان العرب – بيروت). (الجزء ١ ، الصفحة ٤٩٢)

ٱلتَّحَلِّي : ٱلتَّشَبُّهُ بِٱلصَّالِحِينَ بِٱلْأَحْوَالْ   وَبِحَسَبِ مَا يَأْمُرُ ٱلدِّينُ تَكُونُ ٱلْأَعْمَالْ

ٱلتَّخَلِّي : هُوَ ٱخْتِيَارُ ٱلْخَلْوَةِ، وَٱلْإِعْرَاضْ   عَنْ كُلِّ مَا يُشْغِلُ عَنِ ٱلْحَقِّ بِذَا ٱلْمُرَادْ

ٱلْوَصْلُ : هُوَ إِدْرَاكٌ قَوِيٌّ لِكُلِّ فَائِتِ   ٱلْفَرْقُ شَاسِعٌ بَيْنَ ٱلْوَاصِلِ وَٱلسَّاقِطِ

ٱلْخُشُوعُ : هُوَ صَمْتُ ٱلْجَوَارِحِ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ لِلهْ   وَعَدَمُ ٱلِٱلْتِفَاتِ لِكُلِّ مَا يُغْضِبُ مَوْلَاهْ

وَٱلِٱلْتِفَاتُ ٱلْكَامِلُ لِوَارِدِ ٱلْمُشَاهَدَةْ   وَيَشْعُرُ بِقُشَعْرِيرَةٍ وَلَهُ ٱلْأَنْوَارُ مُسَانِدَةْ

لِكَثْرَةِ مَا يَدْخُلُ لِلْأَوْعِيَةِ وَٱلْأَوْرِدَةِ   مِنَ ٱلْخَوَاطِرِ ٱلْمُضِرَّةِ وَٱلْوَسَاوِسِ ٱلْمُتَعَدِّدَةِ

حَتَّى يَقْشَعِرَّ جِلْدُهُ بِكُلِّ نَفْحَةٍ وَارِدَةْ   وَيَدْفَعُ ٱلْخَوَاطِرَ وَٱلْأَفْكَارَ ٱلشَّارِدَةْ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر ٢٣)

خَيَالُ ٱلذَّاكِرَةِ : هُوَ دَائِرَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ لِخَزْنِ ٱلْمَعْلُومَاتِ   وَكُلِّ مَا يُدْرِكُهُ ٱلصُّوفِيُّ مِنْ صُوَرٍ لِلْمَحْسُوسَاتِ

يُرَاوِدُ ٱلصُّوفِيَّ ٱلْخَيَالُ مِمَّا قَدْ يَنْسَاهُ   وَتَعُودُ ٱلصُّورَةُ إِلَيْهِ بِسُلُوكِهِ فِي دُنْيَاهُ

فَيَطْرُدُ مَا فِيهَا مِنْ خَوَاطِرَ تُعَرِّضُهُ لِلْوَسَاوِسْ   وَيَرْفُضُ قَبُولَ خَزْنِ مَا فِيهِ دَسَائِسْ

فَٱلْخَيَالُ مُشْتَرَكٌ بِحَبَائِلِ ٱلِٱتِّصَالِ   بَيْنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلْقَلْبِ وَٱلْفِكْرِ ٱلنَّقَّالِ

كَمَا يُصَابُ ٱلْبَعْضُ بِحُمَّى فَيَقَعُ بِهَلْوَسَةِ   حَيْثُ يَنْفَصِلُ ٱلْعَقْلُ عَنِ ٱلْحِمَايَةِ لِلْوَسْوَسَةِ

خُمُولُ ٱلْعِرْفَانِ :

يُوَاجِهُ ٱلسَّالِكُ بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ خُمُولَ ٱلْعِرْفَانِ   بِثِقْلٍ شَدِيدٍ بِخِلَافِ خُمُولِ ٱلْكَسْلَانِ

لَا يُبَالِي بِمَا يَأْتِيهِ وَمَا يَرْحَلُ   إِنْ مَدَحْتَهُ أَوْ ذَمَمْتَهُ لَا يَفْرَحُ وَلَا يَزْعَلُ

يَأْتِي ٱلْخُمُولُ مَا بَيْنَ ٱلْمُجَاهَدَاتِ وَٱلْمُرَاقَبَةِ   وَمُقَاوَمَةِ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّارَةِ فِي ٱلْمُحَارَبَةِ

وَٱنْشِغَالِ قَلْبِ ٱلصُّوفِيِّ بِٱلدَّهْشَةِ مِنَ ٱلْعَطَايَا   فَيَسْتَرْخِي ٱلْعَقْلُ وَتَشْتَعِلُ ٱلنَّوَايَا

فَيُسَيْطِرُ عَلَى قُدُرَاتِهِ ٱسْتِرْخَاءُ ٱلْخُمُولِ   فَيَتَصَارَعُ مَعَ نَفْسِهِ بِٱلرَّفْضِ وَٱلْقَبُولِ

تَارَةً يُقَاوِمُ وَتَارَةً يُسَلِّمُ لِلْوَاقِعْ   فَتَمِيلُ نَفْسُهُ لِلْفِرَاشِ تَتَخِذُهُ كَمَوَاقِعْ

يُفِيدُ ٱلِٱسْتِرْخَاءُ فِي عِلَاجِ قُدْرَاتِ ٱلْجَوَارِحِ فَيُعِيدُ تَغْذِيَةَ قِوَاهَا بِجُهْدٍ قَادِحِ
وَيَخْتَلِطُ خُمُولُهُ بِٱلْمُرَاقَبَةِ ٱلْمُتَوَاصِلَةْ فَتُصْبِحُ ٱلْمُرَاقَبَةُ حَاضِرَةً بِرُوحِهِ مُتَأَصِّلَةْ
فَتَتَمَلَّكُ شُعُورَهُ بِعُمْقِ ٱلْإِحْسَاسِ وَيَتَخَدَّرُ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ وَيَبْعُدُ عَنِ ٱلنَّاسِ
فَيَمِيلُ لِلْخُمُولِ ٱلْعِرْفَانِيِّ وَٱلْخَلْوَةِ وَٱلِٱنْفِرَادْ وَيُحَبِّبُ ٱللهُ إِلَيْهِ ٱلطَّاعَةَ وَٱلْأَوْرَادْ
مَنْ رَآهُ يَظُنُّ أَنَّهُ كَسُولٌ خَمُولٌ وَهُوَ مُعَمَّرٌ بِٱلْبَاطِنِ بِٱلذِّكْرِ مَشْغُولٌ
فَٱلْخُمُولُ شَبِيهٌ بِٱلْقِيَامِ مِنَ ٱلنَّوْمْ يُبَنِّجُ ٱلتَّفْكِيرَ فَلَا يَدْرِي مَا هُوَ ٱلْيَوْمْ
ثُمَّ يَصْحُو وَيَجْرِي بِعُرُوقِهِ ٱلدَّمُ فَيَعُودُ إِلَيْهِ تَدْرِيجِيًّا ٱلتَّفْكِيرُ وَٱلْفَهْمُ
فَخُمُولُ ٱلصُّوفِيِّ كَٱسْتِرَاحَةِ ٱلْمُحَارِبِ يَسْتَلْقِي غَيْرَ مُبَالٍ بِأَحَدٍ مِنَ ٱلْأَقَارِبِ
فَهُوَ لَهُ مَقَامٌ يَأْتِيهِ نُورَانِيًّا كَعِلَاجْ يَدْعَمُهُ مُرْشِدُهُ رُوحِيًّا كُلَّمَا هَاجْ
ٱلِٱسْتِفَادَةُ مِنَ ٱلْخُمُولِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِٱلْعِبَادَةِ وَلَيْسَ بِٱلْهُرُوبِ لِلْفِرَاشِ وَٱلْوِسَادَةِ
كَمَا يَفْعَلُ ٱلْمُبْتَدِئُ بِٱلصُّوفِيَّةِ ٱلْكَسُولْ حِينَمَا يُصَابُ بِٱلْخُمُولِ فَيُصَابُ بِٱلذُّهُولْ
إِذَا ٱنْتَهَى خُمُولُ ٱلصُّوفِيِّ لِلصَّحْوِ يَعُودْ فَيَزْدَادُ شَوْقًا وَرَغْبَةً فِي طَاعَةِ ٱلْمَعْبُودْ
إِذَا تَذَوَّقَ ٱلْمُرِيدُ أَحْوَالَ ٱلْمَحَبَّةْ وَهُوَ فِي ٱلْخُمُولِ وَٱلْمُشَاهَدَةُ مُنْصَبَّةْ
لَا يُحِبُّ ٱلْقِيَامَ وَتَرْكَ مَكَانِهِ لِمَا يَجِدُ مِنْ لَذَّةٍ قَلْبِيَّةٍ مِنْ إِحْسَانِهِ ﷻ

ٱلْهَيَمَانُ: هُوَ ٱلَّذِي هَيَّمَهُ ٱلْحَقُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ٱلْهَائِمُ لَا يُطِيقُ ٱلْأُنْسَ بِغَيْرِ مَوْلَاهُ ﷻ
يَتُوهُ بِٱلْهَيَمَانِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْمَحَبَّةِ فَيَحُوزُ أَعْلَى وَأَرْقَى مَرْتَبَةِ
فَٱلْهَيَمَانُ حَالَةُ نِسْيَانِ سَائِرِ ٱلنَّاسِ وَٱلِٱلْتِفَاتُ ٱلْكُلِّيُّ لِلهِ بِسَائِرِ ٱلْإِحْسَاسِ

ٱلذَّهَابُ[1]: هُوَ غِيَابُ ٱلْحِسِّ عَنِ ٱلْقَلْبِ وَعَنْ كُلِّ مَحْسُوسٍ بَعْدَ كَشْفِ ٱلْحُجُبِ

ٱلرِّيَاضَةُ: هِيَ تَمْرِينُ بَاطِنِ ٱلْمُرِيدِ بِٱلطَّاعَاتِ لِيُرَوِّضَ بَاطِنَهُ عَلَى تَحَمُّلِ ثِقَلِ ٱلثَّرَوَاتِ
ٱلَّتِي يُزَوِّدُهُ بِهَا مَوْلَاهُ بِمَا يُطِيقُ فَتُفِيدُهُ فِي قُدُرَاتِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ بِسُلُوكِ ٱلطَّرِيقِ

(1) قال الله تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الصافات ٩٩).

فَيَصْهَرُ بِٱلرِّيَاضَةِ عُنْفُوَانَ ٱلنَّفْسِ ٱلمَكَّارَةِ ... وَيَصْقُلُ بِهَا بَاطِنَهُ بِحَسَبِ ٱلإِشَارَةِ

حَتَّى يَسْتَحِقَّ ٱلِٱنْتِمَاءَ إِلَى عَالَمِ ٱلمَعْرِفَةْ ... بَعْدَمَا يَقْطَعُ أَشْوَاطًا صَعْبَةً مُهْلِكَةْ

وَٱلرِّيَاضَةُ فِيهَا خُرُوجٌ عَنْ طَبْعِ ٱلنَّفْسِ وَرَذَائِلِهَا ... وَتَأْدِيبُ ٱلجَوَارِحِ بِٱلذِّكْرِ وَصِيَانَتِهَا

<u>ٱلقَلْبُ</u> : عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ هُوَ رَأْسُ عِدَّتِهِمْ ... يَذْكُرُونَ ٱللهَ بِهِ بِأَغْلَبِ مُدَّتِهِمْ

سُمِّيَ ٱلقَلْبُ قَلْبًا لِكَثْرَةِ تَقَلُّبِهِ ... يَتَقَلَّبُ بَيْنَ قَبْضٍ وَبَسْطٍ أَثْنَاءَ تَدَرُّبِهِ

وَلِلْقَلْبِ مَفَاتِيحُ مَعْنَوِيَّةٌ وَأَقْفَالُ ... مَنْ يَغْفَلْ عَنْ رَبِّهِ يُصِبْهُ ٱلوَبَالُ

قَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد ٢٤)

وَيُعَدُّ ٱلقَلْبُ رَئِيسَ ٱللَّطَائِفِ ٱلبَاطِنِيَّةِ ... تِلْكَ ٱلمُضْغَةُ أَسَاسُ ٱلبِنْيَةِ ٱلجَسَدِيَّةِ

إِلَيْهِ يَأْتِي ٱلتَّنْبِيهُ كَوَاعِظٍ مُزْجِرْ ... يُبَيِّنُ لِلسَّالِكِ ٱلبَاطِلَ لِيَتَجَنَّبَهُ وَيَنْزَجِرْ

<u>ٱلوَجْدُ</u> : تَحَرُّكُ ٱلقَلْبِ لِمَا يُشَاهِدُ ... مِنْ صَفَاءٍ قَدْ يَنَالُهُ ٱلمُرِيدُ ٱلعَابِدُ

<u>ٱلصَّحْوُ</u> : هُوَ ٱلرُّجُوعُ مِنَ ٱلسُّكْرِ لِلِٱسْتِشْعَارِ ... بَعْدَ غَيْبَةِ ٱلفِكْرِ بِأَنْوَارِ ٱلقَهَّارِ (الحج ١-٢)

حِينَمَا مِنْ سُكْرِهِ ٱلرُّوحِيِّ يَسْتَفِيقْ ... يَمْتَلِئُ قَلْبُهُ مِنْ أَنْوَارِ ٱلطَّرِيقْ

وَٱلصَّحْوُ مِنَ ٱلسُّكْرِ مَقَامٌ مُعْتَبَرْ ... كَمْ مِنْ وَلِيٍّ مَجْذُوبٍ فِيهِ ٱشْتَهَرْ

<u>ٱلسَّالِكُ</u> : مَنْ يَجْتَازُ ٱلمَقَامَاتِ بِحَالِهِ ... وَيَكُونُ سُلُوكُهُ لِلهِ فِي حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ

وَيُسْمَحُ لَهُ بِٱلِٱنْطِلَاقَةِ ٱلرُّوحِيَّةِ ... فَتَمْشِي رُوحُهُ وَتَغُوصُ بِٱلمَعَارِفِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ

وَتَمْتَدُّ نَظَرَاتُهُ ٱلنُّورَانِيَّةُ لِعَالَمِ ٱلعِرْفَانِ ... فَيَرْمِي بِنَفْسِهِ ذَلِيلاً عَلَى بَابِ ٱلدَّيَّانِ

وَيَتَنَقَّلُ عَلَى أَغْصَانِ ثِمَارِ ٱلمَعْرِفَةْ ... ٱلَّتِي تُعِينُهُ حِينَ ٱلمَخَاطِرِ وَتَكُونُ مُسْعِفَةْ

<u>ٱلسَّكِينَةُ</u> : هِيَ ٱلرَّحْمَةُ ٱلنُّورَانِيَّةُ تُسَكِّنُ ٱلجِرَاحْ ... وَتُهَدِّئُ مِنْ رَوْعَةِ ٱلسَّالِكِ بِٱلِٱنْشِرَاحْ

وَتُسَكِّنُ لَهُ كُلَّ مَا هَاجَ مِنْ أَفْئِدَتِهِ ... فَتَنْقُلُهُ مِنَ ٱلرَّوْعِ لِلْهُدُوءِ طِيلَةَ مُدَّتِهِ

<u>ٱلمُكَاشَفَةُ</u> : ٱلمُكَاشَفَةُ بِنُورِ حَقِيقَةِ ٱلعِلْمِ ... وَهِيَ تَحْقِيقُ إِصَابَةٍ بِخَاطِرِ ٱلفَهْمِ

وَلِلْكَامِلِ هِيَ تَحْقِيقُ صِحَّةِ ٱلإِشَارَةِ ... وَتَحْقِيقُ رُؤْيَةِ زِيَادَةِ ٱلحَالِ كَٱلمَنَارَةِ

اَلْمُشَاهَدَةُ: رُؤْيَـةُ ٱلْأَشْـيَاءِ ٱلْخَفِيَّـةِ ... بِـدَلَائِلِ ٱلتَّوْحِيـدِ بِبَصِـيرَةٍ نُورَانِيَّـةِ

اَلسِّرُّ: مَا خَفِيَ عَنْ مُكَاشَفَةِ ٱلْخَلْقْ ... فَـلَا يَعْلَـمُ بِحَقِيقَتِـهِ إِلَّا ٱلْحَـقّ

وَسِرُّ ٱلْحَقِيقَـةِ: مَا وَقَعَتْ بِـهِ ٱلْإِشَارَةْ ... فَهُـوَ وَاضِـحٌ لِلسَّـالِكِ مُـنِيرٌ كَٱلْمَنَارَةْ

صَفْوَانٌ: هُـوَ ٱلْحَجَـرُ ٱلْأَمْلَـسُ ٱلنَّـاعِمُ ... مِنْ: صَفَا، كَأَنَّهُ صَفْوَانٌ بِنُعُومَتِهِ يُزَاحِمُ

صَمْتُ ٱلصُّوفِيَّةِ:

اَلصَّـمْتُ مَقَـامٌ عَظِـيمٌ وَحَالَـةٌ رُوحِيَّـةْ ... يَتَـدَرَّجُ إِلَيْـهِ بِٱلـذِّكْرِ كِبَارُ ٱلصُّـوفِيَّةْ

وَفِيـهِ تَهْيِئَـةُ ٱلْبَاطِنِ لِنَيْـلِ ٱلْعِلَاجَاتِ ... قَدْ أَخْبَرَ ٱلْمَوْلَى عَـنِ ٱلصَّـمْتِ بِٱلْآيَاتِ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ زَكَرِيَّا عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ**﴾ (آل عمران ٤١)

يُلْهَمُ ٱلصُّوفِيُّ بِٱلصَّمْتِ وَلَهُ ثِقَلٌ نُورَانِيّ ... فَيَكْرَهُ ٱلضَّجِيجَ وَٱلْمُحَادَثَةَ وَلَوْ لِثَوَانِي

لَا يَكُونُ ٱلْعِلَاجُ إِلَّا بِصَمْتِ بَاطِنِ ٱلْأَجْهِزَةِ ... فَيَكُونُ كَٱلْبَنْجِ لِلْمَرِيضِ فِي ٱلْجِرَاحَةِ ٱلْمُزْعِجَةِ

فَتُصْبِحُ ٱللَّطَائِفُ مُسْتَرْخِيَةً هَادِئَةً عَلَى ٱسْتِعْدَادِ ... لِتَلَقِّي ٱلْوَارِدَاتِ ٱلْعَظِيمَةِ وَسَيْلِ ٱلْأَمْدَادِ

اَلصَّعْقُ: هُوَ حَالَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ بِحَسَبِ ٱلْقُلُـوبِ ... وَمَنَازِلِ ٱلْمَقَامَاتِ لِتَجَلِّي عَـلَّامِ ٱلْغُيُـوبِ

فِيـهِ رَجْـفٌ وَصِـيَاحٌ وَرَعْـدٌ وَزَلْزَلَـةْ ... وَٱهْتِزَازٌ وَدَهْشَةٌ عَظِيمَـةٌ بِحَسَـبِ ٱلْمَنْزِلَـةْ

يَتَشَابَهُ ٱلْمُرِيدُونَ بِجَذْبِ ٱلصَّعْقِ أَحْيَانَـا ... وَلَكِـنْ يَخْتَلِـفُ مَقَـامُ ٱلْبَـاطِنِ أَلْوَانَـا

كُلٌّ يُقَاسُ حَالُـهُ بِحَسَـبِ مَرْتَبَتِـهِ بِٱلْفَنَاءِ ... وَحَجْمِ مُشَاهَدَةِ ٱلتَّجَلِّيَاتِ فِي ٱلْاِرْتِقَاءِ

فَحَسَبُ شِدَّةِ وَهَجِ عَظَمَةِ ٱلْمَشْهَدِ ٱلثَّقِيلِ ... تَمْتَدُّ زَلْزَلَةُ ٱلْاِهْتِزَازَاتِ وَٱلصِّيَاحِ ٱلطَّوِيلِ

بَعْضُهُمْ يَنْبَهِرُ وَيُصْعَقُ مِمَّا عَلَيْهِ يَظْهَرْ ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَثْبُتُ لِشِدَّةِ كَمَالِهِ ٱلْأَفْخَرْ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ**﴾ (البقرة ٧٤)

فَٱلتَّجَلِّي لِلْأَنْبِيَاءِ يُفَتِّتُ صَخْرَ ٱلصَّوَّانْ ... إِذَا ذَاقَهُ غَيْرُهُمْ يَصِيرُ كَأَنَّهُ مَا كَانْ

لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَرَاتِبُ وَمَقَامَاتْ ... وَلِكُلِّ قَلْبٍ نَوْعٌ مَخْصُوصٌ مِنَ ٱلتَّجَلِّيَاتْ

وَٱلصَّعْقُ فِيهِ قُوَّةٌ وَصَوْتٌ شَدِيدُ ... وَفِي ٱلتَّصَوُّفِ صَعْقٌ قَاتِلٌ[1] وَآخَرُ مُفِيدُ

ٱلطَّرِيقَةُ: هِيَ ٱلْجَادَّةُ ٱلْمُخْتَصَرَةُ لِإِيصَالِ ٱلرِّجَالِ ... يُهَرْوِلُ فِي شِعَابِهَا أَهْلُ ٱلْأَحْوَالِ

لَا تَسْتَقِيمُ أَرْضُهَا إِلَّا بِٱلتَّمَسُّكِ بِٱلشَّرِيعَةِ ... وَلَا يَسْلَمُ مِنْ حَوَادِثِهَا جُهَّالُ ٱلْحَقِيقَةِ

كَمْ رَجُلٍ مَاتَ مِنْ عَطَشِ ٱلطَّرِيقِ ... وَكَمْ مُتَعَدٍّ تَعَرَّضَ فِيهَا إِلَى لَفْحَةِ ٱلْحَرِيقِ

وَٱلطَّرِيقَةُ مَدْخَلٌ وَمِفْتَاحُ سِرِّ ٱلْمَعْرِفَةْ ... وَهِيَ لِأَهْلِ ٱلْحَقِّ فِي دَرْبِهِمْ مُسْعِفَةْ

ٱلْعَكْسُ:

هُوَ ظُهُورُ ٱلشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ... مِنْ حَالِهِ، فَإِنَّهَا بِٱلْعَكْسِيَّةِ تَعُودُ إِلَيْهِ

كَمَا تَعْكِسُ ٱلْمِرْآةُ صُورَةَ ٱلشَّخْصِ فَتُظْهِرْ ... لَهُ حَالَهُ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْظَرْ

(يُقَالُ بِٱلْفَارِسِيَّةِ لِلصُّورَةِ عَكْسٌ[2])

ٱلْغُرْبَةُ: تَرْكُ ٱلْوَطَنِ لِلْوُصُولِ إِلَى ٱلْحَقِيقَةِ ... وَتَرْكُ ظَاهِرِ ٱلْأَشْيَاءِ لِلْوُصُولِ لِلْمَعْرِفَةِ ٱلدَّقِيقَةِ

ٱلْقُطْبُ: مَنْ كَمُلَتْ وَأَصَابَتْ بِٱلتَّشْخِيصِ نَظَرَاتُهْ ... وَتَزَكَّتْ خَطَرَاتُهُ وَذَابَتْ سَائِرُ عِلَّاتِهْ

حَتَّى يَصِيرَ مُسْتَقْطِبًا لِلْقُلُوبِ ٱلْقَاسِيَةِ ... فَيُوقِظُهَا مِنْ رَقْدَتِهَا ٱلْقَاتِلَةِ

مِمَّا أَعْطَاهُ مَوْلَاهُ يَعْرِفُ ٱلْعَارِفُونَ وَالْمِيْنْ ... يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْحَقِيقَةِ وَٱلشَّرِيعَةِ لِتَغْذِيَةِ ٱلسَّالِكِينْ

(١) الصَّعْقُ القَاتِلُ إِذَا نَفَذَ سُورُهُ عَلَى عَدُوٍّ قَتَلَهُ.

(٢) أنظر : المعجم الذهبي (فارسي - عربي) : تأليف الدكتور محمد التونجي ، الصفحة ٤٠٦ (دار العلم للملايين - ط ١٩٦٩/١ م)



القمر المحمدي سماحة الشيخ الفقيه حسين بيهم - بيروت كان لعائلته زاوية يجتمع فيها الصالحون والذاكرون (و 1833م - ت 1881م)

صاحب الأخلاق الرضية والنسب الأصيل نقيب الأشراف سماحة الشيخ عبد الكريم أبي النصر اليافي (و 1863م - ت 1933م)

إِسْتَقْطَبَتْهُ فِي عَالَمِ ٱلْمَعْرِفَةِ ٱلْأَنْوَارُ ... وَتَجَمَّعَتْ حَوْلَ قَلْبِهِ ٱلْمَعْرِفَةُ وَٱلْأَسْرَارُ

ٱلْوَلِيُّ ٱلْقُطْبُ هُوَ مُرْشِدٌ كَٱلْحَالِبِ ... وَٱلْمُرِيدُ ٱلسَّالِكُ عِنْدَهُ كَٱلشَّارِبِ

ٱلْفَنَاءُ : حَالُ وُصُولٍ وَقَطْعِ أَشْوَاطِ ٱلْمَحَبَّةْ ... يَنْسَى نَفْسَهُ وَيَذْكُرُ رَبَّهُ بِسَائِرِ دَرْبِهْ

ٱلْبَقَاءُ[1] : تَمَكُّنُ ٱلْعَبْدِ بِوَحْدَانِيَّةِ وَبَقَاءِ مَوْلَاهْ ... بَعْدَ تَصْفِيَةِ ٱلنَّفْسِ مِنْ كُلِّ ٱشْتِبَاهْ

قَلَقُ ٱلْعِرْفَانِ : إِذَا نَامَ ٱلسَّالِكُ يَأْتِيهِ قَلَقُ عِرْفَانِ ... فَهُوَ مَدَدٌ يُوقِظُهُ لِيَقُومَ بِتِلَاوَةِ ٱلْقُرْآنِ

بِحَسَبِ مَا يُفْتَحُ عَلَيْهِ يَقُومُ بِٱلطَّاعَاتِ ... مِنْ سُجُودٍ وَرُكُوعٍ وَتَهَجُّدٍ وَعِبَادَاتِ

وَقَلَقُ ٱلْعِرْفَانِ لَهُ وَقْتٌ وَيَغِيبْ ... بَعْدَمَا يُشْعِلُ ٱلْقَلْبَ بِطَاعَةِ ٱلْحَبِيبْ ﷺ

يَخْتَفِي ٱلْقَلَقُ فَتْرَةً بَعْدَ فَتْرَةْ ... لَكِنْ يَبْقَى مِنْ آثَارِهِ قَدْرَ قَطْرَةْ

فَإِنْ تَابَعَ ٱلصُّوفِيُّ ٱلطَّاعَةَ كَبُرَتْ ... قَطْرَتُهُ وَٱلنَّفْسُ عَلَى ٱلتَّزْكِيَةِ تَرَبَّعَتْ

فَٱلْقَلَقُ ٱلْعِرْفَانِيُّ يَأْتِي كَتَمْرِينْ ... لِيُوقِظَ ٱلْعَقْلَ وَٱلْقَلْبَ وَيَجْعَلَهُمَا مُتَّحِدَيْنْ

يَدُومُ ٱلْقَلَقُ بِٱلْعَارِفِ لِوَقْتٍ قَصِيرْ ... يُزَوِّدُهُ بِنَفَحَاتِ رَبِّهِ حَتَّى بِٱلْمُجَاهَدَةِ يَسِيرْ

مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ إِذَا جَاءَهُ ٱلْقَلَقُ وَٱبْتَعَدَ ٱلنَّوْمْ ... يَتَنَاوَلُ مُنَوِّمًا لِيُتَابِعَ ٱلْغَفْلَةَ كَٱلْقَوْمْ

يُرِيدُ بِذَلِكَ ٱلْخَلَاصَ وَٱلْهُرُوبَ مِنَ ٱلْحَالِ ... وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ رِزْقٌ مِنَ ٱلْمُتَعَالِ

فَعَلَى مَنْ يُصَابُ بِٱلْقَلَقِ ... أَنْ يُشْغِلَ نَفْسَهُ بِطَاعَةِ رَبِّ ٱلْفَلَقِ

قَالَ ٱلتَّيْمِيُّ : شَيْئَانِ قَطَعَا عَنِّي لَذَّةَ ٱلنَّوْمِ : ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ وَذِكْرُ ٱلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ[2].

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ: كُلُّ سَالِكٍ يَعْرِفُ فِيهَا حَجْمَ قَدْرِهِ ... عَلَى حَسَبِ مَقَامَاتِهِ ٱلنُّورَانِيَّةِ وَقُرْبِهِ

لَا بُدَّ لِلْكَامِلِ[3] مِنْ أَنْ يَمُرَّ عَلَى فَيْضِهَا ... حِينَمَا يَسْتَحِقُّ ٱلتَّشَرُّفَ بِمَرْتَبَةِ نَيْلِهَا

ٱللَّطِيفَةُ ٱلرُّوحِيَّةُ :

هِيَ بِٱلنَّفْسِ ٱلْإِنْسَانِيَّةِ ٱلنَّاطِقَةِ ٱلدَّقِيقَةِ ... وَفِيهَا كُلُّ إِشَارَةٍ ذَوْقِيَّةٍ رَقِيقَةِ

تَلُوحُ بِمَعْنَوِيَّاتِهَا لِلْحِسِّ ٱلذَّوْقِيِّ ٱلسَّلِيمِ ... وَتُدْهِشُ بِأَذْوَاقِهَا كُلَّ بَاطِنٍ مُسْتَقِيمِ

وَتِلْكَ ٱلْإِشَارَةُ ٱلدَّقِيقَةُ ٱلْمَعْنَى ... لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا أَهْلُ ٱلْفُتُوحِ (كَمَا سَمِعْنَا)

(١) البقاء للصوفية : بأن يفنيهم الله عمن سواه ويبقيهم به سبحانه .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : للإمام محمد بن أحمد القرطبي ، (دار الفكر –بيروت) ، ج١ – ص٩ .

(٣) الكامل : أنظر تعريفنا للكامل في ص٤١١ :"من كمل بالتوحيد عن غيره"...

تَبُثُّ لِلسَّالِكِ ٱلسَّعَادَاتِ وَلَا يَرَاهَا ... وَتَبْعَثُ ٱلْأَذْوَاقَ لِلْبَاطِنِ وَلَا يَعْلَمُ مَدَاهَا

يَتَعَلَّقُ بِهَا ٱلصُّوفِيُّ كَتَعَلُّقِ ٱلرُّوحِ بِٱلْجَسَدِ ... فَلَا يَنَالُهَا إِلَّا ٱلْخَالِي مِنَ ٱلْمَعَاصِي وَٱلْحَسَدِ

ٱلْمُتَمَكِّنُ : مَنْ لَا يُزَحْزِحُهُ حَالٌ عَنْ حَالِ ... وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى رِضَى رَبِّنَا ٱلْمُتَعَالِ

وَهُوَ ثَابِتُ ٱلْقَدَمِ فِي مَحَبَّةِ مَوْلَاهُ ... وَمُسْتَقِرٌّ بِنَفْسِهِ عَلَى هِجْرَانِ دُنْيَاهُ

وَهُوَ ٱلْمُتَمَكِّنُ بِٱسْتِعْمَالِ أَسْرَارِ ٱلطَّرِيقَةِ ... وَٱلرَّاسِخُ فِي مَعْرِفَةِ عِلْمِ ٱلْحَقِيقَةِ

ٱلْمُرَاقَبَةُ : صَرْفُ كَامِلِ ٱلْهِمَّةِ لِحِرَاسَةِ ٱلنَّفْسِ ... مِنْ دُخُولِ ٱلرَّذَائِلِ فِيهَا وَٱلدَّسِّ

وَٱنْتِظَارُ ٱلْأَمْدَادِ بِطُرُقِ ٱلتَّفَكُّرِ ٱلْمَشْرُوعَةِ ... لِدَفْعِ ٱلْخَوَاطِرِ ٱلضَّارَّةِ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْمَمْنُوعَةِ

وَمُدَاوَمَةُ ٱلصُّوفِيِّ عَلَى تَسْخِيرِ قُدْرَاتِهِ ... فِي سَبِيلِ تَنْقِيَةِ بَاطِنِهِ مِنْ غَفَلَاتِهِ

وَٱنْتِظَارُ ٱلْفَيْضِ وَٱلتَّجَلِّي ٱلْإِلَهِيِّ ... وَحِفْظُ ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلْخَاطِرِ ٱلسَّاهِي

ٱلْمُرْشِدُ ٱلْكَامِلُ : شَيْخٌ فَائِزٌ بِمَدَارِجِ ٱلْإِرْشَادِ ... يُكَمِّلُ غَيْرَهُ بِٱلْمَعْرِفَةِ مِنَ ٱلْعِبَادِ

كَمَا يُكَمِّلُ ٱلْأُسْتَاذُ تَلَامِيذَهُ بِٱلْمَعْرِفَةِ ... فَٱلْمُرْشِدُ يُكَمِّلُهُمْ بِمَعْرِفَةِ ٱللهِ ٱلْمُشَرِّفَةِ

يَغْرِسُ ٱلْغَرْسَةَ ٱلْأُولَى فِي قُلُوبِ ٱلْمُرِيدِينَ ... وَيَسْقِيهَا مِنْ نَبْعِ تَوَجُّهَاتِ ٱلْعَارِفِينَ

فَتَنْمُو يَانِعَةً فِي أَرْضِ ٱلْأَفْئِدَةِ ٱلصَّادِقَةْ ... وَتُثْمِرُ بِإِذْنِ رَبِّهَا تِلْكَ ٱلنُّفُوسَ ٱلْعَاشِقَةْ

وَتَشْخِيصُهُ بِٱلْفِرَاسَةِ لَا يُخْطِئُ بَلْ يُصِيبْ ... حَيْثُ يَسْتَعِينُ بِعِلْمٍ مِنَ ٱللهِ عَجِيبْ

يَخْتَصُّ بِتَرْبِيَةِ ٱلْقُلُوبِ بِمَدَدِ ٱلْعِرْفَانِ ... تَنَزَّهَ رَبُّنَا عَنِ ٱلْخَطَإِ وَٱلنِّسْيَانِ

وَلِلْمُرْشِدِ مُخْتَبَرَاتٌ رُوحَانِيَّةٌ وَوَصَفَاتْ ... يُحَلِّلُ فِيهَا بِٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ ٱلْآفَاتْ

يُصْلِحُ رَذَائِلَ ٱلنُّفُوسِ بِأَمْدَادِ ٱلْعِلَاجِ ... وَبِعَقَاقِيرِ ٱلْآيَاتِ لِإِزَالَةِ كُلِّ ٱرْتِجَاجِ

وَهُوَ ٱلدَّلِيلُ ٱلْمُسَاعِدُ لِرُكُوبِ ٱلْقِطَارِ ... ٱلْمُوصِلِ لِرَحْمَةِ ٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْمَلِكِ ٱلْغَفَّارِ

ٱلْمَعْرِفَةُ : هِيَ عِلْمٌ بِأَحْوَالِ ٱلْحَالَاتِ ٱلنُّورَانِيَّةِ ... يَتَوَلَّدُ مِنْهَا ٱلْكَشْفُ بِٱلْفِرَاسَةِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ

يَسْتَعِينُ بِهَا ٱلصُّوفِيُّ لِمَعْرِفَةِ ٱنْطِلَاقَاتِهِ ... وَيَسْتَدِلُّ بِنُورِهَا عَلَى خَفَايَا عَلَاقَاتِهِ

يَتَعَرَّفُ عَلَى حَقِيقَتِهَا بِٱلِٱسْتِشْعَارِ ٱلْكَامِلِ ... وَيَتَّخِذُهَا ٱلصُّوفِيُّ كَمِقْيَاسِ تَعْرِيفٍ شَامِلِ

أَهْلُ ٱللهِ ﷻ :

هُمُ ٱلطَّائِعُونَ وَٱلعَامِلُونَ للهِ ﷻ فِيمَا أَمَرَ وَٱلْمُنْـتَهُونَ عَمَّـا نَهَـى عَنْـهُ وَزَجَـرَ
يَتْلُـونَ كِتَابَـهُ ﷻ وَيَسْـجُدُونَ فِي ٱلسَّـحَرِ هُمْ أَهْلُ ٱلقُرْبِ ٱلبَكَّاؤُونَ بِـلَا ضَجَرِ
أَشْغَلَهُمْ ذِكْرُ ٱللهِ عَـنِ ٱلحَيَاةِ وَمَشَاغِلِهَا وَتَمَلَّكَ تَجَلِّي ٱلصَّفَاءِ قُلُوبَهُمْ بِمَا فِيهَا
فَصَارُوا بِـذَلِكَ مُـؤَهَّلِينَ لِمَقَامِ ٱلقُرْبِ وَنَـالُوا رِضَـا مَـوْلَاهُمْ وَفَـازُوا بِـٱلحُبِّ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾(المائدة ١١٩)

ٱلْاِحْتِلَامُ :

هُوَ نَقْـصٌ عِنْـدَ ٱلصُّـوفِيِّ وَٱمْتِحَانٌ لَـهُ حَتَّـى يَـتَمَكَّنَ ٱلسَّـالِكُ مِـنْ سَـدِّ بَابِـهِ
وَقَـالَ بَعْضُـهُمْ ذَلِـكَ لِلْإِنْسَـانِ فَـرَجٌ حَتَّـى لَا يَقَعَ بِشَيْءٍ فِيهِ تَوْبِيخٌ وَحَرَجٌ

ٱلْاِسْتِدْرَاجُ :

اِسْـتِئْنَاسُ ٱلْمُنْحَـرِفِ بِـمَا يَظْهَـرُ عَلَيْـهِ مِمَّـا هُـوَ مَـرْدُودٌ فِي ٱلشَّـرِيعَةِ إِلَيْـهِ
فَيُعْطِيـهِ ٱللهُ بِٱلـدُّنْيَا مَـا هُـوَ مَطْلُوبُـهُ فَيَـزْدَادُ غَيَّـهُ وَتَنْفَضِـحُ عُيُوبُـهُ
فَيَظُنُّ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مَـا يَسْـتَحِقُّهُ ٱلْمُؤْمِنُ وَيَسْتَحْقِرُ غَيْرَهُ وَيَتَكَبَّرُ وَبِٱلبَاطِلِ يَطْمَئِنُّ
فَهَـذَا مِـنْ مَكْـرِ ٱللهِ بِـهِ وَعِقَابِـهِ وَهُـوَ سَـبَبٌ مِـنْ أَسْـبَابِ عَذَابِـهِ
بِعَكْسِ ٱلوَلِيِّ ٱلَّذِي لَا يَسْتَأْنِسُ بِٱلكَرَامَةْ عِنْـدَ ظُهُورِهَـا وَيَـزْدَادُ خَوْفًـا فِي مَقَامِـهْ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾(الشورى ٢٠)

قال الله تعالى :
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٤٣)
فَـٱللهُ لَا يُضِـيعُ ثَـوَابَ إِيمَـانِ ٱلْمُـتَّقِينَ[1] بَلْ يَمْتَحِنُهُمْ لِإِظْهَارِ تَقْـوَاهُمْ فِي ٱلـدِّينْ

(١) التفسير الكبير : للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، (دار الفكر ـ بيروت ط١ ـ ١٩٨١مـ) ، الجزء ٤ / ص ١١٩ .

فَٱلِٱسْتِدْرَاجُ هُوَ عَدَمُ ٱلتَّمْيِيزِ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ ... وَٱسْتِقْبَالُ كُلِّ خَاطِرٍ سَيِّئٍ وَعَاطِلِ

فَيَقَعُ صَاحِبُهُ بِخَيَالَاتٍ وَهْمِيَّةٍ ... وَيَبْنِي عَلَى أَحْلَامِهِ ٱلْبَاطِلَةِ ٱلْهَمَجِيَّةِ

فَيَلْتَقِطُ مَعْلُومَاتِهِ مِنْ أَجْوَاءٍ مُعَكَّرَةٍ ... فَيَقَعُ وَيُوقِعُ أَتْبَاعَهُ بِنِهَايَاتٍ مُدَمِّرَةٍ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم ٤٤)

ٱلِٱمْتِحَانُ : بَلَاءٌ يَأْتِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَيُصِيبُ ... مَنْ عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ أَوْ كَفَّارَةٌ لِلتَّرْهِيبْ

وَيَكُونُ لِلصُّوفِيِّ ٱخْتِبَارًا فِي ٱلتَّرْبِيَةِ ... لِأَنَّ ٱلصَّبْرَ وَٱلتَّوَكُّلَ يُوصِلُ إِلَى ٱلتَّنْقِيَةِ

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (الحجرات ٣)

وَفِيهِ ٱرْتِفَاعُ دَرَجَةٍ وَٱسْتِدْعَاءٌ لِلزِّيَادَةِ ... فِي ٱلْأَحْوَالِ وَٱلْمَقَامَاتِ لِيُصْبِحَ مِنَ ٱلْقَادَةِ

إِبْلِيسُ : كَلِمَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ ٱللَّبْسِ ... سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَلَبُّسِهِ عَلَى ٱلنَّاسِ

وَمَنْ كَانَ إِبْلِيسُ دَوْمًا مَعَهُ ٱلْجَلِيسْ ... لَا يَصْلُحُ بِهَذَا ٱلطَّرِيقِ ٱلرُّوحِيِّ ٱلنَّفِيسْ

ٱلِٱتِّصَالُ: أَنْ يَصِيرَ ٱلْمَدَدُ مِنْ غَيْرِ ٱنْقِطَاعْ ... وَيَشْهَدَ ٱلْعَبْدُ ٱلْفَائِدَةَ مِنْ رَبِّهِ وَٱلِٱنْتِفَاعْ

ٱلْإِثْبَاتُ: هُوَ إِقَامَةُ أَحْكَامِ ٱلْعُبُودِيَّةِ وَرَفْعُ ٱلْعَادَةِ ... وَإِثْبَاتُ كُلِّ مَا وَرَدَ فِي ٱلشَّرِيعَةِ دُونَ زِيَادَةٍ

وَيَنْفِي عَنْ أَحْوَالِهِ ٱلْخِصَالَ ٱلذَّمِيمَةَ ٱلْمُضِرَّةَ ... وَيُثْبِتُ عِوَضًا عَنْهَا ٱلْأَفْعَالَ ٱلْحَمِيدَةَ ٱلْمَسَرَّةَ

ٱلْإِشَارَةُ : ظُهُورُ حَقِيقَةٍ مَا يَتَضَمَّنُهُ ٱلْوَجْدْ ... مِنْ غَيْرِ تَعْبِيرٍ بِلِسَانٍ بِذَا ٱلْحَدّْ

ٱلْبَرْزَخُ : حَاجِزٌ مَا بَيْنَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةْ ... لَوْ نَعْلَمُ عَظَمَتَهُ لَبَقِيَتْ عُيُونُنَا سَاهِرَةْ

يَنْكَشِفُ عَنَّا ٱلْغِطَاءُ حِينَ ٱلِٱنْتِقَالْ ... مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَتُفْتَحُ ٱلْأَقْفَالْ

وَهُوَ ٱلْمَنْزِلُ ٱلْأَوَّلُ مِنْ مَنَازِلِ ٱلْآخِرَةْ ... وَعِنْدَ ٱلنَّفْخِ فِي ٱلصُّورِ تُجْمَعُ ٱلْعِظَامُ ٱلْمُتَنَاثِرَةْ

ٱلصُّوفِيَّةُ سَمَّوْا ٱلْبَرْزَخَ عَالَمَ ٱلْأَرْوَاحْ ... لِأَنَّهُ عَالَمُهَا ، هَكَذَا أَرَادَهُ رَبُّنَا ٱلْفَتَّاحْ ﷻ

فِي ٱلْبَرْزَخِ يُفْصَلُ مَا بَيْنَ ٱلصَّالِحِ وَٱلطَّالِحِ ... كَمَا يَحْفَظُ ٱللهُ ٱلْمَاءَ ٱلْحُلْوَ مِنَ ٱلْمَالِحِ

قَالَ ﷻ : ﴿ ... وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون ١٠٠)

ٱلبَسْطُ وَٱلقَبْضُ :

يَتعلَّقَانِ بِٱلصُّوفِيِّ بِحَسَبِ ٱلوَارِدْ ... فَٱلْقَلْبُ كَٱلسَّاعَةِ يُوقِفُهُ ٱلغُبَارُ ٱلشَّارِدْ

وَقَدْ يَأْتِي كَإِشَارَةٍ لِيَتَفَقَّدَ ٱلصُّوفِيُّ قَلْبَهْ ... وَلَهُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ يَتَذَوَّقُهَا بِدَرْبِهِ

فَوَارِدُ ٱلقَهْرِ يَقْبِضُ ٱلقَلْبَ وَيُؤْلِمْ ... وَوَارِدُ ٱلبَسْطِ يُرِيحُهُ حَتَّى يَتَعَلَّمْ

قَدْ يَرِدُ عَلَى ٱلقَلْبِ ٱلقَبْضُ ٱلعَجِيبْ ... رُبَّمَا ٱسْتَحَقَّهُ فِي ٱلتَّرْبِيَةِ كَتَأْدِيبْ

وَيَنْبَسِطُ ٱلقَلْبُ لِلْوَارِدِ ٱلقَرِيبْ ... وَيُقْبِلُ عَلَيْهِ بِسُرُورٍ وَتَرْحِيبْ

فَسَبِيلُ صَاحِبِ ٱلقَبْضِ ٱلتَّسْلِيمُ لِخَالِقِهْ ... حَتَّى يَمْضِيَ أَلَمُ ٱلقَبْضِ وَيُفَارِقَهْ

ٱلبُكَاءُ :

تَتَعَدَّدُ أَسْبَابُهُ بِحَسَبِ ٱلعَوَارِضِ ٱلمَوْصُوفَةِ ... فَقَدْ يَكُونُ نَاشِئًا مِنَ ٱلحَنِينِ وَٱلمَحَبَّةِ ٱلمَعْرُوفَةِ

وَبَعْضُهُمْ يَبْكِي خَوْفًا مِنَ ٱلعُقُوبَةْ ... وَبَعْضُهُمْ يَبْكِي إِذَا شَاهَدَ أُعْجُوبَةْ

وَٱلآخَرُ قَدْ يَبْكِي لِشِدَّةِ ٱلبُعْدِ وَٱلفِرَاقِ ... وَبَعْضُهُمْ يَبْكِي بُكَاءَ إِشْفَاقِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْكِي لِلتَّقْصِيرِ فِي طَاعَاتِهِ ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْكِي حِينَ سَمَاعِ آيَاتِهِ ﷻ

وَقَدْ يَحْصُلُ ٱلبُكَاءُ لِبَعْضِهِمْ بِٱلعَدْوَى ... إِذَا بَكَى ٱلزَّوْجُ تَبْكِي زَوْجَتُهُ سَلْوَى

أَعْظَمُهُ بُكَاءُ ٱلوَجْدِ مِنْ خَشْيَةِ ٱلقَهَّارْ ... فَتَخْشَعُ ٱلجَوَارِحُ مِمَّا يَخْشَعُ مِنْهُ ٱلأَبْرَارْ

قَالَ ﷻ ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (الإسراء ١٠٩)

وَأَرْقَى وَقْتٍ لِلْبُكَاءِ فِي عَرَفَاتِ ... وَأَمَامَ قَبْرِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ صَاحِبِ ٱلشَّفَاعَاتِ

وَحِينَ ٱلطَّوَافِ حَوْلَ ٱلكَعْبَةِ ٱلمَهِيبَةِ ... تَرَى ٱلبَكَّائِينَ بِحَالَةِ هَيَجَانٍ رَهِيبَةِ

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رضي الله عنه : كَانَ مِنْ دُعَاءِ ٱلرَّسُولِ ﷺ : **"ٱللَّهُمَّ ٱرْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ تَشْفِيَانِ ٱلقَلْبَ بِذُرُوفِ ٱلدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ٱلدُّمُوعُ دَمًا وَٱلأَضْرَاسُ جَمْرًا"**. (الفتح الكبير ج ١ ص ٢٣٣)

الْبَلاءُ: هُوَ امْتِحَانُ الأَجْسَامِ وَالنُّفُوسِ بِالْمَشَاقِ ... وَالأَمْرَاضِ وَالْمَتَاعِبِ وَقِلَّةِ الأَرْزَاقِ

فَبِقَدْرِ مَا يَزْدَادُ الْبَلاءُ عَلَى الْعَبْدِ ... يَزْدَادُ تَقَرُّبًا إِلَى الْحَقِّ وَالسَّعْدِ

التَّكِيَّةُ[1]: كَلِمَةٌ تُرْكِيَّةٌ كَالْخَانِقَا بِالْفَارِسِيَّةْ ... يُؤَدِّي الإِنْسَانُ فِيهَا وَظِيفَتَهُ الدِّينِيَّةْ

وَالْخَانِقَا هِيَ مِنَ التَّضْيِيقِ عَلَى النَّفْسِ وَخَنْقِهَا ... أَوَّلُ خَانِقَا لِلصُّوفِيَّةِ بِالرَّمْلَةِ (فلسطين) تَمَّ بِنَاؤُهَا

التَّجْرِيدُ:

خُلُوُّ قَلْبِ الصُّوفِيِّ وَتَجَرُّدُهُ عَنِ الأَعْرَاضِ ... وَإِمْسَاكُ خَوَاطِرِ بَاطِنِهِ عَنِ الأَغْوَاضِ

وَيَتَجَرَّدُ بِسِرِّهِ عَنْ مُلاحَقَةِ الْمَقَامَاتِ ... الَّتِي يَدْخُلُهَا وَيُنَازِلُهَا فِي الرُّوحَانِيَّاتِ

وَالتَّجْرِيدُ أَيْضًا خَلْعُ نُعُومَةِ الْحَيَاةِ وَصُوَرِهَا ... وَنَزْعُ الْمُعَوِّقَاتِ مِنْ سَائِرِ طُرُقِهَا

وَالاسْتِغْنَاءُ عَنْ كُلِّ مَا يَشْغَلُ عَنِ الْمَوْلَى ... حَتَّى يَسْتَوِيَ عِنْدَ السَّالِكِ الْمَرَارَةُ وَالْحَلْوَى

وَالتَّلَذُّذُ بِقَسَاوَةِ وَخُشُونَةِ عَوَارِضِ الْحَيَاةِ ... وَمُخَالَفَةُ سَائِرِ الشَّهَوَاتِ وَطَرْدُ الْمَلَذَّاتِ

طَعَامُ الْمُتَجَرِّدِ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ الْجَارِحْ ... وَفِرَاشُهُ أَرْضٌ وَبَخْصٌ جَارِحْ

إِذَا جَاءَهُ الْفَرَحُ الدُّنْيَوِيُّ يَتَنَغَّصُ ... يَبْغِي الْخُشُونَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَيَتَحَسَّسُ

وَالتَّجَرُّدُ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ النَّاعِمْ ... أَيْ يَخْلَعُهُ، وَاللهُ لِحَالِ الْمُتَجَرِّدِ دَاعِمْ

التَّلْوِينُ: هُوَ تَنَوُّعُ الْمُرِيدِ السَّالِكِ بِأَحْوَالِهِ ... فَيَتَبَدَّلُ وَيَتَغَيَّرُ فِي سَائِرِ أَشْكَالِهِ

وَالتَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أَرْقَى ... يَأْتِي مَعَ الْوَارِدَاتِ لِلسَّالِكِ الأَتْقَى

التَّمْكِينُ:

هُوَ لأَصْحَابِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالْمُحَقِّقِينْ ... لا يَتَرَدَّدُ وَلا يَتَحَوَّلُ صَاحِبُهُ عَنِ الدِّينْ

يَعْرِفُ الإِلْهَامَ أَوِ الْخَاطِرَ عِنْدَ ظُهُورِهِ ... وَيَقِيسُ صِحَّتَهُ بِمِقْيَاسِ بَاطِنِ نُورِهِ

فَمَا هُوَ سَلِيمٌ مِنَ الشَّوَائِبِ الْتَحَمَ بِمَعْنَوِيَّاتِهِ ... وَمَا فِيهِ خَلَلٌ يَطْرُدُهُ بِأَمْدَادِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ

الْجُوعُ: هُوَ أَنِيسُ الصُّوفِيِّ يَتَلَذَّذُ بِمَرَارَتِهِ ... فَيُغَذِّيهِ مَوْلاهُ مِنْ رَحْمَةِ عَظَمَتِهِ

(1) التكية: كلمة متعارف عليها في بلاد الأعاجم، وفي بلادنا العربية يقال عنها: "زاوية أو رباط". راجع إن شئت: المعجم العربي الأساسي: تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (مطبعة لاروس – ١٩٨٨ م)، ص ٢٠١.

مَـنْ وَصَـلَ إِلَى نُـورِ ٱسْـمِ ٱلـرَّزَّاقِ ... ٱسْتَغْنَى عَـنِ ٱلأَطْعِمَـةِ لِكَثْـرَةِ ٱلأَذْوَاقِ

ٱلتَّسْلِيمُ :

ٱلِٱنْقِيَادُ لِأَمْرِ ٱللهِ ﷻ وَتَـرْكُ ٱلِٱعْـتِرَاضِ ... فِيمَا لَا يُلَائِمُ ٱلنَّفْسَ مِنْ بَلَاءٍ وَأَمْـرَاضِ

فَعِنْدَ نُزُولِ ٱلْوَارِدِ لَا يَحْصُلُ لَهُ تَغْيِيرَاتْ ... لَا فِي ظَاهِرِهِ وَلَا فِي بَاطِنِهِ وَلَا فِي ٱلْقُدُرَاتْ

ٱلْحُبُّ عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ :

ٱلْحُبُّ عِنْدَ ٱلسَّالِكِ يُوصِلُ لِغَيْبُوبَةٍ بِٱلْمَحْبُوبْ ... وَيَعُمُّ سَائِرَ لَطَائِفِهِ كَمَا بِٱلتَّصَوُّفِ مَطْلُوبْ

حَتَّـى لَا يَبْقَـى مُتَّسَـعٌ لِغَـيْرِ مَحَبَّتِـهِ ... فَيَتَعَلَّـقُ ٱلْقَلْـبُ بِقُـرْبِ عَظَمَـةِ عِزَّتِـهِ ﷻ

يَنْتُجُ عَنِ ٱلْحُبِّ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَقَامَاتِ ٱلرَّاقِيَةِ ... فَيَشْرَبُ ٱلسَّالِكُ مِنْ بَحْرِ أَنْوَارِهِ ٱلنَّقِيَّـةِ

فَكُلُّ مَنْ يَقَعُ فِي ٱلْهَوَى وَيَهْوَى بِغَيْـبُوبَةْ ... يُقَالُ عَنْهُ : وَاصِلٌ لِحَبِيبِهِ ، وَتِلْكَ أُمُورٌ مَحْبُوبَـةْ

ٱلْحُـبُّ بِٱلْقَلْـبِ هُـوَ تُرْجُمَانُ ٱلأَشْـوَاقِ ... بِـهِ يَتَحَسَّـسُ وَيَتَعَـرَّفُ عَلَـى ٱلأَذْوَاقِ

لَا يَحْلُـو ٱلْكَـلَامُ فِي مَحَـاوِرِ ٱلْحُـبِّ ... إِلَّا مَـعْ مَـنْ وَصَـلَ لِأَرْقَـى ٱلْقُـرْبِ

قَالَ ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة ٥٤)

وَقَالَ تَعَالَى ﷻ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة ١٦٥)

ٱلْحَالُ : هُوَ مَنْزِلَةُ ٱلسَّالِكِ ٱلْمُؤَقَّتَةِ كَمَا يُقَالْ ... وَفِيـهِ تَتَحَـوَّلُ وَتَـتَغَيَّرُ قُلُـوبُ ٱلرِّجَـالْ

وَهُـوَ شُـعُورٌ ذَوْقِـيٌّ يَـدُورُ فِي ٱلأَحْـوَالِ ... وَٱلْحَالُ قَدْ يَحُلُّ عُقْـدَةَ ٱلسَّـالِكِ ٱلْجَـوَّالِ

وَيَـرِدُ عَلَـى ٱلْقَلْـبِ مِـنْ غَـيْرِ ٱجْتِلَابِ ... وَٱلْحَـالُ يُغَـيِّرُ بَـاطِنَ أَوْصَـافِ ٱلأَحْبَـابِ

وَٱلْأَحْوَالُ فَضْلٌ مِنَ ٱللهِ ﷻ لِلْمَخْلُوقَاتْ … وَهِيَ مَوَاهِبُ وَمَكَاسِبُ وَمَقَامَاتْ

وَٱلْآثَارُ تَدُلُّ عَلَى حَالِ ٱلرِّجَالْ … وَهُنَالِكَ حَالٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ كَمَا يُقَالْ

فَلَوْلَا مَرْتَبَةُ ٱلْحَالِ وَٱلْأَحْوَالِ … مَا تَمَيَّزَتْ بِأَعْيُنِنَا كِبَارُ ٱلرِّجَالِ

مَا مِنْ مَخْلُوقٍ إِلَّا وَلَهُ حَالٌ مَعْ رَبِّهِ … بِهِ يَتَبَيَّنُ مَخَاطِرُ مَسَالِكِ دَرْبِهِ

وَٱلْأَحْوَالُ مَوَاهِبُ وَأَفْضَلُ رَبَّانِيَّةْ … يَتَقَبَّلُ مَعَهَا ٱلصُّوفِيُّ شِدَّةَ ٱلْبَلِيَّةْ

ٱلْحَضْرَةُ: هِيَ ٱلْمَكَانُ ٱلَّذِي يُتَابَعُ فِيهِ ٱلْحُضُورْ … وَٱلتَّفَكُّرُ بِٱلذِّكْرِ وَحَالَاتِ أَهْلِ ٱلْقُبُورْ

وَقِيلَ: هُوَ ٱلْمَكَانُ ٱلْمُخَصَّصُ لِتَحْضِيرِ ٱلْقُلُوبِ … لِلِٱسْتِمْدَادِ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ

وَيُقَالُ: فُلَانٌ يُحَضِّرُ قَلْبَهُ بِٱلْحَضْرَةْ … وَفِيهَا يَظْهَرُ ٱلْمَدَدُ ٱلنُّورَانِيُّ وَٱلنَّظْرَةْ

وَٱلْحُضُورُ تَنَبُّهٌ يَطْرَأُ عَلَى ٱلْقَلْبِ وَٱلْجَوَارِحْ … وَسَابِقًا كُنْتُ لِذَلِكَ ٱلْحَالِ شَارِحْ

وَيُقَالُ: إِنَّ حُضُورَ ٱلْقَلْبِ بِٱلْحَقِّ … يَكُونُ عِنْدَ غَيْبَتِهِ عَنْ مَشَاغِلِ ٱلْخَلْقِ

ٱلْحَقِيقَةُ: هِيَ كَنْزٌ عِرْفَانِيٌّ خَفِيٌّ عَنِ ٱلْأَبْصَارِ … مَحْجُوبَةٌ عَنْ قُلُوبِ ٱلْحُسَّادِ وَٱلْأَغْيَارِ

وَهِيَ ظُهُورُ صِفَةِ شَيْءٍ خَلْفَ حِجَابْ … لَا يَحْجُبُهَا سُدُودٌ، بِنُورِهَا تُخْلَعُ ٱلْأَبْوَابْ

وَهِيَ مَاهِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صَحِيحٍ سَلِيمِ … بِهَا يَسْلُكُ ٱلصُّوفِيُّ لِمَعْرِفَةِ رَبِّهِ ٱلْعَظِيمِ ﷻ

وَسُمِّيَتْ حَقِيقَةً لِسَلَامَتِهَا مِنَ ٱلشَّوَائِبِ … وَتَجَمَّعَتْ حَوْلَ مَدَارِهَا أَصْدَقُ ٱلْمَطَالِبِ

فَمَنْ كَانَتْ لَطَائِفُهُ مُزَكَّاةً رَقِيقَةْ … كَانَتْ أَحْوَالُهُ مَرْبُوطَةً بِأَطْرَافِ ٱلْحَقِيقَةْ

ٱلْحَقِيقَةُ عَزِيزَةٌ لَا يَعْثُرُ عَلَيْهَا ٱلْغَافِلْ … وَغَالِيَةٌ لَا يُدْرِكُهَا نَظَرُ ٱلْجَاهِلْ

لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ أَنْ يَتَحَقَّقَ … وَمِنَ ٱلنَّعِيمِ ٱلْأُخْرَوِيِّ بِحَسَبِ ٱلْوَعْدِ أَنْ يَتَذَوَّقَ

وَهُوَ فِي شُعُورِهِ صَاحٍ وَإِحْسَاسُهُ مُتَيَقِّظْ … ثُمَّ يَعْكِسُهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلْمُرِيدِينَ بِٱلْمَوَاعِظْ

وَلَا يَنَالُ ٱلْحَقِيقَةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ ٱلْحَقَّ … وَبِصِدْقِهِ وَبِإِخْلَاصِهِ لَهَا ٱسْتَحَقَّ

ٱلْحَيْرَةُ: هِيَ ٱلتَّرَدُّدُ فِي ٱلشَّيْءِ وَفِعْلِهِ … حَيْثُ يَمْنَعُ مِنَ ٱسْتِعْمَالِ كَامِلِ ذَاكِرَتِهِ

وَتَحْجُبُ ٱلسَّالِكِينَ عَنْ حُضُورِهِمُ ٱلْمُهِمّ   وَتُحَيِّرُهُمْ بَيْنَ مُنَازَلَةِ ٱلْفِكْرَةِ وَتَأَمُّلِهِمْ

كَثْرَةُ نُورِ ٱلتَّجَلِّي تُوقِفُ صُوَرَ ٱلْحَرَكَاتِ   فَيُقَاوِمُ ٱلْعَقْلَ لِيُعِيدَ ذَاكِرَةَ ٱلْحَيَاةِ

وَٱلْقَلْبُ مِنْ تَرَاكُمِ ٱلْفُيُوضَاتِ قَدْ يَحْتَارُ   بَعْضُهُمْ يَغِيبُ وَبَعْضُهُمْ يُسْلَبُ مِنْهُ ٱلِاخْتِيَارُ

فَكُلُّ ٱلْجَوَارِحِ مُشْتَرِكَةٌ فِي مَقَامِ ٱلْحَيْرَةِ   تُبَنِّجُهَا نَفَحَاتُ عَظَمَةِ ٱلْبَرَكَاتِ ٱلْمُنِيرَةِ

اَلْفَرْقُ شَاسِعٌ مَا بَيْنَ ٱلْحَيْرَةِ وَٱلْغَيْرَةْ   يُبْقِي ٱللهُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ ٱلِاخْتِيَارِ أُمُورًا يَسِيرَةْ

لِلْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِهِ ٱلدِّينِيَّةِ، فَلَا يُعْفَى   مِنَ ٱلصَّلَوَاتِ إِلَّا إِذَا أَصْبَحَ عَقْلُهُ بِٱلْمَنْفَى

قَالَ ٱلْكَاتِبُ: يَا مُؤْنِسِي، حَيَّرْتَنِي فِيمَا أَرَى   نُورٌ تَجَلَّى مِنْكَ يَا رَبَّ ٱلْوَرَى

إِنْ أَصَابَ ضِيَاؤُهُ إِحْسَاسَ لَطَائِفِي   فَلَا أَسْمَعُ بَعْدَهَا خَلْقًا وَلَا أَرَى

فَأَغِيبُ وَرُوحِي عَانَقَتِ ٱلثَّرَى   لَا رُوحِي تَعِي وَلَا قَلْبِي مَا جَرَى

اَلْحِجَابُ: هُوَ كُلُّ سَاتِرٍ مَانِعٍ يَقِفُ فِي طَرِيقِ   ٱلصُّوفِيِّ عِنْدَ ٱلرُّؤْيَةِ وَٱلْمُشَاهَدَةِ وَٱلتَّحْقِيقِ

إِذْ كُلَّمَا تَوَقَّفَ ٱلصُّوفِيُّ عَلَى حِجَابِ   يَزْدَادُ قَبْضًا وَخَوْفًا عَلَى ٱلْأَبْوَابِ

وَبَعْضُ ٱلْحُجُبِ مُخَصَّصٌ لِذِي ٱلْحَالِ ٱلْأَرْقَى   لِيَعْبُرَ بَعْدَهَا وَيَتَمَرَّنَ وَيَتَرَقَّى

كُلَّمَا تَخَطَّى ٱلصُّوفِيُّ حِجَابًا قَابَلَهُ أَفْظَعْ   هَكَذَا ٱلتَّرَقِّي مِنْ مَقَامٍ إِلَى أَرْفَعْ

فَكُلُّ حِجَابٍ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ ٱلْمَقَامِ   فَمِنْهُ مَا يَكُونُ لِلتَّشْوِيقِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ لِلِانْتِقَامِ

وَمِمَّا يَمْنَعُ مُتَابَعَةَ ٱلسُّلُوكِ مِنَ ٱلْحُجُبِ ٱلْقَوِيَّةْ   ٱلْعُجْبُ وَٱلْكِبْرِيَاءُ وَٱلْحُظُوظُ ٱلنَّفْسِيَّةْ

قَالَ ٱللهُ ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين ١٥)

اَلْخَاطِرُ: هُوَ مَا يَرِدُ عَلَى عُمْقِ ٱلضَّمِيرِ   مِنْ خِطَابٍ حَسَنٍ أَوْ خَطِيرِ

فَمَا كَانَ فِيهِ خَاطِرُ ٱنْتِفَاعٍ   يَسْتَقْبِلُهُ قَلْبُ ٱلصُّوفِيِّ فِي ٱنْدِفَاعٍ

وَمَا يَرِدُ عَلَى ٱلْقَلْبِ مِنْ سُوءٍ يَعْرِضُهُ   فَيَقْبَلُ ٱلْخَاطِرَ ٱلْحَسَنَ وَٱلسَّيِّئَ يَرْفُضُهُ

خَاطِرٌ يَثْبُتُ بِٱلْقَلْبِ وَخَاطِرٌ يَغِيبُ   وَخَاطِرُ ٱلْعَقْلِ قَدْ يُصِيبُ

وَخَاطِرٌ يَبْقَى كَالْوَسْوَاسِ يُرَاوِدُ السَّامِعْ فَيَتَخَبَّطُ الإِنْسَانُ مَعَ النَّفْسِ وَهُوَ جَزِعْ

لَا يَفْرُزُ الخَاطِرَ القَبِيحَ مِنَ الحَسَنْ إِلَّا الوَلِيُّ المُرْشِدُ الَّذِي بِالسِّرِّ مُحْصَنْ

الخَتْمُ: ذِكْرٌ وَتَهْلِيلٌ وَتَسْبِيحٌ بِوَقْتٍ مَخْصُوصِ اشْتُهِرَ بِهِ الذَّاكِرُونَ مِنْ أَهْلِ الخُصُوصِ

وَالخَتْمُ إِشَارَةٌ إِلَى بُلُوغِ آخِرِ عَمَلٍ بِالأَيَّامِ كَمَا يَخْتِمُ الإِنْسَانُ آخِرَ رِسَالَتِهِ بِالسَّلَامِ

فَلَا يُخْتَمُ عَلَى الشَّيْءِ إِلَّا بِبُلُوغِ آخِرِهِ كَمَا خَتَمَ اللهُ عَلَى قَلْبِ الكَافِرِ لِكُفْرِهِ

قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة ٧)

خَتَمَ الصُّوفِيَّةُ بِالذِّكْرِ آخِرَ يَوْمِهِمْ يَخْتِمُونَهُ بِعَمَلٍ نَفِيسٍ مُهِمّْ

الخَلْوَةُ:

تُسَاعِدُ فِي تَرْكِ الأَشْيَاءِ وَمَحْوِهَا مِنَ القَلْبِ إِلَّا مَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ وَطَاعَةٌ لِلرَّبِّ

فَهِيَ خَالِيَةٌ مِنْ زِينَةٍ وَمَبَاهِجِ الحَيَاةْ إِلَّا مِنْ سَجَّادَةٍ وَقُرْآنٍ وَمِسْبَحَةٍ وَكَفَنٍ عِنْدَ الوَفَاةْ

الرُّعُونَةُ: عِلَّةُ الوُقُوفِ مَعَ حُظُوظِ النَّفْسِ وَهِيَ وُقُوفٌ مَعَ الطَّبْعِ وَالحِسّْ

لَا تَزُولُ إِلَّا بِالمُجَاهَدَاتِ عِنْدَ خَبِيرْ فَيُرْشِدُهُ وَيَصِفُ لَهُ العِلَاجَ وَيُشِيرْ

الزُّهْدُ: مَنِ اسْتَغْنَى بَعْدَ التَّمَكُّنِ فَهُوَ زَاهِدٌ وَمَنْ تَرَكَ بَعْدَ التَّغَلُّبِ فَهُوَ مُجَاهِدٌ

فَالزُّهْدُ تَرْكُ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَمَعَاصِيهَا وَلَا يُبَالِي مَنْ أَخَذَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

وَخُلُوُّ القَلْبِ مِمَّا خَلَتْ مِنْهُ اليَدْ وَالمُحَافَظَةُ عَلَى شَرْعِ الإِلَهِ وَمَا حَدّْ

فَإِذَا عَمَّ الزُّهْدُ بَاطِنَ الصُّوفِيِّ الرَّاقِي فَيَنْعَكِسُ عَلَى ظَاهِرِهِ كَالتِّرْيَاقِ

السَّفَرُ بِالطَّرِيقِ: لَيْسَ المَقْصُودُ سَفَرَ الأَقْدَامِ بَلْ سَيْرُ القُلُوبِ بِآلَةِ الفِكْرِ عَلَى الدَّوَامِ

وَهُوَ سَفَرٌ خَاصٌّ لِلطَّائِعِينَ مِنَ الأَنَامِ لِأَنَّ سَفَرَ الأَقْدَامِ لِلإِنْسَانِ وَالأَنْعَامِ

يُسَافِرُونَ بِالمَعَانِي دُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ البَابِ يَخَافُونَ يَوْمًا يَقِفُ النَّاسُ فِيهِ لِلْحِسَابِ

وَمِنهُمُ السَّائِحُونَ وَبِالسَّفَرِ يَبْحَثُونَ   عَنْ قُطْبِ الشَّرِيعَةِ أَوْ مُرْشِدٍ بِهِ يَتَحَقَّقُونَ

وَالسَّفَرُ عِندَهُمْ مَدْعَاةٌ لِلتَّفْكِيرِ وَالعِبَرْ   وَيَزِيدُهُمْ قُوَّةً فِي البَصِيرَةِ وَيَتَحَقَّقُونَ الخَبَرْ

البَعْضُ يَظُنُّ السَّفَرَ بِاللَّفِّ وَالدَّوَرَانْ   وَمُلَاحَقَةِ المَلَذَّاتِ وَالنَّظَرِ إِلَى البُلْدَانْ

وَسُمِّيَ سَفَرًا لِأَنَّهُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرَّفِيقِ   فَإِمَّا يَنْفُرُ مِنْهُ أَوْ يُتَابِعُهُ فِي الطَّرِيقِ

مَنْ كَانَ بَاطِنُهُ يُوَاصِلُ لِلهِ السَّفَرَ   يَدْفَعُ عَنْهُ هُمُومَ الرِّزْقِ وَالخَطَرَ

السُّكْرُ: هُوَ غِيَابُ الحِسِّ لِاسْتِغْرَاقِهِ بِالذِّكْرِ   وَتَرَاكُمِ الوَارِدَاتِ المُشَاهَدَةِ المُدْهِشَةِ عَلَى الفِكْرِ

فَيَغْلِبُ الحَالُ عَلَى صَحْوِ الإِحْسَاسِ   وَمِنْ هَوْلِ اللَّذَّةِ لَا يَشْعُرُ بِوُجُودِ النَّاسِ

وَيَحْصُلُ السُّكْرُ مِنَ العَذَابِ وَالسَّعَادَةْ   وَمَنْ أَصَابَهُ تَغِيبُ عَنْهُ السَّيْطَرَةُ وَالإِرَادَةْ

قَالَ ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج ١ - ٢) .

يُسْكِرُ الخَمْرُ النَّاسَ حَبَّةً فَحَبَّةْ   وَالصُّوفِيُّ لَا يُسْكِرُهُ إِلَّا شَرَابُ المَحَبَّةْ

الأَوَّلُ يَبْقَى بِسُكْرِهِ مَطْرُوحًا مَغْلُوبَا   وَالثَّانِي يَخْرِقُ بِسُكْرِهِ الحُجُبَ وَالقُلُوبَا

الشُّهُودُ: كُلُّ مُشَاهَدَةٍ يَشْهَدُ فِيهَا مِنَ الحَقِّ   تُسَمَّى شُهُودًا لِمُشَاهَدَةِ نُورِ البَرْقِ

وَقِيلَ مَنْ تَشْهَدُ لَهُ حَالَتُهُ بِالتَّوْحِيدِ   فَيُشَاهِدُ بِيَقِينٍ كُلَّ وَارِدٍ جَدِيدِ

حَتَّى يَمْتَلِئَ قَلْبُهُ بِتَجَلِّيَاتٍ شُهُودِيَّةٍ   وَتَشْهَدُ لَهُ المَلَائِكَةُ بِثَبَاتِهِ وَالأَفْضَلِيَّةِ

قَالَ ﷻ : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (الأنفال ١٢)

وَقَالَ ﷻ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (إبراهيم ٢٧)

اَلشَّفَقَةُ: رِقَّةٌ قَلْبِيَّةٌ تُؤَثِّرُ سَرِيعًا بِٱلإِحْسَاسْ ... يَبْكِي صَاحِبُهَا لِأَيِّ حَدَثٍ يُصِيبُ ٱلنَّاسْ
تَزْدَادُ بِٱلتَّرْبِيَةِ وَتَتَوَلَّدُ حَسَبَ ٱلإِيمَانِ ... تَظْهَرُ بَعْدَ ٱنْحِبَاسٍ بِفَوَرَانٍ كَٱلبُرْكَانِ
وَتَخْمُدُ عِنْدَ ٱلصُّوفِيِّ بِٱسْتِرَاحَتِهِ ٱلفِكْرِيَّةِ ... وَتَشْتَعِلُ حِينَ هُطُولِ ٱلوَارِدَاتِ ٱلقُدْسِيَّةِ
اَلشَّطْحُ: كَلَامٌ يُتَرْجِمُ بِهِ ٱللِّسَانْ ... عَنْ وَجْدٍ يَفِيضُ فِي قَلْبِ ٱلإِنْسَانْ
فَٱلوَارِدَاتُ ٱلقَوِيَّةُ تَهُزُّ ٱلقَلْبْ ... وَتُطْلِقُ ٱللِّسَانَ بِكَلِمَاتٍ كَأَنَّهُ ٱلجَذْبْ
قِيلَ: ٱلمَاءُ بِٱلنَّهْرِ إِذَا زَادْ ... يَفِيضُ وَيُتْلِفُ ٱلمُونَةَ وَأَكْثَرَ ٱلعَتَادْ
فَكَذَلِكَ إِذَا ٱزْدَادَ وَجْدُ ٱلوَاجِدِ ... فَيَشْطَحُ ٱللِّسَانُ تُرْجُمَانَ ٱلعَابِدِ
فَلَا يُطِيقُ حَمْلَ مَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِهِ ... فَتَرَاهُ خَفَّاقًا كَأَنَّهُ ضَاعَ عَنْ سِرْبِهِ
اَلوَلِيُّ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ شَطْحٌ مُعَكَّرْ ... قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ مَحْفُوظٌ عَنِ ٱلشَّطْحِ ٱلمُنْكَرْ
لِأَنَّهُ تَرَبَّى عَلَى نَفَحَاتِ ٱلتَّجَلِّيَاتْ ... لَا يَقْرَبُ إِلَيْهِ شَطْحٌ فِيهِ مُحَرَّمَاتْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس ٦٢)

اَلشَّطْحُ خِلَافُ ٱلشَّرْعِ وَهُوَ كَٱلإِسْرَافِ ... ٱلوَلِيُّ مَحْفُوظٌ عَنْ مِثْلِهِ بِٱللِّسَانِ وَٱلأَطْرَافِ
مَا يَقُولُهُ عَنِ ٱلأَوْلِيَاءِ ٱلنُّقَّادُ وَٱلكُتَّابْ: ... "خَرَجَ ٱلوَلِيُّ بِشَطْحِهِ مِنَ ٱلإِيمَانِ بِأَوْسَعِ ٱلأَبْوَابْ"
هَذِهِ مُغَالَطَاتٌ وَٱفْتِرَاءَاتٌ تُزَيِّفُ ٱلحَقَائِقْ ... مَمْلُوءَةٌ بِٱلدَّسِّ ٱلشَّنِيعِ عَلَى أَهْلِ ٱلطَّرَائِقْ
مَنْ يَقَعُ بِٱلشَّطْحِ ٱلمُخْرِجِ عَنِ ٱلمِلَّةِ ... فَهُوَ دُونَ ٱلوِلَايَةِ وَفِيهِ عَارِضُ عِلَّةِ
أَوْ يَتْبَعُ مُرْشِدًا نَاقِصًا لَا وَارِدَ لَهُ ... ضَعِيفَ ٱلهِمَّةِ كَثِيرَ ٱلغَفْلَةِ وَٱلسَّهْوْ
اَلأَوْلِيَاءُ هُمْ عُبَّادُ وَزُهَّادُ أُمَّتِنَا ... لَا يَقَعُونَ فِي شَطْحِ غَفَلَاتِنَا وَهَفَوَاتِنَا

قَالَ ٱللَّهُ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحج ٣٨)

قَدْ عَدَّ ٱلصُّوفِيَّةُ ٱلكُمَّلُ هَفَوَاتِ ٱلشَّطْحْ ... كَٱلسَّاعِي لِحَلْبِ قَطِيعٍ ثُمَّ لِلدَّسْتِ نَطَحْ
اَلفَقْرُ: لَا يَزْدَحِمُ عَلَى بَابِ ٱلفَقْرِ ٱلنَّاسْ ... وَيَنَالُهُ ٱلعَارِفُ بِٱلذَّوْقِ ٱلسَّلِيمِ وَٱلإِحْسَاسْ

لِأَنَّ فَقْرَهُ مَمْزُوجٌ بِٱلذِّلَّةِ لِلهِ وَٱلتَّسْلِيمِ يَرْجُو غُفْرَانَ وَرَحْمَةَ رَبِّنَا ٱلعَلِيمِ
لَيْسَ ٱلفَقِيرُ مَنْ خَلَا بَيْتُهُ مِنَ ٱلدِّيبَاجْ بَلِ ٱلفَقِيرُ ٱلَّذِي لِغَيْرِ ٱللهِ لَا يَحْتَاجْ

قَالَ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (فاطر ١٥)

وَهٰذَا يَخْتِمُ ٱلوَلِيُّ رِسَالَتَهُ بِـ: ٱلمُحْتَاجِ ٱلفَقِيرْ وَهٰذَا لُطْفٌ مِنَ ٱللهِ ٱللَّطِيفِ ٱلخَبِيرْ

ٱلفَتْحُ:

فَتْحُ نَوَافِذِ ٱلوَارِدَاتِ، وَهُوَ خِلَافُ ٱلإِغْلَاقْ تَتَسَاقَطُ فِيهِ ٱلحُجُبُ وَتَنْكَشِفُ ٱلأَذْوَاقْ
وَهُوَ إِعَانَةٌ مِنَ ٱللهِ لِعَبْدِهِ بِٱلأَمْدَادِ وَيَكُونُ بِٱلإِخْلَاصِ وَٱلمَعْرِفَةِ وَٱلجَذْبِ ٱلحَادِّ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (فاطر ٢).

ٱلكَامِلُ: هُوَ مَنْ كَمُلَ بِٱلتَّوْحِيدِ عَنْ غَيْرِهِ وَلَاحَ لَهُ ٱلقَبُولُ بِسُلُوكِهِ وَسَيْرِهِ
وَكَمُلَتْ فِيهِ ٱلخِصَالُ ٱلحَسَنَةُ وَٱلآدَابْ حَتَّى صَارَ مُكَمِّلًا لِغَيْرِهِ بِدُعَائِهِ ٱلمُسْتَجَابْ
وَيَكُونُ كَامِلًا مَنْ كَانَ فِي ذَاتِهِ صُورَةً جَامِعَةً لِلْحَقَائِقِ فِي حَيَاتِهِ
ٱلسَّيِّدُ ٱلمَسِيحُ ﷺ كَمَّلَهُ رَبُّهُ بِٱلرُّوحِ وَٱلعُلُومْ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مَوْلَاهُ ٱلحَيُّ ٱلقَيُّومْ
وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَرْسَلَهُ بَعْدَهُ بِٱلكَمَالَاتِ وَشَرَّفَهُ بِنُزُولِ ٱلقُرْآنِ، وَهُوَ أَعْظَمُ ٱلمُعْجِزَاتِ
لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ٱلكَمَالِ ٱلمُطْلَقِ لِلْوَاحِدِ ٱلقَهَّارِ وَكَمَالِ ٱلعَبْدِ ٱلمُقَيَّدِ فَهُوَ غَيْرُ كَمَالِ ٱلغَفَّارِ

ٱليَقِينُ: مَا تُشَاهِدُهُ عَيْنُ ٱلصُّوفِيِّ مِنْ كُشُوفَاتِ يَتَيَقَّنُ بِسَلَامَتِهَا قَلْبُهُ بِحَسَبِ ٱلآيَاتِ
فَهِيَ كَٱلتِّرْيَاقِ ٱلشَّافِي لِلصُّوفِيِّ ٱلسَّالِكِ وَمُسَكِّنَةٌ لِسَائِرِ حَوَاسِّهِ مِنَ ٱلطَّوَارِقِ
وَٱليَقِينُ يَعْنِي عَدَمَ قَبُولِ دُخُولِ ٱلشَّكِّ ٱلمُرِيبْ وَٱليَقِينُ هُوَ ٱلمَوْتُ ٱلحَقُّ ٱلرَّهِيبْ
وَهُوَ عِلْمٌ يَكْشِفُ بِهِ ٱلخَفَايَا وَيَقْطَعُ مَسَاوِئَ ٱلشُّكُوكِ بِنُورِ ٱلعِنَايَةْ

(التكاثر ٥ - ٦)

قَالَ تَعَالَىٰ ﷻ ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾

وَهُــوَ مَعْرِفَــةُ رَأْسِ كُــلِّ حَقِيقَــةِ مِنْ خِلَالِ ٱلنُّصُوصِ وَأَسْرَارِ ٱلطَّرِيقَةِ
وَٱلْيَقِينُ : رُؤْيَةُ ٱلأَشْيَاءِ بِدَلَائِلِ ٱلتَّوْحِيدِ وَمُشَاهَدَةُ حَقَائِقِ خَفَايَا بَاطِنِ ٱلعَبِيدِ

ٱلْمَقَامُ :

يَكُونُ فِي كُلِّ ٱلْمَرَاتِبِ ، وَأَهْلُ ٱلْمَقَامِ بِهِ يُسَمَّوْنَ وَبِوَاسِطَتِهِ يَنْتَقِلُ ٱلسَّالِكُونَ وَيَرْتَقُونَ
وَٱلْمَقَامُ مَا يَقُومُ بِهِ ٱلْمُرِيدُ مِنَ ٱلْمُجَاهَدَاتِ حَتَّى يَنْتَقِلَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ ٱلعِبَادَاتِ

قالت الملائكة ﷺ : (الصافات ١٦٤)

يَجْمَعُ ٱلْمَقَامُ ٱلْقُرْبَ وَٱلْبُعْدَ وَٱلعُلُومْ ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾
لَا يَهْوَى ٱلصُّوفِيُّ وَلَا يَأْنَسُ بِٱلإِقَامَةْ فِي مَقَامٍ ظَهَرَ لَهُ فِيهِ نُورٌ وَعَلَامَةْ
فَمَنْ لَهُ بِسُلُوكِ ٱلْمَعَارِفِ مُتَابَعَةْ تَأْبَى نَفْسُهُ أَنْ تَكُونَ عَلَى عَرْشِ ٱلْمَقَامِ مُتَرَبِّعَةْ
حَيْثُ يَشُدُّهَا جَمَالُ ٱلْمُتَابَعَةِ وَيَدْفَعْ إِلَى فَضَاءِ مُشَاهَدَةِ ٱلْمَعْرِفَةِ ٱلأَرْفَعْ
مَنْ يَأْنَسْ بِغَيْرِ مَوْلَاهُ وَيَهْوَى ٱلْمُشَاهَدَةْ تَذْهَبُ نَفْسُهُ مَعْ أَيَّةِ بَرْقَةٍ شَارِدَةْ
مَنِ ٱسْتَلَذَّ بِٱلْبَوَارِقِ صَارَ فِيهَا مُقِيمًا فَيَكُونُ ذَلِكَ عِقَابًا لَهُ وَتَعْتِيمًا
يَقِفُ ٱلسَّالِكُ عَلَى ٱلْمَقَامِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ فَيُتَابِعُ سَيْرَ سُلُوكِهِ وَلِلْمَخَاطِرِ يَخْتَرِقُ
يَكُونُ وُقُوفُهُ سَرِيعًا نَتِيجَةَ ٱلدَّهْشَةِ لِمَا يُصَادِفُهُ فَيُصَابُ قَلْبُهُ وَلَطَائِفُهُ بِٱلرَّعْشَةِ
فَوُقُوفُهُ بُرْهَةً يَكُونُ وُقُوفَ ٱحْتِرَامْ أَمَّا إِذَا طَالَ فَبِوُقُوفِهِ يُضَامْ
قَالَ ٱلدُّكْتُورُ ٱلْحِفْنِيُّ عَنْ مَقَامِ ٱلِاسْتِغْرَاقِ مَا يُغْرِي بِٱلْمَزِيدِ مِنَ ٱلعَمَلِ وَٱلأَشْوَاقِ
"أَنْ لَا يَلْتَفِتَ قَلْبُ ٱلذَّاكِرِ لِلذِّكْرِ أَثْنَاءَ ٱلذِّكْرِ وَلَا لِلْقَلْبِ"[1] (وَٱلفِكْرِ)

ٱلْمَجْذُوبُ :

مَنْ شَدَّهُ ٱلْحَالُ لِلْحَدَثِ ٱلَّذِي كَانَ وَارِدًا وَرَدَّ لَهُ قَلْبُهُ بَعْدَمَا كَانَ شَارِدًا
وقد يصبح لإحساسه الروحي شفافية الملاحظة فيهتز للوارد النوراني شوقا في كل لحظة

(١) الموسوعة الصوفية : د. عبد المنعم الحفني ، (مكتبة مدبولي – القاهرة ، ط ١ – ٢٠٠٣ م) ، ص ١٣٧ .

وَدَفَعَتْهُ الْعِنَايَةُ الإِلَهِيَّةُ لِلرِّضَى   وَنَالَ الْقُرْبَ لِصَبْرِهِ عَلَى الْقَضَا

وَازْدَادَ تَفَكُّرُهُ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ   وَحَافَظَ عَلَى نَوَافِلِ الصَّلَاةِ وَالْفَرْضِ

فَحَازَ الْمِنَحَ وَالْمَوَاهِبَ وَسُمُوَّ الْقَلْبِ   وَكَانَ خَالِيًا مِنَ التَّوَهُّمَاتِ وَعَرَاقِيلِ الدَّرْبِ

مَنْ رَآهُ ظَنَّهُ فَاقِدَ الْعَقْلِ   لِمَا عِنْدَهُ مِنْ مُكَاشَفَاتٍ شَدِيدَةِ الثِّقَلِ

الْمَحْوُ: يَمْحُو كُلَّ شَيْءٍ فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ   سِوَى ذِكْرِ اللهِ ﷻ وَهَذَا خَاصٌّ بِالْمُحِبِّينَ

الْهِمَّةُ: هِيَ قُدُرَاتٌ نُورَانِيَّةٌ فَعَّالَةْ   وَهَبَهَا لِلطَّائِعِ رَبُّنَا تَعَالَى ﷻ

يَمُدُّ اللهُ تَعَالَى بِهَا خُبَرَاءَ التَّرْبِيَةِ   لِمُعَالَجَةِ قُلُوبِ وَنُفُوسِ الأُمَّةِ الْمُتْعَبَةِ

بِالْهِمَّةِ يَدْفَعُ الْمُرْشِدُ مُرِيدَهُ لِلْعَمَلْ   فَيُعِيرُهُ مِنْهَا لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى مَا حَمَلْ

وَبِهَا يَخْتَرِقُ السَّالِكُ مَرَاتِبَ الْمَقَامَاتْ   وَيَظْهَرُ عَلَى صَاحِبِ الْهِمَّةِ الْكَرَامَاتْ

الْهِمَّةُ تَحْمِلُ صَاحِبَهَا لِفَضَاءِ التَّرَقِّي   وَتُوقِظُ الْقَلْبَ، وَمِنَ الأَدْرَانِ تُنَقِّي

مَنِ ازْدَادَتْ عَلَيْهِ عَوَارِضُ الْهِمَّةِ   كَانَ أَسْرَعَ مِنْ غَيْرِهِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْقِمَّةِ

الْهِمَّةُ فِيهَا اهْتِمَامٌ لِإِنْجَازِ الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ   وَعَقْدِ النِّيَّةِ لِلسَّيْرِ نَحْوَ مَرْضَاةِ الْمَحْبُوبِ

فَيُخَصِّصُ السَّالِكُ مَا عِنْدَهُ مِنْ هِمَّةٍ لِلطَّاعَاتِ   وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَجِّهَهَا لِدُنْيَا الصِّنَاعَاتِ

الصُّوفِيُّ يَسْتَصْحِبُ الدُّنْيَا فِي الأَبْدَانِ   وَيَسْتَوْحِشُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَيَصْرِفُ هِمَّتَهُ لِلرَّحْمَنِ ﷻ

الْهَيْبَةُ: حَالَةٌ رُوحِيَّةٌ عَلَى الْوُجُوهِ تَرْتَسِمْ   يَنَالُهَا مَنْ لِلْوِلَايَةِ قَدْ أَتَمّْ

وَالْهَيْبَةُ مِنْ إِشَارَاتِ رُقِيِّ الْوَلِيِّ   تَتَوَلَّدُ عَظَمَتُهَا مِنْ نُورِ التَّجَلِّي

فَالْهَيْبَةُ تُورِثُ صَاحِبَهَا الْوَقَارْ   وَيَحْمِيهِ اللهُ ﷻ بِهَا مِنْ شُرُورِ الإِنْكَارْ

الْمُصَابُ:

يُصَابُ الإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَتَقَيَّدُ بِالأَوْهَامْ   وَلَا يَتْبَعُ الشَّرِيعَةَ الَّتِي تَجْعَلُ فِي الْبَاطِنِ انْسِجَامْ

فَيَقَعُ تَحَالُفٌ بَيْنَ نَفْسِهِ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانِ   فَيَزْدَادُ عِنَادًا وَيَقَعُ بِحَبَائِلِ الْخِذْلَانِ

وَيَصِيرُ ضَائِعًا فَتَتَجَاذَبُهُ أَفْكَارُهُ التَّخَاطُرِيَّةْ   وَيَقَعُ فِي مَزَالِقَ تَزِيدُ مِنْ إِصَابَتِهِ الْعَقْلِيَّةْ

وَيَدَّعِي أَنَّهُ يَتَلَقَّى إِشَارَاتٍ مِنْ صَاحِبِ الزَّمَانِ   وَيُعْطِي نَفْسَهُ مَقَامَاتٍ بِتَسْوِيلٍ مِنَ الشَّيْطَانِ

فَيُسَبِّبُ لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ تَبِعَهُ ٱلْجُنُونَ وَٱلْوَسْوَاسْ
وَهَـٰذِهِ أَعْظَـمُ إِصَـابَةٍ تَضُـرُّ بِـالْحَـوَاسّ

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ (البقرة ١٠٢)

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : تَتْبَعُ وَتَعْمَلُ بِهِ ، وَقَالَ عَطَاءُ ﷺ : تَتَحَدَّثُ وَتَتَكَلَّمُ بِهِ . (تفسير الإمام البغوي ، للإمام أبي محمد الحسين ، ج١ ص ٩٨ ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، ط ٢ ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٩٨٧م)

ٱلتَّغَيُّرُ: شُعُورٌ وَحَالَةٌ رُوحِيَّةٌ تَبْحَثُ عَنْ ضَائِعِ
جَرَّبَ صَاحِبُهَا وَتَعَاطَى مَعَ كَثِيرٍ مِنَ ٱلصَّنَائِعِ

وَأَصَـابَهُ فَـرَاغٌ مُـؤْلِمٌ وَقَـبْضٌ وَمَلَـلْ
وَهُوَ يَسْعَى لِلْخَلَاصِ وَلِلْخُرُوجِ مِنَ ٱلْعِلَلْ

فَإِذَا دَخَلَ ٱلْمَرْءُ بِمَسَالِكِ وَتَجَارِبِ ٱلصُّوفِيَّةْ
فَقَدْ غَيَّرَ مَا بِنَفْسِهِ مِـنْ مَسَـالِكَ رُوحِيَّـةْ

فَـلَا يُطْلَـبُ مِنْـهُ تَـرْكُ مَحَبَّـةِ نَبِيِّـهِ
بَـلْ تَـرْكُ ٱللَّغْـوِ وَمَـا هُـوَ فِيـهِ

فَقَدْ يَتْرُكُ عِبَادَةَ مَا يَنْحِتُونَ مِـنْ أَصْنَامْ
وَيُـؤْمِنُ بِٱلْإِلَـهِ ٱلْوَاحِـدِ ٱلْمَلِـكِ ٱلْعَـلَّامْ

فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِعِيسَى ﷺ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَلَهُ أَجْرَانِ
وَهَذَا تَصْحِيحٌ لِمَا كَانَ فِيـهِ وَزِيَـادَةُ إِيمَـانِ

فَهُوَ رَبِحَ ٱلْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَمْ يَخْسَرِ ٱلْمَسِيحَ ﷺ
غَيَّرَ سُلُوكَ رُوحَانِيَّتِهِ لِيَطْمَئِنَّ وَيَسْتَرِيحَ

وَلَمْ يَكُنِ ٱلتَّغَيُّرُ مُضِرًّا كَٱلِانْتِقَالِ إِلَى ٱلتَّعَاسَةْ
وَسَتَظْهَرُ لَهُ ٱلْحَقَائِقُ بَعْدَمَا يَنَالُ ٱلْفِرَاسَةْ

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد ٢٨)

كِفْلَيْنِ أَيْ نَصِيبَيْنِ لِإِيمَانِكُمْ أَوَّلاً بِعِيسَى ﷺ وَثَانِيًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ . (تفسير الفخر الرازي ، للإمام محمد بن عمر الرازي ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، سنة ١٩٨١م ، ج ٢٩ ص ٢٤٨)

ٱلْخَلِيفَةُ : هُوَ مَـنِ ٱكْتَمَلَـتْ فِيـهِ صِفَاتْ
ٱلْإِرْشَـادِ أَثْنَـاءَ تَرْبِيَتِـهِ فِي ٱلْحَيَـاةْ

وَأَصْبَحَ صُـورَةً عَـنِ ٱلْمُرْشِـدِ بِتَرْبِيَتِـهِ
وَصَـارَتْ بَيْعَةُ ٱلْخَلِيفَةِ لِلْإِيمَانِ كَبَيْعَتِـهِ

كَمْ أَصْبَحَتْ مِصْدَاقِيَّةُ ٱلْمُدَّعِينَ مَهْزُوزَةْ
كُلٌّ يَدَّعِي ٱلْخِلَافَةَ وَهِيَ مَعَهُ غَيْرُ مَوْجُودَةْ

عَلَـى ٱلْخَلِيفَـةِ أَنْ يَظْهَـرَ فِي ٱلصُّـورَةْ
ٱلَّتِي ٱسْتُخْلِفَ فِيهَا مِنْ مَعْنَوِيَّاتٍ بِٱلْمَعْمُورَةْ

حَتَّى تَثِقَ فِيهِ وَتَذُوقَ مِنْ خِلَافَتِـهِ ٱلْعِبَادْ
وَيُظْهِرَ لِلْقُلُوبِ مَا عِنْدَهُ مِنْ نُورِ ٱلْإِرْشَادْ

(١) التعريفات : للإمام محمد بن علي الجرجاني ، ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٨ م ، ص ٥١.

مِـنْ تَوجُّهَـاتٍ قَلْبِيَّـةٍ نَالَهَـا كَأَمَانَـةٍ   لِيُفِيدَ بِهَا ٱلمُؤْمِنِينَ مِـنَ ٱلخَاصَّـةِ وَٱلعَامَّـةِ
فَـإِذَا لَمْ يَظْهَـرْ مِنْـهُ فَوَائِـدُ رُوحِيَّـةٌ   فَخِلَافَتُهُ لَا تَصْلُحُ لِمُعَالَجَةِ ٱلعِلَلِ ٱلقَلْبِيَّةْ

تَزَاوُرُ ٱلْأَرْوَاحِ :

لِلهِ رِجَـالٌ يَسْـلُكُونَ بِـأَرْوَاحِهِمْ   يَزُورُونَ بِـٱلرُّوحِ مَـنِ ٱلفَاتِحَـةَ أَهْدَاهُمْ
إِنْ أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ ﷻ ٱلتَّصْرِيفَ وَفَكَّ قُيُودَهُمْ   يَظْهَرُ مِنْهُمُ ٱلعَجَائِبُ بِحَسَبِ مَا يُمِدُّهُمْ مَعْبُودُهُمْ
يَهْتَمُّ ٱلمُرِيدُ وَيَتَمَنَّى زِيَارَةً مِـنَ ٱلأَرْوَاحِ   وَيَعُـدُّهَا فَتْحـًا وَتَسْـخِيرًا مِـنَ ٱلفَتَّـاحِ ﷻ
أَخْبَرَنَـا ٱلـنَّبِيُّ ﷺ أَنَّ ٱلأَرْوَاحَ تَتَـزَاوَرُ   فَلَا تَعْجَبْ فَٱلْأَرْوَاحُ مَعَ ٱلسَّالِكِ تَتَحَاوَرُ
يَطْـوِي ٱللهُ لِـرُوحِ ٱلْـوَلِيِّ كُـلَّ بَعِيـدِ   وَيُعَـالِجُ ٱلمُرْشِـدُ بِـٱلتَّزَاوُرِ قَلْـبَ ٱلمُرِيـدِ
إِذَا نَـامَ ٱلإِنْسَـانُ كَـانَ لَـهُ سَـبَبٌ   لِتَجْـرِيَ فِيـهِ ٱلـرُّوحُ بِحَسَـبِ ٱلطَّلَـبْ (الدعاء)
فَتَبْلُـغُ حَيْـثُ شَـاءَ لَهَـا ٱللهُ أَنْ تَجْـرِي   مَـا دَامَ ٱلإِنْسَـانُ نَائِمـًا إِلَى ٱلفَجْـرِ
وَإِذَا رَجَعَـتْ إِلَى ٱلبَـدَنِ ٱنْتَبَـهَ ٱلإِنْسَـانُ   فَٱلبَعْضُ لَا يَطِيبُ عَيْشُهُ إِلَّا بِٱلسُّجُودِ لِلرَّحْمٰنِ ﷻ

أَخْرَجَ ٱلنَّسَائِيُّ عَنْ خُزَيْمَةَ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ فِي ٱلمَنَامِ كَأَنِّي أَسْجُدُ عَلَى جَبْهَةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ ﷺ :"**إِنَّ ٱلرُّوحَ لَتَلْتَقِي بِٱلرُّوحِ**"[1] .

قَالَ ٱليَافِعِيُّ :" رُؤْيَةُ ٱلمَوْتَى فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ نَوْعٌ مِنَ ٱلكَشْفِ يُظْهِرُهُ ٱللهُ تَبْشِيرًا ، أَوْ مَوْعِظَةً ، أَوْ لِمَصْلَحَةِ ٱلمَيِّتِ ، أَوْ إِسْدَاءَ خَيْرٍ لَهُ ، أَوْ قَضَاءَ دَيْنٍ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . ثُمَّ هَذِهِ ٱلرُّؤْيَةُ قَدْ تَكُونُ فِي ٱلنَّوْمِ وَهُوَ ٱلغَالِبُ ، وَقَدْ تَكُونُ فِي ٱليَقْظَةِ وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ ٱلأَوْلِيَاءِ ﷺ أَصْحَابِ ٱلأَحْوَالِ ". (شرح الصدور ص ٣٥٠)

أَخْرَجَ ٱلبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ ٱلإِيمَانِ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلعَاصِ ﷺ قَالَ:إِنَّ ٱلأَرْوَاحَ يُعْرَجُ بِهَا فِي مَنَامِهَا إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَتُؤْمَرُ بِٱلسُّجُودِ عِنْدَ ٱلعَرْشِ ، فَمَنْ كَانَ طَاهِرًا يَسْجُدُ عِنْدَ ٱلعَرْشِ وَمَنْ كَانَ لَيْسَ بِطَاهِرٍ سَجَدَ بَعِيدًا عَنِ ٱلعَرْشِ . (شرح الصدورص٢٧٣)

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور، للإمام جلال الدين السيوطي ﷺ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م ،ص ٢٧٣.

تَعْذِيبُ ٱلنَّفْسِ :

يُدْخِلُ ٱلصُّوفِيُّ نَفْسَهُ فِي مَيْدَانِ ٱلتَّعْذِيبْ لِتَتَدَرَّبَ إِذَا جَاءَهَا يَوْمٌ عَصِيبْ
وَلِيَرْدَعَهَا كَيْ لَا تَنْحَرِفَ عَنْ هَدَفِهِ ٱلْمَنْشُودْ فَتَعْذِيبُهُ لَهَا مَوْصُوفٌ بِٱلشَّرْعِ وَلَهُ حُدُودْ
لَا تَعْذِيبَ عِنْدَ ٱلصُّوفِيَّةِ لِلنَّفْسِ بِمُنْكَرٍ بَلْ هُوَ لِزَجْرِهَا عَنِ ٱرْتِكَابِ كُلِّ سُوءٍ مُحْتَقَرٍ
فَلَا يَجُوزُ تَعْذِيبُهَا بِشَيْءٍ مُخَالِفٍ لِلشَّرِيعَةِ كَٱلْحَرْقِ وَٱلضَّرْبِ ٱلْمُبَرِّحِ بِطَرِيقَةٍ مُرِيعَةٍ
إِنَّمَا يَكُونُ بِحِرْمَانِهَا مَا تَهْوَى مِنَ ٱللَّذَّاتِ لِتَنْقَادَ بِسُهُولَةٍ إِلَى ٱلالْتِزَامِ بِمَا جَاءَ بِٱلآيَاتِ
وَتِلْكَ ٱلْخُشُونَةُ جِهَادٌ حَقِيقِيٌّ مَطْلُوبْ لِتَصِلَ إِلَى ٱلتَّزْكِيَةِ وَتُشَارِكَ ٱلْقُلُوبَ

قَالَ تَعَالَى ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس ٩-١٠)

إِذَا تَغَلَّبَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَقَدْ فَازْ وَإِذَا غَلَبَتْهُ يَخْسَرُ مَقَامَ ٱلامْتِيَازْ

جاء في القرآن الكريم :

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (يوسف ٥٣)

وَقَالَ ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت ٦٩)

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : "أَعْدَى أَعْدَائِكَ نَفْسُكَ ٱلَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ" . (كشف الخفاء ج ١ ص ١٤٣)

ٱلذَّوْقُ : هُوَ لَطِيفَةٌ لِلشُّعُورِ بِٱلإِحْسَاسِ مُنَوَّرَةْ مُنْبَثِقَةٌ مِنَ ٱلأَعْصَابِ ٱلرُّوحِيَّةِ ٱلْمُؤَثِّرَةْ
تُدْرِكُ بِهِ ٱلْحَوَاسُّ ٱلأَذْوَاقَ ٱلْخَفِيَّةْ بَعْدَ وُصُولِهَا لِلأَعْصَابِ ٱلْقَابِلَةِ ٱلْبَاطِنِيَّةْ
يُفَرِّقُ بِنُورِهِ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ وَيَمْلأُ قَلْبَهُ خَيْرَاتٍ كَكُلِّ وَاصِلِ
وَيَسْتَعْمِلُهُ ٱلذِّهْنُ لإِدْرَاكِ ٱلْعُلُومِ وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ وَعَظَمَاتِ ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﷻ
ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي لَا يَبْدَأُ بِٱلذَّوْقِ لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ بِلُطْفِ ٱللهِ يَذُوقُ وَعَلَى قَلْبِهِ يُجْرِيهِ

ٱلْوُجُودُ : مَا تَطْلُبُهُ فَتَجِدُهُ بِكَسْبِكَ وَٱجْتِهَادِكَ وَمَا تَجِدُهُ مِنَ ٱللهِ بِذَهَابِكَ وَإِيَابِكَ

فضيلة الشيخ الصوفي , الزاهد الأديب عبد المجيدالزعبي ←
(تولد في عكار سنة 1925)

الْحُرِّيَّةُ:

اَلْحُرِّيَّةُ نِعْمَةٌ رَبَّانِيَّةٌ نَالَهَا ٱلْإِنْسَانْ ... وَتُصْبِحُ نِقْمَةً بِتَحَوُّلِهَا لِتَلْبِيَةِ مَطَالِبِ ٱلشَّيْطَانْ

تُحْجَبُ حُرِّيَّةُ ٱلتَّصَرُّفِ ٱلرُّوحَانِيِّ بِحَسَبِ ٱلْحُدُودْ ... فَيَتَأَلَّمُ ٱلسَّالِكُ عِنْدَمَا تُطْبَقُ تِلْكَ ٱلْقُيُودْ

يَتَنَازَلُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا عَنْ حُرِّيَّتِهِ بِٱلتَّصَرُّفِ ... وَيُقَاوِمُ ٱخْتِيَارَاتِهِ ٱلنَّفْسِيَّةَ بِلَا تَخَوُّفِ

فَبَعْدَ تَسْلِيمِ سَائِرِ ٱخْتِيَارَاتِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ ... تَتَبَدَّلُ وَتَنْقَلِبُ مَوَازِينُ حَيَاتِهِ ٱلْيَوْمِيَّةِ

فَيَبْقَى بِٱلِٱنْتِظَارِ وَٱلْمُرَاقَبَةِ لِمَا ٱللهُ يَخْتَارْ ... بَعْدَ أَنْ قَطَعَ ٱلْآفَ ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلْأَخْطَارْ

لِأَنَّهُ يَجْهَلُ مَسَالِكَ ٱلطَّرِيقِ ٱلْخَطِيرْ ... وَكَيْفِيَّةَ ٱلِٱنْطِلَاقَةِ وَإِلَى أَيْنَ يَسِيرْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا** ﴾ (الأحزاب ٣٦)

فَٱلْخِيَرَةُ فِيمَا يَخْتَارُهُ ٱللهُ ﷻ لِلْمُرِيدِ ... فَيَتَلَقَّاهَا إِلْهَامًا وَكَرَامَةً ٱلْمُرْشِدُ ٱلْعَتِيدْ

فَيُعْطِيهِ مُرْشِدُهُ نَوْعًا مِنَ ٱلْحُرِّيَّةِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ ... فَيَمْشِي بِتَعَالِيمِ ٱلشَّرِيعَةِ وَرُمُوزِهَا ٱلنُّورَانِيَّةِ

وَبَعْدَمَا يَصِلُ إِلَى نِهَايَةِ ٱلْقُرْبِ لِلْمَعْبُودْ ... يُعْطَى حُرِّيَّةً نُورَانِيَّةً تَفُكُّ لَهُ ٱلْقُيُودْ

عَدَّ ٱلصُّوفِيَّةُ مُصَادَرَةَ ٱلْحُرِّيَّةِ بِأَنَّهُ تَمْرِينْ ... فَٱنْظُرْ كَيْفَ يَتَأَدَّبُ بِعَزْلِهَا عَنْهُ ٱلسَّجِينْ

حُرِمَ ٱلنَّبِيُّ يُوسُفُ ﵇ بِسِجْنِهِ مِنَ ٱلْحُرِّيَّةِ ... فَصَارَ بِصَبْرِهِ مَلِكًا عَلَى ٱلْبَرِيَّةِ

قَالَ تَعَالَى عَنْ لِسَانِ يُوسُفَ ﵇ ﴿ **رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ** ﴾ (يوسف ٣٣)

الْمُلْتَزِمُ:

هُوَ ٱلتَّقِيُّ ٱلْمُتَمَسِّكُ بِٱلنَّصَائِحِ وَٱلْآيَاتِ ... وَتَطْبِيقِ ٱلْأَوَامِرِ ٱلشَّرْعِيَّةِ بِلَا ٱلْتِفَاتِ

وَٱلْمُرِيدُ ٱلْمُقَاوِمُ ٱلطَّارِدُ لِلْهَوَاجِسِ ٱلْمُعَادِيَةِ ... كَٱلْوَسَاوِسِ وَٱلْخَوَاطِرِ ٱلنَّفْسِيَّةِ ٱلْمُرْدِيَةِ

فَٱلِٱلْتِزَامُ ٱلسَّلِيمُ يَزِيدُ بِٱلْفَهْمِ وَٱلْحِسّ ... وَيُوَسِّعُ ٱلْأَفْكَارَ وَيُقَوِّي ٱلْعَقِيدَةَ وَٱلثِّقَةَ بِٱلنَّفْسِ

فَيَجْتَازُ ٱلْمُرِيدُ بِنَجَاحٍ أُمُورًا بَاطِنِيَّةً مُسْتَعْصِيَةْ ... وَتُحَلُّ عُقَدُهُ وَمَشَاكِلُهُ وَأَمْرَاضُهُ ٱلرُّوحِيَّةْ

لَا بُدَّ لِلْمُلْتَزِمِ مِنَ ٱلْاِسْتِشْعَارِ بِتَغْيِيرِ ... فِي حَيَاتِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ حِينَ ٱنْطِلَاقِهِ وَٱلْمَسِيرِ

كَإِحْسَاسِهِ بِشُعُورٍ جَدِيدٍ يَدْخُلُ عَلَى ٱلْقَلْبْ ... لَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ سَعَادَتِهِ إِلَّا ٱلْإِلَٰهُ ٱلرَّبّ

وَيَزِيدُ مُسْتَوَى طَاقَةِ قُدُرَاتِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ ... فِي ٱخْتِرَاقِ حُجُبِ ٱلسُّلُوكِ ٱلْقَوِيَّةِ

فَٱلْاِلْتِزَامُ دَقِيقٌ كَبَاطِنِ مِينَاءِ ٱلسَّاعَةْ ... أَيُّ غُبَارِ ضَلَالٍ يُمِيتُ ٱلْقَلْبَ وَيُوقِفُ ٱلْمَنَاعَةْ

فَمَنْ عَالَجَ بِصِدْقٍ أَسْبَابَ ٱلْأَعْرَاضِ ... شَفَاهُ مَوْلَاهُ ﷻ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَمْرَاضِ

جاء في القرآن الكريم :

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء ٧٩-٨٠)

مِنَ ٱلْمُهِمِّ ٱلْاِلْتِزَامُ بِطَرِيقَةِ ٱلتَّفْكِيرِ ... وَٱلْبُعْدُ عَنْ سَائِرِ ٱلْبِيئَاتِ ٱلْمُضِرَّةِ بِٱلضَّمِيرِ

سِرُّ ٱلْاِلْتِزَامِ ٱلتَّقَيُّدُ بِشَرِيعَةِ سَيِّدِ ٱلْأَنَامِ ﷺ ... لَا يَزُولُ ٱلْأَمْرُ ٱلصَّعْبُ إِلَّا بِٱلتَّقْوَى وَٱلْاِهْتِمَامِ

ٱلْاِنْفِطَامُ :

ٱلْاِنْفِطَامُ هُوَ بَابُ ٱلسَّالِكِ بِكُلِّ جَوْلَةْ ... لِأَنَّ هَمَّهُ وَشُغْلَهُ ٱلشَّاغِلَ رِضَى ٱلْمَوْلَى ﷻ

فَيُغْلِقُ بَابَ ٱلشَّهَوَاتِ وَيَصُدُّهَا ... وَيَكْبَحُ عُنْفُوَانَ وَسَاوِسِ ٱلْجَوَارِحِ وَيَرْدَعُهَا

وَيَرْبِطُ لِسَانَ ٱلْفَمِ بِحَبْلِ ٱلْآيَاتِ ... وَيَحْرِصُ عَلَى ٱلْمَعِدَةِ مِنْ دُخُولِ ٱلْآفَاتِ

وَيُطْفِئُ نَارَ هَيَجَانِ حَرَارَةِ ٱلْاِضْطِبَارِ ... وَيَسْتَجْلِي ٱلْقَلْبَ عَنِ ٱلْعِلَلِ وَٱلْأَوْزَارِ

وَيُجَابِهُ ٱلنَّفْسَ وَيَرْدَعُهَا عَنِ ٱلْمَعَاصِي ... وَكُلَّمَا تَمَرَّدَتْ وَأَبَتْ يُوَاجِهُهَا بِشِدَّةِ ٱلْبَأْسِ

وَٱلْاِنْفِطَامُ يُدْمِيهَا بِٱلتَّأْدِيبِ وَتُصْبِحُ جَرِيحَةً ... مَشْلُولَةَ ٱلْعِنَادِ عَلَى فِرَاشِ ٱلتَّوْبَةِ طَرِيحَةً

عِنْدَ ٱلْاِنْفِطَامِ يَنْقَشِعُ ٱلْغَيْمُ وَٱلسَّحَابُ ... وَتَتَفَتَّتُ ٱلسَّوَاتِرُ وَيَنْكَشِفُ ٱلْحِجَابُ

وَيَنْهَدُّ عُنْفُوَانُ ٱلْجَوَارِحِ وَلَهِيبُ ٱلْحَشَى ... وَتَهُبُّ رِيَاحُ ٱلْقَبُولِ لِمَنْ عَلَى ٱلدَّرْبِ مَشَى

فَيَتَغَلَّبُ ٱلسَّالِكُ عَلَى أَلَمِ ٱلْأَحْزَانِ وَٱلْكَدَرِ ... وَيَثْبُتُ أَمَامَ عَوَاصِفِ وَعَوَارِضِ ٱلْبَشَرِ

وَيَمْنَعُ أُذُنَيْهِ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ عَنِ ٱلنُّزُولِ ... فَيَحْظَى بِمَقَامَاتِ ٱلْقُرْبِ وَمَنَازِلِ ٱلْقَبُولِ

وَعِنْدَهَا لَا يَلْتَفِتُ إِلَى رَغَدِ ٱلْمَآكِلِ وَٱلْمَشَارِبِ ... وَيَهْجُرُ ٱللَّذَّاتِ وَيَسْتَغْنِي عَنْ فَخَامَةِ ٱلْمَآدِبِ

فَيَصِيرُ بِٱلْاِنْفِطَامِ سَاقِيًا بَعْدَمَا كَانَ رَضِيعًا ... وَيُصْبِحُ عَلَى بَابِ ٱلشَّفِيعِ ﷺ وَضِيعًا

اَلصُّورَةُ ٱلْمِثالِيَّةُ :

قَدْ تَسْتَعْمِلُ ٱلصُّوفِيَّةُ تِلْكَ ٱللَّفْظَةْ وَهِيَ حالَةٌ خَفِيَّةٌ تَمُرُّ فِي لَحْظَةْ
بَعْدَمَا يُنْهِي ٱلسَّالِكُ سَيْرَهُ وَبِلَطائِفِهِ يَصِلْ تَتَكَوَّنُ لِكُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ صُورَةٌ بِٱلْمُقَابِلْ
تَتَوَلَّدُ نُورانِيَّاً مِنْ كُلِّ عُضْوٍ شَبِيهٍ لَهُ يَذْكُرُ مَعْ مِثالِهِ حِينَما يَتِمُّ وَصْلُهُ
حَتَّى يَصِيرَ ٱلسَّالِكُ ذَا شَخْصِيَّةٍ نُورانِيَّةٍ ثانِيَةٍ وَكَأَنَّها صُورَتُهُ ظَهَرَتْ فِي مِرْآةٍ صَافِيَةٍ
لِأَنَّهُ إِذا كانَتْ لَطائِفُهُ بِٱللهِ مَشْغُولَةً قَطَعَتِ ٱلْمَراحِلَ ٱلْمَعْهُودَةَ وَأَصْبَحَتْ مَقْبُولَةً
فَتَقُومُ ٱلْمِثالِيَّةُ بِدَوْرِ ٱلتَّرْبِيَةِ بِٱهْتِزازْ فِي تَزاوُرٍ نُورانِيٍّ عَجِيبٍ تُوصِلُهُ بِسَيِّدِ ٱلْحِجازْ ﷺ
قال ﷻ : (النساء ١٥٧)
﴿ ...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ اِعْتَبَرُوا ٱلصُّورَةَ ٱلْمِثالِيَّةَ ٱلْمَسِيحَ عليه السلام نَفْسَهُ عِنْدَهُمْ
وَٱللهُ بِحِفْظِهِ أَلْقاها عَلَى خَصْمِ ٱلْمَسِيحْ عليه السلام لِيَرْحَلَ عِيسَى عليه السلام عَنْهُمْ وَمِنْهُمْ يَسْتَرِيحْ
قَدْ يُشاهِدُ ٱلنَّائِمُ أَنَّهُ يَطِيرْ فَتِلْكَ صُورَةٌ مِثالِيَّةٌ تَقُومُ بِدَوْرِها ٱلْخَطِيرْ
وَهِيَ مِنْ أَحْوالِ ٱلْأَوْلِياءِ ٱلْكامِلِينَ وَكِبارِ ٱلصُّوفِيَّةِ أَهْلِ ٱلْهِمَّةِ ٱلْواصِلِينَ
يَصْنَعُ ٱلْبَعْضُ شَكْلاً عَلَى صُورَةٍ تَمْثالْ لِيُمَثِّلَ أَحَدَ ٱلْأَشْخاصِ ٱلْمُهِمِّينَ ذَلِكَ ٱلْمِثالْ
اَلصُّورَةُ ٱلْمِثالِيَّةُ تُلازِمُ ٱلذَّاكِرَ كَظِلِّ[1] ٱلرِّجالِ وَتَحْضُرُ خاصَّةً عِنْدَ ٱلذِّكْرِ فِي ذَلِكَ ٱلْمَجالِ
فَهِيَ حالَةٌ ثَمِينَةٌ وَمَقامٌ رَفِيعٌ نادِرْ لا يَصِلُ إِلَيْها إِلَّا بَعْدَ ٱلْفَناءِ ٱلذَّاكِرْ
فَمَنْ حَلَّقَ بِرُوحِهِ بِجَوانِحِ ٱلْوُصُولْ فَعَيْنُ قَلْبِهِ تَعِي ٱلْمِثالِيَّةَ وَما أَقُولْ
لَوْ تَعَمَّقَ ٱلْإِنْسانُ بِمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ وَحَياتِهِ لَوَجَدَ أَنَّهُ عالَمُ مَعْرِفَةٍ بِحَدِّ ذاتِهِ

جاءَ فِي ٱلْمُعْجَمِ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْأَساسِيِّ فِي مَعْنَى (ٱلْمِثالِ) أَنَّهُ :"صُورَةُ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذِي تُمَثِّلُ صِفاتِهِ" ،"يَعْمَلُ عَلَى مِثالِ فُلانٍ " . وَجاءَ فِي (ٱلْمِثالِيّ) أَنَّهُ :"مَنْسُوبٌ إِلَى ٱلْمِثالِ"، "ما يُقْتَدَى بِهِ"، "صُورَةٌ مِثالِيَّةٌ".

(المعجم العربي الأساسي : تأليف جماعة من كبار اللغويين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الناشر : مؤسسة لاروس العالمية ، ص ١١١٨).

(١) لَيْسَ ظِلًّا لا حَرَكَةَ فِيهِ جامِدًا بَلْ ظِلًّا نُورانِيًّا ذاكِرًا حامِدًا

فَرَاسَةُ ٱلنَّبَرَاتِ وَٱلبَصَمَاتِ :

هِيَ نُورٌ يَأْتِي بَعْدَ تَمَكُّنِ ٱلسَّالِكِ فِي ٱلطَّاعَاتِ ... فَيَرَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ مِنْ عَلَامَاتِ

وَهِيَ عَيْنُ مَعْرِفَةِ ٱلصُّوفِيِّ وَمِصْبَاحُهُ ... وَهِيَ أَسَاسٌ مَتِينٌ لِلتَّشْخِيصِ وَفَلَاحِهِ

يُلَاحِقُ بِهَا ٱلحَدَثَ ٱلمُهِمَّ وَٱلعَارِضْ ... وَيُمَيِّزُ بِهَا حَقِيقَةَ ٱلخَيَالِ مِنَ ٱلوَارِدْ

لَا تُخْطِئُ عَيْنُهُ فِي ٱلخَبَرِ ٱلَّذِي تَرَاهُ ... فَفِيهَا سِرٌّ مِنَ ٱلإِلَهِ مَوْلَانَا ﷻ أَجْرَاهُ

فَرَاسَةُ ٱلمُؤْمِنِ هِيَ مِرْآةُ قَلْبِهِ ... وَتُرْجُمَانُ لِسَانِ بَاطِنِ حَالِهِ

تَكْشِفُ عَنْ نَظَافَةِ أَوْ زَغَلِ ٱلبَاطِنِ ... تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا فِي سَائِرِ ٱلمَوَاطِنِ

هَذَا لِمَنْ قَطَعَ أَشْوَاطًا بِٱلقَلْبِ وَٱللِّسَانِ ... فَيُمْنَحُ مَرْتَبَةُ ٱلتَّفَرُّسِ مِنَ ٱلرَّحْمَنِ ﷻ

فَتَنْكَشِفُ لَهُ نَبَرَاتُ ٱللِّسَانِ وَٱلأَفْكَارِ ... حِينَ سَمَاعِ ٱلأَصْوَاتِ عِنْدَ ٱلِاخْتِبَارِ

مِنْهَا يَعْلَمُ نَبَرَاتِ صَوْتِ صَاحِبِهَا ... مِنْ لَحْنِ ٱلصَّوْتِ وَيَعْلَمُ تَلَاعُبَهَا

فَلِلْعَيْنِ فَرَاسَةٌ وَلِلسَّمْعِ وَٱلأُذُنِ ... مِنَ ٱلنَّبَرَاتِ يَعْرِفُ ٱلفَرَحَ مِنَ ٱلحُزْنِ

جَاءَ فِي ٱلقُرْآنِ ٱلكَرِيمِ ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ (محمد ٣٠)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ[1] ﴾ (الحجر ٧٥)

ٱلطَّبِيبُ لَه فَرَاسَةٌ بِوُجُوهِ مَرْضَاهُ ... مِنْ لَوْنِ ٱلوَجْهِ يَعْرِفُ عِلَّةَ شَكْوَاهُ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلخُدْرِيِّ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: "اِتَّقُوا فَرَاسَةَ ٱلمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ ٱللهِ"، ثُمَّ قَرَأَ ﷺ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ .(رواه الإمام الترمذي ؓ)

قَالَ ٱبْنُ ٱلقَيِّمِ ٱلجَوْزِيَّةُ :"... فَإِنَّ ٱلنَّفْسَ إِذَا تَجَرَّدَتْ عَنِ ٱلعَوَائِقِ صَارَ لَهَا مِنَ ٱلفَرَاسَةِ وَٱلكَشْفِ بِحَسَبِ تَجَرُّدِهَا ، وَهَذِهِ فَرَاسَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ ٱلمُؤْمِنِ وَٱلكَافِرِ[2] ، وَلَا تَدُلُّ عَلَى

(١) في تفسير كلمة ﴿ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قال مجاهد ؓ :"لِلْمُتَفَرِّسِينَ". معالم التنزيل : للإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي ؓ ، (دار المعرفة ـ بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م) ، ج ٣ ـ ص ٥٥ .

(٢) للمؤمن كشف نوراني نافع ، وللكافر كشف ظلماني ضار ، وعَبَّر بكلمة فراسة لأن الناس معتادة عليها .

إِيمَانٍ وَلَا عَلَى وِلَايَةٍ ، وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلْجُهَّالِ يَغْتَرُّ بِهَا ، وَلِلرُّهْبَانِ فِيهَا وَقَائِعُ مَعْلُومَةٌ وَهِيَ فِرَاسَةٌ لَا تَكْشِفُ عَنْ حَقٍّ نَافِعٍ وَلَا عَنْ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ بَلْ كَشْفُهَا جُزْئِيٌّ مِنْ جِنْسِ فِرَاسَةِ ٱلْوُلَاةِ وَأَصْحَابِ عِبَارَةِ ٱلرُّؤْيَا وَٱلْأَطِبَّاءِ وَنَحْوِهِمْ"[1] .

اَلشُّعُورُ بِٱلْحَرَارَةِ ٱلْمُضِرَّةِ :

إِذَا ٱسْتَشْعَرَ ٱلسَّالِكُ حَرَارَةْ ... فِي مَنَاطِقِ لَطَائِفِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ ٱلسَّيَّارَةْ

وَشَعَرَ بِٱنْزِعَاجٍ مُؤْلِمٍ وَهَيَجَانٍ ... فَهُوَ مُعَرَّضٌ لِهُجُومِ مُكَاشَفَةِ إِنْسٍ أَوْ جَانٍّ

يَتَوَجَّهُ ٱلْمُؤْذِي بِأَنْظَارِهِ نَحْوَ لَطَائِفِ ٱلْمُصَابِ ... فَعَلَى ٱلسَّالِكِ مُغَادَرَةُ ٱلْمَكَانِ ٱلْمُعَابِ

حَتَّى لَا تَمْتَدَّ تِلْكَ ٱلنَّظَرَاتُ إِلَى قَلْبِهِ ... فَتُسَبِّبُ لَهُ ضَرَرًا وَتَزِيدُ فِي تَعَبِهِ

فَيَجِبُ أَنْ يُبَرِّدَ لَطَائِفَهُ مِنَ ٱلسُّخُونَةِ ٱلْمُضِرَّةِ ... بِٱلْمُرَاقَبَةِ وَحُضُورِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْأَوْرَادِ ٱلْمُقَرَّرَةِ

فَكُلُّ لَطِيفَةٍ يَتَحَسَّسُ فِيهَا بِٱلْحَرَارَةِ ... دَلِيلٌ عَلَى تَعَرُّضِهِ إِلَى ٱلرُّمُوزِ ٱلْمُشَارَةِ

وَٱلْحَرَارَةُ نَوْعَانِ: إِحْدَاهُمَا مُضِرَّةٌ خَالِيَةٌ مِنَ ٱللَّذَّةِ ... وَٱلثَّانِيَةُ مَمْلُوءَةٌ بِٱلنَّفَحَاتِ مِنْ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ

فَحَرَارَةُ ٱلنَّفَحَاتِ مُخَصَّصَةٌ لِسُلُوكِ ٱلصُّوفِيَّةِ ... وَحَرَارَةُ ٱلْأَذَى تَضُرُّ بِٱلْأُمُورِ ٱلرُّوحِيَّةِ

لَا يَعْرِفُ جُلَّ رُمُوزِهَا إِلَّا ٱلْمُرْشِدُ ٱلْكَبِيرْ ... بِوَسِيلَةِ ٱلْكَرَامَةِ وَبِأَمْدَادِ ٱلرَّبِّ ٱلْخَبِيرْ

فَإِذَا أَرَادَ تَبْرِيدَ وَمَسْحَ ٱلْمَضَرَّةِ بِنَظْرَةٍ فَائِقَةٍ ... تَوَجَّهَ عَلَيْهَا بِأَنْوَارٍ مُضَادَّةٍ لِلْحَالَاتِ ٱلْخَارِقَةِ

اَلْجَمْعِيَّةُ ٱلرُّوحِيَّةُ

إِذَا تَجَمَّعَتْ لَطَائِفُ ٱلسَّالِكِ بِوَحْدَةِ ٱلذِّكْرْ ... يَشْتَرِكُ مَعَهَا ٱلْقَلْبُ وَٱلْعَقْلُ وَٱلنَّفْسُ وَٱلْفِكْرْ

فَتَقُومُ بِدَوْرِ ذِكْرٍ مُتَّحِدٍ بِلَا عَارِضٍ ... وَهَذَا دِلَالَةٌ عَلَى إِقْبَالِ ٱلْقَلْبِ لِوَارِدِ

ٱلْبَاطِنِ تَنْتَظِرُ حَالًا آخَرَ لِلتَّرْقِيَةِ ... فَتَعُودُ ٱللَّطَائِفُ بَعْدَهَا مُتَفَرِّقَةً بِأَوْدِيَةِ

فَهِيَ مِنَ ٱلْحَالَاتِ ٱلرَّاقِيَةِ ٱلنَّادِرَةْ ... تَتَجَمَّعُ فِيهَا ٱللَّطَائِفُ ثُمَّ نَرَاهَا مُغَادِرَةْ

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين: للشيخ ابن القيم الجوزية ، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي ، (المكتبة العصرية – بيروت ، ط١ – ٢٠٠٣ م) ج ٢ ص ٣٨٥ .

ٱلصُّوفِي ٱلمَنْظُورُ:

هُوَ مَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ بَلَاءِ مَوْلَاهْ وَمَا بَدَّلَ خَطَّ إِيمَانِهِ وَٱلاتِّجَاهْ

قَاوَمَ ٱلمِحَنَ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِهَوَاهُ رَضِيَ عَنْ رَبِّهِ ﷻ وَلَمْ يَشْكُ إِلَى سِوَاهْ

ٱخْتَصَّهُ مَوْلَاهُ ﷻ لِصَبْرِهِ بِعَظِيمِ رَحْمَتِهِ فَظَهَرَتْ آثَارُ نِعْمَةِ رَبِّهِ ﷻ عَلَى جَبْهَتِهِ

وَهَدَاهُ لِمَنْ يُرْشِدُهُ وَيُرَبِّيهِ بِٱلعِنَايَةِ وَيُسَلِّكُهُ مِنَ ٱلبِدَايَةِ إِلَى رُتَبِ ٱلوِلَايَةِ

وَيُدَرِّبُهُ رُوحِيًّا بِحَسَبِ مَا فِي جُعْبَتِهِ مِنْ فُتُوحَاتٍ مَطْبُوعَةٍ[1] فِي بَرْنَامَجِ صَفْحَتِهِ

فَلِكَثْرَةِ مَا يَظْهَرُ ٱلفَيْضُ عَلَى قَلْبِهِ يَعْرِفُ أَنَّهُ مُقَرَّبٌ مَنْظُورٌ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ

وَقَدْ تَفْشَلُ مُحَاوَلَاتُ ٱلمَكْرِ بِهِ وَٱلإِضْرَارِ لِأَنَّهُ مَحْفُوظٌ بِعِنَايَةِ رَبِّهِ ٱلجَبَّارِ ﷻ

ٱلبُرُودَةُ ٱلرُّوحِيَّةُ:

مَنْ كَانَتْ رُوحُهُ فِي ٱلطَّاعَاتِ كَسُولَةً وَعَلَى حُبِّ مَسَاوِئِ ٱلشَّهَوَاتِ مَجْبُولَةً

فَيُصَابُ بِٱلبُرُودَةِ مِنْ هَذِهِ لِلأَوْقَاتِ وَلِعَدَمِ ٱسْتِيقَاظِ نَفْسِهِ بِحَرَارَةِ ٱلعِبَادَاتِ

فَتَتَكَاسَلُ عِنْدَهُ حَرَكَةُ دَوَرَانِ ٱلتَّفَاعُلِ وَيُنْقِصُ ذَلِكَ مِنَ ٱنْدِفَاعِهِ نَحْوَ ٱلتَّكَامُلِ

وَكَذَا ٱلانْخِرَاطُ فِي سِلْكِ ٱلمُدَّعِينَ لِلْمَقَامَاتِ يُضْعِفُ مِنْ هِمَّتِهِ وَٱلقُدُرَاتِ

فَلْيَبْحَثِ ٱلمُصَابُ عَنْ سَبَبِ وُقُوعِهِ بِٱلعِلَّةِ وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتْ مِنَ ٱلأَصْحَابِ أَوِ ٱلشِّلَّةْ

فَإِذَا أَرَادَ إِعَادَةَ ٱلحَرَارَةِ إِلَى ٱللَّطَائِفِ فَعَلَيهِ صُحْبَةُ ٱلمُرَبِّي لِيَزُودَهُ بِٱلنَّفَحَاتِ وَٱلوَظَائِفِ

فَيَعْزِلُ عَنْهُ ٱلبُرُودَةَ وَيُنْعِشُ ٱلهِمَّةْ وَيُنَقِّي ٱلنَّفْسَ مِنْ بُرُودَتِهَا ٱلمُؤْلِمَةْ

وَلَنْ يَحْصُلَ عَلَى ٱلعِلَاجِ لِإِعَادَةِ ٱلقُدُرَاتِ مِنْ سُطُورِ مُدَّعِي ٱلتَّصَوُّفِ وَأُطْرُوحَةِ ٱلصَّفَحَاتِ

---

(١) يطبع الله على القلب بحسب ما فيه صاحبه من خير أو شر ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون ٣) .

السِّرُّ الخَفِيُّ :

أَمَدَّ اللهُ أَنْبِيَاءَهُ (عليهم السلام) وَأَوْلِيَاءَهُ (رضي الله عنهم) بِأَسْرَارِ ... يَسْتَعْمِلُونَهَا حِينَمَا يَسْتَشْعِرُونَ بِالأَخْطَارِ

يَقْرَأُونَ مِنْهَا عَلَى خِرَقٍ وَرَسَائِلْ ... لِكُلٍّ وَزْنُ سِرٍّ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ مَسَائِلْ

إِذَا أَرْسَلُوا لِعَدُوِّهِمْ هَذِهِ الخِرْقَةْ ... وَلَمَسَهَا فَكَأَنَّهُ أُصِيبَ بِمِطْرَقَةْ

وَالأَوْلِيَاءُ (رضي الله عنهم) يَضَعُونَ مِنَ السِّرِّ بِمِيَاهِ القَنَانِي ... فَإِذَا شَرِبَ المُحِبُّ يَزُولُ مَا كَانَ مِنْهُ يُعَانِي

وَلَهُمْ رَسَائِلُ فِيهَا أَسْرَارٌ مُدْهِشَةْ ... مَنْ قَرَأَهَا زَالَتْ مِنْهُ الوَحْشَةُ وَتَمَلَّكَتْهُ رَعْشَةْ

قَدْ نَقَلَ الكَاتِبُ لِبَعْضِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ ... حِينَمَا أَرْسَلَهُ مُرْشِدُهُ(١) إِلَى بَعْضِ المَمَالِكِ

وَكَانَ ذَلِكَ السِّرُّ مَعَ يُوسُفَ (عليه السلام) بْنِ يَعْقُوبْ (عليهما السلام) ... وَضَعَهُ فِي قَمِيصِهِ بِأَمْرِ عَلَّامِ الغُيُوبْ

اِشْتَمَّ رَائِحَتَهُ يَعْقُوبُ (عليه السلام) مِنْ بَعِيدْ ... فَحِينَمَا لَمَسَهُ شَفَاهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدْ

فَعَادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ بَعْدَ الضَّعْفِ المُؤْلِمْ ... وَعَادَ إِلَيْهِ سُرُورُهُ بَعْدَ الحُزْنِ المُعْتِمْ

جَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ** ﴾ (يوسف ٩٣ – ٩٤). قَالَ الضَّحَّاكُ: "كَانَ ذَلِكَ القَمِيصُ مِنْ نَسْجِ الجَنَّةِ". وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "أَمَرَهُ جِبْرِيلُ (عليه السلام) أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ قَمِيصَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ القَمِيصُ قَمِيصَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، وَذَلِكَ أَنَّهُ جُرِّدَ مِنْ ثِيَابِهِ وَأُلْقِيَ فِي النَّارِ عُرْيَانًا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ (عليه السلام) بِقَمِيصٍ مِنْ حَرِيرِ الجَنَّةِ فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ (عليه السلام)، فَكَانَ ذَلِكَ القَمِيصُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ إِسْحَاقُ (عليه السلام)، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ يَعْقُوبُ (عليه السلام)، فَلَمَّا شَبَّ يُوسُفُ (عليه السلام) جَعَلَ يَعْقُوبُ (عليه السلام) ذَلِكَ القَمِيصَ فِي قَصَبَةٍ وَسَدَّ رَأْسَهَا وَعَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ (فَجَعَلَهُ مُحْرَزًا)(٢) لِمَا كَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ العَيْنِ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُهُ. فَلَمَّا أُلْقِيَ فِي

(١) يقصد الشيخ المرشد عثمان سراج الدين الثاني (قدس سره) ـ كردستان، إيران.

(٢) محرزا: أي محفوظًا من العين.

ٱلبِئْرِ عُرْيَاناً جَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَعَلَى يُوسُفَ ﷺ ذَلِكَ ٱلتَّعْوِيذُ فَأَخْرَجَ ٱلقَمِيصَ مِنْهُ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ. فَفِي هَـٰذَا ٱلوَقْتِ جَاءَ جِبْرِيلُ ﷺ إِلَى يُوسُفَ ﷺ وَقَالَ لَهُ: أَرْسِلْ إِلَى أَبِيكَ ذَلِكَ ٱلقَمِيصَ، فَإِنَّ فِيهِ رِيحَ ٱلجَنَّةِ، لَا يَقَعُ عَلَىٰ سَقِيمٍ وَلَا مُبْتَلَى إِلَّا عُوفِيَ (لِوَقْتِهِ). فَدَفَعَ يُوسُفُ ﷺ ذَلِكَ ٱلقَمِيصَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: أَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً. قَالَ مُجَاهِدٌ: أَصَابَ يَعْقُوبُ ﷺ رِيحَ يُوسُفَ ﷺ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. (تفسير البغوي، ج ٢ ص ٤٤٨)

إِثْبَاتُ ٱبْنِ ٱلقَيِّمِ ٱلجَوْزِيَّةِ لِلْوَاسِطَةِ

أَثْبَتَ ٱلشَّيْخُ ٱلجَلِيلُ ٱبْنُ ٱلقَيِّمِ ٱلجَوْزِيَّةُ[1] ٱلوَاسِطَةَ بَيْنَ ٱللهِ ﷻ وَخَلْقِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَى ٱلنَّاسِ وَمَنَارَةً يَسْتَضِيءُ بِهَا ٱلسَّالِكُونَ.

قَالَ ٱبْنُ ٱلقَيِّمِ ٱلجَوْزِيَّةُ فِي كِتَابِهِ (طَرِيقُ ٱلهِجْرَتَيْنِ) : "وَيَكْفِي فِي فَضْلِهِمْ وَشَرَفِهِمْ (أَيِ: ٱلأَنْبِيَاءُ ﷺ) أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٱخْتَصَّهُمْ بِوَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ أُمَنَاءَ عَلَى رِسَالَتِهِ، وَوَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَخَصَّهُمْ بِأَنْوَاعِ كَرَامَاتِهِ، فَمِنْهُمْ مَنِ ٱتَّخَذَهُ خَلِيلاً، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ مَكَانًا عَلِيًّا عَلَى سَائِرِهِمْ دَرَجَاتٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِعِبَادِهِ وُصُولًا إِلَيْهِ ﷻ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِمْ، وَلَا دُخُولًا إِلَى جَنَّتِهِ إِلَّا خَلْفَهُمْ، وَلَمْ يُكْرِمْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِكَرَامَةٍ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَهُمْ أَقْرَبُ ٱلخَلْقِ إِلَيْهِ وَسِيلَةً، وَأَرْفَعُهُمْ عِنْدَهُ دَرَجَةً، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ، وَبِٱلجُمْلَةِ فَخَيْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ إِنَّمَا نَالَهُ ٱلعِبَادُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَبِهِمْ عُرِفَ ٱللهُ، وَبِهِمْ عُبِدَ وَأُطِيعَ، وَبِهِمْ حَصَلَتْ مَحَابُّهُ تَعَالَى فِي ٱلأَرْضِ"[2].

(١) وهو خليفة الشيخ ابن تيمية ومن كبار تلاميذه.

(٢) التأمل في حقيقة التوسل: تأليف عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري، (دار قرطبة ـ بيروت، ط ١ ـ ٢٠٠١ م)، ص ٤٣٩.

الشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَةَ يُقِرُّ بِالتَّصَوُّفِ وَيَنْتَقِدُ الْمُنْحَرِفِينَ فِيهِ

تَعْرِيفٌ

ابْنُ تَيْمِيَةَ هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ تَيْمِيَةَ الْحَرَّانِيِّ نِسْبَةً إِلَى حَرَّانَ بِالشَّامِ.

آرَاؤُهُ:

قَالَ الْكَاتِبُ: لَقَدْ جَفَلَ الْقَلْبُ حِينَمَا اطَّلَعَ عَلَى آرَاءِ وَاعْتِقَادِ الشَّيْخِ ابْنِ تَيْمِيَةَ بِمَا يَخُصُّ التَّصَوُّفَ وَمَا فِيهِ مِنْ عَوَارِضَ وَأَحْوَالٍ وَمَا تَتَلَقَّاهُ قُلُوبُ أَسْيَادِهِ مِنْ مَقَامَاتٍ وَكَرَامَاتٍ وَوَارِدَاتٍ. أَصَابَتْنِي هِزَّةٌ فِكْرِيَّةٌ لِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ سَلَامَةٍ فِي التَّعْبِيرِ وَ صِدْقٍ فِي الِاعْتِقَادِ وَمَنْفَعَةٍ فِي النَّصَائِحِ لِأَنَّنِي كُنْتُ أَسْمَعُ عَنْهُ خِلَافَ مَا قَرَأْتُ تَمَامًا مِنْ رَفْضِهِ لِلتَّصَوُّفِ وَإِنْكَارِهِ لِلْأَحْوَالِ وَالْكَرَامَاتِ، فَرَجَعْتُ بِأَفْكَارِي إِلَى مَا قَالَتْهُ (الْأَمِيرَةُ بَدِيعَةُ) فِي كِتَابِهَا الْمُمَيَّزِ عَنْ تَزْوِيرِ الْوَثَائِقِ وَتَقْلِيدِ الْخُطُوطِ فِي رَسَائِلِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجَزَائِرِيِّ ﵀، فَقَدْ قَالَتْ: "لَقَدْ بَرَعَ عَدَدٌ مِنَ الْفَرَنْسِيِّينَ بِهَذَا الْفَنِّ (فَنِّ تَقْلِيدِ الْخُطُوطِ)، وَمِنْ أَسَالِيبِهِمْ أَيْضًا كِتَابَةُ الْمُذَكَّرَاتِ الْمُزَيَّفَةِ"[1].

(1) (فكر الأمير عبد القادر الجزائري "حقائق ووثائق" : تأليف وتحقيق الأميرة بديعة الحسني الجزائري، دار الفكر المعاصر -دمشق، ط 1 -2000م، ص 46).

بِدَايَتُهُ

كَانَ الشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَةَ رحمه الله فِي بِدَايَتِهِ يَغْشَى[2] مَجَالِسَ الصُّوفِيَّةِ. إِلَّا أَنَّهُ مِنْ شَبَابِهِ الْبَاكِرِ كَانَ يَرْفُضُ سَمَاعَهُمْ وَرَقْصَهُمْ وَلَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ؛ (يقصد المنحرفين) فَكَانُوا إِذَا أَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي الْحُضُورِ أَفْرَدُوا لَهُ مَكَانًا وَحْدَهُ يُرَاقِبُهُمْ وَلَا يُشَارِكُهُمْ. وَكَانَ عَدُوًّا لِلِابْتِدَاعِ. وَاسْتَعْدَى[3] عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ نَحْوَ الْخَمْسِمِائَةِ مِنْ أَعْضَاءِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ، وَمِنْ هُنَا بَدَأَتِ الْحُرُوبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُنْحَرِفِينَ، وَمَازَالَ النَّاسُ إِلَى عَصْرِنَا يَمُوجُونَ بِأَمْوَاجِ تِلْكَ الْحُرُوبِ.

(2) يَغْشَى: أَيْ يَتَرَدَّدُ عَلَى مَجَالِسِ الصُّوفِيَّةِ.

(3) اِسْتَعْدَى عَلَيْهِ: أَيْ طَلَبَ بَعْضُهُمُ الْمُسَاعَدَةَ فِي الْعُدْوَانِ عَلَيْهِ.

رسائله في التصوف : إنَّ ٱلتَّصَوُّفَ قَدْ حَظِيَ مِنْهُ بِٱلدِّرَاسَةِ كَأَيِّ فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ ٱلمَعْرِفَةِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ، وَلَهُ فِيهِ عَدَدٌ مِنَ ٱلرَّسَائِلِ ٱعْتَمَدَ فِيهَا عَلَى دِرَاسَةِ أَقْوَالِ كِبَارِ مَشَايِخِ ٱلصُّوفِيَّةِ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ رِسَالَتُهُ فِي ٱلتَّصَوُّفِ، وَكِتَابُهُ فِي ٱلسُّلُوكِ ضِمْنَ مَجْمُوعَةِ فَتَاوَاهُ ، وَلَهُ (ٱلتُّحْفَةُ ٱلعِرَاقِيَّةُ فِي ٱلأَعْمَالِ ٱلقَلْبِيَّةِ) وَيَدْرُسُ فِيهَا ٱلمَقَامَاتِ وَٱلأَحْوَالَ .

عقيدته في الرجال : أَبْدَى فِي كُتُبِهِ ٱلأُخْرَى مِثْلِ (دَرْءُ تَعَارُضِ ٱلعَقْلِ وَ ٱلنَّقْلِ) وَ(مِنْهَاجُ ٱلسُّنَّةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ) وَغَيْرِهِمَا عِنَايَةً كَبِيرَةً بِإِسْهَامَاتِ أَكَابِرِ ٱلصُّوفِيَّةِ فِي تَرْسِيخِ ٱلتَّوْحِيدِ وَدَعْمِ أُسُسِ ٱلعَقِيدَةِ ؛ مِنْ أَمْثَالِ ٱلفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ، وَيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ ، وَسَهْلِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلتُّسْتَرِيِّ ، وَبِشْرٍ ٱلحَافِي ، وَعَبْدِ ٱلقَادِرِ ٱلجِيلَانِيِّ ، وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ خَفِيفٍ ، وَأَبِي نُعَيْمٍ ٱلأَصْبَهَانِيِّ وَمُعَمَّرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلأَصْبَهَانِيِّ ، وَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي ٱلحَوَارِيِّ ، وَعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ٱلمَكِّيِّ وَٱلحَارِثِ ٱلمُحَاسِبِيِّ رضي الله عنهم ، وَعَدَّهُمُ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ مِنْ أَئِمَّةِ ٱلسَّلَفِ .

إقراره بالكرامات : وَكَانَ ٱلإِمَامُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ رحمه الله لَا يُقِرُّ ٱلانْحِرَافَاتِ وَلَكِنَّهُ بِٱلمُقَابِلِ يُقِرُّ بِكَرَامَاتِ ٱلأَوْلِيَاءِ ٱلَّتِي يَقُولُ بِهَا ٱلصُّوفِيَّةُ وَهِيَ حَقٌّ بِٱتِّفَاقِ أَئِمَّةِ ٱلإِسْلَامِ وَٱلسُّنَّةِ وَٱلجَمَاعَةِ وَدَلَّ عَلَيْهَا ٱلقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ . وَيَقُولُ :"إِنَّ ٱلمَوَاجِيدَ مِنَ ٱلسُّكْرِ وَٱلوَارِدَاتِ مِمَّا ٱشْتُهِرَ عَنِ ٱلصُّوفِيَّةِ إِذَا كَانَتْ أَسْبَابُهَا مَشْرُوعَةً وَكَانَ صَاحِبُهَا صَادِقًا وَعَاجِزًا عَنْ دَفْعِهَا كَانَ مَحْمُودًا عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنَ ٱلخَيْرِ وَمَعْذُورًا فِيمَا عَجِزَ عَنْهُ وَأَصَابَهُ بِغَيْرِ ٱخْتِيَارِهِ . وَٱلصُّوفِيَّةُ أَصْحَابُ ٱلكَرَامَاتِ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُمْ لِنَقْصِ إِيمَانِهِ وَقَسَاوَةِ قَلْبِهِ ".

منارة العلم النبوي الشريف ، ومنبع المعرفة،سليل بيت النبوة البدر المحمدي سماحة الشيخ محمد هاشم الشريف الخليلي (نسبة للخليل . فلسطين) (و 1867م - ت 1932م) ←

اعترافه بأعمال القلوب

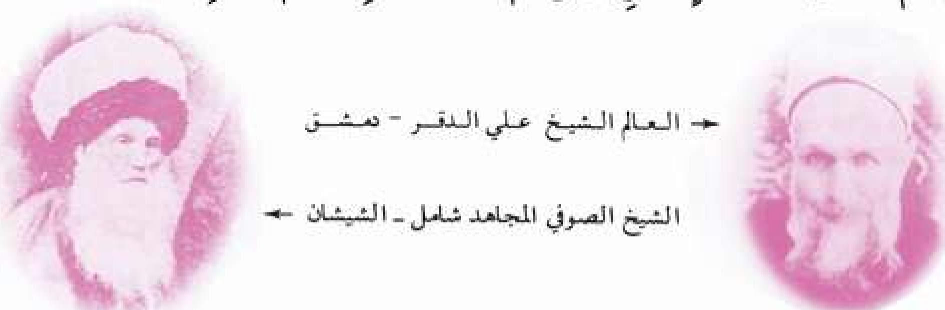
وَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ عَنِ ٱلْمَقَامَاتِ وَٱلْأَحْوَالِ: "إِذَا كَانَتْ فِي إِطَارِ ٱلدِّينِ دُونَ تَجَاوُزٍ وَلَا مُبَالَغَةٍ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْمَالِ ٱلْقُلُوبِ وَمِنْ أَحْوَالِ ٱلإِيمَانِ، وَمِثْلُهَا مِثْلُ مَحَبَّةِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَٱلتَّوَكُّلِ عَلَى ٱللهِ وَٱلإِخْلَاصِ وَٱلشُّكْرِ لَهُ. وَيُخَطِّئُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ ٱلْكَرَامَاتِ ٱحْتِكَارٌ لِلْخَاصَّةِ". وَكَانَ يَقُولُ: "كَلَامُ ٱلسَّكْرَانِ يُطْوَى وَلَا يُرْوَى" (أَيْ إِنَّ ٱلْوَاقِعَ فِي غُيُبُوبَةِ ٱلْحَالِ لَا يُقَلَّدُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَلَا يُذَاعُ لِلنَّاسِ مَا كَانَ مِنْهُ وَصَدَرَ).

تحذيره من الضلال:

كَانَ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ رحمه الله لَا يُقِرُّ ٱلْقَائِلِينَ بِٱلِاتِّحَادِ وَٱلْحُلُولِ عَلَى قَوْلِهِمْ وَيُهَاجِمُهُمْ لِيَدْفَعَ ضَرَرَهُمْ عَنْ أَهْلِ ٱلطَّرِيقِ ٱلسَّالِكِينَ وَيُشَبِّهُ ٱلْجِهَادَ ضِدَّهُمْ بِأَنَّهُ كَجِهَادِ ٱلتَّتَارِ. وَيُؤَكِّدُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ أَنَّ شُيُوخَ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلْمَشْهُورِينَ مِنْ أَبْرَأِ ٱلنَّاسِ مِنْ مَذْهَبِ وَحْدَةِ ٱلْوُجُودِ.

(أنظر الموسوعة الصوفية: تأليف الدكتور عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط ١-٢٠٠٣م، ص ١٠٩-١١٥ بتصرف).

يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات ٦)، وَيَقُولُ ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الحجرات ١١).



← العالم الشيخ علي الدقر - دمشق

الشيخ الصوفي المجاهد شامل - الشيشان ←

عَرَّفَ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ ٱلصُّوفِيَّةَ تَعْرِيفًا دَقِيقًا ؛ وَيَتَحَقَّقُ مَنْ يَقْرَأُ كَلَامَهُ عَنِ ٱلسَّالِكِينَ بِأَنَّهُ كَانَ يُرَاقِبُ أَحْوَالَ ٱلسَّالِكِ وَيَتَكَلَّمُ عَنْهُ وَيَصِفُهُ كَشْفًا وَمُشَاهَدَةً ، لِمَا فِي كَلَامِهِ مِنْ دِقَّةٍ فِي ٱلتَّعْرِيفِ وَشَفَافِيَةٍ فِي تَشْخِيصِ حَوَادِثِ ٱلْوَقَائِعِ ٱلرُّوحِيَّةِ ٱلْمَكْشُوفَةِ وَٱلْمَسْتُورَةِ .

تَزْكِيَتُهُ لِلصُّوفِيَّةِ قَالَ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ : "وَٱلصَّوَابُ أَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ فِي طَاعَةِ ٱللهِ كَمَا ٱجْتَهَدَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ ٱللهِ ؛ فَفِيهِمُ ٱلسَّابِقُ ٱلْمُقَرَّبُ بِحَسَبِ ٱجْتِهَادِهِ ، وَفِيهِمُ ٱلْمُقْتَصِدُ ٱلَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلْيَمِينِ ، وَفِي كُلٍّ مِنَ ٱلصِّنْفَيْنِ مَنْ قَدْ يَجْتَهِدُ فَيُخْطِئُ ، وَفِيهِمْ مَنْ يُذْنِبُ فَيَتُوبُ[1] أَوْ لَا يَتُوبُ ..

تَعْرِيفُهُ بِأَهْلِ ٱلصُّفَّةِ قَالَ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ : "إِنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَدْ جَلَسَ مَعَ أَهْلِ ٱلصُّفَّةِ (ٱلَّذِينَ قَلَّدَهُمُ ٱلصُّوفِيَّةُ فِي ٱلْعُصُورِ ٱلنُّورَانِيَّةِ) . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَهْلِ ٱلصُّفَّةِ وَفِيهِمْ قَارِئٌ يَقْرَأُ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى ﷺ : يَا أَبَا مُوسَى ذَكِّرْنَا رَبَّنَا ، فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ .

ضُيُوفُ ٱلْإِسْلَامِ بَيَّنَ لَنَا ٱلشَّيْخُ ٱلْإِمَامُ ٱبْنُ تَيْمِيَةَ بِرُمُوزٍ خَفِيَّةٍ مَنْشَأَ ٱلتَّصَوُّفِ مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِهِ بِأَهْلِ ٱلصُّفَّةِ فَقَالَ : "وَكَانَ أَهْلُ ٱلصُّفَّةِ ضُيُوفَ ٱلْإِسْلَامِ يَبْعَثُ لَهُمُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ بِمَا يَكُونُ عِنْدَهُ" . وَقَالَ عَنْ أَهْلِ ٱلصُّفَّةِ وَ ٱلصُّوفِيَّةِ : "وَقَدْ جَمَعَ أَسْمَاءَهُمُ ٱلشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلسُّلَمِيُّ . . . وَكَانَ مُعْتَنِيًا بِذِكْرِ أَخْبَارِ ٱلنُّسَّاكِ وَٱلصُّوفِيَّةِ ، وَٱلْآثَارِ ٱلَّتِي يَسْتَنِدُونَ إِلَيْهَا ، وَٱلْكَلِمَاتِ ٱلْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ ، وَجَمَعَ أَخْبَارَ زُهَّادِ ٱلسَّلَفِ ، وَأَخْبَارَ جَمِيعِ مَنْ بَلَغَهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلصُّفَّةِ ، وَكَمْ بَلَغُوا ، وَأَخْبَارَ ٱلصُّوفِيَّةِ ٱلْمُتَأَخِّرِينَ بَعْدَ ٱلْقُرُونِ ٱلثَّلَاثَةِ[2] .

(١) لَا يَقْصِدُ صُوفِيَّةَ أَهْلِ ٱلْكَمَالِ ؛ بَلْ مَنْ كَانَ يَعْمَلُ فِي بِدَايَةِ ٱلتَّصَوُّفِ ، أَوْ كَانَ فِي مُنْتَصَفِ ٱلطَّرِيقِ ، فَإِنَّهُ قَدْ تَقَعُ مِنْهُ أُمُورٌ تَشْغَلُهُ عَنْ قَلْبِهِ فَيَنْزَلِقُ . أَمَّا ٱلْكَامِلُ فَلَهُ مَلَكَةٌ مُسَيْطِرَةٌ عَلَى أَفْكَارِهِ تَمْنَعُهُ مِنِ ٱقْتِرَافِ مَا يُخِلُّ بِآدَابِ ٱلسُّلُوكِ ، وَهِيَ مِنْ بَابِ ٱلْإِعَانَةِ مِنَ ٱللهِ ﷻ .

(٢) المرجع في هذه الصفحة : فتاوى الشيخ ابن تيمية الحراني ، (طبعة الملك فهد - السعودية) ج ١١، ص١٨ و٤١ و٤٤ و٤٥ و٥٨.

الاتحاد والحلول

لَا ٱتِّحَادَ وَلَا حُلُولَ كَمَا عَرَفْنَا ... مَاذَا يَقُولُونَ عَنِ ٱلْمِدَادِ ٱلَّذِي يَحِلُّ بِآيَاتِهِ ﷻ؟!

فَمَنْ طَغَى حَلَّ فِيهِ غَضَبُ رَبِّنَا ﷻ ... وَمَنْ أَدْرَكَهُ شَلَّتْ صَوَاعِقُ ٱلْإِلَٰهِ ﷻ قُدُرَاتِهِ

جَاءَ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (طه ٨١)

فَٱلرَّحْمَةُ تَحِلُّ كَمَا ٱلْغَضَبُ يَحِلُّ بِنَا ... مَنْ فَازَ بِٱلرَّحْمَةِ كَانَتْ لَهُ مِنْ حُمَاتِهِ

فَهَلْ يَلُومُونَنَا إِذَا بِذِكْرِهِ عَمَّنَا ... مَهْمَا سَكِرْنَا فَبِٱلْقَلْبِ مَنْقُوشٌ تَوْحِيدُ صِفَاتِهِ

سَكِرْنَا بِلَا خَمْرٍ إِذْ تَجَلَّى بِنُورِهِ عَلَى سِرِّنَا ... نَحْيَا بِنَعِيمٍ، لَكِنَّ حَيَاتَنَا لَيْسَتْ كَحَيَاتِهِ

إِذَا صَبَغَنَا بِرَحْمَتِهِ وَفَيْضُهُ ضَمَّنَا ... يَخْفِقُ ٱلْقَلْبُ، وَيَزِيدُ مِنْ دَقَّاتِهِ

مَنْ ذَاقَ عَرَفَ مَا يَقْصِدُهُ فِكْرُنَا ... فَٱلصِّبْغَةُ هِيَ رَحْمَتُهُ وَنُورُ بَرَكَاتِهِ

جَاءَ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة ١٣٨)

قُولُوا لِلْعَزُولِ لَيْسَ قَلْبُهُ عِنْدَنَا ... فَهُوَ غَافِلٌ عَنْ رَبِّهِ ﷻ بِسَائِرِ أَوْقَاتِهِ

قَضَى حَيَاتَهُ بِشَهَوَاتٍ بِلَا هَنَا ... وَغَارِقٌ بِٱتِّهَامِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِمَلَذَّاتِهِ

فَلَا تَقُولُوا إِنَّ ٱلْحُلُولَ وَٱلِاتِّحَادَ مِنْ صُنْعِنَا ... فَقَدْ دَوَّنَتْهَا أَنَامِلُ ٱلْمُنْكِرِ، وَهِيَ مِنْ أَدَوَاتِهِ

أَهْلُ ٱلتَّصَوُّفِ عَلَّمُوا ٱلتَّوْحِيدَ أُمَّتَنَا ... مَنْ قَالَ بِٱلْحُلُولِ زَادَ مِنْ عِلَّاتِهِ

لِسَانُ ٱلْحَسُودِ شَوَّهَ نَضَارَةَ سُمْعَتِنَا ... سَيَبْقَى ٱلْحِرْمَانُ يَدُكُّهُ فِي شَتَاتِهِ

سَيُذِيقُهُ عَذَابُ رَبِّهِ ﷻ لِمَا فَعَلَ بِنَا ... يَوْمَ ٱلْحِسَابِ وَحِينَ سَاعَةِ وَفَاتِهِ



العالم الشهير الفقيه المنير سماحة الشيخ محمد قاسم الكستي، بيروت (و 1869م)

العلامة الفاضل سماحة مفتي لبنان السابق الشيخ الأديب محمد علايا

التستر بالصوفية لتخريب السمعة

إن لأعداء المرشدين أساليب مكارة ... يلتحقون بالطريقة لمآرب كستارة

يشوه صورة المرشد أولئك المنتسبون ... بتعريفات باطلة تضر في الدين

يعملون حوله هالة تعظيم عام ... ويرفعون مقامه فوق سائر الأنام

يروجون له كرامات كاذبة غزيرة ... ثم يضايقون زواره بطرق شريرة

يتسترون خلف الخدمة ودعايات مرسومة ... لتدمير السمعة وتنفير النفوس الميمونة

فيعملون خلاف الشريعة بالخفاء للخراب ... يروجون قلاقل وفتنا بقصد الاضطراب

يقول بعضهم أخذت زوجتي حجابا للحمل ... فلم يعطها المرشد أولادا، بلا أمل

ومنهم من يقول: لولا المرشد ما رزقنا أولادا ... وهو بهمته ولطفه يحمي لنا البلادا

ثم يقول: لا يوجد في أحجبته تأثير ... وزوجني امرأة خالية من الضمير

ولم يفدني حجابه ضد الرصاص ... فأصابني برجلي على المحاور القناص

ولم يمكني من كشف السرقة ... إذا لم يعطني الولاية سأجعل تفرقة

هؤلاء مطالبهم فاسدة وشر البرية ... توكلوا على غير إله البشرية

فليحذر منهم المريد ومن قصصهم الخرافية ... تستروا بالزهد والأحوال وجذبات الصوفية

كل تلك الأفعال شاهدها الكاتب ... وكان يدونها لإظهارها بالوقت المناسب

يبيعون دينهم بدولار ودرهم ... السلطة والمال عندهم هما الأهم

فلا يقصد المرشد إلا محبة الإله ... ولا يطلب العبد إحسانا إلا من مولاه ﷻ

هكذا علمنا مرشدنا سراج الدين ... وبين لنا الحلال من الحرام المهين

وخلاف ذلك افتراء عليه وبهتان ... مما يروج عليه من أكاذيب في لبنان

كَسْبُ ٱلْمَقَامِ ٱلرَّفِيعِ بِٱلْأَلَمِ ٱلْمُرِيعِ

يَكْسِبُ ٱلسَّالِكُ ٱلْكَبِيرُ مَقَامَهُ بِـٱلْآلَامِ … هَـٰذَا لِمَـنْ أَتَمَّ فَنَـاءَهُ بِسَـيِّدِ ٱلْأَنَـامِ ﷺ

حِينَمَا يَتَعَرَّضُ لِٱسْتِئْصَالِ بَعْضِ ٱلْآفَاتِ … يَسْتَشْعِرُ بِحُضُورِ رِجَالِ غَيْبٍ أَهْلِ ٱلْكَمَالَاتِ

يَـأْتُوهُ مِـنْ عَـالَمِ ٱلرُّوحَانِيَّـاتِ مُسْـعِفِينَ … يَضَعُونَ ـ بِجَسَدِهِ خُطُوطًا لِلْأَضْرَارِ ـ مُبْعِدِينَ

فَيُجْرِي ٱلطَّبِيبُ ٱلْعَمَلِيَّةَ بِنَجَاحٍ بَـاهِرْ … وَيَسْتَأْصِلُ مِنَ ٱلسَّالِكِ مَا فِيهِ مَـخَاطِـرْ

فَتَـأْتِي لِلسَّـالِكِ وَارِدَاتٌ بِـأَلَمٍ وَبِشَـارَةِ … فَيُشَاهِدُ كَيْفِيَّةَ ٱلْعَمَلِيَّـةِ تَقَيُّدًا بِٱلْإِشَارَةِ

فَـلَا يَشْـعُرُ بِـذَلِكَ ٱلطَّبِيـبُ ٱلْمُلْـهَمُ … فَقَدْ أَجْرَى ٱللهُ ﷻ عَلَى يَدَيْهِ مَا لَا يَعْلَـمُ

فَتَلَاحِقُـهُ ٱلْآلَامُ مَصْـحُوبَةً بِٱلْمَقَامَـاتِ … يَتَمَنَّـى عَـدَمَ حُصُـولِهَا لِمَـا عَلَيْـهِ آتِ

فَيَصِيحُ : "يَـا رَبِّ لَسْـتُ طَالِبًـا لِلْقُطْبِيَّـةِ … أَبْغِي رَحْمَتَكَ وَٱلْفَوْزَ بِـٱلْجَنَّـةِ ٱلْعَلِيَّـةِ"

يَرْفُضُ بَاطِنُ ٱلسَّالِكِ ٱلْجِسْمَ ٱلْغَرِيبْ … وَيَسْتَنْفِرُ إِذَا ٱسْتَشْعَرَ بِـهِ وَهُـوَ قَرِيـبْ

وَيُقَاوِمُ وَلَا يُسَلِّمُ بَاطِنَهُ لِلْعَارِضِ ٱلْعَجِيبْ … مَهْمَـا أَغْـرَاهُ وَتَحَايَـلَ لَـهُ لَا يَسْـتَجِيبْ

فَأَهْلُ ٱلْغَيْبِ ٱلْمُسْعِفُونَ يَعْجِزُ عَـنْ دَفْعِهِـمْ … فَسُلْطَتُهُمْ لَا تَتَأَثَّرُ بِمَنْ يُحَاوِلُ إِبْعَادَهُمْ

بَعْدَمَا يَصْحُو مِنَ ٱلْبَنْجِ وَيَذْهَبُ ٱلْمُسْعِفُونَ … يَقُولُ ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: ١٠) ، وَكَذَلِكَ يُبْعَثُونَ

تِلْكَ أَحْوَالُ ٱلسَّالِكِ بِـٱلْبَلَاءِ وَٱلِٱسْتِشْعَارِ … فَلَهُ عِنَايَةٌ بِحِفْظِ مَوْلَاهُ ﷻ مِـنَ ٱلْأَخْطَـارِ

هَذِهِ مَرَاتِبُ يُشَاهِدُ فِيهَا ٱلسَّالِكُ مَقَامَهُ … وَلَـوْ كَـانَ بِحَرْقِ ٱلنَّـارِ أَوْ بِإِعْدَامِـهِ

لِيَزِيـدَهُ مَـوْلَاهُ ﷻ يَقِينًـا وَثَبَاتًـا لِصَـبْرِهِ … وَلَا يَتْرُكُهُ مَوْلَاهُ ﷻ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قَبْرِهِ

لَا تُنَـالُ ٱلْـوَارِدَاتُ وَٱلنَّاسُ عَلَـى وِسَـادَةِ … لَا بُدَّ مِنْ عَمَلٍ يُوصِلُ ٱلسَّالِكَ لِلْإِبَادَةِ

فَٱلسَّـالِكُ يَلْحَقُـهُ ٱلْبَـلَاءُ تِلْـوَ ٱلْبَـلَاءِ … لَا يَرْتَـاحُ حَتَّـى يُؤَيَّـدَ فِي ٱلْـوَلَاءِ

قَالَ سَلْمَانُ : كَانَتِ ٱمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تُعَذَّبُ بِٱلشَّمْسِ ، فَإِذَا ٱنْصَرَفُوا عَنْهَا أَظَلَّتْهَا ٱلْمَلَائِكَةُ ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ فَكَشَفَ ٱللهُ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي ٱلْجَنَّةِ حَتَّى رَأَتْهُ . فِي ٱلْقِصَّةِ أَنَّ فِرْعَوْنَ أَمَرَ بِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ لِتُلْقَى عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَتَوْهَا بِٱلصَّخْرَةِ قَالَتْ : رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ، فَأَبْصَرَتْ بَيْتَهَا فِي ٱلْجَنَّةِ مِنْ دُرَّةٍ ، وَٱنْتُزِعَ رُوحُهَا ، فَأُلْقِيَتِ ٱلصَّخْرَةُ عَلَى جَسَدٍ لَا رُوحَ فِيهِ . (تفسير الإمام البغوي رحمه الله : دار المعرفة – بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م ، ج ٤ ص ٣٦٨) .

الجزا على قدر الأذى

مَنْ كَانَ صَفَاؤُهُ رَاقٍ وَزَائِدْ يَسْتَشْعِرُ بِخَوَاطِرِ أَعْدَائِهِ الْمَمْلُوءَةِ بِالْمَكَائِدْ
يَصِيرُ كَمِرْآةٍ تَنْعَكِسُ عَلَيْهِ الصُّوَرْ مَا يُرْسِلُهُ جِيرَانُهُ مِنْ أَضْرَارٍ يُحَلِّلُهَا كَالْمُخْتَبَرْ
مِنْ خَوَاطِرَ خَبِيثَةٍ وَأَفْعَالٍ سِحْرِيَّةٍ فَيَتَلَقَّاهَا بِتَجَارِبِهِ كَتَمَارِينَ رُوحِيَّةٍ
أَجَارَنَا اللهُ مِنَ الْجَارِ السُّوءْ الَّذِي بِالْمَكْرِ وَالْأَذَى وَالْخِدَاعِ مَمْلُوءْ
لَا يَسْتَطِيعُ السَّالِكُ مِنْ ذَلِكَ الْفِرَارْ فَذَلِكَ تَمْرِينٌ لَهُ فِي مَعَارِكِهِ مَعَ الْأَشْرَارْ
يُصْبِحُ بِخَلْوَةِ دَارِهِ يَتَنَقَّلُ كَالنَّحْلَةْ لَا فِرَارَ مِنَ الْقَدَرِ الْآتِي نَحْوَهْ
مِنَ الْبَلَاءِ السَّكَنُ بِقُرْبِ تِلْكَ الْجَالِيَةِ الْحَسُودَةِ الْمُؤْذِيَةِ الْمَكَّارَةِ الْمُعَادِيَةِ
يَتَقَلَّبُ السَّالِكُ عَلَى جَمْرِ نَارٍ مُثِيرِ مِمَّا يَتَلَقَّاهُ مِنْ أَذَاهُمُ الْخَطِيرِ
لَا يَرْتَاحُ السَّالِكُونَ وَلَوْ بِالْغَارِ سَكَنُوا إِلَّا إِذَا بِكَمَالَاتِ النِّهَايَةِ تَمَكَّنُوا
لَيْسَ الْأَعْمَى كَالَّذِي يَرَى النَّهَارْ وَالضَّرِيرُ هُوَ الْمَحْرُومُ مِنْ لَذَّةِ الِاسْتِشْعَارْ

خاتمة الكتاب

تَمَّ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى هَذَا الْكِتَابْ بِأَمْدَادِهِ وَلَا أَنْسَى مُسَاعَدَةَ الْأَحْبَابْ
لَاشَكَّ كَانَتِ الْأَمْدَادُ فِيهِ ظَاهِرَةْ تَرْوِي حُرُوفُهُ لَطَائِفَ الْإِحْسَاسِ الْحَائِرَةْ
يَمُدُّ اللهُ ﷻ مَنْ يَشَاءُ فَضْلًا وَإِحْسَانًا نَرْجُوهُ ثَبَاتَ قَدَمٍ وَكَمَالًا وَإِيمَانًا
وَيُثَبِّتُ بِفَضْلِهِ مَنْ يُرِيدُ عَدْلًا وَيُوصِلُ مَنْ يَخْتَارُ وَيَجْعَلُهُ بَدَلًا
إِنْ شَاءَ أَعْطَى وَإِنْ شَاءَ مَنَعْ وَإِنْ أَرَادَ حَوَّلَ الْأَمْنَ إِلَى جَزَعْ
فَنَحْمَدُ اللهَ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- إحياء علوم الدين ١ /٥ ، تأليف : أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، تأليف:الإمام محمد بن أحمد القرطبي ،دار الفكر، بيروت .
- التعريفات ، تأليف : محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م .
- التفسير الكبير ١/ ٣٢ ،تأليف : فخر الدين الرازي، دار الفكر ، ط١ ، بيروت ، سنة١٩٨١م
- تفسير الإمام البغوي ، للإمام أبي محمد الحسين ، ج١ ص ٩٨ ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، ط ٢ ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٩٨٧م .
- تفسير البشائر ، تأليف : الشيخ علي الشربجي ، ط١ ، دار البشائر ، دمشق ، ١٩٩٧ م .
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ١ /٢ ، تأليف : جلال الدين السيوطي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور١/١٢، للسيوطي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠ م.
- سنن أبي داود ١ /٣ ، للإمام أبي داود ﷺ ، صحح أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني وغيره ، ط ١ ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرباط ، ١٩٨٩م .
- سنن الترمذي ١ / ١٠ ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ﷺ ، صححه : عزت عبيد الدعاس ، ط ١ ، مطابع الفجر الحديثة ، حمص ، ١٩٦٨ م .
- السنن الكبرى ١/١٠، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي ﷺ ، ط١، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٦م .
- سنن النسائي ١ /٣ ، للإمام أحمد بن شعيب النسائي ﷺ ، صحح أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني وغيره ، ط ١ ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرباط ، ١٩٨٨م .
- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تأليف:جلال الدين السيوطي ،دار الكتب العلمية، بيروت .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١ /١٨ ، **ترتيب** : علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، حققه : شعيب الأرناؤوط ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- صحيح مسلم بشرح النووي ١ /١٨ ، للإمام محيي الدين يحيي بن شرف النووي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- فتاوى الشيخ ابن تيمية الحراني ، طبعة الملك فهد ، السعودية .

❁ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١ /١١ ، للإمام ابن حجر العسقلاني ، تصحيح : عبد العزيز بن عبد الله بن باز وغيره ، دار المعرفة ، بيروت .

❁ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير١/٣، للإمام النبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

❁ فكر الأمير عبد القادر الجزائري، تأليف:الأميرة بديعة الحسني الجزائري،ط١، دار الفكر المعاصر، دمشق ،٢٠٠٠م .

❁ فيض القدير شرح الجامع الصغير١/٤ ، للإمام شمس الدين محمد المناوي الشافعي ، تحقيق : حمدي الدمرداش محمد ، ط١ ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، السعودية ، ١٩٩٨م .

❁ كتاب:الإسلام،لفضيلة الشيخ حسن الشقرا .

❁ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ١ /٢ ، تأليف : إسماعيل بن محمد العجلوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

❁ لسان العرب،تأليف: الإمام محمد بن مكرم المشهور بابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت.

❁ مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ، للشيخ ابن القيم الجوزية ، تحقيق : الداني بن منير آل زهوي ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .

❁ المستدرك على الصحيحين في الحديث ، ١ /٤ ، للحاكم النيسابوري ، وفي ذيله تلخيص المستدرك ، ط١ ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

❁ مسند الإمام أحمد ١ /٦ ، للإمام أحمد بن حنبل ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

❁ مصابيح السنة ١ /٤ ، للحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : يوسف المرعشلي وغيره، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

❁ مصدر الصور القديمة من التكية النقشبندية إيران ـ كردستان ـ دورود ، وأصحاب الزاوية القادرية في بعلبك من تلاميذ الشيخ صالح عرفات والشيخ عارف عرفات ، (وكتاب: علماؤنا ، تأليف : كامل الداعوق ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٠) ، (وكتاب:كرامات الشيخ علي العمري ، تأليف : محمد كامل البابا ، دار الفنون ، طرابلس ـ لبنان ، ١٩٥٨) .

❁ المعجم الذهبي (فارسي عربي)، تأليف الدكتور محمد التونجي ، ط١ ، دار العلم للملايين، ١٩٦٩م .

❁ المعجم العربي الأساسي : إعداد نخبة من كبار اللغويين بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (مؤسسة لاروس العالمية) .

❁ الموسوعة الصوفية ، تأليف : الدكتور عبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،ط١-٢٠٠٣م.



فهرس المصطلحات

فهرس الكتاب

بِرْنامج تعلم دينك بأسهل الطرق.مشروع الكتاب المجاني

إلى القرّاء الكرام: إنّ مركز الكتابات الإسلامية يقوم بخدمة الكتاب الإسلاميّ ونشره وتوزيعه وإيصاله مجاناً. وقد وزّع المركز حوالي ٣٢ ألف نسخة متنوعة.

١) نشكر الداعمين والمساعدين للدار لمتابعة هذا المشروع الضخم المفيد ونذكر المتبرعين والداعمين برقم الحساب الجديد: (٠٢٤١٤٠٧ – ٠٢١) بنك لبنان والمهجر، شارع الإستقلال.

إنّ هذا العمل النبيل فيه إحسان جزيل وأجر لا ينقطع لوقت طويل لقوله ﷺ

" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " (صحيح مسلم كتاب الوصية) .

٢) من يرغب بالحصول على الكتاب فعليه المراسلة بحسب العنوان لنرسله له بالبريد .

٣) الذي يريد أن يطبع أي مجموعة من كتب المركز عن روح أقاربه عليه الاتّصال بنا بواسطة :

أ – البريد الإلكتروني info@douroud.Org

ب – أو الاتصال بالهاتف : ٠٣/٩٢٧٤٥١ – ٠٣/٧٣٤٣١٠

ج – أو يكتب إلينا على عنواننا: صندوق بريد : لبنان – بيروت – الحمراء ١١٣/٥٧٤٣

الذي يريد الإطلاع على كتب المركز على الإنترنت عليه زيارة الموقع التالي :

www.douroud.org



دار مركز الكتابات الإسلامية





